

(الجزء السابع)  
من التفسير المسمى فتح البيان  
في مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق  
الهمام المؤيد من مولاة القدير الباري أبي الطيب  
صديق بن حسن القنوجي البخاري ملك  
مدينة هويل مالابالا قطارا الهندية  
لا زالت كوكاكب فضله  
في الآفاق زاهرة  
مضيه  
آمين

وبهامشه تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسمعيل بن عمر بن  
كثير القرشي الدمشقي المولود سنة سبع مائة وعشر المتوفى سنة سبع مائة وأربعة وسبعين  
وهذا التفسير جليل فسر بالاحاديث والآثار مسندة من اصحابها مع  
الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا من كشف الظنون



(الطبعة الاولى) \*  
بالمطبعة الكبرى الميرية بيولاقي مصر المحمية  
سنة ١٣٠١ هجرية

* فهرسة الجزء السابع من تفسير الخافظ ابن كثير *	* فهرسة الجزء السابع من التفسير المسمى فتح البيان في مقاصد القرآن *
<p style="text-align: right;">صحيفة</p> <p>٢ سورة المؤمنون</p> <p>٣٩ سورة النور</p> <p>١٢٣ سورة الفرقان</p> <p>١٦١ سورة الشعراء</p> <p>٢٠٠ سورة النمل</p> <p>٢٢٩ سورة القصص</p> <p>٢٧٨ سورة العنكبوت</p> <p>٣٠٨ سورة الروم</p>	<p style="text-align: right;">صحيفة</p> <p>٢ سورة الشعراء</p> <p>٤٨ سورة النمل</p> <p>٩٤ سورة القصص</p> <p>١٤٠ سورة العنكبوت</p> <p>١٧٧ سورة الروم</p> <p>٢٠٧ سورة لقمان</p> <p>٢٢٧ سورة الحجلة</p> <p>٢٤٦ سورة الاحزاب</p> <p>٢٢٣ سورة سبأ</p> <p>٢٤٩ سورة فاطر</p>
* (تمت) *	* (تمت) *

(الجزء السابع)  
من التفسير المسمى فتح البيان  
في مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق  
الهمام المؤيد من مولاة القدير الباري أبي الطيب  
صديق بن حسن القنوجي البخاري ملك  
مدينة هيو يال حاليا بقطار الهندية  
لا زالت كواكب فضله  
في الآفاق زاهرة  
مضيه  
آمين

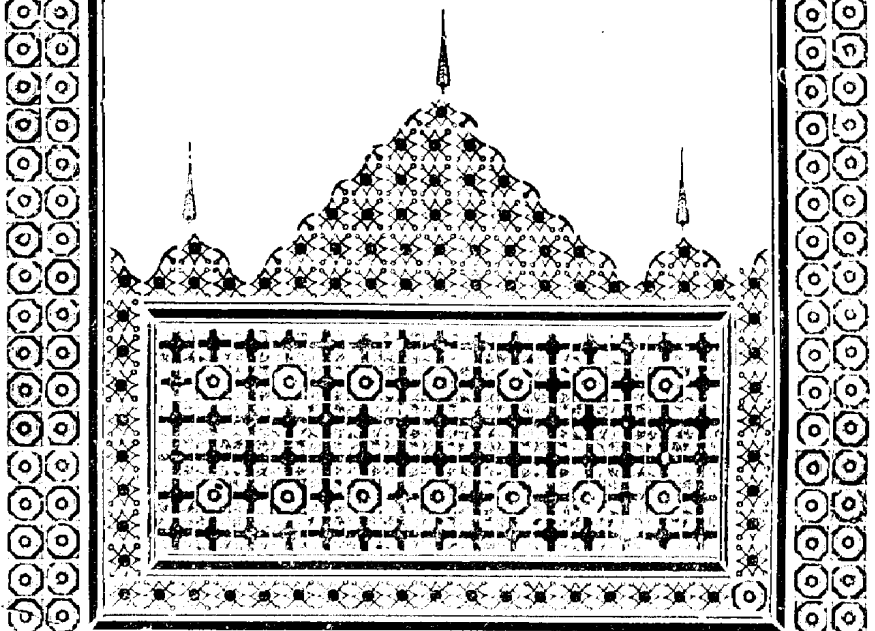
وبهامشه تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسمعيل بن عمر بن  
كثير القرشي الدمشقي المولود سنة سبع مائة وعشر المتوفى سنة سبع مائة وأربعة وسبعين  
وهذا التفسير جليل فسر بالا حاديث والآثار مسندة من أصحابها مع  
الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا ٥ من كشف الظنون

\*(الطبعة الاولى)\*  
بالمطبعة الكبرى الميرية بيولاقي مصر المحمية)  
سنة ١٣٠١ هجرية

\* (تفسير سورة المؤمنون مكية) \*

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لشر وجهم حافظون الاعلى أزواجهم أما ما كت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لا مانع لهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرني يونس بن سليم قال ألقى على يونس بن يزيد الأيلي عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال سمعت عمر بن الخطاب يقول كان إذا أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوى النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تمنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد أنزل على عشر آيات من آياتهم دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر ورواه الترمذي في تفسيره والنسائي في الصلاة من حديث عبد الرزاق به وقال الترمذي منكر لا نعرف أحدا رواه غير يونس بن سليم



(بسم الله الرحمن الرحيم)

\* (سورة الشعراء مائتان وسبع وعشرون آية ومكية عند الجمهور) \*

وبه قال ابن الزبير وقال ابن عباس سوى خمس آيات من آخرها نزلت بالمدينة وهي والشعراء يتبعهم الغاؤون إلى آخرها وأخرج القرطبي في تفسيره عن البراء أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المئين مكان الإنجيل وأعطاني الطواسين مكان الزبور وفضاني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي وأخرج أيضا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطيت المفصل نافله قال ابن كثير ووقع في تفسير مالك تسميتها بسورة الجمعة

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(طسم) محله الرفع على الابتداء إن كان اسما للسورة كذهب إليه إلا أكثر وأعلى أنه خبر ويجوز أن يكون في محل نصب والتقدير اذكرا وأقرأ وأما إذا كان مسرودا على نطق التعديد كما تقدم مما راها فلا محل له من الاعراب وقد قيل إنه اسم من أسماء الله سبحانه وقيل إنه اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسأته ومملكته وقال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وهو الحق في المقام ولذا قال المحلى الله أعلم برأيه بذلك (تلك) أي السورة أو آيات هذه السورة (آيات الكتاب) أي القرآن (المبين) أي المبين المظهر للبعق من الباطل أو المبين الظاهر أعجزه إن كان من آيات اللانزيم مع بنيان

وهذا و يونس لا يعرفه وقال النسائي في تفسيره إننا نقية بن سعيد حدثنا جعفر عن أبي عمير عن يونس



ابن يانوس قال قلنا لعائشة أم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فقرأت قد أفلح المؤمنون حتى انتهت الى والذين هم على صلواتهم يحافظون قالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى عن كعب الاحبار وحجاءه وابي العالية وغيرهم لما خلق الله الجنة عدن وغرسها بيده فضر اليها وقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون قال كعب الاحبار لما أعد لهم من الكرامة فيها وقال ابو العالية فأنزل الله ذلك في كتابه وقد روى ذلك عن ابي سعيد الخدري مر فوافق قال أبو بكر البرار حدثنا محمد بن المثنى حدثنا المغيرة بن ٣ مسلمة حدثنا وهيب عن الجريري عن ابي

نضرة عن ابي سعيد قال خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها وقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون فدخلتها الملائكة فقالت طوبى لك منزل الملوكة ثم قال وحدثنا بشر بن آدم وحدثنا يونس بن عبيد الله العبير حدثنا عدي بن الفضل حدثنا الجريري عن ابي نضرة عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك قال البرار ورأيت في موضع آخر في هذا الحديث حائط الجنة لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك فقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون فقالت الملائكة طوبى لك منزل الملوكة ثم قال البرار لانعلم أحد ارفعها الاعلى بن الفضل وليس هو بالحافظ وهو شيخ متقدم الموت وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن علي حدثنا هشام بن خالد حدثنا بقمية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الجنة عدن

وهذا المعنى أليق بالمقام وأوفق للمرام ولذا اقتصر عليه صاحب الكشاف (علك باخع) أي قاتل ومهلك (نفسك) لعل هنا للاشفاق أي أشفق عليها بتخفيف هذا الغم والبجع في الاصل أن يبلغ بالذبح البضاع وهو عرق في القفا وقد مضى تحقيق هذا في سورة الكهف وقرئ يا خع نفسك بالاضافة والمعنى لعلك قاتل نفسك (أن لا يكونوا) أي أهل مكة (مؤمنين) أي لعدم ايمانهم بما جئت به وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه كان حربا على ايمان قومه شديدا لاسف لما يراه من اعراسهم (ان نشأ نزل عليهم من السماء آية) مستأنفة مسوقة لتعجيل ما سبق من التسلية والمعنى نزل آية الخبثهم الى الايمان ولكن قد سبق القضاء بان لا تنزل ذلك وتقدم الطرفين على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر (فضلت أعناقهم لها خاضعين) أي انهم صاروا منقادين لها أي فتطل أعناقهم قيل وأصله فتطلوا لها خاضعين فاحتمت الاعناق للتقريب والتصوير لان الاعناق موضع الخضوع وقيل انها لما وصفت الاعناق بصنات العقلاء أحرمت مجراهم ووصفت بما يوصفون به قال عيسى بن عمرو خاضعين وخاضعة سواء واختاره المبرد والمعنى انهم اذا نزلت رقابهم نزلوا فالاحبار عن الرقاب اخبار عن اصحابها ويسوغ في كلام العرب أن يترك الخبر عن الاول ويخبر عن الثاني وقال أبو عبيد والكسائي ان المعنى خاضعها هم وخضعه النحاس وقال جعاده أعناقهم كبرأؤهم قال النحاس وهذا معروف في اللغة يتال جاءني عنق من الناس أي رؤسهم منهم وقال أبو يزيد والاعناق أعناقهم جماعاتهم يتال جاءني عنق من أي جماعة وقال ابن عباس خاضعين ذليلين (وما يأتهم من) مزيدة لتأ كيد المعنى (ذكر من الرحمن) لا تشاء الغاية (محدث) انزاله وكتبت انزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الاول (الا كلوا عنه معرضين) أي لا يجرد داهم ودعوة وتذكير الاجر دوا ما هو وتبعض المتصور وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء والجله حالية والاستثناء مفرغ من اعم العام وقد تقدم تفسير مثل هذه الآية في سورة الانبياء (فقد كذبوا) بالذكري الذي يأتهم تكذيبا صريحا ولم يكتبوا بمجرد الاعراض وقيل ان الاعراض بمعنى التكذيب لان من أعرض عن شيء ولم يقبله فقد كذبه وعلى هذا فيكون ذكر التكذيب للدلالة على صدور ذلك منهم على وجه التصريح والاول أولى فالاعراض عن الشيء عدم الالتفات اليه ثم خلق فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون بقمية عن الحجاز بين ضعيف وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن ابي شيبة حدثنا نجاب بن الحارث حدثنا احمد بن عيسى العيسى عن ابيه عجل السدي عن ابي صالح عن ابن عباس يرفعه لما خلق الله الجنة عدن بيده ودلى فيها اثمارها وشق فيها اثمارها ثم نظر اليها فقال قد أفلح المؤمنون قال وعزني وجلالي لا يجاورني فيك بحيل وقال أبو بكر بن ابي الدنيا حدثنا محمد بن المثنى البرار حدثنا محمد بن زياد الكلبي حدثنا يعيش ابن حسين عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجنة عدن بيده

خلق فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون بقمية عن الحجاز بين ضعيف وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن ابي شيبة حدثنا نجاب بن الحارث حدثنا احمد بن عيسى العيسى عن ابيه عجل السدي عن ابي صالح عن ابن عباس يرفعه لما خلق الله الجنة عدن بيده ودلى فيها اثمارها وشق فيها اثمارها ثم نظر اليها فقال قد أفلح المؤمنون قال وعزني وجلالي لا يجاورني فيك بحيل وقال أبو بكر بن ابي الدنيا حدثنا محمد بن المثنى البرار حدثنا محمد بن زياد الكلبي حدثنا يعيش ابن حسين عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجنة عدن بيده

لبنة من درة بيضاء وابنة من ياقوتة حمر ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران  
ثم قال لها انطقي قالت قد اقلع المؤمنون فقال الله وعزني وجلالي لا يجاورني فيك نجيم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن  
يوق شخ نفسه فاولئك هم المفلحون وقوله تعالى قد اقلع المؤمنون أي قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح وهم المؤمنون  
المتصفون بهذه الاوصاف الذين هم في صلاتهم - خاشعون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس خاشعون خاشعون ساكنون وكذا  
روى عن مجاهد والحسن وقتادة والزهري ٤ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخشوع خشوع القلب وكذا قال

ابراهيم النخعي وقال الحسن  
البصري كان خشوعهم في قلوبهم  
فغضوا بذلك ابصارهم وخفضوا  
الجناح وقال محمد بن سيرين كان  
أصحاب رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يرفعون ابصارهم الى السماء  
في الصلاة فلما نزلت هذه الآية قد  
أقلع المؤمنون الذين هم في صلاتهم  
خاشعون خفضوا ابصارهم الى  
موضع سجودهم قال محمد بن  
سيرين وكانوا يقولون لا يجاوز  
بصرهم مصلاهم فان كان قد اعتاد  
النظر فليغمض رواده ابن جرير وابن  
أبي حاتم ثم روى ابن جرير عنه  
وعن عطاء بن أبي رباح أيضا  
مرسلا ان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم كان يفعل ذلك حتى  
نزلت هذه الآية والخشوع  
في الصلاة انما يحصل لمن فرغ قلبه  
لها واشتغل بها عما عداها وأثرها  
على غيرها وحينئذ تكون راحته  
وقرة عين كما قال النبي صلى الله عليه  
وسلم في الحديث الذي رواه الامام  
أحمد والنسائي عن أنس عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه  
قال حبيب الى الطيب والنساء

انتقلوا عن هذا الى ما هو أشد منه وهو التصريح بالتكذيب ثم انتقلوا عن التكذيب  
الى ما هو أشد منه وهو الاستهزاء كما يدل عليه قوله (فسما أتيتهم آتيا) وهي ما يتحققونه  
من العقوبة آجلا وعاجلا وسميت آتيا لكونها مما أتيا عنه القرآن وقال (ما كانوا به  
يستتزون) ولم يقبل ما كانوا عنه معرضين أو ما كانوا به يكذبون لان الاستهزاء أشد منهما  
والمستلزم لهما وفي هذا عهد شديد وقد مر تفسير مثل هذا في سورة الانعام ثم ذكر سبحانه  
ما يدل على كمال قدرته من الاور الحسية التي يحصل بها التماثل فيها والنظر اليها  
والمستدل بها أعظم دليل وأوضح برهان وبين انه أظهر لهم أدلة تحدث في الارض وقتها  
بعد وقت تدل على توحيده ومع ذلك استمرأ كثيرهم على الكفر فقال (أولم يروا) الية  
للتوبيخ والواو للعطف على مقدر كما في نظائره (الى الارض) أي الى عجائبها وبين بعضها  
بقوله (كم أنبتنا فيها) أي كثيرا (من كل زوج كريم) فنبه سبحانه على عظمته وقدرته وان  
هؤلاء المكذبين المستهزئين لو نظروا حتى النظر لعلموا أنه سبحانه الذي يستحق أن يعبد والمراد  
بالزوج هنا الصنف والنوع وقال الفراء هو اللون وقال الزجاج زوج نوع وكريم محمود  
والمعنى من كل زوج نافع لا يقدر على انبائه الارب العالمين اذ ما من نبت الا وله النفع  
والكريم في الاصل الحسن الشريف يقال نخلة كريمة أي كثيرة الثمرة ورجل كريم  
شريف فاضل وكاب كريم اذا كان مرضيا في معانيه والنبات الكريم هو المرضى  
في منافعه قال الشعبي الناس مثل نبات الارض فمن صار منهم الى الجنة فهو كريم ومن  
صار منهم الى النار فهو لئيم وفائدة الجمع بين كلمتي الكثير والاحاطة ان كلمة كل تدل على  
الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكما تدل على ان هذا المحيط متمكنا ثم مفرط  
الكثرة وبه نبه على كمال قدرته قاله الزمخشري واليه أشار في التبرير (ان في ذلك لآية)  
أي فيما ذكر من الانبات أو في كل واحد من تلك الأزواج دلالة بينة وعلامة واضحة على  
كمال قدرة الله سبحانه وبديع صنعته واللام زائدة في اسم المؤخر وقد ذكرت هذه الآية  
في هذه السورة ثمان مرات ثم أخبر سبحانه بأن أكثر هؤلاء مستقر على ضلالته مصمم على  
سكوتهم هكنا فلذلك لا تنفعهم أمثال هذه الآيات العظام قال سيبويه ان كان هنا  
صلة أي زائدة (وان ربك هو العزيز الرحيم) أي الغالب القاهر لهؤلاء بالانتقام منهم مع

وجعلت قرعة عيني في الصلاة وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا مسعر عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد  
أن محمد بن الحنفية قال دخلت مع أبي علي صهر لنا من الانصار فحضرت الصلاة فقال يا جارية اتبني بوضوء علي أصلي فأستريح  
فرا أنا أنكرنا عليه ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيم بالبال فأرحنا بالصلاة وقوله والذين هم عن اللغو  
معرضون أي عن الباطل وهو يشمل الشرك كما قاله بعضهم والمعاصي كما قاله آخرون وما لا فائدة فيه من الأقوال والافعال كما قال  
تعالى واذا أمرتوا بالغومروا كما قال قتادة أتاهم والله من أمر الله ما وقفهم عن ذلك وقوله والذين هم للزكاة فاعلون الاكثرون

على ان المراد بالزكاة ههنا زكاة الاموال مع ان هذه الآية مكية وانما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة والظاهر ان  
 التي فرضت بالمدينة انما هي ذات النصب والمادة اذ الخاصة والافا الظاهر ان أصل الزكاة كان واجبا على كل من اصابه في سورة الانعام  
 وهي مكية واثوابه يوم حصاده وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة ههنا زكاة النفس من الشرك والدنس كقوله قد اخرج من زكاهما  
 وقد خاب من دساها و كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة على احد القولين في تفسيرهما وقد يحتمل أن يكون كلا  
 الامرين مرادا وهو زكاة النفوس وزكاة الاموال فانه من جملة زكاة النفوس والمؤمن الكامل هو الذي يفعل

هذا وهذا والله أعلم وقوله والذين  
 هم لغرو وجههم حافظون الاعلى  
 أزواجهم أو ما ملكت أيانهم فانهم  
 غير ملومين فمن اتبعي وراء ذلك  
 فأولئك هم العادون أي والذين قد  
 حفظوا فروجهم من الحرام فلا  
 يتعون فيما بينهم الله عندهم زنا  
 ولو اطعوا لا يقر بون سوى أزواجهم  
 التي أحلها الله لهم أو ما ملكت  
 أيانهم من السراري ومن تعاطى  
 ما أحل الله له فلا لوم عليه ولا حرج  
 واهذا قال فانهم غير ملومين فمن  
 اتبعي وراء ذلك أي غير الأزواج  
 والاماء فأولئك هم العادون أي  
 المعتدون وقال ابن جرير حدثنا  
 محمد بن بشار حدثنا عبد الاعلى  
 حدثنا سعد بن قتادة ان امرأة  
 اتخذت مملوكا وقالت تأوات آية  
 من كتاب الله أو ما ملكت أيانهم  
 فأتى بها عمر بن الخطاب رضي الله  
 عنه وقال له ناس من أصحاب النبي  
 صلى الله عليه وسلم تأوات آية من  
 كتاب الله عز وجل على غير وجهها  
 قال فغرب العبد وجز رأسه وقال  
 أنت بعدة حرام على كل مسلم هذا  
 أثر غريب منقطع ذكره ابن جرير

كونه كثير الرحمة ولذلك امهلتهم ولم يعاجلهم بالعقوبة أو المعنى انه منتقم من أعدائه رحيم  
 بوليائه (واذ نادى ربك موسى) مستأنفة مسوقة لتقرر ما قبلها من الاعراض  
 والتكذيب والاستهزاء وشروع في قصص سبع أولها قصة موسى والثانية ابراهيم  
 والثالثة نوح والرابعة هود والخامسة صالح والسادسة لوط والسابعة شعيب  
 والتقدير وائل اذ نادى أو اذ كرى بالمجد والنداء الدعاء أي نادى حين رأى الشجرة والنار  
 وكان النداء بكلام سمعه من كل الجهات من غير واسطة (أن) منسرة أو مصدرية أي بأن  
 (أتت القوم الظالمين) وليس هذا مطلع ما ورد في حين النداء وانما هو ما فصل في سورة طه  
 من قوله ان أنار بك الى قوله لتريك من آياتنا الكبرى ووصفهم بالظلم لانهم جمعوا بين  
 الكفر الذي ظلموا به أنفسهم وبين المعاصي التي ظلموا بها غيرهم كاستعباد بني اسرائيل  
 وذبح آبائهم وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا (قوم فرعون) يعني القبط  
 عطف بيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهم ما عاربان تعتبان على  
 مؤدى واحد (الأتقون) أي ألا يخافون عقاب الله سبحانه فيصرفون عن أنفسهم  
 عقوبته بطاعته وقيل المعنى قل لهم ألم لا تتقون وجاء بالتحسية لانهم غيب وقت الخطاب  
 وقرئ بالوقية أي قل لهم ذلك ومثله قل للذين كفروا استغلبون بالتحسية والوقية أو أنهم  
 زاجرا فقد أن لهم أن يتقوا وهي كلمة حث واغراء وقيل يظلمون غير متمقين الله وعقابه وعلى  
 هذا حال من الضمير في الظالمين (قال) موسى واعتذر بثلاثة أعذار كل منها مرتب على  
 ما قبله وليس مراده الامتناع من الرسالة بل اظهار العجز عن هذا الامر الثقيل وطلب  
 المنعونة عليه من الله (رب انى أخاف أن يكذبون) في الرسالة والخوف غم يلحق الانسان  
 لا امرس يقع (وبضيق صدرى) بتكذيبهم اياى (ولا ينطق لسانى) أى بتأدية  
 الرسالة لعقدة كانت على لسانه قرئ بضيق وينطق بالرفع على العطف أو على الاستئناف  
 وبنصبهما قال القراء كلا التراء تبرله وجهه قال النحاس الوجه الرفع لان النصب عطف  
 على يكذبون وهذا بعيد (فأرسل) جبريل بالوحى (الى) أخى (هرون) ليكون  
 معي رسولا موازرا مظاهرا معا وناولم يذكر الموازنة هنا لانها معلومة من غير هذا الموضع  
 كقوله في طه واجعل لى وزيرامن أهلى وفى التخصر أرسله معى رداً يصدقنى وكان هرون  
 بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام وهذا من موسى عليه السلام من باب طلب المعاونة

في تفسير أول سورة المائدة وهو ههنا ألقى وانما حرمها على الرجال معاملة لها بتقيض قصدها والله أعلم وقد استدل الامام  
 الشافعي رحمه الله ومن وافقه على تحريم الاستنساخ بالمدينة الآية الكريمة والذين هم لغرو وجههم حافظون الاعلى أزواجهم  
 أو ما ملكت أيانهم قال فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين وقد قال الله تعالى فمن اتبعي وراء ذلك فأولئك هم العادون وقد  
 استأنسوا بمحدث رواه الامام الحسن بن عرفة في جزئه المشهور وحيث قال حدثني على بن ثابت الجزرى عن مسلمة بن جعفر عن  
 حسان بن حميد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولا يجتمعهم مع

العالمين ويدخلهم النار أول الداخلين الا ان يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه النا كبح يده والفاعل والمفعول به ومن الخسر والضارب والديه حتى يستغنيا والمؤذي جيرانه حتى يلعونه والناس كبح حليله جارده هذا حديث غريب واسناده فيه من لا يعرف لحبها التمه والله أعلم وقوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون أي اذا اوتيتهم لم يخونوا بل يؤدونها الى أهلها واذا عاهدوا أو عاقدوا أو فؤوا بذلك لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخاف واذا اوتى خان وقوله والذين هم على 6 صلواتهم يحافظون أي يراظون عليهم في مواعيتهم كما قال ابن مسعود سألت

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أي العمل أحب الى الله قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله أخرجاه في الصحيحين وفي مستدرک الحاكم قال الصلاة في أول وقتها وقال ابن مسعود وسروى في قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون يعني مواعيت الصلاة وكذا قال أبو النخعي وعاقمة بن قيس وسعيد ابن جبيرة وعكرمة وقال قتادة على مواعيتهم ركوعها وسجودها وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة واختتمها بالصلاة فدل على أفضليتها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن وما وصفهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة والأفعال الرشيدة قال أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتكم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه

والتماس العون في تليغ الرسالة بارسال أخيه لامن باب الاستعانة من الرسالة ولامن التوقف عن المسارعة بالامتثال وكفى بطاب العون دليلا على التقبل لاعلى التقليل (ولهم على ذنب) هو قتله للقبطي قاله قتادة وسماه ذنبا بحسب زعمهم أو كما سمي جزاء السيئة سيئة (وأخاف أن يقتلون) به تصاصا فينبوت المقصود من الرسالة فهذا هو اخاتف عليه وليس هذا تعيلا أيضا بل استدفاع للبلية المتوقعة وفيه دليل على ان الخوف قد يحصل مع الانبياء فضلا عن الغفلة ثم أجابه سبحانه بما يشتمل على نوع من الردع و طرف من الزجر (قال كلا) أي لا يقتلونك كأنه قيل ارتدع عما تنظر (فأذها) أي أنت وأخوك (بآياتنا) وفي ضمن هذا الجواب اجابة موسى الى ما طلبه من ضم أخيه اليه كما يدل عليه توجيه الخطاب اليهما وفيه تغليب الحاضر على الغائب لانه اذا كان كان بمصر والارسال والخطاب كان في الطور (أنا معكم) وفي هذا تعليل للردع عن الخوف وهو كقوله سبحانه اني معكم أجمع وأرى وأراد بذلك سبحانه تقوية قلوبهم ما وأنه متمول لحفظهما وكلاءهما وأجرهما مجرى الجمع فقال معكم لكون الاثنين أقل الجمع على ما يذهب اليه بعض الأئمة أو لكونه أراد موسى وهرون ومن أرسل اليه ويجوز أن يكون المرادهما مع بني اسرائيل أو تعضيا لهما ولا يخفى ما في المعية من الجازلان المصاحبة من صفات الاجسام فالمراد معية النصر والمعونة (مستمعون) أي سامعون ما تقولون وما يقال لكم والاستماع في غير هذا الاصغاء للسمع يقال استمع فلان حديثه أي أصغى اليه ولا يجوز جملته هنا على ذلك فحمل على السماع قاله النسفي (فأنتما فرعون فقولانا رسول رب العالمين) الغناء لترتيب ما بعد ما على ما قبلها قال القرطبي ف نظرنا الى فرعون فلم يأذن لهما سنة في الدخول عليه ووجد الرسول هنا ولم يثنه كما في قوله انارسلوك لانه مصدر بمعنى رسالته والمصدر بوحده أو ما اذا كان بمعنى المرسل فإنه يثنى مع المثنى ويجمع مع الجمع قال أبو عبيدة رسول بمعنى رسالته والتقدير على هذا اناذرو رسالة وقال أبو عبيدة أيضا يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولي ووكيلي وهذا ان رسولي ووكيلي وهو لا رسولي ووكيلي ومنه قوله تعالى فانهم عدوا لي وقيل ان معناه ان كل واحد من رسول وقيل انهم الما كما نمت معا ضد من متعادين في الرسالة كما بمنزلة رسول واحد وأن في قوله (ان أرسل معنابى اسرائيل) مفسرة لتضمن الارسال

أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه نفعرا أنهما الجنة وفوقه عرش الرحمن وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن المنصور عن أنس بن مالك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله أولئك هم الوارثون وقال ابن جرير عن الميث عن مجاهد أولئك هم الوارثون قال ما من عند الاولة منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة ويبني بيته الذي في النار وروى عن سعيد

ابن جبير نحو ذلك فالمؤمنون يرفون منازل الكفار لانهم خلقوا العبادة لله تعالى وحده لا شريك له فلما قام هؤلاء المؤمنون بما  
 وجب عليهم من العبادة وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل بل أبلغ  
 من هذا أيضا وهو ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحيى بن عمار يوم القيامة  
 من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى وفي لفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا  
 كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقال هذا فكاكك ٧ من النار فاستخلف عمر بن عبد العزيز بأب بردة

بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات  
 أن أباه حدثه عن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم بذلك قال خلف له  
 قلت وهذه الآية كقوله تعالى تلك  
 الجنة التي نورث من عبادنا من  
 كان تقيا وكقوله وتلك الجنة التي  
 أورثتموها بما كنتم تعملون وقد  
 قال مجاهد وسعيد بن جبير الجنة  
 بالرومية هي الفردوس وقال  
 بعض السلف لا يسمى البستان  
 الفردوس الا اذا كان فيه عنب  
 قاله أعلم (واقدم خلقنا الانسان  
 من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة  
 في قرار مكين ثم خلقنا النطفة  
 علقة خلقنا العلقة مضغة خلقنا  
 المضغة عظاما فكسونا العظام  
 لحاشا ثم أنشأناه خلقا آخر فبارك الله  
 أحسن الخالقين ثم انكم بعد  
 ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة  
 تبعثون) يقول تعالى مخبرا عن  
 ابتداء خلق الانسان من سلالة  
 من طين وهو آدم عليه السلام  
 خلقه الله من صلصال من حمأ  
 مستنون وقال الاعمش عن المنهال  
 ابن عمرو عن أبي يحيى عن ابن  
 عباس من سلالة من طين قال من

المنهوم من الرسول معنى القول أي خلهم واطلقهم معنا إلى أرض فلسطين ولا  
 تستعبدهم وكان قد استعبدهم أربع مائة سنة (قال) فرعون لموسى بعد أن أتياه  
 وقال له ما أمرهما الله به (ألم نربك فينا) أي في حجرنا ومنازلنا وأراد بذلك المن عليه  
 والاحتماله أي ريبناك لدينا (وليدنا) أي صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامك ولم نقتلك  
 فيمن قتلنا من الأصفال (ولبثت فينا من عمرك سنين) فتي كان هذا الذي تدعيه قيل  
 لبث فيهم ثماني عشرة سنة وقيل ثلاثين سنة وقيل أربعين سنة ثم وبخه بقتل القبطي  
 فقال (وفعلت فعلتك التي فعلت) النعمة بفتح الناء المرة من الفعل كما قيل ع النعمة للمرة  
 والفعلة للمجالة وتقرأ الشعبي بكسر الناء والفتح أولى لانها المرة الواحدة لا للتويع والمعنى  
 أنه عدد عليه النعم وذكروه ذنوبه وأراد بالفعلة قتل القبطي ثم قال (وأنت من الكافرين)  
 للنعمة حيث قتل رجلا من أصحابي وقيل من الكافرين بأن فرعون له وقيل من  
 الكافرين بالله في زعمه لانه كان معهم على دينهم (قال) موسى مجيبا لفرعون (فعلتم اذا)  
 أي فعلت هذه الفعلة التي ذكرت وهي قتل القبطي (وانا) اذ ذلك (من الضالين)  
 أي الخاطئين قاله ابن عباس فنتى عليه الصلاة والسلام عن نفسه الكثرة وأخبر أنه فعل  
 ذلك على الجهل قبل ان يأتيه العلم الذي علمه الله وقيل المعنى من الجاهلين ان تلك الوكرة  
 تباع القتل وقال أبو عبيدة من الناسين وقيل من الخاطئين قال ابن جرير العرب تضع  
 الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال (ففررت منكم) أي خرجت من بينكم الى  
 مدين كما في سورة القصص (لما خفتكم) ان تتلافوني وذلك حين قال له مؤمن من آل  
 فرعون ان الملايا أتأمرون بك لقتلوك فاخرج الآية (فوهب لي ربي حكما) أي نبوة  
 أو علما وفهما وقال الزجاج المراد بالحكم تعليمه التوراة التي فيها حكم الله (وجعلني من  
 المرسلين) أي من جملة رسله رد بذلك ما وبخه به فرعون قد حافى نبوته وهو القتل بغير حق  
 ووجه الرد أن موهبة الحكم والنبوة كانت بعد تلك الحادثة (وتلك نعمة تمنها على) قيل  
 هذا الكلام من موسى على جهة الاقرار بالنعمة كانه قال نعم تلك التربية نعمة تمن بها  
 على ولكن لا يدفع ذلك رسالي وبهذا قال القراء وابن جرير وقيل هو من موسى على جهة  
 الانكار أي أعني على بأن ربي تنى ولما دأوت قد استعبدت بني اسرائيل وقتلتهم وهم  
 قومي قال الزجاج المفسرون أخرجوا هذا على جهة الانكار لأن يكون ما ذكر فرعون

صفوة الماء وقال مجاهد من سلالة أي من منى آدم وقال ابن جرير انما سمي آدم طينا لانه مخلوق منه وقال قتادة استل آدم من  
 الطين وهذا أظهر في المعنى وأقرب الى السياق فان آدم عليه السلام خلق من طين لأرب وهو الصلصال من الحما المستنون وذلك  
 مخلوق من التراب كما قال تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تتمشرون وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد  
 حدثنا عوف حدثنا أسامة بن زهير عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع  
 الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض جاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والخبث والطيب وبين ذلك وقدر واه أبو داود

والترمذى من طرق عن عوف الاعرابى به نحوه وقال الترمذى حسن صحيح ثم جعلناه نطفة هذا الضمير عائد على جنس الانسان كما قال في الآية الاخرى وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين أى ضعيف كما قال ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين يعنى الرحم معد لذلك مهين له الى قدر معلوم فقد رنا فقم القادرون أى مدة معلومة وأجل معين حتى استحكم وتنقل من حال الى حال وصفة الى صفة ولهذا قال ههنا ثم خلقنا النطفة علقته أى ثم صيرنا النطفة وهى الماء الدافق الذى يخرج من صلب الرجل وهو ظهره وترائب المرأة وهى ٨ عظام صدرها مابين الترقوة الى السرة فصارت علقته حراء على شكل العلقه

مسقطه قال عكرمة وهى دم خلقنا العلقه مضغعة وهى قطعة كالبضعة من اللحم لاشكل فيها ولا تخطيط خلقنا المضغعة عظاما يعنى شكلنا هاذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصمها وعروقها وقرأ آخرون خلقنا المضغعة عظاما قال ابن عباس وهو عظم الصلب وفى الصحيح من حديث أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جسد ابن آدم يبلى الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب فكسونا العظام لحما أى جعلنا على ذلك ما يستمره يشدهم ويتوهم ثم أنشأناه خلقا آخر أى ثم نفخنا فيه الروح فحرك وصار خلقا آخر ذا سمع وبصر وادراك وحركة واضطراب فتبارك الله أحسن الخالقين وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا النضر بن يعنى ابن كثير مولى بنى هاشم حدثنا يزيد بن على عن أبيه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال اذا أتت على النطفة

نعمة على موسى واللفظ لفظ خبر وفيه تبيك للمخاطب على معنى أنك لو كنت لا تقتل أبناء بنى اسرائيل لكأنت أحمى مستغنية عن قذفي فى البحر فكأنك تن على ما كان بالأول سبب له وذكر نحوه الأزهرى باب سطمه وقال المبرد يقول التريسة كانت بالسبب الذى ذكرت من التعمد أى تريد أى كانت لاجل التملك والقهر لقوى وقيل ان فى الكلام تقدير الاستفهام أى أو تلك نعمة قاله الاخفش وأنكره النحاس قال الفراء ومن قال ان الكلام انكار قال أو تلك نعمة أى ليست هذه نعمة حتى تمنى على ومعنى (أن عبدت بنى اسرائيل) ان اتخذتهم عبدا يقال عبدته وأعبده بمعنى كذا قال الفراء ومجمله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من نعمة والجربا ضمما للباء والنصب مجذوفها وعن مجاهد قال عبدت بنى اسرائيل قهرتهم واستعملتهم وفيه أوجه سبعة ذكرها السمين (قال فرعون وما رب العالمين) أى لما سمع قول موسى وهرون ان رسول رب العالمين قال مستفسر الهماعن ذلك عازما على الاعتراض لما قاله أى أى شئ هو جاء فى الاستفهام بما التى يستفهم بها عن الجهور ويطلب بها تعين الجنس وقيل معناه وما صنته تقول ما زيد أى طويل أم قصير فقيه أم طيب نص عليه صاحب الكشف وغيره فلما قال فرعون ذلك (قال) موسى (رب السموات والارض وما بينهما) أى بين الجنسين فعين له ما أراد بالعلمين وترك جواب ما سأل عنه فرعون لانه سأل عن جنس رب العالمين ولا جنس له فأجاب موسى بما يدل على عظيم القدرة الالهية التى تتضح لكل سامع انه سبحانه الرب ولا رب غيره وفيه ابطال ادعواه انه الله (ان كنتم موقنين) بشئ من الاشياء فهذا أولى بالايقان اظهوره وانه دليله وهو العلم الذى يستفاد بالاستدلال ولذا لا يتسال الله موقن (قال) فرعون (لمن حوله) من اشرف قومه وهم خمسةائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة (الأتسمعون) ما قاله يعنى موسى معجبالهم من ضعف المقالة كأنه قال أتسمعون وتعجبون يعنى سألتهم عن حقيقة وهو يذ كرا فعله أو يزعم انه رب السموات وهى واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية أو غير معلوم افتقارها الى مؤثر والعدول عن الجواب المطابق مذهب الاستحالة فالتسؤال عن الحقيقة سفسفه وععبت وحق وهذا من اللعين مغالطة لمالم يجد جوابا عن الحجة التى أوردها عليه موسى فلما سمع موسى ما قاله فرعون أورد عليه حجة أخرى هى مندرجة تحت الحجة الاولى ولكنها أقرب الى فهم

أربعة أشهر بعث الله اليها ملكا فنفع فيها الروح فى ثلاث ثلاث فذلك قوله ثم أنشأناه خلقا آخر يعنى السامعين فنحننا فيه الروح وروى عن أبى سعيد الخدرى انه نفخ الروح قال ابن عباس ثم أنشأناه خلقا آخر يعنى فنحننا فيه الروح وكذا قال مجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وأبو العالية والضحك والربيع بن أنس والسدى وابن زيد واختاره ابن جرير وقال العوفى عن ابن عباس ثم أنشأناه خلقا آخر يعنى بنقله من حال الى حال الى ان خرج طفلا ثم نشأ صغيرا ثم احتلم ثم صار شابا ثم كهلا ثم شيخا ثم هرموا عن قناعة والضحك نحو ذلك ولا نفاة فانه من ابتداء نفخ الروح فيه شرع فى هذه التقلبات والاحوال والله أعلم

قال الامام احمد في مسنده حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المصدق ان احدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقته مثل ذلك ثم يكون مضغاً مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينزع فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات رزقه وأجله وعمله وهول هوشق أو سعيد فوالذي لا اله غيره ان أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيحتم له بعمل أهل النار فيدخلها وان الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه (9) الكتاب فيحتم له بعمل أهل الجنة فيدخلها

آخرجه من حديث سليمان بن مهران الاعمش وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن أبي خزيمة قال قال عبد الله يعني ابن مسعود ان النطفة اذا وقعت في الرحم طارت في كل شعر وظنير فمكث أربعين يوماً ثم تعود في الرحم فتكون علقته وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا حسين بن الحسن حدثنا أبو داود عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال مر به ودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث أصحابه فقالت قريش يا هودى ان هذا يزعم انه نبي فقال لاسأله عن شيء لا يعلمه النبي قال فجاؤه حتى جلس فقال يا هودى من يخلق الانسان فقال يا هودى من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فاما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم فقال هكذا كان يقول من قبلك وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن عمرو عن أبي الطيب عن حذيفة بن

السامع (قال ربكم ورب آباءكم الاولين) وخص من العام المتقدم أنفسهم وآبائهم لان أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وهي أظهر دلالة على القادر فأوضح لهم ان فرعون مر برب الارباب كما يدعيه والمعنى ان هذا الرب الذي أدعوكم اليه هو الذي خلق آباءكم الاولين وخلقكم فكيف تعبدون من هو واحد منكم مخلوق كخلقكم وله آباء قد فنوا كما آباءكم فلم يجبه فرعون عند ذلك بشيء يعتد به بل جاء بما يشكك قومه ويخيل اليهم ان هذا الذي قاله موسى مما لا يقوله العقلاء (قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم الجنون) فأصد بذلك المغالطة وابقاعهم في الخيرة مظهر انه مستخف بما قاله موسى مستهزئ به لاني أسأله عن شيء ويحيني عن آخر وأضافه الى مخاطبته ترغيباً عن ان يكون مرسل الى نفسه فأجابه موسى عند ذلك بما هو تكميل لجوابه الاول (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما) خصهما لانهم ما أروضا دلالة وأظهر وذلك انه أراد بالشرق طلوع الشمس وطلوع النهار وأراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار ومعلوم ان طلوع الشمس من أحد الخافتين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم لا يكون الا بتقدير قادر حكيم والمعنى ليس ملكه كملكك لانك انما تملك بلد واحد الا يجزى أمر لك في غيره ويموت فيه من لا تحب أن يموت والذي أرسلني إليك المشرق والمغرب وما بينهما أتى فتشاهدون في كل يوم انه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى ياتوها الى المغرب على وجه نافع تنظم به أمورا الكائنات ولم يشتغل موسى بدفع ما نسب اليه من الجنون بل بين لفرعون شمول ربوبية الله للمشرق والمغرب وما بينهما وان كان ذلك داخل تحت ربوبية سبحانه للسموات والارض وما بينهما مما تقدم ولان فيه نصريحاً بالنادحركات السموات وما فيها وتغيير أحوالها وأوضاعها نارية بالنور وتارة بالظلمة الى الله وقيل علم موسى ان قصده في السؤال معرفة من سأل عنه فأجاب بما هو الطريق الى معرفة الرب (ان كنتم تعقلون) شيأ من الاشياء أو ان كنتم من أهل العقول أى ان كنتم يا فرعون ومن معك من العقلاء عرفت وعرفوا أنه لا جواب لسؤالك الا ما ذكرته لك لا ينهم أو لا وعالمهم بالرفق حيث قال لهم ان كنتم موقنين ثم لما رأى شدة شكيتهم خاشتهم وأغلظ عليهم في الرد وعارضهم بمثل مقالتهم بقوله ان كنتم تعقلون لانه أبلغ وأوفق بما قبله من رد نسبة الجنون اليه ثم ان اللعين لما انقطع عن الحجة رجع الى

(3 - فتح البيان سابع) أسيد الغناري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ليلة فيقول يا رب ماذا شق أم سعيدة أم كرام أم أنثى فيقول الله فيكتب له وأثره ووصيته ورقده ثم تطوى الصينة فلا يزد على ما فيها ولا ينقص وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار نحوه من طريق آخر عن أبي الطفيل عامر بن واثله عن حذيفة بن أسيد أنى سرحة الغناري بنحوه والله أعلم وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا زيد بن أسيد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وكل بالرحم

ملكاً فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله خلقها قال أي رب ذكر أو أنثى شقي أو سعيد فالرزق والاجل قال فذلك يكتب في بطن أمه أخرجه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد به وقوله فتبارك الله أحسن الخالقين يعني حين ذكر قدرته وطاقته في خلق هذه النطفة من حال إلى حال وشكل إلى شكل حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السوي الكامل الخلق قال فتبارك الله أحسن الخالقين قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا جاد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن أنس قال قال عمر يعني (١٠) ابن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي ووافقني في أربع نزات هذه الآية

ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الآية قلت انا فتبارك الله أحسن الخالقين فنزات فتبارك الله أحسن الخالقين وقال أيضاً حدثنا أي حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شيبان عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي عن زيد بن ثابت الانصاري قال أُملي عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى قوله خلقنا آخر فقال معاذ فتبارك الله أحسن الخالقين فتبارك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له معاذم نهكت يا رسول الله فقال بها ختمت فتبارك الله أحسن الخالقين وفي أسناده جابر بن زيد الجعفي ضعيف جداً وفي خبره هذا تكارة شديدة وذلك أن هذه السورة مكية وزيد بن ثابت إنما كتب الوحى بالمدينة وكذلك أسلم معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضاً قاله أعلم وقوله ثم أنكم بعد ذلك لم تتوبوا يعني بعد هذه النشأة الأولى من العدم تصيرون إلى الموت ثم أنكم يوم القيامة تتبعون يعني النشأة

الاستعلاء والتغلب والتمديد وهكذا يدن المعاند المحجوج (قال ابن اتخذت الهاغيري لا تجعلك من المسجونين) أي من أهل السجن واللام للعهد أي ممن عرفت حالهم في سجوني وكان سجن فرعون أشد من القتل لأنه إذا سجن أحد لم يخرج حتى يموت وكان يطرحه في هوة عميقة في مكان تحت الأرض وحده ولذلك جعل أبلغ من لأسجنك فتوعد موسى بالسجن ولم يقل ما دليالك على أن هذا الإله أرسلك لأنه الاعتراف بأن ثم الهاغيري وفي توعدنا بالسجن ضعف لما يروى أنه كان يفرغ من موسى فزعاً شديداً حتى كان العين لا يبسك بولوه فلما سمع موسى عليه الصلاة والسلام ذلك لاطفه طمعه في إجابته وأرخا لعنان المناظرة معه مر يد القهر بما لحجة المعترفة في باب النبوة وهي انظهار المعجزة فعرض له على وجه الجلبه إلى طلب المعجزة (قال أولو جئتكم بشئ مبين) أي أتبعاني من المسجونين وتفعل ذلك ولو جئتكم بشئ تبين به صدقي وتظهر عنده صحة دعواي يعني المعجزة فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والهمزة هنا للاستفهام والواو للعطف على مقدر كما مر مراراً فلما سمع فرعون ذلك طلب ما عرضه عليه موسى (قال فأت به ان كنت من الصادقين) في دعواي وإنما أمره بذلك لظنه أنه يقدر على معارضته وهذا الشرط جوابه محذوف لأنه قد تقدم ما يدل عليه فعند ذلك أبرز موسى المعجزة (فأتى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) أي ظاهر ثعبان يته ليس يتمويه ويخيميل كما يفعل السحرة قبل أنها الماصرات حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون فقال بالذي أرسلك إلا أخذتهم فاخذها موسى فعادت عصا كما كانت وقد تقدم تفسير هذا وما بعده في سورة الاعراف واشتقاق الثعبان من تعبت الماء في الأرض فانتعب أي جفرت فانتعجرت وقد عبر سبحانه في موضع آخر مكان الثعبان بالخمية بقوله فاذا هي حية تسعى وفي موضع بالجان فقال كأنهم الجان والجان هو المائل إلى الصغر والثعبان هو المائل إلى الكبر والخمية جنس يشمل الكبير والصغير (ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) خلاف ما كانت عليه من الادمية فيه دليل على ان بياضها كان شيئاً يجمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نورياً قال ابن عباس يقول وأخرج موسى يده من جيبه فاذا هي بيضاء تلعب للناظرين لمن ينظر إليها ويراه من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس يكاد يغشى الابصار ويسد الافق

الآخرة ثم الله ينشئ النشأة الآخرة يعني يوم المعاد وقيام الارواح إلى الاجساد فيحاسب الخلائق ويوفى كل (قال) عامل عمله ان خير فخير وان شر فشر (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) لماذا كرتعالى خلق الإنسان عطف بذ كرتخلق السموات السبع وكثيرا ما يذكر تعالى كرتخلق السموات والارض مع خلق الإنسان كما قال تعالى كرتخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وهكذا في أول الم السجدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها صبيحة يوم الجمعة في أولها خلق السموات والارض ثم بيان خلق الإنسان من سلالة من طين وفيها أمر المعاد والجزء وغير ذلك من المقاصد وقوله سبع طرائق



قال مجاهد يعنى السموات السبع وهذه كقوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ام تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا قال الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ينزل الامر ينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما وهكذا قال ههنا وقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين أى ويعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وهو سبحانه لا يحب عنه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا جبل الا يعلم ما فى وعره ولا بحر الا يعلم ما فى قعره يعلم عدد ما فى الجبال (١١)

والاشجار وما تنسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين (وأترلسنا من السماء ماء بقدرة فأسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون فانشأنا لکم به جنات من نخيل وأعناب لکم فيها فواكه كثيرة ومنهانا كاون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لکم فى الانعام لعة نسق لکم مما فى بطونها واکم فيها منافع كثيرة ومنهانا كاون وعليها وعلى الفلک تحملون) يذكر تعالى نعمه على عبده التى لا تعد ولا تحصى فى انزاله القطر من السماء بقدر أى بحسب الحاجة لا كثيرا فمفسد الارض والعمران ولا قليلا فلا يکنى الزرع والثمار بل بقدر الحاجة اليه من السقى والشرب والانفعاع به حتى ان الاراضى التى تحتاج ماء كثيرا لزرعها ولا تحتسمل دمنها انزال المطر عليها يسوق اليها الماء من بلاد اخرى كما فى أرض مصر ويقال لها الارض الجرز يسوق الله اليها ماء النيل معه طين أحمر يجترق من بلاد

(قال للملا) مستقرين (حوله ان هذا الساحر عليم) فأتق فى علم السحر وكان زمان السحر فلهذا روج فرعون هذا القول على قوله ثم قال على سبيل التفسير (يريد أن يخبركم من أرضكم بسحره) لتلايقبلوا قول موسى عليه الصلاة والسلام (فماذا تأمرون) أى مارأى لکم فيه وما مشورتکم فى مثله فإظهارهم الميل الى ما يقولونه تألفا لهم واستجابا لمودتهم لانه قد أشرف ما كان فيه من دعوى الربوبية على الزوال وقارب ما كان يعززه عليهم الاضعف والافهوا كبرتها وأعظم كبرها من أن يخاطبهم مثل هذه الخاطبة المشعرة بأنه فرد من افرادهم وواحد منهم مع كونه قبل هذا الوقت يدعى انه الههم ويدعون له بذلك ويصدقونه فى دعواه قال أبو السعود بهر ساطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده فى زعمه والامتثال بأمرهم أو الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعدما كان مستقلا بالرأى والتدبير وأظهر استعمار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم التفسيرهم عن موسى عليه السلام (قالوا أربجه وأطاه) آخر أمرهما من أرجيته اذا أخرته وقيل المعنى احبسهما (وابعث فى المداين حائرين) للسحره وهم الشرط الذين يحشرون الناس أى يجمعونهم (بأقول بكل سحر عليم) هذا ما أشاروا به عليه وجاؤا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه والمراد بالسحر العليم الفائق فى معرفة السحر وصنعة أى يفضل موسى وينوق وينيد عليه فى علم السحر (لجمع السحره لميمات يوم معلوم) هو يوم الزينة كما فى قوله قال موعدكم يوم الزينة وكان يوم عيد لهم أو يوم سوق وبعثاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى من يوم الزينة حيث قال وأن يحشر الناس ضحى والميعات ما وقت أى حتم من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام والصلاة (وقيل للناس هل أنتم محججون) حثالهم على الاجتماع ليسأهوا وما يكون من موسى والسحره وان تكون الغلبة وكان ذلك ثقة من فرعون بالظهور وطامبا أن يكون يجمع من الناس حتى لا يؤمن موسى أحد منهم فوقع ذلك من موسى الموقع الذى يريد لانه يعلم ان حجة الله هى الغلبة وحجة الكافرين هى الداحضة وفى ظهور حجة الله بجمع من الناس زيادة فى الاستظهار للمحقين والانقهار للمبطلين (اعلنا تتبع السحره) فى دينهم (ان كانوا

الحبشة فى زمان امطارها فبأى الماء يحمل طينا أحمر فيسقى أرض مصر ويقر الطين على أرضهم ليزرعوا فيه لان أرضهم سباح يغلب عليها الرمال فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور وقوله فأسكناه فى الارض أى جعلنا الماء اذا نزل من السحاب يخلد فى الارض وجعلنا فى الارض قابلية له وتشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى وقوله وانا على ذهاب به لقادرون أى لو شئنا أن لا تنطر لقلنا ولو شئنا أى اصرفناه عنكم الى السباح والبرارى والقنار لقلنا ولو شئنا جعلناه أجابا لا يتفجع به لشرب ولا سقى لقلنا ولو شئنا جعلناه لا ينزل فى الارض بل يجر على وجهها لقلنا ولو شئنا جعلناه اذا نزل فيها يغور الى مدى لاتصلون اليه ولا تنتهون به

لنعلنا ولكن بلطفه وبرحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عندنا فإنا لا لا فيسكنه في الأرض ويسلكه ينابيع في الأرض فيفتح  
العيون والأنهار ويسقي به الزرع والثمار وتشرق بون منه ودوابكم وأنعامكم وتغتسلون منه وتطهرون منه وتتنظفون فله  
المد والمنة وقوله فانشأنا لكم بهجنات من نخيل وأعناب يعني فأنخر جناتكم بما أنزلنا من السماء جنات أي بساتين وحدائق  
ذات بهجة أي ذات منظر حسن وقوله من نخيل وأعناب أي فيها نخيل وأعناب وهذا ما كان يألف أهل الخجاز ولا فرق بين الشيء  
وبين ثمنه وكذلك في حتى كل أهل (١٢) إقليم عندهم من الثمار من نعمة الله عليهم ما يعجزون عن القيام بشكره وقوله لكم

هم الغالين) لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك أن يتبعوا دينهم حقيقة وإنما  
هو أن لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق الحكاية جلالهم على  
الاهتمام والجد في المبالغة قاله أبو السعود وقيل أرادوا السحرة موسى وهرون على طريقة  
الاستهزاء (فأجاب السحرة) أي فعند ذلك طلب السحرة من فرعون الجزاء على  
ما سيفعلونه (وقال فرعون أن لنا اجرا) أي لجزء تجزيه من مال أوجه وقيل  
أرادوا أن لنا أبا عظيم ثم قيدوا ذلك بظهور غلبتهم لموسى فقالوا (ان كاذبن الغالين)  
فوافقهم فرعون على ذلك و (قال نعم وانكم اذا لمن المقربين) أي نعم لكم ذلك الاجر  
والجعل عندى على عملكم السحر مع زيادة عاميه وهي كونكم من المقربين لى  
(قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) من السحر فسوف ترون عاقبته وفي آية أخرى قالوا  
أما أن تلقى وأما أن نسكون نحن الملقين فيحمل ما ههنا على أنه قال لهم ألقوا بعد ان قالوا  
هذا القول ولم يكن ذلك من موسى عليه السلام أمرهم بفعل السحر والتوبة بل أراد أن  
يتهرهم بالخفة فوسل الى اظهار الحق وبنظر لهم ان الذي جاء به ليس هو من الجنس الذي  
أرادوا معارضته به (فألقوا حبالهم وعصيهم) سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا  
وقيل كانت الحبال اثنتين وسبعين ألفا وكذا العصي فيجئون انها حيات نسي (وقالوا)  
عند الالتقاء (بعزة فرعون) أقسموا بعزته وقوته وهو من أيمان الجاهلية وقولهم هذا  
يحمل وجهين الاول انه قسم وجوابه ما بعده والثاني أن يتعلق بمحذوف والباء للسببية  
والمراد بالعزة العظمة (انالحن الغالبون) أي تغلب بسبب عزته لفرط اعتقادهم في  
أنفسهم بالغلبة واتيانهم باقصى ما يمكن أن يوثق به من السحر (فألقى موسى عصاه فاذا هي  
تلقف مايا فكون) قد تقدم تفسيره هذا مستوفى والمعنى انها تتلقف وتلقف ما صدر  
منهم من الافك باخراج الشيء عن صورته الحقيقية قيل ان عصا موسى صارت حية  
وابتلعت كل مارود من حبالهم وعصيهم ثم أخذها موسى فاذا هي كما كانت أول مرة  
(فألقى السحرة) أي فخرروا وسقطوا (ساجدين) أي لما شاهدوا ذلك علوا أنه صنيع  
صانع حكيم ليس من صنيع البشر ولا من تمويه السحرة فآمنوا بالله وسجدوا له وأجابوا  
دعوة موسى وقبلوا بنبوته وعبر عن الخروا بالالتقاء بطريق المشاكلة لانه ذكر مع الالتقاء

فيها فواكه كثيرة أي من جميع  
الثمار كما قال نبت لكم به الزرع  
والزيتون والنخيل والأعناب ومن  
كل الثمرات وقوله وينها تأكلون  
كانه معطوف على شيء مقدر تقديره  
تنظرون الى حسنه ونخبه ومنه  
تأكلون وقوله وشجرة تخرج من  
طور سيناء يعني الزيتون والطور  
هو الجبل وقال بعضهم انما يسمى  
طورا اذا كان فيه شجر فان عرى عنها  
سمى جبلا لا طورا فالله أعلم وطور  
سيناء هو طور سينين وهو الجبل  
الذي كالم الله عليه موسى بن عمران  
عليه السلام وما حوله من الجبال  
التي فيها شجر الزيتون وقوله  
تنبت بالدهن قال بعضهم الماء زائدة  
وتقديره تنبت الدهن كما في قول  
العرب ألقى فلان بيده أي يده وأما  
على قول من يضمن الفعل فتقديره  
تخرج بالدهن أو تأتى بالدهن ولهذا  
قال وصبغ أي أدم قاله قتادة  
للاكلين أي فيها ما ينفع يده من  
الدهن والاصطباغ كما قال الامام  
أحمد حدثنا وكيع عن عبد الله بن  
عيسى عن عطاء الشامي عن أبي  
أسيد واسمه مالك بن ربيعة

الساعدي الانصاري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من  
شجرة مباركة وقال عبد بن حميد في مسنده وتفسيره حدثنا عبد الرزاق انامه عمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال انتم موالي الزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة ورواه الترمذي وابن ماجه من غير وجه عن عبد الرزاق قال  
الترمذي ولا يعرف الامن حديثه وكان يضطرب فيه فرماذ كرفيه عمرو بن مالك يذكره وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا عبد الله بن  
أحمد بن حنبل حدثنا أبي حدثنا سفيان بن عيينة حدثني الصعب بن حكيم بن شريك بن نميلة عن أبيه عن جده قال ضفت عمر بن

الخطاب رضى الله عنه ليلة عاشوراء فأطعمنى من رأس بعير بارد واطعمنا زبنا وقال هذا الزيت المبارك الذى قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وقوله وان لكم فى الانعام لعدة نسقبكم بما فى بطونهم اولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى النملك تحملون يذكر تعالى ما جعل خلقه فى الانعام من المنافع وذلك انهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرث ودم وياكلون من جلانها ويلبسون من أوصافها أو يبارها وأشعارها ويركبون ظهورها ويحملونها الاحمال الثقيل الى البلاد النائية عنهم كما قال تعالى وتحمل أثقالكم الى بلدكم تكونوا باغيه الا بشئ الا انفس ان ربكم لرؤف رحيم (١٣) وقال تعالى أولم يروا انا خلقنا لهم مما

علمت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذلكناها لهم ففهمها كوجهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لازل ملائكة من السماء فى آياتنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فترى بصوابه حتى حين) يخبر تعالى عن نوح عليه السلام حين بعثه الى قومه لينذرهم عذاب الله وبأسه الشديد وانتقامه ممن أشركوا به وخالف أمره وكذب رساله فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون أى لا تخافون من الله فى أشراككم به فقال الملا وهم السادة والا كبره منهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم يعنون يرفع عليكم ويتعاطف بدعوى النبوة وهو بشر مثلكم فكيف أوحى اليه دونكم ولو شاء الله لازل ملائكة أى لو أراد أن يبعث نبيا لبعث ملكا من عنده ولم يكن

ولانهم لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم ألقوا وأخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى ألقاهم بما خلقهم من التوفيق وقد تقدم بيان معنى ألقى ومن فاعله لوقوع التصريح به قال الشهاب فى فائق استعارة تعبية حسنها المشاكلة وليس مجازا مرسلان وان أحقله النظم ووجه الشبه عدم التماثل (قالوا) عند سجودهم يدل اشتغال من ألقى أو حال يا ضمار قد (أمنابرب العالمين) قال عكرمة أمسو اسجرة واصبحوا شمداء (رب موسى وهرون) يدل للتوضيح والشعار بأن سبب إيمانهم ما أجراه الله تعالى على يدهم العلمهم بأن ما شاهدوه من العصا الأيتاى بالسحر وأضافوه سبحانه اليهما لانهما القاءمان بالدعوة فى تلك الحالة وفيه تكييد لفرعون بأنه ليس برب وان الرب فى الحقيقة هو هذا فلما سمع فرعون ذلك منهم ورأى سجودهم لله (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) أى بغير اذن منى قال ذلك لما خاف على قومه ان يتبعوا السحرة ثم قال مغالط السحرة الذين آمنوا وموه ما للناس أن فعل موسى سحر من جنس ذلك السحر (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) وانما اعترف له بكونه كبيرهم مع كونه لا يجب الاعتراف بشئ يرتفع به شأن موسى لانه قد علم كل من حضر أن ما جاء به موسى أكبر مما جاء به السحرة فإراد أن يشكك على الناس بأن هذا الذى شاهدتم وان كان قد فاق على ما فعله هؤلاء السحرة فهو فعل كبيرهم ومن هو أستاذهم الذى أخذوا عنه هذه الصناعة فلا تظنوا أنه فعل لا يقدر عليه البشر وانه من فعل الرب الذى يدعو اليه موسى ولا تعتقدوا ان السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق يعنى ان غلبته عليكم لم تكن بالعجز الالهى بل بحال يعلمكم من السحر وانتم تضعف عقولكم حسبتم انه غلبكم بغير جنس السحر فآمنتتم ثم توعدوا أولئك السحرة الذين آمنوا بالله لما قهرتمهم بحجة الله فقال (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم وما ينالكم منى أجل التهديد أولا لله وبل ثم فصله فقال (لا تقعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى من أجل خلاف ظهر منكم وقيل أى يد كل واحد الينى ورجله اليسرى (ولا صلبكم أجمعين) كأنه أراد به تهيب العامة لا يتبعوه فى الايمان قيل انه فعل بهم ما توعدهم به من التقطيع والتصليب وقيل لم يفعله بهم ولم يرد فى القرآن ما يدل على انه فعل بهم ذلك فلما سمعوا ذلك من قوله (قالوا الاضير) أى لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عقاب الدنيا فان ذلك

بشر اما سمعنا هذا أى يبعثه البشرى فى آياتنا الاولين يعنون بهذا أسلافهم وأجدادهم فى الدهور الماضية وقوله ان هو الا رجل به جنة أى مجنون فيما يزعمه من ان الله أرسله اليكم واختصه من بينكم بالوحي فترى بصوابه حتى حين أى انتظروا به ريب المتون واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه (قال رب انصرني بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلأ بأعيننا ووحينا فآذا جاء أمرنا وفار التنور فأسلفت فيها من كل زوجين وأهلك الامن سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلأ فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان فى ذلك لايات وان

كأبائنا) يخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه دعا ربه ليستنصره على قومه كما قال تعالى يخبر عنه في الآية الأخرى فدعا ربه في مغلوب فانتصر وقال ههنا رب انصرني بما كذبون فعند ذلك أمره الله تعالى بصنعة السفينة واحكامها واتقانها وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين أي ذكراً وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار وغير ذلك وأن يحمل فيها أهله الأيمن سبق عليه القول منهم أي من سبق عليه القول من الله بالهلاك وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله كبنه وزوجته والله أعلم وقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون أي عند معاينة (١٤) انزال المطر العظيم لا تأخذنك رافة بقومك وشفقة عليهم وطمع في تأخرهم لعالمهم

يؤمنون فإني قد قضيت انهم مغرقون على ما هم عليه من الكفر والطغيان وقد تقدمت القصة مبسوطه في سورة هود بما يعني عن إعادة ذلك ههنا وقوله فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كما قال وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمه ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون وقدمتمثل نوح عليه السلام هذا كما قال تعالى وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها فذكر الله تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهائه وقال تعالى وقل رب أنزلي مني منزلاً مباركاً وأنت خير المتزلزين وقوله ان في ذلك لايات أي ان في هذا الصنيع وهو انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين لايات أي الحجج ودلالات واضحات على صدق الانبياء فيما جاؤا به عن الله تعالى وأنه تعالى قائل لما يشاء قادر على كل شيء عليهم بكل شيء وقوله وان كآبئنا أي مختبرين للعباد بارسال المرسلين (ثم أنشأ من بعدهم قرناً آخرين وبه فارسنا فيهم رسولا منهم أن اعبدا الله ما لكم من الله غيره أفلا تتقون وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أي بعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيات هيات لما توعدون ان هي الاحيات الدنيا تموت ونحيباً وما نحن بعبهون ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال فما قليل ليصحن

يزول ولا بد من الانقلاب بعده الى ربنا فيعطينا من النعيم الدائم ما لا يحسد ولا يوصف قال الهروري لا ضرر ولا ضرر ولا ضرر بمعنى واحد قال الجوهرى ضاره يضوره ويضره ضيرا وضورا أي ضره قال أنكسائي سمعت بعضهم يقول لا ينفعني ذلك ولا يضورني قال أبو زيد لا يضرننا الذي تقول وان صنعت بنا وصليتنا (إنا إلى ربنا منقلبون) أي راجعون وهو محجازينا لصبرنا على عقوباتك إيانا ونسألك على توحيدك والبراءة من الكفر قاله أبو زيد تعليل لعدم الضرر أي لا ضرر في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم أو لا ضرر علينا فيما توعدنا به من القتل اذ لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهونها وأرجاها (ان انطمع) أي تزجو (أن يغفر لنا ربنا خطايانا) أي الكفر والسحر ثم عللوا هذا بقولهم (أن كما) أي بسبب أن كما (أول المؤمنين) أي انهم أول من آمن من قوم فرعون بعد ظهور الآية أو من أهل المشهد وقال الفراء أول مؤمنى زمانهم وأبكره الزجاج وقال قدرى انه آمن معهم ستمائة ألف وسبعون ألفا وهم الذين عناهم فرعون بقوله ان هؤلاء شر ذمة قليلون قال أبو زيد كانوا كذلك يومئذ أول من آمن بآياته حين رأوها (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) أمر الله سبحانه موسى أن يخرج بني اسرائيل الى البحر إلى جهة الشام بالبر وهذا بعد سنين من ايمان الصحرة وسماهم عباده لانهم آمنوا بموسى وبما جاء به وقد تقدم تفسير مثل هذا في سورة الاعراف (انكم متبعون) تعليل للاسر المتقدم أي يتبعكم فرعون وقومه ابردوكم أي أسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصححين كان انكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على أثركم حيث تلجون البحر فيدخلون مداخلكم فاطبقه عليهم وأغرقهم (فارسل فرعون في المداخن حاشرين) وذلك حين بلغه خروجهم والمراد بالخاشرين الجامعون للبعش من الامكنة التي فيها أتباع فرعون ثم قال فرعون لقومه بعد اجتماعهم لديه (ان هؤلاء شر ذمة قليلون) يريد بني اسرائيل والشر ذمة الجمع الحقيق القليل والجمع شر اذم قال الجوهرى الشر ذمة الطائفة القليلة من الناس والقطعة من الشيء وثوب شر اذم أي قطع قال الفراء يقال عصابة قليلة وقد يكونون وكثيرة وكثرون قال المبرد الشر ذمة القطعة من الناس غير الصكر وجمعها الشر اذم قال الواحدي قال المقسرون وكان الشر ذمة الذين قتلهم فرعون ستمائة ألف

عليه بكل شيء وقوله وان كآبئنا أي مختبرين للعباد بارسال المرسلين (ثم أنشأ من بعدهم قرناً آخرين وبه فارسنا فيهم رسولا منهم أن اعبدا الله ما لكم من الله غيره أفلا تتقون وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أي بعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيات هيات لما توعدون ان هي الاحيات الدنيا تموت ونحيباً وما نحن بعبهون ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال فما قليل ليصحن

نادمين فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غناء فبعدها القوم الظالمين) يخبر تعالى انه أنشأ بعد قوم نوح قرناً آخر من قبل المراد بهم عاد فانهم كانوا مستخلفين بعدهم وقبل المراد بهم ولأعمود لقوله فاخذتهم الصيحة بالحق وانه تعالى أرسل فيهم رسولا منهم فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له فكذبوه وخالفوه وأبوا عن اتباعه لكونه بشراً مثلهم واستكفوا عن اتباع رسول بشري وكذبوا ببقاء الله في القيامة وأنكروا المعاد الختاني وقالوا أبعدهم كم أنكم اذ هم وكنتم ترابا وعظاما انكم محرجون هيئات لما نودون أي بعيد بعيد ذلك ان هو الا رجل افترى على الله كذبا أي فيما جاءكم به من الرسالة (١٥) والندارة والاختبار بالمعاد وما نحن

له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون أي استفتح عليهم الرسول واستنصر ربه عليهم فأجاب دعاه قال عما قيل لم يصح نادمين أي بخالفتك وعنادك فيما جئتكم به فاخذتهم الصيحة بالحق أي وكانوا يستحقون ذلك لمن الله بكفرهم وطغيانهم والظاهر انه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصرا العاصف القوي الباردة تدمر كل شيء بأمر ربه فأصحبوا اليرى الامساكنهم وقوله فجعلناهم غناء أي صرعى هلكي كغناء السيل وهو الشيء الحقر التافه الهالك الذي لا ينتفع بشيء منه فبعدها القوم الظالمين كقوله وما ظلماتهم ولكن كانوا هم الظالمين أي بكفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله فليحذر اناسمعون أن يكذبوا رسوله ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ما تسبق من أمة اجلها وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلا تترى كما جاء أمة رسولا كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أممات فبعدها القوم لا يؤمنون) يقول تعالى ثم أنشأنا من بعدهم قرناً

وبه قال ابن عباس ولا يحصى عددا أصحاب فرعون وقال ابن مسعود ستمائة ألف وسبعون ألفا ومقدمة جيشه سبعمائة ألف فقال لهم بالنظر الى كثرة جيشه وجملة جيشه ألف ألف وستمائة ألف وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أصحاب موسى الذين جازوا البحر اثني عشر سبطا فكان في كل طريق اثنا عشر ألفا كلهم ولدي يعقوب وأخرج ابن مردويه عنه أيضا بسند قال السبطي واه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان فرعون عدوا لله حيث أغرقه الله سبحانه هو وأصحابه في سبعين قائدا مع كل قائد سبعون ألفا وكان موسى مع سبعين ألفا حيث عبروا البحر وعنه قال كان طلائع قوم فرعون الذين بعثهم في أثرهم ستمائة ألف ليس فيها أحد الا على بهم وأقول هذه الاقوال والروايات المضطربة قدر روى عن كثير من السلف ما عاينها في الاضطراب والاختلاف ولا يصح منها شيء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وانهم لنا العائطون) يقال عاظني كذا وعاظني والغيظ الغضب ومنه التغيط والاعتياط أي عاظونا بنجس وجهم من غير اذن مني (وانا لجميع حاذرون) أي خائفون من شرهم وقري حذرون قال الفراء الحاذر الذي يحذرك الا ان والحذر الخلق كذلك أي مجبولا على الحذر لا تلقاه الاحذروا قال الزجاج الحاذر المستعد والحذر التيقظ وبه قال الكسائي والمبرد وذهب أبو عبيدة الى ان معنى حاذرون وحذرون واحد وهو قول سيويه اي وانا لجمع من عادتنا الحذر واسمع مال الحزم في الامور أشاروا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم لي تحقق ما يدعوا اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليه أو اعتذر بذلك الى أهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه قاله البيضاوي (فاخرجناهم) أي فرعون وقومه أي خلقنا فيهم داعية الخروج فخرجوا (من جنات وعيون وكنوز) أخرجهم الله من أرض مصر الى الحقوا موسى وقومه وفيها الجنات والبساتين على جاني النيل من أسوان الى رشده وهي جمع جنة وعين وكنوز المراد بالكنوز الخزانة وقيل الدفائن وقيل الانهار وفيه نظر لان العميون المراد بها عند جمهور المفسرين عيون الماء فتدخل تحتها الانهار والمراد بالكنوز الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسُميت كنوزا لانه لم يعط حق الله منها وفي الشهاب المراد بها اما الاموال التي تحت الارض وخصها لان ما فوقها انظمس أو مطلق المال الذي لم يؤد منه حق الله لانه يقال له كنز والاول اوفق باللغة

آخرين أي أمم وخلقنا ما تسبق من أمة اجلها وما يستأخرون يعني بل يؤخذون على حسب ما قدر لهم تعالى في كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وخلقنا بعد سلف ثم أرسلنا رسلا تترى قال ابن عباس يعني يتبع بعضهم بعضا وهذا كقوله تعالى ولقد بعنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقوله كلما جاء أمة رسولا كذبوه يعني جمهورهم وأكثرهم كقولهم كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله فأتبعنا بعضهم بعضا أي أهل كل أمة كقولهم كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله فجعلناهم أممات أي

أخباراً أو أحاديث للناس كقوله جعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين فذالوا أنؤمن لبشر ين مثلنا وقومهم النار عابدون فكذبوا بهما فكأنوا من المهلكين) ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم بهتدون) يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى عليه السلام وأخاه هرون إلى فرعون وملئه بالآيات وال الحجج الدامغات والبراهين القاطعات وان فرعون وقومه استكبروا عن اتباع ما والا انقياد الامرهم ما لكونهم ما لبشرين كما أنكرت الامم الماضية بعثة (١٦) الرسل من البشر تشابهت قلوبهم فاهلك الله فرعون وملائه وأغرقتهم في يوم

واحد أجمعين وأنزل على موسى الكتاب وهو التوراة فيها أحكامه وأوامر ونواهي وذلك بعد ما قسم الله فرعون والقبط وأخذهم أخذ عزيز مقتدر وبعد ان أنزل الله التوراة لم تهلك أمة بعامة بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين كما قال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهدنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلمهم يتذكرون (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآتيناهما الربوة ذات قرار ومعين) يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه ما السلام انه جعلهما آية للناس أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء فانه خلق آدم من غير آب ولا أم وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى وقوله وآتيناهما الربوة ذات قرار ومعين قال الضحاك عن ابن عباس الربوة المكان المرتفع من الارض وهو أحسن ما يكون فيه النبات وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبيرة وقتادة قال ابن عباس

والثاني مروى عن السلف فلا وجه للتحكم هنا (ومقام كريم) أي بهي تبيح واختلف فيه فقيل المنازل الحسان وقيل المنازل قاله ابن عباس وقيل مجالس الرؤساء والامراء والوزراء حكاه ابن عيسى وقيل مرابط الخيل والاول أظهر وقال سعيد بن جبيرة سمعت ان المقام الكريم القيوم (كذلك) أي آخر جناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا أو مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم أو الامر كذلك (وأورثناها بني اسرائيل) أي جعلناها ملكاً لهم بعد اغراق فرعون وقومه قال الحسن لما عبروا النهر رجعوا وأخذوا ديارهم وجناتهم وأموالهم وعيونهم وقيل أراد بالورثة هاتما استعاروا من حلى آل فرعون يا هو الله تعالى وقيل مسأكنهم الحسنة والكنوز قلت وكلا الامرين جعل لهم والحمد لله (فأبوهوهم) بقطع الهمزة وقرئ بوصلها وتندبدا التاء أي لمحقوهم حال كونهم (مشرقين) أي داخلين في وقت الذروق يقال شرقت الشمس شروقاً اذا طلعت كاصبح وأمسى أي دخل في هذين الوقتين وقيل داخلين نحو المشرق كأنجدوهم وقيل مضيقين قال الزجاج يقال شرقت الشمس اذا طلعت وأشرقت اذا أضاعت (فأما ترى الجمعان) أي تقابلان بحيث يرى كل فريق صاحبه وهو تفاعل من الرؤية وقرئ تراعى التثنية والمراد بنو اسرائيل والقبط (قال أصحاب موسى اننا لمدرسون) أي سيدركنا جمع فرعون ولا طاعة لنا بهم وهذه قراءة الجمهور يعني اسم فعل من أدرك ومنه حتى اذا أدركه الغرق وقرئ بفتح الدال المشددة وكسر الراء قال الفراء هما بمعنى واحد قال النحاس ليس كذلك يقول النحويون الخذاق انما يقولون مدركون بالتخفيف لمحقون وبالتشديد مجتهدون في الحاقهم قال وهذا معنى قول سيديويه وقال الزمخشري ان معنى هذه القراءة انما المتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد قال موسى زجر الهم وردعا (كلا) يعني انهم لا يدركونكم وذكركم وعد الله بالهداية والخلاص والظفر بقوله (ان معي ربي) بالنصر (سعيدين) أي سيدلني على طريق النجاة عن أي موسى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان موسى لما أراد أن يسير ببني اسرائيل أضل الطريق فقال لبني اسرائيل ما هذا فقال له علماء بني اسرائيل ان يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً ان لا يخرج من مصر حتى تنقل تابوته معنا فقال لهم موسى أيكم بدرى أين قبره

وقوله ذات قرار يقول ذات خصب ومعين يعني ما ظاهراً وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقتادة وقالوا مجاهد ربوة مستوية وقال سعيد بن جبيرة ذات قرار ومعين استوى الماء فيها وقال مجاهد وقتادة ومعين الماء الجاري ثم اختلف المتسرون في مكان هذه الربوة من أي أرض هي فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ليس الربا الا بمصر والمناحين يرسل يكون الرباع عليها القرى ولولا الربا غرقت القرى وروى عن وهب بن منبه نحو هذا وهو بعيد جدا وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب في قوله وآتيناهما الربوة ذات قرار ومعين قال هي دمشق قال وروى عن عبد الله بن سلام والحسن بن زيد بن أسلم وخالد بن معدان نحو ذلك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ذات قرار ومعين قال أنهار دمشق وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد وآبناهما إلى ربوة فان عيسى بن مريم واسه حسين أو إلى غوطة دمشق وما حولها وقال عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبي عبد الله بن عم أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة يقول في قول الله تعالى إلى ربوة ذات قرار ومعين قال هي الرملة من فلسطين وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف القرماني حدثنا واد بن الجراح حدثنا عبد الله بن عباد الخواص أبو عتبة (١٧) حدثنا الشيباني عن ابن وعلة عن كريب السحولي عن مرة

البهذي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرجل انك عوت بالربوة فعات بالرملة وهذا حديث غريب جدا وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه انه في عن ابن عباس في قوله وآبناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين قال المعين الماء الجاري وهو النهر الذي قال الله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وكذا قال الضحاك وقتادة إلى ربوة ذات قرار ومعين هو بيت المقدس فهذا والله أعلم هو الاظهر لانه المذكور في الآية الأخرى والقرآن يفسر بعضه بعضا وهذا أولى ما يفسر به ثم الأحاديث الصحيحة ثم الآثار (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وان هذه أمة لكم واحدة وأنا ربكم فاتقون فقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمهم حتى حين أي يحسبون انما غدهم به من مال وبين ناسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) يا امرتعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالاكل من الحلال والقيام بالصالح من الاعمال

فقالوا ما يعلم أحد مكان قبره الا عجوز لبني اسرائيل فارس اليها موسى فقال دلنا على قبر يوسف فقالت لا والله حتى تعطيني حكمتي قال وما حكمك قالت أن أكون معك في الجنة فكانه ثقل عليه ذلك فقبيل له أعطها حكمها فأعطها حكمها فانطلقت بهم إلى بحيرة مستنقعة ماء فقالت لهم انصبوا عنها الماء ففعلوا قالت احضروا الخضر واستخرجوا قبر يوسف فلبسوا له إذا الطريق مثل ضوء النهار فلما عظم البلاء على بني اسرائيل ورأوا من الجيوش ما لا طاقة لهم به أمر الله سبحانه موسى أن يضرب البحر بعصاه وذلك قوله (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر) وذلك أن الله عز وجل أراد أن تكون الآية متصلة بموسى ومتعلقة بتعبد الله تعالى والاضرب بالعصا ليس بشارق البحر ولا معينا على ذلك بذاته الابعاء اقترن به من قدرة الله تعالى واختراعهم به نجي موسى ونحو اسرائيل وهلاك عدوهم (فانلق) الناء فصيحة أي فاضرب فصارت انشق اثني عشرة قلعا بعدد الاسباط وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره كالجيل العظيم وهو معنى قوله (فكان كل فرق) هو القطعة من البحر وقرئ فلق باللام بدل الراء (كالجود) كالجيل أو عظيمه والجمع اطواد يقال طاد يطود اذا ثبت (العظيم) أي الضخم بينهما سلك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده قاله ابن عباس وابن مسعود (وأزلنا ثم الآخرين) أي قربناهم إلى البحر قاله ابن عباس قال أبو عبيدة أزلنا جمعنا ومنه قيل لليلة المزلفة ليلة جمع وثم ظرف مكان للبعيد وقيل قرنا من النجاة وقرئ أزلنا ثلاثيا وقرئ أزلنا أي أزلنا وأهلكنا من قولهم أزلت أنقرس اذا ألقته ولدها ويعني بالآخرين فرعون وقومه وقيل المراد بهم موسى وأصحابه والاولى قيسل كان جبريل بين بني اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني اسرائيل ليخلق آخركم أولكم ويقول للقبط رويدا ليخلق آخركم أولكم فكان بنو اسرائيل يقولون مارا بنا أحسن سياسة من هذا الرجل وكان القبط يقولون مارا بنا أحسن داع من هذا (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) بمرورهم في البحر بعد ان جعله الله طرفا يشون فيها (ثم أغرقنا الآخرين) يعني فرعون وقومه أغرقهم الله باطباق البحر عليهم بعد ان دخلوا فيه متبعين موسى وقومه وخرج بنو اسرائيل منه وفيه ابطال القول بتأثير الكواكب في الآجال وغيرها من الخواص فانهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طوال العظم (ان في ذلك) أي فيما صدر بين موسى وفرعون إلى

(٣ - فتح البيان سابع) - فدل هذا على ان الحلال عون على العمل الصالح فقام الانبياء عليهم السلام بهذا ثم القيام وجمعوا بين كل خير ولا وعلا ودلالة ونهاج فراهم الله عن العباد خيرا قال الحسن البصري في قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات قال اما والله ما أمركم باصفركم ولا أحركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكن قال انتموا إلى الحلال منه وقال سعيد بن جبير والضحاك كلوا من الطيبات يعني الحلال وقال أبو اسحق السبيعي عن أي ميسرة عمرو بن شرحبيل كان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه وفي الصحيح ومامن نبي الارعى الغنم قالوا وانت يا رسول الله قال نعم وأنا كنت اراها على قرار يط لاهل مكة وفي الصحيح ان داود

عليه السلام كان يأكل من كسب يده وفي الصحيحين ان احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود واحب القيام الى الله قيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً لا يفر اذا لاقى وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابى حدثنا ابى ايمان الحكيم بن نافع حدثنا ابو بكر بن ابي هريرة عن خيرة بن حبيب ان ام عبد الله بنت شداد بن اوس قالت بعثت الى النبي صلى الله عليه وسلم (١) بقدر لبن عند فطره وهو صائم وذلك في اول النهار وشدة الحر فرد اليها رسولها ان كانت لك الشاة فقالت اشتريتها من مالي فشرب (١٨) منه فلما كان من الغد اتته ام عبد الله بنت شداد فقالت يا رسول الله بعثت اليك بلبن

مرثية لك من طول النهار وشدة الحر فردت الى الرسول فيه فقال لها بذلك امرت الرسول لا تأكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا وقد ثبت في صحيح مسلم وجامع الترمذي ومسنده الامام أحمد واللائحة من حديث فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن ابى حازم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليهم وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام عيديه الى السماء يارب يارب فانى يستجاب لذلك وقال الترمذي حسن غريب لانعرفه الامن حديث فضيل بن مرزوق وقوله وان هذه امتكم امة واحدة اى دينكم يا معشر الانبياء دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة الى عبادة الله وحده لا شريك له

هذه الغاية (لاية) عبرة عظيمة وقدرة باهرة من أدل العلامات على قدرة الله سبحانه وعظيم سلطانه لمن بعدهم (وما كان أكثرهم) أى أكثر هؤلاء الذين مع فرعون (مؤمنين) بالله فانه لم يؤمن منهم فيما بعد الا القليل كزقيل وابنته وأسيرة امرأه فرعون والعجوز التى دلت على قبر يوسف وليس المراد أكثر من كان مع فرعون عند خرقه موسى فانهم هلكوا جميعا فى البحر بل المراد من كان معه من الاصل ومن كان متابعا له ومنتسبا اليه هذا غاية ما يمكن أن يقال وقال سيبويه وغيره ان كان زائدة وان المراد الاخبار عن المشركين بعدما سمعوا الموعظة (وان ربك له العزيز) أى المنتقم من أعدائه باغراقهم (الرحيم) باولادائه بانجائهم (واتل) أى اقصص يا محمد (عليهم) أى على كفار مكة (تبا) خبر (ابراهيم) وحديثه (اذ قال) أى وقت قوله (لا ييه وقومه ما) أى أى شئ (تعبدون) وهو يعلم انهم يعبدون الاصنام ولكنه أراد الزام الحجمة ولايرهم ان ما يعبدونه ليس بمسحق للعبادة بل معزل عنها بالكلية (قالوا نعبد أصناما) افتخاروا بمباهاة بعبادتها (فمنظ لها ما كفى) أى فندقم وندوم على عبادتها مستقرين طول النهار لا فى رقت معين يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا ويات يفعل كذا اذا فعله ليلا فظاهره انهم يستمرون على عبادتهم نهارا ليلا والمراد من العكوف لها الاقامة على عبادتها وانما قال لها لافادة ان ذلك العكوف لاجلها فلما قالوا هذه المقالة (قال) ابراهيم منبها على فساد مذهبهم (هل يسمعونكم اذ تدعون) قال الاخفش المعنى هل يسمعون منكم أو هل يسمعون دعاءكم وقرأتاد هل يسمعونكم يضم الياء أى هل يسمعونكم أصواتهم وقت دعائكم لهم قال الزحخشري انه على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال التى كنتم تدعونها فيها هل سمعواكم اذ ادعوتم وهو ابلغ فى التبكيت (أو ينفعونكم) بوجه من وجوه النفع ان عبدتموها (أو يضررون) أى يضر ونسبكم اذا تركتم عبادتها وهذا الاستفهام للتقرير فانها اذا كانت لا تسمع ولا تنفع ولا تضر فلا وجه لعبادتها فاذا قالوا نعم حى كذلك أقر وأبان عبادتهم لها من باب اللعب والعبث والسفه وعند ذلك تقوم الحجمة عليهم فلما أورد عليهم الخليل هذه الحجمة الباهرة لم يجردوا الهاجوا بالارجوعهم الى التقليد البحت وهو أنهم (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) هذه العبادة لهذه الاصنام فقد اناهم مع كونها بهذه الصفة التى هى سلب السمع والنفع والضرر عنها وفى أبى السعود هذا الجواب منهم اعتراف بانها معزل

ولهذا قال وانار بكم فاتقون وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الانبياء وان قوله امة واحدة منصوب على الحال عما وقوله فتقطعو امرهم بينهم زبراى الامم الذين بعثت اليهم الانبياء كل حزب بما لديهم فرحون أى يفرحون بما هم فيه من الضلال لانهم يحسبون انهم مهتدون ولهذا قال متهدداهم ومتوعدا فذرهم فى غمرتهم أى غيهم وضلالهم حتى حين أى الى حين حينهم وهلاكهم كما قال تعالى قول الكافرين أمهلهم ويدا وقال تعالى ذرهم يأكواؤا يتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقوله أيجسبون انما غدهم به من مال وبنين تسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون يعنى أيتظن هؤلاء المعرورون انما غدهم من الاموال (١) بقدر لبن عند فطره كذا بالنسخ التى بايدينا ولعل فيه سقطا والاصل بشر به عند فطره أو نحو ذلك فخررو وانظر اه



والاولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا كلاليس الامر كما يزعمون في قولهم نحن اكثر اموال او اولاد او ما نحن بمعدين لقد اخطوا في ذلك وخاب رجاءوهم بل انما تفعل بهم ذلك استدرجا وانظرا واملأوا لهذا قال بل لا يشعرون كما قال تعالى فلا تعجب آموا لهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا الآية وقال تعالى انما على لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى فذري ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم الآية وقال ذري ومن خلقت وحيدا الى قوله عنيدا وقال تعالى وما أموالكم ولا اولادكم بالاتي تقربكم عندنا زلفى الامن آمن وعمل صالحا الآية (١٩) والآيات في هذا كثيرة قال قتادة في قوله

أيحسبون اننا نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون قال مكر والله بالقوم في اموالهم واولادهم يا ابن آدم فلا تعتبر الناس باموالهم واولادهم ولكن اعتبرهم بالايمان والعمل الصالح وقال والامام احمد حدثنا محمد حدثنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم وان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين الا لمن احب فمن اعطاه الله الدين فقد

عما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرء واضطروا الى انظاره ان لا يستدلهم سوى التقليد اى ما علمنا ولا رأينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون فاقتديناهم انتهى قال الخازن وفي الآية دليل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال انتهى وهذا الجواب هو العصى التي يتوكأ عليها كل عاجز وعشى بها كل أعرج ويعتبر بها كل مغرور ويتخذعها كل مخدوع فانك لو سألت الآن هذه المقلدة للرجال التي طبقت الارض بطولها والعرض وقلت لهم ما الحجية لكم على تقليد فرد من افراد العلماء والاخذ بكل ما يتقواه في الدين ويتبعه من رأى المخالف للدليل لم يجدوا غير هذا الجواب ولا قاهوا بسواه واخذوا يبعثون عليكم من سبقهم الى تقليدهم اذا من سننهم واقتدى بقوله وفعله وهم قد ملؤا صدورهم هيبة وضافت آذانهم عن تصورهم وظنوا منهم خيرا هل الارض واعلمهم واورعهم فلم يسمعو الناصح نصحا ولا الداع الى الحق دعاء ولو فطنوا لرأوا انفسهم في غرور عظيم وجهل شنيع وانهم كالبهيمة العمياء وأولئك الاسلاف كالعمى الذين يتقودون اليها عمى العمى كما قال الشاعر

كبهية عمياء قاذرة امامها \* أعمى على عوج الطريق الحائر

فعليت ايها العامل بالكتاب والسنة المبرمان التعصب والتعسف ان تورده عليهم حجج الله وتقيم عليهم براهينه فانه ربما انفادلك منهم من لم يتحكم ذات التقليد في قلبه وأما من قد استحكم في قلبه هذا الداء العضال فلوا وردت عليه كل حجة وأقت عليه كل برهان لما أعارك الأذنا صما وعينا عمياء وكذرت قد قمت بواجب البيان الذي أوجب عليه كل برهان لما والهداية بيد الخلاق العليم انك لاتمدى من أحبيت ولكن الله يهدي من يشاء ولما قال هؤلاء المقلدة هذه المقالة (قال) الخليل عليه السلام (أفأرىتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون) اى فهل ابصرتم اوتفكرتم وتاملتم فعلتم ما كنتم تعبدون من هذه الاصنام التي لاتسمع ولا تنزع ولا تضر حتى تعلموا انكم على ضلالة وجهالة والرؤية هنا مستعملة في معناها الاصل واليه نحا أبو السعود وصنيع الكازررى يقتضى انها بمعنى اخبرونى اى اخبرونى عن حال ما كنتم تعبدون هل هو حقيق بالعبادة او لا وهذا استهزاء بعبدة الاصنام والقضاء السببية تفيد ان ما بعد ها وهو العداوة سبب لطلب الاخبار عن حالهم فهى بمعنى اللام أى اخبرونى عن حالها لانها عدوى كما صرح به الرضى في قوله اخرج

لا يشركون والذين يؤثون ما أتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) يقول تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون أى هم مع احسانهم وايمانهم وعما هم الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجلون من مكره بهم كما قال الحسن البصرى ان المؤمن جمع احسانا وشنقة وان المنافق جمع اساءة وأما الذين هم بايات ربهم يؤمنون أى يؤمنون باياته الكونية والشريعة كقوله تعالى اخبارا عن مريم عليها السلام وصدقت بكلمات ربها وكنه أى ايقنت ان ما كان انما هو عن قدر الله وقضائه وشارعه الله فهو ان كان امر اغما يحبه ويرضاه وان كان نهيا فهو مما يكرهه وياباه وان كان خيرا فهو

لحق كما قال الله والذين هم بربهم لا يشركون أى لا يعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون انه لا اله الا الله أحد احد الم يتخذ صاحبه  
 ولا ولدا وانه لا نظيره ولا كف له وقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون أى يعطون العطاء وهم خائفون  
 وجلون ان لا يتقبل منهم لخوفهم ان يكونوا قد قصروا بالقيام بشروط الاعطاء وهذا من باب الشفاق والاحتياط كما قال الامام  
 أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك بن مغول حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة انها قالت يا رسول الله الذين يؤتون  
 ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الذى يسرق ويرزق ويشرب الخمر (٢٠) وهو يخاف الله عز وجل قال لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين

يصلون ويصومون ويتصدقون وهم  
 يخافون ان لا يتقبل منهم أولئك  
 يسارعون في الخيرات وهكذا  
 رواه الترمذى وابن أبى حاتم من  
 حديث مالك بن مغول به نحوه قال  
 الترمذى وروى هذا الحديث من  
 حديث عبد الرحمن بن سعيد عن  
 أبى حازم عن أبى هريرة عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم نحوه هذا وهكذا  
 قال ابن عباس ومحمد بن كعب  
 القرظى والحسن البصرى في تفسير  
 هذه الآية وقد قرأ آخرون هذه  
 الآية والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم  
 وجلة أى يفعلون ما يفتنون وهم  
 خائفون وروى هذا مر فورا الى  
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها  
 كذلك قال الامام أحمد حدثنا  
 عفان حدثنا صخر بن جويرية  
 حدثنا اسمعيل المكي حدثنا أبو خلف  
 مولى بنى جميع انه دخل مع عبيد بن  
 عمير على عائشة رضيت الله عنها  
 فقالت مرحبا بأبى عاصم ما بينك  
 ان تزورنا أو تلمسنا فقال أخشى  
 ان أهلك فقالت ما كنت لتفعل قال  
 جئت لا أسألك عن أبى فمن كذب  
 الله عز وجل كيف كان رسول الله

منها فانك رحيم ثم اخبرهم بالبراءة من هذه الاصنام التى يعبدونها فقال (فانهم عدوتى)  
 ومعنى كونهم عدوته مع كونهم جادا انه ان عبدتهم كانوا له عدوا ويوم القيامة قال الفراء  
 هذا من المقلوب أى فانى عدوهم لان من عاديته عاداك واسند العداوة الى نفسه تعريضا  
 بهم وهو انفع في النصيحة من التصريح بان يقول فانهم عدوا لكم والعدو كالصديق يطلق  
 على الواحد والمثنى والجماعة والمذكور والمؤنث كذا قال الفراء قال علي بن سليمان من قال  
 عدوة الله فأثبت الهاء قال هي بمعنى المعادية ومن قال عدو للمؤنث والجمع جعله بمعنى  
 النسب وقيل المراد بقوله فانهم عدوتى آباؤهم الاقدمون لاجل عبادتهم للاصنام ورد بان  
 الكلام مسوق فيما عبدوه لافى العابدين (الا) أى لكن (رب العالمين) ليس كذلك  
 بل هو وارى في الدنيا والآخرة لا يزال متفضلا على فيها قال الزجاج قال الخويزى هو  
 استثناء ليس من الاول واجاز الزجاج ايضا ان يكون من الاول على انهم كانوا يعبدون الله  
 عز وجل ويعبدون معه الاصنام فأعلمهم انه تبرأ مما يعبدون الا الله فانى عبده قال  
 الجرجاني تقديره اغرايتهم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون الارب العالمين فانهم  
 عدوتى فجعله من باب التقديم والتأخير وجعل الابعثى دون وسوى كقوله لا يدقون فيها  
 الموت الا الموتة الاولى اى دون الموتة الاولى وقال الحسن بن الفضل ان المعنى الامن عبد  
 رب العالمين ثم وصف رب العالمين بقوله (الذى خلقنى فهو يهدين) اى يرشدنى الى مصالح  
 الدين والدنيا وطريق النجاة وقد وصف الخليل ربه بما يستحق العبادة لاجله فان الخلق  
 والهداية والرزق الذى يدل عليه قوله (والذى هو بطعمى ويسقين واذا همضت فهو  
 يشفين) ودفع المرض وجلب نفع الشفاء والامانة والاحياء والمغفرة للذنوب كلها انما يجب  
 على المتم عليه بعضها فضلا عن كلها ان يشكر المتم بجميع انواع الشكر التى اعلاها  
 واولاها العبادة ودخول هذه الضمائر في صدور هذه الجمل للدلالة على انه الفاعل لذلك دون  
 غيره واسند المرض الى نفسه دون غيره من هذه الافعال المذكورة رعاية واستعمال اللادب  
 مع الرب كما قال الخضر فارتد ان اعياها وقال فاراد ربك ان يلعن أشدهما والافالمرض  
 والشفاء من الله سبحانه (والذى عيتنى ثم يحيين) المراد بالاحياء البعث ولهذا عطف هنا  
 بتم خلاف ما قبله لاتساع الامر بين الامانة والاحياء لان المراد به الاحياء فى الآخرة  
 وحذف الباء من هذه الافعال لكونها رؤس الآى وقرئ كلها باثبات الباء وانما قال

صلى الله عليه وسلم يقرؤها قالت آية قال الذين يؤتون ما آتوا فقلت آيتهما أحب  
 اليه  
 البتة فقلت والذى ننسى بيده لاحدهم أحب الى من الدنيا جميعا أو الدنيا وما فيها قالت وما هى فقلت الذين يؤتون ما آتوا فقلت  
 أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يقرؤها وكذلك أنزات ولكن الهجاء حرف فيه اسمعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف  
 والمعنى على القراءة الاولى وهى قراءة الجمهور السبعة وغيرهم أظهر لانه قال أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون فجعلهم  
 من السابقين ولو كان المعنى على القراءة الاخرى لا وشك أن لا يكونوا من السابقين بل من المقتصدين أو المقصرين والله اعلم

(ولا تكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترقيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأرون اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون متكبرين به سامرتم جعرون) يقول تعالى مخبراً عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا انه لا يكلف نفسا الا وسعها أى الاما تطيق حمله والقيام به وانه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شئ ولهذا قال ولدينا كتاب ينطق بالحق يعنى كتاب الأعمال وهم لا يظلمون (٢١) أى لا يخشون من الخير شأواً وما السيئات

فيعفون ويصفح عن كثير منها العبادة المؤمنین ثم قال متكرراً على الكفار والمشرکین من قريش بل قلوبهم في غمرة أى في غفلة وضلالة من هذا أى القرآن الذى أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ولهم أعمال أى سيئة من دون ذلك يعنى الشرك وهم لها عاملون قال لابد ان يعملوها وكذا روى عن مجاهد والحسن وغير واحد وقال آخرون ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أى قد كتبت عليهم أعمال سيئة لابد ان يعملوها قبل موتهم لا محالة لتحقق عليهم كلمة العذاب وروى نحو هذا عن مقاتل بن حيان والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ظاهر قوى حسن وقد قدمنا فى حديث ابن مسعود فوالذى لا اله غيره ان الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الأذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وقوله حتى اذا أخذنا مترقيهم

عليه السلام (والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتي) هضم النفس وتعليل الامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب ان يغفر لهم ما يفرط منهم وتكرير الموصول في المواضع الثلاثة المعطوفة للابدان بان كل واحد من تلك الصلوات نعت جليل مستقل في ايجاب الحكم قيل ان الطمع هنا يعنى اليقين في حقه وبمعنى الرجاء في حق سواه وقرئ خطاياى لانها ليست خطيئة واحدة قال النحاس خطيئة بمعنى خطاياى كلام العرب قال مجاهد يعنى بخطيئته قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله انى سقيم وقوله ان سارة أخته زاد الحسن وقوله للكوكب هذارى وحكى الواحدى عن المفسرين انهم فسروا الخطايا بما فسرها مجاهد قال الزجاج الانبياء بشر ويوزان تقع عليهم الخطيئة الا انهم لا تكون منهم الكبيرة لانهم معصومون (يوم الدين) أى يوم الجزاء للعباد باعمالهم ولا يخفى ان تفسير الخطايا بما ذكره مجاهد ومن معه ضعيف فان تلك معاريض وهى أيضا انما صدرت عنه بعد هذه المناقولة الجارية بينه وبين قومه وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين أكان ذلك نافع له قال لا ينفعه انه لم يقل يوم ارب اغفر لى خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قوله انه لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال ثم لما فرغ الخليل من النناء على ربه والاعتراف بنعمه وفنون الطافه الفائضة عليه من حضرة الحق من مبداء خلقه الى يوم بعثه جلد ذلك على مناجاته تعالى فعقبه بالدعاء ليقتدى به غيره فى ذلك فقال (رب هب لى حكماً) المراد بالحكم الكمال فى العلم والنهم والعمل به تعدية خلافة الحق ورياسة الخلق وقيل النبوة والرسالة وقيل المعرفة بحدود الله وأحكامه (وألحقنى بالصالحين) يعنى بالنبيين قبلى فى العمل الصالح وقيل بأهل الجنة أى فى درجاتهم قاله ابن عباس والاولى ولقد أجابه تعالى حيث قال وانه فى الآخرة لمن الصالحين (واجعل لى لسان صدق فى الآخريين) أى اجعل لى ثناء حسنا وذكرا جليلا وجاها وصيتا وقبولا عامما فى الامم الآخريين الذين يأتون بعدى فى الدنيا حتى أثره الى يوم القيامة قال القتيبي وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لان القول يكون بها وقد تكنى العرب بها عن الكلمة وقد أعطى الله سبحانه ابراهيم ذلك بقوله وتركا عليه فى الآخريين وأجاب دعاءه فان كل أمة تمسك به وتعظمه وكل أهل الأديان يتولونه ويشنون عليه خصوصا هذه الامة وخصوصا فى كل شهيد من

بالعذاب اذا هم يجأرون يعنى حتى اذا جاء مترقيهم وهم المنعمون فى الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته منهم اذا هم يجأرون أى يصرخون ويبتغيون كما قال تعالى ذرني والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قلي لان لدينا انكالا وحيما الآية وقال تعالى وكم أهلكم من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وقوله لا تجأرون اليوم انكم منا لا تنصرون أى لا يجيركم أحد مما حل بكم سوا جأرتهم أو سكتهم لا يحسدوا لمناص ولا ورلزم الامر ووجب العذاب ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون أى اذا دعيتم أيستم وان طلبتم استغتم ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرلكم به تؤمنوا

فالحكم لله العلي الكبير وقوله مستكبرين به سامراتهم جرون في تقيده قولان احدهما ان مستكبرين حال منهم حين نكوصهم عن الحق وابائهم اياه استكبار عليه واحتقار له ولا ذله فعلى هذا الضمير في به فيه ثلاثة اقوال احدها انه الحرم أي مكة ذسوا لانهم كانوا يسلمون فيه بالهجر من الكلام والثاني انه ضمير للقرآن كانوا يسلمون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام انه سحرانه شعرانه كهانة الى غير ذلك من الاقوال الباطلة والثالث انه محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يذكرونه في سمرهم بالاقوال الفاسدة ويضربون له الامثال الباطلة (٢٢) من انه شاعر او كاهن او ساحر او كذاب او مجنون فكل ذلك باطل بل هو

عبد الله ورسوله الذي أظهره الله عليهم وأخر جهنم من الحرم صاعرين أذلاء وقيل المراد بقوله مستكبرين به أي بالبيت يفخرون بهو يعتقدون انهم أولياؤه وليسوا به كما قال النسائي في التفسير من سننه أخبرنا أحمد بن سليمان أخبرنا عبيد الله عن اسرائيل عن عبد الاعلى انه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس انه قال انما كره السمر حين نزلت هذه الآية مستكبرين به سامراتهم جرون فقال مستكبرين بالبيت يقولون نحن اهل سامرا قال كانوا يتكبرون ويسمرون فيه ولا يعمرونه ويمجرونه وقد اطلب ابن أبي حاتم ههنا بما هذا حاصله (ألم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خراجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم

تشهدات الصلوات وقال مكي قيل معنى سؤاله ان يكبرن من ذرية في آخر الزمان من يقوم بالحق فاجبت دعوته في محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتكون الآية على تقدير مضاف أي صاحب لسان صدق أو هو مجاز من اطلاق الجزع على الكل لان الدعوة باللسان ولا وجه لهذا التخصيص والتكلف وقال القشيري أراد الدعاء الحسن الى قيام الساعة ولا وجه لهذا أيضا فان لسان الصدق أهم من ذلك وعن ابن عباس في الآية قال اجتمع أهل الملل على ابراهيم فامن أمة الاوهي تحبه وثني عليه (واجعلني) وارثا (من ورثة جنة النعيم) أي منذر جافيمهم ومن جلتهم أي ممن يعطاها بالاتباع ومشقة كالارث الحاصل للانسان من غير تعب واطراف الجنة الى النعيم من اضافة المحل للمحل فيه ولما طلب عليه السلام بالدعوة الاولى سعادة الدنيا طلب بهذه الدعوة سعادة الآخرة وهي جنة النعيم قيل وجعلها ما يورث تشبهاً بالجنة الآخرة بغيره الدنيا وقد تقدم تفسير معنى الوارثة في سورة مريم (واغفر لابي) كان أبوه قدوة له انه يؤمن به فاستغفر له فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وقد تقدم تفسيره في سورة التوبة وسورة مريم وعن ابن عباس قال امن عليه بتوبة يستحق بها مغفرتك (انه كان من الضالين) أي من المشركين الضالين عن طريق الهداية وكان زائدة على مذهب سيبويه كما تقدم في غير موضع (ولا تخزني يوم يعنون) أي لا تفضني على رؤس الاشهاد بما عاتبني أو بما عاقبتني على ما فرطت أو لا تعذبي يوم القيامة وقال ذلك لطفاء العقاب وجواز التعذيب عقلاً أو المعنى لا تخزني بتعذيب أبي أو يبعثه في جهنم الضالين أو ينقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث والآخر اطلاق على الخزي وهو الهوان وعلى الخزية وهي الحمأة أي الاستحياء أخرج البخاري وغيره من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يلقي ابراهيم اباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة فيقول له ابراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه قال يوم لا اعصيك فيقول ابراهيم رب انك وعدتني ان لا تخزني يوم يعنون فأى خزي أخرى من أبي الابد فيقول الله اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول ماتحت رجلين يا ابراهيم فاذا بذخ من مطبخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار والذبح هو الذك من الضباع فكأنه حوّل آزر الى صورة ذبح وقد أخرج النسائي باطول من هذا (يوم لا ينفع) فيه (مال ولا بنون) أحد من الناس والابن هو أخص القرابة وأولاهم بالحماية والدفع والنفع فاذا لم ينفع

وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا يكون ولورجنهم فغيره وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون) يقول تعالى منكر اعلی المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم وتدبرهم له واعراضهم عنه مع انهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول أكل منه ولا أشرف لاسيما آباؤهم الذين ماتوا في الجاهلية حيث لم يبلغهم كتاب ولا آياتهم نذير فكان اللاتقير هؤلاء ان يقابلوا النعمة التي أسداها الله عليهم بقبولها والقيام بشكرها وتفهمها والعمل بمقتضاها آباء الليل وأطراف النهار كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ورضى

عنهم وقال قتادة أفلم يدبروا القول إذا والله يجردون في القرآن زاجرا عن معصية الله لوتدبروا القوم وعلوهم ولكنهم أخذوا بما نسا به  
 فهلكوا وعند ذلك ثم قال منكرا على الكافرين من قريش أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أي أفهم لا يعرفون محمدا وصدقته  
 وأماته وصيسته التي نساها فيهم أي أفيدقرون على انكار ذلك والمباهة فيه ولهذا قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للجاشي  
 ملك الحديث أيها الملك ان الله بعث فينا رسولا نعرف نسبه وصدقته وأماته وهكذا قال المغيرة بن شعبه لنا تب كسرى حين بارزهم  
 وكذلك قال أبو سفيان صخر بن حرب لملك الروم عرقل حين (٢٢) سأله وأصحابه عن صفات النبي صلى الله

عليه وسلم ونسبه وصدقته وأماته  
 وكانوا بعد كفار لم يسلموا ومع هذا لم  
 يكتمهم الا الصدق فاعتزوا بذلك  
 وقوله أم يقولون به جنة يحكي قول  
 المشركين عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم انه يقول القرآن أي  
 اقتراه من عنده أو ان به جنونا لا يدري  
 ما يقول وأخبر عنهم أن قلوبهم  
 لا تؤمن به وهم يعلمون بطلان  
 ما يقولونه في القرآن فانه قد أتاهم  
 من كلام الله ما لا يطاق ولا يدافع  
 وقد تحذاهم وجميع أهل الارض  
 ان يأتيوا بمثله ان اسه تطاعوا ولا  
 يستطيعون أبدا لآيدين ولهذا قال  
 بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق  
 كارهون يحتمل ان تكون هذه جملة  
 حالية أي في حالة كراهة أكثرهم  
 للحق ويحتمل ان تكون خبرية  
 مستأنفة والله أعلم وقال قتادة  
 ذكرنا ان نبي الله صلى الله عليه  
 وسلم أتى رجلا فقال له أسلم فقال  
 الرجل انك لتدعوني الى أمرأ ناله  
 كاره فقال نبي الله صلى الله عليه  
 وسلم وان كنت كارهوا ذكركنا انه  
 أتى رجلا فقال له أسلم فتصعد ذلك  
 وكبر عليه فقال له نبي الله صلى الله

فغيره من الترابية والاعوان بالاولى وقال ابن عطية ان هذا وما بعد من كلام الله وهو  
 ضعيف والاطهر انه من كلام ابراهيم (الامن أي الله بقلب سليم) قيل هو استثناء منقطع  
 أي لكن من أي الله قال في الكشاف الامال من أي الله فتدريضا فاحمذوفا قال أبو  
 حيان ولا ضرورة تدعو الى ذلك وقيل ان هذا الاستثناء بدل من المفعول المحذوف  
 أو مستثنى منه اذ التقدير لا ينفع مال ولا بنون أحد من الناس الامن كانت هذه صفة  
 ويحتمل ان يكون بدلا من فاعل ينفع فيكون مرفوعا قال أبو البقاء فيكون التقدير  
 الامال من أي بنوم فانه ينفع وهذا الماضي بمعنى المضارع وكذا يقال في قوله وأزانت  
 وبرزت وقيل وككبوا وقالوا واختلف في معنى القلب السليم فقول السليم من الشرك فأما  
 الذنوب فليس يسلم منها أحد قاله أكثر المفسرين وقال سعيد بن المسيب السليم الصحيح  
 وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض قال تعالى في قلوبهم مرض وقيل هو  
 القلب الخالي عن البدعة المظنة الى السنة وقيل السالم من آفة المال والبنين وقال  
 الخليل السليم الخالص وقال الجنيد رحمه الله السليم في اللغة اللديغ فعناه انه قلب  
 كاللديغ من خوف الله تعالى وهذا تحريف وتعكيس لمعنى القرآن قال الرازي أصح  
 الاقوال ان المراد منه سلامة النفس عن الجهل والاخلاق الرذيلة وقال ابن عباس  
 بشهادة أن لا اله الا الله وقد صوب الخليل استثناء الخليل اكرامه ثم جعله صفة له في قوله  
 وان من شبهته لابراهيم اذ جاء به بقلب سليم قال النسبي وما أحسن ما رتب عليه  
 السلام من كلامه مع المشركين حيث سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لاستئذانهم ثم  
 أقبل على آلهتهم فأبطل أمرها بانها لا تنفع ولا تضر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم  
 الاقدمين فأخرجهم من أن يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه  
 دونهم حتى تخاض منها الى ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعد نعمه من حين انشائه الى وقت  
 وفاته مع ما يربح في الآخرة من رجه ثم أتبع ذلك ان دعا دعوات الخالصين وابتهل اليه  
 ابتهاج الادب ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ  
 من الندم والخسرة على ما كانوا فيهم من الضلال وتغنى الكفرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا  
 انتهى (وأزانت الجنة للمتقين) أي قربت وأذيت لهم ليدخلوها أو يجيب يشاهدونها  
 من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المشركون اليها

عليه وسلم أرأيت لو كنت في طريق وعروعت فلقيت رجلا تعرف وجهه ونسبه فدعاك الى طريق واسع سهل أ كنت تتبعه قال نعم  
 قال فوالذي نفس محمد بيده انك لفي أو عر من ذلك الطريق لو قد كنت عليه وانى لادعوك الى سهل من ذلك لودعيت اليه وذكركنا ان  
 نبي الله صلى الله عليه وسلم أتى رجلا فقال له أسلم فتصعد ذلك فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم أرأيت لو كان لك قسيان أحدهما  
 اذا حدثك صدقك واذا ائتمنته أدى اليك أهو أحب اليك أم فتاك الذي اذا حدثك كذبك واذا ائتمنته خانتك قال بل فتأى الذي  
 اذا حدثني صدقي واذا ائتمنته أدى الى فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم كذا كتمت عنكم عنكم وقوله ولو اتبع الحق أهواءهم

لنفسد السموات والارض ومن فيهن قال مجاهد وابوصالح والسدى الحق هو الله عز وجل والمراد لو اجابهم الله الى ما في انفسهم من الهوى وشرع الامور على وفق ذلك لنفسد السموات والارض ومن فيهن أى لفساد أهوائهم واختلافها كما أخبر عنهم في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ثم قال أهم يقسمون رحمة ربك وقال تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لامسكم خشيمة الانفاق الآية وقال أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نفسيرا ففى هذا كاه تبيين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم وأنه تعالى (٢٤) هو الكامل فى جميع صفاته وأقواله وأفعاله وشرعه وقدره وتدبيره خلقة

تعالى وتقدس قال له غيره ولا رب سواه ولهذا قال بل آتيناهم بذكرهم أى القرآن فهم عن ذكرهم معرضون وقوله أم تسألهم خراجا قال الحسن أجزا وقال قتادة جمع الانخراج ربك خير أى أنت لانسألهم أجرة ولا جعلنا ولا شيئا على دعوتك اياهم الى الهدى بل أنت فى ذلك تحتسب عند الله جزيل ثوابه كما قال قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الاعلى الله وقال قل ما سألتكم عليه من أجر وما أنا من المتكافين وقال قل لا أسألكم عليه أجر الا المودة فى القربى وقال وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وقوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كبون قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا جاد بن سلمة عن على بن زيد بن جده عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فيما يرى النائم ملكا فقعأ حدهما عند

وقال الزجاج قرب دخولهم اياها ونظرهم اليها (وبرزت الخيم للغاوين) أى جعلت بارزة لهم والمراد بهم الكافرون الضالون عن طريق الحق الذى هو الايمان والتقوى والمعنى انها أظهرت بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجردون عنها مصرفا وقيل أظهرت قبل ان يدخلوها ليستدحزن الكافرين ويكثر سرور المؤمنين وقرئ برزت على البناءين (وقيل لهم) على سبيل التوبيخ (أيما) أى فى أى مكان (كنتم تعبدون من دون الله) من الاصنام والانداد وهذا سؤال تكبى لا يتوقع له جواب (هل ينصرونكم) فيدفعون عنكم العذاب (أو ينتصرون) بدفعه عن انفسهم وهذا كله توبيخ وتقرير لهم (فكذبوا فيها) أى ألقوا في جهنم على رؤسهم وقيل قلبوا على رؤسهم وقيل ألقى بعضهم على بعض وقيل جمعوا قاله ابن عباس مأخوذ من الكبكية وهى الجماعة قاله الهروى وقال النحاس هو مشتق من كوكب الشئ وهو معظمه والجماعة من الخيل كوكب وكبكية وقيل دهدها وهذه المعانى متقاربة والكبكية تكرير الكب وهو اللقاء على الوجه جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كأنه اذا ألقى فى جهنم ينكب مرة اثر مرة حتى يستقر فى قعرها فعوذ بالله منها وأصله كيبوايا من الاولى مشددة من حرفين فابدل من الباء الوسطى الكاف وقد ربح الزجاج ان المعنى طرح بعضهم على بعض ورجح ابن قتيبة ان المعنى ألقوا على رؤسهم وقيل أنكسوا وقيل الضمير فى كبكبو القريش (هم) أى الآلهة المعبودون والاصنام (والغاوون) أى العابدون لهم وقيل الجن والكافرون وقال ابن عباس مشركو العرب والآلهة (وجنود ابليس) أى شياطينه الذين يغوون العباد من الانس والجن وقيل ذريته وأتباعه وقيل كل من يدعو الى عبادة الاصنام (أجمعون) تأكيد للضمير فى كبكبو وما عطف عليه (قالوا) أى الغاوون (وهم) أى حال كونهم (فيما يجتصمون) مع معبوديهم مستأنفة كأنه قبل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل ومقول القول (تالله ان كنا) أى ان الشأن كونا (اننى ضلال مبين) واضح ظاهر والمراد بالضلال هنا الخسار والتبار والحيرة عن الحق ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاؤل والتخاصم أو يجرى ذلك بين العصاة والشياطين (اذنسو بكم) العامل فى الظرف هو كونهم فى الضلال وقيل العامل هو الضلال وفيه ضعف وقيل ظرف مبين وقيل

رجليه والآخر عند رأسه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه اضرب مثل هذا ومثل أمته فقال ان مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سمرانته والى الرأس مفازة فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به فينابهم كذلك اذا ناهم رجل فى حلة حبرة فقال أرايتم ان أوردتكم رياض معشبة وحياضار واء تتبعونى فقالوا نعم قال فانطلق بهم وأوردهم رياض معشبة وحياضار واء فأكلوا وشربوا وبعثوا فقال لهم ألم أنصكم على تلك الحال فجعلتم لى ان ووردت بكم رياض معشبة وحياضار واء ان تتبعونى قالوا بلى قال فان بين ايديكم رياض أعشب من هذه وحياضار هي أروى من هذه فاتبعونى قال

فقال طائفة صدق والله لتتبعه وقالت طائفة قدر ضيناهم ذنوبهم عليه وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا زهير حدثنا  
يونس بن محمد حدثنا يعقوب بن عبد الله الأشعري حدثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ممسك بججزكم عن النار وتغلدوني تتقاجون فيها تقاحم الفراش  
والجنادب فأوشك ان أرسل ججزكم وأنا فرطكم على الخوض فتدرون على معا واشتهانا أعرفكم بسميكم وأسمائكم  
كما يعرف الرجل الغريب من الابل في ابله فيذهب بكم ذات (٢٥) الشمال فأناشد فيكم رب العالمين

أي رب قومي أي رب أمي فيقال  
يا محمد انك لا تدري ما أحدثوا  
بعدك انهم كانوا يعشون بعدك  
القهقري على أعقابهم فلا عرفن  
أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل  
شاة لها نعاء ينادي يا محمد يا محمد  
فأقول لا أملك من الله شيئاً قد  
قد بلغت ولا عرفن أحدكم يأتي  
يوم القيامة يحمل بعير الله رغاء  
ينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك  
شيئاً قد بلغت ولا عرفن أحدكم  
يأتي يوم القيامة يحمل فرسها  
حجامة فينادي يا محمد يا محمد فأقول  
لا أملك لك شيئاً قد بلغت ولا عرفن  
أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل  
سقاء من آدم ينادي يا محمد يا محمد  
فأقول لا أملك لك شيئاً قد بلغت  
وقال علي بن المديني هذا حديث  
حسن الاسناد الا ان حفص بن  
جديد مجهول لا أعلم روى عنه غير  
يعقوب بن عبد الله الأشعري  
العمى قلت بل قدر روى عنه أيضا  
أشعث بن اسحق وقال فيه يحيى  
ابن معين صالح وثقه النسائي  
وابن حبان وقوله وان الذين  
لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط

ما يدل عليه الكلام كأنه قيل ضلنا وقت تسويتنا لكم في العبادة (رب العالمين) الذي  
أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم وقال الكوفيون ان في ان كانا فية واللام بمعنى  
الأي ما كالأني ضلال مبين والاول أولى وهو مذهب البصريين وصيغة المضارع  
لاستحضار الصورة الماضية (وما أضلنا) عن الهدى (الانجرامون) يعني من دعاهم الى  
عبادة الاصنام من الجن والانس والشياطين وقيل رؤسأوهم الذين أضلهم وقيل  
ابليس وجنوده وابن آدم الاول وهو قاييل وهو اول من سن القتل وأنواع المعاصي وقيل  
من سن الشرك وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم (فقالنا من شافعين) يشنعون لنا من  
العذاب كالمؤمنين من الملائكة والنبين والمؤمنين (ولاصديق حيم) أي ذى قرابة  
والحيم القريب الذي يوثقه ويودك وجمع الشنعاء ووحد الصديق لما تقدم غير مرة أنه  
يطلق على الواحد والاثني والجماعة والمذكور والمؤنث أو لكثرة الشنعاء في العادة وقوله  
الصديق لان الصديق الصادق في وداك الذي يمه ما همك قليل وسئل حكيم عن  
الصديق فقال اسم لامعني له وقيل اسم بلا سمي والنبي ههنا يحمل نبي الصديق من أصله  
أونني صفتة فقط أولان الصديق الواحد يسعي أكثر مما يسعي الشنعاء والجمي مأخوذ  
من حامة الرجل أي خاصته وأقربائه ويقال حم الشيء وأحم اذا قرب ومنه الحمى لانه  
يقرب من الاجل وقال علي بن عيسى انما سمي القريب حميا لانه يحمي لغضب صاحبه  
بفعله مأخوذ من الحمية وقيل من الاحتمام بمعنى الاحتمام الذي يمه ما يمهك قاله  
الزمخشري (فلو أن لنا كرتة) هذا منهم على طريق التمني الدال على كمال التمسك كأنهم  
قالوا فليت لنا كرتة أي رجعة الى الدنيا وجواب التمني (فسكون من المؤمنين) أي نصير  
من جلاتهم حتى تحل لنا الشفاعة كما حدث لهؤلاء (ان في ذلك) أي ما تقدم ذكره من نبأ  
ابراهيم وقصة قومه (الآية) أي عبرة وعلامة ووجه وعظة لمن أراد ان يستبصر بها  
ويعتبر فانها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها الغزارة علمه لما  
فيها من الاشارة الى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلالتها وحسن دعوته للقوم  
وحسن مخالفتهم وكالاشفاق عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد  
على سبيل الحكاية تعريضاً بهم وايضا ظاهراً ليكون أدعى الى الاستماع والقبول والتسوين  
في آية يدل على التعظيم والتفخيم (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي أكثر هؤلاء الذين يتلو

(٤ - فتح البيان سابع) لنا كبون أي عا دلون حائرون منحرفون تقول العرب نكب فلان عن الطريق اذا زاغ عنها وقوله  
ولورجناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون يخبر تعالى عن غلظهم في كفرهم بأنه لو أراح عنهم الضر وأفهمهم  
القرآن لما انقادوا له ولا ستموا على كفرهم وعنادهم وطمعناهم كما قال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم  
معرضون وقال ولوترى اذ وقفوا على النار فقالوا ايا المتنازرو لا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدلهم ما كانوا يخفون من  
قبل ولوردوا لعدا والمنا هو اعنه الى قوله بمبعوثين فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون لو كان كيف يكون قال الضحاك عن ابن عباس

كلما فيه لو فهو ما لا يكون أبداً (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا الربهم وما يضرعون حتى إذا قمنا عليهم بما بدأناهم به فاستكفروا فبدا لهم من الله العذاب الشديد إذ جاءهم فيه مبلسون وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قلة ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الأرض والله يتحشرون وهو الذي يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أنذامتنا وكفارنا وعظماؤنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الاساطير الاولين) يقول تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب أي ابتليناهم بالمصائب والشدائد فما استكانوا (٢٦) لربهم وما يضرعون أي خاردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة

عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبأ ابراهيم وهم قريش ومن دان بدينهم وقيل وما كان أكثر قوم ابراهيم مؤمنين وهو ضعيف لانهم كلهم غير مؤمنين (وان ربك لاهو العزيز) القاهر لا عدائه (الرحيم) بأوليائه أو الرحيم للاعداء بتأخير عقوبتهم وترك معاجلتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) أثبت الفعل لكونه مسنداً الى قوم وهو في معنى الجماعة والامة والتبليغ وفي المصباح القوم يذكرو ويؤث وكذا كل اسم جمع لا واحد له من لفظه فهو رط ونفروا وقع التكذيب على المرسلين وهم لم يكذبوا الا الرسول المرسل اليهم لان من كذب رسولا فقد كذب الرسل لان كل رسول يأمر بتصدق غير غيره من الرسل وقيل كذبوا نوحاً في الرسالة وكذبوه فيما أخبرهم به من مجي المرسلين بعده أو لانه لطول لبثه فيهم كأنه رسل (اذ قال لهم أخوهم نوح) أي أخوهم من أيهم لأخوهم في الدين وقيل المراد اخوة الجحاسة وقيل هو من قول العرب يا أخا بني زيدون واحدا منهم (الأتقون) الله بترك عبادة الاصنام وتجيّبون رسوله الذي أرسله اليكم (انني لكم رسول أمين) فيما بلغكم عن الله وقيل أمين فيما بينكم فانهم كانوا قد عرفوا أمانيه وصدقته (فاتقوا الله) أي اجعلوا طاعة الله وقاية لكم من عذابه (وأطيعون) فيما أمركم به عن الله من الايمان به وترك الشرك والقيام بفرائض الدين تصديقاً لقص الخس بالحث على التقوى يدل على أن البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية والاعراض الدنيوية (وما أسألكم عليه من أجر) أي ما أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة ولا أطمع في ذلك منكم ومن زائدة في المنعول (ان أجرى) أي ما ثواب الذي أطلبه وأريده (الاعلى رب العالمين) لا على غيره وكرر قوله (فاتقوا الله وأطيعون) للتأكيد والتقرير في النفوس مع كونه علق كل واحد منهم ما بسبب وهو الامانة في الاور وقطع الطمع في الثاني ونظيره قولك ألتقي الله في عقوتي وقد ريتك صغيراً ألتقي الله في عقوتي وقد علمتك كبيراً وقد قدم الامر بتقوى الله على الامر بطاعته لان تقوى الله علة لطاعته (قالوا أنؤمن لك) الاستفهام للذمكار أي كيف تتبعون وصدق لك وثؤمن بك (و) الحال ان قد (اتبعت الارذلون) جمع أرذل وجمع التمسك ير أرذل والاثني رذلاء وهم الاقلون جاهوا وما لا الرذالة الخسة والذلة

بل استقروا على غيرهم وضلالهم ما استكفروا أي ما خشعوا وما يضرعون أي ما دعوا كما قال تعالى فلولا ان جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن حمزة المروزي حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبي عن يزيد يعني النخعي عن عكرمة عن ابن عباس انه قال جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أنشدك الله والرحم فتد أنكنا العلمز يعني الوبر والدم فأترزل الله ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا الآية وهكذا رواه الترمذي عن محمد بن عقيب عن علي بن الحسين عن أبيه وأصله في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين استعصوا فقال اللهم أعني عليهم يسبح كسبوع يوسف وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سالم بن شبيب حدثنا عبد الله ابن ابراهيم عن عمر بن كيسان حدثني وهب بن عمرو بن كيسان قال حبس وهب بن منبه فقال له رجل

من الانبياء ألا أنشدك بيتاً من شعرياً بأعبد الله فقال وهب نحن في طرف من عذاب الله والله يقول ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا الربهم وما يضرعون قال وصام وهب ثلاثاً متواصلة فقبل له ما هذا الصوم يا أبا عبد الله قال أحدث لنا فحدثنا يعني أحدث لنا الحديث فأحدثنا زيادة عبادة وقوله حتى إذا قمنا عليهم بما بدأناهم به فاستكفروا فبدا لهم من الله العذاب شديد إذ جاءهم فيه مبلسون أي حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة بغتة فأخذهم من عذاب الله ما لم يكونوا يحتسبون فعند ذلك بأسوا من كل خير وأيسوا من كل راحة واقطعت آمالهم ورجاؤهم ثم ذكر تعالى نعمه على عباده في ان جعل لهم السمع والابصار والافئدة وهي العقول والتهوم



التي يدركون بها الاشياء ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله وانه الفاعل المختار لما يشاء وقوله قليلا ما تشكرون أي ما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم كقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ثم أخبر تعالى عن قدره العظيمة وسلطانه القاهر في برئه الخليقة وذريته لهم في سائر أقطار الارض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم ثم يوم القيامة يجمع الاولين منهم والآخرين لميقات يوم معلوم فلا يترك منهم صغيرا ولا كبيرا ولا ذكرا ولا أنثى ولا جليلا ولا حقيرا إلا أعاده كما بدأه ولهذا قال وهو الذي يحيي ويميت أي يحيي الرمم ويميت الامم وله اختلاف (٢٧) الليل والنهار أي وعن أمره تسخير الليل

والنهار كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا يتعاقبان لا يفتران ولا يفترقان بزمان غيرهما كقوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار الآية وقوله أفلا تعقلون أي أفليس لكم عقول تدلكم على العزيز العليم الذي قد قهر كل شيء وعز كل شيء وخضع له كل شيء ثم قال مخبرا عن منكري البعث الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أنذمتنا وكنا ترابا وعظاما أنتم المبعوثون يعني يستبعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم الى البلى لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الأساطير الاولين يعنون الاعادة محال انما يخبر بها من تلقاها عن كتب الاولين واختلاقهم وهذا الانكار والتكذيب منهم كقوله اخبارا عنهم أنذا كأعظاما منخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وقال تعالى ألم ير الانسان أننا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام

استردلوهم لقله أموالهم زجاهم أول تضاع أنسابهم قال مجاهد الارذلون الحوا كون وقال قتادة سئل الناس وأرذلهم وقال ابن عباس يعني القافة وقيل هم الحاككة والاسا كفة وقيل كانوا من أهل الصناعات الدينية والصناعة لا تدري بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأضعفهم نسما وما زالت أتباع الانبياء كذلك وانما بادروا للاتباع قبل الاغنياء لاستيلاء الرياسة على الاغنياء وصعوبة الانشكاك منها والانتفاة عن الانقياد للغير والفقير خلى من تلك الموانع فهو سريع الاجابة والانقياد وهذا غالب أحوال أهل الدنيا وهذا من سخافة عقولهم وقصر رأيهم على حطام الدنيا حتى جعلوا اتباع المقلين من الدنيا ما نعتوا من اتباعهم وجعلوا ايمانهم بما يدعوههم اليه دليلا على بطلانه وقرئ أتباعك الارذلون قال النحاس وهي قراءة حسنة لان هذه الواو تتبعها الاسماء كثيرا وأتباع جمع تابع (قال وما علمي بما كانوا يعملون) كان زائدة والمعنى وما علمي بملهم أي لم أكف العلم بأعمالهم انما كانت أن ادعوهم الى الايمان والاعتبار به بالحرف والصناعات والفقير والغنى وكانهم أشاروا بقولهم واتبعك الارذلون الى أن ايمانهم لم يكن عن نظر صحيح وانما التوقع مال ورفعته فأجابهم بهذا أي اني لم أقف على باطن أمرهم وانما وقفت على ظواهرهم وقيل المعنى اني لم أعلم ان الله سيهديهم ويضلهم ويوفقهم ويخذلهم ويرشدهم ويغويهم (ان حسابهم الاعلى ربى لو تشعرون) أي ما حسابهم والتفتيش عن ضمائرهم وأعمالهم الاعلى الله لو كنتم من أهل الشعور والفهم ما عبرت قلوبهم بصنائعهم وقرئ يشعرون بالتحسنة كانه ترك الخطاب للكفار والتفت الى الاخبار عنهم قال الزجاج والصناعات لا تضر في باب البيانات وما أحسن ما قال (وما أتبطارد المؤمنين) هذا جواب من نوح على ما ظهر من كلامهم من طلب الطرد لهم (ان أنا الانذير مبين) أي ما أنا الانذير موضع لما أمرني الله سبحانه بالابلاغ اليكم وهذه الجملة كالعلة لما قبلها (قالوا انتم لم تنته يا نوح) أي ان لم تترك عيب ديننا وسب آلهتنا (اتسكون من المرجومين) بالحجارة وقيل من المشتمين وقيل من المقتولين فعدلوا بعد تلك المحاوره بينهم وبين نوح الى التبر والتوعد فلما سمع نوح قولهم هذا (قال رب ان قومي كذبون) أي أسروا وسموا على تكذيبي بعد مادعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يسمعوا قولي ولا أجابوا دعائي وانما قال هذا اظهارا

وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الآيات (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) يقولون الله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم يقولون لله قل أفلا تتقون قل من ييده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون يقولون لله قل فاني تسحرون بل أنبأهم بالحق وانهم لكاذبون) يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد الى انه الله الذي لا اله الا هو ولا تنبغى العبادة الا له وحده لا شريك له ولهذا قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين العابدون معه غيره المعترفون له بالربوبية وان لا شريك له فيها ومع هذا فقد أشركوا معه

في الالهية فعبدوا غير معه مع اعترافهم ان الذين عبدوهم لا يخلقون شيئا ولا يملكون شيئا ولا يستبدون بشيء بل اعقدوا انهم يقربونهم اليه زاني ما عبدوهم الا يقربونا الى الله زاني فقال قل لمن الارض ومن فيها أي من مالكمها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمار وسائر صنوف المخلوقات ان كنتم تعملون سيقولون لله اي فيعترفون للبان ذلك الله وحده لا شريك له فاذا كان ذلك قل أفلا تذكرون انه لا ينبغي العبادة للمخالق الرازق لاغيره قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم أي من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات (٢٨) والملائكة الخاضعين له في سائر الاقطار منها والجهات ومن هو رب العرش

العظيم يعني الذي هو سقف المخلوقات كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شأن الله اعظم من ذلك ان عرشه على سمواته هكذا وأشار بيده مثل القبة وفي الحديث الاخر ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي الا حلقمة معلقة بارض فلاه وان الكرسي بما فيه بالنسبة الى العرش كذلك الحلقمة في تلك الفلاة ولهذا قال بعض السلف ان مسافة ما بين قطري العرش من جانب الى جانب مسيرة خمسين ألف سنة وارتفاعه عن الارض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وقال الضحاك عن ابن عباس انما سمى عرشا لارتفاعه وقال الاعشى عن كعب الاحبار ان السموات في العرش كالقنديل المعلق بين السماء والارض وقال مجاهد ما السموات والارض في العرش الا حلقمة في ارض فلاة وقال ابن ابي حاتم حدثنا العلام بن سالم حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثوري عن عمار الذهبي عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن

لم يدعوا عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخوفهم له واستخفا فهم به (فافتح بيني وبينهم فتحا) الفتح الحكم أي احكم بيننا حكما يستحقه كل واحد منا أي أنزل العقوبة والهلاك وهذه حكاية اجالية لدعائه المفصل في سورة نوح (ونجني ومن معي من المؤمنين) وكانوا ثمانين أربعون من الرجال وأربعون من النساء (فأنجيئناهم ومن معه في الفلك المشحون) أي السفينة المدلوة من الناس والحيوان والطير والشحن ملء السفينة بالناس والدواب والمتاع قال ابن عباس المشحون الممتلئ وعنه قال أتدررون ما المشحون قلنا لا قال هو الموقر وعنه أيضا قال هو المشقل (ثم أغرقنا بعد) أي بعد انجائهم (الباقين) من قومه (ان في ذلك لآية) أي علامة وعبرة عظيمة (وما كان أكثرهم مؤمنين) افهم انه لو كان نصفهم مؤمنين لما أخذوا (وان ربك له العزيز) أي القاهر لاعدائه والمتقهم باهانه من جحدوا أصر (الرحيم) بأوليائه والمتمتع باعانه من وحدوا أقر (كذبت عاد المرسلين) أنت الفعل باعتبار اسناده الى القبيلة لان عاد اسم أبيهم الاعلى وكان من نسل سام بن نوح ومعنى تكذيبهم المرسلين مع كونهم لم يكذبوا الا رسولا واحدا قد تقدم وجهه في قصة نوح قريبا (اذ قال لهم أخوهم) نسيبا (هود) وكان تاجرا جميل الصورة يشبه آدم وعاش من العمر اربع مائة وأربع وستين سنة (الآتقون) والكلام فيه كالكلام في قول نوح المتقدم قريبا وكذا في قوله (انني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما سألتكم عليه من أجل ان أجرى الاعلى رب العالمين أتبنون بكل ريع آية) الريع المكان المرتفع من الارض جمع ريعه يقال كم ريع أرضك أي كم ارتفاعها قال أبو عبيدة الريع الارتفاع جمع ريعه وقال قتادة والضحاك والكسبي الريع الطريق وبه قال مقاتل والسدي وابن عباس واطلاق الريع على ما ارتفع من الارض معروف عند أهل اللغة وقيل الريع الجبل واحده ربيعة والجمع أرباع وقال مجاهد هو الفج بين الجبلين وروى عنه انه النسبة الصغرة وروى عنه أيضا انه المنطرة وقيل بروج الحمام وقال ابن الاعرابي الريع الصومعة والريع البرج يكون في الصحراء والريع التل العالي وفي الريع لغتان كسر الراء وفحها والاستفهام للتقريب والتوبيخ ومعنى الآية انكم أتبنون بكل مكان مرتفع بناء (تعبنون) ببنائه وتلعبون بالمارة وتسخرون منهم لانكم تشرفون من ذلك البناء المرتفع على الطريق فتؤذون من يمر بكم وتسخرون منهم وقال

ابن عباس قال العرش لا يقدر قدره أحد في رواية الا الله عز وجل وقال بعض السلف العرش من ياقوتة جبراء الكسبي ولهذا قال ههنا ورب العرش العظيم أي الكبير وقال في آخر السورة رب العرش الكريم أي الحسن البهي فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع والعلو والحسن الباهر ولهذا قال من قال انه من ياقوتة جبراء وقال ابن مسعود ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه وقوله سيقولون لله قل أفلا تتقون أي اذا كنتم تعترفون بانه رب السموات ورب العرش العظيم أفلا يخافون عقابه وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره واشراكم به قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتاب

التفكر والاعتبار خدثنا الحق بن ابراهيم ان عبدا لله بن جعفر أخبرني عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدث عن امرأة كانت في الجاهلية على رأس جبل معها ابن لها يرعى غنما فتألفا لها ابنا ياما أمه من خلقك قالت الله قال فن خلقني قالت الله قال فن خلق السموات قالت الله قال فن خلق الارض قالت الله قال فن خلق الجبل قالت الله قال فن خلق هذه الغنم قالت الله قال فاني أسمع لله شأنا ثم ألقى نفسه من الجبل فتقطع قال ابن عمر كان رسول الله كثيرا ما يحدثنا هذا الحديث قال عبد الله بن دينار كان ابن عمر كثيرا (٢٦) ما يحدثنا به هذا الحديث قلت في اسناده عبد الله بن

جعفر المديني والد الامام علي بن المديني وقد تكلموا فيه فإله أعلم قل من بيده ملكوت كل شيء أي بيده الملك ما من دابة الا هو آخذ بما صيغتها أي متصرف فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا والذي نفسي بيده وكان اذا اجتهد في البيان قال لا ومقلب القلوب فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعملون كانت العرب اذا كان السيد فيهم فاجار أحد الا يجتر في جواره وليس لمن دونه ان يجير عليه ثلاثا يفتات عليه وله هذا قال الله وهو يجير ولا يجار عليه أي وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه الذي له الخلق والامر ولا معقب لحكمه الذي لا يمانع ولا يخالف وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقال الله لا يستل عما يفعل وهم يسئلون أي لا يستل عما يشاء من عظمته وكبريائه وغلبته وقهره وعزته وحكمته وعدله فالخلق كلهم يسئلون عن أعمالهم كما قال تعالى فوريك لئلا تنسأ عنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقوله سيقولون لله أي

الكلي انه عبث العشارين بأموال من يربحهم حكاه الماوردي (وتتخذون مصانع) هي الابنية التي يتخذها الناس منازل قال أبو عبيدة كل بناء مصنعة وبه قال الكلي وغيره وقيل هي الحصون المشيدة قاله مجاهد وغيره وقال الزجاج انهم مصانع الماء التي تجعل تحت الارض واحدها مصنعة ومصنع أي حياض او برك تتجمع فيها الماء فهي من قبيل الصهاريج قال الجوهرى المصنعة بضم النون الحوض يجمع فيه ماء المطر والمصانع الحصون وقال عبد الرزاق المصانع عندنا بالغة العين القصور العالية (لعلكم تتخذون) أي راجين أن تتخذوا في الدنيا انكاركم البعث والتوبيخ حينئذ ظاهرا وعاملا من عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنائها وقيل ان لعل هنا للاستفهام التوبيخي قاله زيد بن علي وبه قال الكوفيون أي هل تتخذون كقولهم لعلك تشتمني أي هل تشتمني وقال الفراء كي تتخذون وبه قرأ عبد الله أي لا تتفكرون في الموت وقيل المعنى كاذبكم باقون تتخذون فاعل معناها التشبيه ولم أر من نص على انها تكون للتشبيه وقرئ تتخذون مختلفا ومشددا وحكى النحاس أن في بعض القراءات كانكم تتخذون وبه قال ابن عباس (واذا بطشتم) بضرب أو قتل (بطشتم جبارين) من غير رافة والبطش السطوة والاخذ بالعنف قال مجاهد وغيره اذا أردتم البطش لئلا يتحد الشرط والجزاء قال الزجاج انما أنكر عليهم ذلك لانه ظلم وأما في الحق فالبطش بالسوط والسيف جائز قال الكرخي اعلم ان اتخاذ الابنية العالية تدل على حب الدنيا واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء والجارية تدل على حب التقرب بالعلو وهذه صناعات الالهية وهي ممسعة الحصول للعباد انتهى ثم لما وصفهم بهذه الاوصاف القبيحة الدالة على الظلم والعتو والقرود والتجبر أمرهم بالتقوى فقال (فاتقوا الله) في ذلك (وأطيعون) فيما أمرتكم به أجل التقوى ثم فصله بقوله (واتقوا الذي أمركم بما تعملون) من أنواع النعم والخير الحاصلة لكم ثم فصل هذا الاجمال بقوله (أمركم بأنعام وبنين) الخ باعادة الفعل لزيادة التقرير والتأكيد لان التفصيل بعد الاجمال والتفسير بعد الابهام أدخل في ذلك (وجنات وعميون) أي بساتين وأنهار وآبار ثم وعظهم وحذرهم فقال (اني أخاف عليكم) ان كنتم وأصررت على ما أنتم فيه ولم تشكروا هذه النعم (عذاب يوم عظيم) أي العذاب الذي لا يفلح الكافرون فأن كفرن النعمة مستتبع للعقاب كما أن شكرها مستتبع لزيادتها (قالوا سوءا علينا) أي مستو

سيعتفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له قل فاني تسعرون أي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعتراضكم وعلمكم بذلك ثم قال تعالى بل آتيناكم بالحق وهو الاعلام بانه لاله الا الله وأقنا الادلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك وانهم لكانيون أي في عبادتهم مع الله غيره ولادليل لهم على ذلك كما قال في آخر السورة ومن يدع مع الله الها آخر لا يبرهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفعل الكافرون فالتشركون لا يفعلون ذلك عن دليل فادهم الى ما هم فيه من الاذق والضلال وانما يفعلون ذلك اتباعا لآبائهم وأسلافهم الجباري الجهال كما قال الله عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آتارهم

مقتدون ( ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا ذهب كل اله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ) ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك والتصرف والعبادة فقال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا ذهب كل اله بما خلق ولعل بعضهم على بعض أي لو قدر تعدد الآلهة لانترد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود والمشاهدان الوجود منتظم متسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم لكان كل منهم ( ٣٠ ) يطلب قهر الآخر وخلافه فيعلو بعضهم على بعض والمتكلمون ذكروا

هذا المعنى وعبروا عنه بدليل القانع وهو انه لو فرض صانعان فصاعدا فأرادوا حد تحريك جسم والآخر أراد سكونه فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين والواجب لا يكون عاجزا ويمتنع اجتماع مراديهما المتضاد وما جاء هذا الحال الامن فرض التعدد فيكون محالافا مان حصل مراد أحدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب والآخر المغلوب ممكلا لانه لا يليق بصفة الواجب ان يكون مقهورا ولهذا قال تعالى ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون أي عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علوا كبيرا عالم الغيب والشهادة أي يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه فتعالى عما يشركون أي تقدس وتنزه وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون ( قل رب اماترى ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على ان نريك ما عندهم لقادرون ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات

عندنا ( أو عظمت أم لم تكن من الواعظين ) أصلا أي وعظك وعدمه سواء عندنا لانبالي بشئ منه ولا نلتفت الى ما تقول ولا نزعوى له والحاصل أنهم أظهر وواقله أكثراتهم بكلامه واستخفافهم عما أورده من المواعظ والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد ولم يقل أم لم تعظ لرؤس الآي وتواخي القوافي وأبدى له الرخصى معنى فقال هو أبلغ في قوله أعتد ادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ وعن الكسائي أو عظت بادغام الظاء في التاء وهو بعيد لان حرف الظاء حرف الطباق انما بدغم فيما يقرب منه جدا وقرأ الباقون باظهار الظاء ( ان هذا ) تعليل لما قبله أي ما هذا الذي جئتنا به ودعوتنا اليه من الدين وقيل المعنى ما هذا الذي نحن عليه ( الاخلاق الاوولين ) أي طبيعتهم وعاداتهم التي كانوا عليها وهذا بناء على ما قاله القراء وغيره ان معنى الخلق العادة قال النحاس الخلق عند القراء العادة وعن محمد بن يزيد خلقهم مذهبهم وما جرى عليه أمرهم والقولان متقاربان وقال مقاتل قالوا ما هذا الذي تدعوننا اليه الا كذب الاولين قال الواحدى هو قول ابن مسعود ومجاهد قال والخلق والاختلاق الكذب ومنه قوله ويخلقون افكا وقرئ خلق بفتح الخاء وسكون اللام وبضمهم ما قال الهروي معناه على الاولى اختلاقهم وكذبهم وعلى الثانية عاداتهم وهذا التفسير لا بد منه قال ابن الاعرابي الخلق الدين والطبع والمرودة وقرأ أبو قلابة بضم الخاء وسكون اللام وهي تحفيف لقراءة الضم لهما والظاهر أن المراد بالآية هو قول من قال ما هذا الذي نحن عليه الاعادة الاولين وفعلمهم ويؤيده قولهم ( وما نحن بمعدين ) على ما نفع من البطش ونحوه مما نحن عليه الآن في الدنيا من الاعمال ولا بعث ولا حساب ( فكذبوه ) أي هودا أي أصروا على تكذيبه ( فأهلكاهم ) في الدنيا بالرجم كما صرح به القرآن في غير هذا الموضع وهي رجم باردة شديدة الصوت لا ماء فيه واسطت عليهم سبع ليال وثمانية أيام وأولها من صبح يوم الاربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في عجز الشتاء ( ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ) تقدم تفسير هذا قريبا في هذه السورة ثم لما فرغ سبحانه من ذكر قصة هود وقومه ذكر قصة صالح وقومه وكانوا يسكنون الحجر فقال ( كذبت عمود المرسلين ) المراد بهم صالح ففي التعبير عنه بالجمع ما تقدم وعود اسم قبيلة سميت باسم أبيها وهو عود جد صالح ولذا قال ( اذ قال لهم أخوهم ) نسبا ( صالح ) لاجتماعهم في الاب

الاعلى يقول تعالى أمر انبيد محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو بهذا الدعاء عند حلول النقم رب اماترى ما يوعدون أي ان عاقبتهم وأنا شاهد لذلك فلا تجعلني فيهم كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد والترمذي وصححه واذا أردت بقوم قصة فتوفني اليك غير مضنون وقوله تعالى وانا على ان نريك ما عندهم لقادرون أي لو شئنا لاريناك ما نحن لبيهم من النقم والبلاء ونحن ثم قال تعالى مرشد اله الى الترياق النافع في مخالطة الناس وهو الاحسان الى من يسئ اليه ليستجلب خاطره فتعود عدائه صدقة وبغضه محبة فقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة وهذا كما قال

في الآية الاخرى ادفع بالتى هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا والايه اى وما يلهم هذه الوصية او هذه الخصلة او الصفة الا الذين صبروا اى على اذى الناس فعاملوهم بالجيل مع اسنادهم اليهم القبيح وما يلقاها الاذو حظ عظيم اى في الدنيا والآخرة وقوله تعالى وقول رب أعوذ بك من همزات الشيطان أمره الله أن يستعين من الشياطين لانهم لا تنفع معهم الخيل ولا ينفادون بالمعروف وقد قدمنا عند الاستعاذة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه (٢١) ونفخه ونفسه وقوله تعالى وأعوذ بك رب أن

يحضرون اى فى شئ من أمرى ولهذا أمر بك الله فى ابتداء الامور وذلك لطرد الشيطان عند الاكل والجماع والذبح وغير ذلك من الامور ولهذا روى أبو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انى أعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من الهدم ومن الغرق وأعوذ بك أن يتخطبنى الشيطان عند الموت وقال الامام أحمد حدثنا يزيد اخبرنا محمد بن اسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من التضرع بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون قال فكان عبد الله بن عمرو يعلمنا من بلغ من ولده ان يقولها عند نومه ومن كان منهم صغيرا لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعملتها فى عنقه ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث محمد بن اسحق وقال الترمذى حسن غريب (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا

الاعلى وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة وبينه وبين هود مائة سنة (الأتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوا وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين) قد تقدم تفسيره فى قصة هود المذكورة قبل هذه القصة (أتتركون فيما ههنا آمنين) الاستفهام للانكار التوبيخى اى لا تظنوا ولا ينبغي لكم أن تعتقدوا انكم تتركون فى الدنيا متقليبين فى هذه النعم التى أعطاكم الله آمنين من الموت والعذاب باقين فى الدنيا ولما أبهم النعم فى هذا فسرهاب قوله (فى جنات وعيون وزروع ونخل) ذكر النخل مع دخوله تحت الجنات لفضله على سائر الاشجار ولان المراد بهما غير من الاشجار وكثيرا ما يذكرون الشئ الواحد بنظير غيره كما يذكرون النعم ولا يقصدون الا ابل وهكذا يذكرون الجنة ولا يريدون الا غير النخل وهو اسم جمع الواحدة نخلة وكل اسم جمع كذلك يؤنث ويذكروا ما الخيل بالياء فؤنثة اتذاقا (طلعهما هضم) الطلع اول ما يطلع من الثمر وبعده يسمى خلا ثم بلع ثم يسرا ثم رطبا ثم تمرا وفى البياض هو ما يطلع منها كمنصل السيف فى جوفه شمسارح القنوانتهى وهذا التشبيه من حيث الهيئة والشكل والهضم هو النضج الرخص اللين اللطيف ومتنهدل متكسر من كثرة الحمل وقيل مالم يخرج من كنفه اذ دخول بعضه فى بعض وحكى الماوردى فى معنى هضم اثنى عشر قولاً أحسنها وأوفقها بال لغة ما ذكرناه وعن ابن عباس قال هضم معشب وعنه قال أبيع وبلغ وعنه قال أرتب واسترخى (وتحتمون بن الجبال بيوتاً فارهين) النحت النبر والبرى نخته ينحته بالكسر براه والحماية البراية والمنحت ما ينحت به وكانوا ينحتون بيوتهم من الجبال لما طالت أعمارهم وتهدم بناؤهم من المدرفان السقف والابنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم وفى الخطيب وكان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة الى ألف سنة وكذا كان قوم هود وقرئ فرهين قال أبو عبيدة وغيره وهما بمعنى واحدوا القره النشاط وشدة الفرح وفرق بينهما أبو عبيدة وغيره فقالوا فارهين حاذقين بنحتها قاله ابن عباس وقيل متجبرين وفرهين بطرين أشهرين وبه قال مجاهد وابن عباس وغيره وقيل نرهين وقال الضحاك كسبين وقال قتادة مجيبين ناعمين آمنين وبه قال الحسن وقيل فرحين قاله الاخفش وقال ابن زيد أقويا (فاتقوا الله وأطيعوا) فيما أمرتكم به (ولا تطيعوا أمر المسرفين) أى المشركين وقيل التسعة الذين عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على

انها كلمة هو قائمها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافر بن أو المنظرين فى أمر الله تعالى وقيلاهم عند ذلك وسواهم الرجعة الى الدنيا المصلحة ما كان أفسده فى مدة حياته ولهذا قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا كما قال تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى أحدكم الموت الى قوله والله خير مما تعملون وقال تعالى وانذر الناس يوم يأتىهم العذاب الى قوله مالا لكم من زوال وقال تعالى يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوكم من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل اننا من شفعا فيشفعوا لنا ونردنفع عمل غير الذى كنا نعمل وقال تعالى ولو ترى اذ اجرموننا كسور رؤسهم عند ربهم مرينا أبصرنا

وسمنا فأرجعنا نعمل صالحا أنا موقنون وقال تعالى ولوترى أذوقوا على النار فقلوا لا يتنازرونا لا تكذب بالآيات ربنا إلى قوله وانهم لكانذوبون وقال تعالى وترى الظالمين لماراوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل وقال تعالى قالوا ربنا أمتنا اثنتان وأحييتنا اثنتين فأعترفنا بنوبنا فهل إلى خروج من سبيل والآية بعدها وقال تعالى وهم يصطرون خون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعممكم ما تبدركم فيه من تذكروا وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة فلا فلا يجابون عند الاحتضار ويوم النشور (٣٢) ووقت العرض على الجبار وحين يعرضون على النار وهم في عمرات

الجزاز الحكمي في النسبة الإيقاعية والمراد الأمر ثم وصف هؤلاء المسرفين بقوله (الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) أي ذلك دأبهم يفسدون النفس في الأرض ولا يصدر منهم الصلاح بطاعة الله البتة (قالوا انما أنت من المسكرين) أي الذين أصيبوا بالسكر قاله مجاهد وقتادة وقيل المسكر هو المخلل بالطعام والشراب قاله الكشي وغيره فيكون المسكر الذي له سحر وهو الرثة فكانهم قالوا انما أنت بشر مثلنا تأكل وتشرى قال الفراء أي أنك تأكل الطعام والشراب وتسكر به قال المؤرج المسكر المخلوق بلغه ربيعة قال ابن عباس مسكرين مخلوقين (ما أنت إلا بشر مثلنا) فكيف تدعى أنك رسول إلينا (فأتت بآية أن كنت من الصادقين) في قولك ودعواك (قال) صالح (هذه ناقة) أشار إليها بعدما أخرجها الله من الحضرة بدعائه كما أقر حوها قال أبو موسى الأشعري رأيت مبركها فإذا هو ستون ذراعا في ستين ذراعا ثم وصاهم صالح بأمرين الأول (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) أي لها نصيب من الماء ولكم نصيب منه معلوم ليس لكم أن تشربوا في اليوم الذي هو نصيبها ولا هي تشرب في اليوم الذي هو نصيبكم وهذا دليل على جواز المهياة قال الفراء الشرب الحظ من الماء قال النحاس فأما المصدر فيقال فيه شرب شربا وشربا وأكثرها المضموم والشرب بفتح الشين جمع شارب والمراد هنا الشرب بالكسر وبه قرأ الجمهور وفيه ما قرئ بالضم فيه ما والأمر الثاني (ولا تسوها بسوء) أي بعقر أو ضرب أو شئ مما يسوءها وجواب النهي (فياخذكم عذاب يوم عظيم) لخلول العذاب فيه ووصف اليوم به بأبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد (فمقرورا) يوم الثلاثاء أي عقرها قدار وضرب بالسيف في ساقها وكان ابن زناقصيراد يمازركم راضون به فأضيف إليهم (فأصبحوا نادمين) على عقرها لما عرفوا أن العذاب نازل وذلك أنه أنظرهم ثلاثا فظهرت عليهم العلامة في كل يوم وندموا حيث لا ينفع الندم لأن ذلك لا يجدي عند معاناة العذاب وظهور آثاره ولو أن مجرد الندم ليس نوبة (فأخذهم العذاب) الذي وعدهم به يوم السبت وهو أنهم في اليوم الأول أي الأربعاء قد اصفرت وجوههم ثم اجرت في الخميس ثم اسودت في الجمعة وفي قول مقاتل أنه خرج في أبتانهم خراج مثل الحصى فكان في اليوم الأول أجر ثم صار من الغدا أصفر ثم صار في الثالث اسود وكان عقر الناقة يوم الأربعاء وهلاكهم يوم الأحد انفتحت فيه تلك الخراجات

عذاب الجحيم وقوله ههنا كلا انها كلمة هو قائلها كلا حرف ردع وزجر أي لا تجيبه إلى ما طلب ولا تقبل منه وقوله تعالى انها كلمة هو قائلها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أي لا بد أن يقولها الاحتمال كل محض ظالم ويحتمل ان يكون ذلك علة لقوله كلا أي لانها كلمة أي سؤاله الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه وقول لا عمل معه ولورد لما عمل صالحا وكان يكذب في مقابلة هذه كما قال تعالى ولوردوا العادوا لما نهوا عنه وانهم لكانذوبون قال قتادة والله ما تنفى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولا بان يجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تنفى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عز وجل فرحم الله أمره عمل فيما يتناه الكافر اذا رأى العذاب إلى النار وقال محمد ابن كعب القرظي حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعني أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها وقال عمر بن عبد الله مولى غفيرة اذا قال الكافر رب ارجعون لعني أعمل صالحا يقول الله تعالى كلا

كذبت وقال قتادة في قوله تعالى حتى اذا جاء أحدكم الموت قال كان العلاء بن زياد يقول لي نزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره وصاح الموت فاستقال ربه فاقاله ليعمل بطاعة الله تعالى وقال قتادة والله ما تنفى إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله فانظر وأمنية الكافر المنقرط فاعملوا بها ولا قوة إلا بالله وعن محمد بن كعب القرظي نحوه وقال محمد بن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا فضيل يعني ابن عياض عن لث عن طلحة بن مصرف عن أبي حازم عن أبي هريرة قال اذا وضع يعني الكافر في قبره فبصر مقعده من النار قال فيقول رب ارجعون أتوب وأعمل صالحا قال فيقال قد عمرت ما كنت معمرا قال فيضيق عليه قبره ويلتمم فوهو كالمهوش ينام ويفزع

تهوى اليه هوام الارض وحياتهم وعقاربها وقال أيضا حدثنا أي - حدثنا عمر بن علي - حدثني سلمة بن تمام - حدثنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ويل لاهل المعاصي من أهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سودا ودهم حية عند رأسه وحمية عند رجله يقمصانه حتى يلتصقا في وسطه فذلك العذاب الذي قال الله تعالى ومن وراءهم برزخ الى يوم يبعثون وقال أبو صالح وغيره في قوله تعالى ومن وراءهم برزخ - بمعنى أممهم - وقال مجاهد - البرزخ الحاجز ما بين الدنيا والآخرة وقال محمد بن كعب البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ليس وواع (٣٣) أهل الدنيا باكلون ويشربون ولا مع أهل

الآخرة يجازون باعمالهم وقال أبو بصير البرزخ المقابر لا هم في الدنيا ولا هم في الآخرة فهم مقيمون الى يوم يبعثون وفي قوله تعالى ومن وراءهم برزخ تهديد لهؤلاء المحتضرين من الطلبة بعذاب البرزخ كما قال تعالى من وراءهم جهنم وقال تعالى ومن وراءه عذاب غليظ وتوله تعالى الى يوم يبعثون أي يستمر به العذاب الى يوم البعث كما جاء في الحديث فلا يزال معدبا فيها اي في الارض (فإذا انفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأرائك هم المثلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ترفع وجوههم النار وهم فيها كالحون) يخبر تعالى انه اذا انفخ في الصور تنفخ الذنور وقام الناس من القبور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون أي لا تنفع الانساب يومئذ ولا يرثي والد لولده ولا يلوي عليه قال الله تعالى ولا يسأل حيم حيم بصروهم أي لا يسأل الترييب عن قريبه وهو يبصره ولو كان عليه من الاوزار

وصاح عليهم جهنم بل صيحة فأتوا بالامر من وكان ذلك ضحوة وقد تقدم تفسير قوله (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) وفيه ايما بانه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وان قرىشا انما عصه وامن مثله ببركة من آمن منهم (وان ربك لهو العزيز الرحيم) تقدم تفسيرها أيضا في هذه السورة (كذبت قوم لوط المرسلين) ذكر سبحانه القصة السادسة من قصص الانبياء مع قومهم وهى قصة لوط وقد تقدم تفسير قوله (اذ قال لهم أخوهم لوط) أي في البلد والسكنى والتجاور في القرية لاني الدين ولا في النسب لانه ابن أخي ابراهيم وهما من بلاد المشرق من أرض بابل (الاتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون) أي أتسكعون (الذكران) جمع الذكر ضد الانثى وهم بنو آدم وكل حيوان (من العالمين) أي من الناس وقد كانوا يفعلون ذلك يا غريبا على ما تقدم في الاعراف (وتذرون) تتركون (ما خلق) أي أصلح وأحل وأباح (لكم ربكم) لاجل استماتةكم به (من أزواجكم) المراد بهن جنس الاناث وقال مجاهد تركتم اقبال النساء الى اذار الرجال وأذار النساء وعن عكرمة نحوه وفيه دليل على تحريم اذار الزوجات والمملوكات قال النسفي ومن أجازه فقد أخطأ خطأ عظيما (بل أنتم قوم عادون) أي مجاوزون للحد في جميع المعاصي ومن جملته هذه المعصية التي تركت بونها من الذكران (قالوا ان لم تنه يالوط) عن الانكار علينا وتقيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من بلدنا المنفقين عنها واعلمهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال (قال اني لعليكم) وهو ما أنتم فيه من اتيان الذكران (من القابض) أي من المبغضين له والقلي البغض الشديد كأنه يقلى الفؤاد يقال قليتة اقلية قلى وقلاء وفيه دليل على عظم المعصية لان قلاءه من حيث الدين ثم رغب عليه السلام عن محاورتهم وطلب من الله عز وجل ان ينحبه فقال (رب نجني وأهلي مما يعاملون) أي من عملهم الخبيث أو من عقوبته التي ستصيبهم فأجاب الله سبحانه دعاه فقال (فنجينا وأهله) أي أهل بيته ومن تابعه على دينه (أجمعين الا عجوزا) هي امرأت لوط وكانت راضية به بذلك والراضى بالمعصية في حكم العاصي واستنماء الكافرة من الاهل وهم مؤمنون للاشتهار في هذا الاسم وان لم تشاركهم في الايمان (في الغابرين) أي من الباقيين في العذاب وقال

(c - فتح البيان سابع) ما قد أنقل ظهره وهو أعز الناس عليه كان في الدنيا ما انتفت اليه ولا لجل عنه وزن جناح بعوضة قال الله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأبيه وصاحبته وبنيه الآية وقال ابن مسعود اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى مناد الا من كان له مظلة فليجيء ياخذ حقه قال فينفرح المرء ان يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وان كان صغيرا ومصدق ذلك في كتاب الله قال الله تعالى فاذا انفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون رواه ابن أبي حاتم وقال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن عبد الله بن رافع عن

المسور هو ابن مخزومة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها وينشطني ما ينشطها وان الانساب تنقطع يوم القيامة الانسبي وسبي وصهرى وهذا الحديث له أصل في الصحيحين عن المسور بن مخزومة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني يربني ما رابها ويؤذي ما آذاها وقال الامام أحمد حدثنا ابو عامر حدثنا زهير عن عبد الله بن محمد عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على هذا المنبر ما بال رجال يقولون ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٤) لانفع قومه بل والله ان رحمتي موصولة في الدنيا والآخرة وانى أيها

أبو عبيدة من الباقيين في الهرم أي بقيت حتى هربت قال النحاس يقال للذاهب عابر وللباقي غابر والاعراب بقية الالبان وتقول العرب ماضي وما غبر أي مابقي قال قتادة هي امرأة لوط غبرت في عذاب الله (ثم دمرنا الآخرين) أي أهل كذاهم بالخسف والحصب ويقلب قراهم عليهم وجعل عليهم عالها سا فلها (وأمطرنا عليهم) أي على من كان منهم ذلك الوقت خارج القرى لسفراً وغيره (مطرا) يعني الحجارة وقيل الكبريت والنار (فساء مطر المنذرين) الخصوص بالذم محذوف والتقدير مطرهم ولم يرد بهم وما باعيا منهم بل جنس الكافرين وقد تقدم تفسير قوله (ان في ذلك الاية وما كان أكثرهم مؤمناً وان ربك لهو العزيز الرحيم) في هذه السورة (كذب أصحاب الائمة المرسلين) الائمة الشجر المتف وهي الغيضة وقرئ لائمة بلام واحدة وفتح التاء جعلوه اسما غير معروف بال مضافا اليه أصحاب وائمة اسم للقرية وأما كرهه الزمخشري وهو غير جيد وقيل هما بمعنى واحد اسم للغيضة قال القرطبي فاما ما حكاه أبو عبيد من ان ائمة اسم القرية التي كانوا فيها وان الائمة اسم البلدة فشيء لم يثبت ولم يعرف من قاله ولو عرف لكان فيه نظر لان أهل العلم جمعوا على خلافه قال أبو علي الفارسي الائمة تعرف بائمة فاذا حذف الهمزة كتحقيقا أقيمت حركتها على اللام قال الخليل الائمة الغيضة تبت السدر والاراك ونحوهما من ناعم الشجر قال مجاهد لائمة هي الائمة وقد وقع لفظ الائمة في القرآن أربع مرات في الحروف ق وما هنا وفي ص والاولان بال والجر والآخر ان يقرآن بال وبالجر ويجذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وفتح الهاء مع ان الكل مجرورات باضافة لفظ أصحاب اليها وقال ابن عباس كانوا أصحاب غيضة من ساحل البحر الى مدين (اذ قال لهم شعيب الأتقون) ولم يقل أخوهم كما قال في الانبياء قبله لانه لم يكن من أصحاب الائمة في النسب فلما ذكر مدين قال أخاهم شعيبا لانه كان منهم وقد مضى تحقيق نسبة في الاعراف وبعث الله شعيبا الى ائمتين أصحاب الائمة وأهل مدين فأهلك الله أصحاب الائمة بالظلمة وأما أهل مدين فصاح بهم جبريل صيحة فهلكوا أجمعين (اي لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين) وانما كانت دعوة هؤلاء الانبياء فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لانها فهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الاجر على تبليغ الرسالة (أو فوا الكليل) أي

الناس فرظلكم اذا جئتم قال رجل يا رسول الله أنا فلان بن فلان فأقول لهم أما النسب فقد عرفت ولكنكم أمحدثتم بعدى وارتدتم القهقري وقد ذكرنا في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من طرق متعددة عنه رضي الله عنه انما تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال أما والله ما بي الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب فانه منقطع يوم القيامة الانسبي ونسبي رواه الطبراني والبراز والهيثم بن كليب والبيهقي والحافظ الضياء في الختارة وذكر انه أصله اربعين ألفا اعظما واو كرما رضي الله عنه فقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق أبي القاسم بن البغوي حدثنا سليمان بن عمر بن الاقطع حدثنا ابراهيم بن عبد السلام عن ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد بن جعفر سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة الانسبي وصهرى وروى

فيها من طريق عمار بن سيف عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو مرفوعا سألت ربي عز وجل ان لا أتزوج اتوه الى أحد من أمتي ولا يتزوج الى أحد منهم الا كان معي في الجنة فاعطاني ذلك ومن حديث عمار بن سيف عن اسمعيل عن عبد الله بن ابن وقوله تعالى فن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون أي من رحمت حسناته على سيئاته ولو بو واحدة قاله ابن عباس فأولئك هم المفلحون أي الذين فازوا فنجوا من النار وادخلوا الجنة وقال ابن عباس أولئك الذين فازوا بما طلبوا ونجوا من شر ما نهى ربوا ومن خفت موازينه أي ثقلت سيئاته على حسناته فأولئك الذين خسروا أنفسهم أي خابوا



وهلكوا وفازوا بالصفة الخاسرة قال الخافظ أبو بكر البرزاري حدثنا اسمعيل بن الحرث حدثنا داود بن المغيرة حدثنا صالح المري عن ثابت البناني وجعفر بن زيد ومنصور بن زاذان عن أنس بن مالك يرفعه قال ان الله ملكا موكلا بالميزان فيؤتى بادن آدم فيوقف بين كفتي الميزان فان ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمعه الخلائق سعد فلان سعادة لا يشق بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمعه الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا السادة ضعيف فان داود بن المغيرة ضعيف متروك ولهذا قال تعالى في جهنم خالدون أي ما كانوا في جهنم فلا يظعنون تلفح وجوههم (٣٥) النار كما قال تعالى وتغشى وجوههم النار وقال تعالى لويل للذين كفروا حين

لا يكونون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فريرة بن أبي المغيرة حدثنا محمد بن سليمان الأصماني عن ابي سنان فرار بن مرة عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جهنم لما سبق لها أظلمة ألقاهم ليهبها ثم تلغحهم لئحة فليبق لهم لحم الاستط على العرقوب وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى القزاز حدثنا الخضر بن عدي بن يونس القبطان حدثنا عمرو بن أبي الحرث ابن الخضر القبطان حدثنا سعيد بن سعيد المقبري عن أخيه عن أبيه عن أبي الذرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى تلفح وجوههم النار قال تلفحهم لئحة تسيل لحمهم على أعتابهم وقوله تعالى وهم فيها كالخون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني عابسون وقال الثوري عن ابي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود وهم فيها كالخون قال لم تر الى الرأس المشيط الذي قد بدا

أتمو لمن أرادته وعامل به (ولا تكونوا من الخسرين) أي الناقصين للكيل والوزن يقال أخسرت الكيل والوزن أي نقصته ومنه قوله تعالى وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون قال النسفي الكيل واف وهو مأثور به وطفيف وهو منهي عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتركه دليل على أنه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعل فلا شيء عليه ثم زاد سبحانه في البيان فقال (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أي أعطوا الحق بالميزان السوي وقدم بيان تفسيره ذاتي سورة سبحان وقرئ القسطاس مضموم القاف ومكسور هاء وهي الميزان أو القبان فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلان والافه وربياعي (ولا تجسوا الناس أشياءهم) الجسس النقص يقال جسس جسة إذا نقصه أي لا تنتصوا واحقو قههم التي لهم وهذا تعميم بعد التخصيص وقيل دراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافها وقد تقدم تفسيره في سورة هود وتقدم أيضا تفسير (ولا تعثوا في الأرض منسدين) فيها وفي غيرها أي لا تبالغوا فيها بالفساد نحو قذاع الطريق والغارة واهلاك الزرع وكلوا يفعلون ذلك فنهوا عنه يقال عثا في الأرض إذا أفسد وبابه وما وعى بالكسر وعى بفتحهم يوزن فتى قال الأزهرى القراء كلهم متفقون على فتح الراء وقد دل على ان القرآن نزل باللغة الثانية وفي القاموس عنى كسبه ورحى ورضى (واتقوا) الله (الذي خلقكم) أي من نطفة واعداءكم أهون شيء عليه وأشار الى ضعفهم وقوته من كان قبلهم بقوله (والجبل الأولين) الذين أهلكوا بالمعاصي كقوم لوط كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة قرئ الجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرئ بضمهما وتشديد اللام وقرئ بفتح الجيم مع سكون الباء والجبل الخلقة قاله مجاهد وغيره يعني الامم المتقدمة يقال جبل فلان على كذا أي خلق قال الخاس الخلق يقال له جبل بكسر الحرفين الأولين وضمهما مع تشديد اللام فيها وضم الجيم وسكون الباء وضمه وفتحها قال الهروي الجبله والجبله والجبله والجات وهو الجمع والعدد الكثيرين من الناس ومنه قوله تعالى جبلا كثيرا أي خلقا كثيرا (قالوا انما آتت من المسكرين) أي من الخلقين (وما أنت الا بشر مثلنا) ادخل الواو ضمنا فيسند معنيين كلاهما ماناف للرسالة عندهم التسخير والبشرية يعني ان كلامهم ما كلف فكيف اذا اجتمعوا وترك الواو في قصة عمود ليقيد معنى واحدا وهو كونه مسكرا وقد تقدم تفسيره في هذه السورة (وان تظنك لمن الكاذبين) فيما تدعيه علينا من الرسالة

استانه وقلصت شفنتاه وقال الامام أحمد رحمه الله أخبرنا علي بن اسحاق أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك رحمه الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالخون قال تشوبه النار فقلص شنته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفنته السفلى حتى تبلغ سرتة ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك به وقال حسن غريب (لم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكافوا ماضلين ربنا أخرجنامنهم فان عدنا فانا ظالمون) هذا تقرير من الله وتوبيخ لاهل النار على ما ارتكبوه من الكفر والمآثم والمخارم والعظائم التي أوبقتهم في ذلك

فقال تعالى ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون اى قد ارسلت اليكم الرسل وانزلت اليكم الكتب وانزلت اليكم ولم يبق  
 انكم حجة كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال وما من امة من امة عذبنا حتى نبعث رسولا وقال تعالى كلما  
 القى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير الى قوله فصحقا لاصحاب السعير ولهذا قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكافوا قومنا الى اى  
 قد قامت علينا الحجة ولكن كما اشق من ان تقادلهوا وتبعها فضلا عنها ولم تنزل قها ثم قالوا ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اى  
 ارددنا الى الدنيا فان عدنا الى ما سلف منا (٣٦) فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة كما قال فاعترفوا بذنوبنا فهمل الى خروج

من سبيل الى قوله فالحككم الله  
 العلى الكبير اى لا سبيل الى  
 الخروج لانكم كنتم تشركون بالله  
 اذا وحده المؤمنون قال اخسئوا  
 فيها ولا تكلمون انه كان فريق من  
 عبادى يقولون ربنا آمننا فاغفر  
 لنا وارحمنا وانت خير الراحمين  
 فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم  
 ذكرى وكنتم منهم تفسحون اى  
 جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم  
 الفائزون هذا جواب من الله  
 تعالى للكتار اذا سألوا الخروج من  
 النار والرجعة الى هذه الدار  
 يقول اخسئوا فيها اى امكثوا فيها  
 صاغرين مهانين اذلاء ولا تكلمون  
 اى لا تعودوا الى سؤالكم هذا  
 فانه لا جواب لكم عندى قال  
 العوفى عن ابن عباس اخسئوا فيها  
 ولا تكلمون قال هذا قول الرحمن  
 حين انقطع كلامهم منه وقال  
 ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبدة  
 ابن سليمان الروزى حدثنا عبد  
 الله بن المبارك عن سعيد بن ابي  
 عروبة عن قتادة عن ابي اديب عن  
 عبد الله بن عمرو قال ان اهل جهنم  
 يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين  
 عاما ثم يرد عليهم انكم ما كثون

وقيل ما نطق الامن الكاذبين والاول اولى (فاسقط علينا كسفا) كان شعيب عليه  
 السلام يتوعدهم بالعذاب ان لم يؤمنوا فقالوا له هذا القول تعنتا واستبعادا وتجبنا قال  
 ابو عبيد الكسف جمع كسفة مثل سدروسدة قال الجوهري الكسفة القطعة من  
 الشئ يقال اعطنى كسفة من ثوبك والجمع كسف وكسف وقد مضى تحقيق هذا فى سورة  
 سبحان (من السماء) اى السحاب أو الظلة (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (قال  
 ربي اعلم بما نعلمون) من الشرك والمعاصى فهو مجاز يكتم على ذلك ان شاء وفى هذا تمديد  
 شديد (فكذبوه) فاستمر واعلى تكذيبه وادسروا على ذلك (فاخذهم عذاب يوم الظلة) هى  
 السحاب أقامها الله فوق رؤسهم فامطرت عليهم نارافها كوا وقد أصابهم الله بما  
 اقترحوه لانهم ان ارادوا بان الكسف القطعة من السحاب فقطا روا ان ارادوا بهم القطعة  
 من السماء فقد نزل عليهم العذاب من جهتها قال ابن عباس ارسل الله اليهم بمومامن  
 جهنم فاطاف بهم سبعة ايام حتى انضجهم الحرقميت بيوتهم وغلت مياههم فى الابار  
 والعيون فخرجوا من منازلهم ومخيمهم هاربين والسحوم معهم فسلط الله عليهم الشمس من  
 فوق رؤسهم فغشيتهم حتى ثققلت فيهم اجاجهم وسلط الله عليهم الرضاء من تحت  
 أرجلهم حتى تساقطت ارجلهم ثم نشأت لهم ظلة كالسحابة السوداء فلما رأوها  
 انسدروها به تغشون بظلمها حتى اذا كانوا جميعا طبقت عليهم فلهلكوا ونوح الله شعيبا  
 والذين آمنوا معه وعنه أيضا سئل عن قوله فأخذهم عذاب الى آخره فقال فخرجوا  
 من البيوت هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فظلمتهم من الشمس فوجدوا الهابردا  
 ولذة فنادى بعضهم لبعض حتى اذا اجتمعوا تحتها أسقط الله عليهم نارا فذلت عذاب يوم  
 الظلة وعنه قال من حدث من العلماء عذاب يوم الظلة فكذبه أقول فانتقل له لرضى  
 الله عنه فبما حدثنا به من ذلك مما نقلناه عنه ههنا وقد رواه عنه عبد بن حميد وابن جرير  
 وابن المنذر وابن ابي حاتم وغيرهم ويمكن ان يقال انه لما كان هو البحر الذى علمه الله تأويل  
 كما به دعوة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كان مختصا بعرفة هذا الحديث دون غيره من أهل  
 العلم فن حدث بجديت عذاب يوم الظلة على وجه غير هذا الوجه الذى حدثنا به فقد وصانا  
 بتكذيبه لانه قد علم ولم يعلم غيره والله أعلم وأضاف العذاب الى يوم الظلة لا الى الظلة  
 تنبها على أن لهم فى ذلك اليوم عذابا غير عذاب يوم الظلة (١) كذا قيل ثم وصف سبحانه

قال هات دعوتهم والله على مالك ورب مالك ثم يدعون ربهم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكافوا ما ضلنا ربنا هذا  
 اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فوالله ما ينس  
 القوم بعد كلمة واحدة وما هو الا الزفير والشهيق فى نار جهنم قال فشبها أصواتهم بأصوات الجبرأولها زفير وآخرها شهيق وقال  
 ابن ابي حاتم أيضا حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل حدثنا أبو الزعراء قال قال  
 عبد الله بن مسعود ان اراد الله تعالى ان لا يخرج منهم أحدا يعنى من جهنم غير وجوههم وألوانهم فيجى الرجل من المؤمنين فيشبع  
 (١) قوله غير عذاب يوم الظلة كذا بالاصل الذى بايدينا وانظره اه صححه

فيقول يارب فيقول الله من عرف احدا فليخرجه فيجيء الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف احدا فيناديه الرجل يا فلان ان انا فلان  
 فيقول ما عرفك قال فعند ذلك يقولون في النار ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ناطم المون فعند ذلك يقول الله تعالى اخسءوا فيها  
 ولا تكلمون فاذا قال ذلك اطبقت عليهم النار فلا يخرج منهم احد ثم قال تعالى مذكر الهم بنوهم في الدنيا وما كانوا يستهزؤن بعباده  
 المؤمنين واوليائه فقال تعالى انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمننا فاعذرنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتوه هم مخزريا  
 أي فسخرتهم منهم في دعائهم اياي ونصرتهم الي حتى انسوكم ذكري (٣٧) أي جعلكم في غضبهم على ان نسيتهم معاملي

وكنتم منهم تضحكون أي من  
 ضحكهم وعبادتهم كما قال تعالى ان  
 الذين أخرجوا كلوا من الذين  
 آمنوا يضحكون واذا مروا بهم  
 يتغامضون أي يلزونهم استهزاء ثم  
 اخبر تعالى عما جازى به اوليائه وعباده  
 الصالحين فقال تعالى اني جزيتهم  
 اليوم بما صبروا أي على اذآكم لهم  
 واستهزآكم بهم انهم هم الفائزون  
 أي جعلتهم هم الفائزين بالسعادة  
 والسلامة والجنة والنجاة من النار  
 (قال كم لبثتم في الارض عدد سنين  
 قالوا البتة ياوما أو بعض يوم فاسأل  
 العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو  
 انكم كنتم تعلمون احسبتم انما  
 خلقناكم عبثا وانكم الينا  
 لاترجعون فتعالى الله الملك الحق  
 لا اله الا هو رب العرش الكريم)  
 يقول تعالى منها لهم على ما أضعوه  
 في عمرهم القصير في الدنيا من  
 طاعة الله تعالى وعبادته وحده ولو  
 صبروا في مدة الدنيا القصيرة لنادوا  
 كما فازوا واوليائه المتقون قال كم لبثتم  
 في الارض عدد سنين أي كم كانت  
 اقامتكم في الدنيا قالوا البتة ياوما  
 أو بعض يوم فاسأل العادين أي

هذا العذاب الذي أصابهم بقوله (انه كان عذاب يوم عظيم) لما فيه من الشدة عليهم  
 التي لا يتقار قدها وقد تقدمت في قوله (ان في ذلك لآية وما كان آية لهم  
 مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) في هذه السورة مسبوقة في فلان في هذه وقد تقدم  
 الكلام على هذه القصص في سورة الاعراف وعودنا في عن الاعادة هنا وفي هذا التكرير  
 لهذه الكلمات في آخر هذه القصص السبع من التهديد والزجر والتقريع والتأكيدها  
 يخني على من يفهم واقع الكلام ويعرف أساليبه وقال النسفي قد كرر في هذه السورة في  
 أول كل قصة وآخرها ما كرر تقرير المعانيها في الصدور وليكون أبلغ في الوعظ والزجر  
 ولان كل قصة منها كتبريل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غير ما فكانت جدرة  
 بان تفتح عما افتتحت به صاحبها وان تختم بما اختتمت به (رأه) الضمير يرجع الى ما نزل  
 عليه من الاخبار أي وان هذه الاخبار أو وان القرآن وان لم يجزله ذكر كالعالم به وبه قال  
 قتادة (لتزبل رب العالمين) أي فليس يشعر ولا يحس ولا أساطير ولا غير ذلك مما قالوه فيه  
 (نزل) قرأ تخفقا ومشدا (به الروح الامين) هو جبريل كفي قوله قل من كان عدوا  
 لجبريل فانه نزل على قلبك وبه قال قتادة وابن عباس وعنه مرفوعا قال الروح الامين  
 جبريل رأيت له ستمائة جناح من اولوقد نشرها في امثل ريش الطواويس أخرجه  
 أبو الشيخ وسماه روحا لانه خلق من الروح وسماه أمينا لانه مؤتمن على وحيه لانبيائه  
 (على قلبك) أي انه تلاه على قلبك حتى تعيه وتفهمه ولا تنساها ووجه تخصيص القلب  
 انه اول مدرك من الحواس الباطنة قال الكرخي خصه بالذكر لانه لو كان ذلك المنزل  
 محفوظ والرسول ممكن من قلبه لا يجوز عليه التغيير ولان القلب هو الخاطب في الحقيقة  
 لانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل عليه القرآن  
 والحديث والمعقول اما القرآن فتدوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب والحديث  
 قوله صلى الله عليه وآله وسلم ألوان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا  
 فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب أخرجاه في الصحيحين واما المعقول فان القلب  
 اذا غشي عليه وقطع سائر الاعضاء لم يحصل له شعور واذا افاق القلب شعر بجميع ما ينزل  
 بالاعضاء من الافات وسبارة الخازن ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم  
 والحزن هو القلب فاذا فرح القلب أو حزن يتغير حال سائر الاعضاء فكان القلب

الحاسين قال ان لبثتم الا قليلا أي مدة يسيرة على كل تقدير ولو انكم كنتم تعلمون اي لما آثرتم الفاني على الباقي ولما تدبرتم لانفسكم  
 هذا التصرف السيئ ولا استحققتهم من الله بخطه في تلك المدة اليسيرة فلوا انكم صبرتم على طاعة الله وعبادته كما فعل المؤمنون لنزتم  
 كما فازوا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يونس حدثنا الوليد حدثنا صفوان عن أبي يعين عن عبد الكلاعي انه سمعه يحطب  
 الناس فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال يا أهل الجنة كم لبثتم في الارض  
 عدد سنين قالوا البتة ياوما أو بعض يوم قال لهم ما تجرت في يوم أو بعض يوم رحتي ورضواني وحتي امكنوا فيها الذين مخلدين ثم

قال يا اهل النار كم لبنتم في الارض عددهن من قالوا البنتا يوم ما أو بعض يوم فيقول بئس ما التجرتن في يوم أو بعض يوم نارى وسخطى  
 امكنوا فيها خالدين مخلدين وقوله تعالى افسدتم انما خلقناكم عبثا بلا قصد ولا ارادة منكم ولا  
 حكمة لنا وقيل للعبث أى لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لأثواب لها ولا عقاب وانما خلقناكم للعبادة واقامة أو امر الله عز  
 وجل وانكم الينا لا ترجعون أى لا تعودون فى الدار الآخرة كما قال تعالى أى محسب الانسان أن يترك سدى يعنى هملا وقوله  
 فتعالى الله الملك الحق أى تقديس أن يخلق (٣٨) شيأ عبثا فانه الملك الحق المنزه عن ذلك لاله الا هو رب العرش الكريم

فذكر العرش لانه سقى جميع  
 المخلوقات ووصفه بأنه كريم أى  
 حسن المنظر بهى الشكل كما قال  
 تعالى وأبنتنا فيها من كل زوج  
 كريم قال ابن ابي حاتم حدثنا على  
 ابن الحسين حدثنا على بن محمد  
 الطنافسى حدثنا اسحق بن سليمان  
 شيخ من أهل العراق أن أبانا شبيب  
 ابن صفوان عن رجل من آل سعيد  
 ابن العاص قال كان آخر خطبة  
 خطبها عمر بن عبدالعزيز أن حمد  
 الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها  
 الناس انكم ان تخلقوا عبثا ولن  
 تتركوا سدى وان لكم معادا ينزل  
 الله فيه للحكم بينكم والفصل  
 بينكم فخاب وخسر وشقى عبد  
 أخرجه الله من رحمة وحرم جنة  
 عرضها السموات والارض ألم  
 تعلموا انه لا يأمن عذاب الله غدا  
 الا من حذر هذا اليوم وخافه وباع  
 نافذ اياق وقليلابكثير وخوفابامان  
 أما ترون أنكم فى أسلاب الهالكين  
 وستكون بعدكم للباقيين حتى  
 تردون الى خير الوارثين ثم انكم  
 فى كل يوم تشيعون غاديا وراثجا الى  
 الله عز وجل قد قضى فحبه وانقضى  
 أجله حتى تغيبوه فى صدع من

كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا ثبت ذلك  
 كان القلب هو الامير المطلق وهو المكاف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم  
 انتهى (أتكون من المنذرين) علة لانزال أى أنزلته عليك لتنذرهم بما تضمنه من  
 التحذيرات والاندارات والعقوبات (بلسان عربي مبين) أى لتسكون من المنذرين  
 الذين اندر واهب هذا اللسان وهم هود وشعيب وصالح واسماعيل عليهم الصلاة والسلام  
 أو متعلق بنزل أى أنزله بلسان عربي لتنذره وقال أبو البقاء بلسان عربي أى برسالة أو لغة  
 وقال أبو السعد وباللغة العربية وانما جعل الله سبحانه القرآن عربيا بلسان الرسول  
 العربي لئلا يقول مشركو العرب لو نزل بالاجمى لسنا نفهم ما تقول به غير لساننا فقطع  
 بذلك حججهم وأزاح عاتمهم ودفع معذرتهم قال ابن عباس أى بلسان قرأش ولو كان غير  
 عربي ما فهموه وعن بريرة قال بلسان جرهم (وانه) أى ان هذا القرآن باعتبار احكامه  
 التى أوجعت عليها الشرائع أوزكره وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لأنى  
 زيرا الاولين) من الانبياء كالتوراة والانجيل والزبر المكتب الواحد زبور وقد تقدم  
 الكلام على تفسير مثل هذا وقيل المراد بكون القرآن فيها انه مذكور فيها هو نفسه  
 لا ما شمل عليه من الاحكام وفيه دليل على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية  
 كالفارسية وغيرها والاول أولى وقد قيل ان الصحيح من مذهب ابي حنيفة ان القرآن  
 هو النظم والمعنى معا قاله الشهاب (أولم يكن لهم آية) الهمة لانكار والواو له عطف  
 على مقدر كما تقدم مرارا والآية العلامة والدلالة أى ألم تكن لهؤلاء أى الكفار مكة  
 علامة لله على ان القرآن حق وانه تنزيل رب العالمين وانه فى زبر الاولين (أن يعلمه علموا بنى  
 اسرائيل) على العموم أو من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأسد واسيد ونعلبة وابن يامين  
 فهؤلاء الخمسة من علماء اليهود وقد حسن اسلامهم فانهم يخبرون بذلك وانما صارت شهادة  
 أهل الكتاب حجة على المشركين لانهم كانوا يرجعون اليهم ويصدقونهم قال الزجاج المعنى  
 أولم يكن لهم علم علم بنى اسرائيل ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم نبى حق علامة ودلالة  
 على نبوته لان العلماء الذين آمنوا من بنى اسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكروه فى كتبهم  
 وكذا قال الفراء عن ابن عباس قال كان عبد الله بن سلام من علماء بنى اسرائيل وكان من  
 خيارهم فآمن بكتاب محمد فقال لهم الله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علموا بنى اسرائيل

الارض فى بطن صدع غير ممدود ولا موسد قد فارق الاحباب وباشر التراب وواجه الحساب مرتين بعملة غنى (ولو  
 عمخلف فقير الى ما قدم فاتقوا الله عباد الله قبل انقضاء موآثيقه ونزول الموت بكم ثم رفع طرف درأته على وجهه وبكى وأبكى  
 من حوله وقال ابن ابي حاتم حدثنا يحيى بن نصر الخولانى حدثنا ابن وهب أخير بنى ابن لهيعة عن أبى عميرة عن حسن بن عبد الله  
 ان رجلا صابا مر به على عبد الله بن مسعود فقرأ فى اذنه هذه الآية افسدتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى  
 الله الملك الحق حتى ختم السورة فبرأ فذ كر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بماذا قرأت

في اذنه فاخبره فقال له اني اذا قرئت في اذنه حرقته ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موثقا قرأها على جبل لزال وروى ابو نعيم من طريق خالد بن زرار عن سديمان بن عبيدة عن محمد بن المنكدر عن محمد بن ابراهيم بن الحرث عن ابيه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وأمرنا ان نقول اذا نحن أمسينا وأصبحنا أنفسنا انما خلقناكم عبثا وانكم اليها ترجعون قال فقروا ناهنا فغضبنا وساننا وقال ابن ابي حاتم أيضا حدثنا اسحق بن وهب العلاف الواسطي حدثنا ابو المسيب سالم بن سلام حدثنا بكر بن حميش عن نهشل بن سعيد عن الضحاك بن (٣٩) مزاحم عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لم أمان أمتي من الغرق اذ اركبوا السفينة بسم الله الملك الحق وما قدره الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يقبل الكافرون وتل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) يقول تعالى متوعدا من اشرك به غيره وعبد معه سواه ومخبر ان من اشرك بالله لا برهان له أي لا دليل له على قوله فقال تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وهذه جملة معتضة وجواب الشرط في قوله فانما حسابه عند ربه أي الله يحاسبه على ذلك ثم أخبر ان لا يقبل الكافرون أي لذي يوم القيامة لا فلاح لهم ولا نجاته قال قتادة ذكرنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل ما تعبد قال أعبد الله وكذا وكذا حتى عند أضنا ما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإيهم اذا أصابك شرف دعوته كشفته عنك قال الله عز وجل

(ولو زلناهم) أي هذا القرآن على الصفة التي هو عليها (على بعض) رجل من (الاجميين) جمع أجمي قاله صاحب التحرير أجمع أجم قاله ابن عطية يقال رجل أجم وأجمي اذا كان غير فصيح اللسان وان كان عربيا ورجل أجمي اذا كان أصله من العجم وان كان فصيحاً الا ان الفراء أجاز ان يقال رجل أجمي بمعنى قرئ على بعض الاجميين على الاصل وقال الرخصي الأجم الذي لا يتصنع وفي لسانه عجمة أو استعجاب والاجمى مثله الا ان فيه زيادة بالنسب فكيدا (فقرأه عليهم) قراءة صحيحة (ما كانوا بمؤمنين) انفق من اتباعه مع انضمام اعجاز القراءة من الرجل الأجمي للكلام العربي أي القرآن أو المعنى أن الأجمي لا يتهم باكتسابه أصلا ولا باختراعه لفقده التصاحف فيه ولو كونه ليس لغته وقيل المعنى ولو زلناهم على بعض الاجميين بلغة العجم فقرأه عليهم بلغته لم يؤمنوا به وقالوا ما ننفقه هذا ولا نفهمه ومثله هذا قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا أجميا لقالوا لولا فصلت آياته وهذه الشرطية لانه لم يزل الوقوع (كذلك) أي مثل ذلك السلك (سلكه) أي أدخلنا القرآن (في قلوب الجرمين) أي كفار مكة بقراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى فهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانهم مجز وقال الحسن وغيره سلك الشرك والتكذيب في قلوب الجرمين وقال عكرمة سلك القسوة والاول أولى لان السياق في القرآن وفيه حجة على المعتزلة في خلق افعال العباد خيرها وشراها (لا يؤمنون به) أي بالقرآن (حتى يروا العذاب الاليم) أي الى هذه الغاية وهي مشاهدتهم للعذاب الاليم والمراد معاناة الموت عند الموت ويكون ذلك ايمان يأس فلا ينفعهم والجملة مستأنفة أو حالية (فيأتيهم) أي العذاب (بغتة) أي فجأة والفاء للترتيب الربني دون الزماني كما في الكشف والمعنى حتى يروا العذاب فاهوا أشد من رؤيته وهو لحوقه بهم مفاجأة فاهوا أشد منه وهو سوء اللهم الا نظر مع التقطع بامتناعه كما يأتي (وهم) أي والحال انهم (لا يشعرون) باتيانهم وقرأ الحسن فمأتيهم بالوقفية أي الساعة وان لم يتقدم لها ذلك لانه قد دل العذاب عليها فبرونه (فيقولوا هل نحن منظرون) أي مؤخرون ومهلون عن الهلاك ولو طرفة عين لنؤمن قالوا هذا تحسر على ما فات من الايمان وطمأنينة الحال وهو امها اللهم بعد مجي العذاب وتعدا للرجعة الى الدنيا لاستدراك ما فرط منهم فيقال لهم لا تاخير ولا امهال وقيل المراد بقولهم هذا الاستعجال للعذاب على طريقة الاستهزاء لقوله (أفبعذا يناسيتم مجلون)

قال قيا يحملك على ان تعبدوا لاء بعد ما حسب ان تغلب عليه قال أردت شكره بعبادة هؤلاء معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلمون ولا يعلمون فقال الرجل بعد ما سلم نقيت رجلا خصه في هذا امر سل من هذا الوجه وقدرى أبو عيسى الترمذي في جامعه مسندا عن عمران بن الحصين عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ذلك وقوله تعالى وتل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين هذا ارشاد من الله تعالى الى هذا الدعاء فالغفر اذا اطلق معناه محو الذنب وستره عن الناس والرحمة معناها ان يسدده ويوفقه في الاقوال والافعال آخر تفسير سورة المؤمنون \* (تفسير سورة النور وهي مدينة)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهم ما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) يقول تعالى هذه سورة انزلناها فتمت عليه تنبيهه على الاعتناء بها ولا ينفي ما عداها وفرضناها قال مجاهد وقتادة اي بينا الحلال والحرام والامر والنهي والحدود وقال البخاري ومن قرأ فرضناها يقول فرضناها عليكم وعلى من بعدكم وانزلنا فيها آيات بينات اي مفسرات واضحات لعلكم تذكرون (٤٠) ثم قال تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة يعني هذه

ولا يخفى ما في هذا من البعد والمخافة للمعنى الظاهر فان معنى هل نحن منظرين طلب النظر والامهال وما قوله افعذابنا الخ فالمراد به الرد عليهم والانتكار لما وقع منهم من قولهم اطرف عينا سجارتنا من السماء واتقنا بعذاب انبياءهم وقولهم فانتما جاعلنا حدنا حيث استجبوا ما فيه ضررهم وحتف انفسهم والفاء للمطف على مقدر يقتضيه المقام اي يكون عليهم كذا كره عند نزول العذاب فيستعملون به وبينهما من التناهي ما لا يخفى على احد او يغفلون عن ذلك مع تحفته وتقرره فيستعملون وتقديم الظرف لرعاية التواضع (أقرايت) الاستفهام للانكار والفاء للعطف على مقدر يناسب المقام ومعنى رأيت اخبرني والخطاب لكل من يصلح له (ان متعناهم سنين) في الدنيا امتطاوله وطولنا لهم الاعمار (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب والهلاك (ما أغنى عنهم ما كانوا يتمتعون) اي اي شئ او اي اغناء أغنى عنهم ككوتهم تمتع ذلك التمتع الطويل المديد والاستفهام للانكار التقريري وما في ما كانوا مصدرية أو وصولية وقيل ما الاولى نافية والثانية مصدرية اي لم يغنى عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتحسينه وقرئ يتمتعون من اتع الله زيدا بكذا وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمي لقاؤه فقال له عظمي فلم يرده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يقرؤها عند جلوسه للعلم (وما أهلككم من قرية الا هلكوا من قبل ان يرسل الله الملكا) اي اي شئ او اي اغناء أغنى عنهم ككوتهم تمتع ذلك التمتع الطويل المديد واليهم وانزال الكتب (ذكري) بمعنى تذكرة أي تذكرة كرى قال النحاس وهذا قول صحيح لان معنى الانهائم منذرون الانهائم كرون أو التقدير انذارنا ذكري أو ذلك ذكري قال ابن الانباري هي ذكري أو تذكرة هم ذكري وقيل يذرونهم ذوى تذكرة ولاجل التذكرة وبه سرح أبو البقاء أي تذرونهم لاجل تذكرةهم بالعواقب وقد رجح الاخفش انها خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية (وما كنا ظالمين) في تعذيبهم ونيس من شأننا الظلم وقد قدمنا الحجة اليهم وأنذرناهم وأعدنا اليهم (وما تنزلت به) أي بالقرآن (الشياطين) وقرئ بالواو والنون اجراء له مجرى جمع السلامة قال النحاس وهذا غلط عند جميع النحويين قال المبرد وهذا غلط من العلماء وبه قال الثراء وقال المؤرج ان كان الشيطان من شاط يشيط كان لهذه القراءة وجه وقال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلنا

الآية الكريمة في احكام الزاني في الحد وللعلماء فيه تفصيل ونزاع فان الزاني لا يخلو اما ان يكون بكرا وهو الذي لم يتزوج او محصنا وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل فاما اذا كان بكرا لم يتزوج فان حده مائة جلدة كافي الآفة ويزاد على ذلك ان يغرب عاما عن بلده عند جهور العلماء خلافا لابي حنيفة رحمه الله فان عنده ان تغرب الى راي الامام ان شاء غرب وان شاء لم يغرب وحجة الجمهور في ذلك ما ثبت في الصحاحين من رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابي هريرة وزيد بن خالد الجهني في الاعرابيين اللذين اشيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما يا رسول الله ان ابني هذا كان عسيفيا يعني اجيرا على هذا فزنا به امراته فافتديت ابني منه بمائة شاة ووليدة فسألت اهل العلم فاخبروني ان علي ابني جلدة مائة وتغريب عام وان علي امراته هذا الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسي بيده

لا قضين بينكم بكتاب الله تعالى الواليدة وانتم ردعناك وعلى ابنت مائة جلدة وتغريب عام واغديا نيس لرجل من اسلم الى امراته فان اعترفت فارجهما فعدا عليها فاعترفت فرجهما في هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلدة مائة اذا كان بكرا لم يتزوج فاما اذا كان محصنا وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل فانه يرحم كما قال الامام مالك حدثني ابن شهاب اخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان ابن عباس اخبره ان عمر قام فمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم باحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأها ووعيناها ورحم

بساتين

رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجنا بعده فأخشى ان يطول بالناس زمان ان يقول قائل لا نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا  
 بتلفريضة قد أنزلها الله فالرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو الحبل أو الاعتراف  
 أخرجه في الصحيحين من حديث مالك مطولا وهذا قطعة منه فيما مقصودنا ههنا وروى الامام أحمد عن هشيم عن الزهري عن  
 عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس حدثني عبد الرحمن بن عوف ان عمر بن الخطاب خطب الناس فسمعته يقول ألا وان أنا سا  
 يقولون ما الرجم في كتاب الله وانما فيه الجلد وقد رجم رسول الله صلى الله (٤١) عليه وسلم ورجنا بعده ولو لان يقول

قائل أو يتكلم منكم ان عمر زاد في  
 كتاب الله ما ليس منه لا ثبتها كالتزات  
 وأخرجه النسائي من حديث  
 عبد الله بن عبد الله وقدرى  
 الامام أحمد أيضا عن هشيم عن علي  
 ابن زيد عن يوسف بن مهران عن  
 ابن عباس قال خطب عمر بن  
 الخطاب رضى الله عنه فذكر الرجم  
 فقال انما لا نجد من الرجم بدافاته  
 حدى من حدى الله تعالى الا وان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قد  
 رجم ورجنا بعده ولو لان يقول  
 قائلون ان عمر زاد في كتاب الله ما ليس  
 فيه لكتب في ناحية من المحصف  
 وشهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن  
 ابن عوف وفلان وفلان ان رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم قد رجم  
 ورجنا بعده الا انه سيبكون قوم  
 من بعدكم يكذبون بالرجم  
 وبالشفاعة وبعباد القبر ويقوم  
 يخرجون من النار بعدما امتحشوا  
 وروى أحمد أيضا عن يحيى القطان  
 عن يحيى الانصارى عن سعيد بن  
 المسيب عن عمر بن الخطاب اباكم  
 أن تهلكوا عن آية الرجم الحديث  
 رواه الترمذى من حديث سعيد

بساتين من ورا ثم يسألون وهذاردلما زعمه الكفرة في القرآن ان من قبيل ما تلقى به  
 الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين فلا يكون سحرا  
 أو كهانة أو شعرا أو أضغاث أحلام كما يقولون (وما ينبغي لهم) ذلك وما يصح منهم ولا  
 يصلح ان ينزلوا به (وما يستطيعون) مانسبه الكفار اليهم أصلا ولا يمكنهم (انهم عن السمع)  
 للقرآن أو الكلام الملائكة (لعزولون) أى المحجوبون مرجومون بالشبه ثم لما قرر الله  
 سبحانه حقيقة القرآن وانه منزل من عنده أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بدعاء الله وحده  
 فقال (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) ان فعلت ذلك الذى دعوك انيه  
 وخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا مع كونه منزها عنه معصوما منه تحت العباد  
 على التوحيد ونهيمهم عن شوائب الشرك وكأنه قال أنت أكرم الخلق على وأعزهم عندي  
 ولو اتخذت معي الها العذبت فكيف يغيرك من العباد قال في حاشية الجمل الخطاب له  
 والمقصود غيره (وأندر عشرتك الاقربين) خصمهم لان الاهتمام بشأنهم أولى وهدايتهم  
 الى الحق أقدم قيل هم قريش وقيل بنو عبد مناف وقيل بنو هاشم وقد ثبت في البخارى  
 ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله  
 وسلم قريشا وعم وخص فقال يا معشر قريش أنفذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم  
 ضرا ولا نفعا يا معشر بنى كعب بن اوى أنفذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم ضرا  
 ولا نفعا يا معشر بنى قصي أنفذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم ضرا ولا نفعا  
 يا معشر بنى عبد مناف أنفذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم ضرا ولا نفعا يا معشر  
 بنى عبد المطلب أنفذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم ضرا ولا نفعا يا فاطمة بنت  
 محمد أنفذى نفسك من النار فاني لأملك لك ضرا ولا نفعا إلا ان لكم رجسا وسابها  
 يبلاها وفي الباب أحاديث من طريق جماعة من الصحابة فذلك منه صلى الله عليه وآله  
 وسلم بيان للعشيرة الاقرب بين وانداه لهم جهارا (واخفض جناحك) أى جانبك يقال  
 خفض جناحه اذا ألانه وفيه استعارة حسنة والمعنى ان جناحك وتواضع (لمن اتبعك  
 من المؤمنين) الموحدين من عشيرتك وغيرهم وأظهر لهم المحبة والكرامة وتجاوز عنهم  
 (فان عصوك) أى حالنوا أمرك ولم يتبعوك (فقل) لهم (انى برى مما تعملون) أى من  
 عملكم أو من الذى تعملونه من عبادة غير الله وهذا يدل على أن المراد بالمؤمنين المشارفون

(٦ - فتح البيان سابع) عن عمرو قال صحيح وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا عبد الله بن عمر القوارىرى حدثنا  
 يزيد بن زريع حدثنا ابن عوف عن محمد بن سيرين قال ابن عمر ثبت عن كثير بن الصلت قال كنا عند مروان وفيما نزيد فقال زيد  
 ابن ثابت كنا نقرأ الشيخ والشيخة اذ نينا فارجوهما البتة قال مروان ألا كتبتم فى المحصف قال ذكرنا ذلك وفيما عمر بن الخطاب  
 فقال أنا أشفيكم من ذلك قال قلنا فكيف قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فذكر كذا وكذا وذكروا الرجم فأنه فذكر  
 ذلك الرجل الرجم فقال يا رسول الله اكتب آية الرجم قال لا أستطيع الا أن هذا أو نحو ذلك وقد روى النسائي من حديث محمد

ابن المشي عن غندر عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن كثير بن الصلت عن زيد بن ثابت بدو هذه طرق كلها متعددة متعاضدة  
 ودالة على ان آية الرجم كانت مكتوبة ففسخ تلاوتها وبقي حكمها مع مولاه والله أعلم وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم  
 هذه المرأة وهي زوجة الرجل الذي استأجر الاجير لما زنت مع الاجير ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عزاوا انعامه وبه وكل هؤلاء  
 لم ينتقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جلدهم قبل الرجم وانما وردت الاحاديث الصحيحة المتعاضدة المتعددة الطرق والالفاظ  
 بالاقصا على رجمهم وليس فيها ذكر الجلد (٤٢) ولهذا كان مذهب جمهور العلماء واليه ذهب ابو حنيفة ومالك والشافعي

للايمان المصدقون بالانسان لان المؤمنين الخالص لا يعذونه ولا يحالفونه ثم بين له ما يعتمد  
 عليه عند عصيانهم له فقال (ويؤكل على العزيز الرحيم) أي ففرض جميع أمورك اليه  
 فانه القادر على قهر الاعداء وهو الرحيم للاولياء قري فتوكل بانفائك والواو وهم اقراءتان  
 سبع عتات فعلى الاول يكون ما بعدها كالجزء مما قبلها مترابطة عليه وعلى الثانية يكون  
 ما بعد الواو معطوفا على ما قبلها عطفا على جملة من غير ترتيب (الذي يراد به حين  
 تقوم) الى الصلاة وحده منفردا في قول أكثر المفسرين وقال مجاهد حين تقوم حينما  
 كنت (وتقبل في الساجدين) المسلمين أي ويراد ان صليت في الجماعة كما وقامما  
 وساجدا كذا قال أكثر المفسرين وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة رجهما الله هل تجب  
 الصلاة بالجماعة في القرآن قال لا يحضرني فتلا له هذه الآية وقيل يراد في أصلاب  
 الرجال الموحدين من نبي الى نبي من لدن آدم وحواء الى عبد الله وامنه حتى أخرجك في  
 هذه الامة فجميع أصوله رجالا ونساء مؤمنون وأورد على هذا آراء ابوابهم فانه كافر  
 بمقتضى الآيات وأجاب بعضهم بأنه كان عم ابراهيم لأباه وفيه ضعف بين وأجاب بعضهم  
 ان قولهم رسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخلهم الشرك محله مادام النور المحمدي  
 في الذكر وفي الاثر فاذا اتقل منه لمن بعده أمكن ان يعبد غير الله وأزماع عبد الاصنام  
 الابدان تتقال النور منه لابراهيم وأما قبل اتقاله فلم يعبد غير الله قاله الحنفياوى وقيل  
 المراد بتقوم قيامه الى التهجيد والتقلب تردده في تفحص أحوال المجتهدين في العبادة  
 وتقلب بصره فيهم كذا قال مجاهد قال ابن عباس تقبلت أي قيامك وركوعك وسجودك  
 وعنه قال يراد وأنت مع الساجدين تقوم وتقعدهم عنهم وعنه قال كان النبي صلى الله  
 عليه وآله وسلم اذا قام الى الصلاة يرى من خلفه كإيرى من بين يديه ومنه الحديث في  
 الصحيحين وغيره ما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل ترون  
 قبلي ههنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم والى لا أراكم من وراء ظهري (انه  
 هو السميع) لما تقوله (العليم) به ثم أ كد سبحانه معنى قوله وما تنزل به الشياطين وبينه  
 فقال (هل أتيتكم) يا كفار مكة (على من تنزل الشياطين) أي تنزل خلف احدى  
 التامين وفيه بيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (تنزل  
 على كل أفك أنيم) الأفك الكثير الافك والاثيم كثير الاثم والمراد به كل من كان كاذبا

رجهما الله وذهب الامام أحمد  
 رجه الله الى انه يجب ان يجمع على  
 الزانى المحسن بين الجلد للآية  
 والرجم للسنة كما روى عن أمير  
 المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله  
 عنه انه لما أتى بسراحة وكانت قد  
 زنت وهي محصنة جلدتها يوم  
 الخميس ورجها يوم الجمعة فقال  
 جلدتها بكتاب الله ورجها بسنة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وقد روى الامام أحمد وأهل السنن  
 الاربعة وسلم من حديث قتادة  
 عن الحسن بن عطاء بن عبد الله  
 الرقائبي عن عبادة بن الصامت  
 قال قال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل  
 الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد  
 مائة وتعزيب عام والشيبة بالثيب  
 جلد مائة والرجم وقوله تعالى  
 ولا تأخذكم بهم مارأفة في دين الله  
 أي في حكم الله أي لا ترأفوا بهم ما في  
 شرع الله وليس المنهي عنه الرأفة  
 الظاهرية على ترك الحد وانما هي  
 الرأفة التي تحمل الحاكم على ترك  
 الحد فلا يجوز ذلك قال مجاهد  
 ولا تأخذكم بهم مارأفة في دين الله

قال إقامة الحدود انما رفعت الى السلطان فتقام ولا تعطل وكذا روى عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح فان  
 وقد جاء في الحديث تعافوا الحدود وفيها بينكم فما بلغت من حد فقد وجب وفي الحديث الآخر الحد يقام في الارض خير لاهلها  
 من أن يظروا أربعين صباحا وقيل المراد ولا تأخذكم بهم مارأفة في دين الله فلا تعفوا الحد كما ينبغي من شدة الضرب الزاجر عن  
 المأثم وليس المراد الضرب المبرح قال عامر الشعبي ولا تأخذكم بهم مارأفة في دين الله قال رجعة في شدة الضرب وقال عطاء ضرب  
 ليس بالمبرح وقال سعيد بن أبي عمرو بن عيسى عن حماد بن أبي سليمان بجلد القاذف وعليه ثيابه والزاني تخلع ثيابه ثم تلا ولا تأخذكم



بهم أرفق في دين الله فقلت هذا في الحكم والحكم والجلد يعني في إقامة الحد وفي شدة الضرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أن جارية لابن عمر زنت فضرب رجلها قال نافع أراه قال وظهرها قال قلت ولا تأخذكم به ما أرفق في دين الله قال يا بني ورأيتني أخذتني به أرفق أن الله لم يأمرني أن أقتلها ولا أن أجعل جلد عا في رأسها وقد أرجعت حين ضربت أو قوله تعالى ن كتمت تؤمنون بالله واليوم الآخر أي فافعلوا ذلك واتموا الحد ودعوا من زنى وشددوا عليه الضرب ولكن ليس (٤٢) مبرحاً يرتدع هو ومن يصنع مثله بذلك وقد جاء

في المسند عن بعض الصحابة أنه قال يا رسول الله اني لأذبح الشاة وأنا أرجحها فقال ولك في ذلك أجر وقوله تعالى وإشهاد عذابهم ما طائفة من المؤمنين هذا فيه تنكيل للزانية إذا جلدت بجزرة الناس فان ذلك يكون أبلغ في زجرهما والتجريح في ردعه. إنا في ذلك نقر بما وثق بهما وفيه نصيحة إذا كان الناس حضوراً قال الحسن البصري في قوله وليشهد عذابهم ما طائفة من المؤمنين يعني علانية ثم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وإشهاد عذابهم ما طائفة من المؤمنين الطائفة الرجل ففوقه وقال مجاهد العلانية الرجل الواحد في الألف وكذا قال عكرمة ولهذا قال أحدان الطائفة تصدق علي واحد وقال عطاء بن أبي رباح إنسان وبه قال إسحاق بن راهويه وكذا قال سعد بن جبيرة طائفة من المؤمنين قال الطائفة أربعة نفر فصاعداً وقال الزهري ثلاثة نفر فصاعداً وقال عبد الله بن وهب عن الإمام مالك في قوله وليشهد عذابهم ما طائفة من المؤمنين قال الطائفة أربعة نفر فصاعداً لأنه لا يكفي

فان الشياطين كانت تسترق السمع ثم يأتون اليهم فيملقونه اليهم مثل مسيلمة من المشركين وكسطيح من الكهنة وهو معنى قوله (يلقون السمع) أي ما يسعون به مما يسترقونه فالمعنى حال كون الشياطين يلقين السمع أي ما يسعون به من الملا الأعلى إلى الكهان ويجوز أن يكون المعنى ان الشياطين يلقون السمع أي يصغون إلى الملا الأعلى ليسترقوا منهم شيئاً ويكون المراد بالسمع على الوجه الأول المسموع وعلى الوجه الثاني نفس حاسة السمع ويجوز أن تكون جملة يلقون السمع راجعة إلى كل أفاك أثيم على أنها صفة أو مستأنفة ومعنى الالتقاء أنهم يسعون ما تلقوه اليهم الشياطين من الكلمات التي تصدق الواحدة منها وتكذب المائة الكلمة ويلقونهم إلى عوام الخلق أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت سألت أناس النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكهان قال انهم ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله انهم يحدثون أحيا نابشاً يكون حقاً قال تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني فتمتد في أذن ولبه فيضادون فيها أكثر من مائة كذبة وفي لفظ للبخاري فيزيدون معها مائة كذبة (و) جملة (أكثرهم كاذبون) راجعة إلى كل أفاك أثيم أي وأكثر هؤلاء الكهنة كاذبون فيما يلقونه من الشياطين لانهم يسهون إلى ما يسعون به كثير من أ كاذبهم المختلفة أو أكثرهم كاذبون فيما يلقونه من السمع أي المسموع من الشياطين إلى الناس وهذه الجملة راجعة إلى الشياطين أي وأكثر الشياطين كاذبون فيما يلقونه إلى الكهنة مما يسعون به فانهم يسهون إلى ذلك من عند أنفسهم كثير من الكذب وكان هذا قبل ان حجت الشياطين عن السماء وقد قيل كيف يصح على الوجه الأول وصف الأفاكين بأن أكثرهم كاذبون بعدما وصفوا جميعاً بالأفك وأجيب بأن المراد بالأفاك الذي يكذب الكذب الذي لا ينطق إلا بالكذب فالمراد بقوله وأكثرهم كاذبون الذين من يصدق منهم فيما يحكي عن الشياطين والغرض الذي سبق لأجله هذا الكلام ردهما كان يزعمه المشركون من كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جملة من يلقي إليه الشيطان السمع من الكهنة بيان ان الأغلب على الكهنة الكذب ولم يظهر من أحوال محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا الصدق فكيف يكون كاذباً كما زعموا ثم ان هؤلاء الكهنة يعظمون الشياطين وهذا النبي المرسل من عند الله برسالته إلى الناس يذمهم ويلعنهم ويأمر بالتعود عنهم ثم لما كان قد قال قائل من المشركين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم شاعر

شهدا في الزنا الأربعة شهداء فصاعداً وبه قال الشافعي وقال أربعة خمسة وقال الحسن البصري عشرة وقال قتادة أمر الله أن يشهد عذابهم ما طائفة من المؤمنين أي نفر من المسلمين ليكون ذلك موعظة وعبرة ونكالا وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا بقية قال سمعت نصر بن علقمة يقول في قوله تعالى وليشهد عذابهم ما طائفة من المؤمنين قال ليس ذلك للفضيحة إنما ذلك لدعى الله تعالى لهم بالتوبة والرحمة (الزاني لا ينكح الأزانية أو مشركه والزانية لا ينكحها إلا الزان أو مشركه وحرم ذلك على المؤمنين) هذا خبر من الله تعالى بان الزاني لا يبطأ الأزانية أو مشركه أي لا يبطأه على مراده من الزنا

الازانية عاصية أو مشرك لا ترى حرمته ذلك وكذلك الزانية لا ينكحها الازان أى عاص بزناه أو مشرك لا يعتقد تحريمه قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما الزاني لا ينكح الازانية أو مشرك قال ليس هذا بالنكاح انما هو الجماع لا يرضى به الازان أو مشرك وهذا السناده عنه صحيح وقد روى عنه من غير وجه أيضا وقد روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وعروة بن الزبير والضحاك ومكحول ومقاتل بن حيان وغير واحد نحو ذلك وقوله تعالى وحرم ذلك على المؤمن أي تعاطيه والتزويج بالبغايا (٤٤) أو تزويج العنقات بالرجال النجباء وقال أبو داود الطيالسي

حدثنا قيس عن أبي حصين عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وحرم ذلك على المؤمنين قال حرم الله الزنا على المؤمنين وقال قتادة ومقاتل بن حيان حرم الله على المؤمنين نكاح البغايا وتقدم في ذلك فقال وحرم ذلك على المؤمنين وهذه الآية كقوله تعالى محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخذان وقوله محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخذان الآية ومن ههنا ذهب الامام أحمد ابن حنبل رحمه الله الى انه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي مادامت كذلك حتى تستتاب فان تاب صح العقد عليها والافلا وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة لقوله تعالى وحرم ذلك على المؤمنين وقال الامام أحمد حدثنا عمار حدثنا معمر بن سليمان قال قال أبي حدثنا الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رجلا من المسلمين استأذن رسول الله صلى

بين سبحانه حال الشعراء ومنافاة ما هم عليه لما عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (والشعراء يتبعهم) مشددا ومخففا أي يجارهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم (الغاوون) أي الضالون عن الحق والشعراء جمع شاعر والغاوون جمع غاو وهم ضلال الجن والانس قاله ابن عباس وقيل الزائلون عن الحق وقيل المشركون وقيل الشياطين وقيل الذين يروون الشعر المشتمل على الهجاء وما لا يجوز وقيل المراد شعراء الكفار خاصة منهم عبد الله بن الزبير السهمي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي وسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمعي وأمية بن أبي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر عرو واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يروون عنهم قولهم فذلك قوله تعالى هذا قال الزجاج اذا مدح أو هجا شاعر بما لا يكون وأحب ذلك قوم وتابعوه فيه فهم الغاوون والمعنى لا يتبعهم على كذبهم وباطلهم وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والطعن في الاحساب ومدح من لا يستحق المدح وذم من لا يستحق الذم ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاوون عن ابن عباس قال تهاجى رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين وكان مع كل واحد منهم ما اغواه من قومه وهم السفهاء فأنزل الله هذه الآية ثم بين سبحانه قبائح شعراء الباطل فقال (ألتم تر أنهم في كل واديهيون) تقرير لما قبله والخطاب لكل من تنأى منه الرواية يقال هاهم بهم ههنا وههنا اذا ذهب على وجهه والهيام أن يذهب على وجهه من عشق وغيره وهو تمثيل كافي للكشاف والمعنى ألتم تر أنهم في كل فن من فنون الكذب يخوضون وفي كل شعب من شعاب الزور يتكاهون فتارة يزفون الاعراض بالهجاء وتارة يأتون من الجحون بكل ما يعبه السمع ويستعجه العقل وتارة يخوضون في بحر السفاهة والوقاحة ويزمون الحق ويمدحون الباطل ويرغبون في فعل المحرمات ويدعون الناس الى فعل المنكرات كما سمعنا في أشعارهم من مدح النجس والزنا واللواط ونحو هذه الرذائل الملعونة كيف وأكثر مقدماتهم خيالات لاحقية لها وأغلب كلماتهم في التشبيب بالحرام والغزل والابتهار والقدح في الانساب والطعن في الاحساب والوعد الكاذب والافتخار بالباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه قاله البيضاوي وغيره وهذا من باب الاستعارة البليغة

الله عليه وسلم في امرأه يقال لها أم مهزول كانت مسافحة وتسترطه ان تدفق عليه قال فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ذكره أمرها قال فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الزاني لا ينكح الازانية أو مشرك والزانية لا ينكحها الازان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين وقال النسائي أخبرنا عمرو بن عدي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو قال كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت مسافحة فأراد رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها فأنزل الله عز وجل الزاني لا ينكح الازانية أو مشرك والزانية لا ينكحها

الازان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال الترمذي حدثنا عبد الله بن حنبل حدثنا روح بن عبادة عن عبيد الله بن الاخنس  
أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان رجلا يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي  
بهم المدينة قال وكانت امرأة تسمى بمكة يقال لها عناق وكانت صديقه له وأنه واعد رجلا من أسارى مكة يحمله قال فبغت حتى  
انتهت الى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة قال فجاءت عناق فأبصرت سواد ظل تحت الحائط فلما انتهت الى عرفتني  
فقال مرثد فقلت مرثد فقلت مرحبا وأهلا علم فبت عندنا الليلة (٤٥) قال فقلت يا عناق حرم الله الزنا فقالت يا أهل

القيام هذا الرجل يحمل أسراكم  
قال فتبعني ثمانية فسلكت  
الخدق فانتهيت الى غار أو كهف  
فدخلت فيه فجأوا حتى قاموا على  
رأسى فبالوا فظل بولهم على رأسى  
فاعاهاهم الله عنى قال ثم رجعوا  
فرجعت الى صاحبى وجمته وكان  
رجلا ثقيلاً حتى انتهت الى الأذخر  
ففسكت عنه أجيال ففعلت أحله  
وبعيتنى حتى أتيت به المدينة فأبى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت  
يا رسول الله أنكح عناقاً أنكح عناقاً  
مرتين فأمسك رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فلم يرد عنى شيئاً حتى نزلت  
الزانية لا ينكح الأزانية أو مشركة  
والزانية لا ينكحها الأزان أو مشرك  
وحرم ذلك على المؤمنين فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يا مرثد الزانى لا ينكح الأزانية أو  
مشركة فلا تنكحها ثم قال الترمذي  
هذا حديث حسن غريب لا نعرفه  
الامن هذا الوجه وقد رواه أبو داود  
والنسائي فى كتاب النكاح من سننهم ما  
من حديث عبيد الله بن الاخنس  
به وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى  
حدثنا مسدد أبو الحسن حدثنا

والتمثيل الرائع شبه جولا نهم فى أفانين القول بطريق المدح والذم والتشبيب وأنواع الشعر  
بهم الهائم فى كل وجه وطريق والهائم هو الذى يخطب فى طريقه ولا يقصد موضعاً معيناً  
والهائم العاشق والهيمان العطشان والهيام داء يأخذ الأبل من العطش وجعل أهيم  
وناقة هيما والجمع فيهما هميم قال تعالى فشاربون شرب الهيم قال ابن عباس فى الآية فى  
كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل انهم يمدحون الشئ  
ثم يمدونه لا يطلبون الحق والصدق فالوادي مثل الفنون الكلام وطرقه والغوص فى  
المعاني والقوافى ثم قال سبحانه (وأنتهم يقولون ما لا يفعلون) أى يقولون فعلنا وفعلنا وهم  
كذبة فى ذلك أبخأهم البسه الذى سلكوه فقد يمدحون بكلامهم على الكرم والخير  
ولا يفعلونه وقد ينسبون الى أنفسهم من أفعال الشر ما لا يقدررون على فعله كما تجده فى  
كثير من أشعارهم من الدعاوى الكاذبة والزور الخالص المتضمن لتذوق المحسنات  
وأنتهم فعلوا بهن كذا وكذا وذلك كذب محض وافتراء بحت ثم استثنى سبحانه الشعراء  
المؤمنين الصالحين الذين أغلب أحوالهم تحرى الحق والصدق وكانوا يجيبون شعراء  
الكفار ويهجون ويناقضون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فقال (الا الذين  
آمنوا وعملوا الصالحات) أى دخلوا فى حزب المؤمنين وعملوا بأعمالهم الصالحات  
(وذكروا الله كثيراً) فى أشعارهم ولم يشغلهم الشعر عن ذكر الله كما بن رواحة وحسان بن  
ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير رضى الله تعالى عنهم عن عروة قال لما نزلت  
والشعراء الى قوله ما لا يفعلون قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله قد علم الله أنى منهم  
فانزل الله الا الذين آمنوا الى قوله يتقلمون وروى نحوه هذا من طرق (واتصروا من  
بعدهما ظالموا) كمن يهجمونهم من هجاء أو ينتصروا لهم أو يفاضل كما كان يقع من شعراء  
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانهم كانوا يهجون من يهجمونه ويحدهون عنه ويدعون عن  
عرضه ويكافون شعراء المشركين ويناقضونهم ويدخل فى هذا من انتصرت به عدو لاهل  
السنة وكافح أهل البدع وزيف ما يقول شعراؤهم من مدح بدعتهم وهجو السنة المطهرة  
كما يقع ذلك كثيراً من شعراء الرافضة ونحوهم فان الانتصار للعق بالشعر وتزييف الباطل  
به من أعظم الجاهدة وغايله من الجاهدين فى سبيل الله المنتصرين لدين الله القائم بما  
أمر الله بالقيام به واعلم ان الشعر فى نفسه ينقسم الى أقسام فقد يبلغ ما لا خير فيه

عبد الوارث عن حبيب المعلم حدثنى عمرو بن شعيب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم لا ينكح الزانى المجلود الا مثله وهكذا أخرجه أبو داود فى سننه عن مسدد وأبى معمر عن عبد الله بن عمرو وكلاهما عن عبد  
الوارث به وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا عاصم بن محمد عن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أخيه عمر بن محمد عن  
عبد الله بن يسار مولى ابن عمر قال أشهد سمعت سائماً يقول قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا  
ينظر الله اليهم يوم القيامة العاق لوالديه والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال والديوث وثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة العاق

لوالديه ومنه من الخمر والمناجى أعطى ورواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس عن يزيد بن زريع عن عمر بن محمد العمري عن عبد الله ابن يسار به وقال الامام أحمد أيضا حدثنا يعقوب حدثنا أي حدثنا الوليد بن كثير عن قطن بن وهب عن عويمر بن الاجزع عن حدثه عن سالم بن عبد الله بن عمر قال حدثني عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة حرم الله عليهم الجنة من الخمر والعاق لوالديه والذي يقر في أهله الخبث وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثني شعبة حدثني رجل من آل سهل بن حنيف عن محمد بن عمار عن عمار بن ياسر (٤٦) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ديوث يستشهد به لما

قبله من الاحاديث وقال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا سلام ابن سوار حدثنا كثير بن سليم عن الضعك بن مزاحم سمعت أنس ابن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن يلقى الله وهو طاهر متطهر فليتزوج الحرائق في اسناده ضعف وقال الامام أبو نصر اسمعيل بن حماد الجوهري في كتابه الصحاح في اللغة الديوث القنزع وهو الذي لا غيره له فأما الحديث الذي رواه الامام أبو عبد الرحمن النسائي في كتاب النكاح من سنته أخبرنا محمد بن اسمعيل بن عتبة عن يزيد ابن هرون عن حماد بن سلمة وغيره عن هرون بن زياد عن عبد الله بن عبيد ابن عمير وعبد الكريم عن عبد الله ابن عبيد بن عمير عن ابن عباس عبد الكريم رفعه الى ابن عباس وهرون لم يرفعه الا جابر بن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عندى امرأة من أحب الناس الى وهى لا تمنع بدلا من قال طلقها قال لا صبر لي عنها قال استمع بها ثم قال النسائي هذا الحديث غير

منه الى قسم الحرام وقد يبلغ ما فيه خيره منه الى قسم الواجب وقد وردت احاديث في ذمه ودم الاستكثار منه ووردت احاديث اخرى في اباحتها وتجويزه والكلام في تحقيق ذلك يطول واخرج أحمد والبخاري في تاريخه وأبو يعلى وابن مردويه عن كعب بن مالك انه قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قد أنزل في الشعر ما أنزل فيك كيف ترى فيه فقال ان المؤمن يجاهد نفسه بيمينه ولسانه والذي نفسي بيده لكان مات مؤمنا ثم به نضح السبل واخرج ابن أبي شيبة وأحمد عن أبي سعيد قال بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ عرض شاعر ينشد فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن يتلى جوف أحدكم فيما خيره من أن يتلى شعرا واخرج الديلمي مرفوعا عن ابن مسعود الشعراء الذين يموتون في الاسلام يأمرهم الله ان يقولوا شعرا يتعني به الخور العين لازواجهن في الجنة والذين ماتوا في الشرك يدعون بالويل والشور في النار واخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من الشعر لحكمة قال وأتاه قريظة بن كعب وعبد الله بن رواحة فحسان بن ثابت فقالوا اننا نقول الشعر وقد نزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرؤا فقرؤا والشعراء الى قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقال انتم هم وذكروا الله كثيرا فقال انتم هم واتصروا من بعد ما لموافقا انتم هم واخرج ابن سعد وابن أبي شيبة عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحسان بن ثابت اهلج المشركين فان جبريل معك واخرج أحمد وابن سعد عن أبي هريرة قال مر عمر بحسان وهو ينشد في المسجد فلخط اليه فنظر اليه فقال قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك فسكت ثم التفت حسان الى أبي هريرة فقال أنشدك بالله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أجب عنى اللهم أيده بروح القدس قال نعم واخرج ابن أبي شيبة عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من الشعر حكمة واخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان من الشعر حكمة ومن البيان سمرا واخرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن يتلى جوف أحدكم فيما خيره خير من أن يتلى شعرا وفي الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري مرفوعا لأن يتلى جوف أحدكم فيما خيره خير من أن يتلى شعرا قال في الصحاح وروى القمي جوفه

ثابت وعبد الكريم ليس بالقوى وهرون أثبت منه وقد أرسل الحديث رهوثه وحديثه أولى بالصواب  
 من حديث عبد الكريم قلت وهو ابن أبي الخارق البصرى المؤدب تابعي ضعيف الحديث وقد خالفه هرون بن زياد وهو تابعي ثقة من رجال مسلم فحديثه المرسل أولى كما قال النسائي لكن قد رواه النسائي في كتاب الطلاق عن اسحق بن راهويه عن النضر بن شمير عن حماد بن سلمة عن هرون بن زياد عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس مسندا فذكره بهذا الاسناد فرجالة على شرط مسلم الا ان النسائي بعد روايته له قال هذا خطأ والصواب مرسل ورواه غير النضر على الصواب وقد رواه النسائي أيضا وأبو داود عن الحسين

ابن حريث أخبرنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسن بن بن واقد عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قد كرهه وهذا الاسناد جيد وقد اختلف الناس في هذا الحديث ما بين من ضعفه كما تقدم عن النسائي ومنكر كما قال الامام أحمد وهو حديث منكر وقال ابن قتيبة انما أراد انهم اسخية لا تمنع سائلا وحكاه النسائي في سننه عن بعضهم فقال وقيل سخية تعطي ورد هذا بانها لو كان المراد لقال لا ترد حلتس وقيل المراد ان سخيتها لا ترد لاس لان المراد ان هذا واقع منها وانما تفعل الفاحشة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأذن في مصاحبة من هذه (٤٧) صفتها فان زوجها والحالة هذه يكون ديوتا

وقد تقدم الوعيد على ذلك ولكن لما كانت سخيتها هكذا ليس فيها ممانعة ولا مخالفة لمن أرادها لو خلا بها أحد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراقة فلماذا كرهه سبحانه بها أباح البقاء معها لان محبته لها محقة ووقوع الفاحشة منها متوهم فلا يصار الى الضرر العاجل للتوهم الاجل والله سبحانه وتعالى أعلم قالوا فأما اذا حصلت توبة فإنه يحل التزوج كما قال الامام أبو محمد بن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن ابن أبي ذئب قال سمعت شعبة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت ابن عباس وسأله رجل فقال انى كنت ألم بما مرأتى مني ما حرم الله عز وجل على فرزق الله عز وجل من ذلك توبة فأردت ان أتزوجها فقال أناس ان الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة فقال ابن عباس ليس هذا في هذا انكحها فما كان من اثم فعلى وقد ادعى طائفة آخرون من العلماء ان هذه الآية منسوخة قال ابن ابي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن يحيى بن سعيد بن المسيب

يريه ووربا اذا أكله وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسن الشعر كحسن الكلام وقبح الشعر كقبح الكلام قال القرطبي رواه اسمعيل عن عبد الله بن عوف الشامي وحديثه عن أهل الشام صحيح فيما قال يحيى بن معين وغيره وأخرج مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت قلت نعم قال هيبة فأنشدته بيتا فقال هيبة ثم أنشدته بيتا فقال هيبة حتى أنشدته مائة بيت وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وهو كان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر من الثلاثة وعن ابن عباس انه كان ينشد الشعر ويستنشد في المسجد فروى انه دعا عمرو بن أبي ربيعة المخزومي فاستنشده قصيدة فأنشده اياها وهي قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها من مرة واحدة وروى البخاري عن أبي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان من الشعر حكمة وقالت عائشة الشعر كلام فنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح ولا زاد الجرامى رحمه الله في بيان حكم الشعر كلام لطيف في كتابه تسليمة الفتواد ان شئت فارجع اليه ثم ختم سبحانه هذه السورة بآية جامعة للوعيد كقوله فقال (وسيعلم) وفيه تهديد شديد وتهويل عظيم وكذا في اطلاق (الذين ظلموا) واهتمام (أى منقلب ينقلبون) بعد الموت وخص بعضهم هذه الآية بالشعراء ولا وجه لذلك فان الاعتبار بموم اللفظ وقد تلاها أبو بكر لعمر حين عهد اليه وكان السلف يتواظفون بها قال ابن عطاء سيعلم المعرض عما الذى فانه نما والمعنى ينقلبون منقلبا أى منقلب والمراد جهنم وقد علم أى تضمنه معنى الاستفهام قال أبو البقاء ولا يعمل فيه سيعلم لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله بل هو معلق عن العمل فيه وهذا الذى قاله مردود بان أيا الواقعة صفة لا تكون استفهامية وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة بل هما قسمان كل منهما مقسم برأيه وأى تنقسم الى أقسام كثيرة قال النحاس وحقيقة التول في ذلك الاستفهام معنى وما قبله معنى آخر فلو عمل فيه ما قبله الدخول بعض المعاني في بعض والله أعلم وقال القرطبي معناه أى مصير يصرون وأى مرجع يرجعون لان مصيرهم الى النار وهو أقيع مصير ومرجعهم الى العذاب وهو أثير مرجع والفرق بين المنقلب والمرجع ان المنقلب الانتقال الى ضد ما هو فيه والمرجع العود من حال هو فيها الى حال

قال ذكر عده الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكح الا زانية أو مشركة قال كان يقال نسختها التي بعدها وأنكحوا الايامى منكم قال كان يقال الايامى من المسلمين وهكذا رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب النسخ والمنسوخ له عن سعيد بن المسيب ونص على ذلك أيضا الامام أبو عبد الله محمد بن ادریس الشافعى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة وهي الحرية البالغة العفيفة فاذا كان المقدوف رجلا فكذلك يجلد فاذا

أيضا وليس فيه نزاع بين العلماء فان أقام القاذف ينسئ على صحة ما قاله فزئى عنه الحذ ولهذا قال تعالى ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم غياين جلدة ولا توبوا لهم شهادة أبداً ولئن لم اتقاسقون فأوجب على القاذف ان يقيم البيعة على صحة ما قال ثلاثة أحكام أحدها ان يجلد ثمانين جلدة الثماني انه ترد شهاده أبداً الثالث ان يكون فاسقاً ليس يعدل لا عند الله ولا عند الناس ثم قال تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحو الآية واختلف العلماء في هذا الاستثناء هل يعود الى الجملة الاخيرة فقط فترفع التوبة الفسق فقط ويبقى مردود الشهادة دائماً (٤٨) وان تاب أو يعود الى الجملة الثانية والثالثة وأما الجلد فقد ذهب وانقضى

سواء تاب أو أصبر ولا يحكم له بعد ذلك بلا خلاف فذهب الامام مالك وأحمد والشافعي الى انه اذا تاب قبلت شهادته وارتفع عنه حكم الفسق وانصر عليه سعيد بن المسيب بسند التابعين وجماعة من السلف أيضاً وقال الامام أبو حنيفة انما يعود الاستثناء الى الجملة الاخيرة فقط فيرتفع الفسق بالتوبة ويبقى مردود الشهادة أبداً وعن ذهب اليه من السلف القاضي شريح وابراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومكحول وعبد الرحمن بن زيد ابن جابر وقال الشعبي والضحاك لا تقبل شهادته وان تاب الا أن يعترف على نفسه انه قد قال البهتان فينئذ تقبل شهادته والله أعلم (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادة الا أنفسهم فسدادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدراً عنها العذاب ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم

كان غير افسار كل مرجع منقلباً وليس كل منقلب مرجعاً ذكره الماوردي والمعنى عند الحسن وابن عباس ان الظالمين يطعمون في الانقلاب من عذاب الله والانفكاك منه ولا يقدر على ذلك وعن فضالة بن عبيد في الآية قال هؤلاء الذين يخربون البيت

\* (سورة النمل هي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية) \*

قال القرطبي وهي مكية كلها في قول الجميع وبه قال ابن عباس وعن ابن الزبير مثله

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(طس) قدم الكلام مفصلاً في فواتح السور وهذه الحروف ان كانت اسماً للسورة فحذفها الرفع على الابتداء وما بعدها خبرها ويجوز ان تكون خبر مبتدأ محذوف أى اسم هذه السورة طس وان كانت مسرودة على غط التعديد فلا محمل لها والله أعلم بمراده بذلك

(تلك) اشارة الى نفس السورة لانها قد ذكرت اجالاً بذكر اسمها (آيات القرآن وكتاب مبين) عطف بزيادة صفة على مفهوم المعطوف عليه وكان مفيداً بهذا الاعتبار والمراد بالكتاب القرآن نفسه أو اللوح المحفوظ أو نفس السورة وقد وصف الآيات بالوصفين الترتيبية الدالة على كونها مقرومة مع الاشارة الى كونها قرآناً غير مأمور بها والكتابة الدالة على كونها مكتوبة مع الاشارة الى كونها متصفة بصفة الكتب المنزلة ثم ضم الى الوصفين وصفاً ثالثاً وهي الابانة لعانيه لمن يقرأه وهو من آيات بمعنى بان معناه اوضح انما جاز بهما اشتمل عليه من البلاغة ومظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام وأحوال الآخرة التي من جملتها النواب والعقاب أو لسبيل الرشيد والعي أو فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقدم وصف القرآنية هنا نظراً الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابة وأخره في سورة الحجر فقال تلك آيات الكتاب وقرآن مبين نظر الى حالته التي قد صار عليها فانه مكتوب والكتابة سبب القراءة والله أعلم وأما تعريف القرآن هنا وتنكير الكتاب وتعريف الكتاب في سورة الحجر وتنكير القرآن فلصلاحيته كل واحد منهما ما للتعريف والتنكير لان القرآن والكتاب اسمان لعمان للمنزلة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووصفان له لانه يقرأ ويكتب فحتم جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف (هدى وبشرى للمؤمنين) أى تلك آيات هادية وبشرة أو هو هدى أو يهدى هدى وبشرى أو هاد من الهدى لانه ثم وصف المؤمنين الذين لهم الهدى والبشرى فقال

ورحمته والله تواب حكيم) هذه الآية الكريمة فيها فرج للزواج وزيادة مخرج اذا قذف أحدكم زوجته (الذين

وتعسر عليه إقامة البيعة ان يلاعنها كما أمر الله عز وجل وهو ان يحضرها الى الامام فيدعى عليها بما رماها به فيحاقه الحياكم أربع شهادات بالله في مقابلته أربع شهادات انه لمن الصادقين أى فيما رماها به من الزنا والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فاذا قال ذلك بانته بنفس هذا اللعان عند الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء وحرمت عليه أبداً ويعطيا مهرها ويتوجه عليها حد الزنا ولا يدراً عنها العذاب الا ان تلاعن فتشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين أى فيما رماها به والخامسة ان غضب

الله عليها ان كان من الصادقين ولهذا قال ويدرأ عنها العذاب يعني الحدان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فخصها بالغضب كما ان الغالب ان الرجل لا يتحشم فضيحة أهله وورثها بالزنا الا وهو صادق معذور وهي تعلم صدقه فيارماها به ولهذا كانت الخامسة في حقها ان غضب الله عليها والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يجيد عنه ثم ذكر تعالى رأفته بخلقها واطفئهم فيمأسر عليم من الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق فقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته اى لخرجتم ولشق عليكم كثير من اموركم (٤٩) وان الله تواب على عباده وان كان ذلك

بعد الحلف والايمان المغلظة حكيم فيما يشرع به ويأمر به وفيما ينهى عنه وقد وردت الاحاديث بمقتضى العمل بهذه الآية وتذكري سبب نزولها وفيمن نزلت فيه من الصحابة قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن ابي عمير عن ابن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً قال سعد بن عباد وهو سيد الانصار رضى الله عنه وهكذا أنزلت يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار اولا تسمعون ما يقول سيدكم فقالوا يا رسول الله لا تله فانه رجل غيور والله مات زوج امرأة قط فاجترأ رجل منان يتزوجها من شدة غيرة فقال سعد والله يا رسول الله اتى لاعلم انها لحق وانها من الله ولكنى قد تجمعت اى لو وجدت لك عاقداً تفخذها رجل لم يكن لى ان أهيبه ولا أحره حتى آتى بأربعة شهداء فوالله انى لا آتى بهم حتى يقضى حاجته قال فالبشوا الا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية وهو

(الذين يقيمون الصلاة) أى الخمس ويديون على شرأنطها من الفروض والسنن ويأتون بها على وجهها (ويؤتون الزكاة) أى يؤدون ويعطون زكاة أموالهم اذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم ولما كانت اقامة الصلاة وابتداء الزكاة مما يتكرر ويتجدد فى أوقاتهم ما أتى بهم فاعلموا ولما كان الايقان بالآخرة أمرانا بماطلوبادوامه أتى به جله اسمية فقال (وهم بالآخرة هم يوقنون) يعلمونها بالاستدلال وجعل الخبر مضارعا للذلة على أن ايقانهم يستمر على سبيل التجدد فى كل وقت وعدم الانقطاع وكرر الضمير للذلة على الحصر ولما فصل بينه وبين الخبر أى لا يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق وانهم الاوحدون فيه ثم لما ذكر سبحانه أهل السعادة ذكر بعدهم أهل الشقاوة فقال (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى لا يصدقون بالبعث وهم الكفار (زيئنا لهم أعمالهم) قيل المراد ان الله زين لهم أعمالهم السيئة القبيحة بتركيب الشهوة فيهم حتى رأوها حسنة وقيل المراد ان الله زين لهم الاعمال الحسنة وذكر لهم ما فيها من خيرى الدنيا والآخرة فلم يقبلوا ذلك قال الزجاج معنى الآية انا جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زيننا لهم ما هم فيه بان جعلناهم مشتبهى بالطبع محبوبا للنفس (فهم بعمهون) أى يترددون فيها متحيرين على الاستمرار لا يهتدون الى طريقه ولا يقفون على حقيقةه لعدم ادراكهم قبحها فى الواقع وقيل المعنى يتمادون فاهل أبو العالية وقال قتادة يلعبون وعن الحسن يتحيرون وقيل يداومون وينهمكون فيها ويستمررون والمعانى متقاربة (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أى أشدهم قيل فى الدنيا كالقتل والاسرور وجه تخصيصه بعذاب الدنيا قوله بعده (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) أى هم أشد الناس خسرا واولا أعظمهم خيبة فالفضل عليه هو وانفسهم من حيث اعتبار اختلاف الزمان والمكان ثم مهد سبحانه مقدمة نافعة لما سيذكره بعد ذلك من الاخبار العجيبة فقال مخاطبا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (وانك اتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) أى يلقي عليك بشدة فتلقاه وتأخذ من لدن كثير الحكمة والعلم ووجه الجمع بينهما مع أن العلم داخل فى الحكمة ان العلم الذى يدخل فيها هو العلم العملى وهو الذى يتعلق بكيفية عمل والعلم أعم منه فكانه قيل مصيب فى أفعاله لا يفعل شيئا الا على وفق علمه علم بكل شئ سواء كان ذلك العلم مؤديا الى العمل أم لا قيل ان

(٧ - فتح البيان سابع) أحد الثلاثة الذين نيب عليهم بقاء من أرضه عشاء فوجد عند أهل رجل فرأى بعينيه وسمع بأذنيه فلم يهجه حتى أصبح فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى جئت أهلى عشاء فوجدت عند هار جلا فرأيت بعينى وسمعت بأذنى ففكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه واجتمعت عليه الانصار وقالوا قد ابلينا بما قال سعد بن عباد الا ان يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم هلال بن أمية ويطلب شهادته فى الناس فقال هلال والله انى لارجوا ان يجعل الله لى منها مخرجا وقال هلال يا رسول الله فأتى قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم انى لصادق فوالله ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يريد ان يأمر بضربه اذا نزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الوحي وكان اذا نزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تزبد وجهه يعني فامسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادا الا انفسهم فشهدوا اربعة اشهاد بالآية ففسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اشهدوا بالله ان لا يكونوا منكم فاجابوا فقال هلال قد كنت أرجو ذلك من ربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فارسلوا اليها فحلفت فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ما ذكرهما واخبرهما ان عذاب الآخرة (٥٠) أشد من عذاب الدنيا فقال هلال والله يا رسول لقد صدقت عليها فقالت

لديهنهتا يعني عند وفيها الغات كما تقدم في سورة الكهف وهذه الآية بساط وتهدى لما يريد ان يسوق بعدهما من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه وقد اشتملت هذه السورة على قصص خمسة الاولى هذه وتليها قصة التمهة وتليها قصة بلقيس وتليها قصة صالح وتليها قصة لوط (اذ قال موسى لاهله) قال الزجاج أى اذ كرقصته اذ قال لاهله والمراد باهله امرأته في مدينته من مدين الى مصر وكان في ليلة مظلمة باردة مثلجة وقد ضل الطريق وأخذ زوجته الطلق والحامل له على هذا السفر ان يجتمع بامه وأخيه بمصر ولم يكن معه اذ ذاك الا زوجته بنت شعيب فكفى عنها بلفظ الاهل الدال على الكثرة للتعظيم وقيل كان معه ولده وخادمه أيضا ومثله قوله امكنوا (انى آتست ناراً) أى أبصرتهم من بعيد (ساآتكم منها بخبر) عن حال الطريق وكان قد ضلها والسين تدل على بعده مسافة النار وقا كيد الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امرأته لما كنى عنها بالاهل اول للتعظيم مباغعة في التسليم (أو آتكم بشهاب قبس) يتويناها على ان الثاني يدل من الاول اوصفة له لانه معنى مقبوس أى بشعلة نار متقبوسة أى مأخوذة من أصلها وقربى بالاضافة على أنها للبيان فالمراد تعين المقصود الذى هو القبس الجامع لمنفعته الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجر وكتا العددين منه عليه الصلاة والسلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صبغة التبرجى والترديد للايدان بانه لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين قاله أبو السعود والمعنى على القراءتين آتكم بشعلة نار مأخوذة من أصلها فى رأس قبس له أو عود قال الزجاج من نون جعل قبس من صفة شهاب وقال الفراء هذه الاضافة كسجد الجامع وصلاة الاولى اضافة الشيء الى نفسه لاختلاف أسمائه وقال النحاس هي اضافة النوع الى الجنس كما تقول ثوب خز وخاتم حديد وهى بمعنى من أى شهاب من قبس قال ويجوز فى غير القرآن بشهاب قبس على انه مصدق أو بيان أو حال قال الزجاج كل أبيض ذى نور فهو شهاب وقال أبو عبيدة الشهاب النار وقال ثعلب أصل الشهاب عود فى أحد طرفيه جرة والآخر لا نار فيه والشهاب الشعاع المنضى وقيل للكوكب شهاب (لعلكم تصطلون) أى رجاء ان تستدفئوا بها من البرد وأركى تستدفئوا بها يقال صلى بالنار واطل بها اذا استدفاها والصلاة النار

كذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عنوا بينهم ما قيل لهلال اشهد فشهد اربعة اشهاد بالله انه لمن الصادقين فلما كانت الخامسة قيل له يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان هذه الموجبة التى توجب عليك العذاب فقال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يعذبني عليها فشهد في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قيل للمرأة اشهدى اربعة اشهاد بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة وأوقفها اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان هذه الموجبة التى توجب عليك العذاب فتلكتها ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت في الخامسة ان غضب الله عليهم ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ما وقضى ان لا يدعى ولدها الأب ولا يرمى ولدها ومن رماها أورى ولدها فعلمه الحد وقضى ان لا قوت لها من أجل انها يفترقان من غير طلاق ولا متوفى

عنها وقال ان جاءت به أصيب أريشخ خش الساقين فهو لهلال وان جاءت به أوراق جعد اجمالاً خدج الساقين العظيمة ساينغ الاليتين فهو للذى رميت به فجاءت به أوراق جعد اجمالاً خدج الساقين ساينغ الاليتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لى ولها شأن قال عكرمة فكان بعد ذلك أميراً على مصر وكان يدعى لامة ولا يدعى للأب ورواه أبو داود عن أنس عن الحسن بن على عن يزيد بن هرون بن شعوه مختصر اول هذا الحديث وشواهد كثيرة فى الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة فمنها ما قال البخارى حديثى محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدى عن هشام بن حسان حدثنى عكرمة عن ابن عباس ان هلال بن أمية قد فدى امرأته عند



النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن نجما فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو وحدني ظهرك فقال يا رسول الله اذ رأيت أحدا منا على أمر آت به رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة أو وحدني ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبيري ظهري من الحد فتزل جبريل وانزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرا حتى يبلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليهما فجاء هلال فشهدوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كان في الخامسة وقفوها وقالوا (٥١) انهم امو جبة قال ابن عباس فتلك كانت ونكصت حتى

ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سأرا اليوم قضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبصروها فان جاءت به أكل العينين سابغ الاليتين خدج الساقين فهو شريك ابن نجما فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي واهي شأن ان ترد به البخاري من هذا الوجه وقد رواه من غير وجه عن ابن عباس وغيره وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الزياتي حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح وهو ابن عمر حدثنا عاصم يعني ابن كليب عن أبيه حدثني ابن عباس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى امرأته برجل فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يردده حتى أنزل الله تعالى والذين يرمون أزواجهم فقرا حتى فرغ من الآيتين فأرسل اليهما فدعاهما فقال ان الله تعالى قد انزل فيكم فدعا الرجل فقرأ عليه فشهد اربع شهادات بان الله لمن الصادقين ثم امر به فامسك على فيه فوعظه فقال له كل شيء اهوون عليك من

العتية واختلاف الالفاظ في هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النكاح بغير لفظ التزوج (فلما جاءها) أي النار التي أبصرها (نودي) من جانب الطور (أن بورك من في النار ومن حولها) أن هي المقسرة لما في الندية من معنى القول أي قيل له بورك أو هي المصدرية أي بان بورك أي بارك الله أي ناداهم بانا قد سناك وطهرناك واخترتناك للرسالة وقيل هي الخففة من المنقلة وتقديره بأنه بورك واسمها ضمير الشأن وبورك خبرها وجاز ذلك من غير عوض وان منعه الزمخشري أي لم يحتج هنالك فاصل لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره في أحكام كثيرة وقرى ان بورك النار وحكي الكسائي عن العرب بارك الله وبارك فيك وعليك ولك وكذلك حكي هذا القراء قال ابن جرير قال بورك من في النار ولم يقل بورك على من في النار على لغة من يقول بارك الله أي بورك وقدس وطهر من في النار وهو موسى وايس هو فيها حقيقة بل في المكان التبريد منها وهذا تحية من الله تعالى لموسى وتكرمه له كما حكي ابراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحة الله وبركاته عليكم أهل البيت قاله القرطبي وقال السدي كان في النار ملائكة ولانها هي مجرد النور وليكنه ظن موسى انها نار فلما وصل اليها وجدها نورا وعن الحسن وسعيد بن جبيران المراد بمن في النار هو الله سبحانه أي نوره أو قدرته وسلطانه وقيل بورك ما في النار من أمر الله سبحانه الذي جعلها على تلك الصفة قال الواحدي ومذهب المفسرين ان المراد بالنار هنا النور وعن ابن عباس قال يعني تبارك وتعالى نفسه كان نور رب العالمين في الشجرة ومن حولها يعني الملائكة وعنه قال كان الله في النور نودي من النور ومن حولها قال الملائكة وعنه قال ناداه الله وهو في النور وعنه قرى بورك النار وفي مصنف أبي بن كعب بورك النار ما النار فيزعمون انها نور رب العالمين وعن ابن عباس بورك قال قدس وقيل المراد بمن غير العقلاء وهو النور والامكنة التي حولها وأخرج عبد بن حنبل وابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن أبي موسى الأشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخنض القسط ويرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو رفع لاحرق سموات وجهه كل شيء أدركه بصره ثم قرأ أبو عبيدة ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله

لعنة الله ثم أرسله فقال لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم دعا فقرأ عليها فشهدت اربع شهادات بان الله لمن الكاذبين ثم أمر به فامسك على فيها فوعظها وقال ويحك كل شيء اهوون من غضب الله ثم أرسلها فقالت غضب الله عليا ان كان من الصادقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لا قضين بينكما قضاء فصلا قال فولدت خارايت مولودا بالمدينة أكثر منه فقال ان جاءت به لكذا وكذا فهو وكذا وان جاءت به لكذا وكذا فهو لكذا فجاءت به يشبه الذي قدفت به وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان قال سمعت سعيد بن جبيرة قال سئلت عن المتلاعنين أي يفرق بينهما في امارة بن الزبير فادريت ما أقول

فمقت من مكاني الى منزل ابن عمر فقلت يا ابا عبد الرحمن المتلعنان أيفرق بينهما فقال سبحان الله ان أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان فقال يا رسول الله أرايت الرجل يرى امرأته على فاحشة فان تكلم تكلم بأمر عظيم وان سكت سكت على مثل ذلك فسكت فلم يجبه فبما كان به مد ذلك اتاه فقال الذي سألتك عنه قد ابلت به فأنزله الله تعالى هذه الآيات في سورة النور والذين يرمون ازواجهم حتى بلغ أن غضب الله عليهما ان كان من الصادقين فبدأ الرجل فوعظهم وذكروا واخبره ان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة فقال والذي بعثك بالحق (٥٢) ما كذبت ثم ثني بالمرأة فوعظها وذكروا واخبرها ان عذاب الدنيا اهون

رب العالمين والحديث أصله مخرج في صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة وفي التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعين واستعمل من جبال فاران والمراد بعنة موسى من سيناء وبعنة عيسى من ساعين وبعنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من فاران وهو اسم مكة ثم نزه سبحانه نفسه من السوء فقال (وسبحان الله رب العالمين) فيه تعجب لموسى من ذلك وهو من جملة ما نوذى به وانما وقع التعرض للتسوية في هذا المقام لدفع ما رب ان يتوهمه موسى بحسب الطبع البشري الحسارى على العادة الخلقية ان الكلام الذى يسمعه فى ذلك المكان بحرف وصوت حادث ككلام الخلق أو المتكلم به فى مكان أو جهة قاله الحفناوى (يا موسى انه) أى الشان (أنا الله العزيز) الغالب القاهر (الحكيم) فى أمرى وفعلى وقيل ان موسى قال يا رب من الذى نادانى فاجابه سبحانه بقوله انه أنا الله وهو تمهيد لما أراد ان يظهر على يده من المعجزات فأمره سبحانه بان يلقى عصاه ليعرف ما أجراه على يده من المعجزات الخارقة فبأنس بها فقال (وألق) عطف على بورك منتظم معه فى سلك تفسير النداء أى نودى ان بورك وأن ألق (عصاك فلما رآها تهتز) جملة حالية من هاء رآها لان الرؤية بصرية وقوله (كأنها جان) يجوز ان تكون حالاً ثانية وان تكون حالاً من ضمير تهتز فتكون حالاً متداخلة قاله السمين قال الزجاج صارت العصا تتحرك كما يتحرك الجان وهو الحية البيضاء وانما شبهها بالجان فى خفة حركتها والاختفتها كانت كبيرة جدا وشبهها فى موضع آخر بالنعبان لعظمتها وجمع الجان جنان وهى الحية الخفية الصغيرة الجسم وقال الكلبى لا صغيرة ولا كبيرة والنساء فصحة تنصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كأنه قيل فألقاها فانقلبت حية تسمى فابصرها فلما أبصرها متحركة بسرعة واضطراب (ولى مدبراً) من الخوف (ولم يعقب) أى لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كره بعد الفر يقال عقب فلان اذا رجع وكل راجع معقب وقيل لم يقف ولم يلتفت ولم يعطف ولم ينظر والاولى لان التعقيب هو الكره بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك الامر يريد به كما ينبت عنه قوله (يا موسى لا تخف) من غيرى أى من الحية وضررها ثقة فى أول لا تخف مطلقاً (انى لا يخاف لدى المرسلون) أى لا يخاف عنى من المرسلين ليس فى جميع الاوقات بل فى وقت فلا تخف أنت عنى قيل وثنى الخوف عن المرسلين ليس فى جميع الاوقات بل فى وقت

من عذاب الآخرة فقالت المرأة والذي بعثك بالحق انه لكاذب قال فبدأ بالرجل فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم ثني بالمرأة فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ثم فرق بينهما رواه النسائي فى التفسير من حديث عبد الملك بن ابى سليمان به واخر جاء فى الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن حماد حدثنا ابو عوانة عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا جلوساً عشية الجمعة فى المسجد فقال رجل من الانصار احدثنا اذ رأى مع امرأته رجلاً ان قتله قتلتموه وان تكلمم جلدتموه وان سكت سكت على غيظ والله لان أصبحت صحياً لاسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسأله فقال يا رسول الله ان احدثنا اذ رأى مع امرأته رجلاً ان قتله قتلتموه وان تكلمم جلدتموه وان

سكت سكت على غيظ اللهم احكم قال فنزلت آية اللعان فكان ذلك الرجل اول من اجتمى به انفراداً باخراجه مسلم فرواه الخطاب من طرق عن سليمان بن مهران الأعمش به وقال الامام احمد ايضا حدثنا أبو كامل حدثنا ابراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن سهل بن سعد قال جاء عويمر الى عاصم بن عدى فقال له سل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت رجلاً وجد رجلاً مع امرأته فقتله يقتل به ام كيف يصنع فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل قال فلقبه عويمر فقال ما صنعت قال ما صنعت انك لم تأتى بخير سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاب المسائل فقال عويمر والله لا تأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سأله فاتاه فوجد قد أنزل عليه فبما قال فدعا عويمر ما ولا عن بينهما قال عويمر انطلقت به يا رسول الله لقد

كذبت عليها فقال فقارقتها قبل ان يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت سنة المتلاعنين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصر وهافان جاءت به أجمع أدعج العينين عظيم الاليتين فلا أراه الا قد صدق وان جاءت به أحمير كانه حرة فلا أراه الا كاذبا فجاءت به على النعت المكروه أخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة الا الترمذي ورواه البخاري أيضا من طرق عن الزهري به فقال حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا فلج عن الزهري عن سهل بن سعد أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت رجلا رأى مع امرأته رجلا أيقنله فتمتة لونه أم كيف يفعل (٥٢) فانزل الله تعالى فيه ما ذكر في القرآن من التلاعن

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قضى فيك وفي امرأتك قال فملاعنا وانا شاهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقارقتها فكانت سنة ان يفرق بين المتلاعنين وكانت حاملا فأنكر حملها وكان ابنها يدعى اليها ثم جرت السنة في الميراث ان يرثها وترث منه ما فرض الله لها وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا اسحق بن الضيف حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس بن أبي اسحق عن أبيه عن زيد بن بتيع عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبكرلو رأيت مع ام زومان رجلا ما كنت فاعلا قال كنت والله فاعلا فاعلا قال فانت يا عمر قال كنت والله فاعلا كنت أقول لعن الله الاعجز فانه خبيث قال فسزات والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم ثم قال لانعلم أحدا أسنده الا النضر بن شميل عن يونس بن اسحق ثم رواه من حديث الثوري عن أبي اسحق عن زيد بن بتيع مرسل الله أعلم وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي

الخطاب لهم والاجباء والارسال لانهم اذ ذال مستغرقون في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من شئ وأما في غير هذه الحالة فالمرسلون أخوف الناس منه تعالى أو المعنى لا يكون لهم عندى سوء عاقبة ليخافوا منه ثم استثنى استثناء منقطعاً فقال (الامن ظلم) أى لكن من أذنب في ظلم نفسه بالمعصية (ثم بدل حسنا) أى توبة وندما أتاه (بعد سوء) أى بعد عمل سوء (فأني غفور رحيم) أقبل التوبة واغفر له وقيل الاستثناء من مقدر أى لا يخاف لدى المرسلون وانما يخاف غيرهم من ظلم الامن ظلم الخ كذا قال القراء وقال النحاس الاستثناء من محذوف محال لانه استثناء من شئ لم يذكر وعن القراء أن الا بمعنى الواو وقيل ان الاستثناء متصل من المذكور لامن المحذوف والمعنى الامن ظلم من المرسلين بآيات الصغائر التي لا يسلم منها أحد واختار هذا النحاس وقال علم من عصاه منهم فاستثناء فقال الامن ظلم وان كنت قد غفرت له كادم وداود واخوة يوسف وموسى لقتله القبطى ولا مانع من الخوف بعد المغفرة فان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يقول وددت انى شجرة تعضد (وأدخل يدك في جيبك) المراد بالجيب هو المعروف أى طوق القميص سمي جيبا لانه يجاب أى يقطع ليدخل فيه الرأس وفي القصص اسلك يدك في جيبك وفى أدخل من المبالغة ما لم يكن فى اسلك ولم يأمره بادخالها فيه كنه لانه كان عليه مدرعة صغيرة من صوف لا كم لها وقيل كان لها كم قصير عن ابن عباس قال كانت على موسى جبة من صوف لا تبلغ مرقبيه فقال له أدخل يدك في جيبك فادخلها (تخرج) خلاف لونها من الادمة (ببعض من غير سوء) أى من غير برص أو نحوهم من الآفات فهو احتباس وقيل فى الكلام حذف تقديره أدخل يدك تدخل وأخرجها تخرج ولا حاجة الى هذا الحذف ولا الملجى اليه قال المفسرون وكانت على موسى مدرعة من صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده فى جيبه وأخرجها فاذا هى تبرق كالبرق لها شعاع يغشى البصر (فى تسع آيات) قال أبو البقاء هو فى محل نصب على الحال من فاعل تخرج وفيه بعد وقيل متعلق بحذوف أى اذهب فى تسع آيات وقيل متعلق بقوله ألق عصاك وأدخل يدك فى جبهه تسع آيات وقيل المعنى فيما آيات من تسع يعنى العصا واليد فتكون الآيات احدى عشرة هاتان والفاق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجذب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم

حدثنا محمد بن الحسين عن هشام عن ابن سيرين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لا أول لعان كان فى الاسلام ان شريك بن حنيفة قذفه هلال بن أمية بأمر أنه فرغته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة شهود والاخذ فى ظهره فقال يا رسول الله ان الله يعلم انى لصادق ولينزان الله عليك ما يبرى به ظهري من الجلد فانزل الله آية اللعان والذين يردون أزواجهم الى آخر الآية قال فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد يا الله انك لمن الصادقين فيما رميتا به من الزنا فشهد بذلك أربع شهادات ثم قال له فى الخامسة واعنة الله عليك ان كنت من الكاذبين فيما رميتا به من الزنا ففعل ثم دعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قومي فاشهدى يا الله انه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا فشهدت بذلك أربع شهادات ثم قال لها فى الخامسة وغضب الله عليك

ان كان من الصادقين فيمار ما لبه من الزنا فال فلما كانت الرابعة أو الخامسة سكنت سكنته حتى ظنوا انها استعرت ثم قالت لا افضع قومي سا اتر اليوم فضت على القول ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ما قال انظر وافان جاءت به جعد اخش الساقين فهو لشريك بن مهماه وان جاءت به ايض سبطا قصير العينين فهو لهلال بن أمية فجاءت به جعد اخش الساقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ما نزل فيهم ما من كتاب الله لكان لي ولها شاة (ان الذين جاؤا بالافك عصابة منكم لا تحسبوا مشرككم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما كتب من الاثم والذى تولى (٥٤) كبره منهم له عذاب عظيم) هذه العشر الايات كما نزلت في شأن عائشة أم

المؤمنين رضى الله عنها حين رماها أهل الافك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والقرية التي غار الله عز وجل لها وليه صلوات الله وسلامه عليه فانزل الله تعالى برأيتها صيانة لعرض الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصابة منكم أي جماعة منكم يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين فانه كان يجدهه ويستوشيه حتى دخل ذلك في اذهان بعض السامعين فكلموا به وجوزوا آخره منهم وبقي الامر كذلك قريبا من شهر حتى نزل القرآن وبيان ذلك في الاحاديث الصحيحة وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا فبرأها الله تعالى وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها وبعضهم

قال النحاس أحسن ما قيل فيه ان هذه الآية يعني البسدا دخله في تسع آيات وكذا قال المهدوي والقشيري قال الزجاج والقشيري تقول خرجت في عشرة نفر وانت احدهم أي خرجت عاشر عشرة ففي معنى من لقر بها منها كما تقول خذ لي عشرة من الابل فيها فخلان أي منها وقيل في معنى مع اليد والعصا خارجتان من التسع وكذا فعل ابن عطية (الى فرعون وقومه) قال القرطبي الكلام اضمار أي انك مبعوث أو مرسل الى فرعون وقومه وكذا قال الزجاج (انهم كانوا قوما فاسقين) تعليل لما قبله من المقدرا أي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان (فلما جاءتهم آياتنا) التي كانت على يد موسى حال كونها (مبصرة) أي مضيئة واضحة اسم فاعل أطلق على المنعول نحو ما دافق أي مدفوق الشعار بانها القرط انارتها ووضوحها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر كقوله وآتيناهم الناقة مبصرة وقرئ مبصرة بفتح الميم والصاد أي مكانا يكثر فيه التبصر كما يقال الولد مجبنة ومجذلة والاولى أولى ونسب الابصار اليها مجاز لان بها يبصر والمعنى اضاءة معنوية في كلها أو حسية أيضا في بعضها وهو البسدا فلما جاءتهم آياتنا (قالوا هذا) الذي نشاهد من الخوارق التي أتت بها موسى (صخر مبین) واضح ظاهر صريحته (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) أي قد كذبوا بها ولم يقرروا حال كون أنفسهم مستيقنة لها انها من عند الله قالوا وللعال يقال جحدقه وبجحه بمعنى والاستيقان أبلغ من الايقان (ظلمنا) أي لا آيات كقوله تعالى بما كانوا آياتنا ينظرون ولقد ظلموا بها أي ظلم حيث حطروها عن رببتها العالمية وسوها سعرا (وعلوا) استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها واتصا بهم ما اعلى العله أي الخامل لهم على ذلك الظلم والعلو وعلى الحالية من فاعل جحدوا أي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها ويجوز أن يكون ناعت مصدر جحدوف أي جحدوا بها جحدوا ظلموا وعلوا قال أبو عبيدة والباء في وجحدوا بها زائدة وقال الزجاج التقدير وجحدوا بها ظلموا وعلوا أي وتكبروا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون انها من عند الله (فانظر كيف كان عاقبة المنسدين) أي تفكروا بما جحدوا في ذلك فان فيه معبر للمعتبرين وقد كان عاقبة أمرهم الاغراق لهم هنا في البحر على تلك الصفة الهائلة والاحراق عنة وانما لم يذكر تبها على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولم يفرغ سبحانه من قصة موسى شرع في قصة داود وابنه سليمان وهذه النصة

كان أوعى حديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض ما حدثنيهم بصدق بعضا ذكروا ان عائشة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج لسفرا أفرع بين نسائه فأيتن خرج سهوا خرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة رضى الله عنها فاخرج بينا في غزوة غزاها فخرج فيها سهوا وخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعدما نزل الحجاب فانا أحجل في هودجى وأترل فيه فسر ناحتي اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة وقفل ودوننا من المدينة قائلين آذن ليلة بالرحيل فمقت حين آذن بالرحيل فشببت حتى جاؤرت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلي فلمست صدرى فاذا عقد لي من جرع ظفارا قد انقطع فرجعت

فالتست عقدي فحسني ابتعاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحدة لولا هو دجى فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه قالت وكان النساء إذ ذاك خفا فإلم بهن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقمة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة اليهودج حتى رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعنوا بالجل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فبخت منازلهم وليس جهاداع ولا حبيب فميمت منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم سيقتدونني فيرجعون الي فيبيناً أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فميت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراءه (٥٥) الجيش فادخل فاصبح عند منزلي فرأى سواد

انسان نائم فأتاني فعرفتني حين رأيتني وقد كان قد رأيتني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فحمرت وجهي بجبابي والله ما كالمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخر اراحته فوطئ على يدها فركبت ما فانا نطلق بقودي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأنى وكان الذي نزلني كبره عبد الله بن أبي اسلول فقدمنا المدينة فاشتكت حين قدمنا هاشمرا والناس يفيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشئ من ذلك وهو يريني في وجهي اني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي أرى منه حين أشتكى انما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك الذي يريني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نعتت وخرجت معي ام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا فخرج الاليل الى ليل وذلك قبل ان تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول في التنزه

وما قبلها او ما بعد هاهي كالبياض والتقرير لقوله وانك لتسقى القرآن من لدن حكيم عليم فقال (ولقد آتينا) أي أعطينا (داود وسليمان) ابنه (علما) التنوين اما للنوع أي طائفة من العلم أو للتعظيم أي علما كثيرا قيل المراد علم الدين والحكم وقيل علم القضاء والسليسة وقيل علم داود تسبيح الطير وعلم سليمان منطق الطير والدواب وكان لداود تسعة عشر ولدا سليمان واحد منهم وعاش داود مائة سنة وبينه وبين موسى خمسة مائة سنة وتسع وستون سنة وعاش سليمان تسعين سنة وبينه وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ألف سنة وسبع مائة سنة ذكره في التكمير (وقالا) أي كل منهما والواو للعطف على محذوف لان هذا المقام مقام الفاء والتقدير ولقد آتيناها علما فعلا به وقالوا لا شكر الله (الحمد لله) ويؤيده ان الشكر باللسان انما يحسن اذا كان مسبوقا به دل القلب وهو العزم على فعل الطاعة وترك المعصية (الذي فضلنا) بالعلم والنبوة وتسخير الطير والجن والانس والشياطين (على كثير) ممن يؤت علما أو مثل علما وهذه المقالة على سبيل التحدث والشكر (من عبادة المؤمنين) ولم يفضلوا أنفسهم على الكل بوضع علمهم وظاهر النظم ان التسخير كان لكل من داود وسليمان ومثله في الخازن والخطيب وفي الآية دليل على شرف العلم وارتفاع محله وتقدم جلته وأهله وان نعمة العلم من أجل النعم التي نعم الله بها على عباده وان من أوتيها فقد أوتي فضلا على كثير من العباد ومن شرف جليل وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورثة الانبياء الامم انما هم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بعبادته من أجله وفيه انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة ان يحمدوا الله على ما أوتوه وان يعتقدوا ان الله فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عر رضى الله عنه كل الناس أفقر من عمرو بن عبد العزيز انه كتب ان الله لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عابها الا كان جده افضل من نعمته لو كانت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المتزل فقد قال الله عز وجل ولقد آتينا داود وسليمان علما الى قوله عبادة المؤمنين وأي نعمة أفضل مما أعطى داود وسليمان أقول ليس في الآية ما يدل على ما فهمه رجه الله والذي يدل عليه انهم احبوا الله سبحانه على ما فضلهم به من النعم فنأين تدل على أن جده أفضل من نعمته (وورث سليمان داود) أي ورثه العلم والنبوة والكتب دون باقي اولاده قال قتادة والكلي كان لداود تسعة عشر ولدا ذكر افورث سليمان من بينهم نبوة ولو كان المراد

في البرية وكأناذي بالكنف ان تتخذها في بيوتنا فانطلقت أنا وام مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن اناثة بن عباد بن عبد المطلب فاقبلت أنا وابنة أبي رهم ام مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعرثت ام مسطح في مرطها فقالت آهس مسطح فقلت لها بئس ما قلت تسعين رجلا شهيدا فقلت أي هتاه أم تسمعي ما قال قلت وماذا قال قالت فاخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أنا ذن لي أن أتى أبوي قالت وأنا حينئذ أريدان أتيقن الخبر من قبلهما

فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنت أبوي فقلت لامي يا أمته ماذا يتحدث الناس به فقالت أي بنيت هونى عليك فوالله  
 لعلها كانت امرأة قط وضيمة عند رجل يحبها ولها ضرائر الأكرثن عليها قالت فقلت سبحان الله أوقدت تحدث الناس بها قالت  
 فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرأى دمع ولا أكحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي  
 طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحى بسألهمما ويستشبههما في فراق أهله قالت فاما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم بالذى يعلم من برأة أهله وبالذى يعلم (٥٦) في نفسه لهم من الود فقال اسامة يا رسول الله اهلك ولا تعلم الا

ورثة المال لم يخص سليمان بالذكور لان جميع اولاده في ذلك سواء وكذا قال جمهور  
 المفسرين فهذه الورثة هي ورثة مجازية كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم العلماء  
 ورثة الانبياء قال قتادة في الآية ورث نبوته وملكوته وعلمه وأعطى ما أعطى داود وزيدله  
 تسخير الريح والجن والشياطين وكان اعظم ما كانه وأقضى منه وكان داود اشد تعبدا  
 من سليمان شاكر النعم الله تعالى (وقال) سليمان لبني اسرائيل تحذبا نعم الله به عليه  
 وشكر النعمة التي خصه بها (يا ايها الناس علمنا) الضمير فيه وفي اوتينا الكل من داود  
 وسليمان قال القرطبي تفصل الله علينا زيادة على ما ورثنا من العلم والنبوة  
 والخلافة في الارض ان فهمنا (منطق الطير) اي فهم ما يريد كل طائر اذ اصوت والمعاني  
 التي في نفوسها هي صوت الطير منطلقا لوصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس وقدم  
 منطق الطير لانها نعمة خاصة به لا يشاركه فيها غيره قال الفراء منطق الطير كلام الطير  
 فجعل كمنطق الرجل ومعنى الآية فهم ما يقول الطير ومقتضى هذان كلامهما كان  
 يعلم اصوات الطير وما تريده قال الخطيب علمنا اي انا وابي بايسر امر واسهله وفي  
 البيضاوى النطق والمنطق في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان أو مركبا  
 مفيدا كان أو غير مفيد وقد يطلق على كل ما يصوت به على التشبيه أو التبع كقولهم  
 نطق الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث  
 انها تابعة للتخييلات نزات منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض  
 بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان مهمما مع صوت حيوان علم بقوته القدسية  
 الغرض الذى صوت لاجله والغرض الذى توخاه به انتهى قال جماعة من المفسرين  
 انه علم منطق جميع الحيوانات وانما ذكر الطير لانه كان جندا من جنوده يسير معه  
 لتظليله من الشمس فخص بالذكور لكثرته مداخلة وقال قتادة والشعبي انما علم منطق  
 الطير خاصة ولا يعترض ذلك بالنحلة فانها من جنس الطير وكثيرا ما تخرج لها أجنحة فتطير  
 وكذلك كانت هذه النحلة التي سمع سليمان كلامها وفهمه أخرج أحمد في الزهد وابن أبي  
 شبة وابن أبي حاتم عن أبي الصديق الناجي قال خرج سليمان بن داود يستسقى بالناس  
 فمر على نحلة مستلقية على فنها رافعة قوائمها الى السماء وهى تقول اللهم أناخلق من  
 خلقك ليس بناغى عن رزقك فاما ان نسقينا واما ان تهلكنا فقال سليمان للناس ارجعوا

خبروا واما علي بن أبي طالب فقال  
 يا رسول الله لم يضيق الله عليك  
 والنساء سواها كثير وان تسأل  
 الجارية تصدقن الخبر قالت فدعا  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة  
 فقال أي بريرة هل رأيت من شئ  
 يريك من عائشة فقالت له بريرة  
 والذي بعثك بالحق ان رأيت عليها  
 أمرا قط أغمضه عليها أكثر من انها  
 جارية حديثة السن تنام عن عجين  
 أهلها فتأتى الداجن فتأكله فقام  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
 يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي  
 ابن سألوا قالت فقال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر  
 يا معشر المسلمين من بعدنى من  
 رجل قد بلغنى عنه أذاه في أهلى  
 فوالله ما علمت على أهلى الا خيرا  
 ولقد ذكر وارجلا ما علمت عنه  
 الا خيرا وما كان يدخل على أهلى  
 الا معى فقام سعد بن معاذ الا نصارى  
 رضى الله عنه فقال أنا أعدركم  
 يا رسول الله ان كان من الاوس  
 ذم بنا عنقه وان كان من اخواننا  
 الخزرج أمرتنا فنعاننا أمرنا قالت  
 فقام سعد بن عبادة وهو سيد

الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احقلمه الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من  
 رهطك ما أحييت ان يقتل فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتله فانك منافق  
 تجادل عن المنافقين فتناور الحيمان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكبوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وبكيت يومى ذلك لا يرأى دمع ولا أكحل بنوم  
 وأبو ابي يظن ان البكاء فائق كبدى قالت فيبهما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست

تبكى معي فبينما نحن على ذلك اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قبل ما قبل وقد لبث شهر الا يوحى اليه في شأنى شئ قالت فتشتم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين جالس ثم قال اما بعد يا عائشة فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئ الله وان كنت ائمت بذنب فاستغفري الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قاص دمعى حتى ما أحس منه قطرة فقلت لاني أجب عنى رسول الله فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لاني أجيبى (٥٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن والله لقد علمت انهم سمعوا هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى بريئة لاتصدقونى ولئن اعترفت بأمر والله يعلم انى منه بريئة لاتصدقونى فوالله ما أجلى ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحوات فاضطجعت على فراشى قالت وأنا والله أعلم حينئذ انى بريئة وان الله تعالى مهترى ببرائتى ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل فى شأنى وحى يتلى ولشأنى كان أحقر فى نفسى من أن يتكلم الله فى بامر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتعذر

فقد ستمت بدعوة غيركم وقد ذكر الخازن والنسفي فى تفسيرهم ما منطبق بعض الطيور وما تنوله القمري وغيرها وكذا القرطبي بلاسناد صحيح متصل بعتد عليه و بصار اليه فتركاذ كرههنا فانه لا يأتى بكثير فائدة للمنتفعين (وأوتينا من كل شئ) تدعوا اليه الحاجة كالعلم والسبوة والحكمة والمال وتسخير الجن والانس والطيور والرياح والوحش والدواب وكل ما بين السماء والارض وجاء سليمان بنون العظمة والمراد نفسه بيانا لحاله من كونه مطاعا لا يخاف لا تكبر او تعظيما لنفسه عن جعفر بن محمد قال أعطى سليمان ملك مشارق الارض ومغارها فملك سليمان سبعمائة سنة وستة أشهر ملك أهل الدنيا كلهم وأعطى كل شئ وفى زمانه صنعت الصنائع المحسنة حتى اذا أراد الله أن يقبضه أوحى اليه ان يستودع علم الله وحكمته أخاه ولد داود كانوا أربع مائة وثمانين رجلا انبياء بالرسالة قال الذهبى هذا باطل وقد رويت قصص فى عظم ملك سليمان عن القرطبي وغيره لا تطيب النفس بدكرته منها فالاسالك عن ذكرها أولى (ان هذا) أى ما تقدم ذكره من التعليم والانباء (الهو الفضل المبين) أى الظاهر الواضح الذى لا يخفى على أحد والمظهر والفضيلتنا وانما قال ذلك شكرا لا خيرا (وحشر سليمان جنوده من الجن والانس والطيور) من الاما كن المختلفة فى مسيرته والخشرا لجمع أى جمع له جنوده من هذه الاجناس وقد اطل المنسرون فى ذكرو مقدار جنده بالغ كثير منهم مما لغة تستبعدها العقول ولا تصح من جهة النقل ولو صحت لكان فى القدرة الرابنة ما هو أعظم من ذلك وأكثر (فهم يوزعون) أى اكل طائفة منهم وزعة تردأ ولهم على آخرهم فيققون على مراتبهم قيل كان فى جنوده وزراء وهم النقباء تردأ اول العسكر على آخره لثلا يتقدموا فى السير يقال وزعه يزعه وزعا كفه فترزع أى انكف وأوزعه بالشئ أعزابه واستوزعت الله شكره فاوزعنى أى استلهمته فألهمنى والوازع فى الحرب المولى بالصفوف يزع من يتقدم منهم أى برده وجمعه وزعة وقيل هو من التوزيع بمعنى التتريق يقال القوم أوزاع أى طوائف وقال ابن عباس يوزعون يدفعون وعنه قال لكل صف وزعة تردأ ولاها على آخرها لثلا تتقدمها فى السير كما يصنع المولى وفى الآية دليل على اتخاذ الأئمة والحكام وزعة يكفون الناس ويمنعونهم من تناول بعضهم على بعض الا لا يمكن الحكام ذلك بانفسهم قال الحسن لا بد للناس من وازع أى سلطان يكفهم (حتى اذا أتوا) حتى هى

(٨ - فتح البيان سابع)

منه مثل الجنان من العرف وهو فى يوم شات من نقل القول الذى أنزل الله عليه قالت فسرتى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال ابشرى يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك قالت فقالت لى أى قومى اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أجد الا الله عز وجل هو الذى أنزل برائتى وأنزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافت عصابة منهمك العشر الايات كلها فإلما أنزل الله هذا فى برائتى قال أبو بكر رضى الله عنه وكان ينطق على سطح ابن أمية لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيا أبدا بعد الذى قال اعائشة فانزل الله تعالى ولا يأتى أولوا الفضل منكم والسعة

ان يؤتوا أولى القربى الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله انى لاحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح الذنقة التى كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن أمرى فقال يا زينب ماذا علمت أو رأيت فقالت يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما علمت الا خيرا قالت عائشة وهى التى كانت تسمى من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله تعالى بالورع وطلقت أختها جنة بنت جحش (٥٨) تحارب لها فهلكت فيمن هلك قال ابن شهاب فهذه ما انتهت اليها من أمر

هو لاء الرهط أخرجه البخارى ومسلم في صحيحهم ما من حديث الزهرى وهو كذا رواه ابن اسحق عن الزهرى كذلك قال وحدثني يحيى بن عبد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى عن عمرة عن عائشة بخو ما تقدم والله أعلم ثم قال البخارى وقال أبو اسامة عن هشام بن عروة قال أخبرني أبي عن عائشة رضى الله عنها قالت لما ذكر من شأنى الذى ذكر وما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطيبا فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أشيروا على فى أناس أبناؤا أهلى وإيم الله ما علمت على أهلى من سوء وأبئوهم عن والله ما علمت عليه من سوء قط ولا يدخل بيتى قط الا وأنا حاضر ولا غبت فى سفر الا غاب معى فقام سعد ابن عباد الانصارى فقال يا رسول الله ائذن لى ان تضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم

التي يتبدأ بعدها الكلام وتكون غاية لما قبلها والمعنى فهم يوزعون الى حضور هذه الغاية وهى اتيانهم (على واد النمل) أى فهم يسرون ثموعا بعضهم من مقارفة بعض حتى اذا أتوا على مكان فيه نمل كثير وعدى بعلى لانهم كانوا محمواين على الریح فهم يستعملون والمعنى انهم قطعوا الوادى وبلغوا آخره قال كعب وادى النمل بالطائف وقال قتادة ومقاتل هو بالشام والنمل حيوان معروف شديد الاحساس والشم حتى انه يشم للشئ من بعيد ويذخر قوته ومن شدة ادراكه انه ينلق الحبة فلقمتين خوفا من الانبات وينلق حبة الكسبرة أربع فلق لانها اذا فلقمتين نبتت ويا كل فى عامه نصف ما جمع ويستبقى باقيه عدة ووقف القراء جميعهم على وادى النمل بالرسيم حيث لم يحدف لالتقاء السالكين بقوله الذين جاؤوا الصخر بالوادى الكسائر فانه وقف بالياء قال لان الموجب للحدف انما هو التقاء السالكين بالوصل (قالت غلاة) ملكة النمل على وجه النصيحة قول امشاة على حروف وأصوات وكانت عرجاء ذات جناحين وهى من الحيوانات التى تدخل الحنة فانه سليمان النمل قيل وكانت آتى بدليل تأنيث الفعل المستند اليه اوبه قال أبو حنيفة ورد هذا أبو حيان فقال الخاق التاء فى قالت لا يدل على أن الغلظة مؤنثة بل يصح أن يقال فى المذكر فالت لان غلظة وان كانت بالتاء فانها مالا يميز فيه المذكر من المؤنث بذكر الفعل ولا بتأنيثه بل يميز بالاختبار عنه بانه ذكر أو أنى ولا يتعلق بمثل هذا كثير فائدة ولا بالتعرض لاسم الغلظة ولا بذكر القصص الموضوعه والا حاديت المكذوبة وقرئ النمل والغلظة بزنة رجل وسمرة وقرئ بضمة فيهما ثم قيل نمل هذا الوادى صغار وهو النمل المعروف أو كبار كالجنائى أو كالذئب والاول هو المشهور والجله جواب اذا كانوا المارأتهم متوجهين الى الوادى فترت ونهت سائر النمل منادية ليا قائلة (يا أيها النمل) وقد اشغل هذا القول منها على أحد عشر نوعا من البلاغة وأولها النداء بيا وثانيها انها كتبت باى وثالثها نهيت بها التنبية ورابعها امتت بقولها النمل وخطمها أمرت بقولها (ادخلوا) وسادسها نصت بقولها (مسا كنكم) جعل خطاب النمل كخطاب العقلاء لفهمها لذلك الخطاب والمسا كن هى الامكنة التى تسكن النمل فيها وقرأ أى ادخلن مسا كنكن وقرئ مسكنكم وسابعها حذرت بقولها (لا يحطمنكم) أى لا يكسرنكم والحطم الكسر يقال حطمت حطما أى كسرت كسرا فانحطم وتحطم

حسان من رهط ذلك الرجل فقال كذبت اما والله ان لو كانوا من الاوس ما أحببت ان تضرب تكسر أعناقهم حتى كادان يكون بين الأوس والخزرج شرفى المسجد وما علمت فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتى ومعى أم مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت لها أى أم تسعين ابنك فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح فقلت لها أى أم تسعين ابنك ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فانتهرت فقالت والله ما أسبه الا فيك فقلت فى أى شأنى قالت فبقرت لى الحديث فقلت وقد كان هذا قالت نعم والله فرجعت الى بيتى كان الذى خرجت له لأجد منه قليلا ولا كثيرا ووعكبت



وقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني الى بيت ابي فارس معي الغلام فدخلت الدار فوجدت أم رومان في السندل وأبا بكر فوق البيت يقرأ فقالت أم رومان ما جاء بك يا بنية فأخبرتها وذكرت لها الحديث وإذا هولم يبلغ منها مثل الذي بلغ مني فقالت يا بنية خفتي عليك الشأن فانه والله لقل ما كانت امرأة قط حسنة عند رجل يحبها ضاراً إلا حسدتها وقيل فيها وإذا هولم يبلغ منها ما بلغ مني فقالت وقد علم به أبي قالت نعم قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعبرت و بكيت فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فقل لقال لامي (٥٩) ما شأنها قالت بلغها الذي ذكر من شأنها

ففاضت عيناه رضى الله عنه فقال أقسمت عليك يا بنية لا أرجعت الى بيتك فرجعت ولقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي فسأل عنى خديجة فقالت يا رسول الله لا والله ما علمت عليه عيباً إلا أنه أتى قد حنى تدخل الشاة قداماً كل خيرها أو يحجتها وانتهر بها بعض أصحابه فقال لعدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسقطوا لها به فتالت سبحان الله والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر وبالغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له فقال سبحان الله والله ما كشفت كنت أتى فقط قالت عائشة رضى الله عنها فتقبل ثم سجد في سبيل الله قالت وأجج أبو ابي عندي فلم ير الا حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صلى العصر ثم دخل وقد كسفتني أبو ابي عن يميني وعن شمالي فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أما بعد فبأعانة الله ان كنت قارفت سواء أو ظلت فتوبى الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده قالت وقد جاءت امرأتان الانصار

تتكسر والتكظيم التكسير والخطام ما تكسر من البس وهـ ذاك النهى هو في الظاهر للنمل وفي الحقيقة لسليمان فهو من باب لا أرى نك ههنا أو يدل من الأمر أو جواب للأمر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد لانه من ضرورات الشعر وقرئ لا يحطم منكم بضم الياء وفتح الحاء ونشد يد الطاء وثانها خصت بقولها (سليمان) وتاسمها عت بقولها (وجنوده) أرادت جنود سليمان بغت بما هو وأبلغ وعاشرها أشارت بقولها (وهـ م) وحادي عشرها عذرت بقولها (لا يشعرون) أى يحطمكم ولا يعلمون بكم أى لو شعروا لم يفسدوا قال ذلك على وجه العذر واصفة لهم بالعدل كما عرفت أن النبي معصوم وجنده محفوظ فلا يقع منهم حطم هذه الحيوانات الاعلى سبيل السهو وهذا تبيينه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبياء وحفظ أصحابهم وفيه ان الرافضة الذين ينسبون الظلم وحطم الحقوق الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته وعترته هم أقل عقلاً وأضعف رأياً من تلك الفئة فانها اعتقدت في جنود سليمان العدل وشيئاً واعتقدوا بأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم الظلم وشتان بينهما وقيل ان المعنى والنمل لا يشعرون ان سليمان يفهم مقالتهم وهو بعيد جداً (فتبسم) سليمان ابتداء (صاحكاً) انتهاء (من قولها) وقرئ ضحكاً وعلى الاول حال مؤكدة لانه قد فهم الضحك من التبسم وقيل حال مقدرة لان التبسم أول الضحك وقيل لما كان التبسم قد يكون للغضب كان الضحك مبيناًه وقيل ان ضحك الانبياء هو التبسم لا غير وعلى الثاني مصدر منصوب بفعل محذوف وكل من التبسم والضحك والقهقهة انفتاح في الفم لكن الاول انفتاح بلا صوت أصلاً والثاني مع صوت خفيف والثالث مع صوت قوى وكان ضحك سليمان تعجباً من قولها وفهمها واعتدائها الى تحذير النمل أو فرحاً لظهور عدله (وقال رب أوزعني) قد تقدم بيان معناه قريباً في قوله فهم يوزعون قال في الكشاف وحقيقة أوزعني اجعلني أزرع شكري نعمت عندي وأكفنه واربطه لا ينفلت عنى حتى لا أنفذ شاكراً لك انتهى قال الواحدى أوزعني أى ألهمنى وبه قال قتادة وعن الحسن مثله يقال فلان موزع بكذا أى مولع به قال القرطبي وأصله من وزع فكانه قال كنى عما يسخطك انتهى وقال الزجاج معناه امنعنى أن أكفر نعمت وهو تفسير باللازم (أن أشكر نعمتك التى أنعمت) بها (على) مفعول ثان لا وزعنى أى من النبوة والملك والعلم (وعلى والدى)

فهي جالسة بالباب فقلت ألا تستحي من هذه المرأة ان تذكريها فوعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت الى أبي فقالت له أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فماذا أقول فالتفت الى أبي فقالت أجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ماذا أقول فلما لم يجيبهاه تشهدت فحسدت الله وأثنت عليه بما هو أهله ثم قلت أما بعد فوالله ان قلت لكم انى لم أفعل والله عز وجل يشهد انى لصادقة ما ذك بنافعي عندكم لقد تكلمتم به وأثرت به قلوبكم وان قلت لكم انى قد فعلت والله يعلم انى لم أفعل لتتوان قد باتت به على نفسها وانى والله ما أجدلى ولكم مثلاً والتست اسم يعقوب فلم أقدر عليه إلا أبو يوسف حين قال فصر جليل والله المستعان

على ما تصفون وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من ساعته فسكتنا فرجع عنه وانى لاثنين السرور في وجهه وهو يسبح جبينه  
 ويتولى أبشرى باعائشة فقالت والله براءتكم قالت وكنت أشد ما كنت غضة بما قال لي أبو أي قومي إليه ففتلت والله لأقوم إليه  
 ولا أجد له ولا أجد كواولكن أجد الله الذي أنزل براءتي لقد سمعته موهفأ أنكرتود ولا غيرتوه وكانت عائشة تقول أما زب بنت  
 بحش فعصها الله يدينها فلم تقل الاخيرا وأما أختها حمنة بنت بحش فهلكت فيمن هلك وكان الذي يتكلم به مسطح وحسان بن  
 ثابت والمنافق عبد الله بن أبي بن سلول (٦٠) وهو الذي كان يستوشح ويجمعه وهو الذي تولى كبره منهم حور حمنة

قالت خلف أبو بكر أن لا ينفذ  
 مسطعاً بنا فعة أيا فأنزل الله تعالى  
 ولا ياتل أولوا الفضل منكم الى آخر  
 الآية يعني أبابكر والسعة أن يؤتوا  
 أولى القرى والمسكين يعني مسطعاً  
 الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله  
 لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر  
 بلى والله يا ربنا اننا نحب أن تغفر  
 لنا وعادله بما كان يصنع هكذا  
 رواه البخاري من هذا الوجه معلقاً  
 بصيغة الجزم عن أبي أسامة حماد  
 ابن أسامة أحد الأئمة الثقات  
 وقدره ابن جرير في نفسه غيره عن  
 سفيان بن وكيع عن أبي أسامة  
 مطولاً به مثله أو نحوه ورواه ابن  
 أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن  
 أبي أسامة يعضه وقال الامام أحمد  
 حدثنا هشيم أخبرنا عمر بن أبي سلمة  
 عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها  
 قالت لما نزل عذري من السماء  
 جاءني النبي صلى الله عليه وسلم  
 فأخبرني بذلك فقلت بحمد الله لا  
 بحمدك وقال الامام أحمد حدثني  
 ابن أبي عدي عن محمد بن اسحق عن  
 عبد الله بن أبي بكر عن عمرة أيضا  
 عن عائشة قالت لما نزل عذري قام

الدعاء منه بأن يوزعه الله شكر نعمته على والديه كما أوزعه شكر نعمته عليه لان الانعام  
 عليهم ما انعام عليه وذلك يستوجب الشكر منه لله سبحانه قال أهل الكتاب وأمه هي  
 زوجة أو ربا يوزن قوتها التي امتحن الله بها داود قاله القرطبي والله أعلم بصحته ثم طلب  
 أن يضيف الله له لواحق نعمه الى سوابقها ولا سيما النعم الدينية فقال (وأن أعمل صالحاً)  
 في بقية عمري (ترضاه) منى ثم دعأ أن يجعله الله سبحانه في الآخرة داخل في زمرة الصالحين  
 فان ذلك هو الغاية التي تتعلق بها الطلب فقال (وأدخلني) الجنة (برحمتك في عبادك  
 الصالحين) من النبيين أو صلحاء العباد والمعنى أدخلني في جملتهم وأثبت اسمي في أسمائهم  
 واحشرنني في زمرةهم الى دار الصالحين وهي الجنة أو في بمعنى مع والصلاح الكامل هو  
 الذي لا يعصى الله ولا يفعل معصية ولا يهملها وهذه درجة عالية اللهم وانى أدعوك بما  
 دعاك به هذا النبي الكريم فتقبل ذلك منى وتفضل علي به فاني وان كنت مقصر في  
 العمل فنفضلك الواسع هو سبب الفوز بالخير ورحمتك أرجى عندي من عملي فهذه الآية  
 منادية بأعلى صوت وأوضح بيان بأن دخول الجنة التي هي دار المتقين بالتفضل منك  
 لا بالعمل منهم كما قال رسولك الصادق المصدوق فيما ثبت عنه في الصحيح سددوا وقاربوا  
 واعملوا أنهن لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتعمدني  
 الله برحمته فاذ لم يكن الا بفضلك الواسع فترك طلبه منك عجز والتفريط في التوسل اليك  
 بالايصال اليه تضييع ثم شرع سبحانه في ذكر قصة بلقيس وما جرى بينها وبين سليمان  
 وذلك بدلالة الهدد فقال (وتفقد الطير) التفقد تطلب ما غاب عنك وتعترف بأحواله  
 والطير اسم جنس لكل ما يطير والمعنى انه تطلب ما فقدت من الطير وتعترف حال ما غاب  
 منها وكنت الطير بحسب في سفره وتطلبه بأجنحتها (فقال مالي) وقرئ بسكون الياء (لا أرى  
 الهدد) أي مال الهدد لا أراه فهذا من الكلام المقلوب الذي تستعمله العرب كثيراً  
 وقيل لا حاجة الى ادعاء القلب اذا المعنى صحيح بدونه بل هو استهتام واستخبار عن المانع له  
 من رؤية الهدد كانه قال مالي لأراه هل ذلك اساتر بسفرتي عنى أو شئ آخر قال الكلبي  
 ولم يكن له في مسيره الا هدهد واحد والهدد معروف ثم ظهر له انه غائب فقال (أم كان  
 من الغائبين) فلم أراه لغيبته وأم هي المقطعة التي بمعنى الاشراب عن ابن عباس انه سئل  
 كيف تفقد سليمان الهدد من بين الطير فقال ان سليمان نزل منزلاً فلم يدر ما بعد الماء

رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل أمر برجلين وأمرأة فضر بواحدتهم ورواه أهل السنن الاربعة وكان  
 وقال الترمذي هذا حديث حسن ووقع عند أبي داود تميمهم حسان بن ثابت ومسطح بن النانة وحنيفة بنت بحش فهذه طرق  
 متعددة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في المسانيد والصحاح والسنن وغيرها وقد روى من حديث أمها أم رومان رضي الله  
 عنها فيقال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم أخبرنا حصين عن أبي وائل عن مسروق عن أم رومان قالت بينما أنا عند عائشة إذ دخلت  
 عليها امرأة من الانصار فقالت فعل الله بانهم اوفعل فقالت عائشة ولم قالت انه كان فيمن حدث الحديث قالت وأي الحديث قالت

كذا وكذا قالت وقد بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قالت وبلغ أبا بكر قالت نعم فخرت عائشة رضي الله عنها غشياً عليها فأتاها فأتها على ما جرى بناقض قالت فقامت فذمها قالت جاء النبي صلى الله عليه وسلم قال فاشأن هذه فقالت يا رسول الله أخذتم حاجي بناقض قال فلعل في حديثي تحدث به قالت فاستوت عائشة قاعدة فقالت والله إن حلفت لكم لا تصدقوني ولئن اعتذرت إليكم لا تعذروني فثبلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه حين قال فصر جليل والله المستعان على ما تصفون قالت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أنزل الله عذرها فخرج رسول الله (٦١) صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر فدخل

فقال يا عائشة إن الله تعالى قد أنزل عذرك فقالت بحمد الله لا يحمدك فقال لها أبو بكر تقولين هذا الرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قالت وكان فيمن حدث هذا الحديث رجل يعوله أبو بكر خلف أن لا يصله فأمر الله ولا يأتى أولو الفضل منكهم والسعة إلى آخر الآية فقال أبو بكر بل فوصله فنرد به البخاري دون مسلم من طريق حصين وقد رواه البخاري عن موسى بن اسمعيل عن أبي عوانة وعن محمد بن سلام عن محمد بن فضيل كلاهما عن حصين وفي لفظ أبي عوانة حدثني أم رومان وهذا صريح في سماع مسروق منها وقد أنكر ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخطيب وقد كان مسروق يرسله فيقول سئلت أم رومان ويسوقه ففعل بعضهم كتب سئلت بألف فاعتقد الراوي أنها سئلت فظنه متصلًا قال الخطيب وقد رواه البخاري كذلك ولم تظهر له علته كذا قال والله أعلم فتو له تعالى إن

وكان الهدد هديل سليمان على الماء فأراد أن يسأله عنه ففقدته قال سعيد بن جبيرة لما ذكر ابن عباس رضي الله عنه هذا قيل له كيف ذلك والهدد ينصب له الفخ يلقى عليه التراب ويضع له الصبي الحبال فيغيبها فيصيده فقال إذا جاء القضاء ونزل القدر ذهب اللب وعمى البصر فلما تحقق الغيبة قال (لا عذبه عذاباً شديداً) اختلفوا في هذا العذاب الشديد ما هو فقال ابن عباس ومجاهد وابن جرير هو أن ينتف ريشه جيعاً وروى نحوه هذا عن جماعة من التابعين وقال يزيد بن رومان هو أن ينتف ريش جناحيه وقيل أن يحبس مع اضداده وقيل أن يمنع من خدمته وقيل القاءه في الشمس وقيل التفريق بينه وبين الله وقيل الزامه خدمة اقربائه وقيل ابتداءه في القنص وقيل طرحه بين يدي التل ليأكله وفي هذا دليل على أن العاقبة على قدر الذنب لا على قدر الجسد وحل له تعذيب الهدد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير لم يتم التسخير إلا بتأديب والسياسة وعن الحسن قال كان اسم هدهد سليمان غير قال الشوكاني لا أدري من أين جاء هذا الحسن رجه الله وهكذا ما روى عنه أن اسم المنهله حرس وانها من قبيلة يقال لهم بنو الشيبان وانها كانت عرجاء وكانت بتسدر الذئب وهو رجه الله وأورع الناس عن نقل الكذب ونحن نعلم أنه لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك شيء ونعلم أنه ليس للحسن اسم نادته متصل بسليمان أو بأحد من أصحابه فهذه العلم مأخوذ من أهل الكتاب وقد أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم فإن ترخص مترخص بالرواية عنهم مثل ما روى حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فليس ذلك مما يتعلق بتقسيم كتاب الله سبحانه بلا شك بل فيما عدا ذلك من القصص الواقعة لهم وقد كررنا التنبية على مثل هذا عند عرض ذكر التفسير العربية (أولاً) بجملة) بتقطع حاتمونه (أولياً) بتبني سلطان مبيي) هو الحجية البينة في غيبته قال ابن عباس السلطان المدين خير الحق الصادق الأمين وعنه قال كل سلطان في القرآن حجة وذو هذه الآية ثم قال وأي سلطان كان لله دعه يعني أن المراد بالسلطان الحجية لا السلطان الذي هو المالك والخلف في الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث فكلمة أو بين الأولين للتخبر وفي الثالث للتبريد بينه وبينهما قال الرمخشمي فإن قلت قد علمت على أحد ثلاثة أشياء فخلته على فعله لا كلام فيه ولكنه كيف يصح حلفه على فعل الهدد من أين درى أنه

الذين جاؤا بالافتراء والكذب والبهتان والافتراء عصبية أي جماعة منكم لا تحسبوا بشر الكرم أي يا آل أبي بكر بل هو خير لكم أي في الدنيا والآخرة لسان صدق في الدنيا ورفعته منازل في الآخرة وظاهره شرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حيث أنزل الله برائتها في القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية ولهذا المداخل عليها ابن عباس رضي الله عنه وعنهما وهي في سبب ما في الموت قال لها أبا بشرى فأنكرت ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحبك ولم يتزوج بكراً غيرك ونزل براءتك من السماء وقال ابن جرير في نفسه - به حدثني محمد بن عثمان الواسطي - حدثنا جعفر بن عون عن العلي بن عرفان

عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت عائشة وزينب رضي الله عنهما فقالت زينب أنا التي نزل تزويجي من السماء وقالت عائشة أنا التي نزل عذري في كتاب الله حين جلتني صفوان بن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب يا عائشة ما قلت حين ركبتني قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة المؤمنين وقوله تعالى لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم أي لكل من تكلم في هذه القضية ورعى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب والذي تولى كبره قيل ابتداءه وقيل الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه (٦٢) ويشيعه له عذاب عظيم أي على ذلك ثم الاكثرون على ان المراد بذلك

انما هو عبد الله بن أبي ابن سلول فبجه الله ولعنه وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث وقال ذلك مجاهد وغير واحد وقيل بل المراد به حسان ابن ثابت وهو قول غريب ولولا انه وقع في صحيح البخاري ما قديدل على ذلك لما كان لا يراده كبر فائدة فانه من العباد الذين كان لهم فضائل ومناقب وما آثر وأحسن محاسنه انه كان يذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجهم وجاهر بل معك وقال الاعشى عن أبي الضحى عن مسروق قال كنت عند عائشة رضي الله عنها فدخل حسان بن ثابت فأمرت فألقى له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما صنعتين بهذا يعني يدخل عليك وفي رواية قيل لها تأذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد من العمى وكان قد ذهب بصره لعزل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم ثم قالت انه كان ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية

بأني بسطان قلت لما نظم الثلاثة بأوفى الحكم الذي هو الخلف آل كلامه الى قولك ليكون أحد الامور يعني ان كان الاتيان بسطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحداهم وليس في هذا ادعاء دراية انتهى وأو الثانية ترجع في المعنى الى أنهم اعنى الاوهى قيل في كل من الامر من قبلها فبكانه قال لا عذبه الا أن يأتيه من باب قريب يا تبنى بسطان مبين (فكث) بفتح الكاف من باب نصر وقرئ بضم الكاف من باب قرب قال سيبويه مكثت بمكوثنا كقعدت بقعدت عودا أي مكث الهدد بعد تفقد سليمان اياه زمانا (غير بعيد) وقيل ان الضمير في مكث لسليمان والمعنى بقى سليمان بعد التفقد والتعود زمانا غير طويل والاول اولي (فقال أحطت بما لم تحط به) الاحاطة العلم بالشئ من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم واعلم في الكلام حذفوا التقدير فكث الهدد غير بعيد فاعوتب على مفيد ه فقال معناه ذراع ذلك أحطت بما لم تحط به قال الفراء ويقال أحطت بادغام الطاء في التاء والمعنى علمت ما لم تعلمه من الامر وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك وقال ابن عباس اطلعت على ما لم تطلع عليه وقد ألهم الله الهدد هذا الكلام فكافح سليمان به مع ما أوتى من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاءه في علمه وتنبها على ان أدنى جنسه قد أحاط علما بما لم يحيط به ليكون الظن انه في ترك الاعجاب وانما أخفى الله على سليمان مكانها وكانت المسافة بينهما ما قرئ به من الصلحة رأها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحدا أعلم منه (وجئتكم من سبأ) قرئ بالصرف على انه اسم رجل نسب اليه قوم وقرئ بفتح الهمزة وترك الصرف على انه اسم مدينة وأنكر الزجاج أن يكون اسم رجل وقال سبأ اسم مدينة تعرف بمأرب اليمن وقيل هو اسم امرأة سميت بها المدينة قال القرطبي والصحيح انه اسم رجل كما في كتاب الترمذي من حديث فروة بن مسعود المرادى قال ابن عطية وخفي هذا على الزجاج فخطب خطب عشواء وزعم الفراء ان الرواسي سأل أبا عمرو بن العلاء عن سبأ فقال ما أدري ما هو قال النحاس وأبو عمرو أجل من ان يقول هذا قال والقول في سبأ ما جاء التوقيف فيه انه في الاصل اسم رجل فان صرفته فلانه قد صار اسم للحي وان لم تصرفه جعلته اسم للقبيلة من مثل عود الآن الاختيار عند سيبويه الصرف انتهى وأقول لاشك ان سبأ اسم لمدينة باليمن كانت فيها بلقيس وهو

انه أنشد هاء عند ما دخل عليها شعر ايمده به فقال \* حصان رزان ما تزني بريية \* وتصيح غرثي من لحوم ايضا العوافل \* فقالت أمأنت فلست كذلك وفي رواية لكنت لست كذلك وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن قزعة حدثنا سلمة بن عقبة حدثنا اودع عن عامر عن عائشة أنها قالت ما سمعت بشعرا أحسن من شعر حسان ولا تمثل به الارجوت له الجنة قوله لا يي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب شجوت محمدا فأجبت عنه \* وعند الله في ذلك الجزاء فان أبي ووالده وعرضي \* لعرض محمد منكم وفاء أنشئه ولست له بكفء \* فشر كالحير كما الفداء

لساني صارم لا عيب فيه \* وجرى لا تكدره اللآء فقيل يا أم المؤمنين أليس هذا الغواقات لا انما لاغو ما قيل عند النساء  
 قيل أليس الله يقول والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت أليس قد أصابه عظيم أليس قد ذهب بصره وكعب بالسيف تعنى  
 الضربة التي ضرب بها اياها صفوان بن المعطل السلمي حين بلغه عنه انه يتكلم في ذلك فعلا ما بالسيف وكان ان يقتله (ولو اذ سمعتموه  
 ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاوا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم  
 الكاذبون) هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قضية عائشة رضی (٦٣) الله عنها حين أفاض بعضهم في ذلك

الكلام السيئ وما ذكر من شأن  
 الافك فقال تعالى لولا يعني هلا اذ  
 سمعتموه أى ذلك الكلام الذى  
 رويت به أم المؤمنين رضى الله عنها  
 ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم  
 خيرا أى قاسوا ذلك الكلام على  
 أنفسهم فان كان لا يليق بهم قام  
 المؤمنون وأولى بالبراءة منه بطريق  
 الاولى والاخرى وقد قيل انها زارت  
 فى أبى أيوب خالد بن زيد الانصارى  
 وامرأته رضى الله عنهما كما قال  
 الامام محمد بن اسحق بن يسار عن  
 أبيه عن بعض رجال بنى النجار  
 ان أبى أيوب خالد بن زيد الانصارى  
 قالت له امرأته أم أيوب يا أبا  
 أيوب أما تسمع ما يتولى الناس فى  
 عائشة رضى الله عنها قال نعم وذلك  
 الكذب أكنت فاعلمه ذلك بأمر  
 أيوب قالت لا والله ما كنت لافعله  
 قال فعائشة والله خير منك قال  
 فلما نزل القرآن ذكر الله عز وجل  
 من قال فى الناحشة ما قال من أهل  
 الافك ان الذين جاوا بالافك عصبة  
 منكم وذلك حسان وأصحابه الذين  
 قالوا ما قالوا ثم قال تعالى لولا اذ  
 سمعتموه ظن المؤمنون الاية أى  
 كما قال أبى أيوب وصاحبه وقال

أيضا اسم رجل من قحطان وهو سبأ بن شجب بن يعرب بن قحطان بن هود وليكن المراد  
 هنا ان الهدد جاء الى سليمان بنجر ما عاينه في مدينة سبأ مما وصفه وسيأتى من المأثور  
 ما يوضح هذا ويؤيده وعن ابن عباس قال سبأ بارض اليمن يقال لها مأرب بينها وبين  
 صنعاء مسيرة ثلاث ليال والمعنى ان الهدد جاء سليمان من هذه المدينة (بنبايتين) النبأ  
 هو الخبر الخطير الشأن وهذا من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع انظروا معنى  
 ههنا ألا ترى انه لو وضع مكان بنبا بنجر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما فى السامان  
 الزيادة التي يطابقها وصف الحال فلما قال الهدد لسليمان ما قال قال له سليمان وما ذلك  
 فقال (انى وجدت امرأة تملكهم) وهى بلقيس بنت شراحيل روى ذلك عن الحسن  
 وقادة وزهير بن محمد وعن ابن جرير انها بنت ذى شرح وجدها الهدد تملك أهل  
 سبأ وكان أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها  
 يحوسوا بعدون الشمس والضيفر فى غلبتهم راجع الى سبأ على تأويل القوم وأهل المدينة  
 والجزيرة هذه كالبيان والتفسير للجملة التي قبلها أى ذلك النبأ اليقين هو كون هذه  
 المرأة تملك هؤلاء قال ابن عباس اسمها بلقيس بنت ذى شيرة وكانت هلباء شعراء قيل  
 كانت من نسل يعرب بن قحطان وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله  
 وسلم احدى أبوى بلقيس كان جنيا أخرجه ابن عباس كروا بن هريرة وأبو الشيخ وابن  
 جرير (وأوتيت من كل شئ) فيه مبالغة والمراد انها أوتيت من كل شئ من الاشياء التي  
 تحتاجها الملوك من الآلة والعتدة وكان يخدمها النساء وهذا عام أريد به الخصوص وقيل  
 المعنى أوتيت من كل شئ فى زمانها شيا من أسباب الدنيا والمال والعتدة ما يلبس بجواهرها  
 فحذف شيئا لأن الكلام قد دل عليه (ونها عرش عظيم) أى سرير كبير ضخيم وقيل المراد  
 بالعرش هنا الملك والاول وأولى لقول سليمان أياكم يأتى بعرشها ووصفه بالعظيم بالنسبة  
 اليها والى أمثالها من ملوك الدنيا لانه كما قيل كان مضر ويادن الذهب والفضة طوله ثمانون  
 ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه فى السماء ثلاثون ذراعا مكلا بالدر والياقوت  
 الاحمر والزبرجد الاخضر والزمرد وأما رصف عرش الله بالعظيم فهو بالنسبة الى جميع  
 الخلق من السموات والارض وما بينهما فبينهما جون عظيم وفرق بين قال ابن عطية  
 واللازم من الآية انها امرأة ملكة على مسدات اليمن ذات ملك عظيم وسرير كبير

محمد بن عمر الواقدي حدثني ابن أبي حبيب عن داود بن الحصين عن أبي سفيان عن أنس بن مالك عن أبى أيوب  
 ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة قال بلى وذلك الكذب أفكنت يا أم أيوب قالت لا والله قال فعائشة والله خير منك فلما نزل القرآن  
 وذكر أهل الافك قال الله عز وجل لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين يعنى أبى أيوب حين  
 قال لام أيوب ما قال ويقال انما قالها أبى بن كعب وقوله تعالى ظن المؤمنون الخ أى ظنوا الخير فان أم المؤمنين أهله وأولى بهذا  
 ما يتعلق بالباطن وقوله وقالوا أى بالسنتهم هذا افك مبير أى كذب ظاهر على أم المؤمنين رضى الله عنها فان الذى وقع لم يكن ريبه

وذلك أن محبي أم المؤمنين راكبة جهرة على راحلة صفوان بن العطل في وقت الظهيرة والحيش بكمله يشاهدون ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ولو كان هذا الأمر فيه ريب لم يكن هكذا جهرة ولا كأنا بقمرمان على مثل ذلك على رؤس الأشهاد بل كان هذا يكون لو قدر خشيته متورا فتم من أن ما جاء به أهل الأوثان مما رواه أم المؤمنين هو الكذب البحت والقول الزور والرعونة الفاحشة الناجرة والصفقة الخاسرة قال الله تعالى لولا أي هلا جاو عليه أي على ما قالوه بأربعة شهداء يشهدون على صحة ما جاؤا به فاذلم يأوتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم (٦٤) الكاذبون أي في حكم الله كاذبون فاجرون (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته في

وكانت كفرة من قوم كفار وعن ابن عباس قال سرير كرم من ذهب وقوائمه من جوهر ولو لو وحسن الصنعة على الثمن عليه سبعة آيات على كل بيت باب مغلق (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) أي يعبدونها متجاوزين عبادة الله سبحانه قيل كانوا مجوسا وقيل زنادقة ووجدت بمعنى لقيت وأصبت فتعدى لواحد (وزين لهم الشيطان أعمالهم) التي يعملونها وهي عبادة الشمس وسائر أعمال الكفر (فصدّهم عن السبيل) أي صدّهم الشيطان بسبب ذلك التزيين عن الطريق الواضح وهو الإيمان بالله وتوحيده (فهم لا يهتدون) إلى ذلك ولا يعبدون الهدى التي إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس الهامان الله كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاج العقول يهتدون لها (ألا يسجدوا لله) قال ابن الأنباري الوقف على لا يهتدون غير تام عندهم شدة الأيمان المعنى وزين لهم الشيطان أن لا يسجدوا لله بمعنى لا يسجدوا لله على الوجهين مفعول له وقيل فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله ولا على هذا الزائدة كقولهم ما منعك أن لا تسجد وعلى قراءة الجمهور ليس هذه الآية موضع سجدة لأن ذلك اخبار عنهم بترك السجود أما بالتزيين أو بالصد أو بمنع الاهتداء وقد رجع كونه على الصلوات الزجاج ورجع الفراء كونه على التزيين قال زين لهم أعمالهم لئلا يسجدوا وقرى ألابا بالتخفيف وعلى هذا فهي حرف تنبيه واستفتاح وما بعدها حرف نداء الأياا يسجدوا واسجدوا فاعل أمر وتقديره الأياهولاء يسجدوا قال الزجاج وقراءة التخفيف تقتضي وجوب السجود دون قراءة التشديد وقراءة التخفيف وجه حسن الآن فيها انقطاع الخبر عن أمر سائر الرجوع بعد ذلك إلى ذكرهم والقراءة بالتشديد خبر يتبع بعضها بعضا لانقطاع في وسطه وكذا قال النحاس وعلى هذه تكون جملة ألابا يسجدوا معترضة من كلام الهدى أو من كلام سلمان أو من كلام الله سبحانه وقرأ ابن مسعود هـ لا تسجدوا بالفوقية وقرأ أبي ألابا يسجدوا بالتاء وفيه مناسبة لما قبله وهي الرد على من يعبد الشمس وغيره من دون الله (الذي يخرج الخبء في السموات والأرض) يقال خبأت الشيء أخبأه خبا والخبء ما خبأت أي يظهر ما هو مخبوء ومخفى فيها - ما لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من فيه - ما عالم

الديناو الآخر قلتمكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تقونه بأستكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) يقول تعالى ولو لا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة أيها الخائضون في شأن عائشة بأن قبل توبتكم وانابكم اليه في الدنيا وعفا عنكم لايمانكم بالنسبة إلى الدار الآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه من قضية الألف عذاب عظيم وهذا في عنده ايمان يقبل الله بيبه التوبة كسطح وحسان وحنسة بنت جحش أخت زينب بنت جحش فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول واخرايه فليس أولئك مرادين في هذه الآية لأنه ليس عندهم من الايمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين يكون مطلقا مشروطا بعدم التوبة أرميا يقابل من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه ثم قال تعالى اذ تلقونه بأستكم قال مجاهد وسعيد بن جبيرة أي يرويه بعضكم عن بعض

يقول هذا سمعته من فلان وقال فلان كذا وكذا وقرأ آخرون اذ تلقونه بأستكم وفي صحيح البخاري عن عائشة أنها كانت تقرؤها كذلك وتقول هو من واتى اللسان يعنى الكذب الذي يستقر صاحبه عليه تقول العرب ولق فلان في السير اذا استقر فيه والقراءة الاولى أشهر وعليها الجمهور ولكن الثانية مروية عن أم المؤمنين عائشة قال ابن حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة هي أعلم به من غيرها وقوله تعالى وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم أي تقولون ما لا تعلمون ثم قال تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم أي تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين

بجميع

وتحسبون ذلك يسيرا مهلا ولولم تكن زوجة النبي صلى الله عليه وسلم لما كان هينا فكيف وهي زوجة النبي الاي خاتم الانبياء وسيد  
 المرسلين فعظيم عند الله ان يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل فان الله سبحانه وتعالى يعارلها ذوا هو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجة  
 نبي من الانبياء ذلك حاشا وكلا ولما لم يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الانبياء وزوجة سيد ولد آدم على الاطلاق في الدنيا  
 والآخرة ولهذا قال تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وفي الصحيحين ان الرجل يستكلم بالكلمة من حفظ الله لا يدري  
 ما تبلغ به في النار بعدد مما بين السماء والارض وفي رواية (٦٥) لا يلقى لها بالالا (ولو لا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا

ان تكلم بهذا سبحانه هذا هتان  
 عظيم بعظمتكم الله ان تعودوا المثل  
 ابدأ ان كنتم مؤمنين وبين الله  
 لكم الآيات والله عليم حكيم) هذا  
 تأديب آخر بعد الاول الامر بظن  
 الخبر أي اذا ذكر ما لا يابق من القول  
 في شأن الخيرة فأولى ينبغي الظن  
 بهم خيرا وان لا يشعر نفسه سوى  
 ذلك ثم ان علق بنفسه شي من ذلك  
 وسوسة أو خيال فلا ينبغي ان يتكلم  
 به فان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قال ان الله تعالى تجاوز لامتي عما  
 حدثت به أنفها ما لم تقل أو تعمل  
 اخرجاه في الصحيحين وقال الله  
 تعالى ولو لا اذ سمعتموه قلتم ما يكون  
 لنا ان تكلم بهذا أي ما ينبغي لنا ان  
 نتقوه بهذا الكلام ولان ذكره لا حد  
 سبحانه هذا هتان عظيم أي  
 سبحانه الله ان يقال هذا الكلام  
 على زوجة رسوله وحليلة خليله ثم  
 قال تعالى يعظكم الله ان تعودوا  
 مثله ابدأ أي فيها كم الله متوعد ان  
 يقع منكم ما يشبه هذا ابدأ أي فيما  
 يستقبل ولهذا قال ان كنتم مؤمنين  
 أي ان كنتم تؤمنون بالله وشرعه  
 وتعظمون رسوله صلى الله عليه وسلم

بجميع المعلومات وفي اخراج الخب دليل على القدرة قال الزجاج جاء في التفسير ان  
 الخب ههنا بمعنى القطر من السماء والنبات من الارض وقيل خب الارض كنوزها  
 ونباتها وقال قتادة الخب السم قال النحاس أي ما غاب فيها ما قرئ الخب بنوع الباء من  
 غير همز وقرئ الخب بالالف قال أبو حاتم وهذا لا يجوز في العربية ورد عليه بان سيبويه  
 حكى عن العرب ان الف تبدل من الهمز اذا كان قبلها ساكن وقرئ من السموات قال  
 الفراء من وفي تعاقبان عن ابن عباس قال يعلم كل خبيثة في السماء والارض (ويعلم  
 ما تحفون وما تعلمون) قرئ بالتحسية في الفعلين وبالوقية للخطاب اما الاولى فلكون  
 الضمائر المقدمه ضمائر غيبة وأما الثانية فلكون القراءة فيها الامر بالسجود والخطاب  
 لهم بذلك فهذا من ذلك الخطاب والمعنى ان الله سبحانه يخرج ما في هذا العالم الانساني من  
 الخفي يعلمه كما يخرج ما خفي في السماء والارض وفيه دليل على اثبات العلم والاعلان  
 ذكره لتوسيع دائرة العلم للتبنيه على تساويه بالنسبة الى علمه تعالى ثم بعد ما وصف الرب  
 سبحانه بما تقدم مما يدل على عظيم قدرته وجليل سلطانه وسعة علمه ووجوب توحيده  
 وتخصيصه بالعبادة قال (الله الاله الا هو رب العرش العظيم) بالجر نعتا للعرش وبالرفع  
 نعتا للرب وخص العرش بالذكور لانه أعظم المخلوقات كما ثبت ذلك في المرفوع الى رسول الله  
 صلى الله عليه وآله وسلم وأما عرش بلقيس فتعظيمه بالاضافة الى عروش أبناء جنسها  
 من الملوك وهذا بالنسبة الى جميع الموجودات من السماء والارض وبينها ملوك عظيم  
 كما تقدم والى هنا كلام الهدد لكنه من قوله الذي يخرج الى هنا ليس داخل تحت قوله  
 أحطت بما لم تحط به يعني ليس مما علم الهدد دون سليمان بل سليمان يعلمه أيضا على وجه  
 أم وأكل من علم الهدد وانما ذكر الهدد لبيان ما هو عليه معتقده واطهار التصلبه  
 في الدين فلما فرغ الهدد من كلامه (قال) له سليمان (سنظرك) فيما أخبرتنا به من هذه  
 القصة وتعرف والنظر هو التأمل والتصفح وفيه ارشاد الى البحث عن الاخبار والكشف  
 عن الحقائق وعدم قبول خبر الخبيرين تقليدا لهم واعتمادا عليهم اذا تمكن من ذلك بوجه  
 من الوجوه (أصدقت) فيما قلت والهمزة استفهامية (أم كنت من الكاذبين) أم هي  
 المتصلة وهذا القول أبلغ من قوله أم كذبت فيمع انه اخصر وأثم لان المعنى من الذين  
 اتصفوا بالكذب وصار خلقا لهم فهو يفيد أنه كاذب لاحتماله على أم وجهه ومن كان كذلك

(٩ - فتح البيان سابع) فاما ان كان متصفا بالكثرة فلا حكم آخر ثم قال تعالى وبين الله لكم الآيات أي يوضح لكم الاحكام  
 الشرعية والحكم القدرية والله عليم حكيم أي عليم بما يصلح عباده حكيم في شرعه وقدره ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في  
 الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئا من الكلام السيء فقام بذم  
 شيء منه وتكلم به فلا يكفر منه ولا يشيعه ويربعه فقد قال تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم  
 أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبح لهم عذاب أليم في الدنيا أي بالحد وفي الآخرة بالعذاب الليم والله يعلم وأنتم لا تعلمون أي

فردوا الامور اليه ترشدا ووافق الامام اجد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون بن أبي محمد المراني حدثنا محمد بن عباد الخزومي عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فانه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته (ولو لافضل الله عليكم ورجته وان الله رؤوف رحيم) بأبيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفعشاء والمنكر ولو لافضل الله عليكم ورجته مازكى منكم من أحد بدأوا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم) يقول الله تعالى ولو لافضل (٦٦) الله عليكم ورجته وان الله رؤوف رحيم أى لولا هذا كان أمر آخر ولكنه

تعالى رؤوف بعباده رحيم بهم  
 فتاب على من تاب اليه من هذه  
 وطهر من طهر منهم بالحد الذى أقيم  
 عليهم ثم قال تعالى بأبيها الذين آمنوا  
 لا تتبعوا خطوات الشيطان يعنى  
 طرائقه ومساكده وما يأمر به ومن  
 يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر  
 بالفعشاء والمنكر هذا تنفير وتحذير  
 من الله بافصح عبارة وأبلغها  
 وأوجزها وأحسنها قال على بن أبى  
 طلحة عن ابن عباس خطوات  
 الشيطان عمله وقال بكرمة نزعته  
 وقال قتادة كل معصية فهى من  
 خطوات الشيطان وقال أبو مجلز  
 البدور فى المعاصى من خطوات  
 الشيطان وقال مسروق سألت  
 رجلا من مسعود فقال انى حرمت  
 ان آكل طعاما وسماه فقال هذا من  
 نزعته الشيطان كفر عن يمينك  
 وكل وقال الشعبي فى رجل نذر  
 ذبح ولده هذا من نزعته الشيطان  
 وأقناه ان يذبح كبشا وقال ابن  
 أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا حسان  
 ابن عبد الله المصرى حدثنا السرى  
 ابن يحيى عن سليمان التميمى عن أبى  
 رافع قال غضبت على امرأتى

لا يؤثوبه وقال البيضاوى التغيير للمبالغة والمحافظة على القواصل ثم بين سليمان هذا  
 النظر الذى وعده فقال (أذهب بك أبى هذا فإفأقه اليهم) أى الى أهل سبأ قال الزجاج فى  
 أنه خمسة أوجه قرئ بها وخص الهدى برسالة بالكتاب لانه المخبر بالقصة ولكونه رأى  
 منه من مخايل الفهم والعلم ما يتتضى كونه أهلا للرسالة (ثم يقول) أى تنح وانصرف (عنهم)  
 وقف قريبا منهم وانما أمر بذلك ليكون التنبي بعد دفع الكتاب من أحسن الآداب التى  
 يتأدب بها رسل الملوك والمراد التنبي الى مكان يسمع فيه حديثهم حتى يخبر سليمان بما سمع  
 وقيل معنى التولى الرجوع اليه والاول أولى لقوله (فأظرم ما ذاب رجوعون) أى تأمل  
 وتفكر فيما يرجع بعضهم الى بعض من القول وما يتراجعونه بينهم من الكلام قال ابن  
 عباس يقول كن قريبا منهم فأنظروا الذى يردونه من الجواب (قالت) بلقيس (يا أيها الملك)  
 فى الكلام حذف والتقدير فذهب الهدى فآلقاه اليهم فسمعهما تقول يا أيها الملك (أنى ألقى  
 الى كتاب كريم) والملائم الاشراف وهو الملائم لانهم يملون العميون وفاعل ألقى محذوف  
 قيل لجهلها به ان لم تكن شاهده وقيل لاحتقارها ان كانت رأته والكريم المكرم  
 المعظم ووصفت الكتاب بالكريم لكونه من عند عظيم فى نفسه فاعظمت اجلالا  
 لسليمان وقيل لاشتهاله على كلام حسن وقيل لكونه مصدرا بالبسلة وقيل لغرابته  
 شأنه وقيل لكونه وصل اليها محتوما بخاتم سليمان وكرامة الكتاب ختمه كما روى ذلك  
 مرفوعا قال ابن المقفع من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به ثم يفت ما تضمنه  
 هذا الكتاب فقالت (أنه من) عبد الله (سليمان) بن داود الى بلقيس ملكة سبأ (وانه بسم  
 الله الرحمن الرحيم) أى وان ما شتم عليه الكتاب من الكلام وتضمنه من القول مفتوح  
 بالتسمية وفيه اشارة الى سبب وصفها بالكرام قال ابن عباس انطلق بالكتاب حتى اذا  
 توسط عرشها اتى الكتاب اليها فقرئ عليها فاذا فيه انه من سليمان الخ وأخرج ابن أبى  
 حاتم عن ميمون بن مهران ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى  
 نزلت هذه الآية فكان يكتب البسلة وبعدها السلام على من اتبع الهدى (ان لاتعولوا)  
 أى اما بعد فلا تتكبروا (على) كما تفعله جبارة الملوك وان هى المفسرة وقيل مصدرية  
 ولا ناهية وقيل نافية ومحل الجملة الرفع على انها بديل من كتاب أو خبر مبتدأ محذوف أى  
 هو ان لاتعولوا وقرئ لاتعولوا بالعين من الغلو وهو تجاوز الحد فى الكبر (واتونى مسلمين)

فقات هى يوم يهودية ويوم نصرانية وكل مملوك لها حران لم تطلق امرأتك فأتيت عبد الله بن عمر فقال اتخاذه من  
 نزعته الشيطان وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهى يومئذ أفضه امرأة بالمدينة وابنة عاصم بن عمرو قالت مثل ذلك ثم قال تعالى  
 ولو لافضل الله عليكم ورجته مازكى منكم من أحد بدأ أى لولا به رزق من يشاء التوبة والرجوع اليه ويزكى النفوس من شركها  
 ويجورها وندسها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خير أولئك الله يزكى من يشاء أى من خلقه  
 ويضل من يشاء ويرديه فى مهالك المضلال والنقى وقوله والله سميع أى سميع لاقوال عباده عليم عن يتحقق منهم الهدى والضلال



(ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا) أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعضوا وليصنعوا إلا يحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) يقول تعالى ولا يأتل من الألبسة أى لا يخلف أى لا يخلف أولوا الفضل منكم أى الطول والصدقة والاحسان والسعة أى الجدة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله أى لا تخلفوا وأن لا تصلوا قراياتكم المساكين والمهاجرين وهذا في غاية الترفق والعطف على صلة الارحام ولهذا قال تعالى وليعضوا وليصنعوا أى عما تقدم منهم من الاساءة والاذى وهذا من حلمه تعالى وكرمه واطفه بخالفه مع ظلمهم لانفسهم (٦٧) وهذه الآية نزلت في الصديق حين

حلف أن لا ينفع مسطح بن اثانة بنافعة أبدا بعد ما قال في عائشة ما قال كما تقدم في الحديث فلما أنزل الله برامة أم المؤمنين عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد عنى من أقيم عليه شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة بعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن اثانة فإنه كان ابن خالة الصديق وكان مسكينا لا مال له الا ما ينفق عليه أبو بكر رضى الله عنه وكان من المهاجرين في سبيل الله وقد رآني زائدة تاب الله عليه منها وضرب الحد عليها وكان الصديق رضى الله عنه معروفا بالمعروف له الفضل والأيادي على الاقارب والاجانب فلما نزلت هذه الآية الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم الآية فان الجزاء من جنس العمل فكما تغفر ذنب من أذنب اليك يغفر الله لك وكما تصفح بصفح عنك فعند ذلك قال انصديق بن والله انما نحب ان تغفر لنا يا ربنا ثم رجع الى مسطح ما كان يصله من النفقة وقال والله لا أنزعها منه أبدا في مقابلة ما كان

أى طائعين منقادين للمؤمنين بما جئت به قيل لم يزد سليمان على ما نص الله في كتابه وكذلك الأنبياء كانوا يكتبون جلا لا يطيلون ولا يكثرون قيل طبعه سليمان بالمسك أى جعل عليه قطعة منه كالشمع ثم ختمه بخاتمه (قالت يا أيها الملا أقتوني في أمرى) أى اشيروا على وينو الى الصواب فى هذا الامر وأجيبونى بما يرضيه الخزم وعبرت عن المشورة بالفتوى لكون ذلك حلالا أشكل من الامر عليها وفى الكلام حذف والتقدير فلما قرأت بلقيس الكتاب جعلت اشراف قومها وكانوا اثنتا عشرة واثني عشر لكل واحد منهم اتباع كثيرة وقالت لهم يا أيها الملا انى ألقى الى يا أيها الملا أقتوني وكررت لمزيد العناية بما قالته لهم ثم زادت فى التأدب واستجلاب خواطرهم امعضوها النصيح ويشيروا عليها بالصواب فقالت (ما كنت قاطعة أمر حتى تشهدون) أى عادنى وشأنى معكم انى ما كنت مبرمة وقاضية وفاضلة أمر من الامور حتى تحضروا عندى ونشروا على فلما قالت لهم ذلك (قالوا) مجيبين لها (نحن أولو قوة) فى العدد والعدة (وأولوا بأس شديد) عند الحرب والقتال ولنا من الشجاعة والنجدة ما نمنع به انفسنا وبلداننا ومملكتنا يعنى أشاروا عليها بالقتال ثم فوضوا الامر اليها عليهم بصحة رأيها وقوة عقلها فقتلوا (والامر) موكول (الدين) أى الى رأيك ونظرك (فانظري) أى تأملى (ماذا تأمرين) ايانا به فنحن سامعون لامرك مطيعون له فلما سمعت تفويضهم الامر اليها لم ترض بالحرب بل ماتت للصلح وبينت السبب فى رغبتها فيه و(قالت ان الملوكة اذا دخلوا قرية) من القرى (أفسدوها) أى خربوا مبانها وغيرها وغنائمها وانفقوا أموالها وفرقوا شمل أهلها قال ابن عباس اذا أخذرها عنوة وقهر آخر بوها وعن الزجاج مثله (وجعلوا أعرزة أهلها أذلة) أى أهانوا أشرفها وحطوا مراتبهم فصاروا عند ذلك أذلة وانما يفعلون ذلك لاجل ان يتم لهم الملك وتستحكم لهم الوطأة وتقرر لهم فى قلوبهم المهابة والمقصود من قولها هذا تحذير قومها من مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم (وكذلك) أى مثل ذلك الفعل (يفعلون) أرادت ان هذه عادتهم المستمرة التى لا تتغير لانها كانت فى بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت قال ابن الانبارى الوقف على قوله أذلة وقف تام فقال الله عز وجل تحقروا وتصدىقا لقولها وكذلك يفعلون وقيل هذه الجملة من تمام كلامها فيكون من جملة مقول قولها أ كدت به ما قبله وعلى الاول مستأنفة لا محل لها من الاعراب قال النسبى واحتج الساعى فى الارض

قال والله لا أنفعه بنافعة أبدا فلماذا كان الصديق هو الصديق (ان الذين يرمون المحصنات العافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يفهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين) هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات العافلات خرج مخرج الغالب المؤمنات فامهات المؤمنين أولى بالدخول فى هذا من كل محصنة ولا سيما التى كانت بسبب النزول وهى عائشة بنت الصديق رضى الله عنها وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على ان من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذى ذكر فى هذه الآية فإنه كافر لانه معاند للقرآن

وفي بقية أمهات المؤمنين قولان أحدهما أنهن كهنه والله اعلم وقوله تعالى لعنوا في الدنيا والآخرة الآية كقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية وقد ذهب بعضهم الى انها خاصة بعائشة رضي الله عنها فقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا عبد الله ابن حراش عن العوام عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في الآية ان الذين يرمون المحصنات العاقلات المؤمنات قال نزلت في عائشة خاصة وكذا قال سعيد بن جبيرة ومقاتل بن حيان وقد ذكره ابن جرير عن عائشة فقال حدثنا احمد بن عبد الصمى حدثنا ابو عوانة عن ابن ابي سلمة عن انس عن عائشة رضي (٦٨) الله عنها قالت رميت بما رميت به وانما عاقلة فبلغني بعد ذلك قالت فيبين رسول

الله صلى الله عليه وسلم جالس عندي اذا وحي اليه قالت وكان اذا وحي اليه اخذه كهيشة السبات وانه اوحى اليه وهو جالس عندي ثم استوى جالساً يسمع على وجهه وقال يا عائشة ابشري قالت فقالت بحمد الله لا بحمدك فقرأ ان الذين يرمون المحصنات العاقلات المؤمنات حتى بلغ أولئك ببرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم هكذا اورده وليس فيه ان الحكم خاص بها وانما فيه انها سبب النزول دون غيرها وان كان الحكم بعمها كغيرها واهلها مراد ابن عباس ومن قال كقوله والله اعلم وقال الضحاك وابو الجوزاء وسلمة بن نشيط المراد بهم ازواج النبي خاصة دون غيرهن من النساء وقال العوفي عن ابن عباس في الآية ان الذين يرمون المحصنات العاقلات المؤمنات الآية يعني ازواج النبي صلى الله عليه وسلم رماهن اهل النفاق فالوجوب لله لهم اللعنة والغضب وياؤا بخصم من الله فكان ذلك في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ذلك والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة

بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر واذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كثيرين انتهى ثم لما قدمت لهم هذه المقدمة وبيئت لهم ما في دخول الملوكة الى أرضهم من المنسدة أو وضحت لهم وجه الرأي عندها وصرحت لهم بصوابه فقالت (واني رسالة اليهم) أي اني أجرب هذا الرجل بارسال رسلي اليه (بهديته) مشتملة على نقائس الاموال فان كان ملكا أرضينا بذلك وكفينا أمره وان كان نبيا لم يرضه ذلك لان غاية مطلبه ومتمنى أمره هو الدعاء الى الدين فلا يخيبنامنه الا اجابته ومتابعته والتدين بدينه وسلوك طريقته ولهذا قالت (فناظرة بهم يرجع المرسلون) بالهدية من قبول أو رد فعامله بما يقتضيه ذلك وذلك ان بلقيس كانت امرأة ليبيبة عاقلة قد ساست الامور وجر بها وقد طول المنسرون في ذلك كرهذه الهدية قال ابن عباس أرسلت بلبنة من ذهب فلما قدموا اذا حيطان المدينة من ذهب فذلك قوله اتمدون بحال الآية وقال ثابت الساني أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج وقال مجاهد أهدت جوارى لباسهن لباس الغلمان وغلما لباسهم لباس الجوارى وقال عكرمة أهدت مائتي فرس على كل فرس غلام وجارية وعلى كل فرس لون ليس على الآخر وقال سعيد بن جبيرة كانت الهدية جواهر وقيل غير ذلك مما لا فائدة في التطويل يذكره (فلما جاءه) رسولا المرسل بالهدية وهو من ذر بن عمرو والمراد بهذا المضمحل الخنس فلا يخفى كونهم جماعة كجيدل عليه قولها بم يرجع المرسلون وقري فلما جاءوا أي الرسل (سليمان قال اتمدون بحال) مسانفة والاستفهام للانكار أي قال متكررا لمدادهم له بالمال مع علو سلطانه وكثرة ماله رقا آتاني الله من النبوة والعلم والملك العظيم والاموال انكثيرة (خير مما آتانا) من المال الذي هذه الهدية من جلته وهذا تعليل للنفي ثم انه أضرب عن الانكار المتقدم فقال لو يخالهم يفرحهم بهذه الهدية فرح نقر وخيلاء (بل أنتم بهديتكم تفرحون) وأما أنا فلا أفرح بهما وليست في الدين من حاجتي لان الله سبحانه قد أعطاني منهما ما لم يعطه أحد من العالمين ومع ذلك أكرمني بالنبوة والمراد بهذا الاضرب من سليمان بيان السبب الحامل لهم على الهدية مع الازراء بهم والحط عليهم ثم قال سليمان للرسول (ارجع اليهم) أي الى بلقيس وقومها بما أتيت به من الهدية وخطاب المفرد ههنا بعد خطابه للجماعة فيما قبل امالان الذي يرجع هو الرسول فقط أو خص أمير الرسل

شهداء الى قوله فان الله غفور رحيم فأنزل الله الجلود والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد وقال ابن جرير حدثنا القاسم بالخطاب حدثنا الحسين حدثنا هشيم أخبرنا العوام بن حوشب عن شيخ من بني أسد عن ابن عباس قال فسر سورة النور فلما أتى على هذه الآية ان الذين يرمون المحصنات العاقلات المؤمنات الآية قال في شأن عائشة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي مهمة وليست لهم توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحو الآية قال فجعل لهؤلاء التوبة ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة قال فهم بعض القوم ان يقوم اليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر به سورة النور فقوله وهي مهمة أي

عامة في تحريم قذف كل محصنة ولغنته في الدنيا والآخرة وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا في عائشة ومن صنع مثل هذا أيضا اليوم في المسلمات فله ما قال الله تعالى ولكن عائشة كانت اما في ذلك وقد اختار ابن جرير عموها وهو الصحيح وبعضه العموم ما رواه ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن عبد الرحمن بن اخي بن وهب حدثني عمي حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن ابي الغيث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الابالحق واكل الربوا واكل مال اليتيم والتولي (٦٩) يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات

المؤمنات اخرجاه في الصحيحين من الحديث سليمان بن بلال به وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الخداه الحراني حدثني ابي ح وحدثنا ابو شعيب الحراني حدثنا جدي احمد بن ابي شعيب حدثني موسى بن اعمش عن ليث عن ابي اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة وقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الانصبي حدثنا ابو يحيى الرازي عن عمرو بن ابي قيس عن مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال انهم يعني المشركين اذا رأوا أنه لا يدخل الجنة الا اهل الصلاة قالوا تعالوا حتى نتجعد فيجعدون فيضتم على افواههم وتشهد ايديهم وارجلهم ولا يكتون الله حدثنا وروى ابن ابي حاتم وابن جرير ايضا حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحرث عن دراج عن ابي الهيثم عن ابي

بالخطاب هذا وخطبهم معه فيما سبق اقتنا في الكلام وقرئ ارجعوا وقيل ان الضمير يرجع الى الهدى واللام في (فلنأتينهم) جواب قسم محذوف أي والله ان لم يأتوني مسلمين لآتينهم قال النحاس وسعت ابن كيسان يقول هي لام تو كيد ولام أمر ولام خفض وهذا قول الخدائق من التحوين لانهم يردون الشيء الى أصله وهذا الالتماس الامن درب في العربية (يجنود لا قبل) أي لا طاقة (الهم بها) وحقيقة القبل المقابلة والمقاومة أي لا يقدر ان يقابلهم (ولنخرجنهم منها) أي من بلادهم وأرضهم التي هم فيها وهي سبأ حال كونهم (أذلة) بعد ان كانوا أعزة (وهم صاغرون) هي حال ثالثة مؤكدة لاولى لان الصغار هو الذلة وقيل ان المراد بالصغار هنا الأسر والاستعباد وقيل ان الصغار الاهانة التي تسبب عن الذلة ولما رجع الرسول الى بلقيس بالهدية تجهزت للمسير الى سليمان تنظر ما يامر هابه وأخبر جبريل سليمان بذلك (قال) سليمان لكل من هو عنده في قبضته من الجن والانس وغيرهما (يا أيها الملا أيكم يا أتيني بعرشها) أي عرش بلقيس الذي تقدم وصفه بالعظم وكان سليمان اذ ذلك في بيت المقدس وعرشها في سبأ بلدة باليمن وبينها وبين القدس مسيرة شهرين (قبل ان يأتوني مسلمين) أي قبل ان تأتيني هي وقومها منقادين طائعين قبل انما أراد سليمان أخذ عرشها قبل ان يصلوا اليه ويسلموا لانهم حينئذ حريون واذا أسلمت وأسلم قومها لم يحل أخذ أموالهم بغير رضائهم لان الاسلام بعصم مالهم قال ابن عطية وظاهر الروايات ان هذه المقالة من سليمان بعد مجيئها هديتها وردة اياها وبعثها الهدى بالكتاب وعلى هذا جمهور المتأولين وقيل استدعى العرش قبل وصولها اليها القدرة التي هي من عند الله ويجعلها دليلا على نبوته وقيل أراد ان يختبر عقلمها ولهذا قال نكر والهاء عرشها كما سياتي وقيل أراد ان يختبر صدق الهدى وصفه للعرش بالعظم والقول الاول هو الذي عليه الاكثر (قال عفرية من الجن) وقرئ عفرية بفتح التحتية بعدها تاء نابتة من قلبه ها ورويت هذه عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقرأ أبو حيان بفتح العين وهو شاذ والعفرية المراد الغليظ الشديد الذوى قال النحاس يقال للشديد اذا كان معه خبث وودناه عفر وعفرية وعفرية وقال قتادة هو الدائمة وقيل هو رئيس الجن وقال ابن عطية وقرأت فرقة عفر بكسر العين جمع على عفار قال وهب انه كوزي وقال السهيلي ذكوان وقيل هو صخر المراد قاله ابن عباس

سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فيجعد ويخاسم فيقال له هو لا يجير انك بشهدون علي فيقول كذبوا فيقال اهلك وعشيرة فيقول كذبوا فيقال اخلقوا فيجفون ثم يصهم الله فتشهد عليهم ايديهم والسنتهم ثم يدخلهم النار وقال ابن ابي حاتم ايضا حدثنا ابو شيبة ابراهيم بن عبد الله بن ابي شيبة الكوفي حدثنا منجاب بن الحرث التميمي حدثنا ابو عامر الاسدي حدثنا سليمان بن عبيد المكتوب عن فضيل بن عمر والنعماني عن الشعبي عن أنس بن مالك قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال اتدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مجادلة العبد ربه يوم

القيامة يقول يارب ألم تجرني من الظلم فيقول بلى فيقول لا اجير على الاشهاد مني من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام عليك شهودا فيختم على فيه ويقال لا ركانه انطق فتسقط بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعد السكن وسحقا فعمسكن كنت اناضل وقد رواه مسلم والنسائي جميعا عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبيه عن عبد الله الاشجعي عن سفيان الثوري به ثم قال النسائي لأعلم احدا روى هذا الحديث عن سفيان الثوري غير الاشجعي وهو حديث غريب والله أعلم هكذا قال وقال قتادة بن آدم والله ان عليك شهودا غير (٧٠) متهمة من بدتك فراقهم واتي الله في شرك وعلايتك فانه لا يخفى عليه

وقيل اسمه دعوان وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان مسخر السليمان (انا آتيتك به) أي أنا سأتى بالعرش اليك مضارع أو اسم فاعل (قبل أن تقوم من مقامك) أي مجلسك الذي تجلس فيه للحكومة بين الناس وهو من الغداة الى نصف النهار (واني عليه) أي على حمله (القوى أمين) على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) المنزل على الانبياء قبل سليمان كالتوراة التي أنزلت على موسى قال أكثر المفسرين اسمه آصف بن برخيا بالمد وبالقصير وهو من بني اسرائيل وكان وزير السليمان وصديقه وقيل كاتبه وكان من أولياء الله تظهر الخوارق على يديه كثيرا وقيل كان يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعى به أجاب قال ابن عطية وقالت فرقة هو سليمان نفسه ويكون الخطاب على هذا المعنى كأن سليمان استبطأ ما قاله العسريت فقال له هذه المقالة تحقير له وقيل هو جبريل وقيل ملك آخر وقيل الخضر وقد قيل غير ذلك مما لا أصل له والاول أولى (أنا آتيتك به) أي بالعرش وقال مجاهد في قراءة ابن مسعود أنا أنظر في كتاب ربي الختم آتيتك به (قبل ان يرتد اليك طرفك) اذا نظرت به الى شئ مما المراد بالطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر وارتداده انضمامها وان يكونه أمر طبيعيا غير منوط بالنصد أن ارتداد على الرد وفي القاموس ان الطرف كما يطلق على نظر العين يطلق على العين نفسها وقيل هو بمعنى المطروف أي الشئ الذي ينظره وقيل هو نفس الجفن عبره عن سرعة الامر كما تقول اصاحبتك افعل ذلك في لحظة قاله مجاهد وقال سعيد بن جبيرة انه قال لسليمان انظر الى السماء فما طرف حتى جاء به فوضعه بين يديه والمعنى حتى يعود اليك طرفك بعد دمه الى السماء والاول أولى هذه الاقوال ثم الثالث قال ابن عباس لم يجز عرش صاحبة سبع ابين الارض والسماء وان كان انشقت به الارض فجري تحت الارض حتى ظهر بين يدي سليمان وقال مجاهد لما تكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش في نفق تحت الارض حتى خرج اليهم (فلما راه مستقرا عنده) قيل في الآية حذف والتقدير فاذن له سليمان فدعا الله فأتى به فلما رأى سليمان العرش حاضر المدي (قال هذا) أي - حضور العرش وثبونه من غير تحرك وتقليل (من فضل ربي) واحسانه أي (يسبلوني) أي يختبرني وقيل لانه عبدني وهو مجاز والاصل في الابتلاء الاختبار (أأشكر) الله بذلك وأعترف بانه من فضله من غير حول مني ولا قوة

تأفية الظلمة عنده منوه والسر عنده علانية فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن في فعله ولا قوة الا بالله وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق قال ابن عباس دينهم أي حسابهم وكل ما في القرآن دينهم أي حسابهم وكذا قال غيره واحدا ثم ان قراءة الجمهور ينصب الحق على انه صفة لدينهم وقرا مجاهد بالرفع على انه نعت الجلالة وقرا بعض السلف في مصحف أبي بن كعب يومئذ يوفيهم الله الحق دينهم وقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين أي وعده ووعده وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم قال ابن عباس الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول قال وزلت في عائشة وأهل الافك وهكذا روى

عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة والشعبي والحسن بن أبي الحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك وأقوام واختره ابن جرير ووجه بيان الكلام الصحيح أولى باهل القبيح من الناس والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس ما نسبته أهل النفاق الى عائشة من كلام عم أولى به وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم ولهذا قال تعالى أولئك مبرؤن مما يقولون وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء وهذا أيضا يرجع الى ما قاله أولئك باللائم أي ما كان الله لي يجعل عائشة

زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهي طيبة لانه اطيب من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لما صلت له لاشرا ولا قدرا  
 واهذا قال تعالى اولئك مبرؤن مما يقولون اى هم بعد اعماء بقوله اهل الافك والعدوان لهم مغفرة اى بسبب ما قيل فيهم من  
 الكذب ورزق كريم اى عند الله في جنات النعيم وفيه وعد بان تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة قال ابن ابي  
 حاتم حدثنا محمد بن مسلم حدثنا ابو نعيم حدثنا عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن عن الحكم بن اسناده الى يحيى بن الخزاز  
 قال جاء اسير بن جابر الى عبد الله فقال لقد سمعت الوليد بن عتبة (٧١) تكلم اليوم بكلام أعجبنى فقال عبد الله ان

الرجل المؤمن يكون في قلبه  
 الكلمة الطيبة تتجلى في صدره  
 ما يستقر حتى يلفظها فيسهلها  
 الرجل عنده يتلها فيسهلها الموان  
 الرجل الفاجر يكون في قلبه الكلمة  
 الطيبة تتجلى في صدره ما تستقر  
 حتى يلفظها فيسهلها الرجل الذي  
 عنده يتلها فيسهلها اليها ثم قرأ عبد  
 الله الخبيثات للغيثيين والحيثيون  
 للبيثيات والطيبات للطيبين  
 والطيبون للطيبات الاية ويشبه  
 هذا ما رواه الامام أحمد في المسند  
 عن فروة عامر الذي يسمع الحكمة  
 ثم لا يحدث الا بشر ما سمع كل رجل  
 جاء الى صاحب غنم فقال اجزلى شاة  
 فقال اذهب فخذ باذن ايها شئت  
 فذهب فاخذ باذن كلب الغنم وفي  
 الحديث الاخر الحكمة ضالة  
 المؤمن حيث وجدها اخذها (يا أيها  
 الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير  
 بيوتكم حتى تستأذوا وتسلموا  
 على أهلها اذلكم خير لكم اعلمكم  
 تذكرون فان لم تجدوا فيها احد فلا  
 تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل  
 لكم ارجعوا فارجعوا هو اذكى  
 لكم والله جانع لمون علم ليس عليكم

وأقوم بحقه (أم أ كفر) بترك الشكر وعدم القيام به أو بان أثبت لنفسى فعلا وتصرفا  
 في ذلك وقال الاخفش المعنى لينظر أشكراً أم أ كفر (ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) لانه  
 استحق بالشكر تمام النعمة ودوامها فان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة  
 المفقودة والمعنى انه لا يرجع نفع ذلك وثوابه الا الى الشاكر (ومن كفر) النعمة بترك  
 الشكر (ان ربي غني) عن شكره (كريم) في ترك المعالجة بالعقوبة بنزع نعمه عنه  
 وسلبه ما أعطاه منها (قال نكروا لها عرشها) قيل انما أعيد ذكر القول ليكون المتعلق  
 مختلفا لكونه أو لا لثناء على الله وثانها متعلقا بشأن عرشها والتذكير التعمير وجعل الشيء  
 بحيث لا يعرف ضد التعريف ومنه نقل الى مصطلح أهل العربية يقول غير واسير بها الى  
 حال تنكروا اذا رأته قيل جعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله وقيل غير بزيادة وتقصان قاله  
 ابن عباس قال الفراء وغيره انما مر بتذكيره لان الشياطين قالوا له ان في عقلها شيئا فاراد  
 ان يتكهنها وقيل خافت الجن ان يتزوجها سليمان فيولد له ولد منها فيبقون مسخرين  
 لآل سليمان أبدا فقوالوا سليمان انها ضعة عفة العقل ورجلها كرجل الخاروق قيل أراد  
 سليمان ان يظهر لها أن الجن مسخرون له (تنظر) أي نعلم قرى بالخزم على انه جواب الامر  
 وبه قرأ الجهور وقرى بالرفع على الاستئناف قال ابن عباس لنظر الى عقلها فوجدت  
 ثابتة العقل (أتمتدى) الى معرفته أو الى الايمان بالله (أم تكون من الذين لا يهتمدون)  
 الى ذلك (فلما جاءت) بلقيس الى سليمان (قيل) لها والقاتل هو سليمان وغيره بامر  
 (أهكذا عرشك) الذي تركته في قصرك وأغلقت عليه الابواب وجعلت عليه حرسا  
 والهمزة للاستنهام ولم يقل هذا عرشك لثلاثا يكون ذلك تلقينا لها فلا يتم الاختيار لعقلها  
 (قالت كأنه هو) أي فاجابت أحسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من راحة  
 عقلها حيث لم تقع في التمثل للامر بن قال مجاهد جعلت تعرف وتشكر وتعجب من  
 ضوره عند سليمان فقالت كأنه هو وقال مقاتل عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا  
 عليهم ولو قيل لها أهذا عرشك لقاتل نعم وقال عكرمة كانت حكيمة قالت ان قلت هو  
 خشيت ان اكذب وان قلت لا خشيت ان اكذب فقالت كأنه هو (وأوتينا العلم من  
 قبلها وكناسين) قيل هو من كلام بلقيس أي وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان من قبل هذه

جناح ان تدخلوا بيوتنا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين  
 وذلك في الاستئذان أمرهم أن لا يدخلوا بيوتنا غير بيوتهم حتى يستأذنا أو اى يستأذنا قبل الدخول ويسلموا بعده وينبغي أن  
 يستأذن ثلاث مرات فان أذن له والا انصرف كما ثبت في الصحيح ان ابا موسى حين استأذن على عمر ثلاثا فلم يؤذن له انصرف ثم قال  
 عمر ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن ائذنا له فطلبوه فوجدوه قد ذهب فلما جاء به بذلك قال ما أرجعك قال اني استأذنت  
 ثلاثا فلم يؤذن لي وانى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليصرف فقال عمر لنا تبنى على

هذا بينة والاولى اوجعتك ضربا فذهب الى ملا من الانصار فدكر لهم ثم قال عمر فقالوا لا يشهد ذلك الا بصغرنا فقام معه ابو سعيد الخدري فاخذ بر عمر بذلك فقال اهلاني عنه الصفيق بالاسواق وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا عمر عن ثابت عن انس وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم استأذن على سعد بن عباد فقال السلام عليكم ورحمة الله والسلام ورجة الله ولم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم حتى سلم ثلاثا ورد عليه سعد ثلاثا ولم يسمعه فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه سعد فقال يا رسول الله باني أنت وما سلمت تسليمة (٧٢) الاوهى بأذني ولقد رددت عليك ولم أسمعك وارتدت ان استكثر من سلامك ومن

البركة ثم أدخله البيت فقترب اليه زبيبا قال كل نبي الله فلما فرغ قال أكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وأفطر عندكم الصائمون وقدروى أبو داود والنسائي من حديث أي عمرو الاوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد هو ابن عباد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزلنا فقال السلام عليكم ورجة الله فرد سعد ردا خفيا قال قيس فقلت ألا تأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعته بكثر علينا من السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم ورجة الله فرد سعد ردا خفيا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم ورجة الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه سعد فقال يا رسول الله اني كنت أسمع تسليمتك وأرد عليك ردا خفيا لك أكثر علينا من السلام قال فانصرف معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر له سعد بغسل فاغتسل ثم ناوله خبيصة مصبوغة بزعفران أو ورس

الآية في العرش وكان منقادين لامره وقيل هو من قول سليمان اي وأوتينا العلم بقدره الله من قبل بلقيس وقيل العلم باسلامها ومجيئها طائفة من قبل مجيئها وقيل هو من كلام قوم سليمان والقول الثاني أرجح من سائر الأقوال وبه قال مجاهد وعن زهير بن محمد نحوه (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) من جملة كلام سليمان او كلامها على الاحتمالين السابقين وذكر أبو السعود احتمالا آخر وهو أنه من كلام الله سبحانه بيان لما كان ينعها من اظهار ما ادعته من الاسلام أي منعها من اظهار الايمان ما كانت تعبد وهو الشمس قال النحاس اي صدها عبادتها عن التقدم الى الاسلام وقيل منعها الله عما كانت تعبد من دونه وقيل منعها سليمان عما كانت تعبد والاولى الأولى والجملة مستأنفة للسليمان (انها كانت من قوم كافرين) لتعليل للجملة الأولى اي سبب تأخرها عن عبادة الله ومنع ما كانت تعبد عن ذلك انها كانت من قوم متصفين بالكفر راخين فيه ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهي بينهم بل حتى دخلت تحت ملك سليمان (قيل لها ادخلي الصرح) قال ابو عبيدة الصرح القصر وقال الزجاج الصرح العن يقال هذه صرحة الدار وقاعتها وقال ابن قتيبة الصرح بلاط اتخذها من قوارير وجعل تحته ماء وسبك وأصله من التصريح وهو الكشف وكذب صراح اي ظاهره يكشف ولوم صراح وحكي ابو عبيد في الغريب ان الصرح كل بناء عال مرتفع (فلياراته) اي الصرح بين يديها (حسبته لجة) هي معظم الماء وقال ابن عباس البحر (و) لذلك (كشفت عن ساقها) لخوض الماء خوفا عليهم ان يتبل فاذا هي احسن النساء ساقا سليمة مما قالت الجن فيها غير انها كانت كثيرة الشعر فلما فعلت ذلك وبلغت الى هذا الحد (قال) لها سليمان بعد ان صرف بصره عنها (انه صرح حمرد) اي مسقف بسطح (من قوارير) فن اراد مجاوزته لا يحتاج الى شهير ثيابه والمرد المحكوك الملمس ومنه الامر دلاسة وجهه وتقرد الرجل اذا لم يخرج لحيته قال الفراء ومنه الشجرة المرءاء التي لا ورق لها والقر يد في البناء التلميس والتسوية والمرد ايضا المطول ومنه قيل للعصن مارد وقوارير جمع قارورة اي زجاج وتطلق القارورة على المرأة لان الولد او المني يقر في رجها كما يقر الشئ في الاناء او تشبها بانينة الزجاج لضعفها قال الازهرى والعرب تسكنى عن المرأة بالقارورة والقوصرة قال آزاد البلخي اي رجها الله

فاشتمل بها ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وهو يقول اللهم اجعل صلاتك ورجعتك على آل سعد بن عباد قال ثم اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطعام فلما اراد الانصراف قرب اليه سعد جارا قد وطئ عليه بقطفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فاني اركب واما ان تركب واما ان تنصرف قال فانصرفت وقد روى هذا من وجوه آخر فهو حديث جيد قوى والله أعلم ثم ليعلم انه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل أن لا يقف تلقاء الباب بوجهه ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره لما

رواه أبو داود وحديثنا مؤمل بن الفضل الحراني في آخرين قالوا حدثنا بقية حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن بشر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من قلقاء وجهه ولكن من ركنه اليمين أو الأيسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك أن الدور لم يكن عليها مؤنستوراً فترد به أبو داود وقال أبو داود أيضاً حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جريز بن جندب قال أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حفص عن الأعمش عن طلحة عن هزبل قال جاء رجل قال عثمان سعد فوقف على باب النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن فقام على (٧٢) الباب قال عثمان مستقبل الباب فقال

له النبي صلى الله عليه وسلم هكذا عندك أو هكذا فأعانا الاستئذان من النظر وقدرناه أبو داود الطيالسي عن سفيان الثوري عن الأعمش عن طلحة بن مصرف عن رجل عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود من حديثه وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن امرأ أطلع عليك بغير إذن فذقته بمحصة فنذقت عنه ما كان عليك من جناح وأخرج الجماعة من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في دين كان على أبي فدقت الباب فقال من ذافقت أنا قال أنا أنا كأنه كرهه وإنما كره ذلك لأن هذه اللقطة لا يعرف صاحبها حتى يفصح باسمه أو كنيته التي هو مشهور بها والافكل احد يعبر عن نفسه بآنا فلا يحصل بها المقصود من الاستئذان الذي هو الاستئناس المأمور به في الآية وقال العوفي عن ابن عباس الاستئناس وكذا قال غير واحد وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار

كم من قلوب رفاقا أثر عيسهم \* يا حادي العيس رفاقا بالقوارير والمراد بها هنا بيت الزجاج فلما سمعت بلقيس ذلك اذعنت واستسلمت و (قالت رب اني ظلمت نفسي) أي بما كذبت عليه من عبادة غيرك وهو الشمس وقيل بالظن الذي توهمته في سليمان لأنها توهمت أنه أراد تغريبها في اللجة والاول أولى (وأسلمت مع سليمان) متباعدة له داخله في دينه وهو الاسلام (لله رب العالمين) التفتت من الخطاب الى الغيبة قيل لاطهار معرفتها بالله والاولى انها التفتت لما في هذا الاسم الشريف من الدلالة على جميع الاسماء ولكنها علمت الذات وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وغيرهم عن ابن عباس في أثر طويل ان سليمان تزوجها بعد ذلك قال أبو بكر بن أبي شيبة ما أحسنه من حديث قال ابن كثير في تفسيره بعد حكاية هذا القول بل هو منكر جحد ولعله من أوهم عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم والاقرب في مثل هذه التسميات انها متلقاة عن أهل الكتاب مما يوجد في صحفهم كروايات كعب ووهب صاحبهما الله فيما تدلا الى هذه الامة من بني اسرائيل من الاوابد والغرائب والعجائب مما كان وبما لم يكن وبما حروف وبيل ونسخ انتهى وكلامه هذا هو شعبة مما قد ذكرناه في هذا التفسير ونهنا عليه في عدة مواضع وكنت أظن انه لم ينسب على ذلك غيري فالجهد على هذه الموافقة لمثل هذا الحافظ المنصف وقيل انتهى أمرها الى قولها أسلمت ولا علم لأحد ورائد ذلك لأنه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح وأخرج البخاري في تاريخه والعقيلي عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول من صنعت له الحمامات سليمان وروى عنه مرفوعا من طريق أخرى رواها الطبراني وابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب بلفظ أول من دخل الحمام سليمان فلما وجد حرمه قال أوه من عذاب الله روى ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وانقضى ملك بلقيس بانقضائه ملك سليمان فبجان من لانقضائه لدوام ملكه (ولقد أرسلنا الى نوحاً خاهم صالحا) اللام هي الموطئة للقسم وهذه القصة من جملة بيان قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ونوح هو أبو القيسلة التي منها صالح فهو جده والمراد به هنا نفس القيسلة وتسمى عاد الثانية واما عاد الاولى فهم قوم هو دوت تقدم ان بينهما مائة سنة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (ان اعبدوا الله) ان هي المنسرة أو المصدرة أي بان اعبدوا الله ووجدوه (فأذاهم

(١٥ - فتح البيان سابع) حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذوا وتسألوا قال انما هي خطأ من الكتاب حتى تستأذوا وتسألوا وهكذا رواه هشيم عن أبي بشر وهو جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بن عبد الله وزاد وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذوا وتسألوا وكان يقرأ على قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه وهذا غريب جدا عن ابن عباس وقال هشيم أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال في صحيف ابن مسعود حتى تسألوا على أهلها وتستأذوا وهذا أيضاً رواية عن ابن عباس وهو اختيار ابن جرير وقد قال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا ابن

جريح أخ - برني عمرو بن ابي سفيان ان عمرو بن ابي صفوان أخبره ان كلد بن الحنبل أخبره ان صفوان بن امية بعثه في الفتح ليليا وجداية وضغاييس والنبي صلى الله عليه وسلم با على الوادي قال فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استأذن فقال صلى الله النبي عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم اأدخل وذلك بعد ما سلم صفوان ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن جريح بن يعبه وقال الترمذي حسن غريب لا يعرفه من حديثه وروى أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو الاحوص عن منصور بن ربي قال أتى رجل من بني عامر (٧٤) استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فقال أأج فقال النبي صلى

الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم اأدخل فسمعه الرجل فقال السلام عليكم اأدخل فاذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل وقال هشيم أخبرنا منصور عن ابن سيرين وأخبرنا يونس بن عبيد عن عمرو ابن سعيد الثقفي ان رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أأج أو أبلغ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لامته ليقال لها روضة قومي الى هذا فعلمه فانه لا يحسن يستأذن فتولى له يقول السلام عليكم اأدخل فسمعه الرجل فقال السلام عليكم اأدخل فدخل فقال ادخل وقال الترمذي حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا سعيد بن زكريا عن عنبسة بن عبد الرحمن عن محمد بن زاذان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام قبل الكلام ثم قال الترمذي عن عنبسة ضعيف الحديث ذاهب ومحمد بن زاذان في اسناده نكارة وضعف وقال هشيم قال مغيرة قال مجاهد جاء ابن عمر من حاجة وقد أذاه الرضاء فأتى فطاط

فريقان يختصمون) اذا هي الفجائية اي ففاجأ ارساله التفرقة والاختصاص والمراد بالفرقة بين المؤمنين منهم والكافرون ومعنى الاختصاص ان كل فريق يختصم على ما هو فيه ويزعم ان الحق معه وقيل ان الخصومة بينهم في صالح هل هو مرسل أم لا وقيل أحد الفريقين صالح والآخر جميع قومه وهو ضعيف وقد تقدم حكاية اختصاص الفريقين في سورة الاعراف في قوله قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا من آمن منهم الآية (قال) صالح للمكذبين (يا قوم لم تستعجلون بالسبيته قبل الحسنه) قال مجاهد أي بالعذاب قبل الرحمة والمعنى لم تؤخروا الاجان الذي يجلب اليكم الثواب وتقدمون الكفر الذي يجلب اليكم العقوبة وقد كانوا الفرط كفرهم يقولون اننا يا صالح بالعذاب ووصف العذاب بانه سيئة مجازا اما لان العقاب من لوازمه اولانه يشبهه في كونه مكرها (لولا) هلا (تستغفرون الله) وتوبون اليه من الشرك (اعلمكم تحبون) اي رجاء ان ترجوا اوليكم ترجوا فلا تعذبوا فان استعجال الخير اولى من استعجال الشر فكان جوابهم عليه بعد هذا الارشاد الصحيح والكلام اللين انهم (قالوا اطيرنا بك) اصله تطيرنا وقد قرى بذلك والتطير التشاؤم اي تشاءمنا بك واصابنا الشؤم والضيق والشدة بك (وبمن معن) ممن أجا بك ودخل في دينك وذلك لانه اصابهم فقط تشاءموا بصالح وقد كانت العرب أكثر الناس طيرة وأشدهم قهاهمها وكانوا اذا أرادوا سقرا أو أمرا من الامور تفرطوا طائرا من وكرهه فان طار عينة ساروا ووقعوا ما عزموا عليه وان طار يسرة تركوا ذلك وفي القرطبي لاشي أضمر بالرأي ولاؤا فسد للتدبير من اعتقاد الطيرة ومن ظن ان خوار بقرة او نعيق غراب يرد قضاء او يدفع مقدر او فقد جهل فلما قالوا ذلك (قال) لهم صالح (طائر كم عند الله) أي ما يصيبكم من الخير والشر بما امر الله وهو مكتوب عليكم يمي طائر الانه لاشي أسرع من نزول القضاء المحتوم والمعنى ليس ذلك بسبب الطيرة التي تشاءمون بها بل سبب ذلك عند الله وهو ما يقدره عليكم وقيل المعنى ان الشؤم الذي أصابكم هو من عند الله لسبب كفركم وهذا كقوله تعالى يطيروا موسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله وقيل طائر كم عملكم وسمى طائر السرعة صعوده الى السماء ثم أوضع لهم سبب ما هم فيه باوضح بيان فقال (بل) أتم قوم تفتنون) أي تتكفنون وتختبرون وقيل تعذبون بذنوبكم وقيل ينتنكم غيركم وقيل يفتنكم الشيطان بما تقعون فيه من الطيرة أو بما لاجله تطيرون فأضرب عن ذكر

امر أتم قرش فقال السلام عليكم اأدخل قالت ادخل بسلام فأعاد فاعادت وهو يروح بين قدميه الطائر قال قولي ادخل فقلت ادخل فقلت اطلبنا أبو سعيد الاصح حدثنا أبو نعيم الاحول حدثني خالد بن اياس حدثني جدتي ام اياس قالت كنت في أربع نسوة نستأذن على عائشة فقلن ندخل فقالت لا قلن اصاحبتكن تستأذن فقالت السلام عليكم اأدخل قالت ادخلوا ثم قالت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأسوا وتسلموا على أهلها الآية وقال هشيم أخبرنا الشعث بن سوار عن كددوس عن ابن مسعود قال عليكم ان تستأذنوا على امهاتكم واخوانكم وقال أشعث



عن عدي بن ثابت أن امرأته من الانصار قالت يا رسول الله اني اكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليا والوالد  
ولا ولد وان لا يرال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال قال فترت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا الآية وقال ابن جريج  
سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس رضي الله عنه قال ثلاث آيات جحدن الناس قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله  
اتقاكم قال ويقولون ان اكرمهم عند الله اعظمهم بيتا قال والادب كله قد جحدن الناس قال قلت استأذن على اخواني ايتام في  
بحري معي في بيت واحد قال نعم فرددت عليه ليرخص لي فأبي فقال تحب (٢٥) أن تراها عرابا فقلت لا قال فاستأذن قال

فراجعتة أيضا فقال أحب أن  
تطمع الله قال قلت نعم قال قال  
فاستأذن قال ابن جريج وأخبرني  
ابن طاوس عن أبيه قال ما من امرأة  
أكره الى أن أرى عورتها من ذات  
محرم قال وكان يشدد في ذلك وقال  
ابن جريج عن الزهري سمعت هزير  
ابن شرجيل الاودي الاعمي انه سمع  
ابن مسعود يقول عليكم الاذن  
على امهاتكم وقال ابن جريج قلت  
لعطاء ابي استأذن الرجل على امرأته  
قال لا وهذا محمول على عدم  
الوجوب والا فالاولى أن يعلمها  
بدخوله ولا يفتاحها به لاحتمال ان  
تكون على هيئة لا تحب أن يراها  
عليها قال أبو جعفر بن جرير حدثنا  
القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد  
ابن حازم عن الاعمش عن عمرو بن  
مرة عن يحيى بن الجزار عن ابن أخي  
زينب امرأة عبد الله بن مسعود  
عن زينب رضي الله عنها قالت كان  
عبد الله اذا جاء من حاجة فانهى الى  
الباب فتخرج ويزق كراهة أن يجم  
مناعلي أمر يكرهه اسناده صحيح  
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن  
سنان الواسطي حدثنا عبد الله بن

الطائر الى ما هو السبب الذي اليه وجاء بالخطاب مراعاة لتقدم الضمير ولوروى ما بعده  
لقيل يفتنون بياء الغيبة وهو جائز ولكنه مرجوح تقول أنت رجل تفعل ويفعل  
ومن قوم نفرو بقرون (وكان في المدينة) التي كان فيها صالح وهي الحجر كما قال  
المفسرون هنا وتقدم في سورة الحجر انه وادين المدينة والشام وهو ديار عود (تسعة رهط)  
أي تسعة رجال أو أشخاص من أبناء الاشراف وبهذا الاعتبار وقع تمييز التسعة لبا اعتبار  
لفظه والاضافة بيانية أي تسعة هم رهط والرهط اسم جماعة فكأنهم كانوا رؤساء يتبع  
كل واحد منهم جماعة وقيل الرهط ما دون العشرة من الرجال ليس فيه امرأَةٌ وسكون الهاء  
أفصح من فتحها وهو جمع لا واحد له من لفظه وقيل الرهط من سبعة الى عشرة وادون  
السبعة الى الثلاثة نفر قال تعلب الرهط والنفر والقوم والعشر والعشيرة معناه  
الجمع لا واحد لها من لفظها وهو للرجال دون النساء وقال ابن السكيت الرهط والعتر  
بمعنى وقال الاصمعي الرهط ما فوق العشرة الى الاربعين ونقله ابن فارس أيضا والجمع أرهط  
واراهط وهؤلاء التسعة هم أصحاب قدار عاقرا لناقة وكانوا عتاة قوم صالح وقد اختلف في  
أسماء هؤلاء التسعة اختلافا كثيرة الاحاجة الى التطويل يذكره ثم وصف هؤلاء بقوله  
(يفسدون في الارض ولا يصلحون) أي شأنهم وعلهم الفساد في الارض لافي المدينة  
فقط فساد الايمان اظهري من الاصلاح قيل كانوا يتبعون معاتب الناس ولا يستترون  
عوراتهم وقيل كانوا يظلمون ولا ينعون الظالمين (قالوا تقاسموا) أي قال بعضهم لبعض  
احلفوا (بالله) هذا على ان تقاسموا فعل أمر ويجوز أن يكون فعلا ماضيا ففسدوا القلوب آله  
قيل ما قالوا افتال تقاسموا أو قالوا اذلك متقاسمين واليه ذهب الزجاجي وقرأ ابن مسعود  
تقاسموا بالله ليس فيها قالوا (لنبيته) اللام جواب قسم أي انأيتنه بعتة في وقت السبات  
ففتله ليل (وأهله) أي من آمن به وكانوا أربعة آلاف (ثم لقولن لوليه) بالنون للمتكلم  
وقرى بالتحسية وبالوقية على خطاب بعضهم لبعض والمراد بولي صالح الريحه الذين لهم  
ولاية الدم (ما شهدنا مهلك أهله) أي ما حضرنا قتلهم ولا ندري من قتله وقتل اهله ونبيهم  
لشهودهم لمكان الهلاك يدل على نفي شهودهم لنفس القتل بالاولى وقيل ان المهلك بمعنى  
الاهلاك قرى مهلك بفتح الميم واللام وبكسر اللام (وانا صادقون) فيما قلناه من انكارنا  
اقتلهم قال الزجاج وكان هؤلاء النفر تحالفوا ان يبيتوا صالحا وأهله ثم ينكروا وعند

نعم حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي هبيرة قال كان عبد الله اذا دخل الدار استأنس تكلم ورفع صوته وقال مجاهد حتى  
تستأنسوا قال تنصحو أو تنصموا وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله انه قال اذا دخل الرجل بيته استحب له أن يتنصخ أو يحرك  
نعليه ولهذا جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا وفي رواية ثالثة يتنصحنهم وفي  
الحديث الآخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فمأرا فاناخ بظاهرها وقال انظر وا حتى تدخل مساء يعني آخر النهار  
حتى تغتسل الشعثة وتستجد المغيبة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن

واصل بن السائب حدثني أبو ثور بن أخي أبي أيوب عن أبي أيوب قال قلت يا رسول الله هذا السلام فما الاستئناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة أو تكبيرة أو تحميدة وينضح فيؤذن أهل البيت هذا حديث غريب وقال قتادة في قوله حتى تستأنسوا وهو الاستئذان ثلاثين لم يؤذن له منهم فليرجع أما الأولى فليسمع الحى وأما الثانية فليأخذوا حذرهم وأما الثالثة فان شاءوا آذنوا وان شاءوا ردوا ولا تقنن على باب قوم ردوك عن بابهم فان للناس حاجات ولهم اشغال والله أولى بالعدر وقال مقاتل بن حيان في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأنسوا (٧٦) وتسألوا على أهلها كان الرجل في الجاهلية إذا أتى صاحبه لا يسلم عليه ويقول حيث صابا وحيث مساء وكان ذلك تحية القوم بينهم وكان أحدهم يطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول قد دخلت ونحو ذلك فيشق ذلك على الرجل ولعله يكون مع أهله فغير الله ذلك كله في ستر وعفة وجعله تقيا

عليه ويقول حيث صابا وحيث مساء وكان ذلك تحية القوم بينهم وكان أحدهم يطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول قد دخلت ونحو ذلك فيشق ذلك على الرجل ولعله يكون مع أهله فغير الله ذلك كله في ستر وعفة وجعله تقيا نزها من الدنس والقدر والدرن فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسألوا على أهلها الآية وهذا الذي قاله مقاتل حسن ولهذا قال تعالى ذلكم خير لكم يعني الاستئذان خير لكم بمعنى هو خير من الطرفين للمستأذن ولأهل البيت لعندكم تذكرون وقوله تعالى فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وذلك لما فيه من التصرف في ملك الغير بغير إذنه فان شاء آذن وان شاء لم يأذن وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أذكى لكم أي اذا ردوك من الباب قبل الأذن اوبعده فارجعوا هو أذكى لكم أي رجوعكم اذكى لكم وأظهر والله بما تعملون عليم وقال قتادة قال بعض المهاجرين لقد طلبت عمري

أولياته انهم ما فعلوا ذلك ولا رأوه وكان هذا مكر انهم ولهذا قال الله سبحانه (ومكروا) بهذه الخالفة (مكرا) وهو ما خفوه من تدبير القتل لصالح (ومكروا مكرا) أي جازيناهم بتعلمهم فأذنبوا لهم (وهم لا يشعرون) بغير الله بهم وهذا على سبيل الاستعارة المنخضة إلى المشاكلة كقبي الكشاف وشرحه يعني تشبيهه بالمكرم من حيث كونه اضرارا في خفية لان المكروا قصد الاضرار على طريق الغدر والحيلة (فانظر كيف كان عاقبة مكروهم) أي انظر ما انتهى اليه امرهم الذي نبوه على المكروما اصابهم بسببه (انادهم ناهم وقومهم اجمعين) بفتح هـ مزة انا وقوى بكسر هاء وهما سبعتان قال القراء والزجاج من كسر استأنف وهو يفسر بهما كان قبله كأنه جعله تابعاً للعاقبة كأنه قال العاقبة انادهم ناهم وعلى قراءة الفتح التقدير باناً ولا ناو كان تامة وعاقبة فاعل لها أو يكون بدلان من عاقبة أو يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي انادهم ناهم وفي حرف أبي ان دمر ناهم والمعنى ان الله دمر التسعة الرهط المذكورين بالرى ودمر قومهم الذين لم يكونوا معهم عند مباشرتهم لذلك بصحة جبريل عليه السلام وأجمعين تأ كيد لكل من المعطوف والمعطوف عليه ومعناه ان لم يشذ منهم احد ولا سلم من العقوبة فرد من افرادهم وجعله (قتل بيوتهم خاوية) مبررة لما قبله أي حل كونهما خاوية قال القراء والنحاس أي خاوية عن أهلها خاوية باليس بها ساكن بن خوى البطن اذا خلا أو ساقة متهمة من خوى النجم اذا سقط وقيل الاصل تلك بيوتهم الخاوية كقوله وله الدين واصبا (عاطلوا) أي بسبب ظلمهم (ان في ذلك) التدمير والهلاك (لاية) أي اعبرة عظيمة (لقوم يعملون) أي يتصرفون بالعلم بالاشياء (واخفيها الذين آمنوا) وهم صالح ومن آمن به (وكانوا يتقون) الله ويخافون عقابه وخرج صالح ومن معه من المؤمنين إلى حضرة موت فلما دخلها مات صالح فسمى حضرة موت قال الضحاك ثم بنى الاربعه آلاف الذين كانوا معه مدينة يقال لها حضرة (و) ارسلنا (لوطا انذ قال لقومه) هم أهل سدوم (أمأتون الفاحشة) أي الفعلة المتناهية في القبح والشناعة وهي اتيان الذكور واللواط (وأنتم تصرون) أي وأنتم تعلمون علم يقين انها فاحشة وقبيحة وذلك أعظم ذنوبكم على ان تصرون من بصر القلب وهو العلم أو بمعنى النظر لانهم كانوا لا يستترون حال فعل الفاحشة عتوا وعتروا بالجلد حليمه مفيدة لتأ كيد الانكار وتشديد التوبيخ وقد تقدم تفسيره

كاه هذه الآية فما دركتم ان استأذن على بعض اخواني فيقول لي ارجع فارجع وانما تعبط فان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أذكى لكم والله بما تعملون عليم وقال سعيد بن جبيرة في الآية لا تقننوا على أبواب الناس وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتنا غير مسكونة الآية هذه الآية الكريمة أخص من التي قبلها وذلك انها تقتضي جواز الدخول إلى البيوت التي ليس فيها احد اذا كان له دماغ فيها بغير اذن كالبيت المعد للضييف اذا اذن له فيه اول مرة كفي قال ابن جرير قال ابن عباس لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم ثم نسخ واستثنى فقال تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتنا غير مسكونة فيها ما تباح لكم وكذا روى عن عكرمة والحسن البصري وقال آخر ون هي بيوت التجار كأنها نيات ومنازل الاستنار وبيوت مكة وغير ذلك واختر

القصة

ذلك ابن جرير وحكاية عن جماعة والاول اظهر والله اعلم وقال مالك عن زيد بن اسلم هي بيوت الشعر (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) هذا امر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من ابصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا الا الى ما أباح لهم النظر اليه وان يغضوا ابصارهم عن المحارم فان اتفق ان وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سر يعاكم رواه مسلم في صحيحه من حديث يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة بن عمرو ابن جرير عن جده عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال سألت النبي (صلى الله عليه وسلم) عن نظرة الفجأة فامرني

ان أصرف بصرى وكذا رواه الامام احمد عن هشيم عن يونس ابن عبيد بن ورواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديثه أيضا وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية لبعضهم فقال اطرق بصرك يعنى انظر الى الارض والصرف أعم فانه قد يكون الى الارض والى جهة اخرى والله اعلم وقال ابو داود حدثنا اسمعيل بن موسى الفزاري حدثنا شريك عن ابى ربيعة الايدى عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليس لك الاخرة ورواه الترمذي من حديث شريك وقال غريب لانعرفه الامن حديثه وفي الصحيح عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكم والجحوس على الطرقات قالوا يا رسول الله لا بد لنا من مجاسنا نقتعد فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابستم فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يا رسول الله قال غص البصر وكنف الاذى ورد السلام والامر بالعرف والنهي عن المنكر وقال ابو القاسم البغوي

القصة في الاعراف مستوى (أنتكم لتأتون الرجال) فيه تكرير للتوبيخ مع التصريح بان تلك الفاحشة هي اللواط التي أهمها ولا وفيه إشارة الى ان فعلتهم هذه مما يعيب الواصف ولا يبلغ كنهه فجهل ولا يصدق ذوقه ان أحدا يفعلها ثم علل ذلك بقوله (شهوة) تنزىلا لهم الى رتبة البهائم التي ليس فيها قصد ولد ولا عفاف والتقدير للشهوة أو تسانا شهوة أو مشتبهين لهم (من دون النساء) أى متجاوزين النساء اللاتي هن محل لذلك وفيه إشارة الى أنهم أساوا من الطرفين في الفعل والترك (بل أنتم قوم تجهلون) التعريم أو عاقبة فعلكم والعقوبة على هذه المعصية قيل أراد بالجهل السناهة التي كانوا عليها وتفعلون فعل الجاهلين بقبحه وقد اجتمع الخطاب والغيبة هنا وفي قوله بل أنتم قوم تتسنون فغلب الخطاب على الغيبة لانه أقوى وأرسخ اذا الاصل ان يكون الكلام بين الحاضرين (فما كان جواب قومه الا ان قالوا) أى الا قولهم (أخرجوا آل لوط) أى لوطا وأهله والمراد بهم بنماه وزوجته المؤمنة (من قرىبتكم) فيه امتنان عليه باسكانه عندهم والاضافة للجنس لان قراهم كانت نجسا عظيما سدوم (أنهم أناس يتطهرون) أى يتزهون ويتباعدون عن أدبار الرجال قالوا ذلك استهزاء منهم بهم (فأنجيناها وأهله) من العذاب الواقع بالقوم فخرج لوط بأهله من أرضهم وطوى الله له الأرض حتى نجا ووصل الى ابراهيم (الا امرأته قد رناها) قرئ مخففا ومشدادا والمعنى واحد مع دلالة زيادة البناء على زيادة المعنى (من الغابرين) أى الباقين في العذاب (وأما طرنا عليهم) أى على كل من كان منهم خارج المدائن (مطرا) أى سحابة تكذب عليهم باسم صاحبها وهو سجارة السجيل أى الظن المحرق وهذا التأكيدي يدل على شدة المطر وانه غير معهود (فساءمطر المنذرين) أى الذين أذروا فلم يعقلوا ولم يقبلوا الانذار والمخصوص بالذم محذوف أى مطرهم وقد مضى بيان ذلك كله في الاعراف والشعراء (قل الحمد لله) قال القراء قال أهل المعاني قيل للوط قل الحمد لله على هلاكهم وخلفه جماعة المنسرين فقالوا ان هذا خطاب لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم أى قل الحمد لله على هلاك كذا الامم الخالية قال النحاس وهذا أولى لان القرآن منزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكل ما فيه فهو مخاطب به الامام يصح معناه الا لغيره وكان هذا صدر خطبة لما يلقى من البراهين الدالة على الوحدة والى العلم والقدرة الا في ذكرها بقوله أمن خلق الخ قيل والمراد بقوله (وسلام على عباده الذين اصطفى)

حدثنا الطوت بن عباد حدثنا فضل بن جبير سمعت ابا امامة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اكنلوا الى ستمائا كئل لكم بالجنة اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا اوعى فلا يخن واذا وعد فلا يخلف وغضوا ابصاركم وكنوا اليديكم وحفظوا فروجكم وفي صحيح البخارى من يكفل لى ما بين حميمه وما بين رجله ا كئل له الجنة وقال عبد الرزاق ابنا نامعمر عن ايوب عن ابن سيرين عن عبيدة قال كل ما عصى الله به فهو كبيرة وقد ذكر الطرفين فقال قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ولما كان النظر داعية الى فساد القلب كما قال بعض السلف النظر سبهم الى القلب ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الابصار التي هي بواعث الى

ذلك فقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وحفظ الفرج نارة يكون بجمعهم من الزنا كما قال تعالى والذين هم لفرجهم حافظون الآية وتارة يكون بحفظه من النظر اليه كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسنن احفظ عورتك الامن زوجتك وماملكت يمينك ذلك أركي لهم أي أظهر لقلوبهم وأنتق لدينهم كما قيل من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته وروى في قلبه وروى الامام حدثنا عتاب حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زجر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة رضی الله عنه عن النبي (٧٨) صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم ينظر الى محاسن امرأه ثم

يغض بصره الأخلف الله له عبادة يجده حلاوتها وروى هذا مرفوعاً عن ابن عمر وحذيفة وعائشة رضی الله عنهم ولكن في أسانيدها ضعف الا انها في الترغيب ومنه يتساع فيه وفي الطبراني من طريق عبيد الله بن يزيد عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة مرفوعاً تغض أبصاركم ولتحفظن فروجكم واتقن وجوهكم أولئك سفن وجوهكم وقال الطبراني حدثنا أحمد بن زهير السيري قال قرأنا على محمد بن حنيفة بن عمر الضرير المقرئ حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا هرم بن ابن سفيان عن عبد الرحمن بن اسحق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضی الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النظر بهم من سهام ابليس مسوم من تركه مخافتي أبدلته ايماناً يجده حلاوته في قلبه وقوله تعالى ان الله خير مما يصنعون كما قال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وفي الصحيح عن أبي هريرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

أتمه صلى الله عليه وآله وسلم والاولى حمله على العموم وهم كل المؤمنین من السابقين واللاحقين فيدخل في ذلك الانبياء وأتباعهم قال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم اصطفاهم الله انبياءه صلى الله عليه وآله وسلم وروى مثله عن سفيان الثوري والاولى ما قدمناه من التعميم فيدخل في ذلك أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم دخولا أوليا وهو تعليم لكل متكلم في كل أمر ذي بال بان يتبرك بهم ما ويستظهر لمكانهم ما (الله) فيسه وجهان يجريان في خمسة مواضع في القرآن غير هذا الموضع أحدهما تسهيل الهمزة الثانية مقصورة والثاني ابدالها ألفا ممدودة ممتد الزما والمعنى الله الذي ذكرت أفعاله وصفاته الدالة على عظيم قدرته (خير أم أياشركون) به من الاصنام وفيه تنبيه للمشركين والزمام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار وأم هذه متصلة عاطفة لاستكمال شروطها والتقدير أي ما خير وهذه الخبرية آتت بمعناها الاصلية بل هي كقول الشاعر

أتهجوه ولست له بكف \* فذم كاخير كما الفداء

فيكون ما في الآية من باب التكميم بهم اذ لا خير فيهم أصلا وقد حكى سيدي به ان العرب تقول السعادة أحب اليك أم الشقاوة ولا خير في الشقاوة أصلا وقيل المعنى أتوب الله خيرا أم عقاب ما نشركون به وقيل قال لهم ذلك جريا على اعتقادهم لانهم كانوا يعتقدون ان في عبادة الاصنام خيرا وقيل المراد من هذا الاستنهاج الخبر وقرأ الجمهور تشركون بالنوقية على الخطاب وقرئ بالتحسية (أمن خلق السموات والارض) أم هذه هي المنقطعة وقال أبو حاتم قدירה أهلتكم خيرا من خلق السموات والارض وقدر على خلقهن وقيل المعنى أعبادة ما تعبدون من أوثانكم خيرا أم عبادة من خلق العالم الجسماني فيكون أم على هذه متصلة وفيها معنى التوبيخ والتكميم كافي الجملة الاولى (واتزل لكم من السماء ماء) أي نوعا من الماء وهو المطر (فانبتنا به حنائق) جمع حديقة قال الفراء الحديقة البستان الذي عليه حائط فان لم يكن عليه حائط فهو البستان وليس بحديقة وقال قتادة وعكرمة الحدائق التحل (ذات بجملة) أي ذات منظر حسن ورواق والبهجة هي الحسن الذي يتهيج به من رآه ولم يقبل ذوات بهجة على الجمع لان المعنى جماعة حدائق وصرف الكلام عن الغيبة الى التكميم تأكيده المعنى اختصاص الفعل

وسلم كتب علي ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الاذنين بذاته

الاستماع وزنا البدن البطش وزنا الرجلين الخطى والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه رواه البخاري تعليقا ومسلم مسندا من وجه آخر بنحو ما ذكر وقد قال كثير من السلف انهم كانوا يهتدون ان يحذر الرجل نظره الى الامرء وقد شدد كثير من أئمة الصوفية في ذلك وحرمة طائفة من أهل العلم لما فيه من الافتنان وشدد آخرون في ذلك كثيرا جدا وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو سعيد المدني حدثنا عمر بن بهل المازني حدثني عمر بن محمد بن هبهان عن صفوان بن سليم عن أبي هريرة رضی الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عين باكية يوم القيامة الا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله وعين يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجل (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناء بعولتهن أو أشاء بعولتهن أو اخواتهن أو بنى اخواتهن أو بنى اخواتهن أو نساءهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم (٧٩) ما يخفين من زينتهن وتووا الى الله جميعاً أيها

المؤمنون اعلمكم تفعلون) هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيره منه لازواجهن عبادة المؤمنين وتميز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال بلغنا والله أعلم ان جابر بن عبد الله الانصاري حدث ان اسماء بنت مر شدة كانت في محل لها في بنى حارثة فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزرات فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل وتبدو صدورهن وذواتهن فقالت اسماء ما أفتح هذا فانزل الله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن الآية فقوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن أي عا حرم الله عليهن من النظر الى غير أزواجهن ولهذا ذهب كثير من العلماء الى انه لا يجوز للمرأة النظر الى الرجال الاجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلاً واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود والترمذي من حديث الزهري عن نهبان مولى أم سلمة انه حدثه ان أم سلمة حدثته انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة قالت فبينما

بدانه وايدان ابان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع سقيم اجماء واحدا لا يقدر عليه الا هو وحده ثم رشح معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم ان تنبتوا شجرها) فضلا عن ثمارها وساير صفاتها البديعة ومعنى هذا النبي الحظر والمنع من فعل هذا أي ما يصح للبشر ولا يتهيأ لهم ذلك ولا يدخل تحت مقدورهم لعجزهم عن اخراج الشيء من العدم الى الوجود وان أتى ذلك محال من غيره ثم قال سبحانه موجبا لهم ومقربا (أله) أي هل معبود مع الله الذي تقدم ذكر بعض أفعاله حتى يقرب به ويجعل شركا له في العبادة وقرئ اله أي أتدعون الها مع الله والاستفهام للانكار أي ليس معه اله وكذا يقال في المواضع الاربعة الآية ثم أضرب عن توابعهم وتقر بعهم بما تقدم وانتقل الى بيان سوء حالهم مع الانتفات من الخطاب الى الغيبة فقال (بل هم قوم يعدلون) بالله غيره أو يعدلون عن الحق الى الباطل وبل هم بعد الخطاب أبلغ في تحطئة رأيهم ثم شرع في الاستدلال باحوال الارض وما عليها فقال (أمن جعل الارض قرارا) القرار هو المستقر أي دحاها وسواها وجعلها بحيث يمكن الاستقرار عليها للانسان والدواب باخلاء بعضهم من الماء حسبما تدور عليه منافعهم وقيل هذه الجلة وما بعدها من الجمل الثلاث بدل من قوله أمن خلق السموات والارض ولا ملجئ لذلك بل هي وما بعدها اضراب وانتقال من التقريب والتوبيخ بما قبلها الى التوبيخ والتقريب بشيء آخر (وجعل) أي خلق أو صير (خلالها) أي فيما بينها (أنهارا) تطرد بالمياه والخلال الوسط وقد تقدم تحقيقه في قوله فجرنا خلالهما نهر (وجعل لها رواسي) أي جبالا ثوابت تمسكها وتمتعها من الحركة (وجعل بين البحرين) هما العذب والمالح أي جعل بينهما من قدرته (حاجزا) أي مانعا منقويا وهو المنع الالهى اذ ليس هناك حاجز حسي كما هو مشاهد فلا يختلط أحدهما بالآخر فلا هذا بغير ذلك ولا ذلك يدخل في هذا وقد مر بيانه في سورة الفرقان (أله مع الله) أي اذا ثبت انه لا يقدر على ذلك الا الله فهل اله في الوجود يصنع صنعه ويخلق خلقه فكيف بشر كون به ما لا يضرو ولا ينفع (بل أكثرهم لا يعلمون) توحيد ربهم وسلطان قدرته (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) هذا استدلال منه سبحانه بحاجة الانسان اليه على العموم والمضطر اسم مفعول من الاضطرار وهو اذ تعال من الضرورة وهي الحاجة المحوجة الى الجبا يقال اضطره الى كذا والمضطر هو المكروب المجهود الذي

نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالجاب فتال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج بامنه فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوعيا وان انتمأ استمات بصرائه ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وذهب آخرون من العلماء الى جواز نظرهن الى الاجانب بغير شهوة كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ينظر الى الحبشة وهم يلعبون بحراهم يوم العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر اليهم من وراءه وهو يسترها منهم حتى ملت ورجعت وقوله ويحفظن فروجهن قال سعيد بن جبيرة عن الفواحش وقال قتادة وسفيان عمال يجعل

لهن وقال مقاتل عن الزنا وقال أبو العالية كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا الا هذه الآية ويحفظن فروجهن ان لا يراها أحد وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها أي ولا يظهرن شيئا من الزينة للجانب الا ما لا يمكن اخفاؤه قال ابن مسعود كالداء والسياب يعني على ما كان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التي مجمل ثيابها وما يبدو من أسافل الثياب فلا حرج عليهم فيه لان هذا لا يمكن اخفاؤه وقال بقول ابن مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزي (٨٠) و ابراهيم الخفي وغيرهم وقال الاعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن

عباس ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال وجهها وكفيها والخاتم وروى عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبيرة وأبي الشعثاء والضحاك و ابراهيم الخفي وغيرهم نحو ذلك وهذا يحتمل ان يكون تفسير الزينة التي نهين عن ابدائها كما قال أبو اسحق السبيعي عن أبي الاخوص عن عبد الله قال في قوله ولا يبدين زينتهن الزينة القرط والدمالج والخخال والتلاذوفي رواية عنه بهذا الاسناد قال الزينة زينتان فزينة لا يراها الا الزوج الخاتم والسوار وزينة يراها الا جانب وهي الظاهر من الثياب وقال الزهري لا يبدين لهؤلاء الذين سمى الله عن لا يحل له الا الاسورة والاخرة والاقرطة من غير حسر واما عامة الناس فلا يبدين منها الا الخواتم وقال مالك عن الزهري الا ما ظهر منها الخاتم والخخال ويحتمل ان ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين وهذا هو المشهور عند الجمهور ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه حديثا يعقبون بن كعب

مسه الضر ولا حول له ولا قوة وقيل هو المذنب اذا استغفر وقيل هو المظلوم اذا دعا أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر وقيل هو الذي عراه ضر من فقر أو مرض أو نازلة من نوازل الدهر فالجاء الى التضرع الى الله واللام في المضطر للجنس لا للاستغراق فقد لا يجاب دعاء بعض المضطرين لما منع يمنع من ذلك بسبب محدثه العبد يحول بينه وبين اجابة دعائه والافقد من الله سبحانه اجابة دعاء المضطر اذا دعاه وأخبر بذلك عن نفسه والوجه في اجابة دعاء المضطر ان ذلك الاضطرار الحاصل له يتسبب عنه الاصلاح وقطع النظر عما سوى الله وقد أخبر الله سبحانه بأنه يجب دعاء المخلصين له الدين وان كانوا كافرين فقال حتى اذا كنتم في الفلك وجرى من بهم برح طيبة وفرحوا بها جاءتهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لتكونن من الشاكرين وقال فلما استجابهم الى البر اذا هم يشركون فاجابهم عن ضرورتهم واخلاصهم مع علمه بانهم سيعودون الى شركهم (ويكشف السوء) الذي يسوء العبد من غير تعيين وقيل هو الضر وقيل هو الجوز وهذا من عطف العام على الخاص (ويجعلكم خلفاء الارض) أي يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله بعد انقراضهم والمعنى يهلك قرنا وينشئ آخرين وقيل يجعل أولادكم خلفاء منكم وقيل جعلكم خلفاء الجن في الارض وقيل يجعل المسلمين خلفاء من الكفار ينزلون أرضهم وديارهم (أله مع الله) الذي يوليكم هذه التعم الجسام (قليلاما) أي تذكرا قليلا (تذكرون) وما زائدة لتقليل القليل وهو كناية عن العدم بالكلية فالمراد نبي تذكركم رأسا قال الكرخي المعنى نبي التذكر والقله تستعمل في معنى النفي قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتعسية على الخبر ذاعلى قوله بل أكثرهم لا يعلمون (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي يرشدكم في الليالي المظلمة اذا سافرتكم في البر والبحر الى مقاصدكم وقيل المراد مقادير البر التي لا أعلام لها ولج البحار وشبهها بالظلمات لعدم ما يمدون به فيها وقيل يهديكم بالبحر والاربع الامات الارض نهارا (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحته) المراد بالرحمة هنا المطر أي بين يدي المطر وقبل نزوله (أله مع الله) يفعل ذلك ويوجدته (تعالى الله عما يشركون) أي تنزهه وتقدس عن وجود ما يجعلونه شريكا (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده) كانوا يقرون بأن الله سبحانه هو الخالق

الانطاكي ومؤمل بن الفضل الجواني قال احدثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة رضى الله فالزمهم عنها ان أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب برق فاعرض عنها وقال يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا عذا وأشار الى وجهه وكفيه لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي هو مرسل خالد بن دريك لم يسمع من عائشة رضى الله عنها والله اعلم وقوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن يعني المتانع يعمل لها ضيقات ضاربات على صدورهن لتوارى ما تحتها من صدرها وترائبها الخالفن شعار نساء أهل الجاهلية فانهم لم يكن يفعل ذلك بل كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة

بصدرها الاوار به شئ موربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطه آذانها فامر الله المؤمنات أن يستترن في هياتهن وأحوالهن  
 كما قال تعالى يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وقال  
 في هذه الآية الكريمة وليضربن بخمرهن على جيوبهن والخمر جمع خمار وهو ما يخمر به أى يغطي به الرأس وهو الذى تسمى الناس  
 المتناع قال سعيد بن جبيرة وليضربن ويلشدن بخمرهن على جيوبهن يعنى على الخمر والصدرة فلا يرى منه شئ وقال البخارى حدثنا  
 أحمد بن شبيب حدثنا أبي عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة (٨١) رضى الله عنها قالت يرحم الله نساء

المهاجرات الاول لما أنزل الله  
 وليضربن بخمرهن على جيوبهن  
 شققن مروطن فاخترن به وقال  
 أيضا حدثنا أبو نعيم حدثنا ابراهيم  
 ابن نافع عن الحسن بن مسلم عن  
 صفية بنت شيبة ان عائشة رضى  
 الله عنها كانت تقول لما نزلت هذه  
 الآية وليضربن بخمرهن على  
 جيوبهن أخذن أزهرن فشققنها  
 من قبل الحواشي فاخترن بها  
 وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي  
 حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس  
 حدثني الزنجي بن خالد حدثنا عبد  
 الله بن عثمان بن خثيم عن صفية  
 بنت شيبة قالت بينما نحن عند عائشة  
 قالت فذكرنا نساء قريش وفضلهن  
 فقالت عائشة رضى الله عنها ان  
 لنساء قريش لفضل لا وانى والله  
 ما رأيت أفضل من نساء الانصار  
 أشد تصديقا لكاتب الله ولا ايمانا  
 بالتزويل لقد أنزلت سورة النور  
 وليضربن بخمرهن على جيوبهن  
 انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن  
 ما أنزل اليهن فيها ويلو الرجل على  
 امرأته وابنته وأخته وعلى كل  
 ذى قرابته فقامن امرأه الا

فألزمهم الاعادة أى اذا قدر على الانسداء قدر على الاعادة (ومن يرزقكم من السماء  
 والارض) بالمطر والنبات أى أهو خير أم ما تجعلونه شربا يكاله مما لا يتدر على شئ من ذلك  
 (والله مع الله) حتى تجعلوه شربا يكاله (قل هاؤا برهانكم) أى جتكم عقليه أو نقليه على  
 أن الله سبحانه شربا يكأ وهاؤا جتكم على ان نعم ما ناعيا صنع كصنعه (ان كنتم صادقين)  
 ان مع الله الها فعل شيا عماد كروفي هذا تبكىت لهم وتمهمهم وسألوه عن وقت قيام  
 الساعة فنزل (قل لا يعلم من) أى لا يعلم أحد من المخلوقات الكائنة الثابتة الساكنة  
 المستقرة (في السموات والارض) وهم الملائكة والانس (الغيب) الذى استأثر الله  
 بعلمه (الا لله) أى لكن الله يعلم ذلك فالاستثناء منقطع ورفع ما بعد الاعلى للغة التعميمية كما  
 في قوله \* الا العافير والالاعيس \* وقيل لا يعلم غيب من فيها ولا يعلم الاشياء التى تحدث  
 فيها الا الله وقيل هو استثناء متصل من من والاول أولى لان الاتصال يقتضى ان الله  
 من جملة من فيها أخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث عائشة قالت ثلاث من  
 تكلمن بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية وقالت فى آخره ومن زعم انه يخبر الناس  
 بما يكون فى غد فقد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم الاية (وما  
 يشعرون) أى الكفار (أيان يعنون) أى متى ينشرون من القبور وأيان من كبة من أى  
 وان وقد تقدم تحقيقه وقرئ ايان بكسر الهمزة وهى لغة بنى سليم (بل ادرك) أصله  
 تدارك وقرئ ادرك من الادراك وقرئ بل ادرك بفتح لام بل وتشديد الدال وأدرك على  
 الاستفهام وقرئ بل تدارك بإثبات التاء ومعنى الآية بل تكامل (علمهم فى الآخرة) لانهم  
 رأوا كمالها ودوابه وعيونه وقيل معناه تابع وتلاحق والقراءة الثانية معناها كدل  
 علمهم فى الآخرة مع المعاينة وذلك حين لا ينفعهم العلم لانهم كانوا فى الدنيا مكذبين وقال  
 الزجاج انه على معنى الانكار واستدل على ذلك بقوله فيما بعد بل هم منها معون أى لم يدرك  
 علمهم علم الآخرة وقيل المعنى بل ضل وغاب علمهم فى الآخرة فليس لهم فيها علم ومعنى  
 الثالثة كالأولى فافتعل وتفاعل قد يجيئان للمعنى والابعد هى معنى الانكار قال القراء  
 وهو وجه حسن كانه وجهه الى المكذبين على طريق الاستهزاء بهم وفى الآية قرأت آخر  
 لا ينبغي الاشتغال بذكرها وتوجيهها وعن ابن عباس قال بل ادرك علمهم فى الآخرة حين  
 لا ينفع الندم وعنه قال لم يدرك علمهم وعنه انه قرأها بالاستفهام وعنه قال غاب علمهم

(١١ - فتح البيان سابق) قامت الى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقا وايمانا بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح معتجرات كأن عنى رؤسهن الغربان ورواه أبو داود ومن غيره عن صفية بنت شيبة وقيل  
 ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب ان قرقرة بن عبد الرحمن أخبره عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة انها قالت يرحم الله النساء  
 المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن أكتف مروطن فاخترن به ورواه أبو داود ومن حديث ابن  
 وهب وقوله تعالى ولا يبدن زينتهن الالبعولتن أى أزواجهن أو آبائهن أو آبائهن بعولتن أو أبناء بعولتن أو اخوانهن

أوبنى أخواتهن أوبنى أخواتهن - كل هؤلاء محارم لأمه رأة يجوز لها ان تظهر عليهم - من غير تبرج وقد روى ابن المنذر حدثنا موسى يعني ابن هرون حدثنا أبو بكر يعني ابن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا داود عن الشعبي وعكرمة في هذه الآية ولا يبدن زينتهن الالبعواتن أو آبائهن أو آباء بعواتن حتى فرغ منها وقال لم يذكرا العم والخال لانهما ينعتان لابنائهما ولا تضع خمارها عند العم والخال فاما الزوج فاما ذلك كله من أجله فتصنع له بما لا يكون بحضرة غيره وقوله أو نسائهن يعني تظهر زينتهن أيضا (٨٢) للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لثلاثة صفهن لرجالهن وذلك وان

(بل هم في شك منها) أي بل هم اليوم في الدنيا في شك من الآخرة ثم اضرب عن ذلك إلى ما هو أشرف منه فقال (بل هم منها عمون) فلا يدركون شيئا من دلائلها لاختلال بصائرهم التي يكون بها الإدراك وعمون جمع عم وهو من كان أعشى القلب والمراد بيان جهلهم بهم بها على وجه لا يهتدون إلى شيء مما يوصل إلى العلم بها فن قال ان معنى الآية الأولى انه كحل علمهم وتم مع المعانيه فلا بد من جعل قوله بل هم في شك الخ على ما كانوا عليه في الدنيا ومن قال ان معنى الآية الأولى الاستهزاء بهم والتهيبكيت لهم لم يمتحج إلى تقييد قوله بل هم في شك الخ بما كانوا عليه في الدنيا وهذا يتضح معنى هذه الآيات ويظهر ظهورا بيننا والاضرابات الثلاث تنزيل لحوالهم وتكرير لجهلهم ولما ذكر سبحانه أن المشركين في شك من البعث وأنهم عمون عن النظر في دلائله أراد أن يبين غايه شبهتهم وهي مجرد استبعاد احياء الموتى بعد صيرورتهم ترابا فقال (وقال الذين كفروا أنما أنا وآباؤنا من الناحية) المعنى أنهم استنكروا واستبعدوا أن يخرجوا من قبورهم أحياء بعد ان قد صاروا ترابا ثم أكدوا ذلك الاستبعاد بما هو تكذيب للبعث فقالوا (انقدوعدنا هذا) يعنون البعث (نحن وآباؤنا من قبل) أي من قبل وعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لنا وقد مرت الدهور على هذا الوعد ولم يقع منه شيء فذلك دليل على أنه لا حقيقة له والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير الانكار مصدره بالقسم لزيادة التقرير (ان هذا) الوعد بالبعث (الأساطير الأولى) أي أحاديثهم وأكاذيبهم الملفقة التي كتبوها ولا حقيقة لها وقد تقدم تحقيق معنى الأساطير في سورة المؤمنين ثم أوعدهم سبحانه على عدم قبول ما جاءت به الأنبياء من الاخبار بالبعث فأمرهم بالنظر في أحوال الأمم السابقة المكذبة للأنبياء وما عوقبوا به وكيف كانت عاقبتهم فقال (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) المكذبين بما جاءت به الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام من الاخبار بالبعث ومعنى النظر هو مشاهدة آثارهم بالبصر فان في المشاهدة زيادة اعتبار وكفاية لأولى الابصار وقيل المعنى فانظروا بقلوبكم وبصائركم كيف كان عاقبة المكذبين لرسالهم والأولى الأولى لاهمهم بالسير في الأرض وفيه تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم (ولا تحزن عليهم) الحزن سببه اما قوت أمر في الماضي أو توقع مكروه في المستقبل أي لا تحزن على عدم إيمان المستهزئين فيما مضى

كان محذورا في جميع النساء الا انه في نساء أهل الذمة أشد فانهم لا يمنعون من ذلك مانع فاما المسلمة فانها تعلم ان ذلك حرام فتتبرج عنه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبشرك المرأة المرأة تمنعها لزوجهما كأنه ينظر إليها آخر جاء في الصحيحين عن ابن مسعود وروى سعيد بن منصور في سننه حدثنا السعدي بن عياش عن هشام ابن القار عن عبادة بن نسي عن أبيه عن الحارث بن قيس ان عمر ابن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة أما بعد فانه بلغني ان نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك فانه من قبلك فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها الا أهل ملتها وقال مجاهد في قوله أو نسائهن قال نسائهن المسلمات ليس المشركت من نسائهن وليس للمرأة المسلمة ان تكشف بين يدي مشركة وروى عبد الله في تفسيره عن السكبي عن ابي صالح عن ابن عباس أو نسائهن قال هن المسلمات لا يتديه اليهودية ولا نصرانية وهو النحر والقرط والوشاح وما يحل ان يراه الاحرم وروى سعيد بن جابر عن ابي بصير عن مجاهد قال لانضع المسلمة خمارها ولا

عند مشركة لان الله تعالى يقول أو نسائهن فليست من نسائهن وعن مكحول وعبادة بن انسي انهما كرها ان تقبل النصرانية واليهودية والنجوسية المسلمة فاما ما رواه ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا ابو عمير حدثنا ضمرة قال قال ابن عطاء عن ابيه قال لما قدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس كان قوا بل نسائهن اليهوديات والنصرانيات فهذا ان صح محمول على حال الضرورة أو ان ذلك من باب الامتهان ثم انه ليس فيه كشف عورة ولا بد والله أعلم وقوله تعالى أو ماملكت أي ما كتبت قال ابن جرير



يعني من نساء المشركين فيجوز لها ان تطهر زينتها لها وان كانت مشركه لانها امة لها وذهب سعيد بن المسيب وقال الا كثرون بل يجوز لها ان تطهر على رقيقها من الرجال والنساء واستدلوا بالحديث الذي رواه ابو داود حدثنا محمد بن عيسى حدثنا ابو جيع سالم بن دينار عن ثابت عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعد قدومه لها قال وعلى فاطمة ثوب اذا قمعت به رأسها لم يبلغ رجلها واذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلماك وقد ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة خديجة (٨٣) الحصى مولى معاوية ان عبد الله بن

مسعدة القرظاري كان أسود شديد الادمة وانه قد كان النبي صلى الله عليه وسلم وهبته لابنته فاطمة فربته ثم أعتقته ثم قد كان بعد ذلك كله برز مع معاوية أيام صفين وكان من أشد الناس على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروى الامام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن نهبان عن أم سلمة ذكرت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان لاحد اذن من مكاتب وكان له ما يؤدى فلتحتجب منه ورواه ابو داود عن مسدد عن سفيان وقوله تعالى أو الذابعتين غير أولى الاربعة من الرجال يعني كالاجراء والاتباع الذين ليسوا باكتفاء وهم مع ذلك في عقولهم وله ولاهم لهم الى النساء ولا يشتهونهن قال ابن عباس هو المغفل الذي لا شهوة له وقال مجاهد هو الابله وقال عكرمة هو الخنث الذي لا يقوم ذكره وكذلك قال غير واحد من السلف وفي الصحيح من حديث الزهري عن عروة عن عائشة ان

ولا تغتم وتهنم بكمهم في المستقبل وهو معنى قوله (ولا تكن في ضيق مما يكرهون) الضيق الخرج يقال ضاق الشيء ضيقا بالفتح وضيقا بالكسر قرئ بهما وهما القعان قال ابن السكيت يقال في صدر فلان ضيق وضيق وهو ما يضيّق عنه الصدور وقرئ لا تكن بتبوت النون هنا على الاصل وقد حذف من هذا المصارع في القرآن في عشر من مواضعها تسعة منها مدونة بالتاء وثمانية بالتاء واثنان بالنون واحدا بالهمزة وهو قوله ولم ألت بغيا وقد تقدم تفسير هذه الآية في آخر سورة النحل (ويقولون متى هذا الوعد) بالعذاب الذي تعدنا (ان كنتم صادقين) في ذلك خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المؤمنين (قل عسى ان يكون ردف لكم) يقال ردف الرجل وأردفته اذا ركبت خلفه وردفه اذا اتبعه وجاء في اثره قال ابن شجرة معنى ردف لكم تبعكم قال ومنه ردف المرأة لانه تبع لها من خلفها قال الجوهري وأردفه لغة في ردفه مثل تبعه واتبعه قال الفراء ردف لكم دنالكم ولهذا قيل لكم وقرئ ردف بفتح الدال وهي لغة والكسر أشهر وقرأ ابن عباس أنف لكم وعسى ولعل وسوف في مواضع الملوكة بمنزلة الجزم بمدخولها وانما يطبقونها اظهار اللوقار واشعار بان الرمز من أمثالهم كالتصريح من عداهم وعلى ذلك يجري الله وعبيده قاله ابو السعود والمعنى قل يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء الكفار عسى ان يكون هذا العذاب الذي به توقع دون تبعكم ولحقكم فتكون اللام زائدة لتأكيدا ومعنى اقرب لكم ودنا منكم قاله ابن عباس فتكون غير زائدة (بعض الذي تستحبون) من العذاب أي حلوله قيل هو عذابهم بالقتل يوم بدر وقيل هو عذاب القبر ثم ذكر سبحانه فضله فقال (وان ربك لذو فضل على الناس) في تأخير العقوبة والاولى أن تجعل الآية على العموم ويكون تأخير العقوبة من جملة افضاله سبحانه وانعامه (ولكن أكثرهم لا يشكرون) فضله وانعامه ولا يعرفون حق احسانه ثم بين سبحانه انه مطلع على ما في صدورهم فقال (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) أي ما تخفيه فليس التأخير خفا حالكهم عليه قرئ بضم التاء من أكن وفتحها وضم الكاف يقال كنته بمعنى سترته وأخفيت أثره (وما يعلمون) من أقوالهم وأفعالهم ويظهرونها وقال ابن عباس يعلم ما علموا بالليل والنهار (وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين) أي في اللوح المحفوظ والغائبة هي من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كراوية

مخنثا كان يدخل على أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يعدونه من غير أولى الاربعة فدخّل النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنت امرأة يقول انها اذا أقبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بشان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخان عليكم فأخرجه فكان بالبيداء يدخل يوم كل جمعة ليستطعم وروى الامام أحمد حدثنا ابو معاوية به حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة انها قالت دخل عليا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها عبد الله بن أبي أمية والخنث يقول يا عبد الله ان فتح الله عليكم الطائف غدا فاعليك يا بنته غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بشان قال فسمعه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لام سلمة لا يدخان هذا عليك أخرجه في الصحاحين عن هشام بن عروة به وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر بن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أوى الأربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند بعض نساءه وهو يتبع امرأته فقال انها اذا أقبلت اقبلت باربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم هذا فحجبه ورواه مسلم وأبو داود من طريق (٨٤) عبد الرزاق به عن أم سلمة وقوله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات

النساء يعنى اصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم وتعطفهن في المشية وحر كآتهن وسكنآتهن فاذا كان الطفل صغيرا لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء فاما ان كان مر اهقا أو قربا منه بحيث يعرف ذلك ويديره ويفرق بين الشوهاة والحسنة فلا يمكن من الدخول على النساء وقد ثبت في الصحاحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والدخول على النساء قيل يا رسول الله أفرايت الجوف قال الجواموت وقوله تعالى ولا يضر بن بارجلهن الآية كانت المرأة في الجاهلية اذا كانت تمشى في الطريق وفي رجلها الخنخال صامت لا يعلم صوته ضربت برجلها الارض فيسمع الرجال طنته فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك وكذلك اذا كان شيء من زينتها مستورا فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهى لقوله تعالى ولا يضر بن بارجلهن الى آخره ومن ذلك انها تنهى عن

وعلامته وقيل هي الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعاقبة قال الزمخشري ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية في أنها أسماء غير صفات قال الحسن الغائبه هنا هي القيامة وقال مقاتل علم ما يستعجلون من العذاب هو مبين عند الله وان غاب عن الخلق وقال ابن شجرة الغائبه هنا جميع ما أخفى الله عن خلقه وغيبه عنهم مبين في أم الكتاب فكيف يخفى عليه شيء من ذلك ومن جعله ذلك ما يستعجلون من العذاب فانه موقت بوقت مؤجل بأجل علمه عند الله فكيف يستعجلونه قبل أجله المضروب له وقال ابن عباس ما من شيء في السماء والارض سرا ولا علانية الا يعلمه (ان هذا القرآن يقصص على بني اسرائيل) الموجودين في زمان نبينا بالتصريح والتخصيص ولذا خص الاكثر بالذكر وقال (أكثر الذي هم فيه يختلفون) من التشبيه وانتزيعه وأحوال الجنة والنار وعزير ومسيح وذلك لان أهل الكتاب تنفروا فرقا وتحزبوا أحزابا يطعن بعضهم على بعض ويتبرأ بعضهم من بعض فنزل القرآن مبينا لما اختلفوا فيه من الحق فلو أخذوا به لوجدوا فيه ما يرفع اختلافهم ويدفع تنفرهم (وان لهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (للمؤمنين) أى لمن آمن بالله وتاب على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وخصهم لانهم هم المستفعدون به ومن جلتهم من آمن من بني اسرائيل (ان ربك يقضى بينهم) كغيرهم يوم القيامة (بحكمه) أى يقضى بالعدل بين المختلفين من بني اسرائيل بما يحكمهم به من الحق فيجازى الحق ويعاقب المظلم فلا يمكن أحدا مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه ورسوله وقيل يقضى بينهم في الدنيا فيظهر ما حرقوه قرئ بحكمه بضم الحاء وسكون الكاف وبكسرهما وفتح الكاف جمع حكمة والحكم بمعنى العدل والحق والمحكوم به (وهو العزيز) الذى لا يغالب (العليم) بما يحكمهم به والكثير العلم ثم أمره سبحانه بالتوكل وقوله المبالة فقال (فتوكل على الله) الفاء لترتيب الامر على ما تقدم ذكره لان هذه الاوصاف توجب على كل أحد ان يفوض جميع اموره اليه والمعنى فووض اليه أمرك واعتمد عليه فانه نادى ثم علل ذلك بعلمين الاولى قوله (انك على الحق المبين) أى ان الظاهر وقيل المظهر وهو الدين الواضح الذى لا يتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبصرته وتأيدته وحفظه له والعلل الثانية قوله (انك لاتسمع الموقى) أى موقى القلوب وهم الكفار وفيه قطع طمعهم عن متابعتهم ومعاضدتهم رأسا (ولا تسمع الصم الدعاء) لانه اذا علم ان

التعطر والتطيب عند دخور وجهها من بيتها فيشم الرجال طيبها فقد قال أبو عيسى الترمذى حدثنا محمد بن بشر حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ثابت بن عمارة الحنفى عن غنيم بن قيس عن أنى موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل عين زانية والمرأة اذا استعطرت فمرت بالجلس فهى كذا وكذا يعنى زانية قال وفي الباب عن أنى هريرة وهذا حسن صحيح ورواه أبو داود والنسائى من حديث ثابت بن عمارة به وقال أبو داود حدثنا محمد بن بشر أخبرنا سفيان بن عاصم بن عبيد الله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال لقبته امرأته ثم منهارى الطيب

حاله

وإذ يلها اعصار فقال يا أمة الجبار جئت من المسجد قالت نعم قال لها تطيبت قالت نعم قال اني سمعت جبي ابا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلاة امرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فغتسل غسلها من الجنابة ورواه ابن ماجه عن ابي بكر ابن ابي شيبة عن سفيان هو ابن عيينة به وروى الترمذي ايضا من حديث موسى بن عبيدة عن ايوب بن خالد عن ميمونة بنت سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراهلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها ومن ذلك ايضا انهن نهين عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج قال ابو داود حدثنا (٨٥) القعني حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد

عن ابي اليان عن شداد بن ابي عمر بن حسان عن ابيه عن حمزة بن ابي أسيد الانصاري عن ابيه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد وقد احتاط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء استأخرن فانه ليس يكن ان تجعدن الطريق عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى ان ثوبها يتعلق بالجدار من لصوقها به وقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون أي افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والاخلاق الجليلة واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الاخلاق والصفات الرذيلة فان الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى عنه والله تعالى هو المستعان (وأنتكحوا الايبي منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع

عالمهم كحال الموق في اتقاء الجدوى بالسماع أو بحال الصم الذين لا يسمعون ولا يفهمون ولا يتدرون صار ذلك سببا قويا في عدم الاعتماد عليهم شبه الكفار بالموق الذين لا حس لهم ولا عقل وبالصم الذين لا يسمعون المواعظ ولا يجيبون الدعاء الى الله وقرئ تسمع بضم التوقية وكسر الميم من أسمع وقرئ بالتحسية مفتوحة وفتح الميم وفتح له الصم ثم ذكر سبحانه جملة لتكميل التشبيه وتأكيد فقال (اذولوا مدبرين) أي أعرضوا عن الحق اعراضا تاما فان الأصم لا يسمع الدعاء اذا كان مقبلا فكيف اذا كان مدبرا معرضا عنه موليا قال قتادة الأصم اذا ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى اليه من الايمان وظاهر في سماع الموق العموم فلا يخص منه الا ما ورد بدليل كما ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وآله وسلم خاطب القتلى في قلب بدر فقيل له يا رسول الله انما تكلم أجساد الأرواح لها وكذلك ما ورد من أن الميت يسمع خلق نعال المشيعين له اذا انصرفوا ثم ضرب العمى مثلا لهم فقال (وما أنت به ادى العمى عن ضلالهم) أي ما أنت بمرشد من أسماء الله عن الحق ارشادا يوصله الى المطلوب منه وهو الايمان وليس في وسعك ذلك ومثله قوله انك لا تهدي من أحببت قرأ الجمهور باضافة هادى الى العمى وقرئ بالتسوين وقرئ تهدي فعلا مضارع وفي حرف عبد الله وما ان تهدي العمى (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) أي من يصدق بالقرآن في علم الله لا من يكفر (فهم مسلمون) تعليل للايمان أي فهم منقادون مخلصون بتوحيد الله ثم هددوا بالعبادتك كطرف من اشراط الساعة زأهوا لها فقال (واذ وقع القول عليهم) اختلف في معنى هذا الوقوع فقال قتادة وجب الغضب عليهم وقال مجاهد حق القول عليهم بانهم لا يؤمنون وقيل حق العذاب عليهم وقيل وجب السخط والمعاني مقاربة وقيل المراد بالقول ما نطق به القرآن من محي الساعة وما فيها من فنون الاحوال التي كانوا يستعملونها وقيل وقع القول بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن وذلك اذا الميامر واما المعروف وينهوا عن المنكر قاله ابن عمر وأخرجه ابن مردويه عنه مرفوعا وعن ابي العالية انه فسر وقع القول بما أوحى الى نوح انه ان يؤمن من قومك الا من قدامن والحاصل ان المراد بوقع وجب والقول مضمونه أو أطلق المصدر على المفعول أي المقول وجواب الشرط قوله (أخرجنا لهم دابة من الارض) اختلف في هذه الدابة على أقوال فتقبل انها فصيل ناقه صالح يخرج عند اقتراب

عليهم وليست عفف الذين لا يجردون نكاحا حتى يغنهم الله من فضله والذين يتبعون الخطاب مما ملكت أيمانكم فكتابوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرر وافتيا تكلم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعدا كراهين غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين) اشتملت هذه الآيات الكريمة المبينة على جمل من الاحكام المحكمة والاوامر المبرمة فقوله تعالى وأنكحوا الايبي منكم الى آخره هذا أمر بالتزويج وقد ذهب طائفة من العلماء الى وجوبه على كل من قدر عليه واحتجوا بظاهر قوله عليه

السلام يامعشر الشباب من استطاع منكم لبائة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود وجاء في السنن من غير وجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا الولود تناسلوا فاني مباحم بكم الامم يوم القيامة وفي رواية حتى بالسقط والايامى جمع ايم ويقال ذلك للمرأة التي لازوج لها وللرجل الذي لازوجه له وسواء كان قد تزوج ثم فارق أو لم يتزوج واحدمنها ما حكاها الجوهري عن أهل اللغة يقال رجل ايم وامرأة ايم وقوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله (٨٦) الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رغبتهم الله في التزويج

الساعة ويكون من اشراطها وقيل هي دابة من غيبة ذات شعور وقوام طول يقال لها الجساسة وبه قال ابن عمرو وفي التعبير عنها باسم الجنس وقا كيد ايهامه بالتنوين التخييم من الدلالة على غرابية شأنها وخروج أو صافها عن طور البيان ما لا يخفى وقيل هي دابة على خلقه بنى آدم رأسها في السحاب وقوائمها في الارض وقيل رأسها رأس نور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وعنتها عنت نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون غر وخالصرتها خالصرة هر وذنبا ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعا ولعل ذلك هو الجساسة وقيل هي الثعبان والمشراف على جدار الكعبة التي اقتلعها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة والمراد انما هي التي تخرج في آخر الزمان وقيل هي دابة ماله اذنب ولها الحية وقيل هي انسان ناطق متكلم يناظر أهل البدع ويراجع الكفار وفيه بعد وعن ابن عباس قال الدابة ذات وبر وریش مؤلفة فيها من كل لون لها أربع قوائم تخرج بعقب من الحاج وقيل غير ذلك مما لا فائدة في التطويل بذكره وقد ربح القول الاول القرطبي في تفسيره وقال هو أصح الأقوال واختلف في تعيينها ووصفتها اختلافا كثيرا قد ذكرناه في كتاب التذكرة انتهى واختلف من أي موضع تخرج فقيل من جبل الصنابكة يصدع فتخرج منه قاله ابن عمرو وقيل تخرج من جبل أبي قبيس وقيل لها ثلاث خرجات خرجة في بعض البوادي حتى يتقاتل عليها الناس وتكثر الدماء ثم تكمن في القرى ثم تخرج من أعظم المساجد وأكرمها وأشرفها وقيل تخرج من بين الركن والمقام وقال ابن عباس تخرج من بعض أودية تهامة وقيل من مسجد الكوفة من حيث فار التنور وقيل من أرض الطائف وقيل من صخرة من شعب أجياد قاله ابن عمرو وقيل من صدع في الكعبة وقيل من بحر سدرم قاله وهب بن منبه واختلف في معنى قوله (تكلمهم) فقيل تكلم الموجودين ييطان الاديان سوى دين الاسلام وقيل تكلمهم بما يسوؤهم وقيل تكلمهم بالعربية بقوله تعالى الآتى ان الناس كانوا اياتنا لا يوقنون قاله ابن عباس أي بخروجها لان خروجها من الآيات وقال ابن عباس أيضا تكلمهم بتحدثهم وعنه انه سئل هو من التكلم باللسان أو من التكلم وهو الجرح فقال كل ذلك والله تنبأ تكلم المؤمن وتكلم الكافر أي تجرحه قرأ الجمهور تكلمهم من التكلم وتدل عليه قراءة أبي تيبه هم وقري بفتح

وأمر به الاحرار والعبيد ووعدهم عليه الغنى فقال ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمود بن خالد الازرق حدثنا عمر بن عبد الواحد عن سعيد يعني ابن عبد العزيز قال بلغني ان أبابكر الصديق رضى الله عنه قال اطيعوا الله فيما أمركم به من التكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى قال تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وعن ابن مسعود التمسوا الغنى في السكاح يقول الله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رواه ابن جرير وذكر البغوي عن عمر بن الخطاب وعن الليث عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء والغازي في سبيل الله رواه الامام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل

الذي لم يجد عليه الا ازاره ولم يقدر على خاتم من حديد ومع هذا فرز وجه بتلك المرأة وجعل صداقها القوية عليه ان يعلمها ما معه من القرآن والمعهود من كرم الله تعالى واطفئه ان يرزقه ما فيه كفاية لها وله وامام ما يورده كثير من الناس على انه حديث تزوجوا فقراء يغنكم الله فلا أصل له ولم أره باسناد قوي ولا ضعيف الى الآن وفي القرآن غنية عنه وكذا هذه الاحاديث التي أوردناها والله الحمد والمنة وقوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنهم الله من فضله هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجا بالتعفف عن الحرام كما قال صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم

الباء فليزوج فانه أخص للبصر وأخص للفرج ومن لم يستطع فعله بالصوم فإنه له وجاء الحديث وهذه الآية مطلقة والتي في سورة النساء أخص منها وهي قوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات الى قوله وان تصبروا خير لكم أي صبركم عن تزويج الاماء خير لكم لان الولد يبي عرقا والله غفور رحيم قال عكرمة في قوله وليست عتق الذين لا يجدون نكاحا قال هو الرجل يرى المرأة فكانه يشتهي فان كانت له امرأة فليذهب اليها وليقض حاجته منها وان لم يكن له امرأة فليستظر في ملكوت السموات والارض حتى يغنيه الله وقوله تعالى والذين يتغنون الكتاب مما (٨٧) ملكت ايمانكم فكانت بهم ان علمت فيهم

خير هذا أمر من الله تعالى للسادة اذا طلب عبيدهم منهم الكتابة ان يكتبوهم بشرط ان يكون لله يد حيلة وكسب يؤدي الى سيده المال الذي شارطه على أدائه وقد ذهب كثير من العلماء الى ان هذا الامر أمر ارشاد واستحباب لا أمر تحتم وايجاب بل السيد مخير اذا طلب منه عبيده الكتابة ان شاء كاتبه وان شاء لم يكتبه قال الثوري عن جابر عن الشعبي ان شاء كاتبه وان شاء لم يكتبه وكذا روى ابن وهب عن اسمعيل بن عياش عن رجل عن عطاء بن أبي رباح ان يشأ يكتبه وان لم يشأ لم يكتبه وكذا قال مقاتل ابن حيان والحسن البصري وذهب آخرون الى انه يجب على السيد اذا طلب منه عبيده ذلك ان يجيبه الى ما طلب اخذ ايضا هذا الامر وقال البخاري وقال روح عن ابن جريح قلت لعطاء أوجب على اذا علمت له مالا ان كاتبه قال ما أراه الا واجبا وقال عمرو بن دينار قلت لعطاء ان أثاره عن احد قال لا ثم اخبرني ان موسى

الفوقية وسكون الكاف من الكلم وهو الجرح قال عكرمة أي تسمهم وسما وقيل تجرحهم وقيل قراءة الجهور مأخوذة من الكلم وهو الجرح والتشديد للتكثير قاله أبو عاصم وأخرج عبد بن حميد وابن مردويه عن ابن عمر في الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس ذلك حديثا ولا كلاما ولكنها سمعة تسم من أمرها الله به فيكون خروجها من الصف ليلته متى فيصيحون بين رؤسها وذيها لا يدحض داحض ولا يجرح جارح حتى اذا فرغت مما أمرها الله به فهالك من هلاك ونجاس نجا كان أول خطوة تضعها بأنا كية وأخرج أحمد وابن مردويه عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال تخرج الدابة تقسم على خراطيمهم ثم يعمررون فيكم حتى يشتمى الرجل الدابة فيقال له ممن اشتريتها فيقول من الرجل المخطم وعن حذيفة بن أسيد رفعه قال تخرج الدابة من أعظم المساجد حرمة وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تخرج دابة الارض ومعها عصي موسى وخاتم سليمان فتجلبو وجه المؤمن بالخاتم وتخطم أنف الكافر بالعهص حتى يجتمع مع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر وعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدابة فقال لها ثلاث خراج من الدهر الحديث أخرجه البيهقي والحاكم وصححه وابن المنذر وغيرهم وفي صفتها ومكان خروجها وما تصنعه وتخرج أحاديث كثيرة بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف وأما كونها تخرج وكونها من علامات الساعة فالاحاديث الواردة في ذلك صحيحة ومنها ما هو ثابت في الصحيح كحديث حذيفة مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات وذ كرمها الدابة فانه في صحيح مسلم وفي السنن الاربع وكحديث بادروا بالاعمال طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة فانه في صحيح مسلم أيضا من حديث أبي هريرة مرفوعا وكحديث ابن عمر مرفوعا ان أول الآيات خروج طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى فانه في صحيح مسلم أيضا ثم قرأ الجهور ان الناس كانوا أبايتنا لا يوقنون يكسرون على الاستئناف وقرئ بفتحها قال الاخفش المعنى على الفتح بان الناس وبها قرأ ابن مسعود وقال أبو عبيدة أي تخبرهم أن الناس الخ وعلى هذه فالذي تكلم الناس به هو قوله ان الناس الخ كما قدمنا الاشارة الى ذلك واماعلى الكسر

ابن أنس اخبره ان سيرين سأل انسا المكاتبة وكان كثير المال فاني فانطلق الى عمر رضى الله عنه فقتل كاتبه فأبى فضربه بالدرية وتلوع عمر رضى الله عنه فكانت بهم ان علمت فيهم خير فكانت به هكذا ذكره البخاري معلقا ورواه عبد الرزاق أخبرنا ابن جريح قال قلت لعطاء أوجب على اذا علمت له مالا ان كاتبه قال ما أراه الا واجبا وقال ابن جريح حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك ان سيرين أراد ان يكتبه فقتل كاتبه فقال له عمر لم تكتبه اسناد صحيح وروى سعيد بن منصور حدثنا هشيم بن جوير عن الضحاك قال هي عزمة وهذا هو القول القديم من قول الشافعي وذهب في الجديد

الى انه لا يجب لقوله عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم الا يطيب نفس وقال ابن وهب قال مالك الامر عندنا انه ليس على سيد العبد ان يكتبه اذا سألته ذلك ولم اسمع احدا من الائمة اكره احدا على ان يكتب عبده قال مالك وانما ذلك امر من الله تعالى واذن منه للناس وليس بواجب وكذا قال الثوري وابو حنيفة وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وغيرهم واختار ابن جرير قول الوجوب لظاهر الآية وقوله تعالى ان علمتم فيهم خيرا قال بعضهم امانة وقال بعضهم صدقا وقال بعضهم حيلة وكسبا وروى ابو داود في المراسيل (٨٨) عن يحيى بن أبي كثير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكاتبوهم

قال الجمل مسـتأنفة كما قدمنا ولا يكون من كلام الدابة وقد صرح بذلك جماعة من المفسرين وجرم به الكسائي والقراء وقال الاخفش ان كسر ان هو على تقدير القول أى تقول لهم ان الناس فيرجع معنى القراءة الاولى على هذا الى معنى الثانية والمراد بالناس في الآية هم الناس على العموم فيدخل في ذلك كل مكلف وقيل المراد الكفار خاصة وقيل كفار مكة والاول أولى كما صنع جمهور المفسرين والمعنى لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب ويختر وجهها بتقطع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يبقى نائب ولا نائب ولا يؤمن كافر كما أوحى الله الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قدامن ثم ذكر سبحانه طرفا مجملا من أهوال يوم القيامة بعد بيان مبادئها فقال (ويوم نحشر من كل امة فوجا) العامل في الطرف فعل محذوف خوطف به النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحشر الجمع قيل والمراد بهذا الحشر هو حشر العذاب الخاص بعد الحشر الكلى الشامل لجميع الخلق ومن لا يتدأ الغاية والفوج الجماعة كالزمرة والقوم وقيدهم الراغب فقال الفوج الجماعة المارة بسرعة وكان هذا هو الاصل ثم أطلق وان لم يكن مرورا ولا اسراع والجمع أفواج وفوج (من يكذب باياتنا) من بيانية (فهم يوزعون) أى يجسأ أولهم على آخرهم لاجل تلاحقهم وقيل معناه يدفعون وقد تقدم تحقيقه في هذه السورة مستوفى ومعنى الآية واذا كرىا محمد يوم يجمع من كل امة من الامم جماعة مكذبين باياتنا فهم عند ذلك الحشر يردأ أولهم على آخرهم أو يدفعون أى اذ كرلهم هذا وبينه تحذير لهم وترهيبا (حتى اذا جاؤا) الى موقف الحساب (قال) الله لهم تو يخافون تقريرا (أ كذبتم باياتي) التى أنزلتها على رسلى وأمرتهم بها بل اغها اليكم (و) الحال انكم (لم تحيطوا بها علما) بل كذبتم بها نادى بدء جاهلين لها غير ناظرين فيها ولا مستدلين على صحتها أو بطلانها ثم اردوا وعنادوا وجرأة على الله وعلى رسله وفي هذا امر يد تقرير وعو بيج لان من كذب بشئ ولم يحط به علما فقد كذب فى تكذيبه ونادى على نفسه بالجهل وعدم الانصاف وسوء النهم وقصور الادراك ومن هذا القبيل من تصدى لزم علم من علوم الشريعة أولم علم هو مقدمة من مقدماتها ووسيلة يتوسل بها اليها وتفيد زيادة بصيرة فى معرفتها وتعقل معانيها كعلوم اللغة العربية بأسرها وهى اثنا عشر علما وعلم أصول الفقه فانه يتوصل به الى استنباط الاحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية

ان علمتم فيهم خيرا قال ان علمتم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلالا على الناس وقوله تعالى وآتوهم من مال الله الذى آتاكم اختلف المفسرون فيه فقال بعضهم اطرحوا لهم من الكتابة بعضها ثم قال بعضهم مقدار الربع وقيل الثلث وقيل النصف وقيل جزء من الكتابة من غير حد وقال آخرون بل المراد من قوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم هو التصيب الذين فرض الله لهم من أموال الزكاة وهذا قول الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وابيه ومقاتل ابن حيان واختار ابن جرير وقال ابراهيم النخعي فى قوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال حث الناس عليه مولا وغيره وكذا قال بريدة بن الحصيب السلمى وقناة وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين ان يعينوا فى الزقاب وقد تقدم فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة حق على الله عونهم فذكر منهم المكاتب يريد الاداء والقول الاول أشهر وقال

ابن ابى حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا وكيع عن ابن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس عن عمرانه كاتب عبد الله يكنى أبا أمية فبأنه بنجمه حين حل فقال يا أبا أمية اذهب فاستعن به فى مكاتبك فقال يا امير المؤمنين لو تركته حتى يكون من آخر نعيم قال اخاف ان لا ادرك ذلك ثم قرأ فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال عكرمة فى كان اول نعيم ادى فى الاسلام وروى ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال كان ابن عمراذ الكاتب مكاتب لم يضع عنه شبهة من اول نعيمه مخافة ان يعجز فترجع اليه صدقته ولكنه اذا كان فى

آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال ضعوا عنهم يعني من مكاتبتهم وكذا قال مجاهد وعطاء والقاسم بن أبي هريرة وعبد الكريم بن مالك الجزري والسدي وقال محمد بن سيرين في الآية كان يعجبهم ان يدع الرجل لمكاتبه طائفة من مكاتبته وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الفضل بن شاذان المقرئ أخبرنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريج أخبرني عطاء بن السائب ان عبد الله بن جندب أخبره عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ربع الكتابة وهذا حديث غريب ورفعه منكر والاشبه انه موقوف (٨٩) علي رضي الله عنه كما رواه أبو عبد الرحمن

السلمي رحمه الله وقوله تعالى ولا تسلموا على من كفر به عنكم ولا تملطوا اللسان على الكافرين تكرر هو اقسا تكلم على البغاء الآية كان أهل الجاهلية اذا كان لاحدهم أمة أرسلها تزيى وجعل عليها ضربية يأخذها منها كل وقت فإما طاه الاسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك وكان سبب نزول هذه الآية فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف في شأن عبد الله بن أبي بن سلول فانه كان له امة فكان يكرههم على البغاء طلبا لخراجهم وورغبة في أولادهم ورياسة منه فيما يرغم \* ذكر الامام الواردة في ذلك \* قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار رحمه الله في مسنده حدثنا أحمد بن داود الواسطي حدثنا أبو عمرو اللخمي يعني محمد بن الحجاج حدثنا محمد بن اسحق عن الزهري قال كانت جارية لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الاسلام نزلت ولاتكروها فتبساتكم على البغاء الآية وقال الاعمش عن أبي سفيان عن جابر في هذه الآية قال نزلت في امة لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها سميكة كان يكرهها على النجور وكانت

مع اشتغاله على بيان قواعد اللغة الكلية وهكذا كل علم من العلوم التي لها مزية تنفع في فهم كتاب الله وسنة رسوله فانه قد نادى على نفسه بأنه جاهل مجادل بالباطل طاعن على العلوم الشرعية مستحق لان تنزل به فارة من قوارع العقوبة التي ترجره عن جهله وضلاله وطعنه على ما لا يعرفه ولا يعلم به ولا يحيط بكنهه حتى يصير عبرة لغيره وموعظة يتعظ بها أمثاله من ضعماء العقول وركان الاديان ورعاغ المتأدبين بالعلم زورا وكذبا (أم ماذا) أم هي المنقطعة بمعنى بل والمعنى أي شيء (كنتم تعملون) حتى شغلتم ذلك عن النظر فيها والتفكير في معانيها وهذا الاستهزام على طريق التبكيت لهم (ووقع القول) أي وجب العذاب (عليهم) وقد تقدم نفسه قريبا (عما ظنوا) أي بسبب الظن الذي أعظم أنواعه الشرك بالله (فهم لا ينطقون) عند وقوع القول عليهم أي ليس لهم عذر ينطقون به او لا يقدر على القول لما يرونه من الهول العظيم وقال أكثر المفسرين ينحتم على أفواههم فلا ينطقون ثم بعد ان خوفهم باحوال القيامة ذكر سبحانه ما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغته في الارشاد وابلأ للمعذرة فقال (ألم يروا أن جعلنا الليل ليسكنوا فيه) أي ألم يعلموا النا خلقنا الليل للسكون والاستقرار والنوم فيه وذلك بسبب ما فيه من الظلمة فانهم لا يسهون فيه للمعاش (و) خلقنا النهار مبصرا اي يصرون فيه ما يسهون له من المعاش الذي لا يتلهم منه ووصف النهار بالابصار وهو وصف للناس مبالغة في اضاءته كأنه يبصر ما فيه في الكلام اسناد عقلي من الاسناد الى الزمان قيل في الكلام حذف والتقدير وجعلنا الليل مظلما ليسكنوا وحذف مظلم الدلالة مبصر اعلمه وقد تقدم بحقيقته في الاسراء وفي يونس (ان في ذلك) المذكور (آيات) أي لعلمات ودلالات (تقوم يومنون) بالله سبحانه وفي الآية دليل على صحة البعث بعد الموت لان القادر على قلب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت كيف ومن تأمل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه مبينة على حكم تحارفي فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكاة للموت بضياء النهار المضاهي للحياة وعيان في نفسه تبدل النوم الذي هو أحوال الموت باليقظ الذي هو مثل الحياة قضى بان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وحزم بان الله قد جعل هذا النموذج اودا لا يستدل به على ان

(١٢ - فتح البيان سابع) لا بأس به فأتى فأنزل الله هذه الآية ولا تكرر هو اقسا تكلم على البغاء الى قوله ومن يكرههم فان الله من بعد اكرههم غفور رحيم وروى النسائي من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بنحوه وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا علي بن سعيد حدثنا الاعمش حدثني أبو سفيان عن جابر قال كان لعبد الله بن أبي بن سلول جارية يقال لها سميكة وكان يكرهها على البغاء فأنزل الله ولا تكرر هو اقسا تكلم على البغاء الى قوله ومن يكرههم فان الله من بعد اكرههم غفور رحيم صرح الاعمش بالسماع عن أبي سفيان طلحة بن نافع فدل على بطلان قول من قال لم يسمع منه انما هو صحيفة حكاه البزار وروى ابو داود الطيالسي عن سليمان بن معاذ عن سمك عن عكرمة عن ابن عباس ان جارية لعبد الله بن أبي كانت تزيى في الجاهلية فولدت

أولاد من الزنا فقال لها مالك لا تزني قالت والله لا انزى فضرها فانزل الله عز وجل ولا تكرر هو اقسيا تكلم على البغاء الآية وروى البزار  
 أيضا حدثنا احمد بن داود الواسطي حدثنا أبو عمرو اللخمي يعني محمد بن الحجاج حدثنا محمد بن اسحق عن الزهري عن أنس رضي الله  
 عنه قال كانت جارية لعبد الله بن أبي يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاءه الاسلام نزلت ولا تكرر هو اقسيا تكلم على البغاء ان اردن  
 تحصنالي ومن يكرههن فان الله من بعدا كراههن غفور رحيم وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري ان رجلا من قريش أسر  
 يوم بدر وكان عبد الله بن أبي اسيرا وكانت لعبد الله (٩٠) بن أبي جارية يقال لها معاذة وكان القرشي الاسير يريدها على نفسها وكانت

مسلمة وكانت تتسرع منه لاسلامها  
 وكان عبد الله بن أبي يكرهها على  
 ذلك ويضربها رجاء ان تحمل القرشي  
 فيطلب فداء ولده فقال تبارك  
 وتعالى ولا تكرر هو اقسيا تكلم على  
 البغاء ان اردن تحصننا وقال  
 السدي انزلت هذه الآية الكريمة  
 في عبد الله بن أبي ابن سلول رأس  
 المنافقين وكانت له جارية تدعى  
 معاذة وكان اذا نزل به ضيف  
 أرسلها اليه ليوافقها ارادة  
 الثواب منه والكرامة له فأقبلت  
 الجارية الى أبي بكر رضي الله عنه  
 فشكت اليه ذلك فذكره أبو بكر  
 للنبي صلى الله عليه وسلم فأمره  
 بقبضها فصاح عبد الله بن أبي من  
 بعدنا من محمد يغلبنا على ما لو كنا  
 فأنزل الله فيهم هذا وقال مقاتل بن  
 حيان بلغني والله أعلم ان هذه الآية  
 نزلت في رجلين كانا يكرهان أمتين  
 هما أحدهما السهماسيكة وكانت  
 للانصار (١) وكانت أمية أم مسيكة  
 لعبد الله بن أبي وكانت معاذة  
 وأروى بذلك المترلة فانت مسيكة  
 وأمها النبي صلى الله عليه وسلم  
 فذكرنا ذلك فأنزل الله في ذلك  
 ولا تكرر هو اقسيا تكلم على البغاء

سائر الآيات حق نازل من عند الله قاله أبو السعود ثم ذكر سبحانه علامة أخرى للقيامة  
 فقال (ويوم ينفخ في الصور) وهو معطوف على ويوم تشر منسوب بنه صبه المتقدم قال  
 القراء ان المعنى وذلك يوم ينفخ في الصور والاولى والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل  
 وقد تقدم في الانعام استيفاء الكلام عليه والنفخات في الصور ثلاث الاولى نفخة الفزع  
 والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث وقيل انها نفختان وان نفخة الفزع امان  
 تكون راجعة الى نفخة الصعق أو الى نفخة البعث واختار هذا القشيري والقرطبي  
 وغيرهما وقال الماوردي هذه النفخة المذكورة هنا هي يوم النشور من القبور (ففرع)  
 كل (من) كان (في السموات ومن) كان (في الارض) حينذاك الوقت لم يسبق له موت  
 أو كان ميتا لكنه حتى في قبره كالانبياء والشهداء أي خافوا الخوف المنضى بهم الى الموت كما في  
 آية أخرى فصعق من في السموات الخ وانزعوا الشدة ما سعهوا وقيل المراد بالفزع هنا  
 الاسراع والاجابة الى النداء من قولهم فزعت اليد في كذا اذا أسرع الى اجابته والاول  
 أولى بمعنى الآية وانما عبر بالماضي مع كونه معطوفا على المضارع للدلالة على تحقيق  
 الوقوع حسبما ذكره علماء البيان وقال القراء هو محمول على المعنى لان المعنى اذا نفخ  
 (الامن شاء الله) أن لا ينفزع عند تلك النفخة فهو لا يفرع واختلاف في تعيين من وقع  
 الاستثناء له فقيل هم الشهداء والانبيا وقيل الملائكة وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل  
 وملئ الموت وقيل الحور العين وخزنة النار وجه العرش وقيل هم المؤمنون كانه بدل  
 قوله فيما بعد من جاء بالحسنة فله خير منها او هم من فرغ يومئذ آمنون ويمكن ان يكون  
 الاستثناء شاملا للجميع المذكورين فلما منع من ذلك قال البيضاوي ولعل المراد ما يم  
 ذلك لعدم قرينة الخصوص انتهى فهو لا يكلمهم لا يفضي بهم الفزع الى الغشى والانعاش  
 بل هو أقل من ذلك (وكل آتوه) قرئ فعلا ماضيا وكذا قرأ ابن مسعود وقرأ قتادة  
 كل آتاه وقرئ آتوه على اسم الفاعل مضافا الى الضمير الراجع الى الله سبحانه قال الزجاج  
 من قرأ على الفعل الماضي فقد وحده على لفظ كل ومن قرأ على اسم الفاعل فقد جمع على  
 معناه وهو غلط ظاهر فان كاتب القراءتين لا توحيد فيهما بل التوحيد في قراءة قتادة فقط  
 (داخرين) أي صاغرين ذليلين قاله ابن عباس وقرئ دخرين بغير الالف والمعنى صغار  
 ذل وهيبة من الجبار فيشمل هذا الطائعتين والعاصين وقال الكرخي المراد به ذل العبودية

يعنى الزنا وقوله تعالى ان اردن تحصننا هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له وقوله تعالى لتبتغوا عرض الحياة الدنيا والرق  
 أي من خراجهن ومهورهن وأولادهن وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الخيام ومهر البغي وحلوان لكاهن  
 وفي رواية مهر البغي خبيث وكسب الخيام خبيث وعن الكلب خبيث وقوله تعالى ومن يكرههن فان الله من بعدا كراههن  
 غفور رحيم أي لهن كما تقدم في الحديث عن جابر وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس فان علمت فان الله لهن غفور رحيم وانهم على  
 من أكرههن وكذا قال مجاهد وعطاء الخراساني والاعمش وقتادة وقال أبو عبيد حدثني اسحق الأزرق عن عوف عن الحسن في هذه  
 (١) قوله وكانت أمية الخ كذا بالنسخ التي بأيدينا وحرر اه



الآية فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم قال لهن واقه لهن والله وعن الزهري قال غفر لهن ما اكرهن عليه وعن زيد بن اسلم قال غفور رحيم للمكرهات حكاهن ابن المنذرى تفسيره بأسانيد، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء عن سعيد بن جبيرة قال في قراءة عبد الله بن مسعود فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم لهن وانهمن على من اكرههن وفي الحديث المرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وما فصل تبارك وتعالى هذه الاحكام وبينها قال تعالى ولقد أنزلنا اليكم (٩١) آيات مبينات يعني القرآن فيه آيات

واضحات مفسرات ومثلامن الذين خلوا من قبلكم أي خبرا عن الامم الماضية وما حل بهم في مخالفتهم أو امر الله تعالى كما قال تعالى فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين أي زاجر عن ارتكاب المآثم والمحارم للمتقين أي لمن اتقى الله وخافه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة القرآن فيه حكم ما بينكم وخبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الله نور السموات والارض يقول هادي أهل السموات والارض قال ابن جريح قال مجاهد بن عبد الله بن عباس في قوله الله نور السموات والارض

والرق لا ذل الذنوب والمعاصي وذلك يع الخلق كلهم كما في قوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا وفي القاموس دخر الشخص كمنع وفرح دخرا ودخورا صغرو ذل وادخرته بالانف للتعدي وقدمضى تفسير هذا في سورة التحمل (وترى الجبال محسوبا) يفتح السين وكسرهما (جامدة) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكل من يصلح للرؤية والرؤية بصريته وهذه هي العلامة الثالثة لقيام الساعة والمعنى تظنها واقفة قائمة ساكنة كما قاله ابن عباس (وهي عمر السحاب) أي وهي تسير سير احثينا كسير السحاب التي تسيرها الرياح وذلك ان كل شيء عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرتة وعظمه وبعدهما بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو ساكن كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه وقال القتيبي وذلك ان الجبال تجتمع وتسير وهي في رؤية العين كالقائمة وهي تسير قال النسفي وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت أي في سمت واحد لا تكاد تبين حركتها ونحوه قال البيضاوي قال القشيري وهذا يوم القيامة ومثله قوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا وقال أبو السعود هذا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق بيدل الله الارض غير الارض وبغير هيئتها ويسير الجبال عن مشارعها على ما ذكر من الهيئة الهائلة لشاهد أهل المحشر وهي وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسيرها انما يكون بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله فقل ينسفها ربي نسفا الخ وقوله يوم تبدل الارض وقد قيل ان المراد بالنفخة هي النفخة الاولى والنزع هو الذي يستتبع الموت فيختص أثرها بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم والمراد بالآيات داخرين رجوعهم الى أمره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في ان ذلك مما ينبغي ان تنزه ساحة التنزيل عن أمثاله وأبعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعاً والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه وما هو نص في الباب ما سيأتي من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون (صنع الله الذي أتقن كل شيء) أي صنع الله ذلك صنعاً وهو مصدر مؤن كد لقوله يوم ينفخ في الصور وقيل انظر واصنع الله الذي احكم يقال رجل تقن بكسر التاء أي حذق بالاشياء امور الاتقان الايمان بالشيء على أكمل حالاته وهو مأخوذ من قولهم تقن أرضه اذا سبق اليها الماء الخائر بالطين لتصلح للزراعة وأرض

يدبر الامر فيها ما شجروهم ما وشجهم ما وقرهما وقال ابن جريح حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي حدثنا وهيب بن راشد عن فرقد عن أنس بن مالك قال ان الله يقول نوري هدى واختار هذا القول ابن جريح وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره قال هو المؤمن الذي جعل الله الايمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال الله نور السموات والارض فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال مثل نور من آمن به قل فكان أبي بن كعب يقرأها مثل نور من آمن بفهم المؤمن جعل الايمان والقرآن في صدره وهكذا رواه سعيد بن جبيرة وقيس بن سعد عن ابن عباس انه قرأها

كذلك نور من آمن بالله وقرأ بهضم الله نور السموات والارض وعن الصحابة الله نور السموات والارض وقال السدي في قوله الله نور السموات والارض فينوره أضاعت السموات والارض وفي الحديث الذي رواه محمد بن اسحق في السيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في دعائه يوم آذاه أهل الطائف أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يجعل بي غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتيبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يقول اللهم (٩٢) لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات

والارض ومن فيهن الحديث وعن ابن مسعود قال ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه وقوله تعالى مثل نوره في هذا الضمير قولان أحدهما انه عائد الى الله عز وجل أي مثل هداه في قلب المؤمن قاله ابن عباس كشكاة والثاني ان الضمير عائد الى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام تقديره مثل نور المؤمن الذي في قلبه كشكاة فشببه قلب المؤمن وما هو منطور عليه من الهدى وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو منطور عليه كما قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فنسبه قلب المؤمن في صفاته في نفسه بالتقديس من الزجاج الشفاق الجوهري وما يستدبه من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف في قوله كشكاة قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغير واحد هو موضع القبيلة من القنديل هذا هو المشهور ولهذا قال بعده فيها مصباح وهو الزبالة التي تضيء وقال العوفي عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كشكاة فيها مصباح وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله مثل ذلك نسوره فقال تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كشكاة والمشكاة كوة البيت قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى الله طاعته نورا ثم سماها نورا عاقتى وقال ابن أبي نجيج عن مجاهد هي الكوة بلغة الحبشة وزاد بعضهم فقال المشكاة الكوة التي لا منفلذها وعن مجاهد المشكاة الحدائد التي يعلق بها القنديل والقول الاول أولى وهو ان المشكاة هو موضع القبيلة من القنديل ولهذا قال فيها مصباح وهو النور الذي في الزبالة قال ابن كعب المصباح النور وهو

تقنة والتقن فعل ذلك بها والتقن أيضا ما رمى به في الغدير من ذلك والارض ذكره السمين قال ابن عباس اتقن أي أحسن كل شيء صنعه وخلقته وأوثقه (انه خبير بما تفعلون) تعليل لما قبله من كونه سبحانه صنع ما صنع واتقن كل شيء والخبر المطمع على الظواهر والضمائر قرئ بالقوية على الخطاب والتعنية على الخبر قال المحلى أي ما يفعلون أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة (من جاء بالحسنة) أي من جاء بحسن الحسنة يوم القيامة (قله) من الجزاء والثواب عند الله (خير) أي أفضل (منها) وأكثر وقيل خير حاصل من جهتها والاول أولى وقيل الحسنة هي الاخلاص وقيل أداء الفرائض والتعميم أولى ولا وجه للتخصيص وان قال به بعض السلف وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جاء بالحسنة فله خير منها قال هي لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار قال هي الشرك واذا صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالصير اليه في التفسير متعين ويحمل على ان المراد قال لا اله الا الله بحقتها وما يجب لها فيدخل تحت ذلك كل طاعة وبشهادته ما أخرجه الحاكم في الكنى عن صفوان بن عسال قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيامة جاء الايمان والشرك يجنون بين يدي الله سبحانه فيقول الله للايمان انطلق أنت وأهلك الى الجنة ويقول للشرك أنت وأهلك الى النار ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جاء بالحسنة فله خير منها يعني قول لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والديلمي عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جاء بالحسنة يعني شهادة أن لا اله الا الله فله خير منها يعني بالخير الجنة ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار وقال هذه تبنى وهذه تردى وعن ابن مسعود وابن عباس مثله وعنه قال خير منها أي من جهتها وقال أيضا خير أي ثواب قيل وهذه الجملة بيان لقوله انه بما تعملون خبير وقيل بيان لقوله وكل أئوه داخرين (وهم من فزع يومئذ آمنون) قرئ من فزع بالتسوين وفتح ميم يومئذ وقرئ بفتحها من غير تنوين وقرئ باضافة فزع الى يومئذ قال أبو عبيدة وهذا أعجب الى لانه اعلم التأويلين لان معناه الامن من فزع جميع ذلك اليوم ومع التسوين يكون الامن من فزع دون فزع وقيل

والارض مثل نوره كشكاة فيها مصباح وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله مثل ذلك نسوره فقال تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كشكاة والمشكاة كوة البيت قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى الله طاعته نورا ثم سماها نورا عاقتى وقال ابن أبي نجيج عن مجاهد هي الكوة بلغة الحبشة وزاد بعضهم فقال المشكاة الكوة التي لا منفلذها وعن مجاهد المشكاة الحدائد التي يعلق بها القنديل والقول الاول أولى وهو ان المشكاة هو موضع القبيلة من القنديل ولهذا قال فيها مصباح وهو النور الذي في الزبالة قال ابن كعب المصباح النور وهو

القرآن والایمان الذي في صدره وقال السدي هو السراج المصباح في زجاجة أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية وقال ابن  
 ابن كعب وغير واحد وهي نظير قلب المؤمن الزجاجة كأنها كوكب دري فقرأ بعضهم بضم الدال من غير همزة من الدرأي كأنها  
 كوكب من دري وقرأ آخرون دري ودرى بكسر الدال وضهما مع الهمزة من الدرء وهو الدفع وذلك ان النجم اذا رمى به يكون أشد  
 استنارة من سائر الاحوال والعرب تسمى ما لا يعرف من الكواكب دراري قال أبي بن كعب كوكب مضى وقال قتادة مضى  
 مبین ضخم يوقد من شجرة مباركة أي يمد من زيت زيتون شجرة مباركة (٩٣) زيتونه بدل أو عطف بيان لاشرقية

ولا غريبة أي ليست في شرق بقعتها  
 فلا تصل اليها الشمس من أول النهار  
 ولا في غربها فيلص عنها التي قبل  
 الغروب بل هي في مكان وسط  
 يقصرها الشمس من أول النهار إلى  
 آخره فيجيء زيتها صافيا معتدلا  
 مشرقا وروى ابن أبي حاتم حدثنا  
 محمد بن عمار قال حدثنا عبد الرحمن  
 ابن عبد الله بن سعد أخبرنا عمر بن  
 أي قيس عن سماعة بن حرب عن  
 عكرمة عن ابن عباس في قوله زيتونة  
 لاشرقية ولا غريبة قال هي شجرة  
 بالصحراء لا يظلمها شجر ولا جبل  
 ولا كهف ولا يوارها شيء وهو  
 أجود لزيتها وقال يحيى بن سعيد  
 القطان عن عمران بن جرير عن  
 عكرمة في قوله تعالى لاشرقية  
 ولا غريبة قال هي بصرى وذلك  
 أصح في لزيتها وقال ابن أبي حاتم  
 حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا  
 عمرو بن فروخ عن حبيب بن الزبير  
 عن عكرمة وسأله رجل عن قوله  
 تعالى زيتونة لاشرقية ولا غريبة  
 قال تلك زيتونة بأرض فلانة إذا  
 أشرقت الشمس أشرقت عليها فإذا  
 غربت غربت عليها فذلك أصح في

انه مصدر يتناول الكثير فلا يتم الترجيح بما ذكر فتكون القراءة بمعنى واحد وقيل المراد  
 بالفرع ههنا هو الفرع الاكبر المذكور في قوله لا يحزنها الفرع الاكبر وقد تقدم في سورة  
 هود كلام في هذا مستوفى (ومن جاء بالسبيته) قال جماعة من الصحابة ومن بعدهم حتى قيل  
 انه مجمع عليه بين أهل التأويل ان المراد بالسبيته هنا الشرل ووجه التخصيص قوله (فكبت  
 وجوههم في النار) فهذا الجزء لا يكون الا مثل سبيته الشرل والمعنى انهم كجوا فيها على  
 وجوههم وألقوا فيها وطرحوا عليها يقال كبيت الرجل اذا ألقته لوجهه فانكبت وأكبت  
 وذكرت الوجوه لانهم وضع الشرف من الحواس وغيرها أولى (هل تجزون الاما كنتم  
 تعملون) بتقدير القول أي يقال لهم ذلك وقت كبرهم أو مقولاً لهم ذلك وهذا أوضح والقائل  
 لهم خزنة جهنم أي ما تجزون الاجراء عملكم في الدنيا من الشرل والمعاصي (انما أمرت ان  
 أعبد رب هذه البلدة) لما فرغ سبحانه من بيان أحوال المبدأ والمعاد أمر رسوله صلى الله  
 عليه وآله وسلم ان يقول لهم هذه المقالة تنبيه لهم على انه قد تم أمر الدعوة بما لا مزيد عليه  
 ولم يبق له بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم  
 ضلوا أو رشدوا أو صلحوا أو أفسدوا والحمل على ذلك على انهم قوا بأمر أنفسهم ويستغلوا  
 بالتمسك بربهم في ما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعنى قل يا محمد انما أمرت ان أخص الله  
 بالعبادة وحده لاشريك له والمراد بالبلدة مكة قاله ابن عباس وانما خصها من بين سائر  
 البلاد لكون بيت الله الحرام فيها ولكونها أحب البلاد الى رسول الله صلى الله عليه وآله  
 وسلم (الذي) الموصول صفة للرب وهكذا قرأ الجمهور وقرأ ابن عباس وابن مسعود التي على  
 ان الموصول صفة للبلدة والسياق انما هو للرب لا للبلدة فان ذلك كانت قراءة العامة واضحة  
 ومعنى (حرما) جعلها حراما آمنا لا يسئلك فيها احد ولا يعضد شوكةا ولا  
 يصاد صيدها ولا يحتل في خلالها وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها  
 فلا ينافي قوله (وله) أي للرب (كل شيء) من الاشياء خلقا وملكا وتصرفا (وأمرت ان  
 أكون من المسلمين) أي المتقدين لامر الله المستسلمين له بالطاعة وامتثال أمره واجتناب  
 نهيه والمراد بقوله ان أكون ائت على ما أنا عليه (وأن أتوا القرآن) أي أداوم تلاوته  
 وأواظب على ذلك لتكشف لي حقائقه الرائقة المخزونة في تضاعفه شيئا فشيئا فيل ليس  
 المراد من تلاوة القرآن هنا الاتلاوة الدعوة الى الايمان والاول أولى قرأ الجمهور ان

ما يكون من الزيت وقال مجاهد في قوله تعالى لاشرقية ولا غريبة قال ليست بشرقية لانصبيها الشمس اذا طلعت ولا غريبة  
 لانصبيها الشمس اذا غربت بل نصيبها اذا طلعت واذا غربت وعن سعيد بن جبير في قوله زيتونة لاشرقية ولا غريبة يكاد يربتها  
 يضى قال هو أجود الزيت قال اذا طلعت الشمس أصابتها من صوب المشرق فاذا أخذت في الغروب أصابتها الشمس  
 فالشمس نصيبها بالغدوة والعشى فتلك لانعد شرقية ولا غريبة وقال السدي قوله زيتونة لاشرقية ولا غريبة يقول ليست  
 بشرقية يجوزها المشرق ولا غريبة يجوزها المغرب دون المشرق ولكنها على رأس جبل أو في صحراء نصيبها الشمس النهار كله

وقيل المراد بقوله تعالى لاشرقية ولاغربية انها في وسط الشجر ليست بادية للمشرق ولا للمغرب قال أبو جعفر الرازي عن الربيع ابن أنس عن أبي العباس عن أبي بن كعب في قول الله تعالى زيتونة لاشرقية ولاغربية قال هي خضراء ناعمة لانصبها الشمس على أي حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت قال فكذلك هذا المؤمن قدأجبر من أن يصيبه شيء من الغيب وقد يتلقى بها فينبه الله فيها فهو بين أربع خلال ان قال صدق وان حكم عدل وان ابتلى صبر وان أعطى شكر فهو في سائر الناس كالرجل الحلي عشي في قبور الاموات قال ابن أبي حاتم (٩٤) حدثنا علي بن الحسين حدثنا سعد قال حدثنا أبو عوانة عن أبي

بشر عن سعيد بن جبيرة في قوله زيتونة لاشرقية ولاغربية قال هي وسط الشجر لانصبها الشمس شرقا ولاغربا قال عطية العوفي لاشرقية ولاغربية قال هي شجرة في موضع من الشجر يرى ظل ثمرها في ورقها وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا تغرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن الدشتكي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن عطاء عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى لاشرقية ولاغربية ليست شرقية ليس فيها شرق ولاغربية ليس فيها غرب ولكنها شرقية غربية وقال محمد بن كعب القرظي لاشرقية ولاغربية قال هي القبلية وقال زيد بن أسلم لاشرقية ولاغربية قال الشام وقال الحسن البصري لو كانت هذه شجرة في الارض لكانت شرقية أوغربية ولكنه مثل ضربه الله تعالى لنوره وقال الضحالك عن ابن عباس توقيف من شجرة مباركة قال رجل صالح زيتونة لاشرقية ولاغربية قال

أنها لو باثبات الواو من التسلاوة وهي القراءة أو من التلو وهو الاتباع كقوله واتبع ما أوحى اليك من ربك وقرئ أن أتى بحدف الواو أمر الله صلى الله عليه وآله وسلم كذا وجهه انقراء قال النحاس ولا تعرف هذه القراءة وهي مخالفة لجميع المصاحف ولقد قام صلى الله عليه وآله وسلم بكل ما أمر به أتم قيام على ما أمر به (فن اهتدى) أي على العموم أو فن اهتدى بما أتاه عليه فعمل بما فيه من الايمان بالله والعمل بشرائعه (فأتاهم يهتدى لنفسه) لان نفع ذلك راجع اليه لا الى (ومن ضل) بالكفر وأعرض عن الهداية (فقل) له (انما أنا من المندرين) وقد فعلت الانذار بالبلاغ ذلك اليكم وليس على غير ذلك وقيل الجواب محذوف أي فوبال ضلاله عليه وأقيم انما أنا من المندرين مقامه لكونه كالعلة له والاول أظهر قيل نسختها آية القتال (وقل الحمد لله) على نعمه التي أنعم بها على من النبوة والعلم وغير ذلك ووقفني لعمري على ما أتاهم وتبليغ أحكامها الى كافة الوري وقوله (سير يكلم آياته) هو من جملة ما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يقوله أي سير يكلم الله آياته الباهرة التي نطق بها القرآن في أنفسكم وفي غيركم قيل هو يوم بدر وهو ما أراهم من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأبدانهم وقيل آياته في السموات والارض وقيل آياته في الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نعمات الله في الدنيا (فتعرفونها) أي تعرفون آياته ودلائل قدرته و وحدانيته وهذه المعرفة لا تنفع الكفار لانهم عرفوها حين لا يقبل منهم الايمان وذلك عند حضور الموت ثم ختم السورة بقوله (وما ربك بغافل عما تعملون) قرئ بالفوقية على الخطاب وبالتحسية وهو كلام من جهته سبحانه غير داخل تحت الكلام الذي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يقوله وفيه ترهيب شديد وتهديد عظيم

• (سورة القصص وتسمى أيضا سورة موسى وأسماء السور توقيفية وكذا ترتيبها وترتيب الآيات الكريمات) •

وهي عمان وثمانون آية وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء قال المحلى هي مكية الا ان الذي فرض عليك القرآن لادك الى معاذ نزلت بالخفة والا الذين آتيناهم الكتاب الى لا يتبعي الجاهلين انتهى عن ابن عباس نزلت الاولى بالخفة فليست مكية

لايهودي ولا نصراني وأولى هذه الاقوال القول الاول وانها في مسترى من الارض في مكان فسبح بادنا هروضاح للشمس ولا تقره من أول النهار الى آخره ليكون ذلك أصنى لزيتهما وألطف كما قال غير واحد من تقدم ولهذا قال تعالى يكاد يرمى اضي ولولم تمسه نار قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني لضوء اشراق الزيت وقوله تعالى نور على نور قال العوفي عن ابن عباس يعني بذلك ايمان العبد وعمله وقال مجاهد والسدى يعني نور النار ونور الزيت وقال أبي بن كعب نور على نور فهو يتقلب في خمسة من النور فكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصدره الى نور يوم القيامة الى الجنة وقال شهر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال

حدثني عن قول الله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال يكاد محمد صلى الله عليه وسلم يبين للناس ولولم يتكلم انه نبي كما يكاد ذلك الزيت انه يضيء وقال السدي في قوله تعالى نور على نور قال نور النار ونور الزيت حين اجتمعا أضواء أولياضيء واحد بغير صاحبه كذلك نور القرآن ونور الايمان حين اجتمعا فلا يكن أحدهما الا يصاحبه وقوله تعالى يهدي الله لنوره من يشاء أي يرشد الله الى هدايته من يختاره كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابراهيم بن محمد النزازي حدثنا الاوزاعي حدثني ربيعة بن زيد عن عبد الله الديلمي عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله (٩٥) صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق خلقه

في ظلمة ثم التي عليهم من نوره يومئذ فمن أصاب من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل طريق أخرى عنه قال البزار حدثنا أبو بوب عن سويد بن يحيى بن أبي كثير الشيباني عن أبيه عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق خلقه في ظلمة فالتى عليهم نورا من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ورواه البزار عن عبد الله بن عمرو من طريق آخر بالفظه وحروفه وقوله تعالى ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم لماذا ذكر تعالى هذا مثلا لنور هداية في قلب المؤمن ختم الآية بقوله ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم أي هو أعلم عن يستحق الهداية ممن يستحق الاضلال قال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية حدثنا شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبي الجعثري عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب أربعة قلب أجر وفيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط

ولامدنية وقال مقاتل فيمن المدنى الذي آتيناها الخ  
 \* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*  
 (طسم) الله أعلم بمراده بذلك والكلام في فاتحة هذه السورة قدم في فاتحة الشعراء وغيره فلا نعيده وكذلك مر الكلام على قوله (تلك آيات الكتاب المبين) قال الزجاج مبين الحق من الباطل والخلال من الحرام وهو من أبان بمعنى أظهر ويقال أبنته فأبان لازم ومتعد أي مبين خيره بركته (تلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) أي نوحى اليك بواسطة جبريل من أمرهما متلبسا بالحق وخص المؤمنين لان التلاوة انما ينتفع بها المؤمن وقيل تلو عليك شيئا من نبيها وما ومن مزينة على رأى الاخفش والاولى ان تكون للبيان أو للتبعض ولا ملجئ الى الحكم بزيادتها والحق الصدق (ان فرعون علا في الارض) مستأنفة مسوقة لبيان ما أجله من النبا قال المفسرون معنى علا تكبر وتعظم وتجبر بسلطانه والمراد بالارض أرض مصر وقيل معنى علا ادعى الربوبية وقيل علا عن عبادة ربه (وجعل أهلها شيعة) أي فرقا وأصنافا في خدمته يشاء يعونه على ما يريد وبطبعه قال مجاهد فرق بينهم وقال قتادة يستعبد طائفة منهم ويدع طائفة ويقتل طائفة ويستحي طائفة أو فرقا متفرقة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم (يستضعف طائفة منهم) مستأنفة مسوقة لبيان حال الاهل الذين جعلهم فرقا وأصنافا ويجوز ان تكون حالا من فاعل جعل أي جعلهم شيعة حال كونهم مستضعفا طائفة منهم ويجوز ان تكون صفة الطائفة والطائفة هم بنو اسرائيل فانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم وذلك ان بنى اسرائيل لما كثروا وعصر استظالوا على الناس وعلموا المعاصي ولم يأمر وبال معروف ولم ينهوا على المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفونهم الى أن أنجاهم الله على يدموسى عليه السلام (يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم) بدل من الجملة الاولى أو مستأنفة للبيان أو حال أو صفة كالتى قبلها وانما كان فرعون يذبح أبناءهم ويترك نساءهم ويستبقيهم لان المنجى من ذلك العصر أخبروه انه يذهب ملكه على يدمولود من بنى اسرائيل قال الزجاج والعجب من حق فرعون فان الكاهن الذى أخبره بذلك ان كان صادقا عنده فيا يقع القتل وان كان كاذبا فلا معنى

على غلافه وقلب منكوس وقلب مصنع فأما القلب الأجر فقلب المؤمن سراج فيه نوره وأما القلب الاغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر وأما القلب المصنع فقلب فيه ايمان ونفاق ومثل الايمان فيه كمثل البقلة تيمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقبح فأى المدين غلبت على الاخرى غلبت عليه اسناده جيد ولم يخرجوه (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسجل له فيها بالعدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وابتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير

حساب) لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاج الصافية المتوقد من زيت طيب وذلك كالتقديله مثلاذ كرمحها وهي المساجد التي هي أحب البقاع الى الله تعالى من الارض وهي بيوت التي يعبد فيها ويوحى فقال تعالى في بيوت اذن الله أن ترفع أي أمر الله تعالى بعبادتها وتطهيرها من الدنس واللغو والاقوال والافعال التي لا تليق فيها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية الكريمة في بيوت اذن الله أن ترفع قال نهى الله سبحانه عن اللغو فيها وكذا قال عكرمة وأبو صالح والضحاك ونافع بن جبير وأبو بكر (٩٦) بن سليمان بن أبي خزيمة وسفيان بن حسين وغيرهم من العلماء المفسرين

وقال قتادة هي هذه المساجد أمر الله سبحانه وتعالى ببنائها وارتها ورفعها وتطهيرها وقد ذكر لنا ان كعبا كان يقول مكتوبا في التوراة ان بيوتى في الارض المساجد وانه من توفى فاحسن وضوءه ثم زارني في بيتي اكرمته وحق على المزور كرامة الزائر رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره وقد وردت احاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطهيرها وتبخيرها وذلك له محل مفرد يذكر فيه وقد كتبت في ذلك جزءا على حدة والله الحمد والمنة ونحن بعون الله تعالى نذكره مناظر فامن ذلك ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان فعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يتقى به وجه الله بنى الله له منزلا في الجنة أخرجه في الصحيحين وروى ابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة وللنساء عن عمرو بن عبسة

للقتل وقد قيل انه ذبح سبعين ألفا (انه كان من المفسدين) الراستخين في الافساد في الارض بالمعاصي والتجبر ولذلك اجترأ على مثل تلك الجريمة العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلام وفيه بيان ان القتل من فعل أهل الفساد (وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) جاء بصيغة المضارع لحكاية الحالة الماضية واستحضار صورته أي زيد أن تفضل عليهم بانحيازهم من بأسه بعد استضعافهم وقال النسفي وهو دليل لنا على مسئلة الاصل انتهى والمراد بهم ولاء بنو اسرائيل والوالوال المعطف على جملة ان فرعون علا وهذا أولى (وتجعلهم أئمة) أي فاداة في الخير ودعاة اليه يقتدى بهم وولاية على الناس وملوكا فيهم بعد ان كانوا اتباعا لسخرين مهانين قال علي بن أبي طالب يعني يوسف وولده وقال قتادة أي ولاية الامر وهم بنو اسرائيل (وتجعلهم الوارثين) أي الذين يرثون الارض بعد فرعون وقومه لالوارثاة المعهودة في شرعنا قاله قتادة أي تجعلهم الوارثين لملك فرعون وساكن القبط وأملا كهم فيكون لك فرعون فيهم ويسكنون مساكن قومهم وينتفعون بأملها كدوا أملا كهم (وتمكن لهم في الارض) أي تجعلهم مقتدرين عليها وعلى أهلها مسلمين على ذلك يتصرفون فيها كيف شاؤوا يقال سكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه وبتمكن فيه أو يرقد ثم استعير للتسلط والاطلاق الامر والارض أرض مصر والشام (وزرى فرعون وهامان وجنودهما) الفاعل هو الله سبحانه ويرى يرى بالتحية والفاعل فرعون والاولى الصق بالسياق لان قبلها ان يذ وتمكن بانثون وأجاز النرا ويرى فرعون أي ويرى الله فرعون والرؤية بعربية والاضافة اليهما اما للتغليب أو انه كان لهامان جنود مخصوصة به وان كان وزيرا أولان جنود السلطان جنود وزيره والابصار لا يتوقف على الحياة عند أهل الحق ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم في أهل القلب ما أنتم بأسمع منهم أو المراد رؤية طلائعه وأسبابه وذلك حين أدر كهم الفرق (منهم) أي من أولئك المستضعفين (ما كانوا يحذرون) والمعنى ان الله يريهم أو يرونهم الذي كانوا يخافون منه ويحتمدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد المولود من بنى اسرائيل المستضعفين والحذر التوقى من الضرر (وأوحينا الى أم موسى) أي ألهمناها الذي صنعت بموسى قاله ابن عباس وليس ذلك هو الوحي الذي يوحى الى الرسل وقيل كان ذلك رؤيا في مابها وقيل كان ذلك بملك أرسله

مثله والاحاديث في هذا كثيرة جدا وعن عائشة رضي الله عنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء الله المساجد في الدور وان تنظف وتطيب رواه أحمد وأهل السنن الاالنسائي ولا جد وأبي داود عن حمزة بن جندب نحوه وقال البخاري قال عمر ابن للناس ما يمكنهم وابل ان تحمرا ونصفر ففتن الناس وروى ابن ماجه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ساء عمل قوم قط الا زخروا مساجدهم وفي اسناده ضعف وروى أبو داود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرنهما كما زخرت اليهود والنصارى وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد رواه أحمد وأهل السنن الا الترمذى وعن بريرة ان رجلا نشد في المسجد فقال من دعا الى الجمل الاحمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا وجدت انما بنيت المساجد لما بنيت له رواه مسلم وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيع والابتاع وعن تماشيد الاشعار في المساجد رواه أحمد وأهل السنن وقال الترمذى حسن وعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت من يبيع أو يتباع في المسجد فقولوا الأربح الله بشارتك واذا رأيت من ينشد (٩٧) ضالة في المسجد فقولوا اردها الله عليك رواه

الترمذى وقال حسن غريب وقد روى ابن ماجه وغيره من حديث ابن عمر مرفوعا قال خصال لا تتبع في المسجد لا يتخذ طريقا ولا يشتم رقيه بسلاح ولا يبيض فيه بقوس ولا يثر فيه نبل ولا يمر فيه بلحم في ولا يضرب فيه حد ولا يتنص فيه أحد ولا يتخذ سوقا وعن واثله بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنبوا مساجدنا صبيانكم ومجانينكم وشركاءكم وبيعكم وخصوماً لكم ورفع أصواتكم واقامة حدركم وسلب سبوفكم واتخذوا على أبوابها المظالم وجسروها في الجمع ورواه ابن ماجه أيضا وفي اسنادهما ضعف اما انه لا يتخذ طريقا فتذكره بعض العلماء المروفيين الحاجة اذا وجد من درحة عنه وفي الاثران الملائكة لتعجب من الرجل يمر بالمسجد لا يصلي فيه واما انه لا يشتم فيه بسلاح ولا يبيض فيه بقوس ولا يثر فيه نبل فلما يخشى من اصابة بعض الناس به لكثرة المصلين فيه ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر رجل بسهام أن يقبض

الله بها بذلك فعلى هذا هو رضى اعلام الأعلام وقد اجمع العلماء على انهم لم تكن نبيسة وانما كان ارسال الملك اليها عند من قال به على نحو كلم الملك للفرع والابرص والاعمى كما في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما وقد سلمت على عمران بن حصين الملائكة كما في الحديث الثابت في الصحيح فلم يكن بذلك نبيا وكان اسمها ابو حاندة وقيل لوخا بنت هاندة بن لاوى بن يعقوب نكح القرطبي عن الثعلبي (أن أرضعته) أن هي المنصورة لان في الرضى معنى القول أو بان أرضعته قيل أرضعته ثمانية أشهر وقيل اربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها وكان الوح برضاعة قبل ولادتها وقيل بعدها وأمرها برضاعه مع انها ترضعه طبعاً لئلا ينف لبنا فلا يقبل ثدي غيرها بعد وقوعه في يد فرعون (فأذا خفت عينيه) من فرعون بان يبلغ خبره اليه فيذبحه قال ابن عباس أن يسمع جيرانك صوته (فألقه في اليم) وهو بحر النيل وقد تقدم بيان الكيفية التي ألقته في اليم عليهم في سورة طه (ولأنحفي) عليه الغرق والضبعة (ولأنحزني) لفراقه والخوف غم يصيب الانسان لاهم يتوقعه في المستقبل والحزن غم يصيبه لامر وقع ومضى فلا يتدال ما للفرق بينهما حتى عطف أحدهما على الآخر في الآية (انارادوا اليك) عن قريب على وجه تكون به نجاته وتأمين عليه والجله تعليل للنهي عن الخوف والحزن (وجاءوا من المرسلين) الذين نزلهم الى العباد وقد اشتمت هذه الآية على أمرين أرضعته وألقيه ونهيين لأنحافي ولأنحزني وخبرين انارادوه وجاءوا به وبشارتين في ضمن الخبرين وهما الرد والجعل المذكوران (فألقه في اليم) الفاء هي النصيحة والالتقاط اصابة النبي عن غير طلب والمراد بال فرعون هم الذين أخذوا التابوت الذي فيه موسى من البحر واتقدير فألقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت فألقته من وجهه من آل فرعون أي اعوانه قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اصطغر (ليكون لهم عدوا وحرنا) اللام لام العاقبة ووجه ذلك انهم إنما أخذوا ليكون لهم ولدا وقررة عين لا ليكون عدوا فكان عاقبة ذلك انه كان لهم عدوا يقتل رجالهم وحرنا يستعبد نساءهم قاله المحلى وقال صاحب الكشف هي لام كي التي معناها التعليل ولكن هذا المعنى واردة على طريق المجاز لانه لما كانت هذه العداوة نتيجة انفعالهم وغررة له شبهت بالدمى الذي يفعل الداعل النعل لاجله قرئ حرنا يفتح الحاء والزاي وحرنا يضم الحاء وسكون الزاي وهو ما اغتنام كالعدم

(١٣ - فتح البيان سابع) على نصالها الثلاث لا يؤذى أحدا كما ثبت ذلك في الصحيح واما النهي عن المرور باللعن التي فيه فلما يخشى من تقاطر الدم منه كنهيت الحائض عن المرور فيه اذا خافت التلوث واما انه لا يضرب فيه حداً ولا يقتص فلما يخشى من ايجاد النجاسة فيه من المضرور أو المقطوع واما انه لا يتخذ سوقا فلما تقدم من النهي عن البيع والشراء فيه فانه انما بنى لذكر الله والصلاة فيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الاعرابي الذي بال في طائفة المسجد ان المساجد لم تبني لهذا انما بنيت لذكر الله والصلاة فيها ثم أمر بسجل من ما فاهر يق على بوله وفي الحديث الثاني جنبوا مساجدكم صبيانكم وذلك

لانهم يلعبون فيه ولا يناسبهم وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رأى صبيانا يلعبون في المسجد ضربهم بالخضفة وهي الدرقة وكان يعس المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحد او يجانينكم يعني لاجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم فيؤدى الى اللعب فيها ولما يخشى من تقديرهم المسجد ونحو ذلك ويحكمهم وشراكم كما تـ دم وخصوماتكم يعني التحاكم والحكم فيه ولهذا نص كثير من العلماء على ان الخاتم لا ينتصب الفصل الاضية بالمسجد بل يكون في موضع غيرهما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر والاناظ التي لاتناسبه ولهذا (٩٨) قال بعده ورفع أصواتكم وقال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا يحيى

ابن سعيد حدثنا الجعيد بن عبد الرحمن قال حدثني يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد الكندي قال كنت فاعما في المسجد فصبني رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فانتني بهذين خنثيه به - ما فقال من أتما ومن أين أتما قال من أهل الطائف قال لو كنتما من أهل البلد لا وجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال النسائي حدثنا سويد بن نصر عن عبد الله ابن المبارك عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن أبيه ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال سمع عمر صوت رجل في المسجد فقال اندري أين أنت وهذا أيضا صحيح وقوله واقامة حدودكم وسل سيموفكم تقدم ما وقوله واتخذوا على ابوابهم المطاهر يعني المراحيض التي يستعان بها على الوضوء وقضاء الحاجة وقد كان قريبا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اباريس تقون منها فيشربون ويتطهرون ويتوضؤون وغير ذلك وقوله وجررها في الجمع يعني يجرها في ايام الجمع لكثرة

والعدم والرشد والرشد والسقم والسقم (ان فرعون وهامان وجنودهما) تعليل لما قبله أو اعتراض لقصد التأكيذ (كانوا خاطئين) اي عاصين آتئين في كل أفعالهم وأقوالهم فعوقبوا على يديه مع انه ترى على أيديهم - فهذا أبلغ في اذلالهم وهو مأخوذ من الخطا المقابل للصواب لانهم لم يشعروا انه الذي يذهب بملكهم أو من خطا يحفظوا أي تجاوز الصواب (وقالت امرأة فرعون) وقد هم مع اعوانه لقتله وهي آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء وبنات الانبياء وقيل كانت من بنى اسرائيل وقيل كانت عممة موسى حكاة السهيلى (قوت عين لي ولك) وكان قولها لهذا القول عند رؤيتها لما وصل اليها وأخرجته من التابوت وخطبت بقولها (لاتقتلوه) فرعون ومن عندهم من قومه أو فرعون وحده على طريقة التعظيم له وقرأ ابن مسعود قالت امرأة فرعون لاتقتلوه قرة عين لي ولك قبل انها قالت هذا الولد أكبر من سنة وأنت تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقد حكى الفراء عن السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ان قوله لاتقتلوه من كلام فرعون واعترضه بكلام يرجع الى اللفظ ويكنى في رده ضعف اسناده وقبل انها قالت لاتقتلوه فان الله أتى به من أرض بعيدة وليس من بنى اسرائيل ثم عالت ما قالته بالترجي منها الحصول النفع منه لهم واستبى له فقالت (عدى أن ينفعنا) فنصيب منه خبر الان فيه مخايل اليمين ودلائل النفع لاهله (أو اتخذها ولدا) وكانت لاتلد فاستوهبته من فرعون فوهبه لها (وهم لا يشعرون) انهم على خطا في التقاطه وان هلا كههم على يده فيكون حالا من آل فرعون وهى من كلام الله سبحانه وقيل هى من كلام المرأة أى وبنوا اسرائيل لا يدرون اننا التقطناهم وهم لا يشعرون قاله الكلبي وهو بعيد جدا وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان (وأصبح) أى صار (فواد أم موسى فارغا) من كل شئ الامن أمر موسى كائنا لم يتم شئ سواه قاله المنسرون وقال أبو عبيدة خالبا من ذكر كل من في الدنيا الامن ذكر موسى وقال الحسن وابن اسحق وابن زيد فارغا مما أوحى الله اليها من قوله ولا تخافي ولا تحزني وذلك لما سؤل الشيطان لها من غرقه وهلاكه وقال الاخفش فارغا من الخوف والغم العلمها انه لم يغرق بسبب تقدم من الوحي اليها وروى مثله عن أبي عبيدة أيضا وقال الكسائي ناسيا اذا هلا وقيل صفرامن العقل وقال العلامة بن زياد نافرأ وقال سعيد بن جبيرة والها كادت تقوز والبناء من شدة الجزع وقال مقاتل كادت تصيح

اجتماع الناس يومئذ وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا عبيد الله حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله شقة ابن عمر عن نافع عن ابن عمر ان جمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جمعة اسناده حسن لا بأس به والله أعلم وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلواته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا وذلك انه اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال في صلاة ما انتظر



الصلاة وعند الدارقطني من فروع الصلاة بخارج المسجد الا في المسجد وفي السنن بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم  
القيامة ويستحب لمن دخل المسجد ان يبدأ برجله اليمنى وان يقول كما ثبت في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان  
الرجيم قال فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم وروى مسلم بسنده عن أبي جده وأبي أسيد قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم اذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك واذا خرج فليقل اللهم افتح لي

أبواب فضلك ورواه النسائي عنها  
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن  
أبي هريرة رضى الله عنه قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا  
دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي  
صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم  
افتح لي أبواب رحمتك واذا خرج  
فليسلم على النبي صلى الله عليه  
وسلم وليقل اللهم اعصمني من  
الشيطان الرجيم ورواه ابن ماجه  
وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهم ما  
وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن  
ابراهيم حدثنا البيث بن أبي سليم عن  
عبد الرحمن بن حسين عن أمه  
فاطمة بنت حسين عن جدتها  
فاطمة بنت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم اذا دخل المسجد  
صلى على محمد وسلم ثم قال اللهم  
اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك  
واذا خرج صلى على محمد وسلم ثم  
قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي  
ابواب فضلك ورواه الترمذي وابن  
ماجه وقال الترمذي هذا حديث  
حسن واسناده ليس يتمصل لان  
فاطمة بنت الحسين الصغرى لم

شئقة عليه من الغرق وقيل المعنى انها الماسعة بوقوعه في يد فرعون طارعه قلبها من فرط  
الجزع والدهش قال النحاس وأصح هذه الاقوال الاول والذين قالوه أعلم بكتاب الله فاذا  
كان فارغاً من كل شئ إلا من ذكر موسى فهو فارغ من النوح وقول من قال فارغاً من النعم  
غلط قبيح لان بعده ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها وقرئ فزعا مكان فارغاً من  
الفرع أى خائفاً وجلاً وقرأ ابن عباس قرعاً من قرع رأسه اذا انحسر شعره (ان كادت  
لتبدي به) من بدا يدوا اذا ظهر وابدى أي أظهر والمعنى لتظهر أمر موسى وأنه ابنا  
من فرط مادهم هاهنا من الدهش والخوف والحزن وقيل الضمير في به عائداً الى الوحي الذي  
أوحى اليها والاول أولى وقال الفراء تبدي باسمه لضيق صدرها وقال ابن عباس تقول  
بالبناء وقيل الباء زائدة للتأكيده والمعنى تبديه كما تقول أخذت الحب وبالحب وقيل  
المعنى لتبدي القول به (لولا أن ربطنا على قلبها) بالعصمة والصبر والتثبت قال الزجاج  
معنى الربط على القلب الهام الصبر وتقويته وجواب لولا محذوف أى لا بدت (تسكون  
من المؤمنين) أى ربطنا على قلبها لتسكون من المصدقين بوعده الله وهو قوله انارادوه اليك  
قال يوسف بن الحسين أم مرسى بشيتين ونهيت عن شيتين وبشرت بشيتين فلم  
ينفعها الكل حتى تولى الله حياتهم اقر بط على قلبها (وقالت) أم موسى (لاختها) وهى  
مريم وقال الضحاك ان اسمها كاتمة وقال السهيلي كاثوم ذكره الماوردي (قصيه) أى  
تبعى أثره واعرفى خبره وانظري أين وقع والى من صار يقال قصصت الشئ اذا تبعت  
أثره متعرفاً حاله (فبصرت به) أى بصرت به قال المبرد أبصرت به وبصرت به بمعنى قرئ  
بصرت بفتح الباء وضم الصاد وقرئ بفتحها وبكسرهما (عن جنب) أصله عن مكان جنب  
ومنه الاجنب وقيل المراد بقوله عن جنب عن جانب قاله ابن عباس والمعنى انها أبصرت  
اليه متجانفة مخالفة وقرئ عن جانب اي بصرت به مستخفية كائنة عن جنب او بعيدا  
منها وقرئ بضمين وضم الجيم وسكون النون وقال ابو عمرو بن العلاء ان معنى عن جنب  
عن شوق قال وهى لغة جذام يقولون جنبت اليك اي اشتقت اليك (وهم لا يشعرون)  
انها اختها وانها قصه وتتبع أثره أخرج الطبراني وابن عساكر عن أبي امامة ان رسول  
الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لخديجة ما شعرت ان الله زوجنى مريم بنت عمران  
وكاثوم اخت موسى وامرأة فرعون قالت هيا لك يا رسول الله وأخرجه ابن عساكر عن

تدرك الكبرى فهذا الذى ذكرناه مع ما ذكرناه من الاحاديث الواردة في ذلك كله محاذرة الطول داخل في قوله تعالى في بيوت اذن الله  
ان ترفع وقوله ويذ كريمة اسم كقوله يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقوله واقموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه  
مخلصين له الدين وقوله وان المساجد لله الآية وقوله تعالى ويذ كريمة اسم قال ابن عباس يعنى يتلى كتابه وقوله تعالى يسبح له  
فيها بالغدو والآصال أى في البكرات والعشيات والآصال جمع أصيل وهو آخر النهار وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس كل تسبيح  
في القرآن هو الصلاة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعنى بالغدو صلاة الغداة ويعنى بالآصال صلاة العصر وهما أول ما افترض

الله من الصلاة فأحب ان يذكرها وان يذكروها عبادها وكذا قال الحسن والضحاك يسجد له فيها بالغدو والآصال يعني الصلاة ومن قرأ من القرآن يسجد له فيها بالغدو والآصال بفتح الباء من يسجد على انه مبنى لما ليسم فاعله وقف على قوله والآصال وقفاناما وابتدأ بقوله رجال لاتلهم تجارة ولا يسجد عن ذكر الله وكأنه مفسر للفاعل المحذوف كما قال الشاعر

ليسك يزيدضارع لخصومة \* ومحتبب مما تطبخ الطوامح  
قال رجال واما على قراءة من قرأ يسجد بكسر (١٠٠) الباء فجعله فعلا وفعال رجل فلا يحسن الوقف الاعلى الفاعل لانه عام

الكلام فقوله تعالى رجال فيه اشعار بهم مهم السامية وبناتهم وعزائمهم العالية التي بها صاروا عمارا للمساجد التي هي بيوت الله في أرضه ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتزويجه كما قال تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية واما النساء فصلاتهن في بيوتهن أفضل لهن لما رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين

ابن رداد مر فوعا باطول من هذا وفي آخره انها قالت بالرفاء والبنين (وحر مناع عليه المراضع) جمع مريض وقيل جمع مريض بفتح الضاد وهو الرضاع أو موضعه وهو الثدي أى منعناه أن يرضع من المرضعات جعله مجازا اما الاستعارة أو مرسل لان من حرم عليه شئ فقد منعه لان الصبي ليس من أهل التكليف (من قبل) أى من قبل ان تزده الى امه أو من قبل ان تأتمه امه أو من قبل قصها لانه قال ابن عباس لا يؤتى برضع فيقبلها او قد كانت امرأة فرعون طلبت موسى المرضعات ليرضعه فلم يرضع من واحدة ممنهن (فتنالت) اخته لما رأت امتناعه من الرضاع وحنوهم عامه (هل أدلكم على أهل بيت يتكفلونكم) أى يضمنون لكم القيام به وارضاعه وهى امرأة قتل ولدها وأحب شئ اليها ان تجد ولدا ترضعه (وهم له ناصحون) أى مشفقون عليه لا يقصرون في ارضاعه وترتيبه والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد وفى الكلام حذف أى قالوا الهامن هم فقالت أى فقيل وهل لامك ابن قالت نعم ابن أخى هرون وكان ولد فى السنة التى لا يتقبل فيها فادلتهم على أم موسى فدفعوه اليها فقبل ثديها ورضع منه قيل كانوا يعطونها كل يوم دينار وانما حل لها ما تأخذ لانه مال حربى لانه اجرة على ارضاع ولدها (فرددناه الى أمه كي تقر عينها) بولدها (ولا تحزن) حينئذ على فراقه (ولتعلم ان وعد الله) أى جميع وعده ومن جملة ذلك ما وعدها بقوله ان ارادوه اليك (حق) لاخلف فيه واقع لا محالة (ولكن أكثرهم) أى أكثر آل فرعون (لا يعلمون) بذلك بل كانوا فى غفلة عن القدر وسر انقضاء او أكثر الناس لا يعلمون بذلك ولا يعلمون ان الله وعدها بان يرده اليها وهذه اخته وهذه امه (ولما بلغ أشده) أى نهاية القوة وتتمام العقل وهو جمع شدة كنعمة وانعم عند سيوبه وقد قال ربعة ومالك هو الحلم لقوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنس منهم رشدا الآية واقصاه اربع وثلاثون سنة كما قال مجاهد وسفيان الثوري وغيرهما وقيل الاشد ما بين الثمانية عشر الى الثلاثين وقال ابن عباس ثلاثا وثلاثين سنة وقد تقدم الكلام فى بلوغ الاشد فى الانعام (واستوى) أى اعتدل وتم استحكامه والاستواء من الثلاثين الى الاربعين فاذا زاد على الاربعين أخذ فى النقصان قاله ابن عباس وقيل الاستواء هو بلوغ الاربعين وروى انه لم يعثب على الاعلى رأس اربعين سنة وقيل الاستواء اشارة الى كمال الخلقة وقيل الاشد والاستواء بمعنى واحد وهو ضعيف لان العطف يشعر بالمغايرة (آتيناه

انها جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى أحب الصلاة معك قال قد علمت انك تحبين الصلاة معى وصلاتك فى بيتك خير من صلواتك فى حجرتك وصلاتك فى دارك وصلاتك فى دارك خير من صلواتك فى مسجد قومك وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلواتك فى مسجدى قال فامرته فبنى لها مسجدا فى اقصى بيت من بيوتها فكانت والله تصلى فيه حتى لقيت الله تعالى لم يخرجوه هذا ويجوز لها شتم وجماعة الرجال بشرط ان لا تؤذى أحدا من الرجال بظهور زينة ولا ربح طيب كفى الصبيح عن عبد الله بن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اما الله مساجد الله وراه

البخارى ومسلم ولاحدوا بنى داود ويوتهن خيرهن وفي رواية ويخرجن وهن تفلت أى لا يرجع لهن وقد ثبت في صحيح مسلم عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهدت احدا كن المسجد فلا تس طيبا وفي الصحيحين عن عائشة رضيت الله عنها انها قالت كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس وفي الصحيحين عنها أيضا انها قالت لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لنعتن من المساجد كما نعت نساء بنى اسرائيل وقوله تعالى (١٠١) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر

الله كتوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله الآية وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذنوا للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع الآية يقول تعالى لا تغفلوا عن الصلاة والذكر والذكر الذي هو خصالهم وراثةهم والذين يعملون للذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم لان ما عندهم يندم وما عند الله باق ولهذا قال تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وآتوا الزكاة أى يقدمون طاعته ومراعاة محبته على مرادهم ومحبتهم قال هشيم عن سمار حدثت عن ابن مسعود نارا رأى قوما من أهل السوق حيث نودى للسلاة المكتوبة تركوا بيعاتهم ونهضوا الى الصلاة فقال عبد الله بن مسعود هؤلاء من الذين ذكرا الله في كتابه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية وهكذا روى عمرو بن دينار القهرماني عن سالم عن عبد الله بن عمر رضيت الله عنهما انه كان في السوق فاقيمت الصلاة

حكوا وعلما الحكم الحكمة على العموم وقيل النبوة وقيل الفقه في الدين والعلم الفهم قاله السدي وقال مجاهد الفقه وقال ابن اسحق العريضة ودين آياته وقيل كان هذا قيل النبوة وقد تقدم بيان معنى ذلك في البقرة (وكذلك) أى مثل ذلك الجزاء الذي جزينا نام موسى لما استلمت لاهرا لله والقت ولدها في البحر وصدق بوعد الله (فجزى المحسنين) على احسانهم والمراد العموم (ودخل المدينة) أى دخل موسى مدينة مصر الكبرى وقيل مدينة غيرهما من مدائن مصر وهي منف من اعمال مصر وقيل ام خنان او حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل مدينة عين شمس (على حين غفلة من اهلها) أى متخفيا قيل لما عرف موسى ما هو عليه من الحق في دينه عاب ما عليه قوم فرعون وفساد ذلك منه فأخوه وخافهم فكان لا يدخل المدينة الا مستخفيا قيل كان دخوله بين العشاء والعتمة قاله ابن عباس وقيل وقت التائلة أى نصف النهار قاله ابن عباس أيضا وقيل يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم قال الضحاك طلب ان يدخل المدينة وقت غفلة اهلها فدخل على حين علم منهم فكان منه ما سكت الله سبحانه بقوله (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أى يختصمان ويتنازعان (هذان من شعيتة) أى من شايعة على دينه وهم بنو اسرائيل أى اسرائيلى وقيل هو السامرى (وهذان عدوه) أى من المعادين له على دينه وهم قوم فرعون أى قبطى وهو طبياخ فرعون واسمه قاترين أو فاشون وكان كائرا اتناقا وأما الاسرائيلى فقيل كان مؤمنا وقيل كان كافرا (فأسستغاه الذى من شعيتة) أى طلب منه الاسرائيلى ان ينصره ويعينه على خصمه والاستغاة طلب العوث (على الذى من عدوه) أى القبطى فاعانه لان نصر المظالم واجب في جميع الملل قيل أراد القبطى ان يسخر الاسرائيلى له حمل حطبا للطبخ فرعون فابى عليه واستغاث موسى (فوكزه موسى) الو كز لضرب والدفع بجمع الكف وهكذا الكز واللكز واللكز وقيل الككز على اللبى والوكز على التلب وقيل الككز باطراف الاصابع والوكز بجمع الكف وقيل بالعكس واللككز كاللككز وقيل ضرب به بعصاه وقرأ ابن مسعود فلككزه وحكى النعاجي أن في مصحف عثمان فمككزه بالنون قال الاصمعي نككزه بالنون ضرب به ودفعه قال الجوهرى الككز الضرب على الصدر وقال أبو زيد في جميع الجسد يدعى انه يقال له لككز وللهمزة الضرب بجمع اليدين في الصدر ومثله عن أبي عبيدة (فقتضى عليه) الضمير

فاعلقوا حوائيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابى حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر الصنعاني حدثنا أبو سعيد مولى أبي هاشم حدثنا عبد الله بن مجير حدثنا أبو عبد رب قال قال أبو الدرداء رضيت الله عنه أتى قف على هذا الدرج أبابيع عليه ارجح كل يوم ثلاثمائة دينار شهدا الصلاة في كل يوم في المسجد اما انى لا أقول ان ذلك ليس بجلال ولكنى أحب ان أكون من الذين قال الله فيهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال عمرو بن دينار الا عور كنت مع سالم بن عبد الله ونحن نريد المسجد فرزنا بسوق المدينة وقد قاموا الى الصلاة ونجروا

متاعهم فنظر سالم الى أمتعتهم ليس معها أحد فتلا سالم هذه الآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم قال هم هؤلاء وكذا قال سعيد بن أبي الحسن والضحاك لا تلهيهم التجارة والبيع ان يأوا الصلابة في وقتها وقال مطر الوراق كانوا يبيعون وبشترتون ولكن كان أحدهم اذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل الى الصلاة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول عن الصلاة المكتوبة وكذا قال مقاتل بن حيان والربيع بن أنس وقال السدي عن الصلاة في جماعة وقال مقاتل بن حيان لا يلهيهم ذلك عن حضور (١٠٢) الصلاة وان يقيمها كما أمرهم الله وان يحافظوا على مواقيتها

وما استنظهم الله في قولها وقوله تعالى يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار أي يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب والابصار أي من شدة الفزع وعظمة الأحوال كقوله وانذرهم يوم الآزفة الآية وقوله انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً انما يطعمكم لوجه الله لا تريد منكم جزاء ولا شكوراً انا تخاف من ربنا وما عبوسا قطرياً فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولتأخهم نضرة وبرورا وجزاهم بمصابروا جنه وحريرا وقوله تعالى ههنا ليجزيهم الله أحسن ما عملوا أي هؤلاء من الذين يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله ويزيدهم من فضله أي يتقبل منهم الحسنات ويضاعفه لهم كما قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة الآية وقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها الآية وقال من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً الآية وقال والله يضاعف لمن يشاء وقال ههنا والله يرزق من يشاء بغير حساب وعن ابن

المرفوع لله أولو كزأ ولوسى وهو الظاهر أي قتله وكل شيء أتيت عليه وفرغت منه فقد قضيت عليه قيل لم يقصد موسى قتل القبطي وانما قصد دفعه فأتى ذلك على نفسه خطأ فندم ودفنه في الرمل والوكزة لا تقتل غالباً وانما وافقت أجله ولهذا (قال هذا من عمل الشيطان) وانما قال بهذا القول مع ان المقتول كافر حقيق بالقتل لانه لم يكن اذذاك مأموراً بقتل الكفار وقيل ان تلك الحالة حاله كفف عن القتال لكونه مأموراً عندهم فلم يكن له ان يغتالهم فكبر ذلك على موسى وقيل ان الاشارة بقوله هذا الى عمل المقتول لكونه كافراً مخالفاً لما يريد الله وقيل انه اشارة الى المقتول نفسه يعني انه من جنس الشيطان وحر به ثم وصف الشيطان بقوله (انه عدو مضل مبين) أي عدو للانسان يسعى في اضلاله ظاهر العداوة والاضلال ثم طلب من الله سبحانه ان يغفر له ما وقع منه (قال رب انى ظلمت نفسي) بقتل القبطي من غير أمر (فاغفر لي فغفر) الله (له) ذلك وعلم انه غفر له بالهام أو بغيره ولا يلزم من هذا نبوته في هذا الوقت (انه هو الغفور) باقالة الزلزال (الرحيم) بازالة الخلل المتصف بهما في الابد والازل ووجه استغفاره انه لم يكن لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقيل انه طلب المغفرة من تركه لا لاولى كما هو سنة المرسلين أو أراد اني ظلمت نفسي بقتل هذا الكافر لان فرعون لو يعرف ذلك لقتلني به وقيل معنى فاغفر لي استرد ذلك على لا يطلع عليه فرعون وهذا خلاف الظاهر فان موسى عليه السلام ما زال نادماً على ذلك خاتماً من العقوبة بسببه حتى انه يوم القيامة عند طلب الناس الشفاعة منه يقول انى قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها كما ثبت ذلك في حديث الشفاعة الصحيح وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وقيل كان قبل بلوغه سن التكليف وانه كان اذ ذلك في اثني عشر سنة وكل هذه التأويلات البعيدة محافظة على ما تقر من عصمة الانبياء ولا شك انهم معصومون عن الكبائر والقتل الواقع منه لم يكن عن عمد فليس بكبيرة لان الوكزة في الغالب لا تقتل وقيل بل كان من قبيل دفع الصائل وهو الاثم فيه وأشار له القرطبي بقوله وانما أعانته لان نصر المظلوم دين في الملل كلها وفرض في جميع الشرائع وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هنالك ذنب فهو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين ثم لما أجاب الله سؤاله وغفر له ما طلب منه مغفرته (قال رب بما أنعمت علي) الباء للقسم وما موصولة أو موصولة أي تقسم

مسعود بن يحيى بل من فعرضه على جاساته واحد او احد افكاهم لم يسره لانه كان صائماً فقتلناه ابن مسعود فشره بانعامك لانه كان مفطراً ثم تلا قوله يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار رواه الترمذي وابن أبي حاتم من حديث الاعشى عن ابراهيم عن علقمة عنه وقال أيضاً حدثنا ابى حدثنا سويد بن شعبة حدثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن اسحق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق سبعين أهلاً الجمع من أولي بالكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم

يحاسب سائر الخلائق وروى الطبراني من حديث بقرته عن اسمعيل بن عبد الله الكندي عن الاعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ليوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله قال أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة لمن صنع لهم المعروف في الدنيا (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بجمرحى يغشاها موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ولم يجعل الله له نوراً فما له نور) (١٠٣)

ضربهم ما الله تعالى لنوع الكفار كما ضرب للمنافقين في أول البقرة مثلين نارياً ومائياً وكأضرب لما يقرب في التلويح من الهدى والعلم في سورة الرعد مثلين مائياً ونارياً وقد تكلمت على كل منهما في موضعه بما اغنى عن اعادته ولله الحمد والمنة فاما الاول من هذين المثلين فهو للكفار الدعاء الى كفرهم الذين يحسبون انهم على شئ من الاعمال والاعتقادات وليسوا في نفس الامر على شئ فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في التبعان من الارض عن بعد كأنه بحر طام والقيعة جمع قاع بكار وجيرة والقاع أيضاً واحد القيعان كما يقال جار وجيران وهي الارض المستوية المتسعة المنبسطة وفيه يكون السراب وانما يكون ذلك بعد نصف النهار أو ما الاول فانما يكون أول النهار ويرى كأنه ماء بين السماء والارض فإذا رأى السراب من هو محتاج الى الماء قصد به يحسبه ماء يشرب منه فلما انتهى اليه لم يجده شيئاً فكذلك الكافر يحسب انه قد عمل عملاً وأنه قد حصل شيئاً فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليه وتوقش

بانعامك على بالمغفرة لا توين قاله الرخشري والمهدوي والماوردي وقيل المراد بما أنعم به عليه هو ما آتاه من الحكم والمعرفة والعلم والتوحيد قاله القرطبي وقال الثعلبي أي بالمغفرة فلم تعاقبني وجملة (فلن أكون ظهيراً للمجرمين) كالتفسير للجواب وكأنه أقسم بما أنعم الله عليه أن لا يظاھر مجرماً ويجوز ان تكون الباء هي باء السببية متعلقة بمحذوف أي اعصمني بسبب ما أنعمت به عليّ ويكون قوله فلن أكون ظهيراً متباعليه ويكون في ذلك استعطاق لله تعالى وتوصل الى انعامه بانعامه وأراد بظاهرة المجرمين اما محبة فرعون والانتظام في جلته في ظاهراً الامر أو مظاهره على ما فيه اثم أو تكبير سواده قال الكسائي والقراء ليس قوله هذا خبر بل هو دعاء أي فلا تجعلني يارب ظهيراً لهم وبها قرأ عبد الله وقال القراء المعنى اللهم فلن أكون الخ وقال النحاس ان جعله من باب الخبر أو في وأشبهه بنسب الكلام وفيه دليل على ان الاسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً وقيل أراد اني وان أسأت في هذا القتل الذي لم أمر به فلا تترك نصرته المسلمين على المجرمين فعلى هذا كان الاسرائيلي مؤمناً ونصرة المؤمنين واجبة في جميع الاديان وقيل لم يستثن قاتلي في اليوم الثاني أي لم يقل فلم أكن ان شاء الله ظهيراً للمجرمين كما قال الله تعالى (فاصبح في المدينة) أي دخل في وقت الصباح في المدينة التي قتل فيها القبطي (خائفاً يتربص) المكروه أومتى يؤخذ به أو يتربص بالفرج والخبر هل وصل الى فرعون أم لا قال النسفي وفيه دليل على انه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس انه لا يسوغ الخوف من دون الله سبحانه زاد القرطبي وان الخوف لا يتنافى المعرفة بالله ولا التوكل عليه (فاذا الذي استنصره) اذا هي النجاة أي فاذا صاحبه الاسرائيلي الذي استغاثه (بالامس) بقاتل قبطياً آخر اراد ان يسخره ويظلمه كما اراد القبطي الذي قتلته موسى بالامس (يستصرخه) أي يستغيث به والاستصراخ الاستغاثة وهو من الصراخ وذلك ان المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث (قاله) أي للاسرائيلي (موسى) واليه ذهب الخازن والحلي وأرل القبطي واليه ذهب القرطبي (انك لغوي ميين) أي بين الغواية وذلك انك تقا تل من لا تقدر على مقابله ولا تطيقه وقيل انما قال له هذه المقالة لانه تسبب بالامس لقتل رجل ويريد اليوم ان يسبب لقتل آخر (فلما ان اراد) موسى (أن يبطش بالذي) أي بالقبطي الذي (هو عدو لهما) أي موسى والاسرائيلي

على أفعاله لم يجده شيئاً بالكلية قد قبل اما عدم الاخلاص او لعدم سلوك الشرع كما قال تعالى وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً وقال ههنا وجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب وهكذا روى عن أبي بن كعب وابن عباس وبجاءه وقادة وغير واحد في الصحبين انه يقال يوم القيامة لليمود ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد عزرا بن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من ولد ما ذابغون فيقولون يارب عطشنا فاسقنا فيقال ألاتردون فتمثل لهم النار كما أنها سراب يحطم بعضها بعضاً فينطلقون فيتم افتون فيها وهذا المنال مثل لذرى الجهل المركب فاما اصحاب الجهل البسيط وهم الظماطم الاغشام المقلدون لائمة الكفر

الصم البكم الذين لا يعقلون مثلهم كما قال تعالى أو كظلمات في بحر لجي قال قتادة لجي هو العميق يغشاه موج من فوقه موج من فوقه صحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها أي لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام فهذا مثل قلب الكافر الجاحل البسيط المقلد الذي لا يعرف حال من يقوده ولا يدري أين يذهب بل كما يقال في المثل للجاهل أين تذهب قال معهم قيل فإلى أين يذهبون قال لأدري وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما يغشاه موج الآية يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر وهي كقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم الآية وكتوبه أقرأت من المخذله

(١٠٤)

هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة الآية وقال أبي بن كعب في قوله تعالى ظلمات بعضها فوق بعض فهو يتقلب في خمسة من الظلم فكلامه ظلمة وعم له ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات إلى النار وقال السدي والريبع بن أنس نحو ذلك أيضا وقوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور أي من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر ياترك قوله من يضل الله فلا هادي له وهذا في متابله ما قال في مثل المؤمنين يهدي الله لنوره من يشاء فنسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نورا وعن أيماننا نورا وعن شمائلنا نورا وان يعظم لنا نورا (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون والله ملك السموات والارض والى الله المصير) يخبر تعالى أنه يسجد له من في السموات والارض أي من الملائكة والاناس والحيوان والحيوان حتى الجماد كما قال تعالى

حيث لم يكن على دينهما (قال الاسرائيلي (ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) قال ذلك لما سمع موسى يقول له انك اغوى سببين وراءه يريد ان يطش بالقبطى ظن انه يريد ان يطش به فلما سمع القبطى ذلك أفشاه ولم يكن قد علم أحد من أصحاب فرعون ان موسى هو الذى قتل القبطى بالامس حتى أفشى عليه الاسرائيلي هكذا قال جمهور المفسرين وقيل ان القاتل هو القبطى وكان قد بلغه الخبر من جهة الاسرائيلي وهذا هو الظاهر وقد سبق ذكر القبطى قبل هذا بلا فصل لانه هو المراد بقوله عدوا لهما ولا موجب لمخالفة الظاهر حتى يلزم من دان المؤمن موسى المستغيث به المرة الاولى والمرة الاخرى هو الذى أفشى عليه وأيضا ان قوله (ان تريد أن تكون جبارا فى الارض) لا يلقى صدوره مثله الا من كفر وان هي النافية أى ما تريد قال الزجاج الجبار فى اللغة الذى يتعظم ولا يتواضع لامر الله والقاتل بغير حق جبار وقيل الجبار الذى يفعل ما يريد من الضرب والقتل ولا يتنظر فى العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن وقال عكرمة لا يكون الزجل جبارا حتى يقتل نفسه وهو بعيد ولا دلالة فى الآية على ذلك والراجح هو الاول الموافق باللغة (وما تريد أن تكون من المصلحين) بين الناس فتدفع الخصام بالتي هي أحسن (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) قيل المراد بهذا الرجل حرقيل وهو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم موسى وقيل اسمه شمعون وقيل طالوت وقيل سمعان والمراد بأقصى المدينة آخرها وأبعدها والمعنى يسرع فى مشيه وأخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى وأخبره وأندره بما سمع (قال ياموسى ان الملائكة أى أشرف قوم فرعون) يأترون بك ليلة لولك أى يتشاورون فى قتلك ويتآمرون بسببك وانما سمى التشاورا تشارا لان كلام المتشاورين يأمر الآخر ويأمر به قال الزجاج يأمر بعضهم بعضا بقتلك وهذا أقرب باللفظ والمعنى قاله الحنفى وقال أبو عبيدة يتشاورون فيك قال الأزهرى اتقوا قوم وتآمروا أى أمر بعضهم بعضا ونظيره قوله تعالى واتقوا بينكم المعروف (فاخرج) من المدينة (الى لك من الناصحين) فى الامر بالخروج واللام للبيان لان معمول الجور ولا يتقدم عليه (نخرج) موسى (منها) أى من المدينة (خائفا يتربص) أى حال كونه خائفا من الظالمين مترقبا لحوقهم به وادراكهم له أو راجعا غوث الله اياه قولان للمفسرين وعن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينه وبينها ثمان ليال ولم يكن له

طعام

تسجد له السموات السبع والارض ومن فيهن الآية

وقوله تعالى والطير صافات أى فى حال طيرانها تسجد لله بتسبيح الهمها وأرشد هاله وهو يعلم ما هي فاعله وله ذاتا قال تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه أى كل قد أرشده الى طريقته ومسلكه فى عبادة الله عز وجل ثم أخبر انه عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه من ذلك شئ ولهذا قال تعالى والله عليم بما يفعلون ثم أخبر تعالى ان له ملك السموات والارض فهو الحاكم المتصرف الاله المعبود الذى لا تنبغى العبادة الا له ولا معقب لحكمه والى الله المصير أى يوم القيامة فبكم فيه بما يشاء ليجزى الذين

أساؤا بما عملوا الآية فهو الخالق المالك الإله الحكيم في الدنيا والاخرى وله الحمد في الاولى والاخرة (ألم تر أن الله يرزق سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالابصار يقاب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار) يذكر تعالى انه يسوق السحاب بقدرته اول ما ينشئها وهي ضعيفة وهو الازجاء ثم يؤلف بينه أي يجمعه بعد تفرقه ثم يجعله ركاما أي مترا كما أي يركب بعضه بعضا فترى الودق أي المطر يخرج من خلاله أي من خلله وكذا قرأها ابن عباس (١٠٥) والضحاك قال عبيد بن عمير النبي يعث الله

المثيرة فتقوم الارض قائم يعث الله الناشئة فتنشئ السحاب ثم يعث الله المؤلفه فتؤلف بينه ثم يعث الله الواح فتلقح السحاب رواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمه الله وقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد قال بعض النحاة من الاولى لا ابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة لبيان الجنس وهذا انما يجي على قول من ذهب من المفسرين الى ان قوله من جبال فيها من برد معناه ان في السماء جبال بردي نزل الله منها البرد وأما من جعل الجبال ههنا كناية عن السحاب فان من الثانية عند هذا الابتداء الغاية أيضا الكناية بدل من الاولى والله أعلم وقوله تعالى فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يحتمل بما ينزل من السماء من نوعي المطر والبرد فيكون قوله فيصيب به من يشاء رجة بهم ويصرفه عن من يشاء أي يوتر عنهم الغيث ويحتمل ان يكون المراد بقوله فيصيب به أي بالبرد رقة على من يشاء لما فيه من نثر غمارهم واتلاف زروعهم وأشجارهم

طعام الاورق الشجر وخرج حافيا فاصول اليباحي وقع خف قدمه وعنه قال خرج موسى خائفا جاعا ليس معه زاد حتى انتهى الى ماء مدين وهو اول ابتلاء من الله تعالى لموسى ثم دعاه به ان يخيه عن خافه و (قال رب اجني من القوم الظالمين) قوم فرعون أي خلصني منهم وادفعهم عنى وحل بيني وبينهم واحتفظني من لحوقهم (ولما توجه) أي قصد بوجهه (تلقاء مدين) أي نحوها ووجهتها فاصدا لها ما ضا إليها قال الزجاج أي سلك في الطريق التي تلام مدين فيها انتهى والتوجه الاقبال على الشيء ومدين قرية شعيب يقال داره تلام دار فلان وأصله من اللقاء ولم تكن هذه القرية داخله تحت سلطان فرعون وله هذا خرج إليها ولكن لم يكن يعرف طريقها (قال عيسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي يرشدني نحو الطريق المستوية الى مدين وهو من اضافة الصفة لاموصوف وكان لها ثلاث طرق فاخذ موسى الوسطى وجاء الطلاب في أثره فساروا في الاخرين ذكره أبو السعود (ولما ورد ماء مدين) أي وصل اليه وهو الماء الذي يستقون منه والمراد بالماء هنا بئر فيها صرح به الخازن والمحلى فهو من باب ذكر الحال وارادة المحل وانظروا الورد قد يطلق على الدخول في المورد وقد يطلق على البلوغ اليه وان لم يدخل فيه وهو المراد هنا وقد تقدم تحقيق معنى الورد في قوله وان منكم الاواردها وقيل مدين اسم للتبيلة للقرية وهي غير منصرفة على كلا التقديرين (وجد عليه أمة) أي وجد على الماء جماعة كثيرة لان التنكير للتكثير (من الناس) أي من أناس مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) أي من دون الناس الذين يسقون ما بينهم وبين الجهة التي جاء منها وقيل معناه في موضع أسفل منهم قاله أبو السعود وفي الخازن في موضع بعيد منهم (أمرأتين تدودان) أي تحبسان أغنامهما من الماء حتى يشرغ الناس ويحلقوا بينهم وبين الماء وبه قال ابن عباس وورد الذود بمعنى الطرد أي تطردان وقيل تكفنان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس وقيل تمنعان اغنامهما عن أن تندوت ذهاب الاولى أولى اتوله (قال) موسى للمرأتين (ما خطبكما) أي ما شأنكما لا تسقيان غنمكم مع الناس والخطب الشأن قيل وانما يقال ما خطبك لمصاب أولمضطهد (١) أولم يأتى بمذكر (فالتنا) عادتنا التاني (لأنسى حتى يصدر الرعاء) عن الماء ينصرفوا منه حذرا من مخالطتهم أو عجزا عن السقي معهم قرئ نسق بفتح النون وبضمها من أسقى وقرئ يصدر من أصدر ومن صدر

(١٤ - فتح البيان سابع) ويصرفه عن من يشاء رجة بهم وقوله يكاد سنابرقه يذهب بالابصار أي يكاد ضو برقه من شدته يخطف الابصار اذا تراءته وتراءته وقوله تعالى يقاب الله الليل والنهار أي يتصرف فيهما فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتى يعتد لا ثم يأخذ من هذا في طول الذي كان قصيرا ويقصر الذي كان طويلا والله هو المتصرف في ذلك بأمره وقهره وعزته وعلمه ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار أي لدليله على عظمته تعالى كما قال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الابصار وما بعده من الآيات الكريمة (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يشق على بطنه ومنهم من يشق) (١) المضطهد المقهور المضطرب صحاح ١٥

على رجلين ومنهم من يشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير) يذكركم على قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع الخلق على اختلاف أشكالها وألوانها وحر كاتها وسكاتها من ماء واحد فمنهم من يشي على بطنه كالحية وماشا كلها ومنهم من يشي على رجلين كالإنسان والطير ومنهم من يشي على أربع كالأنعام والحيوانات ولهذا قال يخلق الله ما يشاء أي بقدرته لانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولهذا قال ان الله على كل شيء قدير (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يقرر تعالى انه أنزل في هذا القرآن من (١٠٦) الحكم والحكم والأمثال البينة المحكمة كثيرا جدا وانه يرشد الى

تفهمها وتعقلها أولى الالباب والبصائر والنهي ولهذا قال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) يخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يظنون يقولون قولا بالسنن آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك أي يخالفون أقوالهم بأعمالهم فيقولون ما لا يفعلون ولهذا قال تعالى وما أولئك بالمؤمنين وفي الطبراني من حديث روح بن عطاء عن أبي ميمونة عن أبيه عن الحسن

بصدور لا زما أي يرجعون مواشيهم والرعاة جمع راع على غير قياس لان فاعلا الوصف المعتل اللام كقاص قياسه فعلة نحو قضاة ورماة خلافا للزخمي في أن جمعه على فعال قياس كصيام وقيام فله الكرخي قرأ الجمهور الرعاة بكسر الراء وقرئ بفتحها قال أبو الفضل هو مصدر اقيم مقام الصفة فلذلك استوى فيه الواحد والجمع وقرئ الرعاة بالضم اسم جمع (وأبو ناسخ كبير) على السن وهذا من تمام كلامهما ابداء منهما العذر في مباشرة السقي بأنفسهم ما أي لا يقدران يسقي ماشيته من الكبر فلذلك احتجنا ونحن امرأتان ضعيفتان مستورتان لا تقدر على مزاجة الرجال وعلى ان نسقي الغنم لعدم وجود رجل يقوم لسان ذلك قيل أبوهما هو شعيب وقيل هو ثيرون بن أخي شعيب وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب والاولى واما رضى شعيب لابنته بسقي الماشية لان هذا الامر في نفسه ليس بمخظور والدين لا ياباه وأما المروءة فعادات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضرة خصوصا اذا كانت الحاله حالة الضرورة فلما سمع موسى كلامهما رقا لهما ورجعهما (فسقي لهما) أي سقي أعنتهما لاجلهم ما رغبت في المعروف واغانة للملهوف قال المحلى سقي من بشر أخرى اقر بهما رفع حجر اعنهما لا يرفع الا عشرة أنفس انتهى (ثم) لما فرغ من السقي لهما (تولى الى الظل) أي انصرف اليه جلس فيه من شدة الحر وهو جائع قيل كان هذا الظل ظل سمرة هنالك وهي شجرة من شجر الطلح وفيه دليل على جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتكشفة (فقال) أي ثم قال لما أصابه من الجهد والتعب مناديا لربه (رب اني لما أنزلت الي من خير) أي خير كان (فقير) أي محتاج الى ذلك واللام بمعنى الى قال الاخفش يقال هو فقير له واليه قال ابن عباس لقد قال موسى رب الخ وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شئ تمر ولقد لصق بطنه بظهره من شدة الجوع وعنه قال ما سأل الا الطعام وعنه قال سألت فلانا من الخبز يشد به صلبه من الجوع ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضاه بالبدل السني وفرحا بالعوض الهني وشكر الله الغني وقال ابن عطاء نظرت من العبودية الى الربوبية وتكلمت بلسان الاقتدار لما ورد على سره من الانوار (خفاءه احدهما) في الكلام حذف يدل عليه السياق قال الزجاج تقديره فذهبنا الى

عن سمرة مرفوعا من دعي الى سلطان فلم يجب فهو ظالم لاحقه وقوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم الآية أي اذا طلبوا الى اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه وهذه كقوله تعالى ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك الى قوله رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا وقوله تعالى وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أي واذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاؤا سامعين مطيعين وهو معنى قوله مذعنين واذا كانت الحكومة عليه أعرض ودعا الى غير الحق وأحب ان يتحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم

أيهما



ليروج باطله ثم فادعاه أو لالم يكن عن اعتقاد مننه ان ذلك هو الحق بل لانه موافق لهواه ولهذا الماخالف الحق قصده عدل عنه الى غيره ولهذا قال تعالى في قلوبهم مرض الآية يعني لا يخرج أمرهم عن ان يكون في القلوب مرض لازم لها أو قد عرض لها شك في الدين أو يخافون ان يجور الله ورسوله عليهم في الحكم وأياما كان فهو وكفر محض والله عليم بكل منهم وما هو منطوق عليه من هذه الصفات وقوله تعالى بل أولئك هم الظالمون أي بل هم الظالمون الفاجرون والله ورسوله مبرآن مما ينظنون ويوهمون من الحيف والجور تعالى الله ورسوله عن ذلك قال ابن أبي حاتم حدثنا (١٠٧) أبي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا

مبارك حدثنا الحسن قال كان الرجل اذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعى الى النبي صلى الله عليه وسلم علم الله سيقضى له بالحق واذا اراد ان يظلم فدعى الى النبي صلى الله عليه وسلم اعرض وقال انطلق الى فلان فانزل الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان بينه وبين أخيه شيء فدعى الى حكم من أحكام المسابن فأبى ان يجيب فهو ظالم لاحق له وهذا حديث غريب وهو مرسل ثم أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ورسوله الذين لا يغترون ديناً سوى كتاب الله وسنة رسوله فقال تعالى انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا أي سمعنا وطاعة ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب فقال تعالى وأولئك هم المنفلحون وقال قتادة في هذه الآية ان يقولوا سمعنا وأطعنا ذكرنا ان عبادة بن الصامت وكان عقيباً بديراً أحد نقيب الانصار

أبيهما سريعتين وكانت عادت هما الابطاء في السقي فحدثاه بما كان من الرجل الذي سقى لهما فامر الكبري من بنتيه وهي صفورا وقيل صفراء وقيل أمر الصغرى وهي ليا وقيل صفراء ان تدعوه له فجاءه وذهب إلى المفسرين الى أنهما ابتنا شعيب وقيل هما ابتنا أخى شعيب وان شعيبا كان قدمات والاول أرجح وهو ظاهر القرآن (تمشى) كائنة (على استحياء) حالي المشي والمجي لا عند المجي فقط وهذا دليل كمال ايمان ما وشرف عنصرها لانها كانت تدعوه الى ضيافتها ولم تعلم أي يجيبها أم لا فاتته مستحبة قال عمر بن الخطاب جاءت مستترة بكم درعها على وجهها من الحياء والحياء والاستحياء بالمد الحشمة والانتباه والازواء وتعدى بنفسه وبالخرف يقال استحييته واستحييت منه (قالت ان أبي يدعوك) مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا قالت له لما جاءته فقيل قالت الخ (ليجزيك أجر ما سقيت لنا) أي جزاء سقيك لنا فاجابهم منكرا في نفسه أخذ الأجرة وقيل اجاب لوجه الله أو للترك برؤية الشيخ لما سمع منهما ان أباهما شيخ كبير (فلما جاءه) أي جاء موسى شعيبا عن أبي حازم قال لما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشاء فقال له شعيب كل قال موسى أعوذ بالله قال ولم ألت بجماع قال بلى ولكن أخاف ان يكون هذا عوضا عما سقيت لهما أو ان أمن أهل بيت لا يتبع شيئا من عمل الآخرة عمل الارض ذهباً قال لا والله ولكنها عادي وعادة آباءي تقري الضيف ونظم الطعام فجلس موسى فأكل (وقص عليه القصة) مصدر يسمى به المفعول أي المقصود يعني أخبره بجميع ما اتفق له من عند قتله القبطي الى عند وصوله الى ماء مدين وعن مالك بن أنس انه بلغه ان شعيبا هو الذي قص عليه القصة (قال) شعيب (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) أي فرعون وأصحابه لان فرعون لاسطان له على مدين وفيه دليل على جواز العمل بحبر الواحد ولو عبداً أو أثنى وعلى المشي مع الاجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع وللرازي في هذا الموضوع اشكالات باردة جدا لا تستحق ان تذكر في تفسير كلام الله عز وجل والجواب عليها يظهر للمقصر فضلا عن الكامل وأشرف ما جاء به ان موسى كيف أجاب الدعوة المعلة بالجزء لما فعله من السقي وبجواب عنه بأنه اتبع سنة الله في اجابة دعوة نبي من أنبياء الله ولم تكن تلك الاجابة لاجل اخذ الاجر على هذا العمل ولهذا ورد انه لما قدم اليه الطعام قال ان أهل بيت لا يتبع ديننا جل الارض ذهباً كما مر وفي الكشف ان

انه لما حضره الموت قال لابن أخيه جنادة بن أبي أمية ألا أبتك بما اذا عليك وبعادالك قال بلى قال فان عليك السمع والطاعة في عسرك وسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك وعليك ان تقيم لسانك بالعدل وان لاتنازع الامر أهله الا ان يأمروك بمعصية الله بما أمرت به من شيء يخالف كتاب الله فاتبع كتاب الله وقال قتادة ذكر لنا ان أبا الدرداء قال لاسلام الا بطاعة الله ولا خير الا في جماعة والنصيحة لله ورسوله والخليفة وللمؤمنين عامة قال وذكر لنا ان عمر بن الخطاب رضی الله عنه كان يقول عروة الاسلام شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والطاعة لمن ولاه الله امر المسلمين رواه ابن أبي حاتم والاحاديث والآثار

في وجوب الطاعة لكاتب الله وسنة رسوله وللخلفاء الراشدين والأئمة إذا أمروا بطاعة الله أكثر من أن يحصر في هذا المكان وقوله ومن يطع الله ورسوله قال قتادة يطع الله ورسوله فيما أمر به وترك ما نهى عنه ويخش الله فيما مضى من ذنوبه ويتقوه فيما يسبق وقوله فأولئك هم الذنأزرون يعني الذين فازوا بكل خير وأمنوا من كل شرف الدنيا والآخرة (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حل وعليكم ما حلتم وإن تطيعوه (١٠٨) تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) يقول تعالى مخبراً عن

أهل النفاق الذين كانوا يخلفون للرسول صلى الله عليه وسلم لئن أمرتهم بالخروج في الغزوي لخرجن قال الله تعالى قل لا تقسموا أي لا تحلفوا وقوله طاعة معروفة قيل معناه طاعتكم طاعة معروفة أي قد علم طاعتكم إنما هي قول لا فعل معه وكلما حلفتم كذبتم كما قال تعالى يخلفون لكم تبرؤوا عنهم الآية وقال تعالى اتخذوا إيمانهم جنة الآية ففهم من حجيتهم الكذب حتى فيما يختارونه كما قال تعالى ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لخرجن معكم ولا تطيع فيكم أحداً أبداً وان قولتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصروهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون وقيل المعنى في قوله طاعة معروفة أي لئن أمرتم طاعة معروفة أي بالمعروف من غير حلف ولا أقسام كما يطيع الله ورسوله المؤمنون بغير حلف فكونوا مثلهم إن الله خبير بما تعملون أي هو خبير بكم ويعين

طلب الاجرة أشد الفاقة غير منكروا ويشهد أصحتم لوسئت لا اتخذت عليه أجراً (قالت احدهما) وهي التي جاءت (بآيات استأجره) ليرعى لنا الغنم وفيه دليل على ان الاجارة كانت عندهم مشروعة وقد اتفق على جوازها ومشروعيتها جميع علماء الاسلام الا الاسم فانه عن سماع أدلتها (ان خير من استأجرت القوى الامين) تعليل لما وقع منها من الارشاد لا يبالى الى استئجار موسى أي انه حقيق باستئجاره لكونه جامعاً بين خصلتي القوة والامانة ولم يقل تستأجر مع انه الظاهر لانه جعله لخدمة وتجربته منزلاً منزلة ما مضى وعرف قبل وقدرى عن ابن عباس وعمر أن أباهما سألها عن وصفها بالقوة والامانة فأجابته أما قوته فرفعه الحجر ولا يطيقه الا عشرة رجال وأما أماته فقال امشى خلفي وانعتى لي الطريق فاني أكره ان تصيب الريح ثيابك فتصلى جسدك فزاده ذلك رغبة فيه وعن ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان يتقننا وأبو بكر في أمر عمر (قال انى أريد أن أنسكك احدى ابنتى هاتين) الكبرى أو الصغرى وفيه مشروعية عرض ولي المرأة لها على الرجل وهذه سنة ثابتة في الاسلام كما ثبت من عرض عمر لابنته حفصة على ابى بكر وعثمان والقصة معروفة وغير ذلك مما وقع في أيام الصحابة وأيام النبوة وكذلك ما وقع من عرض المرأة لنفسها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيل تزوجه الكبرى وقال الاكثرون انه تزوجه الصغرى منهما واسمها صفورا وهي التي ذهبت في طلب موسى وهاتين يدل على انه كان له غيرهما وقد قال الباقى ان له سبع بنات كما في التوراة وهذه مواعده منه ولم يكن ذلك عقد نكاح اذ لو كان عقداً لقال قد أنسككتم (على ان تأجرنى عماى حجج) جمع حجة وهي السنة قال الفراء يقول على ان تجعل ثوابى ان ترعى غنمى ثمانى سنين قال المبرد يقال أجرت دارى وعملوكى غير عدد وودود واولادى اكثر والتزوج على رعى الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بأمر الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة (فان اتهمت) ما استأجرتك عليه من الرعى (عشراً) من السنين (فن عندك) أي تفضل لمنذ وتبرعاً الزامنى لك وليس بواجب عليك جعل ما زاد على الثمانية الاعوام الى تمام عشرة أعوام موكولاً الى المروءة أي نهى من عندك والظاهر انه استدعاء عقبه بالاجل الاول نظر الى شرعنا ويمكن كونه عقداً صحيحاً عندهم قاله الكرخى (وما ريد أن أسق عليك) بلزامك اتمام العشرة

يطيع من بعضى فالخلف واطهار الطاعة والباطن بخلافه وان راج على الخلق فالخالق تعالى يله السر وأخفى الاعوام لا يروج عليه شئ من التديس بل هو خبير بضمائر عباده وان أظهر واخلفها ثم قال تعالى قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أى اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله وقوله تعالى فان تولوا أى تتولوا عنه وتتركوها كما جاءكم به فانما عليه ما حل أى البلاغ الرسالة وأداء الامانة وعليكم ما حلتم أى من قبول ذلك وتعظيمه والقيام بقضاه وان تطيعوه تهتدوا وذلك بانه يدعو الى صراط مستقيم صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الارض الآية وقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين كقوله تعالى فانما عليك

البلاغ وعلينا الحساب وقوله فذكرنا أنت مذكرست عليهم عسيطر قال وهب بن منبه أوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل  
يقال له شعباء أن قم في بني اسرائيل فاني سأطلق لسانك بوحى فقام فقال يا شعباء اسمعي ويا أرض انصتي فان الله يريد ان يقضى شأننا  
ويدبر أمرنا هو منذ ما نهر يدان يحول الزيف الى القلاة والآجام في الغيطان والانهار في الصحارى والنقمة في النقره والمالك في  
الرعاة ويريد ان يعث أميامن الاميين ليس يفظ ولا غليظ ولا سحاب في الاسواق لويبر على السراج لم يطفئه من سكينته ولو يحشى  
على القصب اليابس لم يسمع من تحت قدميه (١) أبعنه بشيرا ونذيرا (١٠٩) لا يقول الخنا يفتح به اعينا وعميا واذانا صاها

وقلو باغلقا واسدده بكل أمر جليل  
وأذهب له كل خلق كرم وأجعل  
السكينة لباسه والبر شعاره  
والتقوى ضميره والحكمة منطقته  
والصدق والوفاء طبيعته والعمو  
والمعروف خلقه والحق شريعته  
والعدل سيرته والهدى امامه  
والاسلام ملته وأحدا همه أهدي  
به بعد الضلالة وأعلم به من الجهالة  
وأرفع به بعد الخسالة وأعرف به  
النكرة وأكثر به بعد القلة  
وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد  
الفرقة وأرق به بين أمم متفرقة  
وقلوب مختلفه وأهو امت مشتتة  
واستقذبه فثامنا من الناس عظيما  
من الهلكة وأجعل أمته خير أمة  
أخرجت للناس بأمر من بالمعروف  
وينهون عن المنكر موحدين  
مؤمنين مخلصين مصدقين بما جاءت  
به الرسل رواه ابن أبي حاتم (وعد  
الله الذين آمنوا منكم وعملوا  
الصالحات ليستخلفنهم في الارض  
كما استخلف الذين من قبلهم وليكنن  
لهم دينهم الذي ارتضى لهم  
وليبدلنهم من بعد خوفهم انما  
يعبدونى لا بشر كونى شيئا ومن

الاعوام ولا بالمناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق  
اى شق ظنه نصفين فتارة يقول اطيق وتارة يقول لا اطيق ثم رغبه في قبول الاجارة فقال  
(ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) في حسن الصحبة ولطف المعاملة ولين الجانب والوفاء  
بالعهد وقيل أراد الصلاح على العموم فيدخل صلاح المعاملة في تلك الاجارة تحت  
الآية دخولا أوليا وقد كذلك بالمشيئة تفويضا للامر الى توفيق الله ومعونه وللتبرك به  
لا تعليق صلاحه بحشيشته تعالى ثم لما فرغ شعيب من كلامه قرره موسى و(قال ذلك بيني  
وبينك) والاشارة الى ما تعاقد عليه (أيما الاجلين قضيت) شرطية وجوابها (فلا عدوان  
على) والمراد بالاجلين الثمانية الاعوام والعشرة الاعوام ومعنى قضيت وفيت به وأتمته  
وفرغت منه والاجلين مخفوض باضافة أى اليه وما زائدة أو ما مخفوضه باضافة أى اليها  
والاجلين بدل منها وقرأ ابن مسعود أى الاجلين ما قضيت والمعنى لا ظلم على بطلب الزيادة  
على ما قضيت من الاجلين اى كالأطال بالزيادة على الثمانية الاعوام لأطال بالنقصان  
عن العشرة وقيل المعنى كالأطال بالزيادة على العشرة الاعوام لأطال بالزيادة على  
الثمانية الاعوام وهذا أظهر واصل العدوان تجاوز الحد في غير ما يجب قال المبرد وقد علم  
موسى انه لا عدوان عليه في أتمهما ولكنه جمعهما ليجمع على الأقل كالاتم في الوفاء وقرئ  
عدوان بضم العين وبكسر ها (والله على ما نقول) من هذه الشروط الجارية بيننا (وكيل)  
اى شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحدنا الى الخروج عن شئ من ذلك قبل هو من قول موسى  
وقيل من قول شعيب والاول اولى لوقوعه في جهله ككلام موسى وتم العقد بذلك ولعل هذا  
كان في شرعهما والافهذه الصيغة لا تنكفي عندنا في عقد النكاح لان الواقع من شعيب  
وعد بالانكاح والواقع من موسى ليس فيه مادة التزويج ولا الانكاح وايضا الصداق  
ليس راجعا للمتكوحة بل لا يها هذا ما جرى عليه المحلى وقال غير ما تم ما عقدت اعتدا  
بغير الصورة المذكورة هنا منها قال ابو السعود ليس ما حكى عنهما في الآية تمام ما جرى  
بينهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة وبقاعهما بل هو بيان لما عزمنا  
عليه وانقاعا على ابقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان  
مواجب العقد في تلك الشريعة تنص صيلا واخرج الطبراني وغيره عن عتبة السلمي  
قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ سورة طس حتى اذا بلغ قصة موسى

كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الارض أى  
أئمة الناس والولاية عليهم وبيهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس انما وحكنا فيهم وقد فعله تبارك  
وتعالى وله الحد والمنة فانه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن  
بكالها وأخذ الجزيرة من مجوس هجروا من بعض أطراف الشام وهداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر واسكندرية وهو المقوقس  
وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تمك بعد أحيمه رجه الله وأكرمه ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له

(١) قوله أبعنه الخ كذا بالنسخ وحرر اه

ما عنده من الكرامة قام بالامر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلم يثب ما وهى بعد موته صلى الله عليه وسلم وأخذ جزيرة العرب ومهداها وبعث جيوش الاسلام الى بلاد فارس صعبة خالد بن الوليد رضى الله عنه ففتحوا طرقاتها وقتلوا خلقا من أهلها وجيشا آخر صعبة أبي عبيدة رضى الله عنه ومن تبعه من الامراء الى أرض الشام وثالثا صعبة عمرو بن العاص رضى الله عنه الى بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخا اليه من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة ومن على أهل الاسلام بان ألهم (١١٠) الصديق ان استخاف عمر الفاروق فقام بالامر بعده قيسا ما تاما لم

يدرك القلب بعد الانبياء على مثله في قوة سيرته وكما عدله وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكالها وديار مصر الى آخرها وأكثر اقليم فارس وكسر كسرى وأهان غاية الهوان وتقهقر الى أقصى مملكته وقصر قيصر وانزع عيده عن بلاد الشام وانحدر الى التسطنظمية وأنفق أموالها في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعده رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الاسلامية الى أقصى مشارق الارض ومغاربها افتتحت بلاد المغرب الى أقصى ما هنالك الاندلس وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق الى أقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكعبة وفتحت سدائن العراق وخراسان والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتله عظيمة جدا وخذل الله ملكهم الاعظم خاقان وحيء بالخراج من المشارق والمغارب الى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وذلك ببركة تلاوته

قال ان موسى آجر نفسه ثمانى سنين أو عشر اعلى عنة فرجسه وطعام بطنه فلما وفى الاجل قيل يا رسول الله أى الاجلين قضى موسى قال أبرهما وأفاهما فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته ان تسأل أباهما ان يعطيهما من غنمه ما يعشون به فاعطاها ما ولدت غنمه الحديث بطوله وفيه مسلمة اللمشني ضعفه الائمة (فلما قضى موسى الاجل) الذى هو أكملهما وأفاهما وهو العشرة الاعوام والفاء فصحة عن ابن عباس انه سئل أى الاجلين قضى موسى قال أكثرهما وأطيمهما ان رسول الله اذا قال فعل وصحبه الحاكم أقول في قوله اذا قال رسول الله فعل نظرفان موسى لم يقل انه سيقضى أكثر الاجلين بل قال أيم الاجلين قضيت فلا عدوان على وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان موسى قضى أتم الاجلين من طرق اخرج الخطيب في تاريخه عن ابى ذر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا سئلت اى الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما وان سئلت اى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهى التى جاءت فقالت يا ابت استاجرهما وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لى جبريل يا محمد ان سألت اليهود أى الاجلين قضى موسى فقل ارفاههما وان سألتك أىهم مات تزوج فقل الصغرى منهما فروايات انه قضى أتم الاجلين لها طرق بقوى بعضها بعضا (و) لما أتم الاجل ودنا أيام الزلفة وظهرت انوار النبوة (سار بأهله) زوجته باذن ابها الى مصر ليستر كوا معه في اطائف صنع ربه وقيل سار اصله ترجمه وزيارة امه واخيه وهذا الولي وفيه دليل على ان الرجل يذهب بأهله حيث شاء (آنس من جانب الطور) اى ابصر من الجهة التى تلى الطور (نارا) وذلك انه كان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امرأته الطلاق وقد تقدم تفسير هذا في سورة مسد وفي قال ابن عباس لما قضى موسى الاجل سار بأهله فضل الطريق وكان في الشتاء فرفعت له نار فلما راها ظن انها نار وكانت من نور الله (قال لاهله امكثوا انى آنت نار العلى آتيكم منها بحجر) اى لعلى اجد من يدلى على الطريق فان لم اجد خيرا آتيكم بشهاب قيس وهو المراد بقوله (او جذوة من النار) وهذا قدم تفسيره ايضا في سورة طه وفي سور التمل وقرى جذوة بكسر الجيم وبضمها وهى لغات في العود الذى فى رأسه نار هذا هو المشهور ووقيد بعضهم فقال نار من غير لهب وقد ورد ما يقتضى وجود الاله في قال الجوهرى الجذوة والجذوة الحجر والجمع

ودراسته وجعه الامة على حفظ القرآن ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله جنى زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها او يبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصلى الله ورسوله فنسأل الله الايمان به ورسوله والقيام بشكره على الوجه الذى يرضيه عنا قال الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا ابن أبى عمير حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال أمر الناس ما ضيا ما أولهم اثنا عشر رجلا وتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت عنى فسألت أبى ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال قال كلهم من قريش وزواه البخاري من حديث شعبه عن عبد الملك بن عمير به وفي رواية لمسلم انه قال ذلك عشية رجم فاعز ابن مالئوذ كرمه احاديث اخرى في هذا الحديث دلالة على انه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادل وليسوا هم بأمة الشيعة الاثني عشر فان كثيرا من اولئك لم يكن لهم من الامر شي فاما هؤلاء فانهم يكونون من قريش بلون فيعدلون وقد وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة ثم لا يشترط ان يكونوا متتابعين بل يكون وجودهم في الامة متتابعاً ومتفرقاً وقد وجد منهم أربعة على الولاة وهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ثم كانت بعدهم فترة ( ١١١ ) ثم وجد منهم ما شاء الله ثم قد يوجد منهم من ابق في الوقت الذي بعلمه الله تعالى ومنهم

المهدي الذي اسمه يطابق اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته كنيته علاء الارض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً وقد روى الامام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث سعيد بن صهيمان عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضواً وقال الربيع بن أنس عن أبي العباس في قوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذين ارتضوا لهم وليبدلهم من بعد خوفهم انما الآية قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة فحوا من عشر سنين يدعون الى الله وحده والى عبادته وحده لا شريك له سرا وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بعد بالهجرة الى المدينة فقدموها فأمرهم الله بالقتال فكانوا بها خائفين يسبون في السلاح

جذى وجذى قال مجاهد ان الجذوة قطعة من الخبز في لغة العرب وقال أبو عبيدة هي القطعة الغليظة من الخشب كأن في طرفها ناراً ولم تكن وليس المراد هنا الا ما في رأسه ناره قاله السمين (علمكم تصطلون) من البردأى تستدفون بالنار (فلما أتاهما) اي النار التي ابصرها وقيل اي الشجرة والاولى لعدم الذكر للشجرة (نودي من) لابتداء الغاية (شاطي الوادي) اي الوادي وهو من الين وهو البركة او من جهة اليمين المقابل لليسار بالنسبة الى موسى اي الذي يلي يمينه دون يساره وشاطي الوادي طرفه وحافته وكذا الشط والسيف والساحل كلها بمعنى قال الراغب وجع الشاطي اشطاء قال ابن عباس كان النداء من السماء الدنيا وظاهر القرآن يخالف ما قاله رضي الله تعالى عنه (في البقرة) متعلق بنودي او يمحذوف على انه حال من الشاطي (المباركة) بتكليم الله تعالى فيها (من الشجرة) بدل اشتمال من شاطي الوادي لان الشجرة كانت نابتة على الشاطي وقال الجوهر شاطي الاودية ولا يجمع قرأ الجهور والبقعة بضم الباء وقرئ بفتحها وهي لغة حكاها ابو زيد عن ابن مسعود قال ذكرت لي الشجرة التي أرى اليها موسى فسرت اليها يومي ونبلي حتى صحبتها فاذا هي سمرة خضراء ترف فصليت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسلمت فأهوى اليها بعيري وهو جائع فاخذ منها ملائ فيه فلا كف فلم يستطع أن يسبغه فلنظفه فصليت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسلمت ثم انصرفت أخرجه عبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وقيل الشجرة العناب أو العويج وقيل كانت من العليق (ان موسى انا الله رب العالمين) ان هي المفسرة أو هي الخدقة من الثقبلة واسمها ضمير الشأن ووجه النداء مفسرة له والاولى قرئ اي بكسر الهمزة على اضم القول أو على تضمين النداء معناه والفتح قراءة ضعيفة قال جعفر ابصر ناراً دلته على الانوار لانه رأى النور في هيئة النار فلما نادى منها سمته انوار القدس واحاطت به جلايب الانس فحوطب بالظف خطاب واستدعى منه أحسن جواب فصار بذلك مكاشفاً شريفاً أعطى ما سأل وأمن مما خاف قيل ان موسى لما رأى النار في الشجرة الخضر اعلم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله خلق في نفس موسى علماً خبيراً بان المتكلم هو الله وان ذلك الكلام كلام الله وذهب جماعة من المتكلمين منهم الغزالي الى انه سمع كلامه الازلي

ويصحبون في السلاح فغيروا بذلك ما شاء الله ثم ان رجلاً من أصحابه قال يا رسول الله أبا الدهر نحن خائفون هكذا ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تصبروا الا يبرأ حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتجباً ليس فيه حديدة وأنزل الله تعالى هذه الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فأمنوا ووضعوا السلاح ثم ان الله تعالى قبض نبيه صلى الله عليه وسلم فكانوا كذلك آمنين في امارات أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه فأدخل عليهم الخوف فالتذوا الخيرة والشرط وغيروا غيرهم وقال بعض السلف خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى كآب الله ثم تلا هذه الآية وقال

البرابن عازب نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى واذا قرأتم قليلا من سورة فضعفون في الارض الى قوله لعلكم تشكرون وقوله تعالى كما استخلف الذين من قبلهم كما قال تعالى عن موسى عليه السلام انه قال لقومه عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض الآية وقال تعالى وزيدان ممن على الذين اسـ تضعفون في الارض الايتين وقوله وليكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم الآية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم حين وفد عليه اتعرف الحيرة قال لم أعرفها ولكن قد سمعت بها قال (١١٢) فوالذي نفسي بيده ليقن الله هذا الامر حتى يخرج الطعينة من الحيرة

حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد ولينفتح كنوز كسرى بن هرمز قلت كسرى بن هرمز قال نعم كسرى بن هرمز وابيدان المال حتى لا يقبله أحد قال عدى ابن حاتم فهذه الطعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار أحد واقدمت فبينما افتتح كنوز كسرى بن هرمز والذي نفسي بيده لتكون الثالثة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن أبي سلمة عن الربيع بن أنس عن أبي العافية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسنا والرفعة والدين والنصر والتمكين في الارض فمن عمل منهم عملا الاخرة للذي لم يكن له في الاخرة نصيب وقوله تعالى يعبدونني لا يشركون بي شيئا قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس ان معاذ بن جبل حدثه قال بينا أنارديف النبي صلى الله عليه وسلم على حاريس بنى وبينه الاخرة قال رجل قال يا معاذ قلت لبنيك يا رسول الله وسعدك قال ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبنيك يا رسول الله وسعدك قال هل تدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا قال ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبنيك يا رسول الله وسعدك قال فهل تدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قال قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق العباد على الله ان لا يعذبهم اذ اخرجهم من ارضهم وقوله تعالى ومن كفر بعد ذلك فاؤلئك هم الفاسقون أي من خرج عن طاعتي بعد ذلك فقد خرج عن أمر ربه وكفى بذلك ذنبا عظيما فالعبادة رضى الله عنهم

الذمى بلا صوت ولا حرف ولا دليل عليه وقيل غير ذلك مما لا فائدة في ذكره وقال في سورة طه انى أنار بك وقال في التمل فودى ان يورك من فى النار ومن حولها وهما مخالفان لما هنا من حيث اللفظ الا ان الجميع متوافق في المقصود وهو فتح باب الاستنباه وسوق الكلام على وجه يودى اليه قال الامام لانما فاقا بين هذه الاشياء فهو تعالى ذكر الكل الا انه حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك الندا انتهى (وان ألوعصاك) وقد تقدم تفسير هذا وما بعده في طه والنمل وفي الكلام حذف أى فالفاهما فصارت تعبانا فاهتمت (فلما رآهاتم تز) أى تتحرك (كأنهم اجان) فى سرعة حركتهم مع عظم جسمها (ولى مدبرا) أى هارباً منهمزما (ولم يعقب) أى لم يرجع فنودى (يا موسى اقبل ولا تخف انك من الالامين) من أن ينالك مكروه من الحية وقد تقدم تفسير جميع ما ذكرهنا من غير ذلك نعيده وكذلك قوله (اسلك يدك فى جيبك) والسالك بالفتح والسالك كل منهما مصدر لسلك الشئ فى الشئ أنفذه فيه فانه من باب فعد ونصر (تخرج يضاً من غير سوء) فادخلها فخرحت ولها اشعاع كضوء الشمس من غير برص (واضمم اليك جناحك) جناح الانسان عضده ويقال ليده كلها جناح أى اضمم اليك الميسر يدك المبسوطتين لتتقي بهما الحية كالخائف الفرع وقد عبر به ذا المعنى ثلاث عبارات الاولى اسلك يدك فى جيبك والثانية واضمم اليك جناحك والثالثة وأدخل يدك فى جيبك قال الزمخشري جعل الجناح وهو اليد فى أحد الموضوعين مضموماً وفى الآخر مضموماً اليه فالمراد بالجناح المضموم اليد اليمنى والجناح المضموم اليه اليد اليسرى وكل واحد من معنى الالامين ويسرهما جناح ويجوز أن يراد بالضم التجلد والتمبات عند انقلاب العصا تعبانا وقيل كل خائف بعد موسى اذا وضع يده على صدره زال خوفه قال الفراء أراد بالجناح عصاه (من الرهب) أى من أجل الخوف ترى بفتح الراء والهاء وباسكان الهاء وبضم الراء واسكان الهاء وقال بعض أهل المعانى الرهب الكم بلغة حمير وبني حنيفة وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول لاخر اعطني ما فى رهبك فسألته عن الرهب فقال الكم فعلى هذا يكون معناها اضمم اليك يدك وأخرجها من الكم (قد انك) اشارة الى العصا واليد قري بتخفيف النون قيل والتشديد لغة قريش وقريش بياء تحتية بعد نون مكسورة وهى لغة هذيل وقيل لغة تميم (برهانان) أى جثمان نيران ودليلان واضحان وآياتان وسميت الحجة برهاناً

قلت لبنيك يا رسول الله وسعدك قال ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبنيك يا رسول الله وسعدك قال هل تدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا قال ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبنيك يا رسول الله وسعدك قال فهل تدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قال قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق العباد على الله ان لا يعذبهم اذ اخرجهم من ارضهم وقوله تعالى ومن كفر بعد ذلك فاؤلئك هم الفاسقون أي من خرج عن طاعتي بعد ذلك فقد خرج عن أمر ربه وكفى بذلك ذنبا عظيما فالعبادة رضى الله عنهم

لما كانوا أقوم الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأوامر الله عز وجل وأطوعهم لله وكان نصرهم بحسبهم أظهر وأكلمة الله في المشارق والمغرب وأيديهم تأييداً عظيماً وحكموا في سائر العباد والبلاد ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم ولكن قد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة وفي رواية حتى يأتي أمر الله وهم كذلك وفي رواية حتى يقاتلون الدجال وفي رواية حتى ينزل عيسى بن مريم وهم ظاهرون وكل هذه الروايات صحيحة ولا تعارض بينها (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول

لعلكم ترحبون) لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض وما أوأهم النار ولبئس المصير) يقول تعالى أمر أعباده المؤمنين بأقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين ضعفائهم وفقراءهم وان يكونوا في ذلك مطيعين للرسول صلى الله عليه وسلم أي سالكين وراه فيما به أمرهم وترك ما عندهم لعل الله يرحمهم بذلك ولا شك ان من فعل هذا ان الله سيرجعه كما قال تعالى في الآية الاخرى أولئك سيرجهم الله وقوله تعالى لا تحسبن أي لا تظن يا محمد ان الذين كفروا أي خالفوك وكذبوك معجزين في الأرض أي لا يعجزون الله بل الله قادر عليهم وسيعذبهم على ذلك أشد العذاب ولهذا قال تعالى وما أوأهم أي في الدار الآخرة النار ولبئس المصير أي لبئس المآل ما آل الكافرين وبئس القرار وبئس المهاد (يا أيها الذين آمنوا ليس تأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا

لا نارتم ان قولهم للمرأة البيضاء برهوتة (من ريك) أي كاشان منه تعالى مرسلان او اواصلان (الفرعون ومثله انهم كانوا قوما فاسقين) متجاوزين الحد في الظلم خارجين عن الطاعة أبلغ خروج والجملة تعدل لما قبلها ولما سمع موسى قول الله سبحانه هذا طلب منه سبحانه ان يقوى قلبه (قال رب اني قتلت منهم نفسا) يعني القبطي الذي وكزه ففضى عليه (فأنطاف أن يقتلون) بها (وأخي هرون هو أفصح مني لسانا) أي كلاما لانه كان في لسان موسى حبة من وضع الجرف فيه كما تقدم بيانه والنصاحة لغة الخلوص يقال فصح اللبن وأفصح فهو فصيح أي خالص من الرغوة ومنه فصح الرجل جادت لفته وأفصح تكلم بالعربية وقبل الفصح الذي ينطق والاعجم الذي لا ينطق وأما في اصطلاح أهل البيان ففصاحة الكلمة خلوصها عن تنافر الحروف والغرابية ومخالفة القياس وفصاحة الكلام خلوصه من ضعف التأليف والتعقيد (فأرسله معي رداً) النصب على الحال أي عونا و الرداء المعين من أردأه اذا أغتسه يقال فلان رده فلان اذا كان ينصره ويشد ظهره وقبل من قولهم اردى على المائة اذا زاد عليها فكان المعنى أرسله معي زيادة في تصديقي (بصدقني) بالرفع على الاستئناف وبالجزم على جواب الامر وقرأ أبي بصديقني أي فرعون وملؤه وقال ابن عباس كى بصديقني أي هرون ومعنى تصديقه موسى اعانته اياه بزيادة البيان في مظان الجدال وتقرير الحجج بتوضيحها وترتيب الشبهة وتلخيص الدلائل بلسانه والجواب عن شبهات الكفار بيانه ليثبت دعواه لان يقول له صدقت ألا ترى الى قوله هو أفصح مني وفضل النصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وباقل فيه يستويان وهذا هو الجارى مجرى التصديق كما يصدق القول بالبرهان (اني أخاف أن يكذبون) اذا لم يكن معي هرون لعدم انطلاق لساني بالحاجة (قال سنشد عضدك بأخيك) هرون وكان اذا ذك بصر أي تقوية لك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاوله الامور ولذلك يعبر عنه باليدوعن شدتها بشدة العضد فهو مجاز مرسل على طريق اطلاق السبب واردة المسبب بمرتبتين فان شدة العضد سبب مستلزم اشدة اليد وشدة الدم مستلزمة لقوة الشخص في المرتبة الثانية قال الشهاب الشد التقوية فهو اما كتابة تلويحية عن تقويته لان اليد تشد بشدة العضد والجملة تشد بشدة اليد ولا مانع من الحقيقة كما توهموا واستعارة تشامية شبه حال موسى في تقويته بأخيه

(١٥ - فتح البيان سابع) الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذ بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم) هذه الآيات الكريمة اشتملت على استئذان الاقارب بعضهم على بعض وما تقدم في أول السورة فهو استئذان

الاجانب بعضهم على بعض فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال الاول من قبل صلاة الغداة لان الناس اذ ذاك يكونون نياما في فرشهم وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة أى في وقت القبولة لان الانسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله ومن بعد صلاة العشاء لانه وقت النوم فيؤمر الخدم والاطفال ان لا يجمعوا على أهل البيت في هذه الاحوال لما يخشى من ان يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من الاعمال ولهذا قال ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن (١١٤) أى اذا دخلوا في حال غير هذه الاحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم ايهم

بحال اليد في تقويمها بالعضد ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله عضدك قرأ الجهور عضدك بفتح العين وضم الصاد وقرئ بضمها وسكون الصاد وبفتحهما (وتجعل لك اسطانا) أى حجة وبرهاناً وتسلطا وغلبة وهيبة في قلوب الاعداء (فلا يصلون اليك) بالاذى والسوء ولا يقدر ان يعلبك بالحق (باياتنا) أى تمنعان منهم باياتنا واذهبا باياتنا وقل الباء للتسم وجوابه فلا يصلون وما أضعف هذا القول وقال الاخفش وابن جرير في الكلام تقديم وتأخير أى أنتم ومن اتبعكم الغالبون باياتنا وأولى هذه الوجوه وأولها في قوله (أنتم ومن اتبعكم الغالبون) تبشير لهم ما وتقوية لقلوبهم (فلما جاءهم موسى بايات بينات) ووضح الدلالة وقد تقدم وجه اطلاق الآيات وهي جمع على العصا واليد في سورة طه وهو أن في كل منهما آيات عديدة (فالواما هذا الاصح مقترى) أى محتلق مكذوب اخلقته من قبل نفسك ثم افترته على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بحجزة من عند الله وسحر لم يفعل قبل هذا الوقت مثله (وما سمعنا بهذا) الذى جئت به من دعوى النبوة وما سمعنا بهذا السحر (في آياتنا الاولين) أى كائنا ما وقعنا فيهم (وقال موسى ربى أعلم من جاء بالهدى من عنده) يريد نفسه وانما جاء بهذه العبارة لتلايصرح لهم بما يريد من قبل أن يوضح لهم الحق والله أعلم قرئ وقال بالواو وبغيرها وكذلك هو في مصاحف أهل مكة (ومن تكون له عاقبة الدار) بالفوقية وهي أوضح من قراءتها بالتحسية على ان اسم يكون عاقبة الدار والتسديد كبر لوقوع الفصل ولانه تأنيث مجازى والمراد بالدار هنا الدنيا وعاقبتها هي الجنة وانما كانت عاقبة لها لان الدنيا خلقت مجازا وطريقا اليها أو المراد بالدار الدار الآخرة الصادقة على الجنة والنار والاضافة بمعنى في والمعنى ومن تكون له العاقبة المحيطة في الدار الآخرة (انه لا يفلح الظالمون) أى ان الشأن انهم لا يفوزون بطلب خير (وقال فرعون يا أيها الملا ما علمت لكم من اله غيرى) تمسك العين بحجر الدعوى الباطلة مغالطة لقومه منه وقد كان يعلم ان ربه الله عز وجل والظاهر انه لا يريد بالهية نفسه كونه خالقا للسموات والارض وما بينهما فان العلم بامتناع ذلك مما لا يخفى على أحد فالشك في ذلك يقتضى زوال العقل بالكلية فالخذول لعنه الله كأنه يظن ان الافلاك والكواكب كافية في اختلاف أحوال هذا العالم السفلي فلا حاجة الى اثبات صانع قال القاضي نفي علمه باله غيره دون وجوده

ولا عليهم ان رأوا شيئا من غير تلك الاحوال لانه قد أذن لهم في الهجوم ولانهم طوافون عليكم أى في الخدمة وغير ذلك ويعتبر في الطوافين ما لا يعتد في غيرهم ولهذا روى الامام مالك وأحمد بن حنبل وأهل السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الهرة انهم ليست بنجسة انها من الطوافين عليكم أو الطوافات ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشئ وكان عمل الناس بها قليلا جدا ذكر عبد الله بن عباس ذلك على الناس كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيانكم الى آخر الآية والآية التي في سورة النساء واذا حضر القسمة أولى القرى الآية والآية التي في الحجرات ان أكرمكم عند الله أتقاكم وفي لفظ له أيضا من حديث اسمعيل بن مسلم وهو ضعيف عن عمرو بن دينار عن عطاء

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال غلب الشيطان الناس على ثلاث آيات فلم يعملوا بهن يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين اذ ملكت أيانكم الى آخر الآية وروى أبو داود حدثنا ابن الصباح بن سفيان وابن عبدة وهذا حديثه أخبرنا سفيان بن عبيد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول لم يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن وانى لا أمر جاريتي هذه تستأذن على قال أبو داود وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس بأمره وقال الثوري عن موسى بن أبي عائشة سألت الشعبي ليستأذنكم الذين ملكت أيانكم قال لم تنسخ قلت فان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا ابن وهب أخبرنا سليمان بن



بلال عن عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلين سألوه عن الاستئذان في ثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن فقال ابن عباس ان الله ستر يحب الستر كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجاب في بيوتهم فرى بما فاجأ الرجل خادمه أو وولده أو يتيمه في حجره وهو على أهله فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمى الله ثم جاء الله بعد بالستور فبسط الله عليهم الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجاب فرأى الناس ان ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمروا به وهذا السناد صحيح الى ابن عباس ورواه أبو داود عن القعني عن الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو وقال (١١٥) السدي كان أناس من الصحابة رضی الله عنهم

يحبون ان يواقعوا نساءهم في هذه الساعات لغتسلوا ثم يخرجوا الى الصلاة فأمرهم الله ان يأمروا المملوكين والعلمان أن لا يدخلوا عليهم في تلك الساعات الا باذن وقال مقاتل بن حيان بلغنا والله أعلم ان رجلا من الأنصار وامرأته اسماء بنت مرشد صعدا مع النبي صلى الله عليه وسلم طعما ما جعل الناس يدخلون بغير اذن فقالت اسماء يا رسول الله ما أقبح هذا انه يدخل على المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد غلامها بغير اذن فانزل الله في ذلك يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الى آخرها وما يدل على انها محكمة لم تدسخ قوله كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ثم قال تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم يعني اذا بلغ الاطفال منكم الحلم الذين انما كانوا يستأذنون في العورات الثلاث فاذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال يعني بالنسبة الى أجاتهم وان الاحوال التي يكون الرجل على

اذ لم يكن عنده ما يقتضى الحزم بعدهم ولذلك أمر ببناء الصرح قلت هورد على الزمخشري في قوله ان المقصود بنى العلم بالاله نبي وجوده ويمكن التوجيه بان يقال الوجود وجودان وجود ذهني ووجود خارجي والمراد في كلامه الاول ولاشك انه اذا اتقى علم الانسان بشئ اتقى وجوده في ذهنه ولكن ربما كان هذا غير مراد للزمخشري لان الظاهر من كلامه الوجود الشائع عند أهل اللغة وهو الخارجي قال سراج الدين غرض صاحب الكشف ان عدم الوجود سبب اعدم العلم بالوجود في الجملة ولاشك انه كذلك فاطلاق المسبب وأريد السبب لان بينهما ملازمة كلية على انه لما كان من أقوى أسباب عدم العلم لانه المطرد جاز أن يطلق ويراد به الوجود اذ لا يشترط عند علماء هذا الفن اللزوم العقلي بل العادي والعرفي كافي أيضا وقد يقول أحد من الأعلام ذلك أي لو كان موجودا لعلمته اذا قامت قرينة وهذا استعمال شائع في عرف العرب والعجم عند العامة والخاصة كيف وكان الخذول يدعى الالهية فالظاهر انه من الكتابة لامن الجواز والمصنف انما ذكر معلومية انتفاء العلم لانتفاء الوجود ليس ان انتفاء العلم من روادف انتفاء الوجود انتهى قال الشوكاني وهو الذي خطر بيالي انه الجواب لكنه عارض ذلك الخاطر اشكالات لا يتسع لها المقام انتهى وقد أشار أبو السعود في تفسيره الى الجواب عن هذا الاشكال فقال وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقيق معلوماتها فيلزم من انتفاءها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية انتهى وقد وافق على هذا القاضي ولاشك عن هذا جوابان الاول انه ذكر في العلم وأراد نفي المعلوم بطريق الكتابة على الوجه الذي ذكره السراج الثاني تخصيص العلم بالفعل لا الانفعالي كما ذكره أبو السعود والبيضاوي والثالث ان يراد بالوجود الوجود في ذهن المتكلم تلك الكلمة وفي كل جواب من هذه الاجوبة كلام لا يلتبس على العالم بالفن قال الخفاجي وعلى كل حال فكلام القانبي لا يخلو عن ضعف والذي عرفه فيه كلام صاحب الاتصاف انتهى قال ابن عباس لما قال فرعون هذا القول قال جبريل يارب طغي عبدك فأذن لي في هلكة فقال يا جبريل بل هو عبدى ولن يسبقنى له أجل يحيى ذلك الاجل فلما قال انار بكم الاعلى قال الله يا جبريل سبقت دعوتك في عبدى وقد جاء وان هلاكه وأخرج ابن مردويه عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمتان قالهما فرعون ما علمت لكم من اله غيرى وقوله انار بكم الاعلى قال

امرأته وان لم يكن في الاحوال الثلاث قال الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير اذا كان الغلام رباعيا فانه يستأذن في العورات الثلاث على أبوابه فاذا بلغ الحلم فليستأذن على كل حال وهكذا قال سعيد بن جبير وقال في قوله كما استأذن الذين من قبلهم يعني كما استأذن الكار من ولد الرجل وأقاربه وقوله والقوا عدم من النساء قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والخصالك وقتادة هن اللواتي انقطع عنهن الحيض وينسن من الولد اللاتي لا يرجون نكاحا أي لم يبق لهن تشوف الى التزوج فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة أي ليس عليهن من الحجر في التستر كما على غيرهن من النساء قال أبو داود حدثنا أحمد بن محمد المرزوي حدثني علي بن

الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النخعي عن عكرمة عن ابن عباس وقل للمؤمنات بغضضن من أبصارهن الآية واستثنى من ذلك القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا الآية قال ابن مسعود في قوله فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن قال الجلباب أو الرداء وكذا روى عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبيرة وأبي الشعثاء وإبراهيم النخعي والحسن وقادة والزهري والاوزاعي وغيرهم وقال أبو صالح تضع الجلباب وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والخمار وقال سعيد بن جبيرة وغيره في قراءة عبد الله بن مسعود ان يضعن من (١١٦) ثيابهن وهو الجلباب من فوق الخمار فلا بأس ان يضعن عند غريب

أو غيره بعد أن يكون عليها خمار صفيق وقال سعيد بن جبيرة في الآية غير متبرجات بزينة يقول لا يتبرجن بوضع الجلباب ليري ما عليهن من الزينة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبد الله حدثنا ابن المبارك حدثني سوار بن ميمون حدثنا طلحة بنت عاصم عن أم الضياء انها قالت دخلت على عائشة رضيت الله عنها فقلت يا أم المؤمنين ما تقولين في الجلباب والتفاض والصباغ والقرطين والخلل والذخايم الذهب وثياب رفاق فقالت يا معشر النساء قستكن كلها واحدة أحل الله لكن الزينة غير متبرجات أي لا يحمل لكن أن يروا منكم محرما وقال السدي كان شريك لي يقال له مسلم وكان موليا لامرأة حذيفة بن اليمان فجاهد يوما إلى السوق وأثر الحناء في يده فسألته عن ذلك فأخبرني انه خضب رأس مولاته وهي امرأة حذيفة فأنكرت ذلك فقال ان شئت أدخلت عليك فقلت نعم فأدخلني عليها فاذا هي امرأة جليلة فقلت لها ان مسلما حدثني

كان بينهما أربعون عاما فأخذ الله نكاح الآخرة والاولى ثم رجع إلى تكبيره وتكبيره وإيهام قومه بكل اقتداره فقال (فأوقد لي يا هامان على الطين) أي اطبخ لي الطين حتى يصير آجرا أي بعد انخازه لنا عن قتادة قال بلغني ان فرعون أول من طبخ الآجر وبنى بدو عن ابن جرير نحوه والنداء ينافي في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر (فاجعل لي) من هذا الطين الذي تود عليه حتى يصير آجرا (صراحا) أي قصر اعاليها وقيل منارة روى ان هامان بنى صرحا لم يبلغه بناء أحد من الخلق وأراد الله أن يفتنهم فيه فضرب الصرح جبيرة بل يجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون وقطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله الا هلك (لعلني أطلع إلى الله موسى) أي اصعد الله وانظر وأقف على حاله كأنه توهم انه لو كان هناك الله كان جسماني السماء يمكن الرقي إليه والاطلاع الصعود والاطلاع واحد يقال طلع الجبل واطلع أي صعد (واني) لاطنه أي موسى (من الكاذبين) في دعواهم ان الارض والخلق الهاسوا وانه أرسله (واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق) المراد بها أرض مصر والاسم تكبر والتعظيم بغير استحقاق بل بالعدوان لانهم لم تكن له حجة يدفع بها ما جاء به موسى ولا شبهة ينصبها في مقابلة ما أظهره من المعجزات (وظنوا) أي فرعون وجنوده (انهم ينالون رجوعون) قرئ مبنيا للمفعول وللفاعل والمراد بالرجوع البعث والمعاد (فأخذناه وخنوده) بعد أن عتوا في الكفر وجاوزوا الحد فيه (فسدناهم في اليم) أي طرحناهم في البحر المالح وهو انقزم وفي هذا تفخيم وتعظيم لسأن الاخذ واستحقاق المأخوذين كأنه اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم وقد تقدم بيان الكلام في هذا (فانظر) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (كيف كان عاقبة الظالمين) حين صاروا إلى الهلاك (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) أي صيرناهم رؤساء متبعين في الكافرين فكانهم باصرارهم على الكفر والتأدي فيه ودعائهم إلى الشرك يدعون اتباعهم إلى النار لانهم اقتدوا بهم وسلكوا طريقهم تقليدا لهم وفيه دليل على خلق افعال العباد وقيل المعنى انه ياتهم بهم أي يعتبر بهم من جاء بعدهم ويتعظبا بصيوابه والاول أولى (ويوم القيامة لا ينصرون) أي لا ينصرونهم أحد ولا يمنعهم مانع من عذاب الله (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أي طردوا وابعادوا وأمرنا العباد بلعنهم فكل من ذكرهم لعنهم والاول أولى وفي أبي السعود أي لا تزال تلعنهم

انه خضب رأسك فقالت نعم يا بني اني من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحا وقد قال الله تعالى في ذلك ما سمعت وقوله وان يستغفن خير لهن أي وترك وضعهن لثيابهن وان كان جائزا خير وأفضل لهن والله سمع عليهم (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أخوانكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتيحه أو صدقكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا وأهنتا فاذا دخلتم بيوتا فسلوا على أنفسكم تحية من

الملائكة

عند الله مباركة طيبة كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) اختلف المفسرون رحهم الله في المعنى الذي رفع لاجله الحرج عن الاعشى والاعرج والمريض ههنا فقال عطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقال انها نزلت في الجهاد ووجهه لولا هذه الآية ههنا كالتي في سورة الفتح وتلك في الجهاد لا محالة أي انهم لا اثم عليهم في ترك الجهاد لضعفهم وعجزهم وكما قال تعالى في سورة براءة ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا اجد (١١٧) ما اجدكم عليه الى قوله ان لا يجدوا

ما ينفقون وقيل المراد ههنا انهم كانوا يتحرجون من الاكل مع الاعشى لانه لا يرى الطعام وما فيه من الطيبات فربما سبقه غيره الى ذلك ولا مع الاعرج لانه لا يتمكن من الجلوس فيفتات عليه جليسه والمريض لا يستوفي من الطعام كغيره فكرهوا ان يؤاكلوهم لئلا يظلموهم فانزل الله هذه الآية رخصة في ذلك وهذا قول سعيد بن جبير ومقسم وقال الضحاك كانوا قبل المبعث يتحرجون من الاكل مع هؤلاء فقذروا ونعززا ولئلا يفضلا عليهم فانزل الله هذه الآية وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر بن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ليس على الاعشى حرج الآية قال كان الرجل يذهب بالاعشى أو بالاعرج أو بالمريض الى بيت أبيه أو أخيه أو بيت أخته أو بيت عمته أو بيت خالته فكان الزمنى يتحرجون من ذلك يقولون انما يذهبون بنا الى بيوت غيرهم فنزلت هذه الآية رخصة لهم وقال السدي كان الرجل يدخل بيت أبيه أو أخيه أو ابنته فتحنه المرأة بشئ

الملائكة والمؤمنون خلفا عن سلف (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المبعدين والمقبوح المطرود المبعد وقال أبو عبيدة وابن كيسان معناه من المهالكين المقوتين وقال أبو زيد قبح الله فلانا قبحا وقبوحا بعده من كل خير قال أبو عمرو وقبحت وجهه بالتخفيف بمعنى قبحت بالتشديد وقيل المقبوح المشوه الخلقة أي فهم من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه والقبح أيضا عظيم الساعد مما يلي النصف منه الى المرفق والعاقل في يوم محذوف يفسره من المقبوحين أي وقبحوا يوم القيامة وهو الأظهر أو هو معطوف على موضع في هذه الدنيا أي وأتبعناهم لعنة يوم القيامة أو معطوف على لعنة على حذف مضاف أي ولعنة يوم القيامة والوجه الثاني أظهر (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (من بعدما أهلكنا القرون الاولى) أي قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وقيل من بعدما هلك فرعون وقومه وخسفنا بقارون والتعرض لتكون آيات التوراة بعد اهلاك الامم الماضية للشعار عيسى الحاجة الداعية اليها تهديد المابعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن على رسول الله فان اهلاكت القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانظمة ماس آثارها وأحكامها المؤديين الى اخلال نظام العالم المستدعين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على عمدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالفة الموجبة كانه قيل ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة اليها أخرج البراء بن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أهلك الله قوما ولا قريانا ولا أمة ولا أهل قرية بعد ذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الارض غير القرية التي مسخت قردة ثم ترائى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى وروى عنه موقوفا (بصائر للناس) أي آتينا الكتاب لاجل أن تبصر الناس به أو حال كونه بصائر لهم يبصرون به الحق والبصائر جمع بصيرة وهي نور القلب كما ان البصر نور العين (وهدى) يهتدون اليه ويتقدون أنفسهم به من الضلالة بالاهتداء به (ورحمة) من الله رحمتها (اعلمهم بتدكرون) هذه النعم فيشكرون الله ويؤمنون به ويحبسون داعية الى ما فيه خير لهم ويتعظون بما فيه من المواظ (وما كنت بجانب الغربي) هذا شروع في بيان انزال القرآن واقع في بيان شدة

من الطعام فلا يأكل من أجل ان رب البيت ليس ثم فقال الله تعالى ليس على الاعشى حرج الآية وقوله تعالى ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم انما ذكر هذا او عوم لم يعلم اعطف عليه غيره في اللفظ وليس اياه ما بعده في الحكم ونقض هذا بيوت الالباء لانه لم ينص عليهم ولهذا استدل به من ذهب الى ان ماني الولد بمنزلة مال أبيه وقد جاء في المسند والسنن من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أنت ومالك لبيتك وقوله أو بيوت آبائكم أو بيوت امهاتكم الى قوله أو ممتلككم مناقحه هذا ظاهر وقد يستدل به من يوجب نفقة الاقارب بعضهم على بعض كما هو مدعى أبي حنيفة والامام أحمد بن حنبل في المشهور عنهم وأما قوله

أواماملكم مفاطحه فقال سعيد بن جبيرة والسدي هو خادم الرجل من عبدوفهرمان فلا بأس ان يأكل مما استودعه من الطعام بالمعروف وقال الزهري عن عمروة عن عائشة رضی الله عنها قالت كان المسلمون يرغبون في النذر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدفعون مضافاتهم الى ضمنائهم ويقولون قد أحلنا لكم ان تأكلوا مما احتجتم اليه فكانوا يقولون انه لا يحل لنا ان نأكل منهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم وانما نحن آمناء فأمرنا الله أواماملكم مفاطحه وقوله أو صدقكم أي بيوت أصدقاؤكم وأصحابكم فلا جناح عليكم في الأكل منها اذا علمتم (١١٨) ان ذلك لا يشق عليهم ولا يكرهون ذلك وقال قتادة اذا دخلت بيت

الحاجة اليه أي وما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي وهو المكان الواقع في شق الغرب فيكون من باب حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه واختاره الزجاج وقال الكلبي بجانب الوادي الغربي أي حيث نأجي موسى ربه (اذ قضينا الى موسى الامر) أي عهدنا اليه وكلفناه وأحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون وقومه (وما كنت من الشاهدين) اذ ذلك حتى تقف على حقيقته وتحكيه من جهة نفسك وقيل معنى اذ قضينا الى موسى الامر اذ كفناه وأرسلناه وقيل أخبرناه ان أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خير الامم ولا يستلزم نفي كونه بجانب الغربي نفي كونه من الشاهدين لانه يجوز ان يحضر ولا يشهد قبل المراد بالشاهدين السبعون الذين اختارهم موسى للميعات واذ انقرأ ان الوقوف على تفاصيل تلك الاحوال لا يمكن ان يكون بالحضور عندها من نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمشاهدة لها منه واتى بالدلة الصحيحة انه لم يلق ذلك من غيره من البشر ولا علم معلم منهم كما قدمنا تقريره تبين انه من عند الله سبحانه بوحى منه الى رسوله بواسطة الملك النازل بذلك فهذا الكلام هو على طريقة وما كنت لديهم اذ يلقون أفعالهم أيهم يكفل مريم (ولكانا نشأنا قرونا) أي خلقنا أعماما بين زمانك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووزمان موسى (فتناول عليهم العمر) أي طالت عليهم المهلة وتمادى عليهم الامد وفترت النبوة وكانت الاخبار تخفى فتغيرت الشرائع والاحكام وتنوسيت الاديان واندرست العلوم ووقع التجرىف في كثير منها فتركوا أمر الله ونسوا عهده فاقترضت الحكمة التشريع الجديد فثبتنا برك رسولا وأوحينا اليك خبر موسى وغيره ليكون معجزة للتذكير القويم ومثله قوله سبحانه فطال عليهم الامد فقتت قلوبهم وقد استدل بهذا الكلام على ان الله سبحانه قد عهد الى موسى عهدا في محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي الايمان به فلطال عليهم العمر ومضت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها (وما كنت ناويا في أهل مدين) أي مقبلا بينهم كما أقام موسى حتى تقرأ على أهل مكة خبرهم وتقص عليهم من جهة نفسك يقال نوى نوايا ونوايا فهو نوايا ونوايا ومن المعلوم ان واقعة مدين كانت قبل واقعة الطور فقطضى الترتيب الوقوعي ان تقدم عليهم ما وانما وسط بينهما للتنبية على ان كلامهما برهان مستعمل على ان اخباره صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه القصص بطريق الوحي الالهى ولوروى الترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل

صديقك فلا بأس ان تأكل بغير اذنه وقوله ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية وذلك لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قال المسلمون ان الله قد هدانا ان نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام من أفضل الاموال فلا يحل لاحد منا ان يأكل عند احد فكف الناس عن ذلك فانزل الله ليس على الاعمى حرج الى قوله أو صدقكم وكانوا أيضا يتفرون ويخرجون ان يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم في ذلك فقال ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا وقال قتادة وكان هذا الحى من بنى كنانة يرى أحدهم ان مخزاة عليه ان يأكل وحده في الجاهلية حتى ان كان الرجل يسوق الذود الحفل وهو جائع حتى يجد من يؤاكله ويشاربه فانزل الله ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا فهذه رخصة من الله تعالى في ان يأكل الرجل وحده ومع

الجماعة وان كان الاكل مع الجماعة أفضل وأبرك كما رواه الامام احمد حدثنا يزيد بن عبدربه حدثنا الوليد دليل ابن مسلم عن وحش بن حرب عن أبيه عن جده ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا نأكل ولا نشبع قال لعلمكم تأكلون متفرقين اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم به وقد روى ابن ماجه أيضا من حديث عمرو بن دينار القهرماني عن سالم عن أبيه عن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كلوا جميعا ولا تفرقوا فان البركة مع الجماعة وقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال سعيد بن جبيرة والحسن البصرى وقتادة والزهري

يعني فليسلم بعضهم على بعض وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير سمعت جابر بن عبد الله يقول اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم بحجة من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيت الا البركة قال ابن جريج وأخبرني زياد عن ابن طاوس انه كان يقول اذا دخل أحدكم بيته فليسلم قال ابن جريج قلت لعطاء أو واجب اذا خرجت ثم دخلت ان أسلم عليهم قال لا ولا أوثر وجوبه عن أحد ولكن هو أحب الي وما أدعه الاناسيا وقال مجاهد اذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله واذا دخلت على أهلك فسلم عليهم واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وروى (١١٩) الثوري عن عبد الكريم الجزري عن

مجاهد اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل بسم الله والحمد لله السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال قتادة اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانه كان يؤمر بذلك وحدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال الحافظ أبو بكر البرار حدثنا محمد بن المنفي حدثنا عويد عن أبي عمران الجولاني عن أبيه عن انس قال أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم بحمس خصال قال يا انس أسبغ الوضوء يزدني عرك وسلم على من لقيك من أمتي تكبر حسنتك واذا دخلت بعني بيتك فسلم على أهلك بكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الاوابين قبلك يا انس ارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة وقوله تحية من عند الله مباركة طيبة قال محمد بن اسحق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يقول ما أخذت التشهد الا من كتاب الله

دليل واحد على ما ذكر (تلاو عليهم) أي تقرأ على أهل مدین (آياتنا) وتعلم منهم وقيل تذکرهم بالوعود والوعيد وقيل الضمير لاهل مكة والمعنى عليه واضح وأكثر المفسرين على الوجه الاول والجملة في محل نصب على الحال أو خبر ثان ويجوز ان تكون هذه الجملة هي الخبر وثانوا واحل وجعلها الفراء مستأنفة كانه قبيل وهما أنت تلاو على أمتك (ولأنك كما مرسلين) أي أرسلناك الى أهل مكة وأرسلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها قال الزجاج المعنى انك لم تشاهد قصص الانبياء ولا تليت عليك ولدك أو حينها اليك وقصصنا عليك (وما كنت) يا محمد (بجانب الطور) أي بجانب الجبل المسمى بالطور (اذ نادينا) موسى لما أتى الى الميقات مع السبعين ان أخذ الكتاب بقوة وبين الارسال وايتاء التوراة نحو من ثلاثين سنة وقيل المنادى هو أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال وهب وذلك ان موسى لما ذكر الله له فضل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأتمه قال يا رب أرزنيهم فقال الله انك لن تدركهم وان شئت ناديتهم فاسمعتك صوتهم قال بلى يا رب فقال الله يا أمة محمد فأجابوا من أصلاب آبائهم فيكون معنى الآية على هذا ما كنت يا محمد بجانب الطور اذ كنا موسى فنادينا أمتك وسأني ما يدل على هذا ويقويه ويرجموه عن أبي هريرة في الآية قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل ان تسألوني واستجبت لكم قبل ان تدعوني وروى من وجه ما أخر عنه مرفوعا وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل وأبو نصر السجزي في الابانة والديلمي عن عمرو بن عبسة قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ما كان النداء وما كانت الرحمة قال كتبه الله قبل أن يخلق خلقه بأني عام ثم وضعه على عرشه ثم نادى يا أمة محمد سبقت رحتي على غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني فمن لقيني منكم بشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدي ورسولي صادقا أدخلته الجنة وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم عن حديثه في الآية قال نودوا يا أمة محمد نادعوتونا اذا استجبنا لكم ولا سألتمونا اذ أعطيتناكم وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا ان الله نادى يا أمة محمد أجبوا ربكم قال فأجابوا وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم الى يوم القيامة فقالوا البيك أنت ربنا حقا ونحن عبيدك حقا قال صدقتم أبا ربكم وأنتم عبيدى حقا قد عصوت عنكم قبل ان تدعوني وأعطيتكم قبل ان تسألوني فمن لقيني منكم بشهادة ان لا اله الا الله

سمعت الله يقول فاذا دخلت بيوت فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة فالتشهد في الصلاة التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم يدعو لنفسه ويسلم وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابن اسحق والذي في صحيح مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحثنا هذا والله أعلم وقوله كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تتقون لما ذكره الى ما في هذه السورة الكريمة من الاحكام المحكمة والشرائع المتقنة المبرمة بنه تعالى عباده على انه يبين لعباده الآيات بيانا شافيا بالتدبر وها

ويتبعوا العلم بهم يعقلون (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه من الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) وهذا أيضا أدب أرشد الله عباده المؤمنين اليه فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف لاسيما اذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات وسلامه عليه من صلاة جمعة أو عيداً أو جماعة أو اجتماع في مشورة ونحو ذلك أمرهم الله تعالى أن لا يتفرقوا عنه (١٢٠) والحالة هذه لا بعد استئذانه ومشاورته وان من يفعل ذلك فإنه من المؤمنين

الكاملين ثم أمر رسوله صلوات الله وسلامه عليه اذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له ان شاء وله هذا قال فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الآية وقد قال أبو داود حدثنا أحمد بن حنبل ومسدد قال حدثنا بشر هو ابن المفضل عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتهى أحدكم الى المجلس فليسلم فاذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عجلان به وقال الترمذي حديث حسن لا تجعبلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخافون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم قال الضحاك عن ابن عباس كانوا يتولون يا محمد يا أبا القاسم فيها هم الله عز وجل عن ذلك اعظاما لنبهه صلى الله عليه وسلم قال فقولوا يا نبي الله يا رسول الله وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وقال قتادة امر الله ان يهاب نبيه صلى الله عليه وسلم وان يبجل ويعظم وان يسود وقال اهل مقاتل في قوله لا تجعبلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا يقول لا تسموه اذ ادعوتهم يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله وقال مالك عن زيد بن أسلم في قوله لا تجعبلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال امرهم الله ان يشرفوه هذا قول وهو الظاهر من السياق كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا الى آخر الآية وقوله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون

دخول الجنة (ولكن رحمة من ربك) أي ولكن فعلنا ذلك رحمة منا لكم وقيل ولكن أرسلنا بالقرآن رحمة لكم وقيل علمناك وقيل عرفناك قال الاخفش ولكن رحمتك رحمة وقال الزجاج أي فعلنا ذلك لك لاجل الرحمة وقال الكسائي ولكن كان ذلك رحمة وقرئ رحمة بالرفع أي ولكن أنت رحمة (لتسذروا ما آتاهم من نذير من قبلك) والقوم هم أهل مكة فإنه لم يأتهم نذير ينذرهم قبله صلى الله عليه وآله وسلم في زمان الفترة بينه وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة أو بينه وبين اسمعيل بناء على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة بنبي اسرائيل (لعلهم يتذكرون) أي يتعظون بالذاتك (ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم) لولا هذه هي الامتناعية وان وما في حيزها في موضع رفع بالابتداء أي ولولا اصابة المصيبة لهم وجوابها محذوف قال الزجاج تقديره ما أرسلنا اليهم رسلا يعني ان الحامل على ارسال الرسل اليهم هو اراحة عاقلهم فهو كقوله سبحانه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقدره ان عطية لعاجلناهم بالعقوبة وافقه على هذا التقدير الواحدى فقال والمعنى لولا انهم لم يحتجوا بتلك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة يكفرهم قال السمين ولا معنى لهذا (فيقولوا) القاء للسببية (ربنا لولا أرسلت النار سولا) لولا هذه هي التخصيضية أي هلا أرسلت رسولا من عندك وجوابها قوله (فتتبع آياتك) فلذلك نصب باضمار أن أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهالك في الفترة يقول رب لم يأتني كتاب ولا رسول ثم قرأ هذه الآية والمراد بالآيات الآيات التزلية الظاهرة الواضحة وانما عطف القول على تصيهم لكونه هو السبب للارسال ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها هي السبب للارسال بواسطة القول قاله في الكشاف وأطال سليمان الجبل في بيان ذلك وذكر عبارة السمين والشهاب وغيرهما وقال أبو السعود لولا قولهم هذا عند اصابة العقوبة لهم بسبب جناباتهم ما أرسلناك ولكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محذور أرسلناك قطعاً لاعتذارهم بالكافة (ونكون من المؤمنين) بهذه الآيات ومعنى الآية انالوعذبناهم لقالوا اطال العهد بالرسول ولم يرسل الله النار سولا ويظنون ان ذلك عذر لهم ولا عذر لهم بعد ان بلغتهم أخبار الرسل ولا كما أكلمنا الحجة وأزحنا العلة وأعمنا البيان بارسالك يا محمد اليهم (فلما جاءهم الحق من عندنا) أي فلما جاء

مجاهد وسعيد بن جبيرة وقال قتادة امر الله ان يهاب نبيه صلى الله عليه وسلم وان يبجل ويعظم وان يسود وقال اهل مقاتل في قوله لا تجعبلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا يقول لا تسموه اذ ادعوتهم يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله وقال مالك عن زيد بن أسلم في قوله لا تجعبلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال امرهم الله ان يشرفوه هذا قول وهو الظاهر من السياق كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا الى آخر الآية وقوله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون

الى قوله ان الذين نادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى نخرج اليهم لكان خيرا لهم الآية فهذا كله من باب الادب في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم والكلام معه وعنده كما امر وابتدع الصدقة قبل مناجاته والقول الثاني في ذلك ان المعنى في لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا أي لا تعتقدوا ان دعاءه على غيره كدعاء غيره فان دعاءه مستجاب فاحذروا ان يدعوا عليكم فتملكوا احكامه ابن ابي حاتم عن ابن عباس والحسن البصري وعطية العوفي والله أعلم وقوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذ قال مقاتل بن حيان هم المنافقون كان يشق عليهم (١٢١) الحديث في يوم الجمعة ويعني بالحديث

الخطبة فيسألون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى يخرجوا من المسجد وكان لا يصلح للرجل ان يخرج من المسجد الا باذن من النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة بعد ما يأخذ في الخطبة وكان اذا أراد احدى خروج أشار بأصبعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فيأذن له من غير ان يتكلم الرجل لان الرجل منهم كان اذا تكلم والنبي صلى الله عليه وسلم بخطب بطلت جمعة وقال السدي كانوا اذا كانوا في جماعة لاذ بعضهم ببعض حتى يتغيبوا عنه فلا يراهم وقال قتادة في قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذ اعني لو اذ اعني نبي الله وعن كبايه وقال سفيان قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذ قال من الصف وقال مجاهد في الآية لو اذ قال خلافا وقوله فليحذر الذين يخافون عن أمره أي عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيده ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الاقوال والاعمال بأقواله وأعماله فموافق ذلك قبل

أهل مكة الحق من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما أنزل عليه من القرآن (قالوا) تعنتا منهم وجد الاباطيل (لولا) هلا (أوتى) هذا الرسول (مثل ما أوتى موسى) من الآيات كاليد والعصا وغيرهما والتوراة المنزلة عليه جملة واحدة فأجاب الله عليهم بقوله (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل هذا القول أو من قبل ظهور محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى انهم قد كثروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد حيث (قالوا ساحران تظاهروا) مستأنفة مسوقة لتقرير كفرهم وعنادهم والمراد به ما موسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم والتظاهر التعاون أي تعاونا على السحر والضمير في أول يكفروا الكفار قريش وقيل هولاء ودوا الاول أولى فان اليهود لا يصنفون موسى بالسحر انما يصنفوه بذلك كفار قريش وأمثالهم الا أن يراد من أن ذكر نبوة موسى كفرعون وقومه فانهم وصفوا موسى وهرون بالسحر ولكنهم ليسوا من اليهود ويمكن أن يكون الضمير لمن كفر عيسى ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فان الذين كفروا بعيسى وصفوه بالسحر والذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وصفوه أيضا بالسحر وقيل المعنى أولم يكفروا اليه وفي عصر محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما أوتى موسى من قبله بالبيشارة بعيسى ومحمد قرأ الجهور ساحران وقرأ الكوفيون سحران يعنون التوراة والقرآن وقيل الانجيل والقرآن قال بالاول الفراء وقال بالثاني أبو زيد وقيل ان الضمير في أولم يكفروا لليهود وانهم عنوان بقولهم ساحران عيسى ومحمد عليهم ما الصلاة والسلام وقال ابن عباس في الآية هم أهل الكتاب (وقالوا انا بكل كافرين) يعني بكل من موسى ومحمد أو من موسى وهرون أو من موسى وعيسى أو من عيسى ومحمد أو بكل من التوراة والانجيل والفرقان على اختلاف الاقوال وفي هذه الجملة تقرير لما تقدمها من وصف النبيين بالسحر أو من وصف الكتابين به وتأكد لذلك ثم أمر الله سبحانه نبيه أن يقول لهم قول لا يظهر به عجزهم فقال (قل) لهم يا محمد اذالم تؤمنوا بهذين الكتابين وقلتم فيهما ما قلتم (فأنا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) أي من التوراة والقرآن وأوضح وأبين في هداية الخلق (أتبعه) جواب الامر وقد جرت بهجور القراء لذلك وقرئ بالرفع على الاستئناف أي فان أتبعه فأتبعه وقال الفراء انه على هذه القراءة صفة الكتاب وفي هذا الكلام تهكم بهم وفيه أيضا دليل على أن قراءة الكوفيين أقوى من قراءة الجهور لانه يرجع الكلام الى الكتابين

(١٦ - فتح البيان سابع) وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كما تبين من كان كما تبين في الصحاح وغيره ما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا وظاهرا ان تصيبهم فتنة أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو يصيبهم عذاب أليم أي في الدنيا بقتل أو جسد أو نحو ذلك كما روى الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ومن خلفي مني ومن خلفي مني مني استوقد نار فلما أضاءت ما حوله جعل الفرائس وهي هذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها

وجعل يحجزهن ويغلبهن فيقتطمن فيها قال فذلك مثلي ومثلكم أنا أخذ يحجزكم عن النار فتغلبوني وتقتطمون فيها أخرجاه من حديث عبد الرزاق (ألا ان الله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه يوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم) يحجز بر تعالى انه ملك السموات والارض وانه عالم الغيب والشهادة وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجهرهم فقال قد يعلم ما أنتم عليه وقد للتحقيق كما قال قبلها قد يعلم الله الذين يسألون منكم لو اذا وقال تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم الآية وقال تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك الآية وقال (١٢٢) قد تعلم انه يحجزك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن

الظالمين بآيات الله يحجدون وقال قد نرى تقلب وجهك في السماء الآية فكل هذه الآيات فيها تحقيق الفعل بقدم قول المؤذن تحقيقا وثبوتا قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة فقال تعالى قد يعلم ما أنتم عليه أي هو عالم به مشاهد له لا يعزب عنه مثقال ذرة كما قال تعالى وتوكل على العزيز الرحيم الى قوله انه هو السميع العليم وقوله وما تكون في شأن وما تلوم منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تنفصون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين وقال تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أي هو شهيد على عباده بما هم فاعلون من خير وشر وقال تعالى ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون وقال تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به الآية وقال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين

لا الى الرسولين (ان كنتم صادقين) فيما وصفتهم به الرسولين أو الكتابين (فان لم يستجيبوا لك) أي لم يفعلوا ما كلفوا به من الاتيان بكتاب هو أهدي من الكتابين وهذا كقوله فان لم تنه لو او قيل المعنى فان لم يستجيبوا لك بالايمان بما جئت به وتعدية يستجيبوا باللام هو أحد الجائزين وجواب الشرط (فاعلم انما يتبعون أهواءهم) أي آراءهم الزائفة واستصاناتهم الزائفة بلا حجة ولا برهان وأما أداه حصر أي انهم ليس لهم مستند في ذلك ومقتضى تتسكون به وانما لهم محض هواهم الفاسد (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) الاستفهام انكارى بمعنى النفي أي لا أحد أضل منه بل هو الفرد الكامل في الضلال (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) لانفسهم بالكفر وتكذيب الانبياء والاعراض عن آيات الله (واقدم وصلناهم القول) قرئ بتشديد الصاد وتخفيفها ومعنى الآية اتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل التذكير وفي النظم لتقرر الدعوة بالحجة والموعظ بالمواعيد والنصائح بالعبور وبعثنا رسولا بعد رسول وقال أبو عبيدة والاختصاص معناه أتمنا وقال ابن عيينة والسدى يينا وقال ابن زيد وصلناهم خيرا الدنيا بخير الآخرة حتى كانوا عاينوا الآخرة في الدنيا والاول أولى وهو مأخوذ من وصل الحبال بعضها ببعض وقال مجاهد جعلناه أوصلا أي أنواعا من المعاني والضمير في لهم عائدا الى قريش وقيل الى اليهود وقيل للجميع (لعلهم يتذكرون) فيكون التذكير سببا لايمانهم مخافة أن ينزل بهم ما نزل عن قبلهم (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل القرآن وقيل من قبل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (هم به) أي بالقرآن أو بحمد صلى الله عليه وآله وسلم (يؤمنون) أخبر سبحانه ان طائفة من بني اسرائيل آمنوا بالقرآن كعبدا لله ابن سلام وسائر من أسلم من أهل الكتاب قيل نزات في عمانين أربعون من نجران واثمان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام وقال ابن عباس يعني من آمن بحمد صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب والاول أولى (واذ أتيت) أي القرآن (عليهم قالوا آمنابه) أي صدقنا به (انه الحق) الذي نعرفه المنزل (من ربنا) استئناف لبيان ما أوجب ايمانهم به (انا كامن قبله مسلمين) أي مخلصين لله بالتوحيد أو مؤمنين بحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به لما نعلمه من ذكره في التوراة والانجيل من التبشير به وانه سيبعث آخر الزمان وينزل عليه القرآن (أو لك) أي الموصوفون بتلك الصفات (يؤمنون) أجرهم

مرتين

وقال وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين والآيات والاحاديث في هذه كثيرة جدا وقوله يوم يرجعون اليه أي يوم يرجع الخلائق الى الله وهو يوم القيامة فينبئهم بما عملوا أي يخبرهم بما فعلوا في الدنيا من جليل وحقيق وصدحير وكبير كما قال تعالى يبا الانسان يومئذ بما قدم وأخر وقال ووضع الكتاب قترى الجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا مما عملوا حاضرا ولا ينظرون الا بك أبدا ولهذا قال ههنا يوم يرجعون اليه فينبئهم



جماعاً ولو الله بكل شيء عليم والحمد لله رب العالمين ونسأله التمام آخر تفسير سورة النور والله الحمد والمنة

\* (تفسير سورة الفرقان مكية) \* (بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً) يقول تعالى حامداً لنفسه الكريمة على ما نزله على رسوله الكريم من القرآن العظيم كما قال تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً فيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات الآية (١٢٣) وقال ههنا تبارك وهو تفاعل من البركة

المستقرة الناسبة الدائمة الذي نزل الفرقان نزل فعلم من التكرار والتكثر كقوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل لان الكتب المتقدمة كانت قبل نزل جملة واحدة والقرآن نزل متتبعاً مفرداً متصلاً آيات بعد آيات وأحكاماً بعد أحكام وسوراً بعد سور وهذا أشد وأبلغ وأشد اعتناءً بمن أنزل عليه كما قال في أثناء هذه السورة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن لجهلوا واحدة كذلك تثبت به فؤادك ورتلتناه ترتيلاً ولا يأتونك بمنزل الاجتنانك بالحق واحسن تنسير ولهذا سماه ههنا الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والغى والرشاد والحلال والحرام وقوله على عبده هذه صفة مدح وثناء لانه أضافه الى عبوديته كما وصفه بها في أشرف أحواله وهي اسمها الاسراء فقال سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة اليه وانه لما قام عبداً الله يدعو كادوا يكونون عليه لبيداً وكذلك وصفه عند انزال

مرتين) بايمانهم بالكتابين منصوب على المصدر قال ابن عباس نزلت في عشرة رهط أنا أحدهم أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بالكتاب الاول والآخرورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعقبها وتزوجها وعبدهم أولاً أحسن عبادته ربه ووصح لسيده (بصبروا) أي بسبب صبرهم وثباتهم على الايمان بالكتاب الاول والكتاب الآخر وبالنبي الاول والنبي الآخر أو بالعمل بهما أو على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ومن عاداهم من أهل دينهم (ويدرون بالحسنة السيئة) الدرء الدفع أي يدفعون بالاحتمال والكلام الحسن ما يلاقونه من الأذى وقيل يدفعون بالطاعة المعصية وقيل بالتوبة والاستغفار الذنوب وقيل بالحلم الأذى وقيل بشهادة أن لا اله الا الله الشرك (ومما رزقناهم ينفقون) أي ينفقون أموالهم في الطاعات وفيما أمر به الشرع ثم مدحهم سبحانه بأعراضهم عن الغرور فقال (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) تكمروا وتزهاوا وتأدبا بأداب الشرع ومنه قوله سبحانه واذا مروا باللغو مروا كراماً واللغو هنا هو ما يسهو عنه من المشركين من الشتم لهم ولدينهم والاستهزاء بهم (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) لا يلحقنا من ضرركم شيء ولا يلحقكم من نفع ايماننا شيء (سلام عليكم) ليس المراد بهذا السلام سلام التحية ولكن المراد به سلام المشاركة والاعراض والفرق ومعناه أمانة لكم منا وسلامة لا نجباو بكم ولا نجازيكم فيما أنتم فيه ولا تقابل لغوكم بمثله قال الزجاج وهذا قبل الأمر بالقتال (لا يتبعي الجاهلين) أي لا تطب بحببتهم ومخاطبتهم وقال مقاتل لا تريد أن تكون من أهل الجهل والسهو وقال الكلبي لا تحب دينكم الذي أنتم عليه (انك لا تهدي من أحببت) هدايته من الناس وليس ذلك اليك (ولكن الله يهدي من يشاء) هدايته (وهو أعلم) أي عالم (بالمهتدين) أي القابلين للهداية المستعدين لها أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث المسيب ومسلم وغيره من حديث أبي هريرة ان هذه الآية نزلت في أبي طالب لما امتنع من الاسلام وقد تقدم ذلك في براءة قال الزجاج أجمع المفسرون على انها نزلت في أبي طالب وقد تقرر في الاصول ان الاعتبار بعامة موم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل في ذلك أبو طالب دخولاً أولاً والآية حجة على المعتزلة

الكتاب عليه ونزول الملك اليه فقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً وقوله ليكون للعالمين نذيراً أي انما خصه بهذا الكتاب المفصل العظيم المبين المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي جعله فرقانا عظيماً ينصه بالرسالة الى من يستنزل بالخضراء ويستقل على الغبراء كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود وقال اني أعطيت خصالاً يعطهن أحد من الانبياء قبلي فذكرتمهن انه كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة كما قال تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الآية أي الذي أرسلني هو مالك السموات والارض الذي يقول للشيء كن فيكون

وهو الذي يحيى ويميت وهكذا قال ههنا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ونزه نفسه عن الولد وعن الشريك ثم اخبر انه خلق كل شئ فقدره تقديرا أى كل شئ مما سواه مخلوق من بوب وهو خالق كل شئ وربّه ومليكه والهـ وكل شئ تحت قهره وتدبيره وتسخيره وتقديره (وأخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله الخالق لكل شئ المالك لازمة الامور (١٢٤) الذي ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ومع هذا عبدوا معه من الاصنام

مالا يتدر على خلق جناح بعوضة بل هم مخلوقون لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف يملكون لعبادهم ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا أى ليس لهم من ذلك شئ بل ذلك كله مرجعه الى الله عز وجل الذي هو يحيى ويميت وهو الذى يعيد الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم ما خلقكم ولا بعنكم الا كنفس واحدة كقوله وما أمرنا الا واحدة ككلمة بالبصر وقوله فانها هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة فانها هي زجرة واحدة فاذا هم يتظرون ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فهو الذى لا اله غيره ولا رب سواه ولا تنبغى العبادة الا له لانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو الذى لا ولد له ولا والد ولا عدل ولا بديل ولا وزير ولا نظير بل هو الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (وقال الذين كفروا ان هذا الافلك افتراه وأعاناه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظالموا زورا وقالوا أساطير الاولين اكتبها فهى على عليه بكرة وأصيل لا قل أنزله الذى

لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يتدوا بسوء اختيارهم فدل ان وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا ان تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا) أى قال مشركو قريش ومن تابعهم ان ندخل في دينك ونعمل به يا محمد يتخطفنا العرب من مكة وتتزعق منها بسرعة ولا طاقة لنا بهم وهذا من جله اعداؤهم الباطلة وتعللاتهم العاطلة والتخطف فى الاصل هو الاتزاع بسرعة وقرئ تتخطف بالجزم على جواب الامر وبالرفع على الاستئناف ثم رد الله ذلك عليهم ردا مصدرا باستفهام التوبيخ والتقرير وألقمهم الحجر فقال (أولم نعلم انهم حراما آمننا) أى ألم نجعل لهم حراما ذمنا أو مؤمنا يؤمن من دخله قال أبو البقاء عداه بنفسه لانه جمعنى جعل كما صرح بذلك في قوله أولم يروا انا جعلنا حراما آمننا ومكن متعدي بنفسه من غير ان يضمن معنى جعل كقوله مكناهم فيمان مكناكم فيه واسناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز عقلى ومن المعروف انه كان تأمن فيه الطباء من الذئاب والجمام من الخدأة ثم وصف هذا الحرم بصفة أخرى دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة بقوله (يجبى اليه ثمرات كل شئ) أى تجتمع اليه الثمرات على اختلاف أنواعها من الاراضى المختلفة وتحمل اليه من الشام ومصر والعراق واليمن وتساق اليه فعنى الكلمة الكثيرة على سبيل المجاز كقوله وأوتيت من كل شئ قرئ يجبى بالتحسية اعتبارا بتذكير كل شئ ووجود الخائل بين الفعل وبين ثمرات وأيضا ليس تأنيت ثمرات بحقيقى وبالضوقية اعتبارا بثمرات وقرئ ثمرات بفتح ثم وبضمين جمع ثمر بضمين وقرئ بفتح الثاء وسكون الميم (رزقامن لدنا) أى نسوقه اليهم رزقامن عندنا أو رازقين (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان ما نقوله حق لفرط جهلهم ومن يدغم لثمتهم وعدم تفكيرهم فى أمر معادهم ورسادهم لكونهم ممن طبع الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة (وكم أهلكنا من قرية) أى أهل قرية كانوا فى خدض عيش ودعة ورخاء رد لقولهم ان تتبع الهدى معك تتخطف الخ بين الله بهذا ان الامر بالعكس وانهم احقوا بأن يخافوا بأس الله ولا يغتروا بالامن الحاصل لهم فكثير من أهل القرى كان حالهم كحال هؤلاء فى الامن والخصب ثم (بطرت) أى طغت وتمردت وخسرت وأشرت (معيشتها) أى فى زمن حياتها وقال الكرخى كفرت نعمة معيشتها أى أيام حياتها وهى ما يعاش به من النبات والحيوان وغيره ما يعنى وقع منهم

يعلم السرفى السموات والارض انه كان غفورا رحيبا) يقول تعالى مخبرا عن سخافة عقول الجهلة من الكفار فى قولهم عن القرآن ان هذا الافلك أى كذب افتراه يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وأعاناه عليه قوم آخرون أى واستعان على جمعهم بقوم آخرين فقال الله تعالى فقد جاؤا ظالموا زورا أى فقد افتروا وهم قولوا باطلا يعلمون انه باطل ويعرفون كذب انفسهم فيما زعموا وقالوا أساطير الاولين اكتبها يعنون كتب الاوائل أى استنسخها فهى على عليه أى تقرأ عليه بكرة وأصيل أى فى أول النهار وآخره وهذا الكلام له حقايقه وكذبه وبهتهم منهم يعلم كل أحد بطلانه فانه قد علم بالتواتر وبالضرورة ان محمد رسول الله

البطر

صلى الله عليه وسلم لم يكن يعانى شيئا من الكفاية لاني اول عمره ولا في آخره وقد نشأ بين أظهرهم من اول دواده الى ان بعثه الله نحووا  
من أربعين سنة وهم يعرفون مذخرا ومخرجه وصدقه وبره ونزاهته وأمانته وبعده عن الكذب والفجور وسائر الاخلاق الرديئة  
حتى انهم كانوا يسهونه في صغره والى ان بعث الامين لما يعلمون من صدقه وبره فلما أكرمهم الله بما أكرمهم به نصبوا له العداوة ورموه  
بهذه الاقوال التي يعلم كل عاقل براءتها منها وحاروا فيما يقذفونه به فتأرد من افكهم يقولون ساحر ونارة يقولون شاعر ونارة يقولون  
مجنون ونارة يقولون كذاب قال الله تعالى انظر كيف ضرب بوالك (١٢٥) الامثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلا

وقال تعالى في جواب ما عاندوا ههنا  
واقتروا قل أنزله الذي يعلم السرفي  
السموات والارض الآية أي أنزل  
القرآن المشتمل على أخبار الاولين  
والآخرين اخبارا احقا صادقا  
مطابقا للواقع في الخارج ماضيا  
ومستقبلا الذي يعلم السرفي  
الله الذي يعلم غيب السموات  
والارض ويعلم السرائر كعلمه  
بالطواهر ورقوله انه كان غفورا  
رحيما دعاهم الى التوبة والانابة  
واخبار لهم بأن رحمة واسعة وان  
علمه عظيم وان من تاب اليه تاب  
عليه فهو لا مع كذبهم واقترابهم  
وجورهم وبهتابهم وكفرهم  
وعنادهم وقولهم عن الرسول  
والقرآن ما قالوا يدعوهم الى  
التوبة والافتلاح عما هم فيه الى  
الاسلام والهدى كما قال تعالى لقد  
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة  
وما من الا الله واحد وان لم ينهوا  
عما يقولون لبسن الذين كفروا منهم  
عذاب أليم أقبلات يوتون الى الله  
ويستغفرونه والله غفور رحيم  
وقال تعالى ان الذين فسقوا المؤمنين  
والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب

البطرفاهلكوا قال الزجاج البطرفا الطغيان عند النعمة وفي القاموس البطرف محرج كالفشاط  
والاشروق له احتمال النعمة والدهش والخيرة والطغيان بالنعمة وكرهه الشيء من غير ان  
يستحق الكراهة وفعل الكل كفتح و بطرف الحق أي تكبر عند فلا يقبله قال عطاء عاشوا  
في البطرفا كوارزق الله وعبدوا الاصنام وقال الزجاج والمأزني معناها بطرت في  
معيشتها فلما حدثت في تعدى الفعل كقوله واختار موسى قومه وقال القراء هو منصوب  
على التفسير كما تقول بطرك مالك و بطرته ونظيره قوله تعالى الامن سعة نفسه ونصب  
المعارف على التمييز غير جائز عند البصريين لان معنى التفسير ان تكون النكرة دالة على  
الجنس وقيل ان معيشتها منصوبة ببطرت على تضمينه معنى جهات (فذلك مسا كنهم)  
أي منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الاسفار كبلاد عمود وقوم شعيب وغيرهم قد  
خربت بما ظلموا (لم تسكن من بعدهم الا قليلا) أي لم يسكنها أحد بعدهم الا زمنا قليلا  
كالذي يمر بهما مسافرا فانه يلبث فيها يوما أو بعض يوم أو المعنى لم يبق من يسكن فيها  
الا أياما قليلة تشؤم ما وقع فيها من معاصيهم وقيل ان الاستثناء يرجع الى المساكن أي لم  
تسكن بعدها لك أهلها الا قليلا من المساكن وأكثرها خراب كذا قال القراء وهو قول  
ضعيف (وكنا نحن الوارثين) لهم منهم لانهم لم يتركوا ووارثين منازلهم وأوالهم ولم  
يختلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وغيرها (وما كان ربك) بيان للعادة الربانية  
أي ما صح ولا استقام وما كان وما ثبت في حكمه الماضي وقضائه السابق ان يكون  
(مهلاك القرى) الكافرا أهلها قبل الانذار (حتى يبعث) ويرسل (في أمهات) أي أكبرها  
وأعظمها (رسولا) يذرعهم ويتلو عليهم آياتنا) أي نالها عليهم آيات الله الدالة الناطقة  
بما أوجب الله عليهم وما أعد من العذاب واللعنات للعاصي ومخبر ان العذاب  
سينزل بهم اذ لم يؤمنوا وخص الاعظم منها بالبعثة اليها لان فيها أشرف القوم وأهل  
اقهم والرأي وفيها الملول والا كبر فصارت بهذا الاعتبار كالام المسحولة من القرى  
وقال الحسن أم القرى أولها وقيل المراد بأم القرى همام مكة كافي قوله ان أول بيت وضع  
للناس الآية والاتينات الى تون العظمة لترية المهابة والروعة وقد تقدم بيان ما تضمنته  
هذه الآية في آخر سورة يوسف (وما كنا مهلكي القرى الا واهلها الظالمون) معطوفة على  
الجملة التي قبلها والاستثناء منزع عن أعم الاحوال أي وما كنا مهلكي لاهل القرى بعد ان

جهنم ولهم عذاب الحريق قال الحسن البصري انظر والى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم الى التوبة والرجوع  
(وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام وينسى في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كذبا وتكون له جنة يأكل  
منها وقال الظالمون ان تبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضرب بوالك الامثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شاء  
جعل لك خيرا من ذلك جنة تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالنعمة التي اعطاهم فماذا وعدوا  
من مكان بعيد دمعوا لها تعظيضا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا

ثورا كثيرا) يخبر تعالى عن تعنت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا دليل منهم وانما اتعلوا بقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام يعنون كآنا كاهن ويحتاج اليه كاحتياج اليه ويشي في الاسواق أي يتردد فيها واليهاطب بالمتكسب والتجارة لولا أنزل عليه ملك فيكون سعه نذيرا يقولون هلا أنزل اليه ملك من عند الله فيكون له شاهدا على صدق ما يدعيه وهذا كما قال فرعون فلولا أتني عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين وكذلك قال هؤلاء على السواء تشابهت قلوبهم ولهذا قالوا أو ياتي اليه كنز أي علم كنز ينفق منه أو تكون له الجنة (١٢٦) يا كل منها أي نسير معه حيث سار وهذا كله سهل يسير على الله

ولكن له الحكمة في ترك ذلك وله الحجة البالغة وقال الظالمون ان تتبعون الارجله مسجورا قال الله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا أي جاؤا بما يبق ذفونك به ويكذبون به عليك من قولهم ساحر مسجور مجنون كذاب شاعروكلها أقوال باطلة كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم واقتراءهم في ذلك ولهذا قال فضلوا عن طريق الهدى فلا يستطيعون سبيلا وذلك ان كل من خرج عن الحق وطريق الهدى فإنه ضال حينما توجه لان الحق واحد ومنهجه متبدي صدق بعضه بعضا ثم قال تعالى مخبرا نبيه انه ان شاء لا تاه خيرا مما يقولون في الدنيا وأفضل وأحسن فقال تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك الآية قال مجاهد يعني في الدنيا قال وقرئ يسعون كل بيت من حجارة قصيرا كبيرا كان أو صغيرا قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن خزيمة قبل للنبي صلى الله عليه وسلم ان شئت أن نعطيك خزائن الارض ومفاتيحها ما لم نعطي نبيا قبلك ولا نعطي أحدا من بعدك

نبت الى أمه ارسولا يدعوه ثم الى الحق في حال من الاحوال الاحال كونهم ظالمين قد استحقوا الاهلاك لاصرارهم على الكفر بعد الاعذار اليهم وقا كيدا الحجة عليهم كقوله سبحانه وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون (وما أو تيتيم) يا كفار مكة (من شيء) من الاشياء (فمتاع) أي فهو متاع (الحياة الدنيا) تمتعون به مدة حياتكم أو بعض حياتكم ثم تزولون عنه أو يزول عنكم (وزينتها) تزينون به أيام عيشكم ثم يفنى وعلى كل حال فذلك اني فناء وانقضاء (وما عند الله) من ثوابه وجزائه (خير) من ذلك الزائل الفاني لانه لذة خالصة عن شوب الكدر (وأبقى) لانه يدوم أبدا وذلك يتقضى بسرعة (أفلا تعقلون) ان الباقي أفضل من الفاني وما فيه لذة خالصة غير مشوبة أفضل من اللذات المشوبة بالكدر المنغصة بعوارض البدن والقلب قبل من لم يرج الآخرة على الدنيا فليس يعاقل قال الشافعي رحمه الله من وصي بثلث ماله لأعقل الناس صرف الى المشغولين بطاعة الله وقرئ يعقلون بالياء والتاء على الخطاب وهي أريح اقوله وما أو تيتيم وأخرج مسلم والبيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يقول الله عز وجل يا ابن آدم مرضت فلم تعدني الحديث بطوله وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عبد بن عيسى بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا أو أعطش ما كانوا وأعرى ما كانوا فنف أطمع الله عز وجل أطعمه الله ومن كساه الله عز وجل كساه الله ومن سقى الله عز وجل سقاه الله ومن كان في رضاء الله في رضاءه (أفمن وعدناه وعدا حسنا) بالجنة وما فيه من النعم التي لا تحصى (فهو لاقية) أي مدركه ومصيبه لا محالة فان الله لا يخلف الميعاد ولذلك جى بالاسمية المفيدة لتحقيقه وعطف بفاء السببية والفاء الاولى لترتيب انكار التساوي بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاعها وبين ما عند الله عز وجل (كن متعنا من الحياة الدنيا) المشوب بالاكدار المستتبع للتكسر على الانقطاع فأعطى منه بعض ما أراد مع سرعة عزوالة وتنغيصه عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) هذا معطوف على قوله متعنا داخل معه في حيز الصلة مؤكدا لانكار التشابه ومقرره والمعنى ثم هذا الذي متعناه هو يوم القيامة من المحضرين النار وتخصيص المحضرين بالذين احضروا العذاب اقتضاه المقام وفيه من التهويل ما لا يخفى أي ليس حالهم مساوية فان الموعود بالجنة لا يدان ينظر بما وعد به مع

ولا ينقص ذلك مما لك عند الله فقال اجمعوا الى في الآخرة فانزل الله عز وجل في ذلك تبارك الذي ان شاء انه

جعل لك خيرا من ذلك الآية وقوله بل كذبوا بالساعة أي انما يقول هؤلاء هكذا تكذبا وعناد الا أنهم يطلبون ذلك قبصرا واسترشادا بل تكذيبهم يوم القيامة يحمله على قول ما يقولونه من هذه الاقوال وأعدنا أي أصدنا لمن كذب بالساعة سعو أي عذابا ليماطرا لا يطاق في نار جهنم قال الثوري عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبيرة السعير وادمن قبح جهنم وقوله اذ ارأتمم أي جهنم من مكان بعيد يعني في مقام المحشر قال السدي من مسيرة مائة عام سمعوا لها تعيظا وزفير أي حنقا عليهم كما قال تعالى اذا

ألقوا فيها وهو الهاشمية قاوهي ففور تكاد تميز من الغيظ أي يكاد يتصل ببعضها من بعض من شدة غيظها على من كفر بالله وروى ابن أبي حاتم حدثنا ادریس بن حاتم بن الاحنف الواسطي انه سمع محمد بن الحسن الواسطي عن اصبغ بن زيد عن خالد بن كثير عن خالد بن دريك باسناده عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بقل على ما لم أقل أو ادعى الى غير والديه أو اتى الى غير مواليه فليتوبوا بين عيني جهنم مقعدا قيل يا رسول الله وهل لها من عيينين قال أما سمعت الله يقول اذا ارأهم من مكان بعيد الآية ورواه ابن جرير عن محمد بن خدياس عن (١٢٧) محمد بن يزيد الواسطي به وقال أيضا

حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد القنفاضي حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل وله أيضا عن قال بن نجر جوامع عبد الله يعني ابن مسعود ومعنا الربيع بن خنيم فروا على حداد فقام عبد الله ينظر الى حديدة في النار ونظر الربيع بن خنيم اليها فقام الربيع لسقط فمر عبد الله على أتون على شاطئ الفرات فلما رآه عبد الله والنار تهب في جوفه قرأ هذه الآية اذا ارأهم من مكان بعيد سمعوا الها تعظا ورؤيا فصعق يعني الربيع وجلوه الى أهل بيته فربطه عبد الله الى الظهر فلم يبق رضى الله عنه وحدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد ولا بن أبي حاتم أيضا عن ابن عباس قال ان العبد ليجر الى النار فتشوق اليه شهقة البغلة الى الشعير ثم تفر فرقة لا يبقى أحد الاخاف هكذا رواه ابن أبي حاتم باسناده مختصرا وقد رواه الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد بن ابراهيم الدوري حدثنا عبد الله بن موسى أخا برنا اسرائيل عن أبي

انه لا يفوته نصيبه من الدنيا وهذه حال المؤمن وأما حال الكافر فإنه لم يكن معه الا مجرد النفع بشئ من الدنيا يستوى فيه هو والمؤمن وينال كل واحد منهم ما حظ منه وهو صائر الى النار فهل يستويان وثم للتراخي في الزمان وفي الرتبة قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي جهل وأبي علي وحزرة وأبي جهل أوفى المؤمن والكافر أوفى عمار ابن ياسر والوليد بن الغيرة (ويوم يتاديهم) أي اذ كرم يوم يتادي الله سبحانه هؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله والقصد من هذا النداء هو يخفهم وتقر بعهم بان معبوداتهم لم تنفعهم في هذا الوقت (فيقول) لهم (أين شركائي الذين) عبدتموهم من دوني وانتم لهم شركاء في استحقاق العبادة (وكنتم تزعمون) انهم ينصرونكم وبشنعون لكم (قال الذين حق عليهم القول) أي حقت عليهم كلمة العذاب بدخول النار وهم رؤساء الضلال الذين اتخذوهم أربابا من دون الله كذا قال الكلبى وقال قتادة هم الشياطين (ربنا هؤلاء الذين أغويونا) أي دعوناهم الى الغواية يعنون الاتباع في الكفر (اغويناهم كما غوينا) أي اضللناهم كما ضللنا وأثروا الكفر على الايمان كما آثرناه نحن وكما السبب في كفرهم فقبلوا منا فلا فرق اذا بين غيبتهم وان كان نسوا بلناهم داعيا الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله تعالى لهم الى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعود والوعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان (تبرأنا اليك) ممن أطاعنا وهو ذمنا وتبرأنا قبله وأذلك لم يعطف قال الزجاج برى بعضهم من بعض وصاروا أعداء كما قال تعالى الاخلاص يومئذ بعضهم لبعض عدو (ما كانوا ايانا يعبدون) انما كانوا يعبدون أهواءهم قيل ما مصدرية أي تبرأنا اليك من عبادتهم ايانا والاول اولى (وقيل) للكفار من بنى آدم تمكلمهم وتبكتنا لهم (ادعوا شركاءكم) أي استغنيوا بنا لهتمكم التي كنتم تعبدونهم من دون الله في الدنيا ينصرونكم ويدفعوا عنكم (فدعوهم) عند ذلك (فلم يستجيبوا لهم) ولا نفعوهم بوجه من وجوه النفع (ورأوا) أي التابع والمتبوع (العذاب) قد غشيهم (لو أنهم كانوا يهتدون) قال الزجاج جواب لو محذوف أي لا يجاهم ذلك ولم يروا العذاب وقيل المعنى مادعوهم وقيل لو كانوا يهتدون في الدنيا علموا أن العذاب حق وقيل لو يهتدون بوجه من وجوه الخيل لدفعوا به العذاب وقيل قد أن لهم ان يهتدوا لو كانوا يهتدون وقيل غير ذلك

يحيى عن مجاهد باسناده الى ابن عباس قال ان الرجل ليجر الى النار فيسفر في نوى بهضها الى بعض فيقول لها الرحمن مالك قالت انه يستجير مني فيقول أرسلوا عبدى وان الرجل ليجر الى النار فيقول يا رب ما كان هذا الظن بك فيقول فما كان ظنك فيقول ان تسعنى رجلك فيقول أرسلوا عبدى وان الرجل ليجر الى النار فتشوق اليه شهقة البغلة الى الشعير وتفر فرقة لا يبقى أحد الاخاف وهذا السناد صحيح وقال عبد الرزاق أخيرا عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير في قوله سمعوا الها تعظا ورؤيا قال ان جهنم لتفر فرقة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الاخر ترعد فرائضه حتى ان ابراهيم عليه السلام ليجثو على ركبتيه ويقول رب لا أسألك

اليوم الانفسى وقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين قال قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو قال مثل الزجج في الرمح أى من ضيقه وقال عبد الله بن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن يحيى بن أبي أسيد رفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن قول الله واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين قال والذي نفسى بيده انهم ليسوا متكرهون في النار كما يستكره الوند في الخياط وقوله مقرنين قال أبو صالح يعنى مكتفين دعوا هنالك ثبورا أى بالويل والخسرة والخيبة لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا الآية وروى الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة (١٢٨) عن علي بن يزيد عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من بعده وهو ينادى يا ثبورا و ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فمقول يا ثبورا ويقولون يا ثبورهم فيقال لهم لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثير المخرج أحده من أصحاب الكتب الستة ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن عفان به ورواه ابن جرير من حديث ابن سلمة به وقال العوفي عن ابن عباس في قوله لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا يلا كثيرا وقال النخعي الثبور الهلاك والاظهرا الثبور يجمع الهلاك والويل والخسار والدمار كما قال موسى لفرعون واتى لظنك يا فرعون ثبورا أى هالكا قال عبد الله بن الزبير اذا جرى نبي الشيطان في سنن الغي . ومن مال به ثبورا (قل) ذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقين كانت لهم جزاء ومصير اللهم فيما يشاؤون خالد بن كان على ربك وعدا مسئولا

(ويوم يناديهم) عطف على ما قبله فسنلوا وألا عن اشرا كههم وثانيا عن جوابهم للرسول الذين نهوهم عن ذلك كما قال (فيقول ماذا أجبت المرسلين) أى ما كان جوابكم لمن أرسل اليكم من النبيين لما بلغوا رسالاتي (فعميت عليهم الانباء يومئذ) أى خفيت عليهم الحجج حتى صاروا كالعمى الذين لا يهتدون والاصل فعموا عن الانباء ولا يهتدون الكلام للمبالغة والانباء الاخبار وانما سمى حججهم اخبار لانهم لم تكن من الحجة فى شئ وانما هى أقاصيص وحكايات وقرئ عميت بضم العين وتشديد الميم (فهم لا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب النافع وذلك لفرط الدهشة أو لعلمهم بان الكل سواء فى الجهل وقيل لا يسأل بعضهم بعضا عن الانساب قاله مجاهد ولا ينطقون بحجة ولا يدرون بما يجيبون لان الله قد أعذر اليهم فى الدنيا فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة (فأما من تاب) من الشرك (وأمن) وصدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) أى ادى الفرائض (فعمى ان يكون من المفلحين) أى الناجين بعد الله الفائر من عذابهم من سعادة الدارين وعسى وان كانت فى الاصل للرجاء فهى من الله واجب على ما هو عادة الكرام وقيل ان الترجي هو من قبل التائب المذكور لان من جهة الله سبحانه اى فليستوقع الفلاح (وربك يخلق ما يشاء) ان يخلقهم فيه دلالة على خلق الافعال (ويختار) ما يشاء ان يختار لا يسأل عما ينعمل وهم يسألون وهذا متصل بذكر الشركاء الذين عبدوهم واختاروهم أى الاختيار الى الله (ما كان لهم الخيرة) أى التخير وهو كالطيرة فانها التطير اسمان يستعملان استعمال المصدر بمعنى التخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه وقيل المراد من الآية انه ليس لاحد من خلق الله ان يختار شيئا اختيارا حقيقيا بحيث يقدم على تنفيذه بدون اختيار الله بل الاختيار هو الى الله عز وجل يختار طاعته ووليتوته او المعنى يخلق محمدا ويختار الانصار لدينه وقيل اختار من النعم ضانا ومن الطير الحمام ولا وجه للتخصيص والعموم اولى وظاهر الآية نفي الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواعي الاختيار لهم فيها وقيل ان هذه الآية جواب عن قولهم لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل جواب عن اليهود حيث قالوا لو كان الرسول الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم غير جبريل لآمنابه قال الزجاج الوقف على ويختار تام على ان مانافية قال ويجوز ان يكون مافى موضع نصب يختار والمعنى ويختار الذى كان

يقول تعالى يا محمد هذا الذى وصفناه لك من حال الاشقياء الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم فتلقاهم بوجه عبوس وتعظيظ وزفير و يلقون فى أما كتب الضيق مقرنين لا يستطيعون حرا كولا استبصارا ولا فكا كما هم فيه أهذا خيرا أم جنة الخلد التى وعد الله المتقين من عباده التى أعدها لهم وجعلها لهم جزاء ومصيرا على ما أطاعوه فى الدنيا وجعل ما آلمهم اليها لهم فيها ما يشاؤون من الملائكة من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب ومناظر وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد وهم فى ذلك خالدون أبدأ اعماسر مدا بلا انقطاع ولا زوال ولا انقضاء ولا يبغون عنها حولا وهذا من وعد الله

الذي تفضل به عليهم وأحسن به اليهم ولهذا قال كان على ربك وعدا مسئولا أي لا بد ان يقع وان يكون كما حكاه أبو جعفر بن جرير  
 عن بعض علماء العربية ان معنى قوله وعدا مسئولا أي وعدا واجبا وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس كان على ربك وعدا  
 مسئولا يقول سلوا الذي واعدتكم أو قال أوعدنا كم تجزوه وقال محمد بن كعب القرظي في قوله كان على ربك وعدا مسئولا ان  
 الملائكة تسأل لهم ذلك ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقال أبو حازم اذا كان يوم القيامة قال المؤمنون ربنا عملناك  
 بالذي أمرتنا فاجز لنا ما وعدتنا فذلك قوله وعدا مسئولا وهذا المقام في هذه السورة من ذكر النار ثم  
 (١٢٩)

التنبيه على حال أهل الجنة كما ذكر  
 تعالى في سورة الصافات حال أهل  
 الجنة ثم وما فهم من النصرة والخبور  
 ثم قال ذلك خير لولا ان شجرة  
 الزقوم ان جعلناها فتنة للظالمين  
 انها شجرة تخرج في أصل الجحيم  
 طاعها كأنه رؤس الشياطين فانهم  
 لا تكون منها الثور منها البطون  
 ثم ان لهم عايبا الشوبان جيم ثم  
 ان مرجعهم لا الى الجحيم انهم انذوا  
 آباءهم ضالين فهم على آثامهم  
 يهرعون (ويوم يحشرهم وما  
 يعبدون من دون الله فيقول أأنتم  
 أضلتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا  
 السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي  
 لنا ان نتخذ من دونك من أولياء  
 ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا  
 الذكروا كانوا قوما بورا فقد كذبوكم  
 بما تقولون فئات استطيعون سرفا  
 ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه  
 عذابا كبيرا) يقول تعالى مخبرا عما  
 يتبع يوم القيامة من تفرغ الكفار  
 في عبادتهم من عبدوا من دون الله  
 من الملائكة وغيرهم فقال ويوم  
 يحشرهم وما يعبدون من دون الله  
 قال مجاهد هو عيسى والعزير

لهم فيه الخيرة والصحيح الاول لاجماعهم على الوقف وقال ابن جرير ان تقدير الآية  
 ويختار لولا لايته الخيرة من خلقه وهذا في غاية من الضعف وجوز ان عطية ان تكون  
 كان تامة ويكون لهم الخيرة جملة متأنفة وهذا أيضا بعيد جدا ومن قال معناه ويختار  
 له عباد ما هو خير لهم وأصلح فهو ماثل الى الاعتزال وقيل ان مام صدريه أي يختار  
 اختيارهم والمصدر واقع موقع المفعول به أي ويختار مختارهم وهذا كالتفسير لكلام  
 ابن جرير والراجح أول هذه التفاسير ومثله قوله سبحانه وما كان المؤمن ولا مؤمنة اذا  
 قضى الله ورسوله أمر أن تكون لهم الخيرة وقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في  
 الصحيح تعليم الاستخارة وكيفية صلاحها ودعاؤها فلا تطول بذكرها ثم نزه سبحانه نفسه  
 فقال (سبحان الله) أي نزهتها خاصا بمن غير ان ينزعه منازع أو يشركه مشاركا  
 أو يراحم اختياره (وتعالى عما يشركون) أي عن الذين يجعلونهم شركاء له (وربك يعلم  
 ما تكن صدورهم) أي تخفيه قلوبهم وتسهر من الشرك أو من عداوة رسول الله صلى  
 الله عليه وآله وسلم وحسده أو من جميع ما يخفونه مما يخالف الحق (وما يعلمون)  
 بالسنتهم من ذلك ويظهرونه ثم مدح نفسه سبحانه بالوحداية والتبريد بالاستحقاق للعهد  
 فقال (وهو الله) أي هو المستأثر بالالهية المختص به أو قوله (لا اله الا هو) تقرير لذلك  
 (له الحمد في الاولى) أي في الدنيا (والآخرة) لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمد  
 المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا والتحميد ثمة على وجه اللذة لا على الكلفة وهو قولهم  
 الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين (وله  
 الحكيم) أي القضاء النافذ في كل شيء فيقضي بين عبادهم بما شاء من غير مشاركا (واليه)  
 لا الى غيره (ترجعون) بالبعث والنشور والخروج من القبور فيجازي المحسن باحسانه  
 والمسئى باسائه (قل) لاهل مكة (أرأيتم) أي اخبروني (ان جعل الله الليل سرمدا)  
 باسكان الشمس تحت الارض أو بتحريرها حول الاقنوع والسرمد هو الدائم  
 المستمر من السرمد وهو المتابعة والاطراد فالميم زائدة كما في دلامس من الدلاس ووزنه  
 فعمل وقيل ان ميمه أصلية ووزنه فعال لا فعمل وهو الظاهر بين لهم سبحانه انه مهدهم  
 أسباب المعيشة ليقوموا بشكر النعمة فانه لو كان الدهر الذي يعيشون فيه ليلادئما  
 لانهار معه (الي يوم القيامة) لم تكنوا من الحركة فيه وطلب ما لا بد لهم منه مما يقوم به

(١٧ - فتح البيان سابع) والملائكة فيقول أأنتم أضلتم عبادي هؤلاء الآية أي فيقول الرب تبارك وتعالى لامعبودين  
 أأنتم دعوتهم هؤلاء الى عبادتكم من دوني أم هم عبدوكم من تلقا أنفسهم من غير دعوة منكم لهم كما قال الله تعالى واذا قال الله  
 يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته  
 فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتني به الآية ولهذا قال تعالى مخبرا  
 عما يجب به المعبودون يوم القيامة قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من أولياء قرأ الاكثر من يفتح النون من قوله

تخذ من دونك من أولياء أي ليس للخلائق كلهم ان يعبدوا احد اسواك لانحن ولاهم فحن مادعوناهم الى ذلك بل هم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير امرنا ولا رضانا ونحن برآء منهم ومن عبادتهم كما قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء آياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك الآية وقرأ آخرون ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من أولياء أي ما ينبغي لاحد ان يعبدنا فانا نعبد ذلك فقراء اليك وهي قريبة المعنى من الاولى ولكن متعتمهم وآباءهم أي طال عليهم العمر حتى نسوا الذكر أي نسوا ما أنزله اليهم على السنة رسالتك من الدعوة (١٣٠) الى عبادتك وحدك لا شريك لك وكانوا قوم ابورا قال ابن عباس

أي هلكي وقال الحسن البصري ومالك عن الزهري أي لا خير فيهم وقال ابن الزبير حين أسلم يارسول المليك ان لساني

راتق ما فتقت اذا نابور اذا جارى الشيطان في سنن الغي ي ومن مال ميله مشهور

قال الله تعالى فقد كذبكم بما تقولون أي فقد كذبكم الذين عبدتم من دون الله فيما زعمتم انهم انتم أو آباؤهم ويتربونكم الى الله زلفي كقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله فما يستطيعون صرفا ولا نصرا أي لا يقدرعون على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لانفسهم ومن يظلم منك أي يشر لك بالله نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لما كانوا الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أنصبرون وكان ربك بصيرا يقول تعالى مخبرا عن جميع من بعثه من الرسل

العيش من المطاعم والمشارب والملابس ثم امتن عليهم فقال (من اله غير الله يا أيكم) أي هل أنكم من اله بزعمكم من الآلهة التي تعبدونها بقدر على ان يرفع هذه الظلمة الدائمة عنكم (بضياء) أي بنور تطلبون فيه المعيشة وتبصرون فيه ما تحتاجون اليه وتصلح شماركم وتنوع زراتعكم وتعيش فيه دوابكم وبالجملة صفة أخرى لاله عليا يدور التبيكيت والازام (أفلا تسمعون) هذا الكلام سماع فهم وقبول وتدبر وتفكير وهذا توبيخ لهم على ابلغ وجه ثم لما فرغ الله من الامتنان عليهم بوجود النهار امتن عليهم بوجود الليل فقال (قل رأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا) أي جعل جميع الدهر الذي تعيشون فيه نهارا (الي يوم القيامة) لاليل معه باسكان الشمس في وسط السماء أو تحترقها على مدار فوق الافق (من اله غير الله بزعمكم) يا أيكم بليل تسكنون أي تستقرون (فيه) من النصب والتعب وتستريحون مما تراولون من طلب المعاش والكسب (أفلا تبصرون) هذه المنفعة العظيمة ابصار متعظم متيقظ حتى تنزجروا عما أنتم فيه من عبادة غير الله فاذا أقر وابانه لا يقدر على ذلك الا الله عز وجل فقد لذمتهم الحجة وبطل ما يتسكون به من الشبهة الساقطة وانما قرن سبحانه بالضياء قوله أفلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدرك البصر من درك منفعته ووصف فوائده وقرن بالليل قوله أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعته الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه البصر يدرك ما لا يدرك السمع من ذلك (ومن رحمته) تعالى (جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) أي في الليل (ولتبتغوا من فضله) أي في النهار بالسهي في المكاسب وفيه مدح للسهي في طلب الرزق وهو لا يشافي التوكل (ولعلكم تشكرون) أي ولكي تشكروا نعمة الله عليكم وهذه الآية من باب اللف والنشر واعلم انه وان كان السكون في النهار ممكنا وطلب الرزق في الليل ممكنا وذلك عند طلوع القمر على الارض أو عند الاستضاءة بشيء مما له نور كالسراج لكن ذلك قليل نادر مخالف لما يألفه العباد فلا اعتبار به (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كرسبحانه هذا لاختلاف الحالات لانهم ينادون مرة فيدعون الاصنام وينادون أخرى فيسكنون وفي هذا التكرار أيضا تفرقة بعد تفرقة وتوبيخ بعد توبيخ وايدان بانه لا شيء أجلب لغضب الله من الاشرار به كالاشي أدخل في مرضاته من توحيده أو الاول لتقرر بفساد

المتقدمين انهم كانوا يأكلون الطعام ويحتاجون الى التغذي به ويمشون في الاسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصهم فان الله تعالى جعل لهم من السمات الحسنة والصفات الجميلة والاقوال الفاضلة والاعمال الكاملة والخواصق الباهرة والادلة القاهرة ما يستدل به كل ذي لب سليم وبصيرة مستقيمة على صدق ما جاءوا به من الله ونظير هذه الآية الكرمة قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى وقوله وما جعلناهم جسدا الا بآكلون الطعام الآية وقوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أنصبرون أي اختبرنا بعضكم ببعض وبالرفق بعضكم ببعض لنعلم من يطيع



من يهوى ولهذا قال أتصبرون وكان ربك بصيرا أي عن يستحق ان يوحى اليه كما قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته ومن يستحق ان يهديه الله لم أرسله به ومن لا يستحق ذلك قال محمد بن اسحق في قوله وجعلنا بكم لعنة من يهوى ولهذا قال أتصبرون قال يقول الله لو شئت ان أجعل الدين مع ريل فلا يخالفون لنعمت ولكني قد اردت ان أبتلي العباد بهم وفي صحيح مسلم عن عياض بن جاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني مبتليكم ومبتلي بكم وفي المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة وفي الصحيح انه عليه أفضل (١٣١) الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبيا

ملكا أو عبدا رسولا فاختار ان يكون عبدا رسولا (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أن نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) يقول تعالى محبرا عن نعت الكفار في كفرهم وعنادهم في قولهم لولا أنزل علينا الملائكة أي بالرسالة كما تنزل على الانبياء كما أخبر الله عنهم في الآية الاخرى قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتى رسول الله ويحتمل أن يكون مرادهم ههنا لولا أنزل علينا الملائكة فتراهم عيانا فيخبرونا أن محمد رسول الله كقولهم وأوتى بالثب والملائكة قبلا وقد تقدم نفسه في سورة سبحان ولهذا قال أوزى ربنا ولهذا قال الله تعالى لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقد قال تعالى ولولا انزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموقى الآية وقوله تعالى

رأيهم والشاني لبيان انه لم يكن عن مستند وانما هو محض تشبه وهو (وزعنا) جاء بصيغة الماضي للدلالة على التحقيق أي أخرجنا (من كل امة) من الامم (شهيديا) يشهد عليهم بما قالوا قال مجاهد هم الانبياء وقيل عدول كل امة والاول اولى ومثله قوله سبحانه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ثم بين سبحانه ما يقوله لكل امة من هذه الامم بقوله (فقلنا) لهم (ها توابر هاتكم) أي حجتكم ودليلكم بان معي شر كما فعند ذلك اعترفوا وخرسوا عن اقامة البرهان ولذا قال (فعلوا ان الحق لله) في الالهية وانه وحده لا شريك له (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي غاب عنهم غيبة الشيء الضائع وبطل وذهب ما كانوا يخلقون من الكذب في الدنيا بان الله شر كما يستحقون العبادة ثم عقب سبحانه حديث أهل الضلال بقصة قارون لما اشتمت عليه من يدب القدره وبغيب الصنع فقال (ان قارون كان من قوم موسى) قارون على وزن فاعول اسم أعجمي ممتنع للجمجمة والعلمية وليس يعربى مشتق من قرنت قال الزجاج لو كان قارون من قرنت الشيء لانصرف قال النحوي وقتادة وغيره ما كان ابن عم موسى وهو قارون بن يصر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث وقال ابن اسحق كان عم موسى لاب وأم جعله أخا لعمران وهما ابنا قاهث وقيل هو ابن خاله موسى وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة فسمع كلام الله قاله الرازي ولم يكن في بني اسرائيل اقر للتوراة منه فذاق كما ذاق السامري وخرج عن طاعة موسى وهو معنى قوله (فبني) أي جاوز الحد في التكبير وطلب التفضل (عليهم) وان يكونوا تحت أمره وحسد موسى على رسالته وهرون على امامته وكفر بالله بعدما آمن به - بابسبب كثرة ماله قال الضعالي بغية على بني اسرائيل استخفافهم بهم لكثرة ماله وولده وقال قتادة بغية بدمية ما آناه الله من المال الى نفسه لعلمه وحيلته وقيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فتعدى عليهم وظلمهم وقيل كان بغية بغير ذلك مما لا يناسب معنى الآية (وأتيناه من الكنوز) جمع كنز وهو المال المدخر سميت أمواله كنوزا لانه كان ممتعا من أداء الزكاة قال عطاء أصاب كزامن كنوز يوسف وقيل كان يعمل الكيمياء (ما ان مفاطحه) ماموصولة صلته ان وما في حيزها ولهذا كسرت ونقل الاخفش الصغير عن الكوفيين منع جعل المكسورة وما في حيزها صولة

يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا أي هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم بل يوم يرؤنهم لا بشرى يومئذ لهم وذلك يصدق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالثبارة والغضب من الجبار فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث اخرجي الى سموم وجهك وظل من يحمموم فتأني الخروج وتترق في البدن فيضربونه كما قال الله تعالى ولوترى اذ يتوفى الذين كفروا والملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم الآية وقال تعالى ولوترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أي بالضرب أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون

على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولهذا قال في هذه الآية الكريمة يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين وهذا بخلاف حال المؤمنين حال احتضارهم فانهم يبشرون بالخيرات وحصول المسرات قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا واوبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولادكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وفي الحديث الصحيح عن البراء بن عازب ان الملائكة تقول لروح المؤمن (١٣٢) اخرجي أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه بما اخرجي

الى روح وربجان ورب غير غضبان وقد تقدم الحديث في سورة ابراهيم عند قوله تعالى ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وقال آخرون بل المراد بقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يعني يوم القيامة قاله مجاهد والضحاك وغيرهما ولا منافاة بين هذا وما تقدم فان الملائكة في هذين اليومين يوم الممات ويوم المعاد تجلي للمؤمنين وللكافرين فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان وتبخر الكافرين بالخيبة والحسرة ان فلا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا أي وتقول الملائكة للكافرين حرام محرم عليكم الفلاح اليوم واصل الحجر المنع ومنه يقال حجر القاضي على فلان اذا منعه التصرف اما الفلاس أو سفه أو صغرا ونحو ذلك ومنه سمي الحجر عند البيت الحرام لانه يمنع الطواف ان يطوفوا فيه وانما يطاف من ورائه ومنه يقال للعقل حجر لانه يمنع صاحبه عن تعاطي ما لا يليق والقرص ان الضمير في

الذي واستخرج ذلك منهم لوروده في الكتاب العزيز في هذا الموضع والمفاتيح جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به قفل المراد بالمفاتيح الخزائن فيكون واحدا هاما متحيا بفتح الميم وقال الواحدى ان المفاتيح الخزائن في قول أكثر المفسرين كقوله وعندده مفاتيح الغيب قال هو اختيار الزجاج قال الاشبه في التفسير ان مفاتيحه خزائن ماله وقال آخرون هي جمع مفاتيح وهو ما يفتح به الباب فهذا قول قتادة ومجاهد وعن خزيمة قال كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود الابل كل مفاتيح مثل الاصبع كل مفاتيح على خزانه على حدة فاذا ركب حملت المفاتيح على سبعين بغلا غر محجل وعنه قال وجد في الانجيل ان بغال مفاتيح خزائن قارون غر محجلة ما يزيد كل مفاتيح منها على اصبع لكل مفاتيح كثير قال الشوكاني لم اجد في الانجيل هذا الذي ذكره خزيمة (لتنوم بالعصبة أولى القوة) أي لتنقل بالجماعة الاقوياء يقال نأى بحمله اذا نهض به مثقلا ويقال نأى بي الجمل أى اثقلني والمعنى ينقلهم حمل المفاتيح فلا يستطيعون حملها وقال الرازي فلا يستطيعون ضبطها لكثرتها انتهى قال أبو عبيدة هذا من المقلوب والمعنى لتنوم بها العصبة أى تنهض بها قال أبو زيد نأوت بالجمل اذا نهضت به وقال الفرأه معنى تنوم بالعصبة بفتح الميم ينقلها كما يقال يذهب بالبؤس ويذهب البؤس وذهبت به وأذهبت به وجئت به واجأته ونؤت به وأنأوته اختار هذا النحاس وبه قال كثير من السلف وقيل هو ما خوذ من النأى وهو البعد وهو بعيد وقرئ لينوم بالتحتمية أى لينوم الواحد منها أو المذكور فحمل على المعنى أو التقدير حملها أو ثقلها وقيل الضمير في مفاتيحه لقارون فاكتسب المضاف اليه التذكير كقولهم ذهبت أهل اليمامة قاله الزنجشري والمراد بالعصبة الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض قيل هي من الثلاثة الى العشرة وقيل من العشرة الى الخمسة عشرة وقيل ما بين العشرة الى العشرين وقيل من الخمسة الى العشرة وقيل أربعون وقيل سبعون وقيل غير ذلك قال ابن عباس لا ترفعها العصبة من الرجال أولى القوة والعصبة أربعون رجلا (أذ قال له قومه لا تفرح) أي اذكر والمراد بقومه هنا هم المؤمنون من بني اسرائيل وقال الفرأه موسى وهو جمع اريد به الواحد والمعنى لا تبطل ولا تأثر ولا تفرح بكثرة المال (ان الله لا يحب الفرحين) البطرين الاشرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قال الزجاج المعنى لا تفرح بالمال فان الفرح بالمال لا يؤدي حقه وقيل المعنى لا تفسد قال

قوله ويقولون عائد على الملائكة هذا قول مجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وقتادة وعطية العوفي وعطاء الزجاج الخراساني وخصيف وغير واحد واختاره ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا موسى بن يعقوب عن ابن قيس عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري في الآية ويقولون حجرا محجورا قال حرام محرم ما يبشر بما يبشر به المتقون وقد حكى ابن جرير عن ابن جرير انه قال ذلك من كلام المشركين يوم يرون الملائكة أي يتعونون من الملائكة وذلك ان العرب اذا نزل باحدهم نازلة أو شدة يقول حجرا محجورا وهذا القول وان كان له مأخذ وجه ولكنه بالنسبة الى السياق بعيد لاسيما وقد نص الجمهور على

خلافه ولكن قد روى ابن أبي نجيب عن مجاهد انه قال في قوله حجر المحجور أى عودا معاذ فيجتمه مل انه أراد ما ذكره ابن جرير  
ولكن في رواية ابن أبي حاتم عن ابن أبي نجيب عن مجاهد انه قال حجر المحجور عودا معاذ الملائكة تقول ذلك فانه أعلم وقوله تعالى  
وقد منا الى ماء لو امن عمل الآيه هذ يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من الخير والشر فاخبرناه لا يحصل لهؤلاء  
المشركين من الاعمال التي ظنوا انها منجاة لهم شئ وذلك لانهم افقدت الشرط الشرعي اما الا خلاص فيه او اما المتابعة لشرع الله  
فكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل (١٣٣) فأعمال الكفار لا تخلون واحدا من هذين

وقد توجه مهماما فتكون أبعد من  
القبول حيث ذكروا لهذا قال تعالى  
وقد منا الى ماء لو امن عمل الآيه  
قال مجاهد والثوري وقد منا أى  
وعمدنا وكذا قال السدي وبعضهم  
يقول أنبنا عليه وقوله تعالى فجعلناه  
هباء منثورا قال سفيان الثوري  
عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي  
رضي الله عنه في قوله هباء منثورا  
قال شعاع الشمس اذا دخل في الكوة  
وكذا روى من غير هذا الوجه  
عن علي وروى مثله عن ابن عباس  
ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير  
والسدي والضحاك وغيرهم وكذا  
قال الحسن البصري هو الشعاع  
في كوة أحدهم ولو ذهب يتبعض  
عليه لم يستطع وقال علي بن أبي  
طالحة عن ابن عباس هباء منثورا قال  
هو الماء المهرق وقال أبو الاحوص  
عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي  
هباء منثورا قال الهباء وهج  
الدواب وروى مثله عن ابن عباس  
أيضا والضحاك وقوله عبد الرحمن  
ابن زيد بن أسلم وقال قتادة في قوله  
هباء منثورا قال ما رأيت يبيس  
الشجر اذا ذرته الريح فهو ذلك

الزجاج الفرحين والفرحين سواء وقال الفراء معنى الفرحين الذين هم في حال الفرح  
والفرحين الذين يفرحون في المستقبل وقال مجاهد معنى لا تفرح لا تبغ والفرحين  
الباغين وقيل معناه لا تبخل ان الله لا يحب الباخلين وقال ابن عباس الفرحين المرحين  
قيل انه لا يفرح بالدينا الامن رضى بها واطمأن وامان قلبه الى الآخرة ويعلم انه يتركها  
عن قريب فلا يفرح بها (وابتغ فيما آتاك الله) أى واظب فيما أعطاك الله من الاموال  
والثروة والغنى (الدار الآخرة) هي الجنة فانفقها فيما يرضاه الله كصدقة وصله رحم واطعام  
جائع وكسوة عار ونفقة على محتاج لاني التمجير والبغى وقرئ واتبع (ولا تنس نصيبك من  
الدينا) قال جمهور المفسرين وهو ان يعمل في دنياه لا آخرته ونصيب الانسان عمره وعمله  
الصالح قال الزجاج معناه لا تنس ان تعمل لآخوتك لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا  
الذي يعمل به لا آخرته وقال الحسن وقتادة معناه لا تضيع خطك من دنياك في تمتعك  
بالحلال وطلبك اياه وهذا الصق يعنى النظم القراني وقال ابن عباس ان تعمل فيها  
لا آخرتك وفسر بعضهم النصيب بالكفن وعليه قول الشاعر  
نصيبك مما تجتمع الدهر كاه \* ردا آن تدرج فيه ما وحنوط  
وفسره البيضاوي بما يحتاج اليه منها وفي الحديث اغتمت خسا قبل خسر شبابك قبل  
هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك  
وهو مرسل وهذا ما جرى عليه مجاهد وابن زيد وقيل معناه خذ ما تحتاجه من الدنيا  
وأخرج الباقي وقيل امر ان يعدم الفضل ويسك ما يغنيه (وأحسن كما أحسن الله اليك)  
الكاف للتشبيه أى أحسن احسانا كاحسان الله اليك أو للتعليل أى أحسن الى عباد  
الله بما نعم به عليك من نعم الدنيا المأمرة بالاحسان بالمال أمره ثانيا بالاحسان مطقا  
ويدخل فيه الاعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وقيل اطع الله واعبده  
كما أنعم عليك ويؤيده ما ثبت في الصحيحين وغيرهم ان جبريل سأل رسول الله صلى الله  
عليه وآله وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (ولا  
تبغ الفساد في الارض) أى لا تعمل فيها بما صاى الله (ان الله لا يحب المفسدين) في  
الارض يعنى انه يعاقبهم (قال انما أوتيته) أى المال (عنى علم عندى) قال فاروق هذه  
المقالة ردا على من نصح بما تقدم أى انما أعطيت ما أعطيت من المال لاجل على وليس

الورق قال وقال عبد الله بن وهب أخبرني عاصم بن حكيم عن أبي سر يع الطائي عن عبيد بن يعلى قال وان الهباء الرماد اذا ذرته  
الريح وحاصل هذه الاقوال التنبيه على مضمون الآيه وذلك انهم عملوا الاعمال اعتقدوا انها على شئ فلما عرضت على الملك الحكم  
العدل الذي لا يجوز ولا يظلم أحدا اذا انها الاشئ بالكيفية وشبهت في ذلك بالشئ التافه الخفير المتفرق الذي لا يتدر صاحبه منه على  
شئ بالكيفية كما قال تعالى مثل الذين كفروا برجمهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح الآيه وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا انبأوا  
صدقاتكم بالمن والاذى الى قوله تعالى لا يقدر على شئ مما كسبوا وقال تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه

الظمان ما حتى اذا جاءه لم يجد شيئا وثق - ثم الكلام على نفس ذلك والله الحمد والمنة وقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خيرا مستقرا  
 وأحسن مقبلا أي يوم القيامة لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وذلك ان أهل الجنة يصيرون  
 الى الدرجات العاليات والغرفات الآمات فهم في مقام أمين حسن المنظر طيب المقام خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما وأهل  
 النار يصيرون الى الدرجات السافلات والحسرات المتتابعات وانواع العذاب والعقوبات انها ساءت مستقرا ومقاما أي بنس  
 المنزل منظر أو بنس المقبل مقاموا وهذا (١٣٤) قال تعالى أصحاب الجنة يومئذ خيرا مستقرا وأحسن مقبلا أي بما عملوه

من الاعمال المتقبلة قالوا ما نالوا  
 وصاروا الى ما صاروا اليه بخلاف  
 أهل النار فانهم ليس لهم عمل واحد  
 يقتضى دخول الجنة لهم والنجاة  
 من النار فبه تعالى بحال السعداء  
 على حال الاشقياء وان لا خير عندهم  
 بالكلمة فقال تعالى أصحاب الجنة  
 يومئذ خيرا مستقرا وأحسن مقبلا  
 قال الضحاك عن ابن عباس انما  
 هي ساعة في قبيل أولياء الله على  
 الاسر تدمع الحور العين ويقبل  
 أعداء الله مع الشياطين مقرنين  
 وقال سعيد بن جبير يفرغ الله من  
 الحساب نصف النهار في قبيل أهل  
 الجنة في الجنة وأهل النار في النار  
 قال الله تعالى أصحاب الجنة يومئذ  
 خيرا مستقرا وأحسن مقبلا وقال  
 عكرمة اني لا عرف الساعة التي  
 يدخل فيها أهل الجنة الجنة وأهل  
 النار النار وهي الساعة التي  
 تكون في الدنيا عند ارتداع الضحى  
 الا كبر اذا انقلب الناس الى أهلهم  
 للقبول فينصرف أهل النار الى  
 النار واما أهل الجنة فينطلق بهم  
 الى الجنة فكانت قبولتهم في الجنة  
 واطعموا كبدهوت فاشبههم ذلك

تنفض لا وهذا العلم الذي جعله سبيبا لما ناله من الدنيا قبل هو علم التوراة وقبيل علمه بوجوه  
 المكاسب والزراعات وانواع التجارات وقبيل معرفة الكنوز والدقائق وقبيل علم الكيمياء  
 وقبيل المعنى ان الله آتاني هذه الكنوز على علم منه باستحقاق اياها الفضل علمه منى واختار  
 هذا الزجاج وأكرم ما عده ثم رد الله عليه قوله هذا فقال (أولم يعلم ان الله قد أهلك من قبله  
 من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) للمال ولو كان المال أو القوة يدلان على  
 فضيلة لما أهلكهم الله وقبيل القوة الآلات والجمع الاعوان وهذا الكلام خارج مخرج  
 التقريع والتوبيخ لقارون لانه قد قرأ التوراة وعلم علم القرون الاولى واهلك الله  
 سبحانه لهم أو سمعه من حفاظ التوراة يخبره الكرخي (ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون)  
 أي لا يستلون سؤال استعتاب كما في قوله ولا هم يستعتبون وما هم من المعتمين وانما  
 يستلون سؤال تقريع وتوبيخ ومحاسنون ويشدد عليهم كافي قوله تعالى فوربك لنسألنهم  
 أجمعين وقال مجاهد لا تسأل الملائكة عن المجرمين لانهم يعرفون ببيماهم فانهم  
 يحشرون سود الوجوه زرق العيون وقال قتادة لا يستل المجرمون عن ذنوبهم اظهرها  
 وكثرها بل يدخلون النار بغير سؤال وحساب وقبيل لا يستل مجرموه هذه الامة عن ذنوب  
 الامم الخالية والمعنى يعرفون بها بغير سؤال وقبيل لا يسألهم الله عن كيفية ذنوبهم وكيفية  
 اذا أراد ان يعاقبهم قال ابن عادل واليق الوجوه بهذه الآية الاستعتاب (نخرج) قارون  
 وكان خروجه يوم السبت (على قومه في زينته) أي باتباعه الكافرين ربكنا متصليين بلباس  
 الذهب والحريز على خيول وبغال متحلية قاله المحلى عن أوس بن أوس الثقفي عن النبي  
 صلى الله عليه وآله وسلم قال خرج على قومه في أربعة آلاف بغل أخرجه ابن مردويه  
 وقد روى عن جماعة من التابعين أقوال في بيان ما خرج به على قومه من الزينة ولا يصح  
 منها شيء يعرفون عابلى هي من أخبار أهل الكتاب كما عرفناك غير مرة ولا ادري كيف اسناد  
 هذا الحديث الذي رفعه ابن مردويه فنظف بكتابه فلم ينظر فيه وقد ذكر المفسرون أيضا  
 في هذه الزينة التي خرج فيها آيات مختلفة والمراد انه خرج في زينة ابهر لها من رآها  
 ولهذا أعنى الناظرون اليه أن يكون لهم مثاها كما حكي الله عنهم بقوله (قال الذين يريدون  
 الحياة الدنيا) اختلف في هؤلاء القائلين بهذه المقالة فقيل هم من مؤمنى ذلك الوقت تمدوا  
 الدنيا لينتقروا الى الله تعالى ولينفقوه في سبيل الخير فتمتوا مثله لا عينه حذرا من الحسد

كلهم وذلك قوله أصحاب الجنة يومئذ خيرا مستقرا وأحسن مقبلا وقال سفيان عن ميسرة عن المنهال عن أبي  
 عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال لا يتصرف النهار حتى يقبل هؤلاء هؤلاء ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خيرا مستقرا وأحسن مقبلا  
 وقرأ ثم ان مرجعهم الى الخيم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله أصحاب الجنة يومئذ خيرا مستقرا وأحسن مقبلا قال قالوا في  
 العرف من الجنة وكان حسابهم اذ عرضوا على ربهم عرضة واحدة وذلك الحساب اليسير وهو مثل قوله تعالى فاما من أتى كتابه  
 بينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا وقال قتادة خيرا مستقرا وأحسن مقبلا ما وى ومنزلا وقال قتادة

وحدث صفوان بن محرز أنه قال يجاء برجلين يوم القيامة أحدهما كان ملكا في الدنيا إلى الجنة والبياض فيحاسب فإذا عبد لم يعمل خيرا فمؤمر به إلى النار والآخر كان صاحب كساء في الدنيا فيحاسب فيقول يا رب ما أعطيتني من شيء ففجأ به فيقول الله صدق عبدى فارس مؤمر به إلى الجنة ثم يترك ما شاء الله ثم يدعى صاحب النار فإذا هو مثل الجملة السوداء فيقال له كيف وجدت فيقول شرم قبيل فيقال له عد ثم يدعى بصاحب الجنة فإذا هو مثل القمر ليلة البدر فيقال له كيف وجدت فيقول رب خير قبيل فيقال له عد رواها ابن أبي حاتم كلها وقال ابن جرير (١٣٥) حدثني يونس أنبأ ابن وهب أنبأ عمرو بن

الحرث أن سعيد الصوافي حدثه أنه بلغه أن يوم القيامة يقصر على المؤمن حتى يكون كجانب العصر إلى غروب الشمس وأنهم يتقبلون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس وذلك قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وحسن مقبلا (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تزييلا الملائكة يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلت ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا) يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة فمن انشقاق السماء وتظورها وانفراجها بالغمام وهو ظلال النور العظيم الذي يبهز الأبصار ونزل الملائكة السموات يومئذ فيحيطون بالخلق لا ترق في مقام المحشر ثم يحيى الرب تبارك وتعالى النصل القضاء قال مجاهد وهذا كما قال تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة الآية قال

وقيل هم قوم من الكفار (يا) للتنبيه (ليت لنا مثل ما أوتي قارون) في الدنيا (انه لا وحظ عظيم) أي نصيب ونجاة ودولة وافرقة من الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم) بما وعد الله في الآخرة وهم احبار بني اسرائيل قالوا الذين تمنوا (ويديكم) كلمة زجر منصوبة بجمع رأى ألتكم الله ويديكم قاله الزمخشري ومثله في التبيان وأصل ويلك الدعاء بالهلكة ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى (تواب الله) في الآخرة بالجنة (خير لمن آمن وعمل صالحا) مما أوتي قارون في الدنيا لان الثواب منافعه عظيمة خاصة عن شوائب المضار دائمة وهذه النعم على الضدي في هذه الصفات فلا تتموا عرض الدنيا الزائل الذي لا يدوم وهذا بيان للمفضل عليه (ولا يلقاها) أي هذه الكلمة التي تكلم بها الاحبار وقيل الضمير يعود إلى الاعمال الصالحة وقيل إلى الجنة والمعنى لا يفهمها ويوقف عليها ويوفق للعمل لها (الا الصابرون) على طاعة الله والمصبرون أنفسهم عن الشهوات الراضون بقضاء الله في كل ما قسم من المنافع والمضار (فخسفناه) أي بقارون (وبداره الارض) يقال خسف المكان يخسف خسوفاً ذهب في الارض وخسف به الارض خسفاً أي غاب فيها والمعنى ان الله غيبه وغيب داره في الارض (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله) أي ما كان له جماعة يدفعون ذلك الخسف عنه (وما كان) هوفي نفسه (من المنتصرين) أي من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه فامتنع أخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس قال كان قارون ابن عم موسى وكان يتبع العلم حتى جمع علما فليرز في أمره ذلك حتى بقى على موسى وحده فقال له موسى ان الله أمرني أن أخذ الزكاة فإني فقال ان موسى يريد ان يأكل أموالكم جاءكم بالسلامة وجاءكم بأشياء فاحتملتموها فحتمتمون ان تعطوهم أموالكم فقالوا لا نتحمل فما ترى فقال لهم أرى ان أرسل إلى بني من بغايا بني اسرائيل فترسلها اليه فترميه بانه أرادها على نفسها فإرسالوا اليها فقالوا الهان عطيتهك جعلت على ان تشهدى على موسى انه خير بك قالت نعم فجاء قارون إلى موسى فقال اجع بني اسرائيل فاخبرهم بما أمرتك قال نعم فجمعهم فقالوا اله ما أمرتك قال أمرني ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وان تصلوا الرحم وكذا وكذا وأمرني اذا نزلني الرجل وقدأ حصن ان يرجم قالوا وان كنت أنت قال

ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحرث حدثنا مؤمل حدثنا جاد بن سلمة عن علي بن زيد بن يوسف بن مهرا عن ابن عباس انه قرأ هذه الآية ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تزييلا قال ابن عباس رضي الله عنهم ما يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة في صعيد واحد الجن والانس والبهائم والسباع والطير وجميع الخلق فتشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من الجن والانس وجميع الخلق فيحيطون بالجن والانس وجميع الخلق ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم والجن والانس وجميع الخلق وهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع الخلق ثم تنشق السماء الثالثة فينزل أهلها

وهم أكثر من أهل السماء الثانية والسماء الدنيا ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والانس وجميع الخلق ثم كذلك كل سماء على ذلك التضعيف حتى تنشق السماء السابعة وهم أكثر من نزل قبلهم من أهل السموات ومن الجن والانس ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم من أهل السموات وبالجن والانس وجميع الخلق كلهم وينزل ربنا عز وجل في ظلال من القمام وحوله الكروبيون وهم أكثر من أهل السموات السبع ومن الجن والانس وجميع الخلق لهم قرون كأقرب القنا وهم تحت العرش لهم (١٣٦) زجل بالتسبيح والتهليل والتقديس لله عز وجل ما بين أخص قدم أحدهم الى

نعم قالوا فانك قد زنت قال انافارسوا للمرأة فاجت فقامت فقالوا ما تشهدين على موسى فقال لها موسى انشدك بالله الاما صدقت قالت اما اذا نشدوني بالله فانهم دعوني وجعلوا الى جعلوا على ان أقذون بنفسي وأنا أشهد انك بريء وانك رسول الله فخر موسى ساجدا يبكي ويقول يا رب ان كنت رسولك فاعضب لي فاجحى الله اليه ما يبكيك قد ساطناك على الارض فرها فطبعك فرفع رأسه فقال خذهم فخذتهم الى أعقابهم فجعولوا يقولون يا موسى يا موسى فقال خذهم فخذتهم الى أعقابهم فجعولوا يقولون يا موسى يا موسى فقال خذهم فخذتهم فغشيتهم فاجحى الله اليه يا موسى سألك عبادي وتضرعوا اليك فلم تجبهم وعزيت لوانهم دعوني لاجبتهم قال ابن عباس وذلك قوله نخسفنا به وبداره الارض نخسف به الى الارض السفلى ذكره الخازن والقزطبي وغيرهم ما بالفاظ وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمن لبس ثوبا جديدا فاختمت فيه نخسف به من شفير جهنم فهو يتجبل فيها الا يبلغ قعرها لان فارون لبس جبنة فاختمت فيها نخسف الله به الارض رواه الحرث بن اسحق من حديث ابن عباس وأبي هريرة بسند ضعيف جدا قال الخافظ في الفتح ان مقتضى هذا الحديث ان الارض لاتأكل جسده فيمكن ان يلغز ويقال لنا كافر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون ذكره ابن القيم والتجبل السوخ في الارض والتحرك والتضعف والجلجلة التحريك قبل اذا وصل قارون الى قرار الارض السابعة نفع اسم اصيل في الصور (وأصبح) أي صار (الذين تنموا مكانه) أي منزلته وربته من الدنيا (بالامس) أي منذ زمان قريب ولم يرد خصوص اليوم الذي قبل يومه (يقولون ويكأن الله) أي يقول كل واحد منهم منذ ما على ما فرط منه من التني قال النحاس أحسن ما قيل في هذا ما قاله الخليل وسيبويه ويونس والكسائي ان القوم تنهوا فاقوا الواوي والمتنم من العرب يقول في خلال ندمه وي قال الجوهري وي كلمة تنجب ويقال ويك وقد تدخل وي على كأن الخففة والمشددة وي كان الله قال الخليل هي مفصلة تقول وي ثم تبتدئ فتقول كان وقال الفراء هي كلمة تقرير كقولك أما ترى صنع الله وإحسانه وقيل هي كلمة تنبيه بمنزلة الأوقال قطرب انما هو ويلك فاسقط لاسه وقال ابن الاعرابي والاختفش معنى ويك اعلم وقال القتيبي معناها بلغة جبر حجة لك وقيل هي بمعنى ألم تر وروى عن الكسائي انه قال هي كلمة

كعبه مسيرة خمسمائة عام وما بين كعبه التي ركبته مسيرة خمسمائة عام وما بين ركبته الى حيزته مسيرة خمسمائة عام وما بين حيزته الى ترقوته مسيرة خمسمائة عام وما بين ترقوته الى موضع القزط مسيرة خمسمائة عام وما فوق ذلك مسيرة خمسمائة عام ووجههم (١) محسسه هكذا رواه ابن أبي حاتم بهذا السياق وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسن حدثني الجراح عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران انه سمع ابن عباس يقول ان هذه السماء اذا انشقت ينزل منها من الملائكة أكثر من الانس والجن وهو يوم التلاق يوم يلتقي فيه أهل السماء وأهل الارض فيقول أهل الارض جابر بنا فيقولون لم يحي وهوأت ثم تنشق السماء الثانية ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف الى السماء السابعة فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجن والانس قال فتنزل الملائكة الكروبيون ثم يأتي ربنا في حلة العرش الثمانية بين كعب كل ملك وركبته مسيرة

سبعين سنة وبين خذته ومن كعبه مسيرة سبعين سنة قال وكل ملك منهم لم يتأمل وجهه ووجه صاحبه وكل ملك منهم واضع رأسه بين يديه يقول سبحان الملك القدوس وعلى رؤسهم شيء مبسوط كأنه القنا والعرش فوق ذلك ثم وقف فداره على علي بن زيد بن جدعان وفيه ضعف في سياقانه عالما وفيها انكاره شديدة وقد ورد في حديث الصور المشهور وقريب من هذا والله أعلم وقد قال الله تعالى فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال شهر بن حوشب حلة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حملك بعد علمك (١) قوله محسسه هكذا في الاصل الذي بأيدينا من غير نقط ولجرح رافض الرواية اه صححه

وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك الملك الحميد على عفوك بعد قدرتك رواه ابن جرير عنه وقال أبو بكر بن عبد الله إذا نظر أهل الأرض إلى العرش يهبط عليهم من فوقهم شخصت إليه أبصارهم ورجفت كلائمهم في أجوافهم وطارت قلوبهم من مقرها من صدورهم إلى خارجهم قال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسن حدثنا المعتمر بن سليمان عن عبد الجليل عن أبي حازم عن عبد الله بن عمرو قال يهبط الله عز وجل حين يهبط وينبئ بين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة فيصوت في تلك الظلمة صوت تتخلع له القلوب وهذا موقوف على عبد الله بن عمرو وله من الزاملتين (١٣٧) والله أعلم وقوله تعالى الملك يومئذ

الحق للرجن الآية كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وفي الصحيح إن الله تعالى يطوى السموات بيئته ويأخذ الأرض بيده الأخرى ثم يقول أنا الملك أنا الذي أنزلت الأرض وأبى الجبارون أين المتكبرون وقوله وكان يوما على الكافرين عسيرا أي شديدا صعبا لأنه يوم عدل وقضاء فصل كما قال تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير فهذا حال الكافرين في هذا اليوم وأما المؤمنون فكما قال تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر الآية وروى الامام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنه ليضفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا وقوله تعالى ويوم بعض الظالم على يديه الآية يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله من الحق المبين الذي لا مريية فيه وسلك طريقا

تفجع وقيل معناها أظن وأقدر (يسط) أي يوسع (الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) أي ويضيق على من يشاء والمعنى ليس الأمر كما زعمنا من أن البسط ينبي عن الكرامة والقبض ينبي عن الهوان بل كل منهما يقتضي مشيئته (ولو أن من الله علينا) برحمته بعدم اعطائه ما تمنناه وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغي (لخسف بنا) كما خسف به قرى منبئ للفاعل والمفعول (ويكأنه لا يفلح الكافرون) أي لا ينوزون بطلب من مطالبهم تأكيدهما قبله (تلك) التي سمعت بخبرها وبلغت شأنها (الدار الآخرة) أي الجنة والإشارة إليها المقصد العظيم لها والتعظيم لشأنها (تجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض) أي رفعة وتكبرا على المؤمنين وقيل ظلمة وقيل استطالة على الناس وتم اونا بهم بالبغي (ولا فسادا) أي عملا بعاصي الله سبحانه فيها كقتل النفس والزنا والسرقه وشرب الخمر أو دعاء إلى عبادة غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهم ما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تتركوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يردد ما حتى قبض وقال بعضهم حقيقته التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبها بقوله ان فرعون علا في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض وذكر الفساد والعلو منكرين في حيز النبي يدل على شمولهما الكل ما يطلق عليه انه فساد وانما علو من غير تخصيص بنوع خاص اما الفساد فظاهر انه لا يجوز شي منه كأننا ما كان وأما العلو فالمنوع منه ما كان على طريقة التكبر على الغير والتطاول على الناس وليس منه طلب العلو في الحق والرياسة في الدين ولا محبة اللباس الحسن والمركوب الحسن والمزلة الحسن عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال التجير في الأرض والاخذ بغير الحق أخرجه المحاملي والديلمي وروى مثله عن مسلم البطين وابن جرير وعكرمة وقال سعيد بن جبيرة بغيا في الأرض وعن الحسن قال هو الشرف والعلو عند ذوى سلطانهم وأقول ان كان ذلك للتقوى به على الحق فهو من خصال الخير لا من خصال الشر وعن علي بن أبي طالب قال ان الرجل يحب ان يكون شسع نعله أفضل من شسع نعل صاحبه فيدخل في هذه الآية قال ابن كثير في تفسيره بعد ذكر هذه الرواية عن علي وهذا محمول على من أحب ذلك لا بمجرد التجميل فهذا الأبا من فقد ثبت ان رجلا قال يا رسول الله انى أحب ان يكون ثوبى حسنا ونعلى حسنة أفن الكبر

(١٨ - فتح البيان سابع) أخرى غير يديل الرسول فاذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه التسلم وعض على يديه حسرة وأسفا وسواها كان سبب نزولها في عقبه من أى معيط أو غيره من الاشقياء فانها عامية في كل ظالم كما قال تعالى يوم تقلب وجوههم في النار الآيتين فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم وبعض على يديه قائلا لا ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتيا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا يعنى من صرفه عن الهدى وعدل به الى طريق الضلال وسواه في ذلك أمية بن خلف أو أخوه أبى بن خلف أو غيرها لقد أضلنى عن الذكر وهو القرآن بعد اذ جاني أى بعد بلوغه الى قال الله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا أى يخذله عن الحق

و يصرفه عنه ويستعمله في الباطل ويدعوه اليه (وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) يقول تعالى مخبرا عن رسوله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه قال يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وذلك ان المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يستمعونه كما قال تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الاية فكانوا اذا اتى عليهم القرآن ا كتموا اللغظ والكلام في غيره حتى لا يسمعونه فهذا من هجرانه وترك الايمان به وترك تصديقه من هجرانه وترك تدبره (١٣٨) وتفهمه من هجرانه ترك العمل به وامثال او امره واجتناب زواجره

ذلك قال لا ان الله جليل يجب الجمال وعن علي بن ابي طالب قال نزلت هذه الاية في اهل العدل والتواضع من الولاة واهل القدرة من سائر الناس وعن ابن عباس مثله وعن عدى بن حاتم قال لما دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتى اليه وسادة فجلس على الارض فقال اشهد انك لا تبغى علوا في الارض ولا فسادا فاسلم اخرج به ابن مردويه (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) أي لمن اتقى عقاب الله بآداء امره واجتناب نواهيه وقيل عاقبة المتقين الجنة (من جاء) يوم القيامة متصفا (بالحسنة) بان كان من المؤمنين والحسنة ما يحمد فاعلها شرعا وسمت حسنة لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها في القيامة والمراد الحسنة المقبولة الاصلية المعمولة للعبد او ما في حكمها كما لو تصدق عنه غيره لا المأخوذة في نظير ظلامتهم كما لو ضرب زيد عمر اضربه وكان لزيد حسنات موجودة فيؤخذ منها فيعطى لعمر وهذه الحسنة لا تنسب لعمر ولا حقيقة ولا حكما فلا تضاعف له وخرج بالمعمولة ما لو هم بحسنة فلم يعملها مانع فانها تكتب له واحدة ويجازى عليها من غير تضعيف (فله خير منها) وهوان الله يجازيه بعشرة امثالها الى سبعمائة ضعف والتضعيف خاص بهذه الامة واما غير هذه الامة من بقية الامة فلا تضعيف لهم والصواب دخول المضاعفة في حسنات العصاة ان كانت على وجه يتناول القبول بان يعملها على وجه لاريا فيه ولا سمعة وعدم دخولها في أعمال الكفار لانه لا يجتمع مع الكفر طاعة مقبولة ان لم يسلم والافتة تكون للمقبولة في الاسلام ولا تضاعف الحسنات الحاصلة بالتضعيف (ومن جاء بالسنة فلا يجزى) معناه فلا يجزون فوضع (الذين عملوا السيئات) موضع الضمير لان في اسناد عمل السنة اليهم مكررا افضل تهجين لانهم وزيادة تبغض للسنة الى قلوب السامعين والسنة هي ما يذم فاعلها شرعا صغيرة كانت او كبيرة وسمت سنة لان فاعلها يسامها عند المجازاة عليها (الاسئل) ما كانوا يعملون) وحذف المنل وأقيم مقامه ما كانوا الخ المبالغة في المماثلة ومن فضله العظيم ان لا يجزى السنة الا بعملها ويجزى الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة وقد تقدم بيان معنى هذه الاية في سورة النمل ان الذي فرض عليك القرآن قال المفسرون أي أنزل عليك وقال الزجاج فرض عليك العمل بما يوجب القرآن وتقدير الكلام فرض عليك أحكام القرآن وفرائضه وقيل أوجب عليك تلاوته وتبلغه والعمل بما فيه عن علي بن حسين بن واقد قال أنزل

من هجرانه والعدول عنه الى غيره من شعرا أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء أن يخلصنا مما يسخط ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه آباء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يحبه ويرضاه انه كرمه هاب وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين أي كما حصل للبايع في قومك من الذين هجروا القرآن كذلك كان في الامة الماضية لان الله جعل لكل نبي عدوا من المجرمين يدعون الناس الى ضلالهم وكفرهم كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شيططين الانس والجن الايتين ولهذا قال تعالى ههنا وكفى بربك هاديا ونصيرا أي لمن اتبع رسوله وآمن بكتابه وصدقته واتبعه فان الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة وانما قال هاديا ونصيرا لان المشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع القرآن لئلا يهتدى أحدهم ولنغلب طريقهم طريقة القرآن فلهذا قال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين الاية (وقال الذين كفروا لولا انزل عليه القرآن جله واحدة كذلك لنثبت به فؤادك هذه ورتلناه قرآنا ولا يأتونك بمثل الا جئتكم بالحق وأحسن تفسيرنا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) يقول تعالى مخبرا عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعينهم حيث قالوا لولا انزل عليه القرآن جله واحدة أي هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذين أوحى اليه جله واحدة كما نزلت الكتب قبله جله واحدة كالنور والانييل والزبور وغيرها من الكتب الالهية فلما جعلهم الله تعالى عن ذلك بانه لما نزل منجما في ثلاثة وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج

جعله لكل نبي عدوا من المجرمين الاية (وقال الذين كفروا لولا انزل عليه القرآن جله واحدة كذلك لنثبت به فؤادك هذه ورتلناه قرآنا ولا يأتونك بمثل الا جئتكم بالحق وأحسن تفسيرنا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) يقول تعالى مخبرا عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعينهم حيث قالوا لولا انزل عليه القرآن جله واحدة أي هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذين أوحى اليه جله واحدة كما نزلت الكتب قبله جله واحدة كالنور والانييل والزبور وغيرها من الكتب الالهية فلما جعلهم الله تعالى عن ذلك بانه لما نزل منجما في ثلاثة وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج



اليمن الاحكام لثبوت قلوب المؤمنين به كقولهم وقرأ نافرقاه الآية ولهذا قال لثبوت به فوادك ورتلناه ترتيلا قال قتادة بيناه  
 تبينا وقال ابن زيد وفسرناه تفسير اوليا بتونك بمنزل أى بحجة وشبهة الاجتنان بالحق واحسن تفسير أى ولا يقولون قولاً  
 يعارضون به الحق الأجنبناهم بما هو الحق في نفس الامر وأبين وأوضح وأفصح من مقالهم قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس  
 ولا يأتونك بمنزل أى بما يلبسون به عيب القرآن والرسول الاجتنان بالحق الآية أى الانزل جبرائيل من الله تعالى بجوابهم وما  
 هذا الاعتناء وكبير شرف للرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان (١٣٩) يأتيه الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحاً

ومساءً وليلاً ونهاراً سراً وحضراً  
 وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن  
 كانزال الكتاب مما قبله من الكتب  
 المتقدمة فهذا أعلى وأجل وأعظم  
 مكانة من سائر اخوانه من الانبياء  
 صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين  
 فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله ومحمد  
 صلى الله عليه وسلم أعظم نبي أرسله  
 الله تعالى وقد جمع الله للقرآن  
 الصفتين معاً ففي الملائكة أنزل  
 جملة واحدة من اللوح المحفوظ  
 الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم  
 أنزل بعد ذلك الى الارض منجماً  
 بحسب الوقائع والحوادث وروى  
 النسائي بإسناده عن ابن عباس قال  
 أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء  
 الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك  
 في عشرين سنة قال الله تعالى  
 ولا يأتونك بمنزل الاجناس بالحق  
 واحسن تفسيراً وقال تعالى وقرأنا  
 فرقاناً متفرقاً على الناس على مكث  
 ونزلناه تنزيلاً ثم قال تعالى مخبراً  
 عن سوء حال الكفار في معادهم  
 يوم القيامة وحشرهم الى جهنم في  
 أسوأ الحالات وأقبح الصناعات الذين  
 يحشرون على وجوههم الى جهنم

هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحفة حين خرج صلى الله عليه وآله وسلم  
 مهاجر الى المدينة فليست مكية ولا مدنية كما مر في أول السورة (لرأدك الى معاد) قال  
 جمهور المفسرين أى الى مكة وهذا أقرب التفسير وبه قال ابن عباس كما أخرجه البخاري  
 عنه وزاد كما أخرجه منها قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده  
 وقال مجاهد وهو مكة والزهرى والحسن ان المعنى لرأدك الى يوم القيامة وهو اختصار  
 الزجاج يقال بيني وبينك المعاد أى يوم القيامة لان الناس يعودون فيه احياء وقال أبو  
 مالك وأبو صالح لرأدك الى الجنة وبه قال أبو سعيد الخدري وروى عن مجاهد وقيل  
 الى معاد أى الى الموت (قل رب اعلم من جاء بالهدى) وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
 لانه الجاني به (ومن هو في ضلال مبين) وهم المشركون وهذا جواب لكتابتهم مكة لما قالوا  
 للنبي صلى الله عليه وآله وسلم انك في ضلال والاولى جعل الآية على العموم وان الله سبحانه  
 يعلم حال كل طائفة من هاتين الطائفتين ويجازيهما بما تستحقه من خير وشر (وما كنت  
 قبل مجي الزلالة اليك (ترجو) وتوكل ان ترسلك الى العباد وان يلقى اليك الكتاب)  
 فانزله عليك ليس عن معاد ولا عن طلب سابق منك وهذا انك كبره صلى الله عليه وآله  
 وسلم بالنعم والاستثناء في قوله (الارحمة من ربك) منقطع أى لكن القائه عليك رحمة من ربك  
 أو متصل جملة على المعنى كانه قيل وما أتى اليك الكتاب الا لاجل الرحمة من ربك والاول  
 أولى وبه حزم الكسائي والفرأه ثم أمره الله بخمسة أشياء فقال (فلا تكون ظهيرا  
 للكافرين) أى عوناً لهم وفيه تعريض بغيره من الامة وقيل المراد لا تكون ظهيرا لهم  
 بداراتهم (ولا يصدنك) قرئ من صده يصده ومن أصده بمعنى صده والمعنى لا يمنعك يا محمد  
 الكافرون وأقوالهم وكذبهم واذاهم (عن آيات الله) أى عن تلاوتها والعمل بها وتبليغها  
 (بعداً أنزلت اليك) أى بعد ان أنزلها الله اليك وفرضت عليك (وادع) الناس (الى ربك)  
 أى الى الله والى توحيد العمل بفرائضه واجتناب معاصيه (ولا تكون من المشركين)  
 باعانتهم وفيه تعريض بغيره كما تقدم لانه صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون منهم بحال من  
 الاحوال وكذلك قوله (ولا تدع مع الله الها آخر) فانه تعريض بغيره ثم حذر سبحانه نفسه  
 ووصفها بالبقاء والدوام فقال (لا اله الا هو كل شئ) من الاشياء كما انما كان (هالك) في  
 حد ذاته لان وجوده ليس ذاتياً بل لاستناده الى واجب الوجود فهو بالتقوى بالذات

أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً وفي الصحيح عن أنس ان رجلاً قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال ان  
 الذي أمشاه على رجليه قادر ان يشبهه على وجهه يوم القيامة وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من المفسرين (ولقد  
 آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيراً فقلنا اذهب الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً وقوم نوح لما كذبوا  
 الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعدنا للظالمين عذاباً أليماً وعادوا نوحاً وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً ولا ضربنا  
 الامثال وكلنا تباركنا تبيراً) ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطراً من السماء فقل بكروا ربنا هل كانوا الا يرجون نشوراً) يقول تعالى

متوعدا من كذب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من مشركي قومه ومن خالفه ومخذرهم من عقابه وأليم عذابه مما أحلها بالاحتم  
 الماضية المكذبين لرسوله فسد أئد كرموسى وانه بعنه وجعل معه أخاه هارون وزيراً أي نبياً وازراؤه ويدا وناصران فكذبهما  
 فرعون وجنوده فدعاهم الله عليهم وللكافرين أمثالها وكذلك فعل بقوم نوح حين كذبوا رسوله نوح عليه السلام ومن كذب  
 برسول فقد كذب بجميع الرسل اذ لا فرق بين رسول ورسول ولو فرض ان الله تعالى بعث اليهم كل رسول فأنهم كانوا يكذبون ولهذا  
 قال تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل (١٤٠) ولم يعث اليهم الا نوح فقط وقد لبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما

يدعوهم الى الله عز وجل ويحذره  
 قومه بما آمن معه الا قليلا ولهذا  
 أغرقهم الله جميعا ولم يترك من بني  
 آدم على وجه الارض سوى أصحاب  
 السفينة فقط وجعلناهم للناس  
 آية أي عبرة يعتبرون بها كما قال  
 تعالى انما اطغى الماء جاننا كم في  
 الحارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها  
 أذن واعية أي وأبقينا لكم من  
 السفن مائة كبون في لبح البحار  
 لتذكروا نعمه الله عليكم من  
 انجائكم من الغرق وجعلكم من  
 ذرية من آمن به وصدق امره وقوله  
 تعالى وعادا وثمود وأصحاب الرس  
 قد تقدم الكلام على قصتهم ما في  
 غير ما سورة كسورة الاعراف بما  
 أغنى عن الاعادة وأما أصحاب  
 الرس فقال ابن جرير عن ابن  
 عباس هم أهل قرية من قرى ثود  
 وقال ابن جرير قال عكرمة  
 أصحاب الرس بنج وهم أصحاب يس  
 وقال قتادة فلبج من قرى اليمامة ولا ين  
 أبي حاتم بسنده عن ابن عباس  
 في قوله وأصحاب الرس قال بئر  
 بأذربيجان وقال الثوري عن  
 أبي بكر عن عكرمة الرس يردسوا

معدوم حالا والمراد بالمعدوم ليس له وجود ذاتي لان وجوده كلا وجود وأما جل هالك  
 على المستقبل فكلام ظاهرى قاله الشهاب (الوجه) أى الاذاته قال الزجاج وجهه  
 منصوب على الاستثناء ولو كان في غير القرآن كان مر فوعا بمعنى كل شىء غير وجهه هالك  
 وقضية الاستثناء اطلاق الشىء على الله تعالى وهو الصحيح لان المستثنى داخل في المستثنى  
 منه وانما جاء على عادة العرب في التعبير بالاشرف عن الجملة ومن لم يطلقه عليه جعله متصلا  
 أيضا وجعل الوجه ماعمل لاجله سبحانه فان ثوابه باق قاله الكرخي وأخرج ابن مردويه  
 عن ابن عباس قال لما نزلت كل من علم فان قات الملائكة هلك أهل الارض فلما نزلت  
 كل نفس ذاتة الموت قات الملائكة هلك كل نفس فلما نزلت كل شىء هالك الا وجهه  
 قات الملائكة هلك أهل السماء والارض وعنه قال الامأريد به وجهه والمستثنى من  
 الهلاك والقضاء ثمانية أشياء نظمها السيوطى في قوله

ثمانية تحكم البقاء بعلمها \* من الخلق والباقون في حيز العدم  
 هي العرش والكرسي و نار وجنة \* وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم  
 (له الحكم) أى القضاء النافذ يقضى بما شاء ويحكم بما أراد (والله) أى الى جزائه أو اليه  
 وحده (ترجمون) فى جميع أحوالكم فى الدنيا وعند البعث ليجزى المحسن باحسانه  
 والمسيي بأسائه لا الى غيره سبحانه وتعالى

\* (سورة العنكبوت هي تسع وتسعون آية قيل مكية كلها) \*

قاله ابن عباس وابن الزبير والحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقيل انها مدنية كلها  
 وهو أحد قولى ابن عباس وقتادة وهو قول يحيى بن سلام وعن علي بن أبي طالب قال  
 نزلت بين مكة والمدينة وهذا قول ثالث وأخرج الدارقطنى فى السنن عن عائشة ان  
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلى فى كسوف الشمس والقمر أربع ركعات  
 وأربع سجودات يقرأ فى الركعة الاولى العنكبوت أو الروم وفى الثانية يس

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(الم) الله أعلم بما رده وقد تقدم الكلام على فاتحة هذه السورة مستوفى فى أول سورة  
 البقرة (أحسب الناس) الاستفهام للتوبيخ والتقرير والحسبان قوة أحد

فيها بينهم أى دفنوه فيها قال ابن اسحق عن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان  
 أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الاسود وذلك ان الله تعالى بعث نبيا الى أهل قرية قلم يؤمن به من أهلها الا ذلك العبد  
 الاسود ثم ان أهل القرية عدوا على النبي فخفروا له بئر فالتقوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر أصم قال فكان ذلك العبد يذهب فيحطب  
 على ظهره ثم أتى بقطبه فيبيعه ويشترى به طعاما لو شربا ثم يأتي به الى ذلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويعينه الله تعالى عليها فيمد يديه  
 طعاسه وشربه ثم يرد كما كانت قال فكان ذلك ماشاء الله ان يكون ثم انه ذهب يحطب كما كان يصنع فجمع قطبه وحرّم حرّمته

المنقضين

وفرع منها فلما أراد ان يحتملها وجد سنة فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين ثم انه هب فتمطى فتمحو لاشقه الاخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ثم انه هب واحتمل حرمته ولا يحسب الا انه نام ساعة من نهار فجا الى القرية فباع حرمته ثم اشترى طعاما وشرايا كما كان يصنع ثم ذهب الى الحفيرة في موضعها الذي كانت فيه فالتسه فلم يجده وكان قد بد القوم فيه بداه فاستخرجوه وامنوا به وصدقوه قال فكان بينهم بسألهم عن ذلك الاسود وما فعل فيقولون له لا ندري حتى قبض الله النبي وهب الاسود من نومه بعد ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٤١) ان ذلك الاسود لاول من يدخل الجنة

وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن كعب مر سلا وفيه غرابة ونكارة ولعل فيه ادراجا والله أعلم وقال ابن جرير لا يجوز ان يحمل هؤلاء على أنهم أصحاب الرس الذين ذكروا في القرآن لان الله أخبر عنهم انه أهل الكهـم وهو هؤلاء آمنوا بينهم الا ان يكون حدث احد ان آمنوا بالنبي بعد هلاك آباءهم واختار ابن جرير ان المراد بأصحاب الرس أصحاب الاخدود الذين ذكروا في سورة البروج فالتسه أعلم وقوله تعالى وقرونا بين ذلك كشيء رأى وأما ما بين اضعاف ذلك أهل ككاهم كشيء اوله هذا قال وكلاضربنا الله الامثال أي بيناهم الحجج وأوضحنا لهم الادلة كما قال قتادة وأزحنا الاعذار عنهم وكلا تبننا تبيرا أي أهل ككاهم اهلا كما كقوله تعالى وكم أهل ككاهم القرون من بعد نوح والقرن هو الامة من الناس كقوله ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين وحده بعضهم بمائة وعشرين سنة وقيل بمائة وقيل بثمانين وقيل

التقيضين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو والوقوف بينـ ما والعلم هو القطع على أحدهما ولا يصح تعليقه بما عانى المفردات ولكن عصام بن الجمل (أن يتركوا أن يقولوا) أي لان يقولوا أو بان يقولوا أو على ان يقولوا (آمننا) أي نطقوا بكلمة الشهادة (وهم لا يفتنون) أي يتركون بغير اختبار ولا ابتلاء وليس الامر كما حسبوا بل لابد ان يختبرهم حتى يتبين الخالص من المنافق والصادق من الكاذب والثابت في الدين من المضطرب فيه فالآية مسوقة لانكار ذلك الحسد بان واستبعاد وبيان انه لا بد من الامتحان بأنواع التكليف وغيرها قال الزجاج المعنى أحسبوا ان تقع منهم بان يقولوا اذؤمنون فقط ولا يتحنون بما يتبين به حقيقة ايمانهم بل يتحنون لغير الراسخ في الدين من غيره قال السدي وقتادة ومجاد ما لا يتلون في أموالهم وأنفسهم بالقتل والتعذيب وسيأتي في بيان سبب نزول هذه الآيات ما يوضح معنى ما ذكرنا قال ابن عطية وهذه الآية وان كانت نازلة في سبب خاص فهي باقية في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووجود حكمها بقية الدهر وذلك ان الفتن من الله باقية في نغور المسلمين بالاسرو ونكابة العدو وغير ذلك والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مشاركة الاوطان والمهاجرة ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والفقر والتعط وأتباع المصائب في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم لئلا يوالوا الصبر عليهم الى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود في العذاب أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير وغيرهم انها أنزلت في ناس كانوا يمجسوا وقد أقروا بالاسلام فكذب اليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة قبل انزل آية الهجرة انه لا يقبل منكم اقرار ولا اسلام حتى تهاجر وقال نخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فردوهم فزلت فيهم هذه الآية فكذبوا اليهم انه قد أنزل فيكم كذا وكذا فقولوا نخرج فان اتبعنا أحد قتلناه فخرجوا فابعمهم المشركون فقاتلهم فقتلهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما قتلوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعد الغنور رحيم وعن قتادة نحوه ما خصرتمه وقيل نزلت في عمار ابن ياسر اذ كان يعذب في الله وعن ابن مسعود قال أول من أظهر الله اسلامه سبعة رسول الله وأبو بكر ومحمد وعمار وعاصم وبلال والمقداد فامر رسول الله ففعله الله

أربعين وقيل غير ذلك والظاهر ان القرن هو الامة المتعاصرون في الزمن الواحد واذا ذهبوا وخلفهم جبل فهو قرن آخر كما ثبت في الصحاح خير القرون قرنى الحديث ولقد أنزلت على القرية التي أمطرت مطر السوء يعني قرية قوم لوط وهي سدوم التي أهل ككاهم الله بالقلب والمطر من الحارة التي من حجيل كما قال تعالى وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقال وانكم لتقرن عليهم مصحين وبالليل أفلا تعقلون وقال تعالى وانهم السبيل مقيم وقال وانهم بالمام بين ولهذا قال أفلم يكونوا يرونها أي فيعتبروا بما حل باهلها بسبب تكذيبهم الرسول وبخالفتم أو امر الله بل كانوا لا يرجون نشورا يعني الممارين من الكفار لا يعتبرون

لانهم لا يرجون نشورا أي معاد أيوم القيامة (واذ أروا) ان يتخذونك الالهزوا هذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا  
لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أ رأيت من اتخذ الله هو آفأنت تكون عليه وكيلا  
أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول صلى  
الله عليه وسلم اذ أروا كما قال واذا أرك الذين كفروا ان يتخذونك الالهزوا الآية بعنوانه العيب والنقص وقال هيئتوا اذا أروا  
ان يتخذونك الالهزوا هذا الذي بعث (١٤٢) الله رسولا أي على سبيل التنقص والازدراء ففجبههم الله كما قال

ولقد استهزئ برسول من قبلنا الآية وقوله تعالى ان كاد ليضلنا عن آلهتنا يعنون انه كاد يفتنهم عن عبادة الاصنام لولا ان صبروا وتجلدوا واستمروا عليها قال الله تعالى متوعدا لهم ومتمهدا وسوف يعلمون حين يرون العذاب الآية ثم قال تعالى لنبيه منها ان من كتب عليه الشقاوة والضلال فانه لا يهديه أحد الا الله عز وجل أ رأيت من اتخذ الله هو آفأنت تكون عليه وكيلا قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الابيض زمانا فاذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول ثم قال تعالى أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون الآية أي هم أسوأ حالا من الانعام السارحة فان تلك تفعل ما خلقت له وهؤلاء خلة والعبادة لله وحده لا تسريك له فلم يفعلوا وهم يعبدون غيره ويشركون به مع قيام الحجة عليهم وارسال الرسل اليهم (أم تر

دعه أي طالب واما أبو بكر ففعله الله بقومه واما سائرهم فأخذهم المشركون قال بسوهم أدرع الحديد وصهر وهم في الشمس فاستمهم من أحد الا وقد آتاهم على ما أرادوا الا بلال فانه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فأخذوه وأعطوه الولدان فاعلوا بطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد (ولقد قستا الذين من قبلهم) أي هذه سنة الله في عباده قديمة جارية في الامم كلها وانه يختبر مؤمني هذه الامة كما اختبر من قبلهم من الامم كما جاء به القرآن في غير موضع من قصص الانبياء وما وقع لهم من قومهم من الخن وما اختبر الله به اتباعهم ومن آمن بهم من تلك الامور التي نزلت بهم فتمهم من نشر بالانشار ومنهم من قتل ومنهم من القى في النار ومنهم من مشط بأمشاط الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه وابتنى بنو اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب والمقصود التنبيه على خطئهم في هذا الحساب والمعنى أحسبوا ذلك وقد علموا انه خلاف سنة الله وان تجلسنة الله تحويلا (فليعلم الله الذين صدقوا) في قولهم آمننا علم مشاهدة (وليعلم الكاذبين) منهم في ذلك أي يظهر الله الصادق والكاذب في قولهم ويعيز بينهم وقرئ بضم الياء وكسر اللام والمعنى انه يعلم الطائفتين في الآخرة بما نزلهم أو يعلم الناس بصدق من صدق وبفرض الكاذبين بكذبهم أو يضع لكل طائفة علامة تشتهر بها وتميز عن غيرها وقيل ان علم الله صفة يظهر فيها كل ما يقع وما هو واقع الا ان قبل التكليف يعلم ان زيد امثلا يستطيع وعمر اسبغى ثم بعد التكليف يعلم انه يستطيع والآخرة عاص ولا يتغير علمه في شيء من الاحوال وانما المتغير هو المعالوم أو أي بصيغة الفعل في صدقوا وباسم الفاعل في الكاذبين لان اسم الفاعل يدل على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه لان وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالاسلام وعن قوم مستترين على الكفر فعبر في حق الاولين بلفظ الفعل وفي حق الآخرين بالصيغة الدالة على اثبات قائله زاده (أم حسب الذين يعملون السيئات أي الشرك والمعاصي (أن يسبقونا) أي ان يفتونا فلان تقدم منهم ويجوزنا قبل ان نؤاخذهم بما يعملون وأم هي المتطاعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسين أبطل من الحسين الاول لان ذلك يقدر انه لا يتحقق لايمانه وهذا يظن انه لا يجازي بماويه وقالوا الاول في المؤمنين وهذا في الكافرين المشركين (ساء ما يحكمون) أي ينس الذي يحكمونه حكمهم هذا وقال

الزجاج

الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا) من ههنا شرع سبحانه وتعالى في بيان الادلة الدالة على وجوده وقدرته

النامة على خلق الاشياء المختلفة والمتضادة فقال تعالى ألم تر ان ربك كيف مد الظل قال ابن عباس وابن عمرو أبو العالبة وأبو مالك ومسروق ومجاهد وسعيد بن جبيرة والنخعي والضم والواحد والواحد هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ولو شاء لجعله ساكنا أي دائما ليزول كما قال تعالى قل أ رأيت ان جعل الله عليكم الليل سريلا والليل سريلا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا

أى لولان الشمس تطلع عليه لما عرف فان الضد لا يعرف الا بضده قال قتادة والسدى دليلان تلوه وتتبعه حتى تأتي عليه كاه وقوله تعالى ثم قبضناه اليانقباض يسير أى الظل وقيل الشمس يسير أى سهلا قال ابن عباس سريعا وقال مجاهد خفيا وقال السدى قبضا خفيا حتى لا يبقى في الارض ظل الا تحت سقف أو تحت شجرة وقد أظلت الشمس ما فوقه وقال أيوب بن موسى في الآية قبضا يسيرا قليلا قليلا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا أى يلبس الوجود ويغشاه كما قال تعالى والليل اذا غشى والنوم سباتا أى قاطعا للحركة لراحة الابدان فان الاعضاء والجوارح (١٤٣) تتكلم من كثرة الحركة في الانتشار

بالنهار في المعاش فاذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معا وجعل النهار نشورا أى يتشتر الناس فيه لمعايشهم ومكاسبهم وأسس باهم كما قال تعالى ومن رحته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله الآية (وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحته وأرنا من السماء ماء طهورا النبي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وآناسى كثيرا وقد صرفناه بينهم ليدذكروا فاني أكثر الناس الا كفورا) وهذا أيضا من قدرته التامة وسلطانه العليم وهو انه تعالى يرسل الرياح بمشرات أى عجيء السحاب بعدها والريخ أنواع في صفات كثيرة من التسخير فنها ما تثير السحاب وهما ما تحمله ومنها ما تسوقه ومنها ما يكون بين يدي السحاب بمشرا ومنها ما يكون قبل ذلك تقدم الارض ومنها ما يلقح السحاب ليطر ولهذا قال تعالى وأرنا من السماء ماء طهورا

الزجاج ما في موضع نصب بمعنى ساء شيبا أو حكا يحكمون قال ويجوز ان تكون ما في موضع رفع بمعنى ساء الشيء أو الحكم حكمهم وقال ابن كيسان ساء حكمهم (من كان يرجو لقاء الله) الرجاء بمعنى الطمع قاله سعيد بن جبير وقيل الرجاء هنا بمعنى الخوف قال القرطبي وأجمع أهل التفسير على ان المعنى من كان يخاف الموت وقيل البعث والحساب قال الزجاج أى ثواب المصير اليه تعالى فالرجاء على هذا معناه الأمل ومن موصولة أو شرطية والجزاء قوله (فان أجل الله) والراجح انه ليس بجزاء لان أجله جاء لا محالة من غير تقييد بشرط لانه لو كان جواب الشرط لزم ان من لا يرجوه لا يكون أجل الله آتيا له بل الجواب محذوف أى فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادته به أحد او المعنى من كان يرجو لقاء الله فان أجله المضروب للبعث والثواب والعقاب (لا ت) أى لجاهد لا محالة قال مقاتل يعنى يوم القيامة وفى الآية من الوعد والوعيد والترهيب والترغيب ما لا يخفى (وهو السميع) لا قول عباده (العليم) بما يسرونه وما يعلنونه (ومن جاهد نفسه) الكفار وجاهد نفسه بالصبر على الطاعات أو جاهد الشيطان بدفع وساوسه (فانما يجاهد لنفسه) أى ثواب ذلك له لا لغيره ولا يرجع الى الله سبحانه من نفع ذلك شئ وهذا يحكم الوعد لا يحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفى فالحصر اضافى فلا يقال كيف يستقيم الحصر مع ان جهاد الشخص قد ينتفع به غيره كما ينتفع الآباء بالصالح الاولاد وينتفع من سن سنة حسنة بفعل من استن بها وقيل المعنى ومن جاهد عدوه لنفسه لا يريد بذلك وجه الله فليس لله حاجة بجهاده والاول اولى وفيه بشارة وتخويف (ان الله لغنى عن العالمين) من الانس والجن والملائكة فلا يحتاج الى طاعتهم كالتضرع معاصيهم وانما أمر ونهى رحمة لعباده (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) أى لتبطلها حتى تصير بمنزلة ما لم يعملوا والتكفير اذ هاب السيئة بالحسنه والمراد بالسيئة الشرك والمعاصى وتكفيرها هو الايمان والتوبة والآية تستدعى وجود السيئات حتى تكفر والوجه فيه انه ما من مكاف الاولة سيئة ما غير الا انبياء فظاهر وأما الانبياء فلان ترك الافضل منهم كالسيئة من غيرهم ولهذا قال تعالى عفا الله عنكم لم أذنت لهم (ولنجزيهم أحسن الذى كانوا يعملون) أى يا حسن جزاء أعمالهم وقيل بجزاء أحسن أعمالهم والمراد يا حسن مجرد الوصف لا التفضيل لثلاث يكون جزاؤهم بالحسن مسكونا عنه وهذا

أى آلة يظهر بها كالتحجور والوجور وما جرى مجراهما فهذا أسمى ما يقال في ذلك وأما من قال انه فعول بمعنى فاعل أو انه مبنى للمبالغة والتعدي فعلى كل منهما اشكالان من حيث اللغة والحكم ليس هذا موضع بسطها والله أعلم وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو ياسناده الى الطويل عن ثابت البناني قال دخلت مع أبى العالبيه في يوم مطير وطرق البصرة فذرة فصلى فقلت له فقال وأرنا من السماء ماء طهورا قال طهره ماء السماء وقال أيضا حدثنا أبو سلمة حدثنا وهيب عن داود عن سعيد بن المسيب في هذه الآية قال أرنا الله طهورا لا ينجسه شئ وعن ابى سعيد قال قيل لرسول الله أتوضأ من بئر بضاعة وهى بئر

يبقى فيها التن ولحوم الكلاب فقال ان الماء طهور لا ينجسه شيء رواه الشافعي وأجد وصححه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وروى ابن أبي حاتم بإسناده حدثنا أبي حدثنا أبو الأشعث حدثنا معمر سمعت أبي يحدث عن سيار عن خالد بن يزيد قال كما عند عبد الملك بن مروان فذكروا الماء فقال خالد بن يزيد منه ماء من السماء ومنه ماء يشرب منه الغيم من البحر فيه مذبة الرعد والبرق فأما ما كان من البحر فلا يكون منه نبات فأما النيات فما كان من السماء وروى عن عكرمة قال ما أنزل الله من السماء قطرة الا أنبت به في الارض عشب اوفى (١٤٤) البحر لؤلؤة وقال غيره في البر بروفي البحر درر وقوله تعالى

ليس بشيء لأنه من باب الاولى فإنه اذا جازاهم بالاحسن جازاهم بما دونه فهو من التنبيه على الادنى بالا على وقيل معناه تعظيمهم أكثر مما عملوا وأحسن منه كما في قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أي ايضاً حسناً على المبالغة قاله الكواشي أو ذا حسن وهذا مذهب البصريين أو ان يفعل حسناً قاله الكوفيون قال الزجاج ان يفعل بوالديه ما يحسن وقيل وصيناه أمر اذا حسن وقيل ألزماه حسناً وقيل وصيناه بحسن وقيل يحسن حسناً ومعنى الآية التوصية للانسان بوالديه بالبر لهما والعطف عليهما والاحسان اليهما بكل ما يمكنه من وجوه الاحسان فيشمل ذلك اعطاء المال والخدمة وابن القول وعدم المخالفة لهما وغير ذلك قرئ حسناً بضم الحاء واسكان السين ويقعها ما قرئ احساناً وكذا في مصحف أبي (وان جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم) أي ان طلب منك وألزمالك ان تشرك بي الها ليس لك علم بكونه الها وفي سورة لقمان على ان تشرك بي لان ما هنا وافق ما قبله لفظاً وهو من جاهد فاعني جاهد لنفسه وما هنا ك محمول على المعنى لان التقدير وان جلاك على ان تشرك قاله الكرماني (فلا تطعهما) في الاشرار وعبر بنى العلم عن نفي الاله لان ما لم يعلم صحته لا يجوز اتباعه فكيف بما علم بطلانه واذ لم تجز طاعة الابوين في هذا المطلب مع المجاهدة منه حاله فعدم جوازهما مع مجرد الطلب بدون مجاهدة منهما أولى ويلحق بطلب الشرك منهما ما سائر معاصي الله سبحانه فلا طاعة لهما فيما هو معصية الله كما صح ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص قال قالت أمي لا آكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتى تكفر بحمد صلى الله عليه وآله وسلم فامتنعت من الطعام والشراب حتى جعلوا يشجرون فأهابوا العصا فنزلت هذه الآية الى قوله فلا تطعهما وأخرجه أيضاً الترمذي من حديثه وقال نزلت في أربع آيات وذكر نحو هذه القصة وقال حسن صحيح وقد أخرج هذا الحديث أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي أيضاً قال القرطبي فلم يطعها سعد وقال لها والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسك انفساً ما كفرت بحمد صلى الله عليه وآله وسلم فان شئت فكلتي وان شئت فلا تأكلتي فلما رأته ذلك أكلت قال الكرخي هذا وما في لقمان والاحقاف نزل في سعد بن أبي وقاص (التي امرتكم فأنبتكم بما كنتم تعملون) أي أخبركم بصالح أعمالكم وطالحها فأجازي كلامكم بما يستحقه وفي

البحر لؤلؤة وقال غيره في البر بروفي البحر درر وقوله تعالى انحي به بلدة ميتاً أي أرضاً قذراً انتظارها للغيث فهي هامدة لانيات فيها ولا شيء فلما جاءها الحيا عا شبت واكسبت ربهاها أنواع الازهار والالوان كما قال تعالى فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت الآية ونسبته مما خلقنا انعاماً واناسي كثيراً اي ويشرب منه الحيوان من انعام واناسي محتاجين اليه غاية الحاجة لشرابهم وزروعهم وغارهم كما قال تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا الآية وقال تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها الآية وقوله تعالى ولقد صرفناه بينهم ليدكروا أي أمطرنا هذه الارض دون هذه وسقنا السحاب يعر على الارض ويتعداها ويتجاوزها الى الارض الاخرى فيطهرها والتي وراهها لم ينزل فيها قطرة ماء وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ليس عام بأكثر مطراً من عام ولكن الله يصرفه كيف يشاء ثم قرأ هذه الآية ولقد صرفناه بينهم ليدكروا أي أكثر الناس الا كفورا اي ليدكروا باحياء الله الارض

ذكر الميته انه قادر على احياء الاموات والعظام الرفات أوليدكروا أي أكثر الناس الا كفورا اي ليدكروا باحياء الله الارض وقال عز مولى غفوة كان جبريل عليه السلام في موضع الجنائز فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل اني أحب أن أعلم أمر السحاب قال فقال له جبريل يا نبي الله هذا ملك السحاب فله فقال تأتينا صكالك محممة اسبق بلادك واكذا وكذا وكذا وكذا اقطرة رواه ابن أبي حاتم وهو حديث مرسل وقوله تعالى فاني أكثر الناس الا كفورا قال عكرمة يعني الذين يقولون مطرباً بنوء كذا وكذا وهذا الذي قاله

عكرمة كأصح في الحديث المخرج في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوماً على أثر سماع أصحابهم من الليل أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بنبي وكافر فإما من قال مطرنا بقضـل الله ورجته فذلك مؤمن بنبي وكافر بالكوكب وإما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بنبي مؤمن بالكوكب (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً فلاتطع الكافرين وجاهدوهم به جهاداً كبيراً وهو الذي هرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ألم أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً (١٤٥) وكان ربك قديراً) يقول تعالى ولو شئنا

لبعثنا في كل قرية نذيراً يدعوهم الى الله عز وجل ولكن خصصناك يا محمد بالبعثة الى جميع أهل الارض وأمرناك ان تبأفهم هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده لتندرام القرى ومن حولها قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً وفي اني محمدين بعثت الى الاسود والاحمر وفيهما وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ولهذا قال تعالى فلاتطع الكافرين وجاهدوهم به يعني القرآن قاله ابن عباس جهاداً كبيراً كما قال تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين الآية وقوله تعالى وهو الذي هرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ألم أجاج أي خلق الماء من الحلو والمالح فالحلو كالانهار والعيون والابار وهذا هو البحر الحلو والعذب الفرات الزلال قاله ابن جرير وخياره ابن جرير وهذا المعنى لاشك فيه فانه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات والله سبحانه وتعالى انما أخبر

ذ ك المرجع والوعيد وتحذير من متابعتهم ما على الشرك وحث على الثبات والاستقامة في الدين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) أي في زمرة الراشدين في الصلاح وهو من أبلغ صفات المؤمنين وهو معنى الانبياء عليهم السلام قال سليمان عليه السلام وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفني مسلماً وألحقني بالصالحين وقيل لندخلنهم في مدخل الصالحين وهو الجنة كذا قيل والاول اولي ومعنى ادخالهم فيهم كونهم معدودين من جملتهم لا انصافهم بصفاتهم أي نخشروهم معهم اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين وارزقنا لسان صدق في الآخرين (ومن الناس من يقول انما ابتلاه فاذا أذى) أي أصابه بلاء من الناس أو أذى من الكفار (في الله) أي في شأن الله وسبيله ولا جله كما يفعله أهل الكفر مع أهل الايمان وكما يفعله أهل المعاصي مع أهل الطاعات وأصحاب البدع مع أصحاب السنة وأهل التقليد مع أهل الاتباع بل كل مبطل مع كل محق من ايقاع أنواع الاذى عليهم لاجل الايمان بالله والعمل بما أمر به من كتاب وسنة (جعل فتنة الناس) التي هي ما يوقعونه عليه من الاذى وجزع عن أذاهم فلم يصبر عليه وجعله في الشدة والعظم (كعذاب الله) فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عقابه وقيل هو المناقاة اذا أذى في الله رجوع عن الدين فكفر وكان يمكنه ان يصبر على الاذى الى حد الاكراه ويكون قلبه مطمئناً بالايمان فجعل المناقاة فتنة الناس صارفة عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر فعذاب الناس له دافع وعذاب الله ماله من دافع وأيضاً عذاب الناس يترتب عليه ثواب عظيم وعذاب الله بعده عقاب أليم والمشقة اذا كانت مستتبعة للراحة العظيمة تطيب النفس لها ولا تعدها عذاباً قال الزجاج ينبغي للمؤمن ان يصبر على الاذية في الله أخرج أحد الترمذي وصححه وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي وغيرهم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد أؤذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أؤذيت على ثلاثة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا ما وارى ابط بلال (ولئن جاء نصر من ربك) أي فتح من الله للمؤمنين وغلبة على الاعداء وغنمة يغفونهم منهم (ليقوان) بضم اللام جلا على المعنى بعد الحبل على اللفظ ونقل أبو معاذ النخعي انه قرئ بالفتح جرياً على من اعاد لفظها أيضاً وقراءة العامة أحسن لقوله (انا نكلمهمكم) في دينكم

(١٩ - فتح البيان سبع) بالواقع لئيبه العباد على نعمه عليهم ليشكروه فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس فرقه الله تعالى بين خلقه لاحتياجهم اليه أنهارا وعيوناً في كل أرض بحسب حاجتهم وكفايتهم لانفسهم وأراضيهم وقوله تعالى وهذا ألم أجاج أي مالح مرزعا لا يستطيع وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغرب البحر المحيط وما يتصل به من الزقاق وبحر القلزم وبحر البصرة وبحر فارس وبحر الصين والهند وبحر الروم وبحر الحر وماشا كلها وشبهها من البحار الساكنة التي لا تجرى ولكن توج وتضطرب وتلتطم في زمن الشتاء وشدة الرياح ومنها ما فيه مد وجزر في أول كل شهر يحصل منها

مذوفيض فأذشرع الشهر في النقصان جزرت حتى ترجع الى غايتها الاولى فاذا استهل الهلال من الشهر الاخر شرفت في المدالى  
 الليلة الرابعة عشر ثم تشرع في النقص فاجرى الله سبحانه وتعالى وهو ذو القدرة التامة العادة بذلك فكل هذه البحار الساكنة  
 خلقها الله سبحانه وتعالى مألحة لتلاي يحصل بسببها تن الهواء فيفسد الوجود بذلك ولتلا تجوى الارض بما يموت فيها من الحيوان  
 ولما كان ماؤها ملحا كان هو اؤها صححيا وميتها طيبة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر أتوضأ به  
 فقال هو الطهور وماؤه الحلى ميتته (١٤٦) رواه الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأهل السنن باسناد جيد وقوله

تعالى وجعل بينهما برزخا وجرا  
 أى بين العذب المالح برزخا أى  
 حازرا وهو ليس من الارض  
 وجرا محجورا أى مانعا من أن  
 يصل أحدهما الى الآخر كقوله  
 تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما  
 برزخ لا يبغيان فبأى الآر بك  
 تكذبان وقوله تعالى أمن جعل  
 الارض فرارا وجعل خلالها أنهارا  
 وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين  
 حازرا أله مع الله بل أكثرهم  
 لا يعلمون وقوله تعالى وهو  
 الذى خلق من الماء بشرا الآية  
 أى خلق الانسان من نطفة  
 ضعيفة فسواه وعدله وجعله كامل  
 الخلق ذكرا أو أنثى كما يشاء فجعله  
 نسيبا وصهرافه في ابتداء أمره  
 ولدنسيب ثم يتزوج فيصير صهرا  
 ثم يصير له أصهارا وأختان وقربات  
 وكل ذلك من مآمهين ولهذا قال  
 تعالى وكان ربك قديرا (ويعبدون  
 من دون الله مالا يتفقههم ولا  
 يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا  
 وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا  
 قل ما أسألكم عليه من أجر الا من

فأشركون فى الغنية فالمراد المعية فى الايمان دون الصحبة فى القتال لانها غير واقعة قاله  
 الشهاب فكذبهم الله فقال (أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين) من الايمان والنفاق  
 أى هو سبحانه أعلم بما فى من خبيرو شر فكيف يدعون هذه الدعاوى الكاذبة وهؤلاء  
 هم قوم ممن كان فى ايمانهم ضعف كانوا اذا مسهم الاذى من الكفار وافقوهم واذا ظهرت  
 قوة الاسلام ونصر الله المؤمنين فى موطن من المواطن قالوا انا كنا معكم وقيل المراد  
 بهذا وما قبله المنافقون قال مجاهد نزلت فى ناس كانوا يؤمنون بالله بالسنتهم فاذا أصابهم  
 بلاء من الله أو مصيبة فى أنفسهم افتتنوا وقال الضحاك نزلت فى ناس من المنافقين بمكة  
 كانوا يؤمنون فاذا أوذوا رجعوا الى الشرك وقيل نزلت فى الذين أخرجهم المشركون  
 معهم الى بدر والظاهر أن هذا النظم من قوله ومن الناس من يقول الى قوله وقال الذين  
 كفروا نازل فى المنافقين لما يظهر من السياق ولقوله (وليعلمن الله الذين آمنوا) بقلوبهم  
 أى صدقوا فتنوا على الاسلام عند البلاء (وليعلمن المنافقين) بترك الايمان عند البلاء  
 فانه لتقرير ما قبله وتأكيده واللام فى الفعلين لام قسم أى والله لعلمن الله بين الطائفتين  
 ويظهر اخلاص المخلصين ونفاق المنافقين فيجازى الفريقين فالخاص الذى لا يتزلزل بما  
 يصيبه من الاذى ويصبر فى الله حق الصبر ولا يجعل قسنة الناس كعذاب الله والمنافق  
 الذى يعيل هكذا وهكذا فان أصابه أذى من الكافرين وافقهم وتابعهم وكفر بالله  
 عز وجل وان خفقت ريح الاسلام وطلع نصره ولاخ فحقه رجع الى الاسلام وزعم انه  
 من المسلمين وتغير الاسلوب حيث عبر فى الاول بالفعل وفى الثانى باسم الفاعل فنزل رعاية  
 الفاصلة قيل هذه الآيات العشر من أول السورة الى ههنا مدينية وباقى السورة مكي قاله  
 يحيى بن سلام (وقال الذين كفروا) من أهل مكة كآى سفيان وأتباعه (الذين آمنوا)  
 اللام لام التبليغ أى قالوا لمخاطبين لهم سبق بيانه فى غير موضع أى قالوا لهم (اتبعوا  
 سيدنا) أى اسلكوا طريقنا وادخلوا فى ديننا (ولنعلم خطاياكم) أى ان كان اتباع  
 سيدنا خطية تؤاخذون بها عند البعث والنشور كما تقولون فلنعلم ذلك عنكم فمؤاخذ  
 بهادونكم قال مقاتل يعنى قولهم نحن الكفلاء بكل تبعه تصيبكم من الله واللام فى  
 لنعمل لام الامر كأنهم أمروا أنفسهم بذلك وقال الرخشى الأخرى بمعنى الخبر وقضى  
 بكسر اللام وهو لغة الخجاز ثم رد عليهم بقوله (وما هم بحافظين من خطاياهم من شئ) من

شأن أن يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذى  
 خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا واذ قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا  
 وما الرحمن أن نسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) يخبر تعالى عن جهل المشركين فى عبادتهم غير الله من الاصنام التى لا تملك ضرا  
 ولا نفعا بالادليل فادهم الى ذلك ولا حجة أدتهم اليه بل مجرد الراء والتشهى والاهواء فهم يوالونهم ويتاملون فى عبيد لهم ويهانون  
 الله ورسوله والمؤمنين فيهم ولهذا قال تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا أى عونى فى سبيل الشيطان على عيوب الله ورسوله



الغالبون كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة لهم نصرهم لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون أى آلهتهم التى اتخذوها من دون الله لاتملك لهم نصر او هولا الجهالة للاصنام جند محض يقاتلون عنهم ويذوبون عن حوزتهم ولكن العاقبة والنصرة لله ورسوله ولامؤمنين فى الدنيا والآخرة قال مجاهد وكان الكافر على ربه ظهيرا قال يظاها الشيطان على معصية الله ويعينه وقال سعيد بن جبير وكان الكافر على ربه ظهيرا يقول عونا للشيطان على ربه بالعداوة والشرك وقال زيد بن اسلم وكان الكافر على ربه ظهيرا قال واليا ثم قال تعالى لرسوله (١٤٧) صلوات الله وسلامه عليه وما أرسلناك

الامبرسا ونذيرا أى بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين مبشرا بالجنة لمن أطاع الله ونذيرا بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله قبل ما أسألكم عليه من أجر أى على هذا البلاغ وهذا الانذار من أجره أطلبه امن أموالكم وانما فعل ذلك ابتغاء وجهه الله تعالى لمن شاء ان يستقيم الامن شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا أى طريقا ومسلكا ومنهجا يقتدى فيها بما جنت به ثم قال تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت أى فى أمورك كلها كن متوكلا على الله الحى الذى لا يموت أبدا الذى هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم الدائم الباقي السرمدى الابدى الحى القيوم رب كل شىء ومليكه اجعله ذكرك ومجلك وهو الذى يتوكل عليه وينزع اليه فانه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك كما قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وروى ابن ابي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا

الاولى بيانية والثانية مزيدة للاستغراق أى زماهم بحاملين شيأ من خطاياهم التى التزموا بها وضمنوا لهم جملها ثم وصفهم الله سبحانه بالكذب فى هذا التحمل فقال (انهم لكاذبون) فيما ضمنوا به من حمل خطاياهم قال المهدي هذا التكذيب لهم من الله عز وجل حمل على المعنى لان المعنى ان اتبعتم ميلنا حملنا خطاياكم فلما كان الامر يرجع فى المعنى الى الخبر وقع عليه التكذيب كما يقع على الخبر (وليحملن انفسالهم) أى أوزارهم التى عملوها والتعبير عنها بالانقال للايدان بانها ذنوب عظيمة (وأثقالا مع انفسالهم) أى أوزارها مع أوزارهم وهى أوزار من أضلوهم وأخرجوهم عن الهدى الى الضلالة ومثله قوله سبحانه ليحملوا وأوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ومثله قوله صلى الله عليه وآله وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزرها على راسها كما فى حديث أبي هريرة الثابت فى صحيح مسلم وغيره (وايستلن يوم القيامة) سؤال تقرير وتوبيخ (عما كانوا يفترون) أى يمتلقونه من الاكاذيب والباطيل التى كانوا يأتون بها فى الدنيا وأضلوهم بها ومن جعلتها هذا الوعد (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه) وعمره أربعون سنة أو أكثر وبينه وبين آدم ألف سنة أجل سبحانه قصة نوح تصدق بقوله فى أول السورة ولقد قتنا الذين من قبلهم (فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) فيه تنيب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كانه قيل له ان نوحا لبث هذه المدة الكثيرة بقومه ولم يؤمن منهم الا قليل فصبر وما يخبر فانت أولى بالصبر اقله مدة لبثك وكثرة عدد أمتك قيل ووقع فى النظم الا خمسين عاما ولم يقل تسعمائة سنة وخمسين لان فى الاستثناء تحقيق العدد بخلاف الثانى فقد يطلق على ما يقرب منه وذكر الالف انهم وأوصل الى الغرض وجى بالمميز أو لا بالسنة ثم بالعام لان تكرار لفظ واحد فى كلام واحد حقيق بالاجتناب فى البلاغة ثم انه خص لفظ العام بالخمسين ايدانا بان نبى الله لما استراح منهم بى فى زمن حسن والعرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجذب بالسنة وقد اختلف فى مقدار عمر نوح عليه السلام وليس فى الآية الا انه لبث فيهم هذه المدة وهى لاتدل على انها جميع عمره فقد تلبث فى غيرهم قبل اللبث فيهم وقد تلبث فى الارض من بعدهم بالظوفان فقال ابن عباس بعث الله نوحا وهو ابن أربعين سنة ولبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفسحوا وعن عكرمة قال كان عمر نوح

عبد الله بن محمد بن علي بن فضال قال قرأت على معقل بن يعنى بن عبد الله عن عبد الله بن ابي حسين عن شهر بن حوشب قال لقي سليمان النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض فجاء المدينة فوجد له فقال لاتسجد لى يا سلمان واسجد للحى الذى لا يموت وهذا مرسل حسن وقوله تعالى وسبح بحمده قرن بين حمده وتسيحه ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سبحانه اللهم ربنا و محمدك أى اخلص له العبادة والتوكل كما قال تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذوه كسلا وقال تعالى فاعبدوه وتوكل عليه وقال تعالى قل هو الرحمن آمنابه وعليه توكلنا وقوله تعالى وكفى به ذنوبا عباده خبيرا أى بعلمه التام الذى

لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله تعالى الذي خلق السموات والارض الآية أي هو الخي الذي لا يموت وهو خالق كل شيء وربه ومليكه الذي خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع في ارتفاعها واتساعها والارضين السبع في سفولها وكتافته في ستة أيام ثم استوى على العرش أي يدبر الامر ويقضى الحق وهو خير الفاصلين وقوله ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خيرا أي استعلم عنه من هو خير به عالم به فاتبعه راقتديه وقد علم انه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه سيد ولد (١٤٨) آدم على الاطلاق في الدنيا والآخرة الذي لا ينطق عن الهوى ان هو

قبل أن يعث الى قومه وبعدهما بعث ألفا وسبعمائة سنة وعن عوف بن شداد قال ان الله أرسل نوحا الى قومه وهو ابن خمسين ولثمانمائة سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك خمسين ولثمانمائة سنة وقال أبو السعود عاش نوح بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا ومائتين وأربعين وعن أنس بن مالك قال جاء ملك الموت الى نوح فقال يا طول النبين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل بيتا له بايان فقال في وسط البيت هنية ثم خرج من الباب الآخر (فأخذهم الطوفان) أي الماء الكثير طاف بهم وعلاهم فغرقوا وارتفع على أعلى جبل أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر حتى غرق كل شيء غير من في السفينة والفاة لثمة أي أخذهم عقب تمام المدة المذكورة والطوفان يقال لكل شيء كثير مطيف يجمع محيط بهم من مطر أو قتل أو موت قاله النحاس وقال سعيد بن جبيرة وقتادة والسدي هو المطر وقال الضحاك الفرق وقيل الموت قال الشهاب ولكنه غلب في الماء كما هو المراد هنا (وهو ظالمون) أي مستمرين على الظلم والشرك ولم ينجع فيهم ما وعظهم به نوح وذكروهم هذه المدة بطولها (فأنجيناها وأصحاب السفينة) أي أنجينا نوحا وأنجينا من معه في السفينة من أولاده وأتباعه واختلف في عددهم على أقوال قيل كانوا ثمانمائة وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافت ونسأ وهم (وجعلناها) أي السفينة (آية للعالمين) أي عبرة عظيمة لهم ولمن بعدهم من الناس ان عصوا رسولهم وفي كونها آية وجود أحدھا انها كانت باقية على الجودي مدة مديدة كذا قال قتادة وثانيها ان الله سلم السفينة بأن جعلها آية وقيل ان الضمير راجع في جعلناها الى الواقعة أو القصة أو الحادثة أو الى النجاة أو الى العقوبة بالغرق (وابراهيم) اتصا به بالعطف على نوحا وقال الكسائي هو معطوف على الها في جعلناها وقيل منصوب بقدراى واذا ذكر وقرأ ابراهيم النخعي وأبو حنيفة رضى الله تعالى عنهم ما و ابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم (اذ قال) منصوب على الظرفية أي وأرسلنا ابراهيم وقت قوله أو جعلنا ابراهيم آية وقت قوله أو اذكر ابراهيم وقت قوله (لقومه اعبدوا الله) أي أطيعوه وأفردوه بالعبادة وخصوه به او وحدوه وفيه اشارة الى اثبات الاله (واتقوه) أن نشركوا به شيئا وفيه اشارة الى نفي الغير لان من يشرك مع الملاك غيره في ما فقد أتى بأعظم الجرائم وقيل اعبدوا الله اشارة الى الاتيان

الاوحى يوحى فما قاله فهو الحق وما أخبر به فهو الصدق وهو الامام المحكم الذي اذا تنازع الناس في شيء وجب رد رزاعهم اليه فما وافق أقواله وأفعاله فهو الحق وما خالفها فهو مردود على قائله وفاعله كما لنا من كان قال الله تعالى فان تنازعتم في شئ الآية وقال تعالى وما اختلقتهم فيه من شيء فخكمه الى الله وقال تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا أي صدقا في الاخبار وعدلا في الاوامر والنواهي ولهذا قال تعالى فاسأل به خيرا قال مجاهد في قوله فاسأل به خيرا قال ما أخبرتك من شيء فهو - وكما أخبرتك وكذا قال ابن جريج وقال شهر بن عطاء في قوله فاسأل به خيرا هذا القرآن خير به ثم قال تعالى منكر اعلى المشركين الذين يسجدون لغير الله من الاصنام والانداد واذ قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أي لا نعرف الرحمن وكان ينكرون ان يسجدوا لله باسمه الرحمن كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال النبي صلى الله عليه وسلم

بالواجبات

للكتاب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن ولا الرحيم ولكن اكتب

كما كنت تكتب باسمك اللهم ولهذا أنزل الله تعالى قل ادعوا الله وأدعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى أي هو الله وهو الرحمن وقال في هذه الآية واذ قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أي لا نعرفه ولا نقر به أن سجدا تأمرناى مجرد قولك وزادهم نفورا فاما المؤمنون فانهم يعبدون الله الذي هو الرحمن الرحيم ويفردونه بالالهية ويسجدون له وقد اتفق العلماء رجهم الله على ان هذه السجدة التي في الفرقان مشروع السجود عنددها لقارئها ومستمعها كما هو مقر في موضعه والله سبحانه

وتعالى أعلم (تبارك الذي جعل في السماء بر وجا وجعل فيهما سراجا وقراميرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) يقول تعالى مجدنا نفسه ومعظمنا على جبل ما خلق في السماء من البروج وعشى الكواكب العظام في قول مجاهد وسعيد بن جبيرة وأبي صالح والحسن وقتادة وقيل هي قصور في السماء للعرس يروى هذا عن علي وابن عباس ومحمد بن كعب وأبراهيم الخفي وسليمان بن مهران الأعشى وهور واية عن أبي صالح أيضا والقول الاول أظهر الا وهم الا ان يكون الكواكب العظام هي قصور للعرس فيجتمع القولان كما قال تعالى واقدزينا السماء الدنيا بصايج الآيات وقوله تعالى تبارك الذي

(١٤٩)

جعل في السماء بر وجا وجعل فيها سراجا وهي الشمس المنيرة التي هي كالسراج في الوجود كما قال تعالى وجعلنا سراجا وهاجا وقراميرا أي مشرقا مضيئا بنور آخر من غير نور الشمس كما قال تعالى وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقال مجاهد عن نوح عليه السلام انه قال لقومه ألم ترأ كيف خلق الله سبع سموات طباقا و جعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ثم قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه أي يخلف كل واحد منهما صاحبه يتعاقبان لا يفتران اذا ذهب هذا جاء هذا واذا جاء هذا ذهب ذلك كما قال تعالى وسخر لكم الشمس والقمر ذابيين الآية وقال يغشى الليل النهار يطلبه حثينا الآية وقال لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر الآية وقوله تعالى لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا أي جعلهما يتعاقبان توقيتا لعبادة عباده له عز وجل فن فاته عمل في الليل استدركه في النهار ومن فاته عمل

بالواجبات وقوله انقوه اشارة الى الامتناع من المحرمات ثم يدخل في الاول الاعتراف بالله وفي الثاني الامتناع من الشرك (ذلكم) أي عبادة الله وتقواه (خير لكم) من الشرك ولا خير في الشرك أبدا ولكنه خاطبهم باعتبار اعتقادهم وقيل خير من كل شيء لان حذف المفضل عليه يقتضي العموم مع عدم احتياجه الى التأويل اذ المراد بكل شيء كل شيء فيه خيرية ويجوز كونه صفة لا اسم تنضيل (ان كنتم تعلمون) شيئا من العلم أو تعلمون علما تميزون به بين ماهو خير وما هو شر وان من المرسلين ابراهيم ثم ذكر ابراهيم بطلان مذهبهم بأبلغ وجه بقوله (انما عبدون من دون الله أوثانا) وبين لهم انهم يعبدون ما لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر والاثان هي الاصنام وقال أبو عبيدة الصنم ما يتخذ من ذهب أو فضة أو نحاس والوثن ما يتخذ من حص أو حجارة وقال الجوهري الوثن الصنم والجمع أوثان (وتحلقون افكا) أي وتكذبون كذبا على ان معنى تحلقون تكذبون قال الحسن معنى تحلقون نتخون أي انما تعبدون أوثانا وانتم تصنعون وهذا على قراءة الجمهور بفتح النون فكسكون الخاء وضم اللام مضارع خلق وافكا بكسر الهمزة وسكون الفاء وقرأ علي بن أبي طالب وزيد بن علي والسلمي وقتادة بفتح الخاء واللام مشددة والاصل تحلقون وروى عن زيد بن علي انه قرأ بضم التاء وتشديد اللام مكسورة وقرأ ابن الزبير وفضل بن ورقان افكا بفتح الهمزة وكسر الفاء وهو مصدر كالكذب أو صفة لمصدر محذوف أي خلقا فكا (ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا) أي لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئا من الرزق (فابتغوا عند الله الرزق) أي اصرفوا رغبتكم في أرزاقكم الى الله فهو الذي عنده الرزق كله فاسألوه واطلبوه من فضله (واعبدوه) أي وحدوه دون غيره (واشكروا له) على نعمائه ذكرهما بعد طلب الرزق لان الاول أي العبادة سبب لحدوث الرزق والثاني أي الشكر موجب لبقائه وسبب لمزيد عليه يقال شكرته وشكرت له (اليه) أي الى محل جزائه تعالى (ترجعون) بالموت ثم بالبعث لا الى غيره فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه ولما فرغ من بيان التوحيد أتى بعده بالتهديد وقال (وان تكذبوا فعد كذب أمم من قبلكم) أي وان تكذبوني فقد وقع ذلك لغيري من قبلكم فهو من قول ابراهيم وقيل هو من قول الله سبحانه أي وان تكذبوا محذوا على الله عليه وآله وسلم فذلك عادة الكفار مع من سلف كقوم شيث وادريس ونوح

في النهار استدركه في الليل وقد جاء في الحديث الصحيح ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وقال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو حمزة عن الحسن ان عمر بن الخطاب أطال صلاة الخفي فقتل له صنعت اليوم شيئا لم تكن تصنعه فقال انه بقي على من وردى شيئا فاحبت ان أمته أو قال أقضيه وتلا هذه الآية وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية يقول من فاته شيء من الليل ان يعمل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقال مجاهد وقتادة خلفه أي مختلفين أي هذا

بسواده وهذا بضائه (وعباد الرحمن الذين يشقون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا نطقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) هذه صفات عباد الله المؤمنين الذين يشقون على الارض هونا أي بسكينته ووقار من غير جراه ولا استبكار كتبوله لى ولا تمس في الارض مرحا الآية فأما هؤلاء فانهم يشقون من غير استبكار ولا مرح ولا أسر ولا ينظر وليس المراد أنهم يشقون كالمرضى (١٥٠) تصنعوا ورياء فقد كان سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم اذا مشى كأنما ينحط

من صلب وكأنا في الارض تطوى له وقد ذكره بعض السان المشي بتضعف وتضع حتى روى عن عمر أنه رأى شابا يشي رويدا فقال ما بالك أنت مريض قال لا يا أمير المؤمنين فعلاه بالدره وأمره أن يشي بقوة وانما المراد بالهون هنا السكينه والوقار كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتيت الصلاة فلا تأتوها وانتم تسعون واتوها وعليكم السكينه فما أدركتم منها فصلوا وما فاتكم فاتموا وقال عبد الله بن المبارك عن معمر بن عمار بن المختار عن الحسن البصرى في قوله وعباد الرحمن الآية قال ان المؤمنين قوم ذلت بينهم والله الاسماع والابصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى وما بالقوم من مرض وانهم والله لا ينجوا وانكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة فقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن أما والله ما أحرزهم ما أحرز الناس ولا تعاطم في نفوسهم شئ طابوا به الجنة ولكن أبكاهم

وغيرهم وقيل هذا اعتراض متصل الى قوله عذاب أليم وقع تذكير الاهل مكة وتحذير الهم (وما على الرسول الا البلاغ المبين) لقومه الذين أرسل اليهم وليس عليه هدايتهم وليس ذلك في وسعه ولما بين الله تعالى الاصل الاول وهو التوحيد وأشار الى الثانى وهو الرسالة بقوله ما على الرسول الا ما أوحى اليه من ربه وما كان له ان يبدى لكم ما لم ينزل به سلطانا لا ينفلك بعضهم عن بعض في الذكرا الالهى فقال (أولم يروا كيف يبدى الله الخلق ثم يعيده) قرئ بالتخسبة على الخبر قال أبو عبيد كانه قال أولم يروا الامم وقرئ بالفوقية على الخطاب من ابراهيم لقومه وقيل هو خطاب من الله لقرئش وقرئ يبدى من ابدى يبدى ومن بدأ يبدى وقرئ كيف بدأ والمعنى ألم يروا كيف يخلقهم الله ابتداء نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم ينفخ فيهم الروح ثم يخرجهم الى الدنيا ثم يوفاهم بعد ذلك ثم هو يعيدهم كما بدأهم وكذلك سائر الحيوانات وسائر النباتات فاذا رأيتهم قدرة الله سبحانه على الابتداء والايجاد فهو القادر على الاعادة والله حمزة لا تسكار عدم رؤيتهم والواو للعطف على مقدر والمراد بالرؤية العلم الواضح الذى هو كل رؤية والمعاقل يعلم ان البدن من الله لان الخلق الاول لا يكون من مخلوق والا لما كان الخلق الاول خلقا اول فهو من الله (ان ذلك) اى الخلق الاول والثانى (على الله يسير) لانه اذا أراد أمرا قال له كن فيكون فكيف ينكرون الثانى ثم امر سبحانه ابراهيم ان يأمر قومه بالمسير في الارض لئلا يتكفروا ويعتبروا فقال (قل) لمنكري البعث (سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثرتهم واختلاف الواضع وطبائعهم وألسنتهم وانظروا الى مساكن القرون الماضية والامم الخالية وآثارهم لتعلموا بذلك كمال قدرة الله فان من قدر على انشاء ما بدأ بقدرته على اعادتها وقيل ان المعنى قل لهم يا محمد سيروا ومعنى قوله (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) ان الله الذى بدأ النشأة الاولى وخلقها على تلك الكيفية ينشئها نشأة ثانية عند البعث اى فى كل ما يتعذر عليه احداثهم مبدئا كذلك لا يتعذر عليه انشاءهم معيد بعد الموت ثانيا وهذا دليل على انها نشأتان وان كل واحد منهما ما انشاء اى ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود غير ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك والجللة عطف على جملة سيروا في الارض داخله معها فى حيزا تقول قال ابن عباس النشأة الآخرة هى الحياة بعد الموت وهو التشور قرئ النشأة بالقصر وسكون الشين وبالمد وفتح الشين وهما لغتان

كأرافة

الخوف من النار انه من لم يعز بهزاه الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير لله نعمة الا في

مطم أو في مشرب فقد قل علمه وحضر عذابه وقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما أي اذا سلفه عليهم الجاهل بالقول السى لم يبقا بلوهم عليه بمثله بل يعقون ويصيحون ولا يقولون الا خيرا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزيد شدة الجاهل عليه الا حلا وكما قال تعالى واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه الآية وروى الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن الاعشى عن أبي خالد الوالى عن النعمان بن مقرن المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسب رجل رجلا بمجذمه فجعل المسبوب يقول

عليك السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن ملكا ينيك يذب عنك كلماتك هذا قال له بل أنت وأنت أحق به وإذا قلت له وعليك السلام قال لا بل عليك وأنت أحق به أسماه حسن ولم يخرجه وقال مجاهد قالوا اسلاما يعني قالوا سدادا وقال سعيد ابن جبير ردوا معروفان القول وقال الحسن البصري قالوا اسلام عليكم ان جهل عليهم حلوا يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ثم ذكر ان ليثهم خير ليل فقال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما أي في طاعته وعبادته كما قال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وقوله تجا في جنوبهم عن (١٥١) المضاجع الآية وقال تعالى أمن

هو قانت آباء الليل ساجدا وقائما يحذر الأخرق ويرجو رحمة ربه الآية ولهذا قال تعالى والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما أي ملازماداء كما قال الشاعر

ان يعذب يكن غراما وان يعط جزيلافانه لا يبالي

ولهذا قال الحسن في قوله ان عذابها كان غراما كل شيء يصيب ابن آدم ويرزول عنه فليس بغرام وانما الغرام اللازم مادامت الارض

والسموات وكذا قال سليمان التيمي وقال محمد بن كعب ان عذابها كان غراما يعني ما نعموا في الدنيا ان الله تعالى سأل الكفار عن النعمة فلم يردوها اليه فأغرمهم فادخلهم النار انها ساءت مستقرا ومقاما أي بنيت المنزل منظررا وبئس الممثل مقاما وقال ابن أبي حاتم عند قوله انها ساءت مستقرا ومقاما حدثنا أي حدثنا الحسن

ابن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن الاعمش عن مالك بن الحارث قال اذا طرح الرجل في النار هو

فيها فاذا انتهى الى بعض أبوابها قيل له مكانك حتى تحبف قال فيسقى كاسا من سم الاسود والعقارب قال فيتميز بالحد على حدة والشدة وهي حدة والعصب على حدة والعروق على حدة وقال أيضا حدثنا أي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص

عن الاعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال انه في النار ليجابا فيها حبات أمثال الخبز وعقارب أمثال البغال الدم فاذا اذف بهم في النار خرجت اليهم من أوطانها فأخذت بشفاهم وأبشارهم وأشعارهم فكشطت لحومهم الى أقدامهم فاذا وجدت حر النار رجعت وقال الامام احمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا مسلم بن يعقوب بن مسكين عن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه

كالرأفة والآفة وهي منتصبة على المصدرية بحذف الزوائد والاصل الانشاء أو على حذف العامل أي يدشى فينشون النشأة (ان الله على كل شيء قدير) والجلد تعليل لما قبلها (يعذب من يشاء) تعذبه بعد النشأة الأخرى بالخذلان وهم الكفار والعصاة (ويرحم بالهداية) رحمة وهم المؤمنون به المصدقون لرسله العالمون بأوامر ونواهيه أو المعنى يعذب بالحرص ويرحم بالقناعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالأعراض عن الله وبالاقبال عليه أو بعبادة البدع وبلازمة السنة وقدم التعذيب في الذكرك على الرحمة مع ان رحمة سابقة لان السابق ذكر الكفار فذكر العذاب أو السابق ذكر مستحقه (واليه) لالي غيره (تقلبون) أي ترجعون وتردون (وما انتم) الخطاب لبني آدم وهم من أهل الارض وليس في وسعهم الهرب في السماء لكن المقصود امتناع القنوت على جميع الاحوال (بمعجزين) ربكم عن ادراككم (في الارض) الفسيحة (ولافي السماء) التي هي اوسع منها قال الفراء ولا من في السماء بمعجزين الله فيها قال وهو كما في قول حسان

فمن يجور رسول الله منكم \* ويمدحون نصره سواء

أي ومن يمدحون نصره سواء ومثله قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم أي الامن له مقام معلوم والمعنى انه لا يجوز سبحانه أهل الارض في الارض ولا أهل السماء في السماء ان عصموه وقال قطرب ان معنى الآية ولا في السماء لو كنتم فيها كما تقول لا يفوتني فلان ههنا ولا بالبصرة يعني ولا بالبصرة فلو صار اليها وقال المبرد المعنى ولا من في السماء على ان من ليست موصولة بل تنكرة وفي السماء صفة لها فاقبمت مقام الموصوف وورده الاخفش ورجح ما قاله قطرب والمقصود بيان امتناع القنوت على جميع التقادير بمحسنا كان اوسع تحيلا وهذا ان حلت الارض والسماء على المشهور ومن معناه ما ويجوز ان يراد بها جهة السفل وجهة العلو وقال هنا في الارض ولا في السماء واقتصر في شوري على الارض لان ما هنا خطاب اقوم فيهم التمرود الذي طاول الصعود الى السماء وقد حذفنا ما للاختصار في قوله في الزمر وما هم بمعجزين (وما لكم من دون الله) أي غيره (من ولي ولا نصير) من مزيدة للتأكيد أي ليس له ولي يواليه ولا نصير ينصره ويدفع عنه عذاب الله (والذين كفروا بايات الله) أي التنزيلية أو التكوينية أو جميعهما (واقبانه) أي

فيها فاذا انتهى الى بعض أبوابها قيل له مكانك حتى تحبف قال فيسقى كاسا من سم الاسود والعقارب قال فيتميز بالحد على حدة والشدة وهي حدة والعصب على حدة والعروق على حدة وقال أيضا حدثنا أي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن الاعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال انه في النار ليجابا فيها حبات أمثال الخبز وعقارب أمثال البغال الدم فاذا اذف بهم في النار خرجت اليهم من أوطانها فأخذت بشفاهم وأبشارهم وأشعارهم فكشطت لحومهم الى أقدامهم فاذا وجدت حر النار رجعت وقال الامام احمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا مسلم بن يعقوب بن مسكين عن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عبد ادانى جهنم لينادى ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله عز وجل لجريل اذهب اتنى بعبدى هـ اذا فطلق جبريل فيجد أهل النار كسين يكون فيرجع الى ربه عز وجل فيخبره فيقول الله عز وجل اتنى به فانه في مكان كذا وكذا فينبى به فيوقفه على ربه عز وجل فيقول له يا عبدى كيف وجدت مكانك ومقبلك فيقول يا رب شر مكان وشر مقبل فيقول الله عز وجل بل ردوا عبدى فيقول يا رب ما كنت أرجو اذا أخرجتنى منها ان تردنى فيها فيقول الله عز وجل ردوا عبدى وقوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الآية اى ليسوا بعتدين في اتفاقهم فيصرفون فوق

(١٥٢)

الحاجة ولا يجتنبون عن أهلهم فيقتصرون في حقهم فلا يكفونهم بل عدل اخبارا وخير الامور أوسطها لاهذا ولا هذا وكان بين ذلك قواما كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية وقال الامام أحمد حدثنا عصام بن خالد حدثني أبو بكر ابن عبد الله بن أبي عمير الغساني عن ضمرة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من فقه الرجل قصده في معيشته ولم يخرجوه وقال أحمد أيضا حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا مسكين بن عبد العزيز العبدى حدثنا ابراهيم الهجرى عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد لم يخرجوه وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا ابراهيم بن محمد بن محمد بن ميمون حدثنا سعيد بن حكيم عن مسلم بن حبيب عن بلال يعني العباسى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حسن القصد

انكروا البعث وما بعده ولم يعملوا بما اخبرتهم به رسل الله سبحانه والاشارة بقوله (اولئك) الى الكافرين بالآيات واللقاء (يئسوا من رحمتى) في الدنيا ولم ينجح فيهم ما نزل من كتب الله ولا ما اخبرتهم به رسله وقيل المعنى انهم يئسون يوم القيامة من رحمة الله وهى الجنة وصيغة الماضي لدلالة عمله على تحقق وقوعه و اضاف الرحمة الى نفسه ولم يصف العذاب اليها السبق رحمة واعلاما لعباده بعمومها لهم (واولئك لهم عذاب اليم) تكرر الاشارة للتأكيده وصف العذاب بكونه أليما للدلالة على انه في غاية الشدة وهذا آخر الآيات في تذكرة أهل مكة وقوله (فما كان جواب قومه الا ان قالوا) رجوع الى خطاب ابراهيم بعد الاعتراض بما تقدم من خطاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم على قول من قال ان قوله قل سيروا فى الارض خطاب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم واما على قول من قال انه خطاب لابراهيم عليه السلام فالكلام فى سابقه سابقا ولا حقا اى قال بعضهم لبعض عند المشاورة بينهم لتجسيبوا عن ابراهيمه الثلاثة الدالة على الاصول وهى التوحيد والنبوة والحشر و افعولوا بابراهيم احد الامر من (اقتابوه) بالسيف او نحوه فتستريحوا منه عاجلا (او حر قوه) بالنار فاما ان يرجع الى دينكم اذا اوجعته النار واما ان يموت بها اذا اصصر على قوله ودينه وانما اجابوا بذلك لعدم قدرتهم على الجواب الصحيح ثم اتفقوا على تحريقه فقد ذوقوه فى النار (فأنجاه الله من النار) بأن جعلها عليه بردا ووسلا ما قيل ان ذلك اليوم لم ينتفع احد بنا و ذلك لذهاب حرها (ان فى ذلك) اى فى انجاء الله لابراهيم بعد القائه فى النار (لايات) اى دلالات واضحة وعلامات ظاهرة على عظيم قدرة الله وبديع صنعته حيث أضره واثبات النار العظيمة وألقوه فيها ولم تحرقه ولا اثر فيها اثر بل صارت الى حالة سخالة لما هوشأن عنصرها من الحرارة والاحراق قال المحلى هى عدم تأثرها فيه واخذها وانشاء روض مكانها فى زمن يسير انتهى اى مقدار طرفه عين بحيث انهم لم يأتوا ولم تؤذوه ولكن احرق وثاقه ليضل (لقوم يؤمنون) اى يصدقون بتوحيد الله وقدرته وانما خص المؤمنون لانهم الذين يعتبرون بآيات الله سبحانه وينتفعون بها واما من عداهم فهم عن ذلك غافلون (وقال) ابراهيم لقومه بعد الانجاء من النار ولم يحصل لهم منهم رعب ولا مهابة (انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم) اى للتودد بينكم والتواصل لاجتماعكم على عبادتها وللخشية من ذهاب المودة فيما بينكم ان تركتم عبادتها قرئ برفع

فى الغنى وما أحسن التصدىق الفقروما أحسن القصد فى العبادة ثم قال لانعرفه يروى الامن حديث حذيفة مودة

رضى الله عنه وقال الحسن البصرى ليس فى النفقة فى سبيل الله سرف وقال اياس بن معاوية ما جاوزت به أمر الله تعالى فهو سرف وقال غيره السرف النفقة فى معصية الله عز وجل (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقبلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلقأنا ما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا) قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية

حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أكبر قال ان  
تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أى قال ان تقتل وادلك خشية ان يطعم معدن قال ثم أى قال ان ترانى حليمة تجرك قال عبد  
الله وانزل الله تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية وهكذا رواه النسائي عن هناد بن السمرى عن ابي معاوية به  
وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث الاعمش ومنصور زاد البخارى وواصل ثلاثتهم عن ابي وايل شقيق بن سلمة عن ابي مسيرة  
عمرو بن شرجيل عن ابن مسعود به فالتة أعلم ولفظها ما (١٥٣) عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله أى

الذنب أعظم الحديث طريق  
غريب وقال ابن جرير حدثنا  
أحمد بن اسحق الاهوازى حدثنا  
عامر بن مدرك حدثنا السمرى يعنى  
ابن اسمعيل حدثنا الشعبي عن  
مسروق قال قال عبد الله خرج  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ذات يوم فابعثه فجلس على نشر  
من الارض وقعدت أسفل منه  
ووجهى حياض ركبتيه واغمقت  
خلوته وقلت باى أت وأبى يا رسول  
الله أى الذنب أكبر قال ان  
تدعو لله ندا وهو خلقك قلت  
ثم قال ان تقتل ولدا كراهية  
ان يطعم معدن قلت ثم قال ان  
ترانى حليمة تبارك ثم قرأ والذين  
لا يدعون مع الله الها آخر  
النسائي حدثنا قتيبة بن سعيد  
حدثنا جرير عن منصور عن هلال  
ابن يساف عن سلمة بن قيس  
قال قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فى حجة الوداع الاغماهى أربع  
فأما ما أشج عليهم من منذمهم  
من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا  
النفس التى حرم الله الا بالحق

مودعة وضافتها الى بينكم وبالله نصب منونة ونصب بينكم على الظرفية (فى الحياة الدنيا)  
اى ثم تنقطع ولا تنفع فى الآخرة (تجريم القيامة يكفر بعضكم ببعض) اى يكفر بعض  
هؤلاء المتخذين للاوثان والعابدين لها بالبعض الآخر منهم فبشر القادة من الاتباع  
والاتباع من القادة وقيل المعنى يتبرأ العابدون للاوثان من الاوثان والاتباع من العابدين  
لها يقولون لا نعرفكم (ويبعن بعضكم بعضا) اى كل فريق الآخر على التفسيرين  
المذكورين (وما أوكم النار) اى ما أوى الكفار جميعا وقيل يدخل فى ذلك الاوثان  
(وما لكم من ناصرين) بلصونكم منها بنصرتهم لكم (فأمن له) اى لابراهيم (لوط)  
فصدقه فى جميع ما جاء به وقيل انه لم يؤمن به الا حين رأى النار لا تحرقه وكان لوط ابن أخى  
ابراهيم هاران وقيل ابن أخته والاول أولى قال ابن عباس آمن أى صدق برسالة  
(وقال انى مهاجر الى ربى) قال التخمي وقتادة الذى قال انى مهاجر هو ابراهيم قيل هو أول  
من هاجر الى الله وترك يده وسار الى حيث أمره الله بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس  
وسبعين سنة وقال قتادة هاجر من كوثى وهى قرية من سواد الكوفة الى حران ثم منها  
الى فلسطين وهى بركة الشام ثم الى الشام ومعه ابن أخيه لوط وامرأته سارة وقد تزوجها  
ومن ثم قالوا الكل نبى هجرة ولا ابراهيم هجرتان والمعنى انى مهاجر عن دار قوثى الى حيث  
أعبد ربى عن أنس قال أول من هاجر من المسلمين الى الحبشة قبله عثمان بن عفان فقال  
النبي صلى الله عليه وآله وسلم صحبهما الله ان عثمان لاول من هاجر الى الله بأهله بعد لوط  
أخرجه أبو يعلى وابن مردويه عن أسماء بنت أبى بكر قالت هاجر عثمان الى الحبشة فقال  
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه أول من هاجر بعد ابراهيم ولوط أخرجه ابن منده وابن  
عساکرو عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان بين عثمان  
وبين رقبته وبين لوط مهاجر أخرجه الطبرانى والحاكم فى السكتى وابن عساکر (نه هو العزيز  
الحكيم) أى العال الذى أفعاله جارية على مقتضى الحكمة وقيل ان القائل انى  
مهاجر الى ربى هو لوط والاول أولى ارجوع الضمير فى قوله (ورهبنا له اسحق ويعقوب)  
الى ابراهيم وكذا الضمير فى قوله (وجه لنا فى ذريته النبوة والذباب وآياتنا) أجرة فى الدنيا  
فان هذه الضمائر كلها لابراهيم بلا خلاف يعنى من الله عليه ما لا اولاد فذهب له بعد  
اسماعيل بأربع عشرة سنة اسحق ولد له ويعقوب ولد لاسحق وقول ابن عباس هما

(٢٠ - فتح البيان سابع) ولا تزنوا ولا تسرقوا وقال الامام أحمد حدثنا علي بن المدينى رحمه الله حدثنا محمد بن فضيل بن  
غزوان حدثنا محمد بن سعيد الانصارى سمعت ابا طيبة الكللى سمعت المقداد بن الاسود رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم لا صحابه ما تقولون فى الزنا قالوا حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لا صحابه لان زنى الرجل بعشر نسوة يسر عليه من أن يزنى بأمرأة جاره قال فما تقولون فى السرقة قالوا حرمها الله ورسوله فهى  
حرام قال لان يسرق الرجل من عشرة آيات يسر عليه من أن يسرق من جاره وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا عمار بن نصر حدثنا

بقية عن أبي بكر بن أبي هريرة عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من  
 نطفة وضعتها رجل في رحم لا يحل له وقال ابن جرير أخبرني يعلى عن سعيد بن جبيرة أنه سمع ابن عباس يحدث أن ناسا من أهل الشرك  
 قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثر وإنما أتوا محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا ان لما علمنا ان كفرنا ففزلت  
 والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية ونزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا  
 ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن عمرو بن أبي (١٥٤) فاختة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ان الله ينهك ان تعبد

الخنزير ولو قد دعا الخالق وينهك ان  
 تقتل ولدك وتغزو كلبك وينهك  
 ان ترني بجملة جارك قال سفيان  
 وهو قوله الذين لا يدعون مع الله  
 الها آخر الآية وقوله تعالى ومن  
 يفعل ذلك يلقأنا ما روى عن عبد  
 الله بن عمرو انه قال انما واد في جهنم  
 وقال عكرمة يلقأنا ما اودية في  
 جهنم يعذب فيها الزناة وكذا روى  
 عن سعيد بن جبيرة ومجاهد  
 وقال قتادة يلقأنا ما نكالا كنا  
 نحدث انه واد في جهنم وقد ذكرنا  
 ان لقمان كان يقول يا بني اياك  
 والزنا فان اوله مخافة وآخره مذمة  
 وقد ورد في الحديث الذي رواه ابن  
 جرير وغيره عن أبي امامة الباهلي  
 موقوفا ومرفوعا ان غيا وانا ما بئران  
 في قعر جهنم اجارنا الله منها بمنه  
 وكرمه وقال السدي يلقأنا ما جزاء  
 وهذا شبهه بظاهر الآية وبهذا فسر  
 بما بعده سبحانه وهو قوله تعالى  
 بضاعفه العذاب يوم القيامة  
 أي يكرر عليه ويعاظ ويخلد فيه  
 مهانا أي حقه اذ لا الا وقوله تعالى  
 الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا  
 أي حراوه على ما فعل من هذه

ولد ابراهيم لعله يريد ولد وولد وولده لان ولد الولد بمنزلة الولد ومثل هذا لا يخفى على مثل ابن  
 عباس وهو حبر الامم وهذه عنه من رواية العوفي وفي الصحيحين ان الكريم ابن الكريم  
 ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وجعل في ذريته النسوة فلم  
 يبعث الله نبيا بعد ابراهيم الامن صلته ونسله ووجد الكتاب لان الانف واللام فيه للجنس  
 الشامل للكتب والمراد التوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعنى ايتاء الاجر في الدنيا انه  
 اعطى فيها الاولاد في غير اراته وأخبر الله باسمرار النسوة فيهم وذلك مما تقر به عينه ويزداد  
 به سرور وقيل أجزه في الدنيا ان أهل الملل كلها تدعيه ويقولون هم منهم ويثنون عليه الثناء  
 الحسن ويذكره أهل الاسلام في آخر كل تشهد الى آخر الدهر وقيل اعطاه في الدنيا عملا  
 صالحا وعاقبة حسنة وفيه دليل على ان الله تعالى قد يعطي الاجر في الدنيا وعن ابن  
 عباس قال ان الله وصي أهل الاديان بدينه فليس من أهل الاديان دين الا وهم يقولون  
 ابراهيم ويرضون به وقال أجز الدنيا الذكرا الحسن وقال أيضا الولد الصالح والثناء (وانه  
 في الاخر قلن الصالحين) أي الكاملين في الصلاح المستحقين لتوفير الاجرة وكثرة العطاء  
 والنويز بالدرجات العلى من الرب سبحانه (و) اذ كر (لوطا) وقال الكسائي المعنى وأخي لوطا  
 أو أرسلنا لوطا (اذ قال لقوم انكم لتأتون الفاحشة) أي الخصلة المتساهية في التبع وهي  
 اللواطه قرئ بالاسم تفهام وبغيره (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) الانس والجن  
 مستأنفة مقررة لكل قبح هذه الخصلة وانهم منفردون بذلك لم يسبق الى عملها أحد من  
 الناس على اختلاف اجناسهم قبيل لم ينز كره على ذلك قبل قوم لوط من حيث انها مما  
 اشتمزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى قدموا عليها الخبث طينتهم وهذه الآية  
 دالة على وجوب الحد في اللواط لانها اشتركت مع الزنا في كونها فاحشة وقد قال تعالى  
 ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وهذا وان كان قياسا الا ان الجامع مستفاد من الآية قاله  
 الرازي ثم بين سبحانه هذه الفاحشة فقال (أنتم لتأتون الرجال) أي تلوطون بهم  
 (وتقطعون السبل) قيل انهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن عرهم من المسافرين فلما فعلوا  
 ذلك ترك الناس المرور بهم فقطعوا السبل بهذا السبب قال القراء كانوا يعترضون الناس  
 في الطرق بعملهم الخبيث وقيل كانوا يقطعون الطريق على المارة يقتلهم ونهبهم  
 والظاهر انهم كانوا يفعلون ما يكون سببا لقطع الطريق من غير تعييد بسبب خاص

الصنات القبيحة ما ذكر الامن تاب أي في الدنيا الى الله عز وجل من جميع ذلك فان الله يتوب عنه  
 وفي ذلك دلالة على صحة توبه القاتل ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية فان هذه وان كانت  
 مدينة الا انها مطلقة فعمل على من لم يتب لان هذه متيعة بالتوبة ثم قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية وقد ثبتت السنة  
 الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه توبه القاتل كما ذكره مقرر ان قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب فقبل الله توبته  
 وغير ذلك من الاحاديث وقوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما في معنى قوله يبدل الله



سياتهم حسنات قولان أحدهما أنهم بدلو مكان عمل السيئات بعمل الحسنات قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال هم المؤمنون كانوا من قبل إيمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن السيئات فحولهم إلى الحسنات فابدلهم مكان السيئات الحسنات وروى عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان يشد عند هذه الآية ويدلن بحجره خريفا \* وبعد طول النفس الوجيفا يعني تغيرت تلك الأحوال إلى غيرها وقال عطاء بن أبي رباح هذا في الدنيا يكون الرجل على صفة قبيحة ثم يبدله الله بها خيرا وقال سعيد بن جبيرة ابدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الرحمن وابدلهم (١٥٥) بقاتل المسلمين قتال المشركين وأبدلهم بكاح المشركين نكاح المؤمنات وقال

الحسن البصرى ابدلهم بالعمل السيئ العمل الصالح وأبدلهم بالشرك الاخلاص وأبدلهم بالنجور احسانا وبالكنز اسلاما وهذا قول أبي العالمة وقتادة وجماعة أخرى والقول الثاني ان تلك السمات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات وما ذلك الا انه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر فتنقلب الذنوب طاعة بهذا الاعتبار في يوم القيامة وان وحده مكوبا عليه فانه لا يضره وينقلب حسنة في صحفته كما ثبتت السنة بذلك وصحت به الآثار النبوية عن السلف رضى الله عنهم (١) فعن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولا إلى الجنة يروى برجل فيقول نحو اعنه بكار ذنوبه وسأوه عن صغارها قال فيقال له عملت يوم كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر من ذلك شيئا فيقال ان لك بكل سيئة حسنة

وقيل ان معنى قطع الطريق قطع النسل بالعدو عن النساء الى الرجال (وتأتون في ناديكم المنكر) المنكر النادى والندى والمتدى مجلس القوم ومجتمعهم ولا يقل للمجاس ناد الامادام فيه أهله واختلاف في المنكر الذي كانوا يأتونه فيه فتميل كانوا يخذفون الناس بالخصباء ويستخفون بالغريب وعن أم هانئ بنت أبي طالب قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية قال كانوا يجلسون بالطريق فيخذفون أبناء السبيل ويستخرون منهم أخرجه أحمد والترمذي وحسنه وقيل لا تعرفه الامم حديث حاتم بن أبي صغيرة عن مالك وأخرج ابن مردويه عن جابر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهي عن الخذف وهو قول الله سبحانه وتأتون في ناديكم المنكر وعن ابن عمر قال في الآية هو الخذف وعن ابن عباس منله وقيل كانوا يتضارطون في مجالسهم قالت عائشة وقيل كانوا يأتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضا وقيل كانوا يلعبون بالحمام وقيل كانوا يتاقرون بين الديكة ويتاطعون بين الكباش وقيل يترى بعضهم على بعض ويلعبون بالنرد والشطرنج ويلبسون المسبغات وكان من أخذ لاقهم مضغ العلك وتطرب الاصابع بالخناء وحمل الازار والخنير ولا مانع من انهم كانوا يشعلون جميع هذه المنكرات قال الزجاج في هذا العلم انه لا ينبغي ان يتعاشر الناس على المنكر وان لا يجتمعوا على الهزء والمناهي ولا أنكر لوط عليهم ما كانوا يفعلون أجابوا بما حكى الله عنهم بقوله (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اتتنا بعد اب الله ان كنت من الصادقين) أي فما أجابوا بشي الا بهذا القول رجوعا عنهم الى التكذيب واللجاج والعناد وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقد تقدم في سورة النمل فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم وقد تقدم في الاعراف فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم وقد جمع بين هذا الثلاثة المواضع بأن لوطا كان تابعا على الارشاد ومكرر المنهي لهم والوعيد عليهم فقالوا له أولا اتنا بعد اب الله كما في هذه الآية فلما كثر منه ذلك ولم يسكت عنهم قالوا أخرجوهم كما في الاعراف والنمل وقيل انهم قالوا أولا أخرجوهم من قريبتكم ثم قالوا تابعا بعد اب الله ثم ان لوطا المنايس منهم طلب النصرة عليهم من الله سبحانه (قال رب انصرني على القوم المنفسين) بنزال عذابك عليهم وتحقيق قولى ان العذاب نازل بهم وفسادهم هو ما سبق من ايمان الرجال وعمل

فيقول يا رب عملت أشيئا لأرأها ههنا قال فضحك رسول صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه انفرده باخراجه مسلما وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن يزيد حدثنا محمد بن اسمعيل حدثني أبي حدثني شمعون بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نام ابن آدم قال الملك للشیطان اعطني صحيفتك فيعطيه اياها فما وجدني صحيفته من حسنة محابها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنات فاذا أراد احدكم ان ينام فليكب ثلثا وثلاثين (١) قوله فعن أبي ذر الخ في بعض النسخ زيادة السنن في النسخة قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن المعمر بن سويد عن أبي ذر الخ اه

تكبيرة ويحمد أربعا وثلاثين تحميدة ويسبح ثلاثا وثلاثين تسبيحة فتلك مائة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة وعارم  
قالا حدثنا ثابت يعني ابن يزيد أبو زيد حدثنا عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال يعطى الرجل يوم القيامة صحيفة فمقرأ أعلاها  
فاذا سياتها فاذا كاد يسوعظنه نظرت في أسنانها فاذا أحسناته ثم نظرت في أعلاها فاذا هي قديرات حسنات وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا  
هشام بن عمار حدثنا سليمان بن موسى الزهري أبو داود حدثنا أبو القيس عن أبيه عن أبي هريرة قال يا ابن الله عز وجل  
أناس يوم القيامة قد استكثروا (١٥٦) من السيئات قيل من هم يا أبا هريرة قال الذين يبذل الله سيئاتهم

المسكرة في ناديم فاستجاب الله سبحانه دعاءه وبعث لعذابهم ملائكة وأمرهم بتبشير  
ابراهيم قبل عذابهم ولهذا قال (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) أى بالبشارة بالولد  
وهو اسحق وولد الولد وهو يعقوب (قالوا) لابراهيم (اناهم لكواهل هذه القرية) وهى  
سدوم التى كان فيها قوم لوط قيل كانت على مسيرة يوم وليله من موضع ابراهيم عليه  
السلام (ان أهلها كانوا ظالمين) تهليل للاهلاك أى أهلا كالأهل بهذا السبب (قال) لهم  
ابراهيم (ان فيها) أى فى هذه القرية (لوطا) وهو غير ظالم فكيف تمها لكونها (قالوا نحن أعلم  
بمن فيها) من الاخيار والاشرار ونحن أعلم من غيرنا بمكان لوط (التخمينه وأهلكه) من  
العذاب قرئ لتخمينه بالتخفيف والتشديد وهما قرآن سبعينان (الامرأة) أنه كانت فى  
علم الله وحكمه الأزلى (من الغابرين) أى الباقين فى العذاب المنغمسين فيه الذين لم  
يخلصوا منه بسبب ان الدال على الشر له نصيب كقاعله كما ان الدال على الخير كقاعله وهى  
كانت تدل القوم على اضياف لوط فصارت واحدة منهم بسبب الدلالة وقيل المعنى من  
الباقين فى القرية التى سبزل بها العذاب فتعذب من جلتهم ولا تخجوفين نجا والغابر لفظ  
مشترك بين الماتى والباقي وقد تقدم تحقيقه (ولما ان جاءت رسلنا لوطا) بعد مفارقتهم  
ابراهيم وان زائدة وهو مطرد (سببهم) أى جاءه ما ساءه وأخافه لانه ظنهم من البشر  
تخف عليهم من قومه لكونهم فى أحسن صورة من الصور البشرية (رضاق بهم ذرعا) أى  
عجز عن تدبيرهم وحزن وضاق صدره وضيق الذراع كناية عن العجز وفقد الطاقة كما يقال فى  
الذراية عن الفتر ضاقت يده ومقابله رجب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل  
الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقد تقدم تفسيره هذا مستوفى فى هود ولما شاهدت  
الملائكة ما حل به من الحزن والتضجر (قالوا لا تخف) علينا من قومك (ولا تخزن) فانهم  
لا يقدرون علينا (انما نجوك وأهلك) من العذاب الذى أمرنا الله بان نزل بهم قرئ  
منجوك بالتخفيف والتشديد قال المبرد التقدير ونجى أهلك (الامرأة) أنك كانت من  
الغابرين) فى العذاب (انما نزلون على أهل هذه القرية بقرآن من السماء) مستأنفة لسان  
هلا كهم المنهوم من تخصيص التخيبة به وبأهله والرجز العذاب أى عذابا من السماء  
وهو الرمي بالحجارة وقيل احراقهم بنار نازلة من السماء وقيل هو الحسف والحصب كما  
فى غير هذا الموضع ومعنى كون الحسف من السماء ان الامر به نزل من السماء وسمى

حسنيات وقال أيضا حدثنا أبي  
حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا  
سيار حدثنا جعفر حدثنا أبو جزة  
عن أبي الصيف قلت وكان من  
أصحاب معاذ بن جبل قال يدخل  
أهل الجنة الجنة على أربعة أصناف  
المتقين ثم الشاكرين ثم الخائفين  
ثم أصحاب اليقين قلت لم هو أصحاب  
اليقين قال لانهم قد عملوا بالسيئات  
والحسنيات فاعطوا كتبهم بأيامهم  
فقرأوا سيئاتهم حرفا حرفا وقالوا  
ياربنا هذه سيئاتنا فآتين حسناتنا  
فغند ذلك مح الله السيئات  
وجعلها حسنات فغند ذلك قالوا  
ها قوم اقرأوا كتابيه فهم أكثر أهل  
الجنة وقال على بن الحسين بن زرين  
العابدين يبذل الله سيئاتهم حسنات  
قال فى الآخرة وقال ~~مكحول~~  
يغيرها لهم فيجعلها حسنات رواها  
ابن أبي حاتم وروى ابن جرير عن  
سعيد بن المسيب مثله قال ابن أبي  
حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد  
ابن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد بن  
مسلم حدثنا أبو جابر انه سمع مكحول  
يحدث قال جابريه كبير قد هزم  
سقط حاجباه على عينيه فقال

يارسول الله رجل غدر وخفر ولم يدع حجة ولا داجة الا اقتطنها بيمنه لو قسمت خطيئته بين أهل الارض العذاب  
لاوبقته فهل لمن توبة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسلمت فقال ما أنا فأنشد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا  
عبده ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله عافرك غدرتك وخفرتك ويبدل سيئاتك حسنات ما كنت كذلك فقال  
يارسول الله وغدرتى وخفرتى فقال وغدرتك وخفرتك فولى الرجل يكبر ويهمل وروى الطبراني من حديث ابى المغيرة عن  
صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبيرة عن أبي فريرة أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت رجلا عمل الذنوب

كأهلها ولم يترك حاجة ولا حاجة فهل له من توبة فقال نعم قال فافعل الخيرات واترك السيئات فيجعلها الله لك خيرات  
 ككلمها قال وغدراقي وجراني قال نعم قال فما زال يكسرحتى توأرى ورواه الطبراني من طريق أبي فروة الرهاوي عن ياسين  
 الزيات عن أبي سلمة الحمصي عن يحيى بن جابر عن سلمة بن نفيل مرفوعا وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا  
 عيسى بن شعيب بن ثوبان عن فليح بن عبد بن أبي عميد الشمس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاءني امرأة فقالت  
 هل لي من توبة أني زيت وولدت وقتلته فقلت لا ولا نعمت (١٥٧) العيين ولا كرامة فقامت وهي تدعو

بالحسرة ثم صليت مع النبي صلى  
 الله عليه وسلم الصبح فقصت عليه  
 ما قالت المرأة وسألت لها فقال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بيئنا  
 قلت أما كنت تقرأ هذه الآية  
 والذين لا يدعون مع الله الها آخرا إلى  
 قوله الامن تاب الآية فقرأتها عليها  
 فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي  
 جعل لي مخرجا هذا حديث غريب  
 من هذا الوجه وفي رواية من لا يعرف  
 والله أعلم وقد رواه ابن جرير من  
 حديث ابراهيم بن المنذر الخراساني  
 بسنده بنحوه وعنده فخرت  
 تدعو بالحسرة وتقول يا حسرتنا  
 أخلق هذا الحسن للشار وعنده انه  
 لما رجع من عند رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم تطلبها في جميع دور المدينة  
 فلم يجدها فلما كان من الليلة  
 المقبلة جاءته فأخبرها بما قال له  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي  
 جعل لي مخرجا وتوبة مما عملت  
 وأعتقت جارية كانت معها وانتم  
 وتاب الى الله عز وجل ثم قال تعالى  
 مخرجا عن عموم رحمة بعباد وانه  
 من تاب اليه منهم تاب عليه من أي

العذاب بالرجز لانه يطاق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس أي اضطرب قرأ ابن عباس  
 منزلون بالتشديد وقرئ بالتخفيف (عما كانوا يفتنون) أي بسبب فسقهم (ولقد تركتا منها  
 آية بينة) أي أبقينا من القرية علامة ودلالة بينة وهي الآثار التي بهما من الحجارة التي  
 رجوا بها حتى أدركها أوائل هذه الامة وخراب الديار وآثار ما نزلهم الخربة وقال  
 مجاهد هو الماء الاسود الباقي على وجه أرضهم ولا مانع من حمل الآية على جميع ما ذكر  
 (لقوم) متعلق بتركتا أو آية أو بينة وهو أظهر (يعقلون) أي يتدبرون الآيات تدبر ذوي  
 العقول رخص من يعقل لانه الذي يفهم ان تلك الآثار عبرة يعتبر بها من يراها (والى  
 مدين) هو اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى الاول المعنى وأرسلنا الى مدين وأولاده  
 وعلى الثاني أرسلنا الى أهل مدين (أناهم شعيبا) قد تقدم ذكره وذكر نسبه وذكر قومه في  
 سورة الاعراف وسورة هود واضيف شعيب عننا لهم بخلافه في قصة نوح و ابراهيم ولوط  
 حيث ذكر قومه وخرع عنهم معرقا بالاضافة الى ضمير كل واحد منهم لان الاصل في جميع  
 المواضع ان يذكر قوم ثم يذكر رسولهم لان الله لا يعث رسولا الى غير معين غير ان قوم  
 نوح و ابراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولان نسبة مخصوصة يعرفون بها فعرفوا بالاضافة  
 لتبهم فقبل في قوم نوح وقوم لوط وقوم ابراهيم وأما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم  
 نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فخرى الكلام على أصله فقال والى مدين أناهم شعيبا  
 والى عاد أظاهم هود اذ كره الرازي (فقال يا قوم اعبدوا الله) أي أفردوه بالعبادة وخصوه  
 بهم لم يذكر عن لوط انه أمر قومه بالعبادة والتوحيد وذكر عن غيره ذلك لان لوطا كان في  
 زمن ابراهيم و ابراهيم سبقه بذلك حتى اشتهر الأمر بالتوحيد عند الخلق وانما ذكر عنه  
 ما اختص به من انتهى عن الفاحشة وأما غيره فخا وفي زمن غيره شتهر بالتوحيد فامروا  
 به (وارجوا اليوم الآخر) أي توقعوه وافعوا اليوم من الاعمال ما يدفع عذابا به عنكم  
 قال يونس النوى معناه اخشوا الآخرة التي فيها الجزاء على الاعمال وخافوه (ولا تعشوا  
 في الارض مندسين) حال مؤكدة لعاملها وتعشوا المعنى أشد الفساد وقد تقدم  
 تفسيره (فكذبوه) والتكذيب راجع الى الاخبار الضمنية كأنه قال الله واحد  
 فاعبدوه واخشركم كائن فارجوه والنسب المحرم فلا تقر به فلا يقال انه لا يكذب الا محرولا  
 الناهي وانما يكذب الخبر (فأخذتهم الرحمة) أي الرزلة الشديدة وكذا في الاعراف

ذنب كان جميلا أو حقيقرا أو صغيرا فقال تعالى ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا أي فان الله يقبل توبته كما قال تعالى  
 ومن يعمل ذنبا أو يؤذ نفسه الآية وقال تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده الآية وقال تعالى قل يا عبادي الذين  
 أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية أي لمن تاب اليه (والذين لا يشهدون الزور وإذا هموا باللعو مروا كراما والذين  
 إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها أصما وعميانا الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا ذريات مقورة أعين واجعلنا للمتقين إماما)  
 هذه أيضا من صفات عباد الرحمن انهم لا يشهدون الزور وقيل هو الشرك وعبادة الاصنام وقيل الكذب والنسب والالكفر واللغو

والباطل وقال محمد بن الحنفية هو اللغو والغناء وقال ابو العالية وطاوس وابن سيرين والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم هو أعياد  
المشركين وقال عمرو بن قيس هي مجالس سوء والنخا وقال مالك عن الزهري شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه كما جاء في  
الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر وقيل المراد بقوله تعالى لا يشهدون الزور أي شهادة  
الزور وهي الكذب متعمدا على غيره كافي الصديقين عن أبي بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا  
قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك بالله وعقوق (١٥٨) الوالدين وكان متكئا جالس فقال ألا وقول الزور أو شهادة الزور فزال

يكبرها حتى قلنا ايته سكت والاظهر  
من السياق ان المراد لا يشهدون  
الزور أي لا يحضرونه ولهذا قال  
تعالى واذا مروا باللغو مروا  
كراما أي لا يحضرون الزور واذا  
اتفق مروا به مروا ولم يتدنسوا  
منه بشئ ولهذا قال مروا كراما وقال  
ابن أبي حاتم حدثنا ابو سعيد الشيباني  
حدثنا ابو الحسن العجلي عن محمد  
ابن مسلم أخبرني ابراهيم بن ميسرة  
ان ابن مسعود مر به وهو معرض فلم  
يقف فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم لقد أصبح ابن مسعود وأسرى  
كربنا ثم تلا ابراهيم بن ميسرة واذا  
مروا باللغو مروا كراما وقوله تعالى  
والذين اذا ذكروا بآيات ربه لم  
يجروا عليها صما وعما ناوه هذه أيضا  
من صفات المؤمنين الذين اذا  
ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت  
عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربه  
يتوكلون بخلاف الكافر فانه اذا  
سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يتغير  
عما كان عليه بل يبقى مستترا على  
كفره وطغيانه وجهله وضلاله كما  
قال تعالى واذا ما أنزلت سورة فهم  
من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما

وقال في سورة هود والجمعة والقصة واحدة قال ابن عباس أي صحيفة جبريل وهي سبب  
الرجفة فرجفت الارض من صحيفتها والقلوب رجنت بها والاضافة الى السبب لاتساق  
الاضافة الى سبب السبب (فاصبحوا في دارهم) أي في بلادهم وأرضهم أو منازلهم (جامعين)  
أي باركين على الركبتين (وعادا وعود) بالصرف وتركه بمعنى الحى والقبيلة قال  
الكسائي قال بعضهم هو راجع الى أول السورة أي ولقد صدقنا الذين من قبلهم وقتنا عادا  
وعودا قال وأحب الى أن يكون معطوفا على فاخذتهم الرجفة أي وأخذت عادا وعودا  
وقال الزجاج التقدير وأهلكنا عادا وعودا وقيل المعنى اذ كر عادا وعودا اذ أرسلنا اليهم هودا  
وصالحا (وقد تبين) أي ظهر (لكم) يامعشر الكفار ويا أهل مكة (من مساكنهم) أي  
منازلهم الكائنين بالبحر والاحقاف واليمن آيات بينات تظنون بها وتنتكرونها وكانوا  
يمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) التي يعملونها من  
الكفر ومعاصي الله (فصددهم) بهذا التزيين (عن السبيل) أي الطريق الواضح الموصل  
الى الحق (وكانوا مستبصرين) بواسطة الرسل بمعنى لم يكن لهم في ذلك عذر لان الرسل  
أوضحوا السبيل قاله الرازي وقيل مستبصرين في الضلالة قاله ابن عباس أي أهل  
بصائر يتمكنون بها من معرفة الحق بالاستدلال لكنهم لم يفعلوا وقال القرطبي كانوا عاقلين  
ألباء ذوى بصائر في أمور الدنيا فلم ينفعهم بصائرهم وقيل المعنى كانوا مستبصرين في  
كفرهم وضلالهم مجبين بها يحسبون أنهم على هدى ويرون ان أمرهم حق فوصفهم  
بالاستبصار على هذا باعتبار ما عند أنفسهم أو متبينين ان العذاب لاحق لهم باخبار الرسل  
لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا (وقارون وفرعون وهامان) قال الكسائي ان شئت كان  
معطوفا على عادوكان فيه ما فيه وان شئت كان على فصددهم عن السبيل أي وصد  
قارون الخ وقيل التقدير وأهلكنا هؤلاء بعد ان جاءتهم الرسل وقدم قارون على فرعون  
لشرف نسبه بقرايته من موسى لكونه ابن عمه وهامان هو وزير فرعون (ولقد جاءهم  
موسى بالبينات) أي بالتحجج الظاهرات والدلالات الواضحات الباهرات (فاستكبروا في  
الارض) عن عبادة الله (وما كانوا سابقين) أي قائلين عذابنا فارين منه يقال سبق طالبه  
اذافاته وقيل سابقين في الكفر بل قد سبقهم اليه قرون كثيرة (وقللا) من المذكورين  
(أخذنا نبيته) أي عاقبنا بسبب كفره وتكذيبه قال الكسائي أي فاخذنا كلابنا بذيبه

الذين آمنوا زادتهم ايمانا وهم يستبصرون ايمانا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم فقله لم يجروا وفيه  
عليها صما وعما ناوا أي بخلاف الكافر اذا سمع آيات الله لا تؤثر فيه فاستقر الى حاله كان لم يسمعها أصم أعمى قال مجاهد قوله لم يجروا  
عليها صما وعما ناوا قال لم يسمعوا ولم يبصروا ولم يفقهوا شيئا قال الحسن البصري رضى الله عنه كم من رجل يقرأها ويحرف عليها أصم  
أعمى وقال قتادة قوله تعالى والذين اذا ذكروا بآيات ربه لم يجروا عليها صما وعما ناوا يقول لم يسمعوا عن الحق ولم يعموا فيه فهم والله قوم  
عقلوا عن الله واستمعوا عما سمعوا من كتابه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا عبد الله بن جرمان عن ابن عون قال

سألت الشعبي قال الرجل يرى القوم سجودا ولم يسمع ما يسجدوا ويسجد معهم قال فتلا هذه الآية يعني انه لا يسجد معهم لانه لم يتدبر آية السجدة ولا ينبغي لله ومن أن يكون امعة الاعلى بصيرة في أمره ويقين واضح بين وقوله تعالى والذين يقولون ربنا عب لنا من ازواجنا وذررياتنا قرة أعين يعني الذين يسألون الله أن يخرج من اصلاهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له قال ابن عباس يعنون من يعمل بطاعة الله فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة قال عكرمة لم يريدوا بذلك صباحة ولا جبالا ولكن أرادوا ان يكونوا مطيعين وسئل الحسن البصرى عن هذه الآية فقال ان يرى الله (109) العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حبه

طاعة الله لا والله لا شئ أقرب لعين المسلم ان يرى ولدا أو ولدا لولد أو أخا أو حبا مطيعا لله عز وجل قال ابن جرير في الآية في قوله هب لنا من أزواجنا وذررياتنا قرة أعين قال يعبدونك فيحسبون عبادتك ولا يجرون علينا الجرائر وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني يسألون الله الله تعالى لازواجهم وذررياتهم ان يهديهم للاسلام وقال الامام أحمد حدثنا سعد بن بشر حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال جلسنا الى المقداد بن الأسود يوما فربه رجل فقال طوبى لهما تين العينين اللتين رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددنا انارأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت فاستغضب المقداد فجعلت أعجب لانه ما قال الا خيرا ثم أقبل اليه فقال ما يحمل الرجل على أن يتنقح حنظرة غيبه الله عنه لا يدري لو شهدته كيف كان ويكون فيه والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوام أكبرهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه ولا تحمدون الله اذا نخرجكم الله من بطون أمهاتكم لانعرفون الاربعكم مصدقين عما جاء به نبيكم قد كفيتم البلاء لغيركم لقد بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم على أشرف حال بعث عليها نبيا من الانبياء في فترة جاهلية ما يرون اندينا أفضل من عبادة الاوثان فجاء بفرقان فرق بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده ان كان الرجل يرى والده وولده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه للايمان يعلم انه ان هلك دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم ان حبيبه في النار وانها التي قال الله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذررياتنا قرة أعين وهذا اسناد صحيح ولم يخرجوه وقوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما قال ابن عباس والحسن والسدي

وفيه مرد على من يجوز العقوبة بغير ذنب (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أى ريجاتأقى بالحصبا وشى الحصى الصغار قتر جهنم بها وهم قوم لوط قاله ابن عباس (ومنهم من أخذته الصيحة) وهو نوح وأهل مدين قاله ابن عباس (ومنهم من خسفنا به الارض) وهو قارون وأصحابه قاله ابن عباس (ومنهم من أعرقنا) وهم قوم نوح وفرعون قاله ابن عباس (وما كان الله ليظلمهم) بما فعل بهم فيعذبهم بغير ذنب لانه قد أرسل اليهم رسلا وأرسل اليهم كتبه (ولكن كانوا أنفسم يظلمون) باسمرارهم على الكفر وتكذيبهم للرسل وعلمهم جمع اصي الله وارثكاهم الذنوب (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) هو الوهم ويتكلمون عليهم في حاجاتهم من دون الله سواء كانوا من الجاد أو الحيوان ومن الاحياء أو من الاسوات (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوى اليه وان يتهافتى غاية الضعف والوهن لا يغنى عنها شيئا لاني حر ولا قرو ولا مطر كذلك ما اتخذوه وليا من دون الله فانه لا ينفعهم بوجه من وجوه النفع ولا يغنى عنهم شيئا شبه حال من اتخذ الاصنام والاثوان والاحبار والرهبان اولياء وعبدوا واعتمد عليهم اراجبا لضعفها وشفاعتها بحال العنكبوت التي اتخذت بيتا لا يغنى عنها مطر ولا أذى قال القراء هو مثل ضر به الله ان اتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضره كما ان بيت العنكبوت لا يقهر احرا ولا بردا قال ولا يحسن الوقف على العنكبوت لانه لما قصد بالتشبيه لبيتها الذي لا يقهرها من شئ شبهت الآلهة التي لا تنفع ولا تضر بهو قد جوز الوقف على العنكبوت التي اتخذت بيتا فلا يحسن الوقف على اتخذته للعنكبوت كانه قال كمثل العنكبوت التي اتخذت بيتا فلا يحسن الوقف على الصلة دون الموصول والعنكبوت تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونونها أصلية والواو والتاء مزيدان بدليل قولهم في الجمع عنا كيب وفي التصغير عنكيب وهذا مطرد في أسماء الاجناس ويجمع على عكاب وعكبة وأعكاب وعناكب وعنكبوتات أيضا وهي الدويبة الصغيرة التي تنسج نسجها رقيقا وقد يقال لها عنكبات والغالب في اسمتها عماله التأييد (وان أو هن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيت أضعف منه مما اتخذها الهوام بيتا ولا يذانه في الوهن والوهن شئ من ذلك فان الرشح اذا هبت عليه أو لمسه لا مس فلا يبق له عين ولا أثر فكأن أو هن البيوت بيته كذلك أضعف الاديان دين عبدة الاوثان ومن يعبد غير الله أو يتخذ وليا أو ربا يامن دونه ككفتدى الاحبار والرهبان ومقلديهم (لو كانوا

وقتادة والريبع بن أنس أئمة يقتدى بنا في الخير وقال غيرهم هداة مهتدين دعاة إلى الخير فاجبو ان تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم وان يكون هداهم متعبدا إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر وأبوا أحسن ما بأول هذا ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده أو صدقة جارية أو أولئك يجزون الغرفة عصبروا وياقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومتقاما قل ما يعيؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما (١٦٠) لما ذكرنا من أوصاف عبادة المؤمنين ما ذكر من الصفات الجميلة والأقوال

والأفعال الجميلة قال بعد ذلك كله أولئك أي المتصفون بهذه يجزون يوم القيامة الغرفة وهي الجنة قال أبو جعفر الباقر وسعيد بن جبير وأحمد بن السدي سميت بذلك لارتفاعها بعاصبروا أي على التيام بذلك وياقون فيها أي في الجنة تحية وسلاما أي يتسددون فيها بالتحية والاكرام وياقون التوقير والاحترام فلهم السلام وعليهم السلام فان الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقب الدار وقوله تعالى خالدين فيها أي متقين لا يظهنون ولا يخفون ولا يتلون ولا يزولون عنها ولا يغيرون عنها حولا كما قال تعالى وإما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الآية وقوله تعالى حسنت مستقرا ومتقاما أي حسنت منظرا وطابت مشيلا ومن لا ثم قال تعالى قل ما يعيؤ بكم ربي أي لا يبالي ولا يكثر بكم إذ لم تعبدوه فانه إنما خلق الخلق ليعبدوه وبه حدوده ويسجده بكرة وأصيلا قال مجاهد وعمر بن شعيب ما يعيؤ بكم ربي يقول ما يفعل بكم ربي وقال علي بن

يعلمون) ان اتخاذهم الأولياء من دون الله كاتخاذ العنكبوت بيتا وان أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن ما عبدوها ولو كانوا يعلمون شيئا من العلم لعلموا بهذا قال ابن عباس في الآية ذلك مثل ضرب به الله لمن عبد غيره ان مثله لا مثل بيت العنكبوت وأخرج أبو داود في مراسيله عن يزيد بن مرثد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العنكبوت شيطان شيطان مسخنة الله فن وجدها فليقتلها وعن يزيد بن ميسرة قال العنكبوت شيطان وأخرج الخطيب عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخلت أنا وأبو بكر الغار فاجتمعت العنكبوت فسجبت بالباب فلا تقبلوهن وروى القرطبي في تفسيره عن علي انه قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيوت يورث الفقر وعن عطاء الخراساني قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود وعليه السلام ومرة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) ما استفهامية أو نافية أو موصولة أو من للتبيين أو مزيدة للتأكيد وقيل التقدير قل للكافر بين ان الله يعلم أي شيء تدعون من دونه من النسج وملاك وجبر وراهب وغير ذلك وحزم أبو علي الفارسي بانها استفهامية وعلى تقدير النبي كأنه قيل يعلم انكم لا تدعون من دونه من شيء يعني ما تدعون به ليس بشيء وهذا تأكيد للمثل وزيادة عليه وعلى تقدير الموصولة ان الله يعلم الذين تدعونهم من دونه وهذا أظهر الوجه فيها كما قال الكرخي ويجوز ان تكون ما مصدرية ومن شيء عبارة عن المصدر وقرئ يدعون بالتحية لذكرا الامم قبل هذه الآية وقرئ بالفوقية على الخطاب (وهو العزيز) الغالب المصدر أفعاله على غاية الاحكام والاتقان وفيه تهجيل لهم حيث عبدوا جادا وحيوانا لاعلمه ولا قدرته وركوا عبادة لقادر القاهر على كل شيء (الحكيم) الذي لا يفعل كل شيء الا بحكمة وتدبير (وتلك الامثال) أي هذا المثل وغيره من الامثال التي في القرآن (نضرب للناس) تنبيه لهم وتقريرا لما بعد من افهامهم (وما يعقلها) أي ما يفهم صحتها وحسنها وفائدتها ويتعقل الامر الذي ضرب بها الاجله (الا العالمون) بالله وبآياته وصنائه الراسخون في العلم المتدبرون المتفكرون لما يتلى عليهم وما يشاهدونه لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه بين حال المشرك وحال الموحّد ودلت الآية على فضل العلم على العقل ثم انه تعالى لما أمر الخلق

ابى طلحة عن ابن عباس في قوله قل ما يعيؤ بكم ربي الآية يقول لولا ايمانكم وأخبر الله تعالى الكفار بالايان انه لا حاجة لهم بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين ولو كان له بهم حاجة لطيب اليهم الايمان كما حبيه الى المؤمنين وقوله تعالى فقد كذبتم أيها الكافرون فسوف يكون لزاما أي فسوف يكون تكذيبكم لزاما لكم بمعنى مفضيا لعذابكم وهلاككم ودماركم في الدنيا والآخرة ويدخل في ذلك يوم يدر كافر من ذلك عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم وقال الحسن البصري فوف يكون لزاما أي يوم القيامة ولا سفاة بينهم ما (آخر تفسير سورة الفرقان ولله الحمد والمنة)

\* (تفسير سورة الشعراء وهو مكية) \* ووقع في تفسير مالك المروي عنه تسميته سورة الجامعة (بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ان نشأت نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسبأتهم آبائهم ما كانوا به يستهزئون أدر لم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) اما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تكلمنا عليه في اول تفسير سورة البقرة وقوله تعالى (١٦١) تلك آيات الكتاب المبين أي هذه آيات

القرآن المبين أي البين الواضح الجلي الذي يفصل بين الحق والباطل والغي والرشاد وقوله تعالى لعلك باخع أي مهلك نفسك أي مما تحوص وتحزن عليهم الا يكونوا مؤمنين وهذه تسليمة من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في عدم ايمان من لم يؤمن به من الكفار كما قال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كنوله فعلك باخع نفسك على آثارهم الآية قال مجاهد وعكرمة وقتادة وعطية والضحاك والحسن وغيرهم لعلك باخع نفسك أي قاتل نفسك قال الشاعر

ألا أي هذا الباخع الحزن نفسه

لشيء فتحته عن يديه المقادر ثم قال تعالى ان نشأت نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين أي لو نشاء لانزلنا آية تضطرهم الى الايمان قهرا ولكن لان فعل ذلك لا اراد من أحد الا الايمان الاختياري وقال تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكفر الناس حتى يكونوا مؤمنين وقال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الاية فنقد قدره ومضت حكمته

بالايمان وأظهر الحق بالبرهان ولم يأت الكفار بما أمرهم ولم يهتدوا بذلك الا سواء السبيل وحصل بأس الناس عنهم سلب المؤمنين بقوله (خلق الله السموات والأرض بالحق) أي خلقهما امتنا بالعدل والقسط مراعيًا في خلقهما مصالح عبادة غير قاصد به باطلا وقيل المراد بالحق كلامه وقدرته والاول أولى لان المقصود بالذات من خلقهما أفاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار له بقوله (ان في ذلك لآية للمؤمنين) أي لدلالة عظيمة وعلاوة ظاهرة على قدرته وتفردته بالالهية وخص المؤمنين لانهم الذين ينتفعون بذلك بخلاف الكافرين أي فان لم يؤمنوا فلا يضر ذلك في يقينكم وایمانكم (أتل ما أوحى اليك من الكتاب) أي القرآن وفيه الامر بالتسلاوة للقرآن والمحافظة على قراءته تقر بالبيعة مع التدبر لآياته والتفكير في معانيه من الاوامر والنواهي (واقم الصلاة) أي دم على اقامتها واجهلة (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) تعليل لما قبلها كأنه قيل صل بهم ان الصلاة الخ والفحشاء ما قبح من العمل كالزنا مثلا والمنكر ما لا يعرف في الشريعة أي تمنعه عن معاصي الله وتبعه منه ما معنى نهى بها عن ذلك ان فعلها يكون سبب اللانتهاء عنهم والمراد هنا الصلوات المفروضة المكتوبة المؤداة بالجماعة قال ابن عباس وابن مسعود في الصلاة منتهى ومن دجر عن المعاصي أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم عن عمران بن حصين قال سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله هذا فقال من لم تنه صلواته عن الفحشاء والمنكر فلا صلواته وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم تنه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يرددها من الله الا بعدا وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم تنه صلواته عن الفحشاء والمنكر فلا صلواته أخرجه عبد بن حميد وابن جرير والبيهقي وأخرج الخطيب عن ابن عمر فروعا نحوه وأخرج عبد بن حميد وغيره عن ابن مسعود فروعا نحوه قال السيوطي وسنده ضعيف قال ابن كثير في تفسيره والاصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والاعمش وغيرهم وقيل من داوم على الصلاة تجرد ذلك الى ترك المعاصي والسيئات كما روى عن أنس قال كان في من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم لم يدع من النواحي شيئا الا ركبته فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان صلواته ستنهاه يوم اقام

(٢١ - فتح البيان سابع) وقامت حجة الباطنة على خلقه بارسال الرسل اليهم وانزال الكتب عليهم ثم قال تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين أي كلما جاء كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس كما قال تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقال تعالى يا حشره على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون وقال تعالى ثم أرسلنا سُلَيْمَانَ إِذْ جَاءَهُمْ كَذِبٌ يُرِيدُ فَاذْكُرُونَهُمْ أَنْ يَدَّ بِضُفْرِئِهِمْ وَإِنْ يَدُّوا إِلَى السَّمَاءِ فَمَا يَسْتَفِئُونَ مِنْهَا وَلَئِنْ يَدُّوا إِلَى الْأَرْضِ فَأَنزَلْنَاهُمْ مِنْهَا حَبْلًا مَتِينًا وَإِنْ يَدُّوا إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُمْ لِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وقال تعالى فما يكذبون بما يقرءون من كتابه وهو القاهر العظيم القادر الذي خلق الأرض وأثبت فيها من كل زوج

كريم من زروع وثمار وحيوان قال سفيان الثوري عن رجل عن الشعبي الناس من نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو نسيب ان في ذلك لا آية أي دلالة على قدرة الخالق للاشياء الذي بسط الارض ورفع بناء السماء ومع هذا ما آمن أكثر الناس بل كذبوا به وبرسله وكتبه وخالقوا أمره وارتكبوا نهييه وقوله وان ربك اهو العزيز أي الذي عز على كل شيء وقهره وغلبه الرحيم أي مجلقه فلا يعجز على من عصاه بل يؤجله ويظهره ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر قال أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس وابن اسحق العزري في نغمته واتصاره (١٦٢) ممن خالف أمره وعبد غيره وقال سعيد بن جبير الرحيم عن تاب اليه وأتاب لديه

(واذ نادى ربك موسى أن اتت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب انى أخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطق لساني فأرسل الى هرون ولهيم على ذنب فأخاف ان يقتلوني قال كلا فاذهبا باياتنا انما كنتم مستمعون فآتيا فرعون فقولا انارسل رب العالمين أن ارسل معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك فينا ولبيدنا وللمت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففرت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تنها على أن عبدت بنى اسرائيل) بخبر تعالى عما أمر به عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام حين ناداه من جانب الطور الايمن وكلمه وناجاه وارسله واصطفاه وأمره بالذهاب الى فرعون وملائته ولهذا قال تعالى أن اتت القوم الظالمين قوم فرعون الاية ون قال رب انى أخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطق لساني فأرسل الى هارون ولهيم على ذنب فأخاف ان يقتلوني هذه أعتذار سأل من الله ازاحتها

يلبث ان تاب وحسنت حاله وقيل معنى الآية انه مادام في صلواته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان في الصلاة لثلاثة غلا وقيل تنهى عنهما مطلقا في سائر الاوقات لان الصلاة تشغل جميع بدن المصلي فاذا دخل في المحراب خشع وأخبت لربه وتذكرانه واقف بين يدي مولاه وانه تعالى مطلع عليه وانه يراه فصلحت لذلك نفسه وتذلت وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهورت على جوارحه هيئت بار لو بعد خروجه منها ولو يكذب بقرعة ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها الى أفضل حاله فهذا معنى هذه الآية لان صلاة المؤمن هكذا ينبغي ان تكون لاسيما وان أشعر نفسه ان هذا رجا يكون آخر عمله فهو أبلغ في المقصود وأتم في المراد فان الموت ايسر له من محذور ولا زمن مخصوص ولا مرد مع الموم وهذا مما اختلف فيه روى عن بعض السلف انه كان اذا قام الى الصلاة ارتعد واصفر لونه فسكاه في ذلك فقال انى واقف بين يدي الله وحق لى هذا مع مالوك الدنيا فكيف مع ملك الملوكة فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر ومن صلواته قاصرة على الاجزاء أى اسقاط الطلب عن المكلف ولا خشوع فيها ولا تذكر ولا فضائل كصلاتنا فتلك تنزل صاحبها من منزلته حيث كان فان كان مرتكبا للمعاصى قد بعد من الله بسببها فتلك الصلاة تتركه يتمادى على بعده وقيل لاس معودان فلانا كذبت الصلاة فقال انها لا تنفع الامن اطاعها ذكره القرطبي وقيل أراد بالصلوة القرآن وفيه ضعف لتقديم ذكر القرآن والاول أولى وعلى كل حال فان المراعى للصلوة لا بد وان يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر من لا يراعيها (ولذ كرا لله) بسائر أنواعه من تحميد وتحميل وتسبيح وغير ذلك (أكبر) من كل شيء أى أفضل من العبادات كلها بغير ذكره وقد نقل القرطبي هذا التفسير عن ابن زيد وقتادة قال ابن عطية وعندى ان المعنى ولذ كرا لله أكبر على الاطلاق أى هو الذى ينهى عن الفحشاء والمنكر فالجزء الذى منه في الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل ما لم يكن منه في الصلاة لان الانتهاء لا يكون الا لمن ذكر الله مراقباله وقيل ذ كرا لله أكبر من الصلاة فى النهى عن الفحشاء والمنكر مع المداومة عليه قال القراء وابن قتيبة المراد بالذكر هنا الصلاة والصلوة أكبر من سائر الطاعات وعبر عنها بالذ كرا فى قوله فاسعوا الى ذ كرا لله للدلالة على ان ما فيها من الذ كرا هو العمدة فى تفضيلها على سائر الطاعات وكونها ناهية عن السيئات وقيل عبر عنها بالذ كرا لتفضلها بالتعليل كانه قال والصلوة أكبر لانها ذ كرا لله

عنه كما قال فى سورة طه قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى الى قوله قد أتيت سؤلك يا موسى وقوله تعالى وقيل ولهيم على ذنب فأخاف ان يقتلوني أى بسبب قتل القبطى الذى كان سبب خروجه من بلاده مصر قال كلا أى قال الله له لا تخف من شيء من ذلك كقوله سنشد عضدك لخبيك ونجعل لك اسلطانا أى برهاننا فلا يصحون اليك يا آياتنا آتة آمن اتبعك الغالبون فاذهب باياتنا انما كنتم مستمعون كقوله انى معك اسمع وأرى أى انى معك يحفظنى وكلاهما فى ونصرى وتأييدى فآتيا فرعون فقولا انارسل رب العالمين كقوله فى الآية الاخرى انارسلو لربك أى كل منا أرسل اليك أن أرسل معنا بنى اسرائيل أى أطلقهم من



اسارك وفضلك وقهرك وتعذيبك فانهم عباد الله المؤمنون وحرية المخلصون وهم معك في العذاب المهين فلما قال له موسى ذلك  
 أعرض فرعون عما بالك بالكلية ونظر اليه بعين الازدراء والغمص فقال ألم تر بك فينا وليدا الآية أي أما أنت الذي ربنا فينا  
 وفي بيتنا وأنعمنا عليه مدة من السنين ثم بعد هذا فأبليت ذلك الاحسان بتلك القفلة أن قتلت منار جلا وحدث نعمتنا عليك ولهذا  
 قال وأنت من الكافرين أي الجاحدين قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير قال فعلتم اذ أي في تلك  
 الحال وأنامن الضالين أي قبل ان يوحى الي وينعم على بالرسالة (١٦٣) والسبوة قال ابن عباس رضي الله عنهما

ومجاهد وقتادة والفضائل وغيرهم  
 وأنامن الضالين أي الجاهلين قال  
 ابن جرير وهو كذلك في قراءة عبد  
 الله بن مسعود رضي الله عنه  
 ففررت منكم لما خفتكم الآية  
 أي انفصل الحال الاول وجاء أمر  
 آخر فقد أرسلني الله اليك فان  
 أطعته سلمت وان خالفته عظمت  
 ثم قال موسى وتلك نعمته تنها على  
 أن عبدت بني اسرائيل أي وما  
 أحسنت الي وريبتني يقابل ما سألت  
 الي بني اسرائيل بخعلتهم عبيدا  
 وخذ ما تصرفهم في أعمالك  
 ومشاق رعبتك أوفني احسانك  
 الي رجل واحد منهم بما سألت الي  
 مجموعهم أي ليس ما ذكرته شيئا  
 بالنسبة الي ما فعلت بهم (قال  
 فرعون وما رب العالمين قال رب  
 السموات والارض وما بينهما ان  
 كنتم موقنين قال لمن حوله ألا  
 تستعون قال ربكم ورب آبائكم  
 الاولين قال ان رسولكم الذي  
 أرسل اليكم لجنون قال رب المشرق  
 والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون)  
 يقول تعالى مخبرا عن كذا فرعون  
 وتمرده وظغيانه وجموده في قوله وما

وقيل المعنى ولد كرا لله لكم بالثواب والثناء عليكم منكم أكبر من ذكركم له في عبادتكم  
 وصلواتكم واختاره ابن جرير ويؤيده حديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي  
 ومن ذكرني في ملاذ كرته في ملاخير منسهم وقال ابن عباس يقول ولد كرا لله لعباده  
 اذ اذ كروه أكبر من ذكرهم اياه وعن عبد الله بن ربيعة قال سألت ابن عباس عن قول الله  
 ولد كرا لله أكبر فقلت ذكر الله بالتسبيح والتكبير قال ولد كرا لله اياكم أكبر من  
 ذكركم اياه ثم قال اذ كروني اذ كركم وعن ابن مسعود قال ذكر الله العبد أكبر من ذكر  
 العبد لله وعن ابن عمر نحوه وعن ابن عباس أيضا قال لها وجهان ذكر الله أكبر مما سواه  
 وفي لفظ ذكر الله عند ما حرمه وذكر الله اياكم أعظم من ذكركم اياه وعن معاذ بن جبل  
 قال ما عمل آدمي عملا أنجي له من عذاب الله من ذكر الله قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال  
 لا الا ان يضرب بسيفه حتى ينقطع لان الله يقول في كتابه العزيز ولد كرا لله أكبر وعن  
 عنقرة قال قلت لابن عباس أي العمل أفضل قال ذكر الله وعن أبي الدرداء قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم  
 وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا  
 أعداءكم فقتلوا أو تعاقبهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله  
 أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله  
 وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال اذا كرون الله كثيرا قالوا  
 يا رسول الله ومن الغارز في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى  
 ينكسرو ويحتضب دمال كان اذا كرون الله كثيرا أفضل منه درجة وأخرج مسلم عن  
 أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون  
 يا رسول الله قال اذا كرون الله كثيرا والذاكرات وأخرج البخاري عن أبي هريرة وأبي  
 سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا يتعد قوم يذكرون الله  
 الا حنتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده  
 وروى ان اعرابيا قال يا رسول الله أي الاعمال أفضل قال تفارق الدنيا ولسانك رطب  
 بذكر الله وفي الباب أحاديث كثيرة لا تطول بذكرها قال ابن عطاء أكبر أي لن تبتى معه  
 معصية وقيل ذكر الله اياكم برحمة أكبر من ذكركم اياه بطاعته وقيل لان ذكره بلا علة

رب العالمين وذلك انه كان يقول لقومه ما علمت لكم من الغيبي فاستخف قومه فاطاعوه وكانوا يجحدون الصانع جل وعلا  
 ويعتقدون انه لا رب لهم سوى فرعون فلما قال له موسى اني رسول رب العالمين قال له فرعون ومن هذا الذي تزعم انه رب العالمين  
 غيبي هكذا افسره علماء السلف وأئمة الخلف حتى قال السدي هذه الآية كقوله تعالى فن ربك يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ  
 خلقه ثم هدى ومن زعم من أهل المنطق ان هذا سؤال عن المساهية فقد غلط فانه لم يكن مقربا للصانع حتى يسأل عن المساهية بل  
 كان حاحدا له بالكلية فيما يظهر وان كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه فعند ذلك قال موسى لما له عن رب العالمين قال

رب السموات والارض وما بينهما أى خالق جميع ذلك وما لا يحصى والمتصرف فيه والهه لا شريك له هو الذى خلق الاشياء كلها العالم العلوى وما فيه من الكواكب والنوابت والسيارات النيرات والعالم السفلى وما فيه من بحار وقفار وجبال وأشجار وحوانات ونبات وتجار وما بين ذلك من الهواء والطير وما يحتمى عليه الجوا جميع عبده خاضعون ذليلون ان كنتم موقنين أى ان كانت آتكم قلوب موقنة وأبصار نافذة فعند ذلك التفت فرعون الى من حوله من ملته ورؤساء دولته قائلاً اللهم على سبيل التهكم والاستمزاز والتكذيب لموسى (١٦٤) فيما قاله لأنسة عون أى ألا تعجبون فيما يقول هذا فى زعمه ان

وذ كركم مشوب بالعلل والامانى ولان ذكره لا يفنى وذكركم لا يبقى أو ذكركم كبر من ان تحويه افهامكم وعقولكم والذ كركم النافع هو الذى يكون مع العلم واقبال القلب وتفرغه مما سوى الله تعالى وامام لا يتجاوز اللسان فى رتبة أخرى (والله يعلم ما تصنعون) من الذكرو من سائر الطاعات لا يخفى عليه من ذلك خافية فهو مجاز يكتم بالخير خيرا وبالشر شران شرع سبحانه فى بيان ارشاد أهل الكتاب بعد بيان ارشاد أهل الشرك فقال (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) أى بالخصلة التى هي أحسن للثواب وذلك على سبيل الدعاء لهم الى الله عز وجل والتنبية لهم على حججه وبراهينه رجاء اجابتهم الى الاسلام لا على طريق الاغلاظ والخاشنة وعن ابن عباس قال بالتي هي أحسن بلاه الله (الا الذين ظلموا منهم) بان افراطوا فى المجادلة ولم يتادبوا مع المسلمين فلا بأس بالاغلاظ عليهم والتخشين فى مجادلتهم هكذا فسر الآية أكثر المفسرين بان المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى وقيل معنى الآية لا تجادلوا من آمن بعمد صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وسائر من آمن منهم الا بالتي هي أحسن بمعنى بالموافقة فيما حدثوكم به من اخبار أهل الكتاب ويكون المراد بالذين ظلموا على هذا القول هم الباقون على كفرهم قال مجاهد هذه الآية محكمة فيجوز مجادلتهم بها وقيل هي منسوخة بآية القتال وبذلك قال قتادة ومقاتل قال النحاس وغيره من قال هي منسوخة بآية مكة ولم يكن فى ذلك الوقت قتال مفروض ولا طلب جزية ولا غير ذلك وقول مجاهد حسن لان أحكام الله عز وجل لا يقال فيها انها منسوخة الا بغير قطع العذر وأوجه من معقول واختاره هذا القول ابن العربي قال سعيد بن جبير ومجاهد المراد بالذين ظلموا منهم الذين نصبوا القتال للمسلمين وآذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجدلهم بالسيف حتى يملوا أو يعطوا الجزية وقيل الا الذين ائتموا الولدوا الشرك فدخل فيه أهل الشرك وعبدة الاوثان والآية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة فى الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذى به تتحقق المجادلة الحقبة بالتي هي أحسن قال السمين الاستثناء متصل وفيه معنيان أحدهما الا الظلمة فلا تجادلوهم البتة بل جادلوهم بالسيف والثانى جادلوهم بغير التى هي أحسن أى اغلظوا عليهم كما اغلظوا عليكم وقرأ ابن عباس الأحراف تنبيه أى جادلوهم (وقولوا) هذا تبين مجادلتهم بالتي هي أحسن (أما بالذى أنزل علينا) من

لكم الهاغرى فقال لهم موسى ربكم ورب آبائكم الاولين أى خالقكم وخالق آبائكم الاولين الذين كانوا قبل فرعون وزمانه قال أى فرعون لقومه ان رسوا لكم الذى أرسل اليكم لمجنون أى ليس له عقل فى دعواه ان تمرباغرى قال أى موسى لا والله الذين أوغروا بهم فرعون ما أوغروا من الشبهة فاجاب موسى بقوله رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون أى هو الذى جعل المشرق مشرقا وتطلع منه الكواكب والمغرب مغربا تغرب فيه الكواكب نوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذى يخبره فيه وقد رها فان كان هذا الذى يزعم انه ربكم والهكم صادقا فليدكس الامر وليجعل المشرق مغربا والمغرب مشرقا كما قال تعالى عن الذى حاج ابراهيم فى ربه اذ قال ابراهيم ربي الذى يحيى ويميت قال أنا حى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب الآية ولهذا الما غلب فرعون وانقطع حجته عدل الى استعمال جاهه وقوته وسلطانه

واعتقد ان ذلك نافع له وناقض موسى عليه السلام فقال ما أخبر الله تعالى عنه (قال لئن اتخذت الهاغرى لاجعلنك من المسجونين قال أولو جنتك بشئ مبين قال فأت بدان كنت من الصادقين فأتى عصاه فاذا هي نعبان مبيت وزرع بيده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملاحول ان هذا الساحر علم يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره فاذا تأمروا قالوا أرجه وأخاه وبعث فى المدائن حاشرين يأوتون بكل ساحر علم لما قامت الحجة على فرعون بالبيان والعقل عدل الى ان يقهر موسى بيده وسلطانه فظن انه ليس وراء هذا المقام مقال فقال لئن اتخذت الهاغرى لاجعلنك من المسجونين فعند ذلك قال موسى أولو جنتك

القرآن

بشيء مبين أي ببرهان قاطع واضح قال فأت به ان كنت من الصادقين فالتقي عصاه فاذا هي ثعبان مبين أي ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة ذات قوائم وقدم كبير وشكل هائل مزعج ونزع يده أي من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين أي تتلألأ كقطعة من القمر فبادر فرعون بشقاوته الى التكذيب والعناد فقال للملاحوه ان هذا الساحر عليم أي فاضل بارع في السحر فرجح عليهم فرعون ان هذا من قبيل السحرة لا من قبيل المعجزة ثم هيجهم وحرضهم على مخالفته والكفر به فقال يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره الآية أي أراد ان يذهب بقلوب الناس معه بسبب

(١٦٥)

ويغلبكم على دولتكم فياخذوا البلاد منكم فاشير واعي فيه ماذا أضع به قالوا أرحبه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يا نوك بكل سحار عليم أي أخره حتى تجتمع له من مدائن مملكته وأقاليم دولته كل سحار عليم يقابلونه وياؤن بنظر ماجاميه فتغلبه أنت وتكون لك النصر والتأييد فاجلبهم الى ذلك وكان هذا من تهيؤ الله تعالى لهم في ذلك ليجمع الناس في صعيد واحد وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة (فجمع السحرة قليمات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتبهون لعلمنا تتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ان لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فالتوا جبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا نحن الغالبون فالتى موسى عصاه فاذا هي ثلث مايا فسكون فالتى السحرة ساجدين قالوا آتنا رب العالمين رب موسى وهرون) ذكر

القرآن (وأترل اليكم) من التوراة والانجيل أي بانهم ما منزلان من عند الله وانهم ما شرعية ثابتة الى قيام الساعة الاسلامية والبعثة المحمدية ولا يدخل في ذلك ما حر فوه وبدلوه أخرج البخاري والنسائي وابن جرير والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقولون التوراة بالعبانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل اليك واليكم وأخرج البيهقي وأبو نصر السجزي في الابانة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا ما أن تصدقوا بساطل أو تكذبوا بحق والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا ان يتبعني وعن ابن مسعود قال لا تسألوا أهل الكتاب وذكر نحو حديث جابر ثم قال فان كنتم سائلهم لا تحاله فانظروا ما واطأ كتاب الله فذوه وما خالف كتاب الله فذعوه وهذه الآية من جنس المجادلة بالاحسن (والهنا واليهكم واحد) لا شريك له ولا ند ولا ضد (ويحسب له مسلمون) أي ونحن معاشر أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم مطيعون له خاصة لم نقل عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نتخذنا حبارنا ورهبانا شيئا أربابا من دون الله ويحتمل ان يراد ونحن جميعا منقادون له ولا يقدر في هذا الوجه كون انقياد المسلمين أتم من انقياد أهل الكتاب وطاعتهم أبلغ من طاعتهم (وكذلك أنزلنا) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاشارة الى مصدر الفعل كما بيناه في مواضع كثيرة أي ومنزل ذلك الانزال البديع أنزلنا (اليك الكتاب) وهو القرآن وقيل المعنى كما أنزلنا الكتاب عليهم أنزلنا عليك القرآن (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعني مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره وخصهم بايتائهم الكتاب لكونهم العاملين به وكان غيرهم لم يؤتوه لعدم علمهم بحقيقته وبعدهم لصفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المذكورة فيه وكان اسلامهم بالمدينة والسورة مكتوبة فهذا من قبيل الاخبار بالغيب أخبره تعالى بحالهم قبل وقوعه (ومن هؤلاء) اشارة الى أهل مكة والمراد ان منهم وهو من قد أسلم (من يؤمن به) أي بالقرآن وقيل اشارة الى جميع العرب (وما يجعلدوا باياتنا) أي القرآن والجود انما يكون بعد المعرفة وعبر عن الكتاب بالآيات للتبنيه على ظهوره لالتساعلى معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيئت الى نون العظمة لمزيد تغنيها وغاية

تعالى هذه المناظرة الفعلية بين موسى عليه السلام والقيط في سورة الاعراف وفي سورة طه وفي هذه السورة وذلك ان القبط أرادوا ان يطفؤا نور الله بأفواههم فأتى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وهذا شأن الكفر والايان ما تواجها وتنا بالاعلبيه الايمان بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وليكن الويل مما تصنون وقل جاء الحق وزهق الباطل الآية ولهذا جاء السحرة وقد جمعهم من أقاليم بلاد مصر وكانوا اذ ذاك أحر الناس وأصنعهم وأشدهم تحميلا في ذلك وكان السحرة جمعا كثيرا وجامعيا قيل كانوا اثني عشر ألفا وقيل خمسة عشر ألفا وقيل سبعة عشر ألفا وقيل تسعة عشر ألفا وقيل بضعة وثلاثين

ألفنا وقيل ثمانين ألفا وقيل غير ذلك والله أعلم بعدتهم قال ابن ابي عمير وكان أمرهم راجعا إلى أربعة منهم وهم رؤسنا وهم وهم  
 ساجور وعادور وحطعط ومصني واجتمع الناس في الاجتماع ذلك اليوم وقال قائلهم اعلنا تتبع السحرة ان كانوا هم  
 الغالبين ولم يقولوا تتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى بل الرعيعة على دين ملكهم فلما جاء السحرة أي إلى مجلس  
 فرعون وقد ضربوا له وطا فاجتمع خدمه وحشمه ووزراءه ورؤسنا دولته وجنودها فقامت السحرة بين يدي فرعون يطلمون  
 منه الاحسان اليهم والتقرب اليه ان غلبوا (١٦٦) أي هذا الذي جمعنا من أجله فقلوا أن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين

قال نعم وانكم اذا لمن المقربين أي  
 وأخص مما تطلبون أجعلكم من  
 المقربين عندي وجلساني فعادوا  
 إلى مقام المناظرة قالوا يا موسى  
 امان أن تلقى واما أن تكون أول من  
 ألقى قال بل ألقوا وقد اختصر هذا  
 ههنا فقال لهم موسى ألقوا ما أنتم  
 ملتقون إلى قوله اننا نحن الغالبون  
 وهذا كما تقول الجهلة من العوام  
 اذا فعلوا شيئا هذا شواب فلان  
 وقد ذكر الله تعالى في سورة الاعراف  
 انهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم  
 وجاؤا بسحرة عظيم وقال في سورة  
 طه فاذا جبالهم وعصيم يخيل اليه  
 من سحرةم انها تسعى إلى قوله ولا  
 ينطق الساحر حيث أتى وقال ههنا  
 فالتقى موسى عصاه فاذا هي تلقف  
 ما يأفكون أي تحتظف نفسه وتجمعه  
 من كل شعبة وتبتلعه فلم تدع منه شيئا  
 قال الله تعالى فوقع الحق وبطل  
 ما كانوا يعملون إلى قوله رب موسى  
 وهرون فكان هذا الأمر اعظما جدا  
 وبرهانا قاطعا للعدو وحجة دامغة  
 وذلك ان الذين استنصر بهم وطلب  
 منهم ان يغلبوا غلبوا وخضعوا  
 وأمنوا بموسى في الساعة الراهنة

التشنيع على من يجدها (الا الكافرون) المصممون على كفرهم المتوغلون فيه من  
 المشركين ومن أهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه فان ذلك يصدهم عن التأمل  
 فيما يؤدبهم إلى معرفة حقيقتها (وما كنت) يا محمد (تتلون قبله من كتاب) أي من قبل  
 القرآن كما ولا تقدر على ذلك لانك أي لا تقرأ ولا تكتب ومن زائدة (ولا تخطه بيمينك)  
 أي ولا تكتبه لانك لا تقدر على الكتابة وخص اليه لان الكتابة غالبها تكون باليمين أي  
 ولا كنت كاتباً قال مجاهد كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم ان محمداً صلى الله عليه وآله  
 وسلم لا يخط ولا يقرأ فقرأت هذه الآية قال النحاس وذلك دليل على نبوته لانه لا يكتب  
 ولا يخط أهل الكتاب ولم يكن بمكة أهل الكتاب فخاءهم بأخبار الانبياء والامم قال ابن  
 عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ولا يكتب وكان أمياً قال الحافظ ابن  
 حجر في تخریج أحاديث الراعي قال البغوي في التهذيب هل كان النبي صلى الله عليه وآله  
 وسلم يحسن الخط ولا يكتب ويحسن الشعر ولا يقوله أولاً والاصح انه كان لا يحسنهما  
 ولكن كان يميز بين ردي الشعر وجيده ذكره الشهاب وما أحسن ما قال آزر رحمه الله

ما كان يعرف ألواحا ولا قلم \* وكان يعرف ما في اللوح والقلم  
 وهذا شروع في الدليل على كون القرآن معجزاً (اذا الارتاب المبتلون) أي لو كنت ممن  
 يقدر على التلاوة والخط لقالوا العلو وجد ما يتلو علينا من كتب الله السابقة من الكتب  
 المدونة في اخبار الامم فلما كنت أمياً لا تقرأ ولا تكتب لم يكن هناك وضع للرسيه ولا  
 محمل للشك أبداً بل انكار من أنكروا كفر من كفر مجرد عناد وجود بلا شبهة وسماهم  
 المبطلين لان ارتياجهم على تقدير انه صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ويكتب ظلم منهم لظهور  
 نزاهته ووضوح معجزاته (بل هو) أي ان القرآن الذي جئت به (آيات بينات) وقال قتادة  
 ومقاتل ان الضمير يرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي بل محمد آيات أي ذوات آيات  
 وقرأ ابن مسعود بل هي آيات بينات قال الفراء معنى هذه القراءة بل آيات القرآن آيات  
 بينات واختار ابن جرير ما قاله قتادة ومقاتل وقد استدل بما قاله بقراءة ابن السميع  
 بل هذا آيات بينات ولا دليل في هذه على ذلك لان الإشارة يجوز ان تكون إلى القرآن كما  
 جاز ان تكون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل رجوعها إلى القرآن أظهر لعدم  
 احتياج ذلك إلى التأويل وهو اضراب عن ارتياجهم أي ليس القرآن مما يرتاب فيه لكونه

وحجده والله رب العالمين الذي أرسل موسى وهرون بالحق والمعجزة الباهرة فغلب فرعون غلباً لم يشاهد العالم مثله محفوظاً  
 وكان وقاجر يشاء عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فعبدوا إلى المكابرة والعناد ودعوى الباطل فشرع عيدهم ويتوعدهم  
 ويقول انه لكبيركم النى علمكم السحر وقال ان هذا المكبر مكرتوه في المدينة الآية (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم  
 الذي علمكم السحر فاسوف تعلمون لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبنكم أجمعين قالوا الاضربنا إلى ربنا من قبل ان  
 اناطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين) تهددهم فلم يتفع ذلك فيهم وتوعدهم فآزادهم الايمان وتسليماً وذلك انه

قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم من ان هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر الا ان يكون الله قد ايد به وجعله له حجة ودلالة على صدق ما جاء به من ربه ولهذا لما قال لهم فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم أي كان ينبغي ان تستأذوني فيما فعلتم ولا تفتنوا على في ذلك فان اذنت لكم فعلتم وان منعتكم امتنعتم فاني انا الحاكم المطاع انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذه مكابرة يعلم كل احد بطلانها فانهم لم يحتموهوا بموسى قبل ذلك اليوم فكيف يكون كبيرهم الذي افادهم صناعة السحر هذا لا يقوله عاقل ثم توعدهم فرعون بقطع الايدي والارجل (١٦٧) والصلب فقالوا الاضرب أي لا حرج ولا يضرنا ذلك

ولا نبالي به اننا الى ربنا منقلبون أي المرجع الى الله عز وجل وهو لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخفى عليه ما فعلت بنا وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء ولهذا قالوا اننا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا أي ما قارفنا من الذنوب وما أكرهنا عليه من السحر ان كأول المؤمنين أي بسبب اننا بدرنا قومنا من القبط الى الايمان ففعلهم كلهم (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون فأرسل فرعون في المداين حاشر بن ان هؤلاء اشترذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حادرون فأخرجناهم من جنات وعميون وكنوزهم مقام كرم كذلك وأورثناها بني اسرائيل) لما طال مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر واقام بها حجج الله وبراهينه على فرعون وملئه وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون لم يبق لهم الا العذاب والنكال فأمر الله تعالى موسى عليه السلام ان يخرج بني اسرائيل ليلسان مصر وان يمضي بهم حيث يؤمر ففعل موسى عليه السلام ما أمره به ربه عز وجل خرج بهم بعد

محمفوظا (في صدور الذين أووا العلم) يعني العلماء المؤمنين الذين حفظوا القرآن على عهد صلي الله عليه وآله وسلم وحفظوه بعده عن ظهر قلب وهذا من خصائص القرآن بخلاف سائر الكتب فانهم لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ الا من المصاحف ولذا جاء في وصف هذه الامة صدورهم اناجيلهم ولذلك لا يقدر على تحريفه ولا تغييره والمراد انهم يحفظونه تلقيا منك وبعضهم من بعض وانت تلقيته عن جبريل عن اللوح المحفوظ فلم تأخذ من كتاب بطريق تلقية منه (وما يججد بآياتنا) أي القرآن الكريم (الا الظالمون) أي الجاوزون للحد والمتوغلون في الظلم (وقالوا) أي المشركون (لولا أنزل عليه آيات من ربه) المعنى هلا أنزلت عليه آيات الانبياء وذلك كآيات موسى وناقصة صالح واحياء المسيح لله وفي ثم أمره الله سبحانه ان يجيب عليهم فقال (قل انما الآيات عند الله) ينزلها على من يشاء من عباده ولا قدرة لاحد على ذلك (وانما آياتنا ليرميين) أنذرهم بما أمرت وابين لكم كما ينبغي ليس في قدرتي غير ذلك (أولم يكفهم اننا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) مستأنفة للرد على اقتراحهم وبيان بطلانه أي أولم يكن المشركين من الآيات التي اقترحوها هذا الكتاب المعجز الذي قد تحدتتم بان يأتيوا بمثله أو بسورة منه فمجزوا ولو أتيتهم بآيات موسى أو بآيات غيره من الانبياء انما هو السحر ونحن لانعرف السحر والكلام مقدور لهم ومع ذلك عجزوا عن المعارضة ولما آمنوا كالم يؤمنوا بالقرآن الذي يتلى عليهم في كل زمان ومكان فلا تزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون في مكان دون مكان والمعنى ان القرآن معجزة أتم من معجزة من تقدم من الانبياء مغنيتهم عن سائر الآيات لان معجزة القرآن تدوم على الدهور والزمان ثابتة لا تضل كغيرها من الآيات (ان في ذلك) الكتاب الموجود في كل مكان وزمان الى آخر الدهور الموصوف بما ذكر (لرحمة عظيمة في الدنيا والآخرة) (وذكري) في الدنيا يذكرون بها وترشدهم الى الحق (انقوم يومنون) أي لتقوم بصدقون بما جئت به من عند الله فانهم هم الذين يتدفعون بذلك أخرج الدارمي وأبو داود في مراسيله وغيرهما عن يحيى بن جعدة قال جاء اناس من المسلمين يكتبون كتبها فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفى بقوم حقا وضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم الى ما جاء به غيره الى غيرهم فترأت أولم يكفهم الآية وعن الزهري ان حفصة جاءت الى النبي صلى الله عليه وآله

ما استعاروا من قوم فرعون حليا كثيرا وكان خروجه بهم فيماد كره غير واحد من المفسرين وقت طلوع القمر وذ كرمجها درجه الله انه كسف القمر تلك الليلة فآله أعلم وان موسى عليه السلام سأل عن قبر يوسف عليه السلام فدلته امرأة عجوز من بني اسرائيل عليه فاحتمل تابوته معهم. ويقال انه هو الذي حمله بنفسه عليهم السلام وكان يوسف عليه السلام قد أوصى بذلك اذا خرج بنو اسرائيل ان يحتملوه معهم وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم رحمه الله فقال حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا ابن فضال عن عبد الله بن أبي اسحق عن ابن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى قال نزل رسول الله

صلى الله عليه وسلم بأعرابي فأكرمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدنا فأنا أه الأعرابي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاجتك قال ناقة برحلهما وعزيمتاها أهلى فقال أعجزت أن تكون مثل عجوز بنى اسرائيل فقال له أصحابه وما عجوز بنى اسرائيل يا رسول الله قال ان موسى عليه السلام لما أراد أن يسير بينى اسرائيل أضل الطريق فقال لبنى اسرائيل ما هذا فقال له علماء بنى اسرائيل نحن نحدثك ان يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله ان لا نخرج من مصر حتى تنقل تابوته معنا فقال لهم (١٦٨) موسى فابكم بدرى أين قبر يوسف قالوا ما يعلمه الا عجوز من بنى

وسلم بكتاب من قصص يوسف في كنف فجعلت تقرؤه والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلون وجهه فقال والذي نفسى بيده لو أتانا كم يوسف وأباينكم فاتبعتموه وتركتوني أضللت وعن عبد الله بن الحرث الانصارى قال دخل عمر بن الخطاب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكتاب فيه مواضع من التوراة فقال هذه أصبته مع رجل من اهل الكتاب أعرضها عليك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغير أشد لم أر مثله قط فقال عبد الله بن الحرث لعمر أمترى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر رضينا بالله ربنا وبالاسلام ديننا وبمحمد نبينا فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتوني أضللت أنا حظكم من النبىين وأنا حظكم من الامم أخرجه عبد الرزاق وابن سعد وابن الضريس وأخرج البيهقي وضعفه عن عمر بن الخطاب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تعلم التوراة فقال لا تتعلمها وآمن بها وتعلموا ما أنزل اليكم وآمنوا به (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) أى قل للمكذبين كفى بالله شهيدا بما وقع بينى وبينكم وقال ابن عباس معناه يشهد لى انى رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالكذب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه والقرآن وحده كفى وافى لا حاجة معه الى غيره من الكتب لمن آمن به وعمل صالحا (يعلم ما فى السموات والارض) لا تخفى عليه من ذلك خافية ومن جلته ما صدر بينكم وبين رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (والذين آمنوا بالباطل) أى بما يعبدونه من دون الله قال ابن عباس بالباطل أى بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله والمعانى متقاربة ثم ذكر الكفر بعد الباطل لبيان قبح الاول فقال (وكفروا بالله) وآياته والجملة مؤكدة لما قبلها (أو أولئك هم الخاسرون) الخاسرون بين خسرة الدنيا والآخرة فى صفتهم حيث اشتروا الكفر بالايان (ويستعملونك بالعذاب) استهزاء وتكذيبا منهم بذلك كقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو اتنا بعذاب اليم (ولو لا أجل مسمى) قد جعله الله لعذابهم وعينه وهو القيامة وقال الضعالم الاجل مدة أعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل المراد بالاجل المسمى النسخة الاولى وقيل الوقت الذى قدره الله لعذابهم فى الدنيا بالقتل أو الاسرى يوم بدر والحاصل ان لكل عذاب اجلا لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه كما فى قوله سبحانه لكل نياصة مقر (لجاءهم العذاب) أى لولا ذلك الاجل المضروب لجاءهم العذاب

اسرائيل فأرسل اليها فقال لها داينى على قبر يوسف فقالت والله لا أفعل حتى تعطىنى حكمى فقال لها وما حكمك قالت حكمى ان أكون معك فى الجنة فكأنه نقل عليه ذلك فقيل له أعطها حكمها قال فانطلقت معهم الى بحيرة مستنقع ماء فقالت لهم انصبوا هذا الماء فلما أنصبوه قالت احفروا فلما حفروا استخرجوا قبر يوسف فلما حتم له اذا الطريق مثل ضوء النهار وهذا حديث غريب جدا والاقرب انه موقوف والله أعلم فلما أصبحوا وليس فى نادى منهم داع ولا محجب غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بنى اسرائيل لما يريد الله تعالى به من الدمار فأرسل سرى يعانى بسلاده حاشرين أى من يحشر الجنود ويجمعه كالنقباء والحجاب ونادى فيهم ان هؤلاء يعنى بنى اسرائيل لشردمة قليون أى لطائف قليلة وانهم لنا الغائطون أى كل وقت يصل منهم اليسا ما يفيظنا وانا لجمع حاذرون أى نحن كل وقت نحذر من غائطهم وقرأ طائفة من

السلف وانا لجمع حاذرون أى مستعدون بالسلاح وانى أريد ان أسأعل شأفتهم وأيدخضهم هم فجوزى فى الذى

نفسه وحنده بما أراد لهم قال الله تعالى فأخرجناهم من جنات وعميون وكنوزهم مكره أى فخرجوا من هذا النعيم الى الجحيم وتركوا تلك المنازل العلية والساتين والانهار والاموال والارزاق والمالك والجاه الوافر فى الدنيا كذلك وأورشناها بنى اسرائيل كما قال تعالى وأورشنا النجوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها الاية وقال تعالى وتريدان نحن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين الايتين (ذاتبعوهم مشركين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب

موسى انما المذكورون قال كلان معى ربي سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفناهم الآخريين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقناهم سحر بنان في ذلك لآية بما كان أكرمهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) ذكر غير واحد من المفسرين ان فرعون خرج في محفل عظيم وجع كبير هو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه أولى الحل والعقد والدول من الامراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود فاما ما ذكره غير واحد من الاسر الثليات من أنه خرج في ألف ألف وستمائة ألف فارس منها مائة ألف على خيل دهم ففيه نظر وقال كتب الاحبار

(١٦٩)

فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم وفي ذلك نظر والظاهر ان ذلك من اجازات بنى اسرائيل والله سبحانه وتعالى أعلم والذي أخبر به القرآن هو النافع ولم يعين عدتهم اذ لا فائدة تحته لانهم خرجوا بأجمعهم فأتبعوهم مشرقين أى وصلوا اليهم عند شروق الشمس وهو طوعا منها فلما تراءى الجمعان أى رأى كل من الفريقين صاحبه فعند ذلك قال أصحاب موسى انما المذكورون وذلك انه انتهى بهم السير الى سيف البحر وهو بحر القلزم فصار امامهم البحر وقد أدركهم فرعون بجنوده فلماذا قالوا انما المذكورون قال كلان معى ربي سيهدين أى لا يصل اليكم شئ مما تحذرون فان الله سبحانه هو الذى أمرنى ان أسير ههنا بكم وهو سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد وكان هرون عليه السلام فى المقدمة ومعه يوشع ابن نون أو مؤمن آل فرعون وموسى عليه السلام فى الساقة وقد ذكر غير واحد من المنسرين انهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون وجعل يوشع بن نون أو مؤمن آل فرعون يقول لموسى عليه السلام

الذى يستحقونه بنوهم عاجلا (وليايتهم بعتة) أى خفاة كوقعة بدرانها أتهم بعتة والجملة مستأنفة مبينة لبحر العذاب المذكور قبلها (وهم لا يشعرون) أى حال كونهم لا يعلمون باتيانها على ما يشهد به كتب السير ثم ذكر سبحانه ان موعد عذابهم النار فقل (يستعملونك بالعذاب) أى يطلبون منك تعجيل عذابهم فى الدنيا ذكر هذا للتعجب لان من يؤعد بما فيه ضرر كبير كلمة أو لكلمة قد يرى من نفسه الجلد ويقول باسم الله هات واما من يؤعد بما عرق أو احراق ويقطع بان الموت قادر لا يخلف الميعاد فلا يخترق به ان يقول هات ما تؤعدتني به فقلوه ويستعملونك بالعذاب أولا اخبار عنهم وقوله ثانيا يستعملونك بالعذاب تعجب منهم وقيل التكرير للتأكيد (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أى والحال ان مكان العذاب محيط بهم أى سيحيط بهم عن قرب فان ما هوات قريب فعبر عن الاستقبال بالحال للدلالة على التحقق والمبالغة أو يراد بجهنم أسباب الموصلة اليها فلا تأويل فى قوله محيطة والاول أظهر والمراد بالكافرين جنسهم فيدخل فيه هؤلاء المستعملون دخولا أو ليا والمعنى ان جهنم جامعة لهم لا يبقى منهم أحد الا دخلها قال ابن عباس جهنم هو هذا البحر الاخضر تنثر الكواكب فيه وتكون فيه الشمس والقمر ثم يستوقدون فيكون هوجهنم وفى هذا نكارة شديدة فان الاحاديث الكثيرة الصحيحة ناطقة بان جهنم موجودة مخلوقة على الصفات التى ورد بها الكتاب والسنة ثم ذكر سبحانه كيفية احاطة العذاب بهم فقال (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أى من جميع جهاتهم لقوله تعالى من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال فاذا غشاهم العذاب على هذه الصفة فقد احاطت بهم جهنم قيل خص الجانبين ولم يذكر العين ولا الشمال ولا الخلف ولا الام لان المقصود ذكر ما يميز نار جهنم عن نار الدنيا فانار الدنيا تحيط بالجوانب الاربع فان من دخلها تكون الشعلة قد ادمت وخلفه ويمينه وشماله وأما النار من فوق فلا تنزل وانما تصعد من أسفل فى العادة وتحت الاقدام لا تبتقى الشعلة التى تحت القدم بل تظنأ ونار جهنم تنزل من فوق ولا تطفأ بالدوس علم ابو وضع القدم ذكره الرازى (ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) والقائل هو الله سبحانه أو بعض ملائكته بامر ردى ذلك اليوم أى ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من الكفر والمعاصى فلا تنبوتونا قريء تقول بالنون وبالحمزة لقوله قل كفى بالله وقرئ ويقال ذوقوا وما ذكر سبحانه حال الكثرة من

(٢٢ - فتح البيان سابع) يابى الله ههنا أمر لك ربك ان تدبر فيقول نعم فاقرب فرعون وجنوده ولم يبق الا القليل فعند ذلك أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر فضربه وقال انقلب باذن الله وروى ابن ابي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف عن عبد الله بن سلام ان موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يا من كان قبلى كل شئ المكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا مخرجا فأوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر وقل قتادة أوحى الله ثلاث الليلة الى البحر ان اضربك موسى بعصاه فاصبح له وأطع فبات البحر ثلاث الليلة وله اضطراب ولا يدري من أى جانب يضرب به موسى

فلما انتهى اليه موسى قال له فتاه يوشع بن نون يا بني الله أين أمرك ربك عز وجل قال أمرني أن أضرب البحر قال فاضرب به وقال محمد بن اسحق أوحى الله فيماد كرتي الى البحر ان اذ اضربك موسى بعصاه فانفلق له قال فبات البحر يضطرب و يضرب بعضه بعضا فرقامن الله تعالى وانتظار الماء أمر الله واوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضر بهم سافهم اسلطان الله الذي أعطاه فانفلق وذ كر غير واحد انه جاءه فقال اتفاق على ذلك باذن الله قال الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل الكبير قاله ابن مسعود وابن عباس ومحمد بن (١٧٥) كعب والضحاك وقتادة وغيرهم وقال عطاء الخراساني هو الفج بين الجبلين

وأهل الكتاب ومن المشركين وجمعهم في الانذار وجعلهم من أهل النار أشد عند الله وزاد فسادهم وسعوا في إيذاء المسلمين بكل وجه فقال الله سبحانه (يا عبادي الذين آمنوا) اضعفهم اليه بعد خطابه لهم تشريفا وتكريما والموصول صفة موصحة أو مهيبة (أن أرضي واسعة) قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله ان كنتم في ضيق في مكة من اظهار الايمان وفي مكابدة للكفار فاخرجوا منها للتيسر لكم عبادتي وحدي وتتسهل عليكم وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله هذه الآية ولم يعذر لهم بترك الخروج قال الزجاج أمر و بالهجرة من الموضع الذي لا تمكنهم فيه عبادة الله وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيب بذلك ان يهاجر الى حيث يتم له ان يعبد الله حق عبادته وقال مطرف بن الشخير المعنى ان رحمتي واسعة و رزقي لكم واسع فابتغوه في الارض وقيل البلاد والبقاع تتفاوت في ذلك تفاوتا كبيرا قال علي القاري رحمه الله وأما اليوم فانا بحمد الله لم نجد أعور على قهر النفس وأجمع للقلب وأحدث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للامر الديني وأظهر له من مكة حرمة الله تعالى أقول لولا ما فيها الآن من استطالة أهل البدع على أهل السنة واينثار التنظيمات السلطانية على الاحكام الرجائية وظلم أهل المدكس على الخجاج وعدم الاتصاف من أهل الاعتصاف والحجر على العمل بالسنة والتمسك بالحق والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال سهل اذا ظهرت المعاصي والبدع في أرض فاحرجوا منها الى أرض المطيعين قلت وأنى لنا هذا اليوم ولو علمنا أرضا طاعة على وجه البسيطة على حسب مناطق به الكتاب والسنة أو ما ذهب اليه فقهاء الامم فخرجنا اليها ان شاء الله تعالى ولكن كم من أمينة ضاعت فانا لله وانا اليه راجعون وروى مرفوعا من فردينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وابتغى في سنده وتخرجه وقيل المعنى ان أرضي التي هي أرض الجنة واسعة (فايأى فاعبدون) حتى أورتكموها وانتصاب ايأى بفعل مضارع أي فاعبدوا ايأى ثم لما صعب على المؤمنين ترك الاوطان ومفارقة الاخوان خوفهم سجنانه بالموت لهمون عليهم أمر الهجرة وشجع المهاجرين له لا يتهموا بدار الشرك خوفا من الموت فقال (كل نفس) من النوم (ذائقة الموت) أي واجدة مرارة الموت وكرهه ومشاقه لا محالة كما

وقال ابن عباس صار البحر اثني عشر طرية الشكل سبط طريق وزاد السدي وصار فيه طاقات ينظر بعضهم الى بعض وقام الماء على حمله كالخطبان وبعث الله الريح الى قعر البحر فالتحت به فصار يسا كوجه الارض قال الله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يسا لا تخاف دركا ولا تخشى وقال في هذه القصة وأرسلنا ثم أي هنالك الآخر بن قال ابن عباس وعطاء الخراساني وقتادة والسدي وأرسلناهم أي قربنا من البحر فرعون وجنوده وأدينناهم اليه وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخر بن أي أنجينا موسى وبني اسرائيل ومن اتبعهم على دينهم فلم يهلك منهم أحد وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل الا هلك وروى ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه حدثنا شيبه حدثنا يونس عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله هو ابن مسعود ان موسى عليه السلام حين أسرى بني اسرائيل بلغ فرعون ذلك فأمر بشاة فذبح وقال لا والله لا يفرع من

سبلها حتى يجمع الى ستمائة ألف من القبط فانطلق موسى حتى انتهى الى البحر فقال له انفرق فقال له البحر فاستدركت ياموسى وهل انفرقت لاحد من ولد آدم فانفرقت لك قال ومع موسى رجل على حصان له فقال له ذلك الرجل أين أمرت يا بني الله قال ما أمرت الا بهذا الوجه يعني البحر قال والله ما كذبت ولا كذبت ثم اتقهم الثانية فسمع (١) ثم خرج فقال أين أمرت يا بني الله قال ما أمرت الا بهذا الوجه قال والله ما كذبت ولا كذبت قال فأوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضر بهم موسى بعصاه فانفلق فكانت فيه اثنا عشر سبطا لكل سبط طريق يترأون فلما خرج أصحاب موسى وتأم أصحاب فرعون اتقى البحر عليهم فأغرقهم بشاة فذبح وقال لا والله لا يفرع من

(١) قوله ثم اتقهم الثانية الخ هكذا في النسخ وحرر اه



وفي رواية اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال فلما خرج آخر أصحاب موسى وتكامل أصحاب فرعون انظم عليهم الجحش فرأى سواداً كثيراً يومئذ وغرق فرعون لعنه الله ثم قال تعالى ان في ذلك لآية لأي في هذه القصة وما فيها من العجائب والنصريات التي يدل عليها الله المؤمنون بالدلالة ووجهة قاطعة وحكمة متباعدة وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم تفسيره (واتل عليهم نبأ إبراهيم اذ قال لآبيه وقومه ما تعبدون قالوا تعبدوا صنما فنظروا لها ما كفون قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينصرونكم أو يضررون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال (١٧١) أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم

الاقدمون فانهم عدوا لى الارب العالمين) هذا الخبر من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليفه إبراهيم عليه السلام امام الحنفاء أمر الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ان يتلوه على أمته ليقتدوا به في الاخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له والتسبى من الشرك وأهلها فان الله تعالى أتى إبراهيم رشده من قبل أى من صغره الى كبره فانه من وقت نشأ وشب أنكر على قومه عبادة الاصنام مع الله عز وجل فقال لآبيه وقومه ماذا تعبدون أى ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا تعبدوا صنما فنظروا لها ما كفون أى مقبدين على عبادتها ودعائها قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينصرونكم أو يضررون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون يعنى اعترفوا بان اصنامهم لا تفعل شيئاً من ذلك وانما رأوا آباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم هم فرعون فعند ذلك قال لهم إبراهيم أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدوا لى الارب

يجد الذاتى طعم المذوق فلا يصعب عليكم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان وهجر الخلان بل الاولى ان يكون ذلك فى سبيل الله فيجازيكم عليه فلا تخافوا من بعد الشقة ومتناساة المشقة (ثم اليسا) لا الى غيرنا (ترجعون) بالموت والبعث اليسا كل حى فى سفر الى دار القرار وان طال بئس في هذه الدار عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت انك ميت وانهم ميتون قلت يا رب ايموت الخلائق كلهم وبقى الانبياء فنزلت كل نفس ذائقة الموت الآية أخرجه ابن مردويه وينظر كيف صحته فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان يسمع قول الله سبحانه انك ميت وانهم ميتون يعلم انه ميت وقد علم ان من قبله من الانبياء قد ماتوا وأنه خاتم الانبياء فكيف ينشأ عن هذه الآية ما نقل عنه على رضى الله عنه من قوله ايموت الخلائق وبقى الانبياء فعمل هذه الرواية لا تصح من فوعة ولا موقوفة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) فى هذا ترغيب الى الهجرة وان جزاء من هاجر ان يكون فى غرف الجنة كما قال (لنبؤئهم) أى لننزلنهم وهو مأخوذ من المساءة وهى الانزال وقرئ لنبؤئهم بالناء والمعنى ننعطينهم غرفاً يثبون فيها من النوى وهو الإقامة قال الزجاج يقال نوى الرجل اذا أقام وأثوته اذا أنزلته منزلاً يقيم فيه قال الاخفش لا تعجبني هذه القراءة لانك لا تقول ائوته الدار بل تقول فى الدار وليس فى الآية حرف حرقى المفعول الثانى (من الجنة عرفاً) أى غرف الجنة وهى علائها جمع عليه ثم وصف سبحانه تلك الغرف فقال (تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت الغرف (خالدين فيها) أى مقدرين الخلود فى الغرف لا يموتون أبداً وفى الجنة والاولى (نعم أجر العاملين) للامال الصالحة أجرهم بين فى هذه الآية ان للمؤمنين الجنات فى مقابلة ان للكافرين النار وان فيها غرفاً تحتها الانهار فى مقابلة ان تحت الكافرين النار وبين ان ذلك أجر عملهم بقوله نعم أجر العاملين فى مقابلة ما تقدم للكفار بقوله ذوقوا ما كنتم تعملون ولم يذكر ما فوق المؤمنين لانهم فى أعلى عليين فلم يذكر فوقهم شيئاً إشارة الى علو مرتبتهم وارتفاع منزلتهم ولم يجعل الماء من تحت أقدامهم بل من تحت غرفهم لان الماء يكون ملتذ به فى أى جهة كان وعلى أى بعد كان اذا كان تحت الغرفة ذكره الرازى ثم وصف هؤلاء العاملين بقوله (الذين صبروا) على مشاق التكليف وعلى أذى المشركين لهم والهجرة لظهور الدين وعلى الطاعة وعن المعاصى ولم يتركوا دينهم لشدة لجةتهم (وعلى

العالمين أى ان كانت هذه الاصنام شيئاً واهتاترو وتقدر فلنخلص الى بالمساعة فانى عدولها الأبالى بها ولا أفكر فيها وهذا كما قال تعالى محبوا عن نوح عليه السلام فأجمعوا أمرهم وشركاهم الآية وقال هو عليه السلام انى أشهد الله واشهد وأنى برى مما تنكرون من دونه فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون انى نوكات على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم وهكذا تبرأ إبراهيم من آلهتهم فقال وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله الآية وقال تعالى قد كانت انكم أسوة حسنة فى إبراهيم الى قوله حتى تؤمنوا بالله وحده وقال تعالى واذ قال إبراهيم لآبيه وقومه انى براه مما تعبدون الا الذى فطرنى

فانه سيدين وجعلها كفة يعني لاله الا الله (الذي خلقني فهو) دين والذي هو يطعمني ويسقيني واذا مرضت فهو يشفين والذي يمتني ثم يميتني والذي اطعمني ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين) يعني لأ عبد الا الذي يفعل هذه الاشياء الذي خلقني فهو يهديني أي هو الخالق الذي قدر قدره وهدى الخلائق اليه فكل يجري على ما قدر له وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء والذي يطعمني ويسقيني أي هو خالق ورازقي بما ينجز ويسر من الاسباب السماوية والارضية فساق المزن وانزل الماء وأحيى به الارض وأخرج به من كل الثمرات رزقا للعباد (١٧٢) وانزل الماء عذبا لا لا يسقيه مما خلق أنعاما وانا من كتبها وقوله

واذا مرضت فهو يشفين أسند المرض الى نفسه وان كان عن قدرة الله وقضائه وخلقته وله كن أضافه الى نفسه أدبا كما قال تعالى أمر المصلي ان يقول اهـ دنا الصراط المستقيم الى آخر السورة فأسند الانعام والهداية الى الله تعالى والغضب حذف فاعله أدبا وأسند الضلال الى العبد كما قالت الجن وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أرادهم ربهم رشا وكذا قال ابراهيم واذا مرضت فهو يشفين أي اذا وقعت في مرض فانه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما يقدر من الاسباب الموصلة اليه والذي يميتني ثم يحييني أي هو الذي يحيي ويميت لا يقدر على ذلك أحد سواه فانه هو الذي يبدئ ويعيد والذي اطعمني ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين أي لا يقدر على غفران الذنوب في الدنيا والآخرة الا هو ومن يغفر الذنوب الا الله وهو النعمان لما يشاء (رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم

ربهم يتوكلون) أي يفوضون أمورهم اليه في كل اقدام واجام ثم ذكر سبحانه ما يعين على الصبر والتوكل وهو النظر في حال الدواب فقال (وكأن) قد تقدم الكلام فيها وانها أي دخلت عليها كافي التشبيه وصار فيها معنى كم كما صرح به الخليل وسيبويه وتقديرها عندهما كشيء كثير من العدد (من دابة) وقيل المعنى وكمن دابة ذات حاجة الى غذاء (لا تحمل رزقها) أي لا تطيق حمله لضعفها ولا تدخره لغد ولا ترفعه معها مثل البهائم والطير (الله يرزقها واياكم) أي انما يرزقها الله من فضله ويرزقكم فكيف لا تتوكلون على الله مع قوتكم وقدرتكم على أسباب العيش كتوكلها على الله مع ضعفها وعجزها قال الحسن تأكل لوقتها لا تدخر شيئا وقال مجاهد يعني الطير والبهائم تأكل باقواها ولا تحمل شيئا وعن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو صباحا وتروح بظانا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والمعنى انها تذهب أول النهار جبا عاضمة البطون وتروح آخر النهار الى أوكارها شبعا مملئة البطون ولا تدخر شيئا قال سفيان بن عيينة ليس شيء من خلق الله يخبأ الا الانسان والقارة والنملة سوى سبحانه وتعالى في هذه الآية بين الحريص والمتوكل في الرزق وبين الراغب والقانع وبين الجلد والعاجز يعني ان الجلد لا يتصورانه مرزوق بجلده ولا يتصور العاجز انه ممنوع من الرزق بعجزه (وهو السميع) الذي يسمع كل مسموع (العليم) بكل معلوم أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر قال السيموطي بسند ضعيف عن ابن عمر قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط التمر ويأكل فقال لي مالك لا تأكل كل قلت لا أشتهي يا رسول الله قال انكني أشتهي وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجد له ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقبصر فكيف بلثا ابن عمر اذا بقيت في قوم يحبون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات الا واني لأأكثر نارا ولا درهما ولا أخبار رزقا لغد وهذا الحديث فيه نكارة شديدة لمخالفته ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان يعطى نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتمدة

واغفر لا يبي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من آتى الله بقلب سليم) وهذا سؤال وفي من ابراهيم عليه السلام ان يؤت به حكما قال ابن عباس وهو العلم وقال عكرمة هو اللب وقال مجاهد هو القرآن وقال السدي هو النبوة وقوله وألحقني بالصالحين أي اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عند الاحتضار اللهم في الرفيق الاعلى قالها ثلاثا وفي الحديث في الدعاء اللهم آميننا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مبذولين وقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي واجعل لي ذكرا جيبلا يهدي أذكريه ويقندي بي في الخير كما قال تعالى وتركا عليه

في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك فجزى المحسنين قال مجاهد وقتادة واجعل لي اسان صدق في الآخرين يعني الثناء الحسن  
 قال مجاهد كقوله تعالى وآتاه في الدنيا حسنة الآية وكقوله وآتاه أجره في الدنيا الآية وقال لبيد بن أبي سليم كل ملة تحبه وتتولاه  
 وكذا قال عكرمة وقوله تعالى واجعلني من ورثة جنة النعيم أي أتم على في الدنيا ببقاء الذكرا الجليل بعدى وفي الآخرة بأن تجعلني  
 من ورثة جنة النعيم وقوله واغفر لآبي الآية كقوله ربنا اغفر لي ولوالدي وهذا ما رجح عنه ابراهيم عليه السلام كما قال تعالى  
 وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها لآياه الى قوله ان (١٧٣) ابراهيم لاواه حليم وقد قطع تعالى

الالحاق في استغفاره لآبيه فقال  
 تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في  
 ابراهيم والذين معه الى قوله وما  
 أملاك لك من الله من شيء وقوله  
 ولا تحزني يوم يبغثون أي أجزني  
 من الخزي يوم القيامة ويبعث  
 الخلائق أولهم وآخرهم وقال  
 البخاري عند هذه الآية قال  
 ابراهيم بن طهمان عن ابن أبي  
 ذئب عن سعيد بن أبي سعيد  
 المقبري عن أبيه عن أبي هريرة  
 رضي الله عنه عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم قال يلقي ابراهيم يوم  
 القيامة أباه عليه الغبرة والقترة وفي  
 رواية أخرى حدثنا اسمعيل حدثنا  
 أخى عن ابن أبي ذئب عن سعيد  
 المقبري عن أبي هريرة عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم قال يلقي ابراهيم  
 أباه فيقول يا رب انك وعدتني أن  
 لا تحزني يوم يبغثون فيقول الله  
 تعالى اني حرمت الجنة على  
 الكافر من هكذا رواه عند هذه  
 الآية وفي أحاديث الانبياء بهذا  
 الاسناد بعينه منفردا به ولفظه  
 يلقي ابراهيم أباه آزر يوم القيامة  
 وعلى وجه آزر قتره وغبرة فيقول

وفي اسناده أبو العتوف الجوزي وهو ضعيف ثم انه سبحانه ذكر حال المشركين من أهل  
 مكة وغيرهم وعجب الامم من كونهم يقررون بأنه خاطئهم ورازقهم ولا يوحدهونه ولا  
 يتركون عبادة غيره فقال (وائن سألتهم من خلق السموات والارض) أي بشيئين  
 أحدهما يتعلق بالذوات وهو هذا والثاني يتعلق بالصفات وهو قوله (وحضر الشمس والقمر  
 ليقولن الله خلقها لا يقدرن على انكار ذلك ولا يتمكنون من سجوده (فأنى يؤفكون)  
 أي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرد بالالهية وانه وحده لا شريك له والاستفهام  
 للانكار والاستبعاد ذكر في السموات والارض انطلق وفي الشمس والقمر التخصيران  
 مجرد خلقه - ما ليس حكمة فان الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون في موضع واحد  
 لا تتحرك ما حصل الليل والنهار والاصيف والاشتاء فحينئذ الحكمة انما هي في  
 تحريكها وتسخيرها ولما قال المشركون لبعض المؤمنين لو كنتم على حق لم تكونوا فقراء  
 دفع الله سبحانه ذلك بقوله (الله يسطر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره) أي التوسيع  
 في الرزق والتقدير له هو من الله الباسط القابض يبسطه لمن يشاء ويضيقه على من يشاء على  
 حسب ما تقتضيه حكمته وما يليق بأحوال عباده من القبض والبسط ولهذا قال (ان الله  
 بكل شيء عليم) يعلم ما فيه صلاح عباده وفسادهم ومنه البسط والتضييق (وائن سألتهم من  
 نزل من السماء ماء فأجبي به الارض من بعد موتها) أي جديها وقط أهلها (ليقولن الله)  
 أي يعترفون بذلك لا يجدون الى انكاره سبيلا فكيف يشركون به بعد هذا الاقرار ثم  
 لما اعترفوا بهذا الاعتراف في هذه الآيات وهو يقتضي بطلان ما هم عليه من الشرك  
 وعدم افراد الله سبحانه بالعبادة أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحمده الله على  
 اقرارهم بذلك وعدم سجودهم مع تصليبهم في العناد وتشددهم في رد كل ما جاء به رسول الله  
 صلى الله عليه وآله وسلم من التوحيد فقال (قل الحمد لله) أي احمد الله على ان جعل الحق  
 معك وأظهر حجتك عليهم وقيل على انزال الماء واحياء الارض بالنبات والاول أولى ثم  
 ذمهم فقال (بل أكثرهم لا يعقلون) الاشياء التي تتعلقها العقلاء فذلك لا يعلمون بمقتضى  
 ما اعترفوا به مما يستلزم بطلان ما هم عليه عند كل عاقل ثم أشار سبحانه الى تحقير الدنيا  
 وتصغيرها وانها من جنس اللعب والله هو لا تزن عند الله جناح بعوضة وان الدار على  
 الحقيقة هي الدار الآخرة فقال (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) أي من جنس

له ابراهيم ألم أقل لك لا تعصيني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني أن لا تحزني يوم يبغثون فأى خزي  
 أخرى من أبي الابعدي فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافر من ثم يقول يا ابراهيم انظر تحت رجلك فينظر فاذا هو  
 بذيخ منطلخ فيؤخذ بقوائمها فيلقى في النار ورواه عبد الرحمن النسائي في المناسك من سننه الكبير وقوله ولا تحزني يوم يبغثون  
 أخبرنا أحمد بن حنبل بن عبد الله حدثني أبي حدثني ابراهيم بن طهمان عن محمد بن عبد الرحمن عن سعيد بن أبي سعيد المقبري  
 عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم رأى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة وقال له قد خبت  
 عن هذا فعصيتني قال لكني اليوم لا أعصيك واحدة قال يا رب وعدتني أن لا تحزني يوم يبغثون فان أخزيت أباه فقد أخزيت

الابعد قال يا ابراهيم اني حرمتها على الكافرين فأخذ منه قال يا ابراهيم أين أبوك قال أنت أخذته مني قال انظر أسفل منك فنظر  
 فإذا شيخ يترعى في ننته فأخذ بقوائمه فألقى في النار وهذا اسناد غريب وفيه فحارة والذبح هو الذبح كمن الضباع كانه حول آزر الى  
 صورة شيخ متمطح بعد ربه فليق في النار كذلك وقدر واه الزار باسناد من حديث جاد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي  
 هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه غرابه ورواه أيضا من حديث قتادة عن جعفر بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم بنحوه وقوله يوم (١٧٤) لا ينفع مال ولا بنون أي لا يبق المرء من عذاب الله ما له ولو افتدى بملئ

الارض ذهباً ولا بنون أي ولو افتدى  
 بن على الارض جميعاً ولا ينفع  
 يومئذ الا الايمان بالله واخلاص  
 الدين له والتبري من الشرك وأهله  
 ولهـ مذا قال الامن أي الله بقلب  
 سليم أي سالم من النفس والشرك  
 قال ابن سيرين القلب السليم ان  
 يعلم ان الله حق وان الساعة آتية  
 لا ريب فيها وان الله يعث من في  
 القبور وقال ابن عباس الامن أي  
 الله بقلب سليم القلب السليم أن  
 يشهد أن لا اله الا الله وقال مجاهد  
 والحسن وغيرهما بقلب سليم يعني  
 من الشرك وقال سعيد بن المسيب  
 القلب السليم هو القلب الصحيح  
 وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر  
 والمنافق مريض قال الله تعالى في  
 قلوبهم مرض قال أبو عثمان  
 النيسابوري هو القلب السالم من  
 البدعة المظنة إلى السنة  
 (وأزلقت الجنة للمتقين  
 وبرزت الجحيم للفاوتين وقيل لهم  
 أيما كنتم تعبدون من دون الله  
 هل ينصرونكم أو ينتصرون  
 فكذبوا فيها هم والفاوون  
 وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم

ما يلهو به الصبيان ويلعبون به أو ما التقرب كاصلاة والصوم والحج والاستغفار والتسبيح  
 فن أمور الآخرة لظهور غرورها فيم واللاه وهو الاستمتاع ببلدات الدنيا وقيل هو الاستغفار  
 بما لا يعنيه وما لا يهمه واللعب هو العبث وقيل الله هو الاعراض عن الحق بالكلية  
 واللعب الاقبال على الباطل قاله الرازي وفي هذا نص غير للدنيا وازدراءها ومعنى الآية  
 ان سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم  
 ينصرفون (وان الدار الآخرة هي الحيوان) أي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها قال  
 أبو عبيدة وابن قتيبة ان الحيوان الحياة قال الواحدى وهو قول جميع المفسرين ذهبوا  
 الى أن معنى الحيوان ههنا الحياة وانهم مصدر بمنزلة الحياة فيكون كالزوان والغليان  
 وروا الحيوان مقولبة عن ياء عند سيبويه وأتباعه وقال أبديت شذوذاً وكذا في حياة عليا  
 وقال أبو البقاء ثلثا يتبس بالثنية وغير سيبويه جعل ذلك على ظاهره فالجاء عنده لأمها  
 واو ولاديل لسيبويه في حي لان الواو متى انكسرت ما قبلها قلبت ياء نحو عرى ورعى  
 ورضى والتقدير لهى دار الحيوان أو ذات الحيوان أي دار الحياة الباقية التي لا تزول  
 أو لا ينقصها موت ولا مرض ولا هـم ولا غم وقد رآ أبو البقاء ان حياة الدار وذلك ليستطابق  
 المبتدأ والخبر والمبالغة أحسن قال ابن عباس هي الحيوان أي باقية وعن أبي جعفر قال  
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عجباً كل العجب من صدق بدار الحيوان وهو  
 ليسعى لدار الغرور وأخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب وهو منسل (لو كانوا يعلمون)  
 أن الحياة هي حياة الآخرة أو يعلمون شيئاً من العلم لما آثر والدار الفانية المنغصة  
 على الآخرة الباقية ثم بين سبحانه انه ليس المانع لهم من الايمان الا مجرد تأثير الحياة فقال  
 (فأذا ركبوا في الفلك) أي اذا انقطع رجأؤهم من الحياة وخافوا الغرق رجعوا الى الفطرة  
 والركوب هو الاستعلاء وهو متعبد بنفسه وانما عدى بكلمة في للاشعار بأن المركوب في  
 نفسه من قبيل الامكنة (دعوا الله) وحده (مخلصين له الدين) بصدقياتهم وتركهم عند  
 ذلك لدعاء الاصنام لعلمهم انه لا يكفر هذه الشدة العظيمة النازلة بهم غير الله سبحانه  
 (فما سبحوا الا البر) وأمنوا (اذا هم يشركون) أي فاجروا المعاودة الى الشرك ودعوا  
 غير الله سبحانه وعادوا الى ما كانوا عليه من العناد وقيل كان أهل الجاهلية اذاركبوا  
 البحر حملوا الاصنام فاذا اشتد الريح ألقوها في البحر وقالوا يا رب يارب (ليكفر وارجع)

فيها يقتصمون نالته ان كالتى ضلال مبين اذ نسويكم رب العالمين وما أضلنا الا الجرمون قالنا من شافعين آتيناهم  
 ولا صدق جيم فلأن لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لاية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وأزلقت  
 الجنة أي قربت وأذنت من أهل الموقف من خرفة مزينة لناظرها وهم المتقون الذين رغبوا فيها على ما في الدنيا وعملوا بها في الدنيا  
 وبرزت الجحيم للفاوتين أي أظهرت وكشف عنها وابتد منها عنق فزفرت زفرة بلغت منها القلوب الحناجر وقيل لاهلها تقرر يعاونون أيضاً  
 أيما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون أي ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله من تلك الاصنام

والانداد لتغني عنكم اليوم شيئاً ولا تدفع عن أنفسها فانكم وياها اليوم حسب جهنم أنتم اياها واردون وقوله فكذبوا فيها هم  
 والعاورون قال مجاهد يعني قد هو وافيها وقال غيره كذبوا فيها والكاف مكررة كما يقال صرصر والمراد انه أتى بعضهم على بعض  
 من الكفار وقادتهم الذين دعواهم الى الشرك وحنود ابلدس أجمعون أي ألقوا فيها عن آخرهم قالوا وهم فيهم يختصهون تالله ان كنا  
 لفي ضلال مبين اذ نسو بكم رب العالمين أي يقول الضمير للذين استكبروا وانا كالكلم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار  
 ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة تالله ان كنا في ضلال مبين (١٧٥) اذ نسو بكم رب العالمين أي تجعل أمركم

مطاعا كما يطاع أمر رب العالمين  
 وعبدناكم مع رب العالمين وما  
 أضلنا الا المجرمون أي مادعانا الى  
 ذلك الا المجرمون فالتان من شافعين  
 قال بعضهم يعني من الملائكة كما  
 يقولون فهل لنا من شفعاء فشفعوا  
 لنا أو نردفنععمل غير الذي كنا عمل  
 وكذا قالوا في التان من شافعين ولا  
 صديق حليم أي قريب قال قتادة  
 يعلمون والله ان الصديق اذا كان  
 صالحا يقع وان الحليم اذا كان  
 صالحا شفع فلوان لنا كرامة فكون  
 من المؤمنين وذلك انهم يتنون انهم  
 يردون الى دار الدنيا ليعملوا بطاعة  
 ربهم فيملاين عيونهم والله تعالى يعلم  
 انهم لو رددوا الى دار الدنيا اعادوا لما  
 نهوا عنه وانهم لا يكذبون وقد أخبر  
 الله تعالى عن تخاسم أهل النار في  
 سورة ص ثم قال تعالى ان ذلك لحق  
 تخاسم أهل النار ثم قال تعالى ان  
 في ذلك لاية وما كان أكثرهم  
 مؤمنا أي ان في محاجة ابراهيم  
 لقومه واقامة الحجج عليهم في  
 التوحيد لاية أي للدلالة واضحة  
 جلية على ان لا اله الا الله وما كان  
 أكثرهم مؤمنا وان ربك لهو  
 العزيز الرحيم (كذبت قوم نوح  
 المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح الاتقون  
 رب العالمين فاتقوا الله واطيعوا  
 الارض بعد ما عبدت الاصنام والانداد  
 النعال الخبيثة في عبادتهم اصنامهم  
 قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم  
 نوح الاتقون أي لا تخافون الله في  
 عبادتكم اني لكم رسول أمين أي اني  
 رسول من الله اليكم

آيتناهم) من نعمة الانجاء (وليتعوا) أي فاجؤا الشرك بالله ليكفروا ويجحدوا بنعمة  
 الله وليتعتوا بها فاللام في الفعلين لام كي وفيه شيء لانه ليس الحامل لهم على الاشرار قصد  
 الكفر والظاهر انها لام العاقبة والمآل كما أشار له الشهاب وقيل اللام للتعليل والمعنى  
 لا فائدة لهم في الاشرار الا الاتمعت به في العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة وقيل هـ مالا ما  
 الامر تهيدا ووعيدا أي اكفروا بما أعطيناكم من النعمة وتعتوا او بدل على هذا المعنى  
 قراءة أي وتعتوا وهذا الاحتمال للامر من انما هو على قراءة أي عمرو وورش بكسر اللام  
 واما على قراءة الجمهور بسكونها فلا خلاف انها لام الامر (فسوف يعلمون) عاقبة ذلك  
 الامر وما فيه من الوبال عليهم وفيه تهديد لهم عظيم (أو لم يروا) أي ألم ينظروا كفار قريش  
 (أنا جعلنا) حرمهم أي بلدتهم مكة (حرما آمنا) يأمن فيه ما كنه من الغارة والقتل  
 والسبي والنهب فصاروا في سلامة وعافية مما صار فيه غيرهم من العرب فانهم في كل حين  
 تطرقهم الغارات ويحتاج أموالهم الغزاة وتسفك دماءهم الجنود وتستبيح حرمهم  
 وأموالهم شطارا العرب وشياطينها (ويخطف الناس) جله حالية أي وهم يخطف الناس  
 (من حولهم) بالقتل والسبي والنهب والخطف الاخذ بسرعة وقدمضى تحقيق معناه في  
 سورة القصص والجله حالية (أفالباطل يؤمنون) وهو الشرك والاصنام والشيطان بعد  
 ظهور حجة الله عليهم واقرارهم على نوح التوحيد (وبنعمة الله يكفرون) أي بحمد  
 صلى الله عليه وآله وسلم والاسلام ويجعلون كفرهم مكان شكره وفي هذا الاستنهام من  
 التقرير والتوبيخ بما لا يقدر قدره (ومن) أي لأحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) وهو  
 من زعم ان الله شريكا (أو كذب بالحق لما جاءه) أي كذب بالرسول الذي أرسل اليه  
 أو الكتاب الذي أنزله على رسوله وقال السدي بالتوحيد والظاهر شموله لما يصدق عليه  
 انه حق ثم هـ رد المكذبين وتوعدهم فقال (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أي مكان  
 يستقرون فيه والاستنهام للتقرير والمعنى أليس يستحقون الاستقرار فيها وقد فعلوا  
 ما فعلوا الان هـ مزة الانكار اذا دخلت على النفي صار ايجابا فراجع الى معنى التقرير أو ألم  
 يصح عندهم ان جهنم مثواهم حين اجتمروا مثل هذه الجرأة ثم لما ذكر حال المشركين  
 الجاحدين التوحيد الكافرين بنعم الله أردفه بحال عباد الصالحين فقال (والذين  
 جاهدوا) أي اوقعوا الجهاد بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمتاعلة (فبنا) أي في شأن الله

المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح الاتقون  
 رب العالمين فاتقوا الله واطيعوا  
 الارض بعد ما عبدت الاصنام والانداد  
 النعال الخبيثة في عبادتهم اصنامهم  
 قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم  
 نوح الاتقون أي لا تخافون الله في  
 عبادتكم اني لكم رسول أمين أي اني  
 رسول من الله اليكم

أمن فيما بعثني الله به بلغكم رسالات ربي ولا يزيد فيها ولا ينقص منها فاتقوا الله وأطيعوه وما أسألكم عليه من أجر أي لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم بل أذخر ثواب ذلك عند الله فاتقوا الله وأطيعوه فقد وضح لكم وبان صدقي ونصحي وأما نصي فيما بعثني الله به واتقنى عليه (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون إن حسابهم الأعلى ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير مبين) يقولون لا نؤمن لك ولا نتبعك وتتأسى في ذلك بهؤلاء الأرذال الذين اتبعوك وصدقوك وهم أرذلنا ولهذا قالوا أنؤمن لك واتبعك (١٧٦) الأرذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون أي وأي شيء يلزمني من

اطلب مرضاته ورجاه ما عند من الخير وقيل في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا وهو اقتبنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار وغيرهم من كل ما ينبغي الجهاد فيه بالقول والفعل في السدة والرخاء ومخالفة الهوى عند هجوم الفتن وشدة أذى المحن مستحضرين لعظمتنا (أنهدينهم سبانا) أي سبل السير والطريق الموصل إلينا وقيل لتزيدنهم هداية إلى سبيل الخير وتوفيقا وعن ابن عطاء جاهدوا في رضا الله دينهم إلى الوصول إلى محل الرضوان وعن الجهميد جاهدوا في التوبة أنهدينهم سبيل الإخلاص أو جاهدوا في خدمتنا لتفحق عليهم سبيل المناجاة معنا والانس بنا قال ابن عثيمين هي مكة نزلت قبل فرض الجهاد العرفي وأما جهاد عام في دين الله وطالب مرضاته وقيل الآية هذه نزلت في العباد قال سفيان بن عيينة إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور فإن الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا الحرقيل المجاهدة الصبر على الطاعات والمخالفة للهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا فينا أي في طلب العلم أنهدينهم سبيل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله الذين جاهدوا بأقامة السنة وأما البدعة أنهدينهم سبيل الجنة وقال ابن عباس الذين جاهدوا في طاعتنا أنهدينهم سبيل نوابنا وقال أبو سليمان الداراني الذين جاهدوا في ما علموا أنهدينهم إلى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما علم وفق لعلم ما لم يعلم وقال إبراهيم بن أدهم هي في الذين يعملون بما يعلمون وقال الداراني أيضا ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين وأعظمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله قال ابن عيينة مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم فكذلك من لزم السنة في الدنيا سلم وظاهر الآية العموم فيدخل تحته كل ذلك قال النسفي أطلق المجاهدة ولم يقيدها بعمول لتتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين (وان الله لمع المحسنين) بالنصر والعون في دنياهم والمغفرة في عقباهم وثوابهم الجنة في الآخرة ومن كان الله معه لا يخذل أبدا ودخلت لام التوكيد دعوى مع تأويل كونها اسما أو على أنها حرف ودخلت عليها الافادة معنى الاستمرار كما تقول ان زيدا الذي الدار والبحث مقرري علم النحو وفيه اقامة الظاهر مقام المضمر اظهار الشرفهم بوصف الاحسان

اتباع هؤلاء ولو كانوا على أي شيء كانوا عليه لا يلزمني التتبع عنهم والبحث والنقص انما على ان أقبل منهم تصديقهم اياي وأكل سرايرهم إلى الله عز وجل ان حسابهم الأعلى ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين كأنهم سألو انهم ان يبعدهم عنه ويتابعوه فأبى عليهم ذلك وقال وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا إلا نذير مبين أي انما بعثت نذيرا فمن أطاعني واتبعني وصدقني كان مني وأنا منه سواء كان شريفا أو ذميا أو جليلا أو حقيرا (قالوا الذين لم ينته يأنوح لتكوتن من المرجومين قال رب ان قومي كذبتون فافتح بيني وبينهم فصحا ونجسني ومن معي من المؤمنين فأنجنياه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقي ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنا وان ربك لهو العزيز الرحيم) لما طال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوهم إلى الله تعالى ليلا ونهارا وسرا وجهارا وكلما كرر عليهم الدعوة سمعوا على الكفر الغليظ والامتناع الشديد وقالوا في الآخر لئن لم تنته يأنوح لتكوتن من

المرجومين أي لئن لم تنته عن دعوتك ايانا إلى دينك لتكوتن من المرجومين أي لترجحك فعند ذلك دعا عليهم سورة دعوة استجاب الله منه فقال يارب ان قومي كذبتون فافتح بيني وبينهم فصحا الآية كما قال في الآية الاخرى فدعاه اني مغلوب فانتصر إلى آخر الآية وقال ههنا فأنجيناها ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقي والمشحون هو المملوء بالامتناع والازواج التي حمل فيها من كل زوجين اثنين أي أنجينا نوحا ومن اتبعه كلهم وأغرقنا من كفر به وخالف أمره كلهم أجمعين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنا وان ربك لهو العزيز الرحيم (كذبت عماد المرسلين إذ قال لهم أخوه هم هو ألا تتقون اني انكم

رسول أميين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى الأعلى رب العالمين أتبنون بكل ربيع آية تعبدون وتتخذون مصانع لعلمكم تخلدون وإذا بطشتم ببطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمركم به بما تعلمون أمركم بأنعام وبنين وجنات وعميون أنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وهذا الخبر من الله تعالى عن عبده ورسوله هو عليه السلام أنه دعا قوم عادا وكان قومهم يسكنون الاحقاف وهي حبال الرمل قريبا من حضرموت من جهة بلاد اليمن وكان زمانهم بعد قوم نوح كما قال في سورة الاعراف واذا كروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم (١٧٧) في الخلق بسطة وذلك انهم كانوا في

غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد والطول المديد والارزاق الدارة والاموال والجنات والانهار والابناء والزروع والثمار وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه فبعث الله هودا اليهم رجلا منهم رسولا وبشيرا ونذيرا فدعاهم الى الله وحده وحذرهم تقصمته وعذابه في مخالفته وبطشه فقال لهم كما قال نوح اقومه الى ان قال أتبنون بكل ربيع آية تعبدون اختلف المنسرون في الريع بما حاص له انه المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة تدنون عنك بنينا بحكمها تلابها راوله هذا قال أتبنون بكل ربيع آية أي علمائنا مشهورا تعبدون أي وانما نعبدون ذلك عبثا لا للاحتياج اليه بل لجرد اللعب والهوى واطهار القوة ولهذا أنكر عليهم نبيهم عليه السلام ذلك لانه تضيق للزمان وانعاب اللابدان في غير فائدة واشتغال بما لا يجدى في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا قال وتتخذون مصانع لعلمكم تتخذون قال مجاهد والمصانع البروج المشيدة والبنيان الخلد

**\* (سورة الروم هي ستون أو تسع وخسون آية) \***

قال القرطبي كلها مكية بالاخلاق قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مشهولة وقال البيضاوي الاقوله فسبحان الله حين تسنون وحين تصبحون والاول اولى وأخرج عبد الرزاق وأحمد قال السيوطي بسند حسن عن رجل من الصحابة نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بهم الصبح فقرأ فيها سورة الروم وأخرج البزار عن الاغر المزني مشهولة وعن عبد الملك بن عمران النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ في الفجر يوم الجمعة بسورة الروم وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد بن قانع من طريق ابن عمير مثل حديث الرجل الذي من الصحابة وزاد فتردد فيهما فلما انصرف قال انما يلبس عليا في صلواتنا قوم يحضرون الصلاة بغير ظهور من شهد الصلاة فليحسن الظهور

**\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \***

(الم) قد تقدم الكلام على فاتحة هذه السورة في فاتحة سورة البقرة والله أعلم بما مر ذلك (غلبت الروم) قرئ مبتدأ للمفعول وللفاعل قال النحاس قراءة الناس بضم الغين وكسر اللام قال أهل التفسير غلبت فارس الروم فترج بذلك كناية عن كبرها وقاها الذين ليس لهم كتاب غلبوا الذين لهم كتاب وافتخر واعلى المسلمين فتالوا نحن أيضا انغلبكم كما غلبت فارس الروم وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لانهم أهل كتاب أي نصارى فهم أقرب الى الاسلام والفارس مجوس فهم أقرب الى كفار قريش وفارس اسم أعجمي علم على تلك القبيلة فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث بل والجمعة وعن أبي سعيد قال لما كان يوم بدر ظهر الروم على فارس فاعجب ذلك المؤمنون فبنات الم غلبت الروم وقرأها على البناء للفاعل ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس وعن أبي الدرداء قال سيجي أقوام يقرؤون الم غلبت يعني بالفتح وانما هي غلبت يعني بالضم والروم اسم قبيلة سميت باسم جد هاهو روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم قاله ابن جرير في تفسيره وسمى عيصو لانه كان مع به قوب في بطن فعند خروجهما تراجعا وأراد كل ان يخرج قبل صاحبه فقال عيصو لعقوب ان لم أخرج قبلك والآخرجت من جنبها فمأخر يعقوب شفتة منه فلذا كان أبانا الانبياء وعيصو أبانا الجبارين كذا قيل والله أعلم قيل وكان هذا الحرب بين اذرع

(٢٣ - فتح البيان سابع) وفي رواية عنه بروج الحمام وقال قتادة هي ما أخذ الماء قال قتادة وقرأ بعضهم وتتخذون مصانع كأنكم خالدون وفي القراءة المشهورة وتتخذون مصانع لعلمكم تتخذون أي لكي تقموا فيها أبدا وذلك ليس يحصل لكم بل زائل عنكم كما زال عن كان قبلكم وروى ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا الحكم بن موسى حدثنا الوليد حدثنا ابن عجلان حدثني عون بن عبد الله بن عتبة ان أبا الدرداء رضى الله عنه لما رأى ما أحدث المسلمون في الغوطة من البنيان ونصب الشجر قام في مسجدهم فنادى يا أهل دمشق فاجتمعوا اليه فمد الله وأثنى عليه ثم قال ألا تستحبون ألا تستحبون تجمعون ما لنا كون وتبنون

مالا لا تكونون وتأملون ما لا تدركون انه قد كانت قبلكم قرون يجتمعون فيوعون ويننون فيوثقون وبأملون فيطيلون فأصبح املهم غرورا واصبح جمعهم بورا وأصحت مساكنهم قبورا ألا ان عاد املك ما بين عدن وعمان خيلا وكابن يشترى مني ميراث عاد بدرهمين وقوله واذا نبطستم ببطستم جبارين أي يصنعونهم بالقوة والغلظة والجبروت فأتوا الله وأطيعوا أي اعبدوا ربكم وأطيعوا رسولكم ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم فتعال واتقوا الذي أمركم بما تعلمون أمركم بانعام وبنين وجنات وعيون اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم أي ان كذبتم (١٧٨) وخالفتم فدعاهم بالترغيب والترهيب فانفع فيهم (قالوا سواء علينا

وبصري والملك بفارس يومئذ كسرى أبرويز (في أدنى الارض) متعلق بغلبت أي أقرب أرض من أرض العرب أو في أقرب أرض العرب منهم قيل هي أرض الجزيرة وقيل اذرعاء وقيل كسكرو وقيل الاردن وقيل فلسطين وهذه المواضع هي أقرب الى بلاد العرب من غيرها وانما سجدت الارض على أرض العرب لانها المعهودة في أسنتهم اذا أطلقوا الارض ارادوا بها جزيرة العرب وقيل ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه والتقدير في ادنى ارضهم فيعود الضمير الى الروم ويكون المعنى في أقرب أرض الروم من العرب الى فارس والمراد بالجزيرة ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب وحدها على ما روى عن الاصمعي انها من أقصى عدن الى ريف العراق طولها ومن جعدة وما والاها الى اطراف الشام عرضا وسبب تسميتها بجزيرة احاطة البحار والانهار العظيمة بها كبحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات وقال ابن جزي في تفسيره الجزيرة بين الشام والعراق وهي أول الروم الى فارس قال ابن عطية ان كانت الواقعة باذرعاء فهي من أدنى الارض بالقياس الى مكة وان كانت الواقعة بالجزيرة فهي أدنى بالقياس الى أرض كسرى وان كانت بالاردن فهي أدنى الى أرض الروم وعن ابن عباس قال كان المشركون يحبون ان يظهر فارس على الروم لانهم كانوا أصحاب أوثان وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لانهم أصحاب كتاب فذكره لابي بكر فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما انهم سيغلبون فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فان ظهرنا كان لنا كذا وكذا وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل بينهم أجلا خمس سنين فلم يظهر واقد كذلك أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اجعلته أراه قال دون العشرة فظهرت الروم بعد ذلك فذلك قوله الم غلبت الروم فغلبت ثم غلبت بعد قال سفيان سمعت انهم ظهروا عليهم يوم بدر وعن البراء بن عازب نحوه وزاد انه لما ضى الاجل ولم تغلب الروم فارس ساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما جعله أبو بكر من المدة وكرهه وقال مادعاك الى هذا قال تصديقا لله ولرسوله فقال تعرض لهم وأعظم الخطة واجعله الى بضع سنين فاناهم أبو بكر فقال هل لكم في العود فان العود أجدا قالوا نعم فلم تمض تلك السنون حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمداخن وبنوا رومية فقمم أبو بكر فقام به أبو بكر يحمله الى رسول

أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الاخلق الاولين وما نحن بمعدين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك له والعزير الرحيم) يقول تعالى محسبا عن جواب قوم هودله بعدما حذرهم وأذنبهم ورغبهم ورهبهم وبين لهم الحق ووضحه قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين أي لا ترجع عما نحن عليه وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وهكذا الامر فان الله تعالى قال ان الذين كذبوا سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون وقال تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية وقوله هم ان هذا الاخلق الاولين قرأ بعضهم ان هذا الاخلق الاولين بفتح الخاء وتسكين اللام قال ابن مسعود والعمري عن عبد الله بن عباس وعلقمة زجاجه يدعون ما هذا الذي جئنا به الأخلاق الاولين كما قال المشركون من قريش وقالوا أساطير الاولين اكتبها فهي على عليه بكرة وأصلا وقال وقال

الذين كفروا ان هذا الاقل افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين وقرأ آخرون الله ان هذا الاخلق الاولين بضم الخاء واللام يعنون دينهم وما هم عليه من الامر هودين الاولين من الآيام والاجداد ونحن تابعون لهم سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا ونموت كما ماتوا ولا نبعث ولا نبعث ولهم ما وعدوا ولهم ما وعدوا ولهم ما وعدوا ولهم ما وعدوا عباس ان هذا الاخلق الاولين يقول دين الاولين وقاله عكرمة وعطاء الخراساني وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقوله فكذبوه فأهلكناهم أي استمروا على تكذيب نبي الله هود ومخالفته وعناده فأهلكهم الله وقد بين سبب اهلاكه اياهم



في غير موضع من القرآن بأنه أرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية أرى يحاشد يذبة الهبوب ذات برد شديد جداً فكان سبب اهلاكهم من جنسهم فانهم كانوا أعتى شئ وأجبره فسلط الله عليهم ما هو أعتى منهم وأشد قوة كما قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد وهم عاد الاولى كما قال وأنها هلك عاد الاولى وهم من نسل ارم بن سام بن نوح ذات العماد الذين كانوا يسكنون العمود من زعم ان ارم مدينة فاعماً أخذ ذلك من الاسرائيليات من كلام كعب وهب وليس لذلك أصل اصيل ولهذا قال التي لم يخلق مثلها في البلاد أى لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم وجبروتهم (١٧٩) ولو كان المراد بذلك مدينة لقال التي لم يكن

مثلها في البلاد وقال تعالى فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون وقد قدمنا ان الله تعالى لم يرسل عليهم من الريح الامم مقدار أنف الثور عنت على الخزنة فأذن الله لها في ذلك فسلكت فخصبت بلادهم فخصبت كل شئ لهم كما قال تعالى تدمر كل شئ بأمر ربها الآية وقال تعالى فأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله حسوماى كاملة فتى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية أى بقوا أبداناً بالاروس وذلك ان الريح كانت تأتي لرجل منهم فتمقتلته وترفعه في الهواء ثم تنكسه على أمرأسه فتشدخ دماغه وتنكسر رأسه وتلقته كأنهم أعجاز نخل منتعرو وقد كانوا تحصنوا في الجبال والكهوف والمغارات وحضروا لهم في الارض الى أنصافهم فم يغن عنهم ذلك من أمر الله شياً لان أجل الله اذا جاء لا يؤخر ولهذا قال تعالى فكذبوه فأهلكناهم الآية (كذبت عود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح الا تنتنون انى

الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هذا السمحت تصدق به ومن مذهب أبى حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكنفاري وقد احتج على صحة ذلك بهذه القصة والقصة حجة عليهم الا الله ما لانها كانت قبل تحريم القمار وفيه هذا السمحت تصدق به (وهم بن بعد غزاهم) أى والروم من بعد غلب فارس اياهم (سيعلبون) أهل فارس والغلب والغلبة لغتان (في بضع سنين) قدة تقدم تفسير البضع واشتقاقه في سورة يوسف والمراد به هنا ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسع وقيل الى السبع وقيل مادون العشرة وانما أسمبهم البضع ولم يبينه وان كان معلوماً لنبه صلى الله عليه وآله وسلم لادخال الرعب والخوف عليهم في كل وقت كما يؤخذ ذلك من تفسير الفخر الرازى أخرج الترمذى وصححه والدارقطنى في الافراد والطبرانى وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل والبيهقى في الشعب عن نيار بن مكرم الاسلمى قال لما نزلت الم غلبت الروم الآية كانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين الروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لانهم وياهم أهل الكتاب وفي ذلك يقول الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الخ وكانت قريش تحت ظهور فارس لانهم وياهم ليسوا أهل كتاب ولا ايمان يبعث فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر بصبح في نواحي مكة الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيعلبون في بضع سنين فقال ناس من قريش لابي بكر ذلك بيننا وبينكم يزعم صاحبك ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا تراها هذا على ذلك فقال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتب أبو بكر والمشركون وتواضعوا للرهان وقالوا لابي بكر لم تجعل البضع ثلاث سنين الى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطاً انتهى اليه قال فسموا بينهم ست سنين فضت الست قبل ان يظهر واخذوا المشركون رهن أى بكر فلما ادخات السنة السابعة ظهرت الروم فعاب المسلمون على أبى بكر تسميته ست سنين لان الله قال في بضع سنين فأسلم عند ذلك ناس كثير وأخرج الترمذى وحسنه عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لابي بكر ألا احتطت يا أبا بكر فان البضع ما بين ثلاث الى تسع وأخرج البخارى عنه في تاريخه نحوه وفي الباب روايات وما ذكرنا يغيث في عا سواه (الله الامر) أى هو المتفرد باقدرة وانفاذ الاحكام (من قبل ومن بعد) أى من وقت المغلوبة وقت الغالبة فهو لفظ ونشر مرتب على الآية وقال ابو السعد عوداى في اول الوقتين

لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجرة ان أجرى الاعلى رب العالمين) وهذا الخبر من الله عز وجل عن عبده ورسوله صالح عليه السلام انه بعثه الى قومه عود وكانوا عرابياً يسكنون مدينة الحجر التي بين وادى القرى وبلاد الشام ومساكنهم معروفة مشهورة وقد قدمنا في سورة الاعراف الاحاديث المروية في مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم حين أراد عبور الشام فوصل الى بولس ثم عاد الى المدينة لئلا يأتى أهل ذلك وكانوا بعد عاد وقيل الخليل عليه السلام فدعاهم نيهم صالح الى الله عز وجل ان يعبدوه وحده لا شريك له وان يطيعوه فيما بالعههم من الرسالة فابوا عليه وكذبوه وخافوه وأخبرهم انه لا يتبعى بدعوتهم أجراً

منهم وإنما يطلب ثواب ذلك من الله عز وجل ثم ذكرهم آلاء الله عليهم فقال (أنت تكون في ما ههنا آمنين في جنات وعميون وزرورع  
وتخجل طلعاها هضمهم وتحتون من الجبال بيوتافرهم فاتقوا الله وأطيعوا ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض  
ولا يصلحون) يقول لهم واعظا لهم ومخذرهم تقم الله أن تحلهم ومذكرا بأنهم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة وجعلهم في  
أمن من المخذروات وأثبت لهم من الجنات وبجر لهم من العيون الخاريات وأخرج لهم من الزروع والثمار ولهذا قال وتخجل  
طلعاها هضمهم قال العوفي عن ابن عباس (١٨٠) أينع وبلغ فيه هضمهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون والمعنى ان كلام من كونهم مغلوبين أو لا وغالبين آخر  
ليس الا بأمر الله تعالى وقضائه وتلك الايام ندا اولها بين الناس انتهى قرئ بضم الظرفين  
لكونهما مقطوعين عن الاضافة اي من قبل الغلب ومن بعده او من قبل كل امر بعده  
قال الزجاج معنى الآية من تقدم ومن متأخر وحكي الكسائي من قبل ومن بعد بكسر  
الاول منقوتا وضم الثاني بالانتوين وحكي القراء بكسرهما من غير تنوين وغلطه  
الكاسي وقال انما يجوز زكك ورامنقوتا قلت وقد قرئ بذلك ووجهه انه لم ينو اضافة ما  
فاعربها وقال شهاب الدين وقد قرئ بكسرهما منقوتين (ويومئذ) اي يوم ان تغلب  
الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم (ينشرح المؤمنون بنصر الله) للروم على  
فارس لكونهم اهل كتاب وكان المسلمين اهل كتاب بخلاف فارس فانهم لا كتاب لهم ولهذا  
سر المشركون بنصرهم على الروم وقيل نصر الله هو اظها ر صدق المؤمنين فيما أخبروا به  
المشركين من غلبة الروم على فارس والاول اولى قال الزجاج هذه الآية من الآيات التي  
تدل على ان القرآن من عند الله لانه أنباء ما سيكون وهذا لا يعلمه الا الله سبحانه (بنصر من  
يشاء) أن ينصره (وهو العزيز) العالب التاهر (الرحيم) الكثير الرحمة لعباده  
المؤمنين وقيل المراد بل رحمة هاتين الدنياوية وحشي شاملا لله مسلم والكافر) وعد الله لا يخاف الله  
وعده) أي وعد الله وعد الايخلة وهو ظهور الروم على فارس (ولكن أكر الناس  
لا يعلمون) بجهلهم وعدم تذكرهم ان الله لا يخلف وعده وعم الكفار وقيل كذا رمة على  
الخصوص نفي عنهم العلم النافع للاخرة وقد أثبت لهم العلم باحوال الدنيا فقال (يعلمون)  
بدل من لا يعلمون وهذا أحسن من قول الخوفا انها مستأنفة من حيث المعنى الا ان  
الصناعة لا تساعد عليه لان بدل فعل مثبت من فعل منفي لا يصح والضمير للاكثر وكذا  
يقال فيه ما بعده وفيه بيان انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي  
لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا (ظاهر من الحياة الدنيا) أي ظاهر ما يشاهدونه من زخارف  
الدنيا وملاذها وأسر معاشهم واسباب تحصيل فوائدهم الدنيوية وقيل هو ما تلقى به  
الشياطين انهم من أمور الدنيا عند استراقهم السمع وقيل الظاهر الباطل وقيل يعني  
معاشهم كيف يكسبون ويحجرون ومتى يغرسون ومتى يزرعون ومتى يحصدون قال  
الحسن ان أحدهم لينقر الدرهم طرف ظفره فيذكر وزنه لا يخطئ وهو لا يحسن يسلي

وتخجل طلعاها هضمهم يقول معشبة  
وقال ابن عباس بن أبي خالد عن عمرو  
ابن أبي عمرو وقد أدرك العصابة عن  
ابن عباس في قوله وتخجل طلعاها  
هضمهم قال اذا رطب واستخري رواه  
ابن أبي حاتم ثم قال وروى عن أبي  
صالح نحو هذا وقال أبو جعفر عن  
أبي العلاء وتخجل طلعاها هضمهم قال  
هو المزب من الرطب وقال مجاهد  
هو الذي اذا يبس تهشم وتفتت  
وتناثر وقال ابن جريج سمعت عبد  
الكريم أنبأ أن أمية سمعت مجاهدا  
يقول وتخجل طلعاها هضمهم قال حين  
يبالغ يقبض عليه فيهمضه فهو من  
الرطب الهضم ومن الابس التهشم  
تقبض عليه فتشمه وقال عكرمة  
وقتادة الهضم الرطب اللين وقال  
الضحاك اذا كثرت الثمرة وركب  
بعضها بعضا فهو هضم وقال مرة  
هو الطلع حين يتفرق ويخضر  
وقال الحسن البصري هو الذي  
لا نوى له وقال أبو صخر ما رأيت  
الطلع حين ينشق عنه الكرم فتري  
الطلع قد لصق بعضه ببعض فهو  
الهضم وقوله وتحتون من الجبال  
بيوتافرهم قال ابن عباس وغير

واحد يعني حاذقين وفي رواية عنه شريين وهو اختيار مجاهد وجماعة ولا مسافة بينهما فانهم كانوا  
يتخذون تلك البيوت المخوطة في الجبال أسورا وطرا وعيانا من غير حاجة الى بنائها وكانوا ذقنين تحتها ونعشها كما هو  
المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم ولهذا قال فاتقوا الله وأطيعوا أي أقبلوا على ما به ودفعه عليكم في الدنيا والآخرة من  
عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم لتعبدهوا واحذروا وسجوه بكرة وأصيلا ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض  
ولا يصلحون يعني رؤسائهم وكبرائهم الدعاء لهم الى الشرك والكفر ومخالفة الحق (قالوا انما أنت من المسحرين ما أنت

الابشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم زلاتسوها بسوء فبدأ أخذكم عذاب يوم عظيم ففقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم يقول تعالى مخبر اعن ثود وجوابهم لنبيهم صالح عليه السلام حين دعاهم الى عبادة ربهم عز وجل انهم قالوا انما انت من المصيرين قال مجاهد وقتادة يعنون من المدحورين وروى أبو صالح عن ابن عباس من المسحورين يعنى من المخلوقين واستشهد بعضهم على هذا بقول الشاعر فان تسألينا فيم نحن فاننا

(١٨١)

عصافير من هذا الانام مسحر يعنى الذين لهم سحر والسحر الرثة والاطهر في هذا قول مجاهد وقتادة انهم يقولون انما أنت في قولك هذا مسحر لا عقل لك ثم قالوا ما أنت الابشر مثلنا يعنى فكيف أوحى اليك دوننا كما قالوا في الآية الاخرى أنزل عليه الذكر من بيننا بل هو كذاب أشرف سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ثم انهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم وقد اجتمع ملاؤهم وطلبوا منه أن يخرج لهم الان من هذه الصخرة ناقة عشرة وأشاروا الى صخرة عندهم من صنعتهم كذا وكذا فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الى ما سألو اليؤمنين به ولتبعينه فأعطوه ذلك فقام نبي الله صالح عليه السلام فصلى ثم دعاهم الله عز وجل ان يجيبهم الى سؤالهم فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا اليها عن ناقة عشرة على الصفة التي وصفوها فأمن بعضهم وكفراً أكثرهم قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم

وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناها وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعها وافادت الآية الكريمة ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتعمق بملاذها وباطناتها مجاز الى الآخرة يترود منها اليها بالطاعة وبالاعمال الصالحة وتذكير الظاهر يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهرها واحدا من جملة ظواهرها (وهي عن الآخرة) التي هي النعمة الدائمة واللذة الخاصة (هم غافلون) لا يلتفتون اليها ولا يعدون لها ما تحتاج اليه أو غافلون عن الايمان بها والتصديق بحقيقتها وفيه انهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها واعادة لفظهم الثانية للتأكيد (أولم يتفكروا) الهمزة للذكار عليهم والواو للعطف على مقدر كما في نظائره (في أنفسهم) ظرف للتفكير وليس مفعولا للتفكير والمعنى ان أسباب التفكير حاصله لهم وهي أنفسهم لتفكروا فيها كما ينبغي لعلموا وحدانية الله تعالى وصدق أنبيائه وقيل انهم انفقوا التفكير والمعنى أولم يتفكروا في خلق الله اياهم ولم يكونوا شيئا والاول أولى لان المعنى أولم يتفكروا في قلوبهم الفارغة من الفكر التي هي أقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم باحوالها منهم بما حوالها فاعتدوا فيها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكمة الدالة على التدبير وانها لا بد لها من الانتهاء الى وقت يجازى فيه على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلم عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة في التدبير وانها لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا في قولهم لو لو هذا القول وقيل معناه فيعلموا ان في الكلام دليلا عليه وما في ما خلق نافية اى لم يخلقها (الابالحق) الثابت الذي يحق ثبوته أو هي اسم في محل نصب على اسقاط الخافض أي بما خلق الله ويضعف ان تكون استغفامية بمعنى النبي والباء للسببية أو هي ومجروها في محل نصب على الحال أي متلبسة بالحق قال الفراء معناه الالحق اى للثواب والعقاب وقيل بالحق بالعدل وقيل بالحكمة وقيل انه هو الحق وللعق خلقها (وأجل مسمى) للسموات والارض وما بينهما تنتهى اليه وهو يوم القيامة وفي هذا تنبيه على الفناء وان لكل مخلوق أجلا لا يجاوزه وقيل معناه انه خلق ما خلق في وقت سماه لخلق ذلك الشيء (وان كثير من الناس بلقاء ربهم) أي بالبعث بعد الموت (لكافرون)

معلوم يعنى ترد ما حكمهم يوما ويوم تردونه انهم ولا تسوها بسوء فبدأ أخذكم عذاب يوم عظيم فخذرهم نعمة الله ان أصابوها بسوء فكشفت الناقة بين أظهرهم حينما من الدهر ترد الماء وتأكل الورق والمرعى ويفتنعون بلبنها يحلبون منها ما يكفهم شربا ويريا لها طال عليهم الامد وحضر أشقاهم تسألوا عن قتلها وقرها ففقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب وهو ان أرضهم زلزلات زلا لا شديد اوجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محالها وأناهم من الأمر ما لم يكونوا يحتسبون وأصبحوا في دارهم جاثمين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط الا لتقون انى

لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى الأعلى رب العالمين) يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله لوط عليه السلام وهو لوط بن هاران بن آزر وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام وكان الله تعالى قد بعثه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم عليه السلام وكانوا يسكنون سدوم وعمالة التي أهلكتها الله بهم وأوجع ل مكنها بحجارة منسفة خبيثة وهي مشهورة ببلاد انغور بناحية حبال البيت المقدس بينها وبين بلاد الكرك والشوبك فذاعها - م إلى الله عز وجل إن يعبدوه وحده لا شريك له وإن يطيعوا رسولهم الذي بعثه (١٨٢) الله اليهم ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ما كانوا أقدموا عليه

واللام هي المؤكدة والمراد بهؤلاء الكفار على الإطلاق أو كفار مكة (أولم يسعروا في الأرض فينظروا) الاستفهام للتقريع والتوبيخ لعدم تفكيرهم في الآثار وتأملهم لواقع الاعتبار والمعنى أنهم قد ساروا وشاهدوا (كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من طوائف الكفار والاعم الذين أهلوا بسبب كفرهم بالله وجودهم للحق وتكذيبهم للرسول (كانوا أشد منهم قوة) كعادتهم ودوابهم الجمل مينة للكيفية التي كانوا عليها وانهم أقدم من كفار مكة ومن تابعهم عنى الامور الدنياوية وقال ابن عمر كان الرجل ممن كان قبلكم بين منسكبيه ميل أخرجه ابن مردويه (وأثاروا الأرض) أى حرثوها وقلبوها للزراعة وزاولوا أسباب ذلك ولم يكن أهل مكة أهل حرث (وعمروها) عمارة (أكثر مما عمروها) لان أولئك كانوا أطول منهم عمارة وأقوى اجساماً وأكثر تخصصاً لاسباب المعاش فعمروا الأرض بالابنية والزراعة والغرس (وجاءتهم رسالهم بالبينات) أى المعجزات والحجج الظاهرات وقيل بالاحكام الشرعية (فما كان الله لينظلمهم) بتعذيبهم على غير ذنب راهلا كهم بغير جرم (وايكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والتكذيب للرسول (ثم كان عاقبة الذين أساؤا) أى عملوا السيئات من الشرك والمعاصي (السواى) هى فعلى من سوء تأييد الاسوا وهو الاقبح أى كان عاقبتهم العقوبة التى هى أسوأ العقوبات وقيل هى اسم لجهنم كما ان الحسنى اسم للجنة أو مصدر كاليسرى والذكرى ووصفت به العقوبة مسالعة وقرى عاقبة بالرفع على انها اسم وكان واخبار السواى أى الفعله او الخصلة او العقوبة السواى ومن القائلين بان السواى جهنم القراء والزجاج وابن قتيبة واكثر المنسرين وسميت سواى لانها تسوء صاحبها (أن كذبوا) أى لان كذبوا (بآيات الله) التى أنزلها على رسوله أو بان كذبوا قال الزجاج المعنى ثم كان عاقبة الذين أشركوا تكذيبهم بآيات الله واستهزاؤهم بها (وكانوا يستهزؤن) عطف على كذبوا داخل معه فى حكم العلية او فى حكم الاسمية اسكان واخبار بقيلها (اللهيب أخلق ثم يعيده) أى يخلفهم ولا ثم يعيدهم بعد الموت أحياء كما كانوا (ثم اليه ترجعون) أى الى موقف الحساب فيجازى المحسن باحسانه والمسي باسائه وافرد الضمير فى يعيده باعتبار لفظ الخلق وجمعه فى ترجعون باعتبار معناه وقرى يرجعون بالتحية والقوية على الخطاب والاتفات المؤذن بالمبالغة (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قرى يبلس على البناء

فى العالم مما لم يسبقهم أحد من الخلائق الى فعله من آيات النذ كور دون الاناث وله - ذا قال تعالى (أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته لوط لكان كوز من المخرجين قال انى اعلمكم من القالين رب نجى برأهلى مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا يعجزوا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطراً فاستمطروا المنذرين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) لما نهاهم نبى الله عن ارتكاب الفواحش وغشيانهم الذكور وأرشدهم الى آيات نسايتهم اللاتى خلقهن الله لهم ما كان جوابهم له الا ان قالوا لئن لم تنته لوط أى عاجبتنا به لتكونن من المخرجين أى تنفيك من بين أظهرنا كما قال تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم أناس يتظهرون فلما رأى انهم لا يرتدعون عنهم فيه وانهم مستمرون على

ضلالتهم تبرأ منهم وقال انى اعلمكم من القالين أى المبعضين لأحبه ولا أرضى به وانى برى منكم ثم دعا الله عليهم فقال رب نجى وأهلى مما يعملون قال الله تعالى فنجيناه وأهله أجمعين أى كلهم الا يعجزوا فى الغابرين وهى امرأته وكانت عجوز سوء بقت فهلكت مع من بقى من قومها وذلك كما أخبر الله تعالى عنهم فى سورة الاعراف وهو ذكرا فى المخرجين أمره الله ان يسرى بأهله الامراء ته وانهم لا يلتفتوا اذا دعوا للصيحة حين تنزل على قومه فصبروا والامر لله واستمر واو أنزل الله على أولئك العذاب الذى عم جميعهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك الآية ولهذا قال تعالى ثم دمرنا الآخرين

وأمرنا عليهم مطرا الى قوله وان ربك له العزيز الرحيم ( كذب أصحاب الائمة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين ) هو لا يعنى أصحاب الائمة هم أهل مدين على الصحيح وكان نبى الله شعيب من أنفسهم وانما لم يقل ههنا أخوهم شعيب لانهم نسبوا الى عبادة الائمة وهى شجرة وقيل شجر ملتف كالغصنة كانوا يعبدونها فلهذا الما قال كذب أصحاب الائمة المرسلين لم يقل اذ قال لهم أخوهم شعيب وانما قال اذ قال لهم شعيب فقطع نسب الاخوة بينهم للمعنى الذى نسبوا اليه وان ( ١٨٣ ) كان أخاهم نسبوا من الناس من لم يقطن له هذه

الذمكة فظن ان أصحاب الائمة غير أهل مدين فزعم ان شعيبا عليه السلام بعثه الله الى أمتين ومنهم من قال ثلاث أمة وقد روى اسحق بن بشر الكاهلى وهو ضعف حدثى ابن السدى عن أبيه وزكريا بن عمرو عن خصيف عن عكرمة قال لا ما بعث الله نبيا مرتين الا شعيبا مرة الى مدين فاخذهم الله بالصحة ومرة الى أصحاب الائمة فاخذهم الله تعالى بعذاب يوم الظلة وروى أبو القاسم البغوى عن هدية عن همام عن قتادة فى قوله تعالى وأصحاب الرس قوم شعيب وقوله وأصحاب الائمة قوم شعيب وقاله اسحق بن بشر وقال غير جوير أصحاب الائمة ومدين هما واحد والله أعلم وقد روى الحافظ بن عساكر فى ترجمة شعيب بن طريق محمد بن عثمان بن أبى شيبه عن أبيه عن معاوية بن هشام عن هشام بن سعيد عن سعيد بن أبى هلال عن ربيعة بن يوسف عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوم مدين وأصحاب الائمة أمتان بعث الله اليهما شعيبا النبى

للفاعل يقال أبلس الرجل اذا سكت وانقطعت حجته فهو قاصر لا يتعدى قال الثراء والزجاج الملبس الساكت المنقطع فى حجته الذى أيس ان يتعدى اليها وقرئ مبنيا للمفعول وفيه بعد لان أبلس لا يتعدى وقال الكلبي أى يئس المشركون من كل خير حين عابوا العذاب وقد ساءت نفس الابلس عند قوله فاذا هم ملبسون وقال ابن عباس يلبس يتبس وعنه يكتب وعنه الابلس الفضيحة ( ولم يكن لهم ) أى لا يكون للمشركين يوم تقوم الساعة ( من شركائهم ) الذين عبدوهم من دون الله وأشركوهم وهم الاصنام ليسفحوا لهم ( شفعا ) يجيرونهم من عذاب الله ( وكانوا ) فى ذلك الوقت ( بشركائهم ) أى بألهتهم الذين جعلوهم شركاء لله ( كافرين ) أى جاحدين اى كونهم آلهة لانهم علموا اذ ذالك انهم لا ينفعون ولا يضررون وقيل ان معنى الآية كانوا كافرين فى الدنيا بسبب عبادتهم والاول أولى ( ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ) أى يتفرق جميع انطلق المدلول عليهم بقوله الله يبدأ الخلق والمراد بالترق ان كل طائفة تنفرد فالقومون بصيرون الى الجنة والكافرون الى النار وليس المراد تفرق كل فرد منهم عن الآخر ومثله قوله فربق فى الجنة وفربق فى السعير وذلك بعد تمام الحساب فلا يجتمعون أبدا ثم بين الله سبحانه كيفية تفرقهم فقال ( فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) قال النحاس سمعت الزجاج يقول معنى أمادع ما كفايه وخذ فى غيره وكذا قال سيبويه ان معناها ما يمكن من شئ نخذ فى غير ما كفايه ( فهم فى روضة ) الروضة كل ارض ذات نبات وماء ووروق ونضارة وقيل البستان الذى هو فى غاية النضارة قال المفسرون والمراد بها الجنة والتسكير لاجم امرها وتفخيم شأنها قال ابو عبيد الروضة ما كان فى سفلى فاذا كان مرتفعا فهو ترعة وقال غيره احسن ما تكون الروضة اذا كانت فى مكان مرتفع ( يجبرون ) الجبور والخبرة السرور أى فهم فى رياض الجنة نعمون وقال ابن عباس يجبرون يكرمون وقال النحاس حكى الكسائى خبره اى أكرمه ونعمته وقيل يحملون والاولى تنسب يجبرون بالسرور كما هو المعنى العربى ونفس دخول الجنة يستلزم الاكرام والتعظيم وفى السرور زيادة على ذلك وقيل التجبير التكسير فعنى يجبرون يحسن اليهم وقيل هو السماع الذى يسمعون فى الجنة وقيل غير ذلك والوجه ما ذكرناه واخرج الديلمى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيامة قال الله اين الذين كانوا ينزهون اسماعهم

عليه السلام وهذا غريب وفى رفعه نظر والاشبه ان يكون موقفا والصحيح انهم أمة واحدة وصنفوا فى كل مقام بشئ ولهذا وعظ هؤلاء امرهم بوفاء المكيال والميزان كما فى قصة مدين سواء بسواء فدل ذلك على انهم أمة واحدة ( أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسر من وزوا بالقسطاس المستقيم ولا تجسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين وانقوا الذى خلقكم والجلجلة الاولين ) يأمرهم عليه السلام بايقاف المكيال والميزان وينهاهم عن التطنيف فيه ما فقال أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسر من أى اذا دفعتم للناس فكموا الكيل لهم ولا تجسوا الكيل فتعطوهم ناقصا وتأخذوهم اذا كان لكم تاما وافيوا ولكن خذوا كما تعطون

وأعطوا كما أخذون وزنوا بالتسطاس المستقيم والتسطاس هو الميزان وقيل هو القبان قال بعضهم هو من عرب من الرومية قال مجاهد التسطاس المستقيم هو العدل بالرومية وقال قتادة التسطاس العدل وقوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم أي لا تنقصوهم أموالهم ولا تعزوا في الأرض منسدين يعني قطع الطريق كما قال في الآية الأخرى ولا تعبدوا بكل صراط توعدون وقوله واتقوا الذي خلقكم والجليلة الأوابين يخوفهم بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم الأوابين كما قال موسى عليه السلام ربكم ورب آباءكم الأوابين قال ابن عباس (١٨٤) ومجاهد والسدى وسنيان بن عيينة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم

وإبصارهم عن من أمير الشيطان يزوهم فيميزون في كتب المسك والعنبر ثم يقول للملائكة أهو وهم من تسبيحي وتحميدي وتمليبي قال فيسبحون بأصوات لم يسمع السامعون بعلمها قط وعن مجاهد قال ينادى مناد يوم القيامة فذكري نحوه وعن ابن عباس قال السبيوطي بسند صحيح في الجنة شجر على ساق قدر ما يسير الراكب الجحد في ظلها مائة عام فيخرج أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيجدون في ظلها فيشتمون بعضهم ويذكرونها فيرسل الله ريحاً من الجنة فتهرك تلك الشجرة بكل أهو كان في الدنيا وعن أبي هريرة فروا نحوه أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر (وأما الذين كفروا) بالله (وكذبوا بآياتنا) أي القرآن (ولقاء الآخرة) أي البعث والجنة والنار (فأولئك) المتصفون بهذه الصفات (في العذاب محضرون) أي مقيمون فيه لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بمخارجين منها وقيل مجموعون وقيل نازلون وقيل معذبون والمعاني متقاربة والمراد دوام عذابهم ثم لما بين عاقبة طائفة المؤمنين وطائفة الكافرين أرشد المؤمنين إلى ما فيه الأجر الوافر والخير العام فقال (فسبحان الله) الفاء الترتيب ما بعدها على ما قبلها أي فإذا علمت ذلك فسبحوا الله أي زهوهم عما يليق به وصنوه بصفات الكمال وهذا أولى وقيل صلوا كما سيأتي (حين تمسون وحين تصبحون) أي في وقت الصباح والمساء وفي العشي وفي وقت الظهر وعلى أن المراد بالتسبيح هنا الصلوات الخمس فقوله حين تمسون صلاة المغرب والعشاء وقوله حين تصبحون صلاة الفجر (وله الجحد في السموات والأرض) معترضة مسوقة للإرشاد إلى الجحد والأيدان بمشروعية الجمع بينهما وبين التسبيح كما في قوله سبحانه فسبح بحمده ربك وقوله ونحن نسبح بحمدك وقيل معنى وله الجحد الاختصاص له بالصلاة التي يقرأ فيها الحمد والأول أولى (وعشيا) عطف على حين وفيه صلاة العصر والعشي من صلاة المغرب إلى العتمة قاله الجوهري وقال قوم هو من زوال الشمس إلى طلوع الفجر أي الجحد له يكون في السموات والأرض (وحين تطهرون) أي صلوا صلاة الظهر كما قال الضحاك وسعيد ابن جبير وغيرهم ما قال الواحدى قال المفسرون إن معنى فسبحان الله فصلوات الله قال النحاس أهل التفسير على أن هذه الآية في الصلوات الخمس قال وسعد بن محمد بن زيد يقول حقيقة عندى فسبحوا لله في الصلوات لأن التسبيح يكون في الصلاة وقال ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعنه قال جمع هذه الآية مواقيت الصلاة

والجليلة الأوابين يقول خلق الأوابين وقرأ ابن زيد ولقد أضل منكم جبلا كثيرا (قالوا انما أنت من المسحورين وما أنت إلا بشر مثلنا وان تظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون فكدنوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم يخبر تعالى عن جواب قوله له بمثل ما جاءت به غود لرسوله تشابهت قلوبهم حيث قالوا انما أنت من المسحورين يعني من المسحورين كما تقدم وما أنت إلا بشر مثلنا وان تظنك لمن الكاذبين أي متعمدا الكذب فيما تقوله لأن الله أرسلك إلى السماء فأسقط علينا كسفا من السماء قال الضحاك جاتبا من السماء وقال قتادة قطعاً من السماء وقال السدى عذابا من السماء وهذا شبيه بما قالت قریش فيما أخبر الله عنهم في قوله تعالى وقالوا لنؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا إلى أن قالوا أو تستنطق السماء كما زعمت علينا كسفا وتأتى بالله والملائكة قبيلا وقوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من فسبحان

عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية وهكذا قال هؤلاء الكفار الجحولة فأسقط علينا كسفا من السماء الآية قال ربى أعلم بما تعملون يقول الله أعلم بكم فان كنتم تستحقون ذلك جزاءكم به وهو غير نظام لكم وهكذا وقع بهم جزاء كما سألو اجزاء وفاقا ولهذا قال تعالى فكدنوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وهذا من جنس ما سألوه من اسقاط الكسف عليهم فان الله سبحانه وتعالى جعل عقوبتهم أن أصابهم حر عظيم مدة سبعة أيام لا يكثر منه شيء ثم أقبلت إليهم سبحانه أطلمت فجعلوا ينطلقون

اليها يستطلون بظلمها من الحرف لاجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شررا من نار ولهبا ووجعا عظيما ورجفت بهم الارض وجاءتهم صيحة عظيمة ازهقت أرواحهم ولهذا قال تعالى انه كان عذاب يوم عظيم وقد ذكر الله تعالى صفة اهلاكهم في ثلاثة مواطن كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق في الاعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثين وذلك لانهم قالوا الخرجند يا شعيب والذين آمنوا هات من قريتنا ولتعودن في ما نسنا فأرجنوا بنبي الله ومن اتبعه فأخذتهم الرجفة وفي سورة هود قال فأخذتهم الصيحة وذلك لانهم استهزؤا بنبي الله في قولهم

(١٨٥)

أولئك انتم انفسكم في اموالنا ما نشاء  
 انك لانت الحليم الرشيد قالوا ذلك  
 على سبيل التهكم والازدراء فناسب  
 ان يأتيهم صيحة نسكتهم فقال  
 فأخذتهم الصيحة الآية وههنا قالوا  
 فأسقط علينا كسفا من السماء  
 الآية على وجه التعنت والعناد  
 فناسب ان يحرق عليهم ما استبعدوا  
 وقوعه فأخذهم عذاب يوم الظلة  
 انه كان عذاب يوم عظيم قال  
 قتادة قال عبد الله بن عمر رضي الله  
 عنه ان الله سلط عليهم الحر سبعة  
 أيام حتى ما يظلمهم منه شيء ثم ان  
 الله تعالى أنشأ لهم صحابة فانطلق  
 اليها أحدهم فاستظل بها فاصاب  
 تحتها بردا وراحة فأعلم بذلك قومه  
 فأتوها جميعا فاستظلوا تحتها فاجت  
 عليهم نار او هكذا روى عن عكرمة  
 وسعيد بن جبير والحسن وقتادة  
 وغيرهم وقال عبد الرحمن بن زيد  
 ابن أسلم بعث الله اليهم الظلة حتى اذا  
 اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة  
 وأحى عليهم الشمس فاحترقوا كما  
 يحترق الجراد في المقلبي وقال محمد  
 ابن كعب القرظي ان أهل مدين  
 عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب

فسبحان الله حين تمسون والمغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين  
 تظهرون الظهر وقد وردت أحاديث صحاح في فضل التسبيح وثواب المسبح وأخرج أحمد  
 وابن السني والطبراني وغيرهم عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
 قال ألا أخبركم لم سمى الله ابراهيم خليله الذي وفي لانه كان يقول كلما أصبح وأمسى سبحان  
 الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد الآية وفي اسناده ابن لهيعة وأخرج أبو داود  
 والطبراني وابن السني وغيرهم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من  
 قال حين يصبح سبحان الله الى قوله وكذلك يخرجون أدرك ما فاتته في يومه ومن قالها حين  
 يمسي أدرك ما فاتته في ليلته واسناده ضعيف (يخرج الحى من الميت) كالانسان  
 من النطنة والطير من البيضة والمؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحى) كالنطفة  
 والبيضة من الانسان والطير والكافر من المؤمن وقد سبق بيان هذا في سورة آل عمران  
 قيل ووجه تعلق هذه الآية بالنبي قبلها ان الانسان عند الصباح يخرج من شبه الموت وهو  
 النوم الى شبه الوجود وهو اليقظة وعند العشاء يخرج من اليقظة الى النوم (ويحيى  
 الارض) بالنبات (بعدموتها) باليابس وهو شبهه باخراج الحى من الميت (وكذلك)  
 الاخراج (يخرجون) من قبوركم قرئ على البناء للمفعول وانفاعل فأسند الخروج  
 اليهم كقوله يخرجون من الاجداث والمعنى ان الابداء والاعادة يتساويان في قدرة من هو  
 قادر على اخراج الميت من الحى وعكسه (ومن آياته) الباهرة الدالة على البعث وذكر  
 لفظ من آياته ست مرات تنتهى عند قوله اذا أنتم تخرجون ذكر فيه ابداء خلق الانسان آية  
 آية الى حين بعثه من القبور وختم هذه الآية بقيام السموات والارض لكونه من  
 العوارض اللازمة لان كلا من السماء والارض لا يخرج عن مكانه فيستجيب من وقوف  
 الارض وعدم نزولها ومن علو السماء وثباتها بغير عمد ثم أتبع ذلك بالنشأة الآخرة وهى  
 الخروج من الارض وذكر من الانفس أمرين خلقكم وخلق لكم من أنفسكم وذكر  
 من الآفاق السماء والارض وذكر من لوازم الانسان اختلاف الالسنة واختلاف اللون  
 وذكر من عوارضه المنام والانتعاش ومن عوارض الآفاق البرق والمطر ومن لوازمهما  
 قيام السماء وقيام الارض كذا في التهرج له ما يتعلق بالتنوع الانساني ستة أشياء انسان  
 أصول وانسان لوازم وانسان عوارض وستة متعلقة بالآفاق اثنا عشر وأصول وانسان لوازم

(٢٤ - فتح البيان سابق) أخذتهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها لما خرجوا منها أصابهم فزع شديد ففرقوا أن يدخلوا  
 الى البيوت فاستطقت عليهم فارس الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال ما رأيت كاليوم ظلالا أطيب ولا أبر من هذا هلوا أيها  
 الناس فدخلوا جميعا تحت الظلة فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا جميعا ثم تلا محمد بن كعب فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب  
 يوم عظيم وقال محمد بن جرير حدثني الحرث حدثني الحسن حدثني سعيد بن زيد أن خوجا بن زيد حدثنا حاتم بن أبى صبرة حدثني  
 يزيد الباهلي سألت ابن عباس عن هذه الآية فأخذهم عذاب يوم الظلة الآية قال بعث الله عليهم رجدة وحر شديد فأخذ بأفئدتهم

نفرحو من السيوت هربا الى البرية فبعث الله عليهم صحابة فأظلمت من الشمس فوجدوا الها بردا واذة فنادى بعضهم لبعض احي اذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم نارا قال ابن عباس فذلك عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم أي العزيز في العقاب من الكافرين الرحيم بعباده المؤمنين (وانه لتنزىل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المذيرين بلسان عربي مبين) يقول تعالى محبرا عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وانه أي القرآن الذي (١٨٦) تقدم ذكره في أول السورة في قوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث

والآية لتنزىل رب العالمين أي انزله الله عليك وأوحاه اليك نزل به الروح الامين وهو جبريل عليه السلام قاله غيره احد من السلف ابن عباس ومحمد بن كعب وقتادة وعطية العوفى والسدى والخالد والزهرى وابن جريج وهذا مما لا نزاع فيه قال الزهرى وهذه كقوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وقال مجاهد من كلفه الروح الامين لانا كلفه الارض على قلبك لتكون من المذيرين اي نزل به ملك كريم ذو مكانة عند الله مطاع في الملا الاعلى على قلبك يا محمد سالما من الدنس والزيادة والنقص من المذيرين اي لتسذره بأس الله وتقمته على من خالفه وكذبه وتبشره المؤمنين المتبعين له وقوله تعالى بلسان عربي مبين أي هذا القرآن الذي أنزلناه اليك أنزلناه باللسان العربي الفصحى الكامل الشامل ليكون بينا واختظاها قاطعا للعدو مقبلا للجنة دليل الى المحجة قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا عبد الله بن ابي بكر العمري حدثنا عبد بن عبد المهلب عن

واثنان عوارض (أن خلقكم) أي خلق أبائكم آدم (من تراب) وخلقكم في ضمن خلقه لان القرع مسدود من الاصل وما خوذ منه وقد مضى تفسير هذا في الانعام (ثم اذا أنتم بشر) الترتيب والمهمله هنا ظاهرا فانهم انما يصرون بشر بعد أطوار كثيرة واذ هي العجائية وان كانت أكثر ماتقع بعد النداء ليكنها وقعت هنا بعد تمبالنسبة الى ما ياتي بهذه الحالة الخاصة وهى أطوار الانسان كما حكاه الله في مواضع من كونه نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظمها مكسوة الخافجا البشرية والانتشار (تنتشرون) أي تنصرفون فيما هو قوام معايشكم وتبسطون في الارض (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم) أي من جنسكم في البشرية والانسانية (أزواجا) وقيل المراد حواء فانه خلقها من ضلع آدم والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال ونظف النساء (اتسكنوا) أي تألفوا وتميلوا (اليها) أي الى الأزواج فان الجنسيتين المختلفتين لا يمكن أحدهما الى الآخر ولا يعيل قلبه اليه (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي وداودا وترجا بسبب عصمة النكاح يعطف به بعضكم على بعض من غير أن يكون بينكم من قبل ذلك معرفة فضلا عن مودة ورحمة وقال مجاهد المودة الجماع والرحمة الولدويه قال الحسن وابن عباس وقال السدى المودة المحبة والرحمة الشفقة وقيل المودة حب الرجل امرأته والرحمة رحمة اباها من أن يصيبها بسوء وقيل المودة للشابة والرحمة للعجوز وقيل المودة والرحمة من الله والفرد من الشيطان أي بغض المرأة زوجها وبغض الزوج المرأة (ان في ذلك) المذكور سابقا (لايات) عظيمة الشأن بدعوة البيان واضحة البرهان على قدرته سبحانه على البعث والنشور (القوم يتفكرون) ان قوام الدنيا بوجود التسلسل لانهم الذين يقتدرون على الاستدلال ليكون التفكر مادة له يتحصل عنه أولان الفكر يؤدي الى الوقوف على المعاني المطلوبة من التأني والتجانس بين الاشياء كالزوجين وأما الغافلون عن التفكر ففاهم الا كالانعام (ومن آياته) الدالة على أمر البعث وما يتلو من الجزاء (خلق السموات والارض) فان من خلق هذه الاجرام العظيمة بلا مادة مساعدة لها وجعلها باقية مادامت هذه الدار وخلق فيها من عجائب الصنع وغرائب التكوين ما هو عجرة للمعتبرين قادر على ان يخلقكم بعد موتكم وينشركم من قبوركم وقد دم السماء على الارض لان السماء كالدكر فنزل المطر من السماء على الارض كزول المنى من الذكر في المرأة لان

الآية لتنزىل رب العالمين أي انزله الله عليك وأوحاه اليك نزل به الروح الامين وهو جبريل عليه السلام قاله غيره احد من السلف ابن عباس ومحمد بن كعب وقتادة وعطية العوفى والسدى والخالد والزهرى وابن جريج وهذا مما لا نزاع فيه قال الزهرى وهذه كقوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وقال مجاهد من كلفه الروح الامين لانا كلفه الارض على قلبك لتكون من المذيرين اي نزل به ملك كريم ذو مكانة عند الله مطاع في الملا الاعلى على قلبك يا محمد سالما من الدنس والزيادة والنقص من المذيرين اي لتسذره بأس الله وتقمته على من خالفه وكذبه وتبشره المؤمنين المتبعين له وقوله تعالى بلسان عربي مبين أي هذا القرآن الذي أنزلناه اليك أنزلناه باللسان العربي الفصحى الكامل الشامل ليكون بينا واختظاها قاطعا للعدو مقبلا للجنة دليل الى المحجة قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا عبد الله بن ابي بكر العمري حدثنا عبد بن عبد المهلب عن موسى بن محمد عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال بيته رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في يوم دجن

الارض اذ قال لهم كيف ترون بواسطتها قالوا ما أحسنها وأشد تراكها قال فكيف ترون قوا عدها قالوا ما أحسنها وأشد تمكثها قال فكيف ترون جربها قالوا ما أحسنه وأشد سواده قال فكيف ترون رجاها استدارت قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال فكيف ترون برقعها أم مبض أم خفق أم يشق قالوا بل يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال الحياء الحياء ان شاء الله قال فقال رجل يا رسول الله أبى وأمى ما أفصحت ما رأيت الذي هو أعرب منك قال فقال حق لي وانما انزل القرآن بلساني والله يقول بلسان عربي مبين وقال سفيان الثوري لم ينزل



وحى الالاه العربية ثم ترجم كل نبي لقومه واللسان يوم القيامة بالسريانية فن دخل الجنة تكلم العربية بقره ابن ابي حاتم (وانه لفي زبر  
 الاولين ولم يكن لهم آية ان يعلمه علموا بنى اسرائيل ولوزنائه على بعض الاجميين فقرأ عليهم ما كانوا يؤمنون) يقول تعالى  
 وان ذكر هذا القرآن والتسوية له لموجود في كتب الاولين المأثورة عن انبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه كما اخذ الله عليهم  
 الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خطيبا في ملته بالبشارة بأحدوا وقال عيسى بن مريم يابى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصداق لما بين  
 يدى من التوراة ومبشر برسول ياتى من بعدى اسمه أحد والزرهه اعشى (١٨٧) الكتب وهى جمع زبور وكذلك الزبور

وهو كتاب داود قال الله تعالى وكل  
 شئ فعلناه فى الزبور أى مكتوب عليهم  
 فى صحف الملائكة ثم قال تعالى  
 أولم يكن لهم آية أن يعلمه علموا بنى  
 اسرائيل أى أوليس يكنهم من  
 الشاهد الصادق على ذلك ان العلماء  
 من بنى اسرائيل يجدون ذكر هذا  
 القرآن فى كتبهم التى يدرسونها  
 والمراد العدول منهم الذين يعترفون  
 بما فى أيديهم من عفة محمد صلى الله  
 عليه وسلم ومبعثه وأمه كما أخبر  
 بذلك من آمن منهم كعبد الله بن  
 سلام ولحمان الفارسي عن أدركه  
 منهم ومن شاكاهم قال الله تعالى  
 الذين يتبعون الرسول النبى الامى  
 الآية ثم قال تعالى محجرا عن شدة  
 كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن  
 انه نزل على رجل من الاعاجم عن  
 لا يدري من العربية كلمة وأترن عليه  
 هذا الكتاب بيانه وفصاحته  
 لا يؤمنون به ولهذا قال ولوزنائه على  
 بعض الاجميين فقرأ عليهم ما كانوا  
 يؤمنون كما أخبر عنهم فى الآية  
 الاخرى ولو فتحنا عليهم بابا من  
 السماء فظلوا فيه يعرجون لئلا  
 انما سكرت ابصارنا الآية وقال

الارض تبت وتخضر بالمطر (واختلاف ألسنتكم) أى لغاتكم من عرب وعجم وترك  
 وروم وغير ذلك بان علم كل صنف نغته أو ألهمه وضعه أو أقدره عليها أو اجناس النطق  
 وأشكاله فانك لا تكاد تسمع متكلمين متساوين فى الكيفية من كل وجه (وألوانكم)  
 من البياض والسواد والحمر والصفرة والاشقرة والزرقة والخضرة مع كونكم أو لادرجل  
 واحد وأم واحدة ويجمعكم نوع واحد وهو الانسانية وفصل واحد وهو الناطقية حتى  
 صرتم متميزين فى ذات فينكم لا يلبس هذا بهذا بل فى كل فرد من افرادكم ما يميزه عن غيره  
 من الافراد حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما فى  
 التخليق يختلفان فى شئ من ذلك لا محالة وان كانا فى غاية التشابه فى هذا من يدع القدرة  
 ما لا يعقله الالعالمون ولا يفهمه الا المتفكرون ولو اتفقت الاصوات والصور وتساكت  
 وكانت ضربا واحد الوقع التجاهل والالتباس وتعتلت مصالح كثيرة ولم يعرف العذون  
 الصديق ولا القريب من البعيد فبحان من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد وانما  
 نظم هذا فى سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات  
 الانفسية الحقيقية بالاتظام فى سلك ما سبق من خلق أنفسهم وأزواجهم للايدان  
 باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تمام خلقهم (ان فى ذلك لايات) للدلالات على  
 قدرته تعالى (للعالمين) لعموم العلم فيهم قرئ بكسر اللام وبفتحها وهما سبعيتان  
 وقال الفراء للكسرة وجه جيد لانه قد قال لايات لقوم يعقلون لايات لاولى الالباب  
 وما يعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله) قيل فى  
 الكلام تقديم وتأخير والتقدير ومن آياته منامكم بالليل وابتغواكم من فضل النهار وقيل  
 المعنى صحىح من دون تقديم وتأخير أى ومن آياته العظيمة انكم تسامون بالليل وتسامون  
 بالنهار فى بعض الاحوال للاستراحة كوقت القبولة والنوم بالنهار مما كانت العرب تعده  
 نعمة من الله ولا سيما فى البلاد الحارة وابتغواكم من فضله فيما فان كل واحد منهم ما يقع  
 فيه ذلك وان كان ابتغاء النفل فى النهارا كثر والاول هو المناسب لسائر الآيات الواردة  
 فى هذا المعنى والاخر هو المناسب للنظم القرآنى ههنا ووجد ذكر النوم والابتغاء لهما  
 وجعلهما من جملة الأدلة على البعث ان النوم شبيه بالموت والتصرف فى الحاجات  
 والسعى فى المكاسب شبيه بالحيات بعد الموت (ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون) الآيات

تعالى ولو اننا انزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى الآية وقال تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية (كذلك سلكناه فى  
 قلوب الجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيؤمنون بعبثهم وهم لا يشعرون فيقولوا لاهل ائمتهم منظرون أفبعذنا يا سيهجنون  
 أفرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون ما أعنى عنهم ما كانوا يتبعون وما أهلكنا من قرية الا الهامنا نذرون ذكرى  
 وما كنا ظالمين) يقول تعالى كذلك سلكا التكذيب والكفر والجحود والعناد أى أهلكنا فى قلوب الجرمين لا يؤمنون به أى بالحق حتى  
 يروا العذاب الاليم أى حيث لا يرفع الظالمين معذرتهم ولهم الامنة ولهم سوء الدار فبايتهم بعبثهم أى عذاب الله بعبثهم وهم لا يشعرون

فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ أَي يَتَمَنُونَ حِينَ يَشَاهِدُونَ الْعَذَابَ أَنْ لَوْ أَنَّنَا إِذْ لَمَّا كُنَّا فِي زُرْعَتِهِمْ بَطَاعَةَ اللَّهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْذَرْنَا النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ إِلَى قَوْلِهِ مَا لَكُمْ مِنْ زوال فَكُلَّ ظالمٍ وَفاجرٍ وَكَافِرٍ إِذَا شَاهَدَ عَقوبَتَهُ نَدِمَ نَدْمًا شَدِيدًا هَذَا فَرَعُونَ لِمَا دَعَا عَلَيْهِمُ الْكَلِيمُ بِقَوْلِهِ رَبَّنَا إِنَّكَ آتِيَةٌ فَرَعُونَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَى قَوْلِهِ قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَةُ كَيْفَ أَثَرَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ فِي فَرَعُونَ فَآمَنَ حَتَّى رَأَى الْعَذَابَ الْآلِيمَ حَتَّى إِذَا دُرِكَ الْعُرْقُ قَالَ آمنتَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ وَنَاسِئِيلُ إِلَى قَوْلِهِ وَكَنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَقَالَ تَعَالَى فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا (١٨٨) بِاللَّهِ وَحَدِيثَهُ الْآيَاتِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ انكِرَارًا عَلَيْهِمْ وَتَهْدِيدًا لَهُمْ

والمواعظ سمع متفكر متدبر باذان واعية فيستدلون بذلك على البعث (ومن آياته  
 ير يكلم البرق) المعنى ان ير يكلم ومنه المثل المشهور تسمع بالمعدي خير من أن تراه وقيل  
 وير يكلم البرق من آياته وقيل من آياته آية ير يكلم بها وفيها البرق وقيل التقدير ومن آياته  
 سبحانه ير يكلم البرق (خوفاً وطمئناً) من آياته قال قتادة خوفاً للمساقر وطمئناً للمقيم وقال  
 الضحاك خوفاً من الصواعق وطمئناً في الغيث وقال يحيى بن سلام خوفاً أن يكون البرق  
 برقاً خلباً لا يطرر وطمئناً أن يكون مطراً (وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها)  
 بالعباس بأن تنبت (ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) فان من ان نصيب من العقل بعلم ان  
 ذلك آية يستدل بها على القدرة الباهرة كيف والعقل ملاك الامر وهو المؤدى الى العلم  
 فيما ذكر وغيره وانما قال هنا يعقلون وفيما تقدم يتفكرون لانه لما كان حدوث الولد  
 من الوالد امر اعاد امطر دقيل الاختلاف كان يتطرق الى الاوهام القاصرة ان ذلك  
 بالطبيعة لان المطر أقرب الى الطبيعة من المختلف والبرق والمطر ليس امر امطر داغ غير  
 مختلف بل يختلف اذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة يكون قويا وتارة يكون  
 ضعيفا فافه وأظهر في العقل دلالة على التفاعل المختار فقال هو آية ان له عقل وان لم يتفكر  
 تفكر انما قاله الكرخي (ومن آياته ان تقوم السماء والأرض) هذا شروع في بيان  
 بقائم ما وثباته ما بعد بيان ايجادهما في قوله ومن آياته خلق السموات والأرض وأظهر كلمة  
 أن هذا التي هي علم الاستقبال لان القيام هنا بمعنى البناء لا الايجاد وهو مستقبل باعتبار  
 أو اخر وما بعد نزول هذه الآيات (بأمره) أي قيامهما واستمساكهما بارادته سبحانه  
 وقدرة بلاعد بعددهما ولا مستقر يستقران عليه قال الفراء يقول ان تدوما قائمتين  
 بأمر وانما ذكر قوله ان في ذلك لايات في أربع مواضع ولم يذكره في الاول وهو قوله  
 ومن آياته أن خلقكم من تراب ولا في الاخرة وهي هذا لان في الاول خلق الانفس وخلق  
 الأزواج بن باب واحد وهو الايجاد كما كتفي في ما يذكره مرة واحدة وأمما قيام السموات  
 والأرض الذي هو الاخير فلان في الآيات السماوية ذكر أنها آيات للعالمين وتقوم بسمعون  
 ولقوم يعقلون لظهورها فلما كان في أول الامر ظاهرا في آخر الامر بعد سرد الدلائل  
 يكون اظهر فلم يبرأ حداعن أحدود كرها هو مدلوله وهو قدرته على الاعادة قاله الرازي

فانهم كانوا يقولون للرسول تكديبا  
 واستبعادا انتناب عذاب الله كما قال  
 تعالى ويستعجلونك بالعذاب الآيات  
 ثم قال أفرايت ان متعناهم سنين ثم  
 جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى  
 عنهم ما كانوا يتبعون أي لو اخرناهم  
 وأنظرناهم وألمينا لهم برهة من  
 الدهر ورحمنا من الزمان وان طال  
 ثم جاءهم أمر الله أي شئ يبغدي  
 عنهم ما كانوا فيه من النعيم كأنهم  
 يوم يرونهم يلبثوا الا عيشة أو نوحاها  
 وقال تعالى يودأ حددهم لو يعمر ألف  
 سنة وما هو بزحزح من العذاب  
 أن يعمر وقال تعالى وما يغنى عنه  
 ماله اذا تردى ولهذا قال تعالى  
 ما اغنى عنهم ما كانوا يتبعون وفي  
 الحديث الصحيح يؤتى بالكافر  
 فيغمس في النار غمسة ثم يقال له  
 هل رأيت خيرا قط هل رأيت نعيما  
 قط فيقول لا والله يارب ويؤتى بأشد  
 الناس بؤسا كان في الدنيا فيصغى في  
 الجنة صبغة ثم يقال له هل رأيت  
 بؤسا قط فيقول لا والله يارب أي  
 ما كان شيا كان ولهذا كان عمر بن  
 الخطاب رضي الله عنه يتمثل بهذا  
 البيت

كانك لم تؤثر من الدهر ليه إذا أنت أدركت الذي أنت تطلب ثم قال تعالى مخبر عن عدله في خلقه انه ما اعطاك أمة من الامم (ثم)  
 الابعد الاعذار اليهم والانسار لهم وبعثة لرسول اليهم وقيام الحج عليهم ولهذا قال تعالى وما أهل كل من قرية الا الهام منذرون ذكري  
 وما كاتطابين كما قال تعالى وما كاتم عذابين حتى تبعث رسولا وقال تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم  
 آياتنا الى قوله وأعلمها الظالمون (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستبغون انهم عن السمع لم يزولون) يقول تعالى مخبر عن  
 كتابه العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد انه نزل به الروح الامين المؤمن من الله وما تنزلت به

الشياطين ثم ذكر أنه يمتنع عليهم ذلك من ثلاثة أوجه أحدها أنه ما ينبغي لهم أي ليس هزم من بغيتهم ولا من طلبتهم لان من سبحانه  
 الفساد واضلال العباد وهو ذاق فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونور وعدى وبرهان عظيم فينبه وبين الشياطين منافاة عظيمة  
 وله ذاق قال تعالى وما ينبغي لهم وقوله تعالى وما يستطيعون أي ولو اتبعني لهم لما استطاعوا ذلك قال الله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن  
 على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ثم بين أنفلواته في لهم واستطاعوا وحده وتأديته لما وصلوا الى ذلك لانهم عززل عن  
 استماع القرآن حال نزوله لان السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا في مدة (١٨٩) انزال القرآن على رسول الله فلم يخلص أحد

من الشياطين اني استماع حرف  
 واحد منه لك لا يشبهه الامر وهذا  
 من رحمة الله بعباده وحفظه  
 لشعره وتأييده لكتابه ورسوله  
 وله ذاق قال تعالى انهم عن السمع  
 لم عزولون كما قال تعالى مخبرا عن  
 الجن وانما لسنا السماء فوجدناها  
 ملئت حرسا شديدا وشهبا وانما كنا  
 نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع  
 الآن يجده سمعا بارصدا الى قوله  
 أم أرادهم ربهم رشدا فلا تدع مع  
 الله الها آخر فتكون من المعذبين  
 وأندرعشيرة الاقربين واخفض  
 جناحك لمن اتبعك من المؤمنين  
 فان عسوك فنتل اني برى مما  
 تعملون وتوكل على العزيز الرحيم  
 الذي يرالحسين تقوم وتتابك في  
 الساجدين انه هو السميع العليم  
 يقول تعالى امر اعبادته وحده  
 لا شريك له ومخبرا ان من أشرك به  
 عذبه ثم قال تعالى امر الرسول صلى  
 الله عليه وسلم ان يندرعشيرته  
 الاقربين أي الا الذين اليه وان لا  
 يخلص أحدا منهم الايمان بربه  
 عز وجل وأمره ان يابن جانبه لمن  
 اتبعه من عباد الله المؤمنين ومن  
 عصاه من خلق الله كما ان كان

(ثم) أي بعد موتكم ومصيركم في القبور (إذا دعاكم دعوة) واحدة (من الارض) التي  
 أنتم فيها كما يقال دعوته من أسفل الوادي فطلع الى وقيل أي خرجتم من الارض ولا يجوز  
 أن يتعلق بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وهذه الدعوة هي نعمة اسرافيل  
 الآخرة في الصور على ما تقدم بيانه (إذا أنتم تخرجون) أي فاجأتهم الخروج منها بسرعة  
 من غير تلبث ولا توقف كما يجب المدعو المطيع دعوة الداعي المطاع إذا الفجائية تقوم  
 مقام الفاء في جواب الشرط وقال هنا إذا أنتم وقال في خلق الانسان ثم إذا أنتم بشر  
 تنتشرون لان هذا يكون خلق وتقدير وتدرج حتى يصير التراب قابلا للحياة فتنفخ فيه  
 الروح فاذا هو بشر وأما في الاعادة فلا يكون تدرج بل يكون بدو وخروج فلم يبق هنا ثم  
 ذكره الكرخي وقد أجمع القراء على فتح التاء في تخرجون هنا وانما قرئ بضمها في  
 الاعراف (وله من في السموات والارض) من جميع المخلوقات ملكا ونصرا وخالقا  
 ليس لغيره في ذلك شيء (كل له فأتون) أي مطيعون طاعة انقياد قاله الخساس وقيل  
 مقرون بالعبودية اما بالمقال واما بالدلالة قاله عكرمة وأبو مالك والسدق وقيل مصلون  
 وقيل فأتون يوم القيامة كقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين أي للحساب قاله الربيع  
 ابن أنس وقيل بالشهادة انهم عباده قاله الحسن وقيل مطيعون لافعاله لا يتبع عليه شيء  
 يريد فعلهم من حياة وموت ومرض وصحة فهي طاعة الارادة لا طاعة العبادة وقيل  
 مخصوصون قاله سعيد بن جبير وقال ابن عباس مطيعون في الحياة والنشور والموت وهم له  
 عاصون فيما سوى ذلك من العبادة (وهو الذي يبدأ الخلق) للناس (ثم يعيدهم) بعد  
 الموت فيحييه الحياة لادامة (وهو) أي البعث أو الاعادة نظرا الى المعنى دون اللفظ  
 وهو رجعة أو رده أو تذكيره باعتبار الخبر (أهون عليه) أي هين لا يستصعبه أو أهون  
 عليه بالنسبة الى قدرتهكم وعلى ما يقوله بعضكم لبعض والافلاكي في قدرته بهضه أهون  
 من بعض بل كل الاشياء مستوية بوجودها بقوله كن فيكون قال أبو عبيدة بن جعفر أهون  
 عبارة عن تفضيل شيء على شيء فقوله مردود بقوله وكان ذلك على الله يسيرا وبقوله ولا  
 يؤده حفظهما والعرب تحمل أفعل على فاعل كثيرا كما في قول الفرزدق  
 ان الذي يملك السماء بي لنا \* يتادعائهم أعز وأطول  
 أي عزيرة طويلة وأنشدا جد بن يحيى ثعلب على ذلك

فليترأ منه ولهذا قال تعالى فان عسوك فتل اني برى مما تعملون وهذه النذارة الجامعة لا تنافي العامة بل هي فرد من أجزائها كما قال  
 تعالى لتندرقوا ما نذرا بآبائهم فهم غافلون وقال تعالى انذار أم القرى ومن حولها وقال تعالى وأندربه الذين يخافون أن يحشروا  
 الى ربهم وقال تعالى لتبشربه المتقين وتندربه قوما لا اتقون قال تعالى لا تذكركم به ومن بلغ كما قال تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار  
 موعده وفي صحيح مسلم والذي نفسي بيده لا يسعني أحد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بي الا دخل النار وقد وردت  
 أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة فلندكرها الحديث الاول قال الامام احمد رحمه الله حدثنا عبد الله بن عمر عن الاعمش

عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لما نزل الله عز وجل وأندرعشيرتك الأقربين أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصد عليه ثم نادى يا صبا حد فاجتمع الناس إليه بين رجل يجي إليه وبين رجل يعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب يا بني فهر أرايت لو أخبرتكم ان خيلا بفتح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتوني قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك سائر اليوم أ ما دعوتنا الا لهذا وانزل الله بت يد أتى لهب وقب ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الأعمش به (١٩٠) الحديث الثاني قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا هشام عن أبيه

عن عائشة قالت لما نزلت وأنذر عشيرت الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة ابنة محمد يا صفيّة ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا املك لكم من الله شيئا سألوني من مالي ما شئتم انفردي باخراجه مسلم الحديث الثالث قال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرت الاقربين دعار رسول الله صلى الله عليه وسلم قرىشا فم وخص فقال يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فاني والله لا املك لكم من الله شيئا الا ان لكم رجاسا بلهايا لئلا يها ورواه مسلم والترمذي من حديث عبد الملك بن عمير به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه ورواه النسائي من حديث موسى بن طلحة مرسل

عن رجل ان أموت وان أمت \* فتلك سبيل است فيها بأوحد  
 أي بواحد وكقولهم الله كبير أي كبير وهي رواية العوفي عن ابن عباس وقرأ ابن مسعود وشوعا عليه هين وقال جماعة وعكرمة والضحاك ان الاعادة أعون على الله من البداءة أي أسروا ان كان جميعه هينا وقيل المراد ان الاعادة فيما بين الخلق أهون من البداءة وقيل الضمير في عليه للخلق أي والعود أهون على الخلق أي امرع واقصر عليه وأيسر وأقل اتقوا من طور الى طور ولا نه يصاح بهم صحبة واحدة فيقومون ويتكلم لهم كونوا فيكونون فذلك أهون عليهم من ان يكونوا نطفة ثم عاقبة ثم مضغة الى آخر النشأة وقال ابن عباس الاعادة أهون على الخلق لانه يقول له يوم القيامة كن فيكون وابتداء الخلق من نطفة ثم من عاقبة ثم من مضغة (وله المثل الاعلى) أي الموصوف الاعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال والحلال والجمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويه وقال الخليل المثل الاصفى أي وله الوصف الاعلى قول لاله الا الله أي الوجودانية وبه قال قتادة وقال الزجاج وله المثل الاعلى (في السموات والارض) مرتبط بما قبله وهو قوله وهو أهون عليه قد ضرب به لكم مثلا فيما يصعب ويسهل وقيل مرتبط بما بعده من قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم وقيل المثل الاعلى هو أنه ليس كمثل شئ قاله ابن عباس وقيل هو أن ما أراد ان يقول كن والمعنى انه سبحانه عرف بالمثل الاعلى ووصف به في السموات والارض أي في هاتين الجهتين وقيل غير ذلك (وهو العزيز) في ملكه القادر الذي لا يغالب (الحكيم) في افعاله واقواله (ضرب لكم) أي المشركون (مثلا) قد تقدم تحقيق معنى المثل (من أنفسكم) من لابتداء الغاية أي مثلا منتمعا كما شاؤوا خذوا من أنفسكم فانها أقرب شئ منكم وأبين من غيرها عندكم فاذا ضرب لكم المثل به في بطلان الشرك كان أظهر دلالة واعظم وضوحا ثم بين المثل المذكور فقال (هل لكم مما ملكت أيمانكم) من التبعية أي من مما يليكم وفي قوله (من شركاء) زائدة لئلا يكيد والمعنى هل لكم شركاء (فيمارزقناكم) من الاموال وغيرها كما يكون من النوع الذي ملكت أيمانكم وهم العبيد والاماء والاستفهام للانكار قال ابن عباس في الآية كان يلبي أهل الشرك اميلك لا شريك لك الا شريك هولك تملكه ومالك فأنزل الله هذه الآية (فأنتم) وهم (فيه سواء) أي مستوون في التصرف فيه على عادة الشركاء

عن عائشة قالت لما نزلت وأنذر عشيرت الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة ابنة محمد يا صفيّة ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا املك لكم من الله شيئا سألوني من مالي ما شئتم انفردي باخراجه مسلم الحديث الثالث قال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرت الاقربين دعار رسول الله صلى الله عليه وسلم قرىشا فم وخص فقال يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فاني والله لا املك لكم من الله شيئا الا ان لكم رجاسا بلهايا لئلا يها ورواه مسلم والترمذي من حديث عبد الملك بن عمير به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه ورواه النسائي من حديث موسى بن طلحة مرسل

ولم يذكر فيه أباه هريرة والموصول هو الصحيح وآخر جاء في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وهذا وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة وقال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا محمد يعني ابن اسحق عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب اشترى أنفسكم من الله يا صفيّة عمه رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشترى أنفسكم من الله فاني لا أغني عنكم من الله شيئا سألني من مالي ما شئتم ما انفرد به من هذا الوجه وتفرده أيضا عن معاوية بن زائدة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ورواه أيضا عن حسن بن

لهيعة عن الاعرج عن أبي هريرة عن فوغا وقال أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا همام بن اسمعيل عن وصى بن وردان عن  
 أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يابني قضى يابني هاشم يابني عبد مناف أنا النذير والموت المغيرة والساعة الموعود الحديث  
 الرابع قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد التيمي عن أبي عثمان عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قال المازنات وأندرعشيرة  
 الاقرب بن سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى من جبل على أعلاها حجر فجعل ينادى يابني عبد مناف انما أنا نذير انما أنا نذير  
 ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب يربأ أهله رجاء أن يسبقوه فجعل (١٩١) ينادى ويهتف يا صباحاه ورواه مسلم

والنسائي من حديث سليمان بن  
 طرخان التيمي عن أبي عثمان عبد  
 الرحمن بن سهل النهدي عن قبيصة  
 وزهير بن عمرو والهلالى به الحديث  
 الخامس قال الامام أحمد حدثنا  
 أسود بن عامر حدثنا شريك عن  
 الاعشى عن المنهال عن عباد بن عبد  
 الله الاسدي عن علي رضي الله عنه  
 قال لما نزلت هذه الآية وانذر  
 عشيرتكم الاقرب بين جمع النبي صلى  
 الله عليه وسلم من اهل بيته فاجتمع  
 ثلاثون فاكوا وشربوا قول وقال  
 لهم من يضمن عنى ديني ودوا عيدي  
 ويككون سعي في الجنة ويكون  
 خليفتي في أهلي فقال رجل لم يسمه  
 شريك يا رسول الله أنت كنت حجرا  
 من يقوم به ذاق قال ثم قال ان شرب  
 ثلاثا قال فعرض ذلك على أهل بيته  
 فقال على انطريق اخرى بأبسط من  
 هذا السياق قال الامام أحمد حدثنا  
 عثمان حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان  
 ابن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة  
 ابن ماجد عن علي رضي الله عنه قال  
 جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أودع رسول الله بنى عبد المطلب وهم  
 رهط وكاهم يأكل الجذعة ويشرب  
 الفرق فصنع لهم مدا من طعام

وهذا جواب للاستفهام الذي يعنى النفي ومحقق لنفي الشركة بينهم وبين العبيد والاماء  
 المملوكين لهم في أ- والهم والمعنى هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم واماءكم  
 أمثالكم في البشرية أن يساؤوكم في التصرف بما رزقناكم من الاموال وبشاركوكم  
 فيها من غير فرق بينكم وبينهم (تخافونهم) خيفة (تخيفتكم أنفسكم) أي كما تخافون  
 الاحرار المشابهين انكم في الحرية وملك الاموال وجواز التصرف والمراد نفي الاشياء  
 الثلاثة الشركة بينهم وبين المملوكين والاستواء معهم وخوفهم باهم وليس المراد ثبوت  
 الشركة ونفي الاستواء والخوف كما قيل في قولهم ماتا قينا فتحدثنا والمراد اقامة الحجة على  
 المشركين فانهم لم يلبد أن يقولوا لا ترضى بذلك فيقال لهم فكيف تنزهون أنفسكم عن  
 مشاركة المملوكين لكم وهم أمثالكم في البشرية وتجعلون عبيد الله شركاء له فاذا بطلت  
 الشركة بين الله وبين أحد من خلقه والحقا كلهم عبيد الله تعالى لم يبق الا انه لرب وحده  
 لا شريك له قرئ أنفسكم بالنصب على انه معمول المصدر المضاف الى فاعله وبالرفع على  
 اضافة المصدر الى مفعوله (كذلك تفصل الآيات) تفصيلا واضحا وبيانا جليلا لان التمثيل  
 مما يكشف المعاني ويوضحها (اقوم بعقلون) لانهم الذين ينتفعون بالآيات التزييلية  
 والتكوينية باستعمال عقولهم في تدبرها والتفكير فيها ثم أضرب سبحانه عن مخاطبة  
 المشركين وارشادهم الى الحق بما ضرب لهم من المثل فقال (بل اتبع الذين ظلموا)  
 بالاشراك وفيه الاضراب مع الالتفات وأقيم الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليهم بوصف  
 انظلم (أهواهم بغير علم) أي لم يعقلوا الآيات بل اتبعوا أهواءهم الزائفة وآراءهم  
 الفاسدة الزائفة والمعنى جايلين بأنهم على ضلالة (فمن يهدي من أفضل الله) أي لا أحد  
 يقدر على هدايته لان الرشاد والهداية بتقدير الله واراذه (ومالهم) أي مال هؤلاء الذين  
 أضلهم الله والجمع باعتبار معنى من (من ناصرين) ينصرونهم ويجولون بينهم وبين  
 عذاب الله سبحانه ثم أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتوحيده وعبادته كما أمره فقال  
 (فأقم وجهك للدين حنيفا) شبه الاقبال على الدين بتقويم وجهه اليه واقباله عليه أي  
 ما تلا اليه مستقيمة عليه غير ملتفت الى غيره من الاديان الباطلة فان من اهتم بالثنى  
 عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه (فطرت الله التي فطر الناس  
 عليها) الفطرة في الاصل الخلقة والمراد بها هنا الملة وهي الاسلام والتوحيد قال

فاكوا حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو كانه لم يمس ثم دعا بغير فشربو حتى رووا وبقى الشراب كانه لم يمس أو لم يشرب وقال يابني عبد  
 المطلب اني بعنت اليكم خاصة والى الناس عامة وقد رأيت من هذه الآية مارا يتم فايكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي قال  
 فلم يقم اليه احد قال فقامت اليه وكنتم أصغر القوم قال فقال اجلس ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم اليه فيقول لي اجلس حتى  
 كان في الثالثة ضرب بيده على يدي طريق أخرى أغرب وأبسط من هذا السياق زيادات أخر قال الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل  
 النبوة أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن

اصح قال حدثني من سمع عبد الله بن الحرث بن نوفل واستكتمني اممه عن ابن عباس عن علي بن ابي طالب رضی الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتک الاقربین واخذض جناحک لمن اتبعک من المؤمنین قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت اني ان بادرت بها قومي رأيت منهم ما أكره فصمت فخافني جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان لم تفعل ما أمرت به عذبتك ربك قال علي رضي الله عنه قد عاني فقال يا علي ان الله تعالى قد أمرني ان أنذر عشيرتي الاقربین فعرفت اني ان بادرتهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت (١٩٢) عن ذلك ثم جاءني جبريل فقال يا محمد ان لم تفعل ما أمرت به عذبتك ربك

الواحدى - مذاقول المفسرين في الفطرة وقيل المراد بها قابلية الدين والتهيؤ له وترسم الفطرت بالثناء المجرورة وليس في القرآن غيرها والمراد بالناس هنا الذين فطرتهم الله على الاسلام لان المشرك لم ينظر على الاسلام وهذا الخطاب وان كان خاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمته داخله معه فيه قال القرطبي باتفاق من أهل التأويل والاولى حمل الناس على العموم من غير فرق بين مسلمهم وكافرهم وانهم جميعا فطرتهم على ذلك لولا عوارض تعرض لهم فيبعثون بسببها على الكفر كما في حديث أبي هريرة الثابت في الصحيح قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة وفي رواية على هذه الملة وليكن أبو ابيه ودانته وينصرانه ويعجمانه كما نتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة واقرؤا ان شئتم فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي رواية حتى تكونوا انتم تجدعونها اخرج أحمد والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم عن اسود بن سريع ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية الى خيبر فقاتلوا المشركين فانتهى القتل الى الذرية فلما جاؤا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما جداءكم على قتل الذرية قالوا يا رسول الله انما كانوا اولاد المشركين قال وهل خياركم الا اولاد المشركين والذي نفسي بيده ما من نسمة تولد الا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها واخرج أحمد من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يعبر عنه لسانه فاذا عبر عنه لسانه اما ساكرا واما كافورا وروى الامام أحمد في المسند عن عياض بن جناد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب يوما فقال في خطبته ما يكاف عن الله سبحانه واني خلقت عبادي حذفاء كلهم وانهم اتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم الحديث وهذا معارض الحديث أبي هريرة المتقدم فكل فرد من أفراد الناس مفذور أي مخلوق على ملة الاسلام ولكن لا اعتبار بالايمان والاسلام الفطريين وانما يعتبر بالايمان والاسلام الشرعيان وهذا قول جماعة من الصحابة ومن بعدهم وقول جماعة من المفسرين وهو الحق والقول بان المراد بالفطرة هنا الاسلام هو مذهب جمهور السلف وقال آخرون هي البداية التي ابتدأهم عليها فانه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاوة والقاطر في كلام العرب هو المبتدئ وهذا مصير من القائلين به الى معنى الفطرة

فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام واعد لنا عس لبن ثم اجعل لي بنى عبد المطلب ففعلت فاجتمعوا اليه وهم يومئذ اربعون رجلا يريدون رجلا او يتصون رجلا فيهم اعمامه أبو طالب وحزوة والعباس وأبو لهب الكافر الخبيث فقدمت اليهم تلك الجنة فاخذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة فشقها باسنانها ثم رمى بها في نواحيها وقال كلوا باسم الله فاكل القوم حتى نملوا عنه ما يرى الا آثار أصابعهم والله ان كان الرجل منهم لياكل مثلها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استهيم يا علي فخبث بذلك الثعب فشر بوا منه حتى نملوا جميعا وAIM الله ان كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدرة أبو لهب الى الكلام فقال له هذا سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرنى الى ما سمعت قبل ان اكلهم القوم

ففعلت ثم جمعتم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالامس فاكوا حتى نملوا عنه وAIM الله ان كان الرجل منهم لياكل مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم استهيم يا علي فخبث بذلك الثعب فشر بوا حتى نملوا جميعا وAIM الله ان كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدرة أبو لهب بالكلام فقال لهذا سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرنى الى ما سمعت قبل ان اكلهم القوم ففعلت ثم جمعتم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم

كما صنع بالامس فاكوا حتى نهوا ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهوا عنه وAIM الله ان كان الرجل منهم لياكل مثلها وبشر من مثلها  
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب اني والله ما اعم شابا من العرب جاء قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بخير  
بامر الدنيا والآخرة قال احمد بن عبد الجبار البلغني ان ابن اسحق انما سمع من عبد الغفار بن القاسم بن أبي هريرة عن المنهال بن عمرو  
ابن عبد الله بن الحرث وقدر واه أبو جعفر بن جرير عن ابن جهم عن سلمة عن ابن اسحق عن عبد الغفار بن القاسم بن أبي هريرة عن  
المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب (١٩٢) فذكر مثله وزاد بعد قوله اني جئتكم بخير

الدنيا والآخرة وقد أمرني الله ان  
أدعوكم اليه فايكم يوازي على هذا  
الامر على ان يكون أخي وكذا وكذا  
قال فاجم القوم عنها جميعا وقلت  
واني لا احد منهم سنا أو مصمم عينا  
وأعظمهم بطنا وأخشعهم ساقا  
أنا يا بني الله أكون وزيرك عليه  
فأخذ برقبتي ثم قال ان هذا أخي  
وكذا وكذا فافهموا له وأطيعوا ثم  
قام القوم يضحكون ويقولون لابي  
طالب قد أمرنا ان نسمع لا نرى  
وتطيع تقرب هذا السياق عبد  
الغفار بن القاسم بن أبي هريرة وهو  
متروك كذاب شيعي اتهمه علي بن  
المديني وغيره بوضع الحديث  
وضعه الأئمة رجهم الله طريق  
أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي  
أخبرنا الحسين بن عيسى بن  
ميسرة الخارفي حدثنا عبد الله بن  
عبد القدوس عن الاعمش عن  
المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث  
قال قال علي رضي الله عنه لما نزلت  
هذه الآية وأنذر عشيرتک  
الاقربين قال لي رسول الله صلى الله  
عليه وسلم اصنع لي رجل شاة بصاع  
من طعام وانا لبنا قال ففعلت ثم

لغة واهمال معانها شرعا والمعنى الشرعي مقدم على المعنى اللغوي بانفاق أهل الشرع ولا  
ينافي ذلك ورود الفطرة في الكتاب أو السنة في بعض المواضع مراد بها اللغوي كقوله  
تعالى الحمد لله فاطر السموات والأرض أي خالقهم ومبتدئهم او كقوله ومالي لأبي عبد الذي  
فطرني اذ لا نزاع في ان المعنى اللغوي هو هذا ولكن النزاع في المعنى الشرعي للفطرة وهو  
ما ذكره الاولون كما ينهوا وانتصاب فطرة على انها مصدر مؤن كد للبعه له التي قبلها وقال  
الزجاج منصوب بمعنى اتبع فطرة الله قال لان معنى فاقم وجهك للدين اتبع الذين واتبع  
فطرة الله وقال ابن جرير هي مصدر من معنى فاقم وجهك لان معنى ذلك فطرة الله الناس  
على الدين وقيل هي منصوبة على الاغراء اي الزموا فطرة الله وعليكم فطرة الله ورد هذا  
الوجه أبو حيان وقال ان كلمة الاغراء لا تضمن اذ هي عوض عن الفعل فلو حذف الزم حذف  
العوض والمعوض عنه وهو اجاف وأجيب بان هذا رأي البصريين واما الكسائي  
وأبناءه فيميزون ذلك (لا تبدل خلق الله) أي لما جيلكم وطبعكم عليه من قبول الحق  
وهذا تعليل لما قبله من الامر بلزوم الفطرة أي هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها  
لا تبدل لها من جهة الخالق سبحانه أو تعليل لوجوب الاعتدال له أي لاصحة ولا استقامة  
لتبديله بالاخلال بعوجه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة  
الشياطين وقيل لا يقدرا أحد أن يغيره فلا بد حينئذ من جعل التبديل على تبديل نفس  
الفطرة بان التهارا سار ووضع فطرة اخرى مكانها غير صحيحة لقبول الحق والتمسك من  
ادراكه ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعاً فالتعليل حينئذ من جهة  
ان سلامة الفطرة متحققه في كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم  
الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذكره أبو السعود وقيل هو نفي  
معناه النهي أي لا تبدلوا خلق الله قال مجاهد وابراهيم النخعي معناه لا تبدل لدين الله قال  
قتادة وابن جبير والضحاك وابن زيد هذا في المعتقدات وقال عكرمة ان المعنى لا تغيير  
خلق الله في الهائم بان تخصصي نحو لها وقيل لا تبدلوا التوحيد بالشرك والسنة بالبدعة  
وقيل لا تبدل لما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا  
الشيقي سعيدا (ذلك) الدين المأمور باقامة الوجه له هو (الدين القيم) أول زوم الفطرة هو  
الدين القيم أي المستقيم وقال ابن عباس الدين القضاء (ولكن أكثر الناس) أي كفار مكة

(٢٥ - فتح البيان سابع) قال لي ادع بني هاشم قال فدعوتهم وانهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربعون ورجل قال وفيهم عشرة  
كلهم يأكل الجذعة بادامها قال فلما أتوا بالقصعة أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذروتها ثم قال كلوا فكلوا حتى شبعوا  
وهي على هيئتكم لم يزد وامنها الا اليسير قال ثم أتيتهم بالانافيش نواحي روي وقال وفضل فضل فلما فرغوا أراد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ان يتكلم فبدر وه الكلام فقال ما رأينا كالوم في السفر فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لي اصنع رجل  
شاة بصاع من طعام فصنعت قال فجمعتهم فلما كوا وشربوا بدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام فقال أيكم يقضي عني

ديني ويكون خليفتي في أهلي قال فسكتوا وسكت العباس خشية ان يحبط ذلك بحاله قال وسكت أنا سن العباس ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس فلما رأيت أنا ذلك قلت أبا يا رسول الله قال واني يومئذ لاسوأهم هيئته واني لاعمش العينين فظنم البطن خش الساقين فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن علي رضي الله عنه ومعنى سؤاله صلى الله عليه وسلم لا عمامه وأولادهم ان يقضوا عنه دينه ويخلفوه في أهله يعني ان قتل في سبيل الله كآته خشى اذا قام باعباء الانذار ان يقتل فلما أنزل الله تعالى بأبيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت (194) رسالته والله يعصمك من الناس فعند ذلك أمن وكان أو لا يحرس حتى

نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس ولم يكن أحد في بني هاشم اذ ذلك أشد ايماناً واثباتاً وصدقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم من علي رضي الله عنه ولهذا يدبرهم الى التزام ما طالب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان بعد هذا والله أعلم دعاه الناس جهرة على الصفا وانداه لبطون قريش عوماً وخصوصاً حتى سمي من سمي من أعمامه وعماته وبناته ائمه بالادنى عدلى الاعلى أى انما أنا نبي الله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وسدروى الحافظ بن عساكر في ترجمة عبد الواحد الدمشقي من طريق عمرو بن سمرة عن محمد بن سوقة عن عبد الواحد الدمشقي قال رأيت أبا الدرداء رضي الله عنه يحدث الناس ويقتبهم وولده الى جنبه وأهل بيته جلوس في حانب المسجد يتحدثون فقبل له ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم وأهل بيتك جلوس لاهين فقال لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أزهدهم علي بن الدنيا الانبياء وأشدهم علي بن الاقربون وذلك فيما أنزل الله عز

(لا يعلمون) ذلك حتى يفعلوه ويعملوا به (منيبين) أى راجعين (اليه) بالتوبة والاحلاص ومطيعين له في أوامره ونواهيه قال الجوهرى أناب الى أى أقبل وناب قال الفراء فاقم وجهك ومن معك منيبين وكذا قال الزجاج وقال تقديره فاقم وجهك وأمتك فالخال من الجميع وقيل كونوا منيبين اليه دلالة ولا تكونوا من المشركين على ذلك ثم أمرهم سبحانه بالتقوى بعد أمرهم بالانابة فقال (واتقوه) أى خافوه باحتراب معاصيه (واقموا الصلاة) التى أمرتم بها (ولا تكونوا من المشركين) بالله أى عن يشر له به غيره في العبادة وقوله (من الذين فرقوا دينهم) باختلافهم فيما يعبدونه وهو يدل مما قبله باعادة الجار (وكانوا شيعا) الشيع الفرق أى لا تكونوا من الذين تفرقوا في الدين بشايع بعضهم بعضاً من أهل البدع والأهواء وقيل المراد بهم اليهود والنصارى وقرئ فارقوا دينهم أى الذى يجب اتباعه وهو التوحيد وهى سبعة وقد تقدم تفسير هذه الآية في آخر سورة الانعام (كل حزب) أى كل فريق منهم (بما لديهم) من الدين المبني على غير الصواب (فرحون) أى مسرورون مبتهجون يظنون انهم على الحق وليس بأيديهم شبهة والجله اعتراض مقرر لما قبله من تفسيرهم دينهم وكونهم شيعا (وإذا مس الناس) أى كذا مكة وغيرهم (ضر) أى تخطو وشدة أوهزال أو مرض (دعوا ربهم) أن يرفع ذلك عنهم واستعانوا به (منيبين) أى راجعين ملتجئين (اليه) لا يعولون على غيره وقيل مقبلين عليه بكل قلوبهم (ثم اذا اذاهم منه رحمة) باجابة دعائهم ورفع تلك الشدائد عنهم (اذا فرق منهم برهم بشركون) اذاهى الفجائية ونعت جواباً للشرط كأنها كالنساء في افادة التعقيب أى فاجا فريقى منهم الاشرار وهم الذين دعوا وخلصهم عما كانوا فيه وهذا الكلام مسوق للتعجب من احوالهم وما صاروا عليه من الاعتراف بوحداية الله سبحانه عند نزول الشدائد والرجوع الى الشرك عند رفع ذلك عنهم وفيه مراعاة معنى لنظ الفريق وكذا في قوله (ليكفروا بما آتيناهم) أى نعمة الله عليهم واللام كي وقيل لام الامر لقصد الوعيد والتهديد وقيل هى لام العقاب التى تقتضى المهلة سميت لام المالك والشرك والكفران متقاربان لامهله بينهما ثم خاطب سبحانه هؤلاء الذين وقع منهم ما وقع فقال (فتمتعوا) اريد به التهديد ايضا وفيه التفات عن الغيبة الى الخطاب لاجل المبالغة في زجرهم وقرئ فتمتعوا على الخطاب وبالتحسية على البناء للمفعول وفي مصحف ابن مسعود فليتمتعوا (فسوف تعلمون)

وجعل قال تعالى وأشد عيرين الاقربين الى قوله فقل انى برى عما تعلمون وقوله تعالى وتوكل على العزيز الرحيم ما أى في جميع أمورك فانه مؤيدك وحافظك وناصرك ووظفرك ومعك كذلك وقوله تعالى الذى يرالك حين تقوم أى هو معتك بك كما قال تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا قال ابن عباس الذى يرالك حين تقوم يعنى الى الصلاة وقال عكرمة يرى قيامه وركوعه وسجوده وقال الحسن الذى يرالك حين تقوم اذا صليت وحدك وقال الضحاك الذى يرالك حين تقوم أى من فراشك أو مجلسك وقال قتادة الذى يرالك قائماً وجالساً وعلى حالائك وقوله تعالى وتقبلن في الساجدين قال قتادة الذى يرالك حين



تقوم وتقبلك في الساجدين قال في الصلاة والك وحده ويرك في الجمع وهذا قول عكرمة وعطاء الخراساني والحسن البصري  
 وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كما يرى من أمامه ويشهد لهذا ما صح في الحديث وهو أحفونكم  
 فاني أراكم من وراء ظهري وروى البرزاري وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية يعني تقبله من صلبي إلى  
 صلبي حتى أخرجه نبيا وقوله تعالى أنه هو السميع العليم أي السميع لأقوال عباده العليم بقراتهم وسكوتهم كما قال تعالى وما  
 تكون في شأن وماتوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الآكاملهم (١٩٥) شهودا والتنبيه في الآية هل

أنتبشكم على من تنزل الشياطين  
 تنزل على كل أفاك أثيم يا قون  
 السمع وأكثرتهم كاذبون والشعراء  
 يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد  
 يمبون وأنهم يقولون ما لا يفعلون  
 إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
 وذكروا الله كتبوا وصبروا ومن  
 بعد ما ظلموا أو سيعم الذين ظلموا أي  
 منقلب ينتقلبون يقول تعالى  
 مخاطبا لمن زعم من الشركين ان  
 ما جاء به الرسول صلى الله عليه  
 وسلم ليس بحق وأنه نبي افتقله من  
 تلقاه نفسه أو أنه أتاه به رؤى من  
 الجن فتره الله سبحانه وتعالى جناب  
 رسوله عن قولهم واقتراهم ونبه ان  
 ما جاء به إنما هو من عند الله وأنه تنزيه  
 ووحيه منزل بملك كريم أمين عظيم  
 وأنه ليس من قبل الشياطين فأنهم  
 ليس لهم رغبة في مثل هذا  
 القرآن العظيم وإنما ينزلون على من  
 يشاكلهم ويشابههم من الكهان  
 الكذبة وأهكذا قال تعالى هل  
 أنتبشكم أي أكرمكم على من تنزل  
 الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم  
 أي كذوب في قوله وهو الأفاك  
 الأثيم أي المتساجر في أفعاله فهذا

ما يتعقب هذا التمتع الزائل من العذاب الأليم (أم تر لنا عليهم سلطانا) أم هي المنقطعة  
 والاستفهام للانكار على مذهب الكوفيين ومذهب البصريين أنهم بمعنى بل والهمزة  
 والسلطان الحجة الظاهرة وفيه التفات عن الخطاب إلى الغيبة للايدان بالأعراض عنهم  
 وبعدهم عن ساحة الخطاب قال القراء ان العرب تؤث الساطان يقولون قضت به عدك  
 السلطان فاما البصريون فالتذكير عندهم أفصح وبه جاء القرآن والتأنيث عندهم جائز  
 لأنه بمعنى الحجة وقيل المراد بالسلطان هنا الملك (فهو يتكلم) أي يدل كما في قوله هذا كأننا  
 ينطق عليكم بالحق وهو في حيز التفي المستفاد من أم (بما كانوا يشركون) أي ينطق  
 بأشراكهم بالله سبحانه والمعنى بالامر الذي كانوا يسيبه يشركون (وإذا أذقنا الناس)  
 أي كذا رمة وغيرهم (رحمة) أي خصبا وطرانعمة وسعة وصحة وعافية (فرحوا بها)  
 فرح بطروا وأشرفوا فرح شكرهم وابتهاج بوصولها إليهم كادل علمه قوله قل بفضل الله  
 وبرحمته فبذلك فليفرحوا ثم قال سبحانه (وان تصهم سيفة) أي بلا من جذب أو ضيق  
 او مرض أو شدة على أي صفة (بما قدمت أيديهم) أي بسبب شؤم ذنوبهم (إذا هم  
 يقنطون) القنوط الاياس من الرحمة كذا قال الجهور وروى قال الحسن القنوط ترك  
 فرائض الله سبحانه وقرئ يقنطون بفتح النون وبكسر ها وهما سبعتان وبابه شرب  
 وتعب والمعنى إذا هم يأسون وهذا خلاف وصف المؤمنين فان من شأهم أن يشكروا مند  
 النعمة ويرجوا ربهم عند الشدة أو يقال الدعاء اللساني بناء على مجرى العادة لا ينافي  
 القنوط القلبي وقد يشاهد مثل ذلك في كثير من الناس فلا يخالف هذا قوله دعوا ربهم  
 منيبين إليه أو المراد بيقنطون فعل القانطين كالأهتنام بجمع الذخائر أيام الغلاء قاله  
 الكرخي (أو لم يروا) أي فبالبال لهم لم يشكروا في السراء والضراء كانوا منين ولم يعلموا (ان  
 الله يبسط الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) من عباده امتحانا هل يشكر أم يطغى فيكندر  
 (ويقدر) أي يضيق على من يشاء ابتلاء هل بصبر أم يضيق ذرعا فيكفر (ان في ذلك) البسط  
 والقبض (الآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على الحق لدلائلها على كمال القدرة  
 وبديع الصنع وغريب الخلق والحكمة ولما بين سبحانه كيفية التعظيم لامر الله أشار  
 إلى ما ينبغي من مواساة القرابة وأهل الحاجات من بسط الله له في رزقه فقال (فأت ذا  
 القربى حقه) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمه أسوته أول كل مكاف له مال

هو الذي تنزل عليه الشياطين من الكهان وما جرى مجراهم من الكذبة النسفة فان الشياطين أيضا كذبة فسفة يلتون السمع أي  
 يسترقون السمع من السماء فيسمعون الكلمة من علم الغيب فيزيدون معها مائة كذبة ثم يلتونها إلى أوليائهم من الانس فيحدثون  
 بها فيصدقهم الناس في كل ما قالوه بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء كما صح بذلك الحديث كما رواه البخاري  
 من حديث الزهري أخرجه بن عروة بن الزبير عنه مع عروة بن الزبير يقول قالت عائشة رضي الله عنها سألت ناس النبي صلى  
 الله عليه وسلم عن الكهان فقال انهم ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله فانهم يحدثون بالشيء يكون حقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم

تلك الكلمة من الحق محظنها الجني فيقرقها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة فيخاطون معها أكثر من مائة كذبة وروى البخاري أيضا حديثنا الحمدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو وقال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء نزلت الملائكة باجنتها خضعاعا نقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعهما سمع وترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان بيده فخرها وابددين أصابعه فيسمع الكلمة (١٩٦) فيلقها الى من تحته ثم يلقها الاخر الى من تحته حتى يلقها

وسمع الله به عليه وقدم الاحسان الى القرابة لان خير الصدقة ما كان على قريب فهو صدقة نضاعة وصلة رحمه مرغب فيها والمراد الاحسان اليهم بالصدقة والصلة والبر سواء كانوا في محنة أو لم يكونوا وقيل فيه دليل على وجوب النفقة للمعسر وبه قالت الخنيفة وعدم ذكر بقية الاصناف المستحقين للزكاة يدل على ان ذلك في صدقة التطوع وقاس الشافعي سائر الاقارب ما عدا الزوج والاصول على ابن العم لانه لا ولادة بينهم ولا يصح حمل الصدقة على الواجبة وهي الزكاة لان السورة مكتوبة والزكاة ما فرضت الا في السنة الثانية من الهجرة للمدينة وللقرى الفقيرة في مال قريبه الغنى حق واجب وبه قال جماعة وقناة قال مجاهد لا تقبل صدقة من أحد ورحمة محتاج وقيل المراد بالقرى قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال القرطبي والاول أصح فان حقهم مبين في كتاب الله عز وجل في قوله فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى وقال الحسن ان الامر في آية ذي القربى للندب (والمسكين وابن السبيل) أي آتهم ما حقهما الذي يستحقانه ووجه تخصيص الاصناف الثلاثة بالذكر انهم أولى من سائر الاصناف بالاحسان ولكون ذلك واجبا لهم على كل من له مال فضل عن كفايته وكفايته من يعول سواء كان زكوا أو لم يكن وسواء كان قبل الحول أو بعده لان المقصود هنا الشفقة العامة وهو الاء الثلاثة يجب الاحسان اليهم وان لم يكن للانسان مال زائد والنقير داخل في المسكين لان من أوصى للمسكين بشئ يصرف الى الفقراء أيضا واذا انظرت الى الباقي من الاصناف رأيتهم لا يجب صرف المال اليهم الاعلى الذين وجبت الزكاة عليهم وأما المسكين فحاجته ليست مختصة بموضع فقدم على من حاجته مختصة بموضع دون موضع حال مقاتل حق المسكين ان يصدق عليه وحق ابن السبيل الضميمة وقد اختلف في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة فقيل هي منسوخة بآية المواريث وقيل محكمة (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي ذلك الآتياء فضل من الامساك لمن يريد التقرب الى الله سبحانه ويقصد بمعرفته اياه خالصا (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بمطابقتهم حيث أنفقوا الوجه الله امتثالاً لأمره (وما آتيتكم) بالمدينة أعطيتم وقرى بالقصر بمعنى ما فعلتم وهما بمعينتان وقيل بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا وهو يؤول من حيث المعنى الى القراءة المشهورة لانه يقال أتى معا وقرأت قبيحا اذا فعلهما (من ربا) وأجمعوا على الاولى في

على لسان الساحر أو السكاهن فرجما أدرك الشهاب قبل ان يلقها وربما القها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فصدق بذلك الكلمة التي سمعت من السماء تفرد به البخاري وروى مسلم من حديث الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس عن رجال من الانصار قريبا من هذا وسأني عند قوله تعالى في سياحتي اذ فرغ عن قلوبهم الآية وروى البخاري أيضا وقال الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال ان ابا الاسود أخبره عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الملائكة تحدث في العنان والعنان الغمام بالامر في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتترها في أذن الكاهن كما تقرق القارورة فيزيدون معها مائة كذبة وروى البخاري في موضع آخر من كتاب بدء الخلق عن سعيد بن أبي زيد عن الليث عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبي الاسود بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة بنحوه

وقوله تعالى والذين يتبعهم الغاوون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الكفار يتبعهم ضلال الانس والجن وكذا قال مجاهد رحمه الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما وقال عكرمة كان الشاعران يتماجدان فينتصر لهدافئام من الناس ولهذا افتنام من الناس فانزل الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن ابن الهادي عن محمد بن مولى مصعب بن الزبير عن أبي سعيد قال بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج اذ عرض شاعر ينشد فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان وأمسكوا الشيطان لأن يتلى بحرفي أحدكم فيجاء خبره من

أن يتلى شعرا وقوله تعالى ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في كل لغوي يخوضون وقول الضحالة  
 عن ابن عباس في كل فن من الكلام وكذا قال مجاهد وغيره وقال الحسن البصري قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها مرة  
 في شئمة فلان ومرة في مديحة فلان وقال قتادة الشاعر مدح قوم ما يباطل ويذم قوم ما يباطل وقوله تعالى وانهم يقولون ما لا يفعلون  
 قال العوفي عن ابن عباس كان رجلا على عهد رسول الله أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخر بن وانهم ماتها جيا فكان مع  
 كل واحد منهما غواة من قومه وهم السنهات فقال الله تعالى والشعراء (١٩٧) يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل وادٍ

يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون  
 قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس  
 أكثر قولهم يكذبون فيه وهذا  
 الذي قاله ابن عباس رضى الله  
 عنه هو الواقع في نيس الامرفان  
 الشعراء يتبعون بأقوال وأفعال  
 لم تصدر منهم ولا عنهم فيستكثرون  
 بما ليس بآثارهم ولهذا  
 اختلف العلماء رجعهم الله فيما  
 اذا اعترف الشاعر في شعره بما  
 يوجب حدها بل بقام عليه بهذا  
 الاعتراف أم لا لانهم يقولون  
 ما لا يفعلون على قولين وقد ذكر  
 محمد بن اسحق ومحمد بن سعد في  
 الطبقات والزبير بن بكار في كتاب  
 القضاة ان أمير المؤمنين عمر بن  
 الخطاب رضى الله عنه استعمل  
 النعمان بن عدي بن نضلة على  
 ميسان من أرض البصرة وكان  
 يقول الشعر فقال

أهل أئى الحسنة أن خليلها

ميسان يسقى في زجاج وحنتم

اذا شئت غنتى دهاقين قرية

ورقاصة تخنوع على كل ميسم

فان كنت دما في الابراسقنى

ولا تسقنى بالاصغر المتسلم

قوله وما آتيتهم زكاة أصل الربا الزيادة والمعنى ما أعطيتم من زيادة خالية عن العوض  
 بان تعطوا شيئا لله وأهدية (ابن بوقى أموال الناس) أى ليزيدون كوفى أموالهم (فلا  
 يربو عند الله) قرئ بالتخنية على ان الفعل مستند الى ضمير الربا وقرئ بالتفوقية مضمومة  
 خطا بالجماعة بمعنى لتسكونوا ذوى زيادات وقرئ لتربوها ومعنى الآية انه لا يربو كوا عند  
 الله ولا يشيب عليه لانه لا يقبل الا ما يريد به وجهه خالصا قال السدى الربا في هذا الموضع  
 الهدية يهدى بها الرجل لاخيه بطاب المكافاة فان ذلك لا يربو عند الله أى لا يؤجر عليه  
 صاحبه ولا اثم عليه وهذا قال قتادة والضحاك قال الواحدى وهذا قول جماعة  
 المفسرين قال الزجاج يعنى دفع الرجل الشئ ليعوض أكثر منه وذلك ليس بحرام ولكنه  
 لا ثواب فيه لان الذى يهبه يستدعى به ما هو أكثر منه وقال الشعبي معنى الآية ان ما خدم  
 به الانسان أحدا يستفح به في دنياه فان ذلك النفع الذى يجرى به الخدمة لا يربو عند الله  
 وقيل هذا كان حراما على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الخصوص لقوله سبحانه ولا تمن  
 نستكثر ومعهان ان تعطى فمأخذا أكثر منه عوضا عنه وحرم عليه تشريقه وقيل ان هذه  
 الآية نزلت في هبة الثواب وبه قال ابن عباس وابن جبير وطاوس ومجاهد قال ابن عطية  
 وما يجرى مجراه مما يصنعه الانسان ليجازى عليه كالتسليم وغيره وهو وان كان لا اثم فيه فلا  
 أجر فيه ولا زيادة عند الله قال عكرمة الربا ربوان فربا حلال وربا حرام فالربا الحلال  
 فهو الذى يهدى بتمس ما هو أفضل منه يعنى كفاية هذه الآية وقيل ان هذا الذى في هذه  
 الآية هو الربا المحرم فعنى لا يربو عند الله على هذا القول لا يحكم به بل هو لما خوذ منه  
 قال المهلب اختلف العلماء في هبة يطب بها الثواب فقال مالك ينظر فيه فان  
 كان مثله من يطلب الثواب من المودوب له فله مثل ذلك مثل هبة النقيب لغنى وهبة الخادم  
 للمخدوم وهبة الرجل لأميره وهو أحد قولى الشافعى رحمه الله وقال أبو حنيفة رحمه الله  
 لا يكون له ثواب اذ لم يشترط وهو قول الشافعى رحمه الله الآخر وعن علي قال المواهب  
 ثلاثة موهبة يراد بها وجه الله وموهبة يراد بها ثناء الناس وموهبة يراد بها الثواب فوهبة  
 الثواب يرجع فيها صاحبها اذ لم يثب عليها بخلاف القسمين الآخرين فلا يرجع فيها  
 صاحبها قال ابن عباس في الآية الربا ربوان بالاباس به وربا لا يصلح فالربا الذى لا ياباس  
 به فهديته الرجل الى الرجل يريد فضلها وأضعافها وعنه قال هذا هو الربا الحلال ان يهدى

لعل أمير المؤمنين يسوءه \* تنادى بالجو سق المتهم فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال

أى والله انه يسوءه فى ذلك ومن لقيته فليخبره اى قد عزلته وكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز

العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لاله الا هو اليه المصير أما بعد فقد بلغنى قولك

لعل أمير المؤمنين يسوءه \* تنادى بالجو سق المتهم وايم الله انه ليسوئى وقد عزلته فلما قدم على عمر بكنه بهذا الشعر وقال

والله يا أمير المؤمنين ما شئت ما أظن ذلك الشعر الا شئى طفع على لسانى فقال عمر أظن ذلك ولكن والله لا تعلم لى عملا به او قد

قلت ما قلت فلم يذكر انه حده على الشراب وقد ضمنه شعره لانهم يقولون ما لا يفعلون ولكن ذمه عمر رضي الله عنه ولامه على ذلك وعزله به ولهذا جاء في الحديث لان يمتلي جوف أحدكم فيحابر به خبره من أن يمتلي شعره والمراد من هذا ان الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه هذا القرآن ليس بكاهن ولا شاعر لان حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة كما قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الاذكري وقرآن مبين وقال تعالى انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قلنا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قلنا ما نذكر كرون تنزيل من رب العالمين وهكذا قال (١٩٨) ههنا وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون

من المنذرين بل ان عربي مبين الى ان قال وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لم يعزولون الى ان قال هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفكأثم يلتقون السمع وأكثهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر انهم في كل وادهم يمون وانهم يقولون ما لا يفعلون وقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال محمد بن ابي حنيفة عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي الحسن سالم البراد بن عبد الله مولى تميم الداري قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاؤون جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون قالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية انا شعراء فملا النبي صلى الله عليه وسلم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال أنتم وذكروا الله كثيرا قال أنتم واتصروا من بعد ما ظلموا قال أنتم رواد ابن أبي حاتم وابن جرير من رواية ابن ابي حنيفة وقدرى ابن أبي حاتم أيضا عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة عن الوليد بن أبي

يريد أكثر منه وليس له أجر ولا وزر ونسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة فقال ولا تمنن تستكثر (وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله) أي وما أعطيتم من صدقة تطوع لا تطالبون بها المكافأة وإنما تصدقون بها ما عند الله (فاولئك هم المضعفون) أي ذوو الاضعاف من الحسنان الذين يعطون بالحننة عشرة مثالبها الى سبع مائة ضعف قال الفراء هو نحو قولهم مسمن ومعطش ومضعف اذا كانت له ابل سمان وعطاش وضعفة وقرئ بفتح العين اسم من يعول وفيه التفات حسن عن الخطاب لانه يفيد التعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق ثم يخالطهم فهو أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون أو للتعميم لغير مخاطبين كأنه قال من فعل هذا فسد سبيل مخاطبين وكان مقتضى ظاهره المقابلة ان يقال فير بوعند الله فغير عبارة الربا الى الاضعاف ونظم النعمانية الى الامة الدالة على الدوام المشقة على ضمير الفصل المفيد للعصر والمعنى المضعفون به لانه لا بد له من ضمير يرجع الى ما الموصولة (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يمتكم ثم يحييكم) عاد سبحانه الى الاحتجاج على المشركين وانه الخالق الرزاق المميت المحيي أي المختصر بالخلق والرزق والامانة والاحياء ثم قال على جهة الاستفهام (هل من شركائكم) أي أصنامكم التي زعمتم انهم شركاء وأضاف الشركاء اليهم لانهم كانوا يسمونهم آلهة ويجعلون لهم نصيبا من أموالهم (من يفعل من ذلكم) أي الخلق والرزق والامانة والاحياء (من شئ) أي شيا من هذه الافعال ومعلوم انهم يقولون ليس فيهم من يفعل شيا من ذلك فتقوم عليهم الخجة ومن الاول والثانية لبيان شروع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم النبي ثم نزه سبحانه نفسه فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون) أي نزهوه فزهبوا وهو متعال عن أن يجوز عليه شئ من ذلك (ظهر الفساد بين سبحانه والشرك والمعاصي سبب لظهور النساد (في البر والبحر) أي العالم والنساد من فساد كفساد وكرم فساد اذ صلح فهو فساد والنساد أخذ المال ظلما والجذب والمفسدة ضد المصلحة واختلاف في معنى ظهور الفساد المذكور فقبل هو التحط وعدم النبات ونقصان الرزق وكثرة الخوف ونحو ذلك وقال مجاهد وعكرمة فساد البرقتل ابن آدم أخاه يعني قتل قاييل لهايل وفساد البحر الملك الذي يأخذ كل سفينة غصبا ولت شمري أي دليل دلها على هذا التخصيص البعيد والتعيين الغريب فان الآية نزلت على

كثير عن زيد بن عبد الله عن أبي الحسن مولى بني نوفل ان حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة أتيا رسول محمد الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية والشعراء يتبعهم الغاؤون فيكان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأها عليهم والشعراء يتبعهم الغاؤون حتى بلغ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال انتم فقال ايضا حدثنا ابى حدثنا ابوسلمة حدثنا جاد ابن سلمة عن هشام بن عروة قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاؤون الى قوله وانهم يقولون ما لا يفعلون قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله قد علم الله اني منهم فانزل الله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وهكذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد

وقتادة وزيد بن اسلم وغير واحد ان هذا استثناء مما تقدم ولا شك انه استثناء ولكن هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات في شعراء الانصار وفي ذلك نظر ولم يتقدم الامر سلات لايعة عليها والله اعلم ولكن الاستثناء دخل فيه شعراء الانصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبسا من شعراء الجاهلية بدم الاسلام واهله ثم ناب وأناب ورجع وأقنع وعمل صالحا وذكرا لله كثيرا في مقابلة ما تقدم من الكلام السني فان الحسنات يذهبن السيئات وامتدح الاسلام واهله في مقابلة ما كان يذمه كما قال عبد الله بن الزبير حين أسلم يارسول المليك ان لسانى \* رائق ما فتقت اذا نابور (١٩٩)

اذا جارى الشيطان في سنن النبي  
ومن مال ميله مشهور  
وكذلك أبو سفيان بن الحرث بن  
عبدالمطلب كان من أشد الناس  
عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو  
ابن عمه وأكثرهم له هجوا فلما أسلم  
لم يكن أحدا أحب اليه من رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وكان يمدح  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد  
ما كان يهجوه ويتولاه بعدما كان  
قد عاداه وهكذا روى مسلم في صحيحه  
عن ابن عباس ان أباسفيان صخر بن  
حرب لما أسلم قال يارسول الله ثلاث  
أعطين قال نعم قال معاوية تجعله  
كاتباً بين يديك قال نعم قال  
وتؤمرنى حتى أقاتل الكفار كما  
كنت أقاتل المسلمين قال نعم وذكروا  
الثالثة ولهذا قال تعالى الا الذين  
آمَنوا وعملوا الصالحات وذكروا  
الله كثيرا قبل معناه ذكروا الله  
كثيرا في كلامهم وقيل في  
شعرهم وكلاهما صحيح مكفر لما  
سبق وقوله تعالى واتصروا من  
بعد ما ظلموا قال ابن عباس يردون  
على الكفار الذين كانوا يهجون به  
المؤمنين وكذا قال مجاهد وقتادة

محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتعريف في الفساد يدل على الجنس فيعم كل فساد واقع في  
حيزي البر والبحر وقال السدي الفساد الشرك وهو أعظم الفساد ويمكن ان يقال ان  
الشرك وان كان الفرد الكامل في أنواع المعاصي ولكن لا دليل على انه المراد بخصوصه  
وقيل الفساد كساد الاسعار وقلة المعاش وقيل قطع السبل والظلم وقيل نقصان البركة  
باعمال العباد كي يتوبوا قال النحاس وهو أحسن ما قيل في الآية وعنه ان الفساد في البحر  
انقطاع صيد بنوب بنى آدم قال ابن عطية فاذا قل المطر قل الغوس فيه وعبت دواب  
البحر وقيل غير ذلك مما هو تخصيص لا دليل عليه والظاهر من الآية ظهور ما يصح  
اطلاق اسم الفساد عليه سواء كان راجعا الى أفعال بنى آدم من معاصيهم واقتراحهم  
السيئات وتقاطعهم وتظالمهم وتقاتلهم أو راجعا الى ما هو من جهة الله سبحانه بسبب  
ذنوبهم كالقحط وكثرة الخوف والموتان ونقصان الزروع والثمار وكثرة الخرق والغرق  
ومحق البركات من كل شيء والبر والبحرهما المعروفان المشهوران وقيل البر الفيافي والبحر  
القرى التي على ماء قاله عكرمة والعرب تسمى الامصار البحار قال مجاهد البر ما كان من  
المدن والقرى على غير نهر والبحر ما كان على شط نهر وعن ابن عباس فحوه والاول أولى  
ويكون معنى البر مدن البر ومعنى البحر مدن البحر وما يصل بالمدن من مزارعها  
ومراعيها (كما كتبت أيدى الناس) من المعاصي والذنوب والباء للسيئة وامام موصولة  
أو مصدرية (ليذيقهم بعض الذي عملوا) اللام للعلة أى ليذيقهم بعض عقوبة عملهم  
أو جزاء بعض عملهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة وقيل للصور قرى بالباء  
وبنون العظيمة (لعلهم يرجعون) عماتهم فيه من المعاصي ويتوبون الى الله قال ابن  
عباس يرجعون من الذنوب ولما بين سبحانه ظهور الفساد في ما عاين كسبت أيدى  
المشركين والعصاة بين لهم ضلال امثالهم من أهل الزم الاول فقال (قل سبروا في  
الارض فانظروا كيف كان عقوبة الذين من قبل) أمرهم بان يسبروا لينظروا آثارهم  
ويشاهدوا كيف كانت عاقبتهم فان منازلهم حاوية وأراضيتهم متفرقة موحشة كعاد  
وغود ونحوهم من طوائف الكفار (كان أكثرهم مشركين) مستأنفة لبيان الحالة التي  
كانوا عليها وايضاح السبب الذي صارت عاقبتهم به الى ما صارت اليه وهو فساد الشرك  
والعصيان فيما بينهم أو كان الشرك في أكثرهم ومادونه من المعاصي في قليل منهم (فاقم)

وغير واحد وهذا كائنت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسان اجمعهم أو قال هاجهم وجبريل معذوق وقال الامام  
أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله  
عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل فقال رسول الله ان المؤمن يجاهد نفسه ولسانه والذي نفسى بيده لكان مات مؤمنا منهم به نضح  
السبل وقوله تعالى وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب يتقلبون كقوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم الآية وفي الصحيح ان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة قال قتادة بن دعامة في قوله تعالى وسيعلم الذين ظلموا اي

منقلب يتقلبون يعني من الشعراء وغيرهم وقال ابوداود الطيالسي حدثنا اباس بن ابي تيمية قال حضرت الحسن وعمر عليه بجزاة نصراني فقال وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب يتقلبون قال عبد الله بن ابي رباح وصفوان بن محرزانه كان اذا قرأ هذه الآية بكى حتى اقول قد اندق قضيب زوره وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب يتقلبون وقال ابن وهب اخبرنا شيخ الاسكندراني عن بعض المشيخة انهم كانوا بأرض الروم فبينما هم ليلة على نار يشتبون عابها اوبصطلون اذا بركان قد أقبلوا فقاوا اليهم فاذا فضالة بن عبيد فيهم فأنزلوه فجلس معهم قال وصاحب (٢٠٠)

خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأتمته اسوته فيه كأن المعنى اذا قد ظهر الفساد بانسب المتقدم فاقم (وجهك) يا محمد (لادين القيم) قال الزجاج اجعل جهتك اتباع الذين القيم البليغ الاستقامة الذي لا يأتي فيه عوج وهو الاسلام وقيل المعنى أوضح الحق وبالغ في الاعذار واشتغل بما أنت فيه ولا تخزن عليهم قاله النرطبي (من قبل ان يأتي يوم) يعني يوم القيامة (لا مرد له من الله) المراد مصدر ردأى لا يتدراأ حد على ان يرد كقوله لا يستطيعون ردها فلا بد من وقوعه وقيل المعنى لا يرد الله اتعلق ارادته القديمة بعينه قاله أبو السعود (يومئذ) أي يوم اذ يأتي هذا اليوم (يصدعون) أصله يتصدعون والتصدع التفرق يقال تصدع القوم اذا تفرقوا ومنه قول الشاعر  
وكأ كندماني جذيمة حقة \* من الدهر حتى قيل ان يتصدعا

يتقلبون قال فضالة بن عبيد هؤلاء الذين يخربون البيت وقيل المراد بهم أهل مكة وقيل الذين ظلموا من المشركين والصحيح ان هذه الآية عامة في كل ظالم كما قال ابن أبي حاتم ذكر عن يحيى بن زكريا بن يحيى الواسطي حدثني الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المحبر حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضی الله عنها قالت كتب أبي في وصيته سطرين بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وصى به ابو بكر بن ابي مخافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان يعدل فذلك ظني به ورجاني فيه وان يجبر ويبدل فلا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب يتقلبون آخر تنبيه سورة الشعراء والحمد لله رب العالمين

وفي المصباح صدعته صدعا من باب نفع شققة فان صدع وصدعت القوم صدعا فاصدعوا أي فرقتم فتهرقوا وقوله فاصدع بما تؤمر قيل ما خوذ من هذا أي شق جماعاتهم بالتوحيد وقيل افرق بذلك بين الحق والباطل وقيل أظهر ذلك وصدعت بالحق تكلمت به جهارا وصدعت الفلاة قطعها والمراد بتفرقهم ان أهل الجنة يصيرون الى الجنة وأهل النار الى النار ثم فصل سبحانه المتصدعين بقوله (من كفر فعليه كفره) أي جزاء كفره ووباله وهو النار (ومن عمل صالحا فلانفسهم يهتدون) أي يوطئون لانفسهم منازل في الجنة بالعمل الصالح والمهاد الفرائض وقد تقول مهدت الفرائض مهذا اذا بسطته ووطأته فجعل الاعمال الصالحة التي هي سبب لدخول الجنة كبناء المنازل في الجنة وفرشها وقيل المعنى فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم فرشفت فانامت وتقديم الظرف في الموضوعين للدلالة على الاختصاص وقال مجاهد فلا نفسهم يهتدون في القبور أي يوطئون المضاجع ويسوقونها في القبور (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) والكافر ين بعدله متعلق بصدعون أو يهدون أي يتفرقون ليجزي الله المؤمنين بما يستحقونه على ان ضرر الكفر لا يعود الاعلى الكافر ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تجاوزه أو يهدون لانفسهم بالاعمال الصالحة ليجزيهم وقال ابن عطية تقديره ذلك ليجزي وتكون الاشارة الى ما تقدم من قوله من كفر ومن عمل قال ابن عباس اشبههم الله ثوابا أكثر من أعمالهم وجعل أبو حيان قسيم قوله الذين آمنوا وعملوا

الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زين لهم أعمالهم فهم يعمهون اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسررون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) قد تقدم الكلام في سورة البقرة على الحروف المقطعة في أوائل السور وقوله تعالى تلك آيات أي هذه آيات القرآن وكاتب مبین أي بين واضح هدى وبشرى للمؤمنين أي انما يحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدق وعمل بما فيه واقام الصلاة المكتوبة وآتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الاعمال خيرا وشرا والجنة والنار كما قال تعالى قل هو للذين

الصالحات

آمنوا هدى وسفاهوا الذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الآيات وقال تعالى لتبشروا بالمتقين وتذريه قومك اولهذ قال تعالى ههنا ان الذين لا يؤمنون بالآخرة أي يكذبون بهم او يستبعدون وقوعها زياتهم أعمالهم فهم يعمهون أي حسبنا لهم ما عم فيه ومددنا لهم في غيرهم فهم يتبهون في ضلالهم وكان هذا جزاء على ما كذبوا به من الدار الآخرة كما قال تعالى ونقلب أفئدتهم وابصارهم كالم يؤمنوا به أول مرة الآية اولئك الذين لهم سوء العذاب أي في الدنيا والآخرة وهم في الآخرة هم الاخسرون أي ليس يخسر انفسهم واموالهم سواهم من اهل المحشر وقوله تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أي وانك بما محمد لتلقى أي

للتأخذ القرآن من لدن حكيم عليم أي من عند حكيم عليم أي حكيم في أمره ونهيه عليم بالامور جليلها وحقيقها خبيره هو الصدق المحض وحكمه هو العدل التام كما قال تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا (اذ قال موسى لاهل ابي آنت نارا سا آتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قيس اعلمكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف انا لا يخاف لدى المرسلون الامن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وأدخل يدك في جيبك تخرج يدا من غير سوء في نسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وخذوا بها واستبقتهما انفسهم ظالموا وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المنسدين) يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مذكرا له ما كان من أمر موسى عليه السلام كيف اصطفاه الله

الصالحات محذوقا لدلالة قوله (انه لا يجب الكافرين) عليه لانه كناية عن بغضه لهم الموجب لغضبه سبحانه وغضبه يستتبع عقوبته وقيل تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس وفيه تهديد ووعد لهم (ومن آياته أن يرسل الرياح) أي ومن دلالات بديع قدرته تعالى ارسال الرياح أي الشمال والصباء والجنوب فانها رياح الرحمة وأما الدبور فهي ريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قرئ الرياح بالجمع والافراد على قصد الجففس لاجل قوله (مبشرات) بالمطر لانها تتقدمه كما في قوله سبحانه بشر ابي ندى رحته (ولمذيقتكم من رحته) أي رسلها لمذيقتكم بها الغيث والخشب أو نعمته من المياه العذبة والاشجار الرطبة وصحة الابدان وما يتبع ذلك من أمور لا يحصىها الا الله وقيل اللام متعلقة بمحذوف أي وأرسلها لمذيقتكم وقيل الواو مزيدة على رأى من يجوز ذلك فتعلق اللام بيرسل ومن تعيضية (و يرسل الرياح لتجربى الفلك) في البحر عند هبوبها ولما أسند الجرى الى الفلك عقبه بشو له (يا امره) أي بتدبيره أو بتكوينه كقوله انما امره اذا اراد شيئا الآية (ولتبتغوا) الرزق (من فضله) بالتجارة التي تجملها السفن (ولعلكم تشكرون) هذه النعم فتفردون الله بالعبادة وتستكثرون من الطاعة (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومك وهذا اسمية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو اعتراض بين الكلامين المتصلين معنى أي قوله ومن آياته أن يرسل الرياح وقوله الله الذي يرسل الرياح وقال أبو حيان جاء تأنيده صلى الله عليه وآله وسلم ووعدا بالنصر ووعيد الاهل الكفر وحقبة نصر المؤمنين على الله لا تختص بالدنيا بل تعم الآخرة أيضا في الآخرة من مساوالات الآية (جاءوهم بالبينات) أي بالمعجزات الواضحات والحجج الثبرات على صدقهم في رسالتهم اليهم فآمن بهم قوم وكفر بهم قوم ويبدل على هذا الاضمار قوله (فاتقنا) بالاهلاك في الدنيا (من الذين أخرجوا) أي فعلوا الاجرام وهي الاثام (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) على الكافرين باهلا كهم وانجاء المؤمنين هذا الخبر من الله سبحانه بان نصره لعباده المؤمنين حق عليه وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد وفيه تشرية للمؤمنين ومنزلة كرامة لعباده الصالحين أخرج الطبراني وابن أبي حاتم وابن مردويه وانترمذي عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من مسلم يرتع عن عرض أخيه الا كان

(٢٦ - فتح البيان سابع) وكلهم وناجوا وأعضاء من الآيات العظيمة الباهرة والادلة القاهرة وابتعثه الى فرعون وملائه لخذوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له فقال تعالى اذ قال موسى لاهل أي اذ كرهين سار موسى باهله فأضل الطريق وذلك في ليل وظلام فآنس من جانب الطور نارا أي رأى نارا تاج وتضطرم فقتل لاهله ابي آنت نارا سا آتيكم منها بخبر أي عن الطريق أو آتيكم منها بشهاب قيس اعلمكم تصطلون أي تتدفقون به وكان كما قال فانه رجوع منها بخبر عظيم واقبس منها نورا عظيما ولهذا قال تعالى فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها أي فلما أتاهم نورا عظيما حيث انتهى

المها والنار تضطرم في شجرة خضراء لا تزاد النار الا توقدوا ولا تزاد الشجرة الاخضرة ونضرة ثم رفع رأسه فاذا نورها متصل بعنان السماء قال ابن عباس وغيره لم تكن ناراً وانما كانت نوراً يتوهج وفي رواية عن ابن عباس نور رب العالمين فوقف موسى متعجباً مما رأى فنودي أن بورك من في النار قال ابن عباس تقديس ومن حواشي أي من الملائكة قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد ابن جبير والحسن وقتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود وهو الطيالسي حدثنا شعبة والمسعودي عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث

(٢٠٢)

عن أبي عبيدة يحدث ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل زاد المسعودي وجابه النور والنار لو كشفه لاحت سحبات وجهه كل شيء أدركه بصره ثم قرأ أبو عبيدة أن بورك من في النار ومن حواشي وأصل الحديث مخرج في صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة وقوله تعالى وسبحان الله رب العالمين أي الذي يفعل ما يشاء ولا يشبهه شيء من مخلوقاته ولا يحيط به شيء من مصنوعاته وهو العلي العظيم المبين لجميع المخلوقات ولا يكتنفه الارض والسموات بل هو الاحد الصمد المنزه عن مماثلة المحدثات وقوله تعالى يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم اعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الذي عز كل شيء وقهره وغلبه الحكيم في أقواله وأفعاله ثم أمره أن يلقى عصاه من يده ليظهر له دليلاً واضحاً على أنه الفاعل المختار القادر على كل شيء فلما أتى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حية عظيمة دائمة في غاية

حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم قلا وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهو من طريق شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء (الله الذي يرسل الرياح) قرئ بالجمع والافراد قال أبو عمرو وكل ما كان بمعنى الرحمة فهو جمع وما كان بمعنى العذاب فهو موحد وهي مسوقة لبيان ما سبق من أحوال الرياح (فتشربها) أي ترجمه وتمجبه وتحركه (فيبسطه) أي ينشره من صلابه ببعضه أي ينشره كمال الانتشار والافصل الانتشار موجود في السحاب دائماً (في السماء) أي في سموات السماء وجهتها وشقها كقوله وفرعها في السماء أي في جهة العلو وليس المراد حقيقة السماء المعروفة (كيف يشاء) تارة سائر اوتارة واقفا وتارة مطبقة وتارة غير مطبقة وتارة الى مسافة بعيدة وتارة الى مسافة قريبة وتارة من ناحية الشمال وتارة من ناحية الجنوب أو الدور أو الصبا وقد تقدم تفسير هذه الآية في البقرة وفي سورة النور (ويجعل كسفاً) تارة أخرى أو يجعله بعد بسطه قطعاً متفرقة بعضها فوق بعض والكسف جمع كسفة بالكسر وهي القطعة من الشيء أو السحاب وقرئ بفتح السين وسكونها والمسكن مخفف من المحرك بمعنى والقراءتان سبعيتان وجمع الجع أ كساف وكسوف وكسفه بكسفه قطعاً (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من بينه ووسطه (فاذا أصاب به) أي بالودق (من يشاء من عباده) أي بلادهم وأرضهم (إذا هم يستبشرون) إذا هم الفجائية أي فاجوا الاستبشار بمعنى المطر والخصب والاستبشار الفرح (وان) أي وان الشأن وفسر الخليل ان بقدرت بما لا يغوى والاول أولى ويبدل له اللام في لم يسكن فأنها اللام الفارقة (كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر (من قبله) تكرر يرادنا كيداً قاله الاخفش وأكثر النحويين كما حكاه عنهم النحاس كقوله فكان عاقبتهم ما أنهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيها على ما قاله الزمخشري الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تناول فاستحكم باسمهم وتمادي ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك قال السمين وهو كلام حسن وقال ابن عطية وفائدة هذا التأكيده الاعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار وذلك ان قوله من قبل أن ينزل عليهم يحتمل القسحة في الزمان أي من قبل ان ينزل بكثير كالايام بخلاف قوله من قبله بمعنى ان ذلك متصل بالمطر فهو تأكيده مفيد وقال قطرب ان الضمير في قبله راجع الى المطر أي وان كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر قيل

الكبر وسرعة الحركة مع ذلك ولهذا قال تعالى فلما رأاهم تهتمر كأنها جان واجان ضرب من الحيات أسرع المعنى

حركة وأكثره اضطراباً وفي الحديث شهي عن قتل جنان البيوت فلما عاين موسى ذلك ولى مدبراً ولم يعقب أي لم يلتفت من شدة فرقه يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدى المرسلون أي لا تخف مما ترى فاني أريد أن أصطفيك رسولاً وأجعلك نبياً وحيها وقوله تعالى الامن ظم ثم بدل حسناً بعد سوء فاني غفور رحيم هذا الاستثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر وذلك أن من كان على عمل سيئ ثم أقنع عنه ورجع وتاب وأب فان الله يتوب عليه كما قال تعالى واني لعاف للذين تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وقال تعالى ومن يعمل



سواءً أو يظلم نفسه الآية والآيات في هذا كثيرة جدا وقوله تعالى وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء هذه آية أخرى ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار وصدق من جعل له مجزة وذلك أن الله تعالى أمره أن يدخل يده في جيب درعه فإذا أدخلها وأخرجها خرجت بيضاء ساطعة كأنها قطعة قر لها المعان تلامها كالبرق الخاطف وقوله تعالى في تسع آيات أي هاتان اثنتان من تسع آيات أو يدك بين واجعلهن برهاناً لك إلى فرعون وقومه أنهم كانوا قوماً فاسقين وهذه هي الآيات التسع التي قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات كما تقدم تقرر ذلك (٢٠٣) هنالك وقوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة

مبصرة أي بينة واضحة ظاهرة قالوا هذا حصر مبين وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين ووجدوا أي في ظاهر أمرهم واستيقنتها أنفسهم أي علوا في أنفسهم أنهم أحق من عند الله ولكن جحدوها وعاندوها وكبروا وظلموا وعلوا أي ظلموا أنفسهم بحجة ملعونة وعلوا أي استكبروا عن اتباع الحق ولهذا قال تعالى فأنظر كيف كان عاقبة المنافقين أي أنظر يا محمد كيف كان عاقبة أمرهم في اهلاك الله إياهم وانغراقهم عن آخرهم في صيحة واحدة وغوى الخطاب يقول احذروا أيها المكذبون لمحمد الجاحدون لما جاء به من ربه أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأخرى فإن محمد صلى الله عليه وسلم أشرف وأعظم من موسى وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده في نفسه وشماله وما سبقه من البشارات من الأنبياء به وأخذوا سبق له عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام (ولقد

المعنى من قبل تنزيل الغيث عليهم من قبل الزرع والمطر وقبل من قبل ان ينزل عليهم من قبل السحاب أي من قبل رؤيته واختار هذا النحاس وقيل الضمير عائذ إلى الكسف وقيل إلى الأرسال وقيل إلى الاستبصار والراجح الوجه الأول وما بعده من هذه الوجوه كلها في غاية التكلف والتعسف (المبسين) أي أبين يقال أبلس الرجل ابلاسا سكت وأبلس أيس وقد تقدم تحقيق الكلام في هذا (فانظر إلى آثار رحمة الله) الناشئة عن انزال المطر من النبات والثمار والزرع التي بها يكون الخصب ورخاء العيش أي انظر نظراً اعتبار واستبصاراً تستدل بذلك على توحيد الله وقدرته بهذا الصنع العجيب والثناء للدلالة على سرعة ترتيبها عليه وقرئ أثر بالتحديد وأثر بالجمع سبعة (كيف يحيي الأرض بعد موتها) فاعل الأحياء ضمير يعود إلى الله سبحانه وقيل ضمير يعود إلى الأثر أي انظر إلى كيفية هذا الأحياء البديع للأرض بعد موتها والمراد بالنظر التنبيه على عظيم قدرته وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لامر البعث وقرئ يحيي بالفوقية على أن فاعله ضمير يعود إلى الرحمة أو إلى الآثار (أن ذلك) أي أن الله العظيم الشأن المخترع لهذه الأشياء المذكورة (يحيي الموتى) أي لقادر على أحيائهم في الآخرة وبعثهم ومجازاتهم كما أحيى الأرض الميتة بانظر وهذا استدلال بأحياء الموات على أحياء الاموات (وهو على كل شيء قدير) أي عظيم القدرة وكثيرها وهذا من جملة المقدرات بتدليل الانشاء (وانزل أنزلنا ريحاً مضره وهي الريح الدبور التي أهلكتهم أعاد (قرأوه) أي الزرع والنبات الذي كان من أثر رحمة الله (مصفرأ) من البرد الناشئ عن الريح التي أرسلها الله بعد اخضرارها وقيل الضمير راجع إلى الريح وهو يجوز تذكيره وتأنيته وقيل راجع إلى الأثر المدلول عليه بالأثر وقيل راجع إلى السحاب لأنه إذا كان مصفرأ لم يطر والأول أولى واللأم هي الموطئة وجواب القسم قوله تعالى (لظلوا من بعده) وهو يدل على مسد جواب الشرط لأنه اجتمع هنا شرط وقسم والشرط مؤخر فيجوز حذف جوابه دلالة عليه بجواب القسم على القاعدة والمعنى وباللثة أرسلنا ريحاً حارة أو باردة فضربت زرعهم بالصفرة لظلوا من بعد ذلك (يكثرون) بالله ويجحدون نعمه والمعنى أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذاباً على زرعهم لم يحدوا سائفة نعمتي وفي هذا دليل على سرعة تظلمهم وعدم صبرهم بضعف قلوبهم وليس كذا حال أهل الإيمان ثم شبههم بالموتى وبالصم فقال (فانك لا تسمع الموتى)

آتينادودوسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطلق الطير وأوتينا من كل شيء هذا هو النصل المدين وحشر سليمان جنوده من الجن والانس والطيور فهم يزعون حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت غملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين) يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبيه داود وابنه سليمان عليهم السلام من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة والصناعات الجميلة

وما جمع لهم ما بين سفادة الدنيا والآخرة الملك والتمكين التام في الدنيا والنبوة والرسالة في الدين ولهذا قال تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين قال ابن أبي حاتم ذكر عن ابراهيم بن يحيى بن هشام أخبرني أبي عن جدي قال كتب عمر بن عبد العزيز ان الله لم يسمع على عبده نعمة فحمد الله عليها الا كان حمدا أفضل من نعمة لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين فاي نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان عليهم السلام (٢٠٤) وقوله تعالى وورث سليمان داود أي في الملك والنبوة وليس المراد

وراثته المال اذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود فانه كان لداود مائة امرأة ولكن المراد بذلك وراثته الملك والنبوة فان الانبياء لا تورث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله نحن معاصر الانبياء لا نورث ما تركوا فهو صدقة وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء أي أخبر سليمان بنم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم حتى انه سخر له الانس والجن والطيور وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضا وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله ومن زعم من الجهلة والرعاع أن الحيوانات كانت تنطق كتنطق بنى آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتوهمه كثير من الناس فهو قول بلا علم ولو كان الامر كذلك لم يكن تخصيص سليمان بذلك فائدة اذ كلهم يسمع كلام طيور والبهائم ويعرف ما تقول وليس الامر كما زعموا ولا كما قالوا بل لم ترزل البهائم والطيور وسائر الخلقات

أي موقى القلوب اذ دعوتهم فكذا هو لاء لعدم فهمهم للحقائق ومعرفة لهم للصواب (ولا تسمع الصم الدعاء) اذ دعوتهم الى الحق ووعظتهم وعراظ الله وذكرتهم الآخرة وما فيها (اذا ولوا تدبرين) بيان لاعراضهم عن الحق بعد بيان كونهم كالاموات وكونهم صم الاذان وقد تقدم تفسير هذا في سورة النمل فان قلت الا صم لا يسمع مقبلا أو مدبرا فما فائدة هذا التخصيص قلت هو اذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فاذا ولى لا يسمع ولا يفهم بالاشارة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاهل بدر والاستناد ضعيف والمشهور في الصحيحين وغيرهما ان عائشة استدات به هذه الآية على رد روايتها من روى عن الصحابة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نادى أهل قلب بدر وهو من الاستدلال بالنعام على رد الخاص فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قيل له انك تنادى أجسادا بالية ما أنتم يا سمع لما أقول منهم وفي مسلم من حديث أنس ان عمر بن الخطاب لما سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يناديهم فقال يا رسول الله تناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون يقول الله انك لا تسمع الموقى فقال والذي نفسي بيده ما أنتم يا سمع منهم وانكمهم لا يطيقون ان يجيبوا ثم وصفهم بالعمى فقال (وما أنتم جادى العمى عن ضلالتهم) ان تقدمهم للانتفاع بالابصار كما ينبغي أو لتقدمهم للبصائر (ان) أي ما تسمع الامن يؤمن بآياتنا) لكونهم أهل التفكير والتدبر والاستدلال بالآثار على المؤثر (فهم مسلمون) أي منذ ادون للعق متبعون له وفيه مرعاة معنى من (الله الذي خلقكم) ذكر سبحانه استدلالا آخر على كمال قدرته وهو خلق الانسان نفسه على أطوار مختلفة كما قال (من ضعف) أي بدأكم وأنشأكم على ضعف وهو مصدر ضد القوة قال الواحدى قال المفسرون من نطفة كقواه من ماء مهين أي ذى ضعف وقيل المراد حال الطفولية والصغر فهذه أحوال غاية الضعف قرئ بضم الضاد في هذه المواضع وبفتحها وهما سبعيتان قال الفراء الضم لغة قريش والفتح لغة تميم قال الجوهري الضعف والضعف خلاف القوة والحكمة وقيل هو بالفتح في الرأى وبالضم في الجسم وأجاز الكوفيون ضعف بفتحين (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وهي قوة الشباب وبلوغ الاشفاقه اذا الم تـ تصكم القوة ونشئت الخلقه الى بلوغ النهاية (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) أي عند الكبر والهرم (وشبهة) هي تمام الضعف ونهاية الكبر وقيل يبيض الشعر الاسود ويحصل أوله

من وقت خلقت الى زمانها هذا على هذا الشكل والمواضع ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يحتاجه الطيور في الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها ولهذا قال تعالى علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء أي مما يحتاج اليه الملك ان هذا هو الفضل المبين أي الظاهر البين لله علينا قال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن المدايب عن أي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان اذا خرج أغلقت الابواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع قال فخرج ذات يوم وأغلقت الابواب فاقبلت امرأة تطاع الى الدار

فاذا رجع قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة والله لفتضحن بداود فخاء داود عليه السلام فاذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود من أنت فقال الذي لا يهاب الملوك ولا يمنع من الحجاب فقال داود أنت اذا والله ملك الموت من جبابرة الله فدخل داود مكانه حتى قبضت نفسه حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال سليمان عليه السلام للطير اظلي داود فظلت عليه الطير حتى اظلمت عليه الارض فقال لها سليمان انبضي جناح جناحا قال أبوهريرة قال رسول الله كيف فعلت الطير فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وغلبت عليه يومئذ (٢٠٥) المضرجية قال أبو النرح ابن الجوزي

المضرجية هي السور والحجر وقوله تعالى وحشر سليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون اي وجمع سليمان جنوده من الجن والانس والطير يعني ركب فيهم في ابهة وعظمة كبيرة في الانس وكانوا هم الذين يلونه والجن وهم بعدهم في المنزلة والطير ومنزلتها فوق رأسه فان كان حراً اظلمت منه باجنحتها وقوله فهم يوزعون اي يكف أولهم على آخرهم لتلايتهم احد عن منزلته التي هي من تيمله قال مجاهد جعل على كل صنف وزعة يردون اولاه على آخرها لتلايتهم في المير كما يفعل الملوك اليوم وقوله حتى اذا أتوا على وادي النمل اي حتى اذا امر سليمان عليه السلام عن معه من الحيوش والجنود على وادي النمل قالت نلة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان و جنوده وهم لا يشعرون فاورد ابن عساكر من طريق اسحق بن بشر عن سعيد عن قتادة عن الحسن ان اسم هذه النلة حرس وانها من قبيلة يقال لهم بنو الشيطان وانها كانت عرجاء وكانت

في الغالب في السنة الثالثة والاربعين وهو أول سن الاكمال والاخذ في النقص بالنعل بعد الخمسين الى أن يزيد النقص في الثالثة والستين وهو أول سن الشيخوخة ويقوى الضعف الى ما شاء الله تعالى (يخلق ما يشاء) من جميع الاشياء ومن جملتها التوبة والضعف والشباب والشبهة في بني آدم (وهو العليم) بتدبيره وأحوالهم (القدير) على خلق ما يريد وتغييرهم وهذا الترديد في الاحوال أبين دليل على الصانع القادر (ويوم تقوم) أي توجد وتحصل (الساعة) أي القيامة وهي النفخة الثانية وسميت ساعة لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا اولانها تقع بغتة (يقسم المجرمون) أي يحلف المشركون والكافرون المنكرون للبعث بانهم (ما لبثوا) في الدنيا قاله الخطيب والكشاف والقاضي أو في قبورهم قاله مقاتل والمكابي (غير ساعة) فيمكن ان يكونوا استقلوا مدة لبثهم واستقر ذلك في اذهانهم فلفوا عليه وهم يظنون ان حلتهم مطابق للواقع وقال ابن قتيبة انهم كذبوا في هذا الوقت كما كانوا يكذبون من قبل وهذا هو الظاهر لانهم ان أرادوا البتة في الدنيا فقد علم كل واحد منهم مقداره وان أرادوا البتة في القبور فقد حلفوا على جهالة ان كانوا لا يعرفون الاوقات في البرزخ (كذلك) الصنف (كلوا يوفى كونه) أي يصرفون ويقولون ما هي الاحياء الدنيا وما نحن بعبوعين يقال افك الرجل اذا صرف عن الصدق والحق وقيل المراد يصرفون عن الحق وقيل عن الخير والاول أولى وهو دليل على ان حلفهم كذب (وقال الذين أتوا العلم والايان) اختلف في تعيين هؤلاء فقيل الملائكة وقيل الانبياء وقيل علماء الامم وقيل مؤمنو هذه الامة ولا مانع من الحمل على الجميع قالوا رد على هؤلاء الكفرة وتكذيبهم (لقد ابدنتم في كتاب الله) أي سابق علمه وسائق قضائه (الي يوم البعث) قال الزجاج في علم الله المنبت في اللوح المحفوظ قال الواحدى المفسرون جملوا هذا على التقديم والتأخير على تقدير وقال الذين أتوا العلم في كتاب الله وكان رد الذين أتوا العلم عليهم باليمين للتأكد ولما مقابله لليمين باليمين ردوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعواهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريرهم على انكار البعث فنبهوهم على طريقة التبيكيت بقولهم (فهذا) الوقت الذي صار وافية هو (يوم البعث) الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وقيل الفناء جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم تنكرون للبعث فهذا يومه أي فقد تبين بطلان انكاركم (را كنتم كنتم لانعلمون) انه حق وقوعه في

بقدر انك أي حفت على النمل ان تحطمها الحيول بجوارها فامرهم بالدخول الى مساكنهم فنبههم ذلك سليمان عليه السلام منها فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب اوزعني ان أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحاً ترضاه أي الهمني ان أشكر نعمتك التي مننت بها علي من تعليمي منطق الطير والحيوان وعلى والدي بالاسلام لك والايان بك وان أعمل صالحاً ترضاه أي عملاً تحبه وترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين أي اذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك والرفيق الاعلى من أوليائك ومن قال من المفسر بن ان هذا الوادي كان بارض الشام أو بغيره وان هذه النلة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك

من الاقارب فلاحاصل لها وعن نوف البكالى أنه قال كان غل سليمان أمثال الذئب هكذا رأيت مضبوطا بالياء المشاة من تحت وانما هو بالياء الموحدة وذلك تعريف والله أعلم والغرض أن سليمان عليه السلام فهم قولها وتبسم ضاحكاً من ذلك وهذا أمر عظيم جدا وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن بشر حدثنا يزيد بن هرون أن أبا ناه سهير عن زيد العمى عن أبي الصديق الناجي قال خرج سليمان بن داود عليهم ما السلام يستبقي فاذا هو بمكة مسلة تلقية على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن سقيك (٢٠٦) والانسفة انهم لكافة قال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم

الدنيا بل كنتم تستجلبونه تكديبا واستنزاء (فيرمذ) البناء تفصيل لما يفهم مما قبلها من انه لا يفيدهم تقليل مدة اللبث ولا النسيان أو وجود شرط مقدرا أيضا (لا ينفع الذين ظلموا وعذرتهم) أي لا ينفعهم الاعتذار يومئذ ولا يفيدهم علمهم بالقيامة كأنهم توهموا ان التقاليد ونحوه عذر في عدم طاعتهم كقوله أولم نعمركم ما يتذكرون فيه من تذكر وقيل لما رد عليهم المؤمنون سألو الرجوع الى الدنيا واعتذروا ولم يعذروا قرئ لا ينفع بالتحسنة وبالقبولية وهما سبب بيان (ولا هم يستعجبون) أي لا يطلب منهم العتبي وهو الرجوع الى ما يرضى الله من التوبة والعمل الصالح وذلك لانه قطع التكليف في ذلك اليوم يقال استعنته فاعتبتني أي استرضيته فأرضاني وذلك اذا كنت جائعا عليه وحقيقته أعتبته أزلت عتبه والمعنى أنهم لا يدعون الى ازالة عتبتهم من التوبة والطاعة كدعوة الى ذلك في الدنيا (ولقد ضمر بنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غير افعالهم وقصصنا عليهم كل قصة بحسب الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصصنا وما يقولون وما يقال لهم وما لا يتبع من اعتذارهم ولا يسمع من استعجابهم وكذا ضمر بنا لهم من كل مثل من الامثال التي تدلهم على توحيد الله وصدق رسوله واجتماعنا عليهم بكل حجة تدل على بطلان الشرك وفيه اشارة الى ازالة الاعتذار والايان بما فوق الكفاية من الانذار (ولئن جئتمهم بآية) من آيات القرآن الناطقة بذلك ولئن جئتمهم بآية كالعصا واليد وجئتمهم بكل آية جاءت به الرسل (ليقولن الذين كفروا) منهم (ان انتم الا مبطلون) أي ما أنت يا محمد وأصحابك الا مبطلون الباطل يتبعون السحر وما هو مشا كل له في البطلان أو انكم كلكم أي الرسل مبطلون واللام مؤكدة واقعة في جواب القسم (كذلك) الطبع (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي الفاقدين للعالم النافع الذي يهتدون به الى الحق والتوحيد وينجون به من الباطل والشرك والمصرين على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب الحق ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر مع ذلك بحقيقة وعده سبحانه وعدم الخلف فيه فقال (فأصبر) على ما نهى الله عنهم من الأذى وتنظره من الأفعال الكفرية والفناء فصيححة (ان وعد الله حق) وقد وعدك بالنصر عليهم واعلاء حجتك واطهار دعوتك ووعدك حق لا خلف فيه (ولا يستخفونك) أي لا يحملونك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الخفة والجهل

وقد ثبت في الصحيح عندهم سلم من طريق عبد الرزاق عن معمر بن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قرصت نبيامن الانبياء منة فامر بقرية النمل فاحرق فاحرق الله اليه أي أن قرصتك غلة أهلكت امة من الامم تسبح فهل انغله واحدة وتفقد الطير فقال مالي لأرى الهدى أم كان من الغائبين لأعذبه عذابا شديدا أو لاذبجنته أوليا تبني سلطان ميين) قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما عن ابن عباس وغيره كان الهدى مهندسا يدل سليمان عليه السلام على الماء اذا كان بارض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الارض كما يرى الانسان الشيء الظاهر على وجه الارض ويعرف كم مساحة بعده من وجه الارض فاذا اداهم عليه أمر سليمان عليه السلام الجان فخرسوا والذئب ذلك المكان حتى يستنبط الماء من قراره فنزل سليمان عليه السلام يوما بفلاة من الارض فتفقد الطير ليرى الهدى فله فله فقال مالي لأرى الهدى أم كان من الغائبين حدث

يوما عبد الله بن عباس بنحو هذا وفي القوم رجل من الخوارج يقال له نافع بن الأزرق وكان كبير الاعتراض على ابن عباس فقال له فقبا ابن عباس غلبت اليوم قال ولم قال انك تخبر عن الهدى انه يرى الماء في تخوم الارض وان الصبي ليضع له الحبة في الفخ ويحشو على الفخ ترابا فيجى الهدى ليأخذها فيقع في الفخ فيصيده الصبي فقال ابن عباس لولا ان يذهب هذا فيقول رددت على ابن عباس لما أحبته ثم قال له ويحك انه اذا نزل القدر عمى البصر وذهب الحد فقال له نافع والله لا أجادل في شيء من القرآن أبدا وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله البرزى من أهل برزعة من حواط دمشق

وكان من الصالحين يصوم يوم الاثنين والخميس وكان أعور قد بلغ الثمانين فروى ابن عساكر بسنده إلى أبي سليمان بن زيد أنه سأله عن سبب عورته فاستمع عليه فالح عليه ثم ورا فأخبره أن رجلين من أهل خراسان نزلوا عنده جمعة في قرية بقرية وسألاه عن واريها فأر يتم ما يراه فأخر جاجها مرأ وأوقدا فيم الجحور كثيرة حتى يجمع الوادي بالذخن فاخذوا يعزمان والحيات تقبل من كل مكان اليهم أفلا يلتفتان إلى شيء منها حتى أقبلت حية نحو الذراع وعيناها تومقدان مثل الدينار فاستبمرا عظيمها وقالوا الحمد لله الذي لم يخيب سفرنا من سنة وكسرا المجاهر واخذ الحية فأدخلها في عينها ميلا فاكحلها به (٢٠٧) فسألتهما ان يكحلاني فأيا فالححت عليهما

وقلت لا بد من ذلك وتوعدهتم ما بالدولة فكحلنا عيني الواحدة اليمنى فحين وقع في عيني نظرت إلى الأرض حتى مثل المرأة أنظر ما تحتها كما ترى المرأة ثم قال لي سر معنا قليلا فسرت معهما وهما يحدثنني حتى اذا بعدت عن القرية اخذاني فكنت فاني وادخل احدهما يده في عيني ففتأها ويرجى بها ومضى فلم ازل كذلك ملطقي مكا فوفا حتى مر بي نفر ففك وثاني فهدا ما كان من خبر عيني وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن عمرو الغساني حدثنا عباد بن مسيرة المقرئ عن الحسن قال اسم هدهد سليمان عليه السلام عنده وقال محمد بن اسحق كان سليمان عليه السلام اذا غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه تنقد الطير وكان فيما رجع عن يأتيه نوب من كل صنف من الطير كل يوم طائر فنظر فرأى من أصناف الطير كاهما من حضره الا الهدهد فقال مالي لأرى الهدهد أم كان من الغائبين أخطأ بصرى أم غاب فلم يحضر

وانطيش بترك الصبر ولا يستقر نك عن دينك وما انت عليه يقال استخف فلان فلانا أي استجله حتى حمله على اتساعه في الغي وقرئ من الاستخفاف والنهي في الآية من باب لا اريتك ههنا (الذين لا يؤمنون) بالله ولا يصدقون انبياءه ولا يؤمنون بكتبه ولا بالبعث والحساب

**\* (سورة لقمان آياتها ثلاث أو أربع وثلاثون آية) \***

وهي مكية الا ثلاث آيات وهي قوله تعالى ولو أن ما في الأرض من شجرة اقلام إلى تمام الآيات الثلاث قاله ابن عباس وعنه انه مكية ولم يسمة من وعن قتادة انه مكية الا آيتين غديتان وأخرج النسائي وابن ماجه عن البراء قال كان صلى خفف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الظهر نسمع منه الآية بعد الآية من سورة لقمان والذاريات

**\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \***

(الم) الله أعلم بمراده به وقد قدم الكلام على مثل فاتحة هذه السورة فلان عبيده (تلك آيات الكتاب الحكيم) وقد تقدم أيضا بيان مرجع الاشارة مرارا في نظائرها والحكيم اما ان يكون بمعنى مفعول أو بمعنى فاعل أو بمعنى ذي الحكمة أو الحكيم فائله والاضافة بمعنى من (هدى ورجية) قال الزجاج المعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرجية وقرئ بالرفع أي هو هدى ورجية (المعصين) المحسن العامل للحسنات أو من يعبد الله كأنه يراه كما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيح لما سأله جبريل عن الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ثم وصفهم بقوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) وخص هذه العبادات الثلاث لانها عمدتها (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المنفلتون) قد تقدم تفسير هذا في أوائل سورة البقرة والمعنى هنا أن أولئك المتصفين بالاحسان وفعل تلك الطاعات التي هي اموات العبادات هم على طريقة الهدى وهم المنفلتون بطاهم الظافرون بخير الدارين (ومن الناس من يشتري من امام موصولة أو موصوفة ومفردا لفظا جمع معنى وروى لفظها أو لاقى ثلاثة ضمائر يشتري ويضل ويتخذ وروى معناها ثانيا في موضعين وهما ولئلك لهم ثم يرجع إلى مراعاة اللفظ في حصة ضمائر وهي واذا تتلى عليه الخ (لهو الحديث) وهو كل باطل

وقوله لا عذبة عذابا شديدا قال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن ابن عباس يعني تقديره وقال عبد الله بن شداد تقديره وثميسه وكذا قال غير واحد من السابق انه تقديره وتر كملتي يا كاه الذر والنمل وقوله أولاد بجمعه يعني قتله أو ايامي بسطان ميين بعدد بين واضح وقال سفيان بن عيينة وعبد الله بن شداد لما قدم الهدهد قالت له الطير ما خلفك فقد نذر سليمان دمك فقال هل استثنى قالوا نعم قال لا عذبة عذابا شديدا ولا ذبحه أو ايامي بسطان ميين قال سبحوت اذا قال مجاهد انما دفع الله عنه ببره بانه (فكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبابا يبين اني وجدت امرأة تملككم وأوتيت

من كل شيء ولها عرش عظيم ووجدتم اوقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبث في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) يقول تعالى فكذلك الهدى غير بعيد أي غاب زمانا يسيرا ثم جاءه فقال لسليمان أحطت بما لم تحيط به أي اطلعت على ما لم تطالع عليه أنت ولا جنودك وحيثك من سبأ بنبا يقين أي يجزي برصدق حق يقين وسبأهم جبروهم ملوك اليمن ثم قال اني وجدت امرأة تملكهم قال الحسن (٢٠٨) البصرى وهى بالقيس بنت شراحيل ملكة سبأ وقال قتادة

يلهى ويشغل عن الخير من الغناء والملاهي والأحاديث المكذوبة والأضاحيك والسرير بالاساطير التي لأصل لها والخرافات والقصص المختلفة والمعازف والمزامير وكل ما هو منكروم والأضاحيك بيانة أي اللهو من الحديث لان اللهو يكون حديثا وغيره فهو ككثوب خز وهذا الأبلغ من حذف المضاف وقيل المراد شراء القينات المغنيات والمغنين فيكون التقدير من يشتري اهل اللهو الحديث قال الحسن لهو الحديث والمعازف والغناء وروى عنه أنه قال هو الكفر والشرك وفيه بعد والمراد بالحديث الحديث المنكر والمعنى يختارون حديث الباطل على حديث الحق قال القرطبي ان أولى ما قيل في هذا الباب هو تفسير لهو الحديث بالغناء قال وهو قول الصحابة والتابعين قال ابن عباس لهو الحديث باطله وهو في النضر بن الحرث بن علقمة اشترى أحاديث الاعاجم وأخبار الاكسرة وصنمهم في دهرهم وكان يكتب الكتب من الحيرة الى الشام ويحدث بها قريشاويكذب القرآن وعنه قال هو الغناء وأشباهاه اخرج البخاري في الادب المفرد وعنه قال الجوارى الضاربات وعن ابن مسعود قال هو والله الغناء وفي لفظ قال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وعن ابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا هو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه وقيل هو كل لهو وعب والمعنى يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن واخرج احمد والترمذي وابن ماجه والطبراني والبيهقي وغيرهم عن أبي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تبعوا القينات ولا تشتروهن ولا خيري في تجارة فيهن وتنهن حرام في مثل هذا أنزات هذه الآية وفي اسناده عبيد بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم بن عبد الرحمن وفيهم ضعف وأخرج ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي وابن مردويه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله حرم القينة وبيعها وتعلمها والاستماع اليها ثم قرأ ومن الناس من يشتري لهو الحديث وأخرج البيهقي في السنن وابن أبي الدنيا وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغناء يثبت النفاق كما يثبت الماء البقل وروياه عنه موقوفا وأخرج ابن أبي الدنيا وابن مردويه عن أبي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما رفع أحد صوته بغناء الا بعث الله اليه شيطانا يجلسان على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يمساك وأخرج الترمذي عنه مر فوعا نحوه

كانت أمها جنيمة وكان مؤخر قدمها مثل حافر الدابة من بيت مملكة وقال زهير بن محمد هدى بالقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنيمة وقال ابن جرير بلقيس بنت ذى سرخ وأمها بلقيعة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا مسدد حدثنا سفيان بن عيينة عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال كان مع صاحبة سليمان مائة الف قيل تحت كل قيل مائة ألف وقال الاعمش عن مجاهد كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل تحت كل قيل مائة الف مقاتل وقال عبد الرزاق أنا ما معمر عن قتادة في قوله تعالى اني وجدت امرأة تملكهم كانت من بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثمانمائة واثني عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل وكانت بارض يقال لها مارب على ثلاثة اميال من صنعاء وهذا القول هو أقرب على انه كذب على مملكة اليمن والله أعلم وقوله وأوتيت من كل شيء أي من متاع الدنيا مما يحتاج

اليه الملك المتكبر ولها عرش عظيم يعني سرير تجلس عليه عظيم هائل من خرف بالذهب وأنواع الجواهر والآتي قال زهير بن محمد كان من ذهب وصفحته من مولتان بالياقوت والزربرجد طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وقال محمد بن اسحق كان من ذهب مفصص بالياقوت والزربرجد واللؤلؤ وكان انما يخدمها النساء ولها ستمائة امرأة تلى الخدمة قال علماء التاريخ وكان هذا السير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم وكان فيه ثلثمائة وستون طاقت من مشرقه ومثلها من مغربه قد وضع بناؤه على ان تدخل الشمس كل يوم من طاقتة وتغرب من مقابلتها فيسجدون لها اصباحا ومساء

وفي

ولهذا قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أى عن طريق الحق فهم لا يتدنون وقوله ألا يسجدوا لله معنا ومن زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يتدنون ان لا يسجدوا لله أى لا يعرفون سبيل الحق التى هى اخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها كما قال تعالى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للنجم الا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون وقرأ بعض القراء الا يسجدوا لله جعلها الا الاستغاحية وبالنداء (٢٠٩) وحذف المنادى تديريه عنده ألا يا قوم

اسجدوا لله وقوله الذى يخرج الخبث فى السموات والارض قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعلم كل خبيثة فى السماء والارض وكذا قال عن كرمه ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد وقال سعيد بن المسيب الخبث الماء وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبث السموات والارض ما جعل فيها من الارزاق المطر من السماء والنبات من الارض وهذا مناسب من كلام الهدى الذى جعل الله فيه من الخاصة ما ذكره ابن عباس وغيره من أنه يرى الماء يجرى فى تخوم الارض وداخلها وقوله ويعلم ما تخفون وما تعلمون أى يعلم ما يحق فيه العباد وما يعاونونه من الاقوال والافعال وهذا كقوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار وقوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم أى

وفى الباب أحاديث فى كل حديث منها مقال وقال ابن مسعود لهو الحديث الرجل يشتري جارية تغنيه ليلاً ونهاراً وعن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى لهو الحديث انما ذلك شراء الرجل للعب والباطل أخرجه ابن مردويه وعن نافع قال كنت أسير مع عبد الله بن عمر فى طريق فسمع زمارة فوضع اصبعه فى أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع اسمع قلت لا فاخرج اصبعه من أذنيه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صنع وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انما سميت عن صوتين أحق من صوتين أحق صوت عند نعمة لهو ومن امير شيطان وصوت عند مصيبة خش وجوه وشق جيوب ورنه شيطان (ليضل عن سبيل الله) اللام للتعليل قرئ بضم الياء أى ليضل غيره عن طريق الهدى ومنهاج الحق وقرئ بفتح الياء أى ليضل هو فى نفسه ويدوم ويستمر ويثبت على الضلال وهما سبعتان قال الزجاج من قرأ بضم الياء فغناه ليضل غيره فاذا أضل غيره فقد ضل هو ومن قرأ بفتح فغناه لصير امره الى الضلال وهو ان لم يكن يشتري الضلالة فان امره الى ذلك فاذا هذا التعليل انه انما يستحق الذم من اشترى لهو الحديث لهذا المقصد ويؤيد هذا سبب النزول قال ابن عباس سبيل الله قراءة القرآن وذكر الله نزلت فى رجل من قريش اشترى جارية معتمية قال الطبرى قد أجمع علماء الامصار على كراهة الغناء والمنع منه وانما فارق الجماعة ابراهيم بن سعد وعبد الله العنبري قال القسائى أبو بكر بن العري يجوز للرجل ان يسمع غناء جاريته اذ ليس شئ منها عليه حرام الا من ظاها ولا من باطنها فكيف يمنع من التلذذ بصوتها وقال فى نيل الاوطار بعد ذكر الاختلاف فيه مع الادلة لا يخفى على الناظر ان محل النزاع اذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج عن دائرة الاشتباه والمؤمنون وقافون عند الشهات كما صرح به الحديث الصحيح ومن تركها فقد استبرأ عرضه ودينه ومن حرم حول الحى يوشك أن يقع فيه ولا سيما اذا كان مشتهلا على ذكر القدر والحدود والجمال والذلال والهجر والوصال ومعاقرة العقار وخلع العذار والوفار فان سامع ما كان كذلك لا يخلو عن بليمة وان كان من التصلب فى ذات الله على حديثه عن الوصف وكل هذه الوسيلة الشيطانية من قبيل دمه مظلوم وأسيرهم موم غرامه زهبا منه مكبول نسأل الله السداد والنبات قلت وقد جمع الشوكلى رسالة مشتهلة على أقوال أهل العلم فى الغناء وما استدل

(٢٧ - فتح البيان سابع) هو المدعو لله وهو الذى لا اله الا هو رب العرش العظيم أى الذى ايس فى الخلقات أعظم منه ولما كان الهدى دعا عيا الى الخير وعبادة الله وحده والسجود له نهى عن قتله كما رواه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدى والصراد واستاده صحيح (قال سنن طرا صدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكابى هذا فألقه اليهم ثم قول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها المسئلة انى ألقى الى كتاب كريم انفس سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلموا عنى واتمنى مسلمان)

يقول تعالى مخبراً عن قبيل سليمان للهدهد حين أخبره عن أهل سبأ ومملكتهم قال سننظر أصدقت أم كذبت من الكاذبين  
 أي أصدقت في أخبارك هذا أم كذبت من الكاذبين في مقالتك لتخلص من الوعيد الذي أوعدهتك اذهب بكأي هذا  
 فالفقه اليهم ثم نزل عنهم فانظر ماذا يرجعون وذلك ان سليمان عليه السلام كتب كتاباً الى بلقيس وقومها وأعطاه ذلك الهدد  
 فحمله قبيل في جناحه كما هي عادة الطير وقيل بمقتاره وذهب الى بلادهم فبأه الى قصر بلقيس الى الخلوقة التي كانت تحتل  
 فيها بنفسها فالقاه اليها من كوة (٢١٠) هنالك بين يديها ثم نزل ناحية أديابورياسة

المحلون له والمحرمون له وحقق هذا المقام بما لا يحتاج من نظرها وتدبر معانيها الى النظر  
 في غيرها وسماها باطل دعوى الاجماع على تحريم مطلق السماع ولنا أيضاً بحمد الله  
 عز وجل جواب بسيط في جواز الغناء وعدم جوازه بالفارسية ذكرناه في كتابنا هداية  
 السائل فن أحب تحقيق المقام كما ينبغي فليرجع الى ذلك (بغير علم) أي حال كونه غير عالم  
 بحال ما يشتريه أو بحال ما ينفع من التجارة وما يضر فلهذا استبدل بالخبر ما هو شر محض  
 أو يفعله عن جهل أو جهل منه بما عليه من الوزر ونحوه قوله تعالى فارجع تجارتهم  
 وما كانوا مهتمين أي لصواب التجارة (ويتخذها) قرأ جزءه والكسافي والاعمش بالنصب  
 عطفاً على يضل والضمير المنصوب راجع الى السبيل فيكون المعنى على هذه القراءتين  
 جعله التعليل للتحريم والمعنى انه يشتري لهو الحديث للاضلال عن سبيل الله واتخاذ  
 السبيل (هزوا) أي مهزوا به والسبيل يذكر ويؤنث وقرأ الجمهور بالرفع عطفاً على يشتري  
 فهو من جملة الصلة وقيل الرفع على الاستئناف والضمير المنصوب يعود الى آيات المتقدم  
 ذكرها والاولى (أو لث) اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين  
 باعتبار افظها كما تقدم (لهم عذاب مهين) هو الشديد الذي يصير به من وقع عليه مهيناً  
 (وإذا تلى عليه) أي على هذا المستهزى (آياتنا ولي مستكبراً) أي أعرض عنها حال كونه  
 مبغضاً في التكبر رافعاً نفسه عن الأصحاء الى القرآن (كأن لم يسهها) أي كان ذلك  
 المعرض المستكبر لم يسهها مع انه قد سهها ولكن أشبهت حاله حال من لم يسه (كأن  
 في أذنيه وقراً) ولا وقرفيهما والوقر الثقل وهو حال من لم يسهها وقد تقدم بيانه وفيه مبالغه  
 في اعراض ذلك المعرض (فبشر به عذاب أليم) أي أخبره بأن له العذاب البليغ في الالم  
 وذكر البشارة تمكيم به ثم لما بين سبحانه حال من يعرض عن الآيات بين حال من يقبل  
 عليها فقال (ان الذين آمنوا) بالله وبآياته ولم يعرضوا عنها بل قبلوها (وعلموا الصالحات  
 لهم جنات المعيم) أي نعم الجنات فعكسه للمبالغه جعل لهم جنات النعيم كما جعل  
 للفريق الاول العذاب المهين (خالدين فيها) حال من الضمير في لهم أي مقدر اخلودهم فيها  
 اذا دخلوها (وعدا الله حقاً) هما مصدران الاول مؤ كد لنفسه أي وعد الله وعدا والثاني  
 مؤ كد لغيره وهو مضمون الجملة الاولى وقد تدرج حق ذلك حقاً والمعنى ان وعده بأن لهم  
 جنات النعيم كثر لا محالة ولا خلف فيه (وهو العزيز) الذي لا يغلبه غالب (الحكيم) في

فصيرت مميزات وهما له ذلك ثم  
 عدت الى الكتاب فأخذته  
 ففتحت ختمه وقرأته فاذا فيه انه  
 من سليمان وانه بسم الله الرحمن  
 الرحيم ألا تعالوا على واتوني مسلمين  
 فجمعت عند ذلك أمراءها  
 ووزراءها ووكبراء دولتها  
 وعلمتها ثم قالت لهم يا أيها الملأ  
 اني أتق الى كتاب كريم تعنى  
 بكرمه ما رأته من عجيب أمره  
 كون طائر جاءه فالقاه اليها ثم  
 نزل عنها أديابور وهذا أمر لا يقدر  
 عليه أحد من الملوك ولا سبيل  
 لهم الا ذلك ثم قرأت عليهم انه  
 من سليمان وانه بسم الله الرحمن  
 الرحيم ألا تعالوا على واتوني مسلمين  
 فعرفوا انه من نبي الله سليمان  
 عليه السلام وانه لا قبل لهم به  
 وهذا الكتاب في غاية البلاغة  
 والوجازة والفصاحة فانه حصل  
 المعنى بأبسر عبارة وأحسنها قال  
 العلماء لم يكتب أحد بسم الله  
 الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه  
 السلام وقدرى ابن أبي حاتم

كل

في ذلك حديثاً في تفسيره حيث قال حدثنا أي حدثنا هرون بن

الفضل أبو يعلى الخياط حدثنا أبو يوسف عن سلمة بن صالح عن عبد الكريم بن أبي أمية عن ابن بريدة عن أبيه قال  
 كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي أعلم آية لم تنزل على نبي قبلي بعد سليمان بن داود قلت يا نبي الله أي آية قال  
 سأعلمكها قبل ان أخرج من المسجد قال فانتهى الى الباب فأخرج احدى قدميه فقلت نسي ثم اتفنت الى وقال انه من سليمان  
 وانه بسم الله الرحمن الرحيم هذا حديث غريب واسع نادى ضعيف وقال ميمون بن مهران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم



بكتبت يا محمد اللهم حتى نزلت هذه الآية فكذب بدم الله الرحمن الرحيم وقوله ان لاتعلوا على قال قتادة يقول لا تجبروا  
 على واتنوفى مسلمين وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لاتمتنعوا ولا تتكبروا على واتنوفى مسلمين قال ابن عباس موحدين وقال  
 غيره محاضين وقال سفيان بن عيينة طائعين (قالت يا أيها الملأ أقتوني في أمرى ما كنت قاطعة أمر حتى تشهدون  
 قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها  
 وجعلوا أعزأ أهلها أذلة وكذلك يفعلون واتي مرسله اليهم

(٢١١)

بهديفة فناظرة بهم يرجع المرسلون  
 لما قرأت عليهم كتاب سليمان  
 استشارتهم في أمرها وما قد  
 نزل بها اولها قالت يا أيها الملأ  
 اقتوني في أمرى ما كنت قاطعة  
 أمرا حتى تشهدون أي حتى  
 تحضرون وتشهرون قالوا نحن  
 أولو قوة وأولو بأس شديد أي متوا  
 اليها بعددهم وعددهم وقوتهم  
 ثم فوضوا اليها بعد ذلك الأمر  
 فقالوا والأمر إليك فانظري ماذا  
 تأمرين أي نحن ليس لنا عاقبة  
 ولا بنا بأس ان شئت ان تصديه  
 وتحمليه فإلنا عاقبة عنه وبعد  
 هذا فالأمر إليك فأراى فينا  
 رأيك فتمتله ونطيعه قال الحسن  
 البصرى رحمه الله فوضوا أمرهم  
 الى علبة يضطرب ثديها فلما  
 قالوا الهامما قالوا كانت هي أكرم  
 رأيا منهم واعلم بأمر سليمان  
 وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه  
 وما حضره من الجن والانس والطيور  
 وقد شاهدت من قضية الكتاب مع  
 الهدهد أمرا عجيبا بديهما فقالت  
 لهم انى أخشى أن شجاره ويغتنع  
 عليه فيقصدنا بجنوده ويهدكنا معه  
 ويخلص الى والمكمل الهلاك  
 والدمار دون غيرنا ولهذا قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية  
 افسدوها قال ابن عباس أي اذا دخلوا بلاد اعنوة افسدوه أي خربوه  
 وجعلوا أعزأ أهلها أذلة أي وقصدوا من فيها من الولاية  
 والجنود فأهانوهم غاية الهوان اما بالقتل أو بالأسر قال ابن عباس قالت بلقيس ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا  
 أعزأ أهلها أذلة قال الرب عز وجل وكذلك يفعلون ثم عدت الى المصلحة والمهادنة والمسالمة والمخادعة والمصانعة فقالت راني  
 مرسله اليهم بهديفة فناظرة بهم يرجع المرسلون أي سأبعت اليه بهديفة تليق بمثله وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك فاعمله يقبل

كل أفعاله وأقواله ثم بين سبحانه عزته وحكمته بقوله (خلق السموات بغير عمد) جمع  
 عمد كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به أي يستند يقال عمدت الحائط اذا دعمته والدعامة  
 بالكسر ما يستند به الحائط اذا مال يعمده السقوط ودعمت الحائط دعما من باب دفع  
 وقد تقدم الكلام فيه في سورة الرعد قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصفحة مستوية  
 وهو قول المفسرين وهي في الفضاء والنفض لانها به له وكون السماء في بعضه دون بعض  
 ليس ذلك الا بقدره قادر مختار والله الاشارة بقوله بغير عمد (ترونها) أي ليس لها سني  
 ينعمها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدرته الله تعالى وفيه  
 وجهان أحدهما انه راجع الى السموات أي ليست هي بعمد وأنتم ترونها كذلك بغير عمد  
 الوجه الثاني انه راجع الى العمود معناه بغير عمد فية فية كن ان تكون ثم عمد ولكن  
 لا ترى وقيل ولا عمد البتة قال عني بن سليمان الاولى أن يكون مسماة أنفا أي ولا عمد ثم  
 (وألقى في الأرض رواسي) أي جبالا مرتفعة ثوابت شواخخ من أوتاد الأرض وهي سبعة  
 عشر جبلا منها قاف وأبوقبيس والجودي وابشان وطور سينين وطور سيناء أخرجه ابن  
 جرير ولكن لا وجه للتخصيص والاولى العموم والجبال على الأرض أكثر من ذلك  
 والكل يصلح للرسل وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو الرواسي الرواخي واحدا منها  
 راسية (أن تميد بكم) أي كراهة أن تميد بكم وقيل لثلاث تيدو المعنى انه خلقها وجعلها  
 مستقرة ثابتة لا تتحرك بجبال جعلها عليهم وأرساها على ظهرها (وبت) أي نشر وفرق  
 (فيها) أي في الأرض (من كل دابة) أي كل نوع من أنواع الدواب ومن زائدة (وأرسلنا)  
 فيه التفات عن الغيبة (من السماء ماء) مطهرا وهو من انعام الله على عباده وفضله  
 (فأنبأ فيها) أي في الأرض بسبب انزال الماء (من كل زوج كريم) أي من كل صنف  
 حسن ووصفه بكونه كريما لحسن لونه وكثرة منافعه وقيل ان المراد بذلك الناس فالكريم  
 منهم من يصير الى الجنة واللئيم من يصير الى النار قاله الشعبي وغيره والاول أولى (هدأ)  
 أي ما ذكر من خلق السموات والأرض وما تعلق به مما من الامور المعدودة (خلق الله)  
 أي مخلوقه تعالى (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) أي من آلهتكم التي تعبدونها من  
 دون الله والاستفهام للتقريع والتوبيخ والمعنى فأروني أي شيء خلقوا مما يحيا كى خلق  
 الله أو يقاربه حتى استوجبوا عندكم العبادة وهذا الأمر لهم لتقصدهم التمجيز والتبكيك

ذلك منا ويكف عنا أو يضرب علينا خراجنا بحمد الله في كل عام ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا قال قتادة رحمه الله ما كان أعقلها في إسلامها وشركها علمت ان الهدية تقع موقعا من الناس وقال ابن عباس وغير واحد قالت لقومها ان قبل الهدية فهو ملك فقاتلوا وان لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه (فما جاء سليمان قال آتوني بغيره فقال آتاني الله خيرا مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلما أتيتهم بجنود لا قبل لهم بها ولخرجتهم منها أذلة وهم صاغرون) ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم انها (٢١٢) بعثت اليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولا آتى وغير ذلك وقال

ثم ان ضرب عن تكبيرهم بما ذكر الى الحكم عليهم بالاضلال الظاهر والاعلام بطلان ما هم عليه فقال (بل الظالمون في ضلال مبين) فقرر ظاهرا وأولا وصلا لهم ثانيا ووصفه بالوضوح والظهور ومن كان هكذا فلا يعقل الخلة ولا يهتدى الى الحق (واقدا أتينا لقمان الحكمة) كلام مستأنف ليس ان بطلان الشرك واختلاف في لقمان هل هو عربي أم أعجمي مشتق من اللقمة فمن قال انه أعجمي منعه للتعريف والعجمة ومن قال انه عربي منعه للتعريف ولزيادة الالف والتون قال الحنفياوى والاول أظهر واختلفوا أيضا هل هو نبي أم رجل صالح فذهب أكثر أهل العلم الى انه ليس نبي وحكى الواحدى عن عكرمة والسدى والشعبي انه كان نبيا والاول أرجح لما سياتى وقيل لم يقبل بنبوته الا عكرمة فقط مع ان الراوى لذلك عن جابر الجعفي وهو ضعيف جدا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختمت الحكمة وهو لقمان بن باعور ابن ناحور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم وقيل هو لقمان بن عنق بن مرون وكان نوبيا من أهل ايلة ذكره السهيلي قال وهب هو ابن أخت أيوب وقال مقاتل هو ابن خاتمة عاش ألف سنة وأخذ عنه العلم وكان يقبل قبيل مبعث داود فلما بعث داود قطع الفتوى فقبل له فقال ألا أكتفى اذ كفتيت وقيل كان خياطا وقيل نجارا وقيل راعيا وقال الواقدي كان قاضيا في بني اسرائيل وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتدرون ما كان لقمان قالوا الله ورسوله أعلم قال كان حبشيا أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال كان عبدا حبشيا نجارا وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم سادات أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن أخرجه الطبراني وابن حبان في الضعفاء قال الطبراني أراد الحبشة والحكمة التي آتاه الله هي الفقه والعقل والاصابة في القول وفسر الحكمة من قال بنبوته بالنبوته وقال ابن عباس بمعنى العقل والفهم والفتنة في غير نبوة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان لقمان الحكيم كان يقول ان الله اذا استودع شيئا أحفظه وقد ذكر جماعة من أهل الحديث روايات عن جماعة من الصحابة والتابعين تضمنت كلمات من مواعظ لقمان وحكمه ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك شيء ولا يثبت اسناد صحيح الى لقمان بشئ منها حتى نقبله وقد حكى الله سبحانه من مواعظه لابنه ما حكاها في هذا الموضع وفيه كفاية وما عدا ذلك

بعضهم أرسلت بالنبوة من ذهب والصحیح انها أرسلت اليه بالنبوة من ذهب قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وغيرهما أرسلت جوارى في زى العلمان وعلمنا في زى الجوارى فتألت ان عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي قالوا فأمرهم سليمان فتوضوا فجعلت الحارية تفرغ على يدها من الماء وجعل الغلام يغترف فيزهم بذلك وقيل بل جعلت الحارية تغسل باطن يدها قبل ظاهرها والغلام بالعكس وقيل بل جعلت الجوارى يغسلان من أكفهن الى مرافقهن والعلمان من مرافقهن الى كفوهم ولا منافاة بين ذلك كله والله أعلم وقد كبر بعضهم انها أرسلت اليه بقدرح ليلاء ماء رواه الا من السماء ولا من الارض فأجرى الخيل حتى عرفت ثم ملاء من ذلك وبخرزة وسلك ايجعه فيها فتعل ذلك والله أعلم كان ذلك أم لا وأكثر ما أخذ من الاسرار المأديات والظاهر ان سليمان عليه السلام لم ينظر الى ما جاؤا به بالكيسة ولا اعتنى به بل أعرض عنه وقال

ما

منكر اعليهم آتوني بحال أى آتوا نونى بحال

لا ترككم على شرككم وملككم فما آتاني الله خيرا مما آتاكم أى الذى أعطاني الله من الملك والمال والجنود خيرا مما آتيتكم فيه بل أنتم بهديتكم تفرحون أى أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف وأما نأفلا أقبل منكم الا الاسلام أو السيف قال الاعمش عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنه أنه أمر سليمان الشياطين فتوهوا له ألف قصر من ذهب وفضة فلما رأته رسلها ذلك قالوا ما صنع هذا بهديتنا وفي هذا جزاء تهنئ الملوك واطهارهم الزينة للرسول والقصد ارجع اليهم أى بهديتكم

فلما أتيتهم بجنود لا قبل لهم بها أي لا طاقة لهم بمقاتلتهم ولتخرجهم منها أذلة أي ولتخرجهم من بلدتهم أذلة وهم صاغرون أي مهانون مدحورون فلما رجعت إليهم سلمها بدينها وبما قال سليمان سمعت وأطاعت هي وقومها وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة معظمة لسليمان ذابحة متابعته في الإسلام ولما تحقق سليمان عليه السلام قدومهم عليه ووفودهم إليه فرح بذلك وسره (قال يا أيها الملأ أياكم يأتي بي بعرشها قبل أن يأتيوني مسلمين قال عنبريت من الجن أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه أقوى أمين قال الذي عنده علم من

(٢١٢)

طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فأنمى شكره لئن شكرتم لأزيدنكم ومن كفر فإن ربي غني كريم قال محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان قال فلما رجعت إليهم الرسل بما قال سليمان قالت قد والله عرفت ما هذا بملك ومالنا به من طاقة وما صنع بك كبرته شيئا وبعثت إليه اني قادمة عليك بلولك قومي لا نظرت ما أمرك وما تدعوننا إليه من دين ثم أمرت بسير رملها الذي كانت تجلس عليه وكان من ذهب منقصوص بالبقوت والزبرجد واللؤلؤ فجعل في سبعة آيات بعضها في بعض ثم أقنات عليه الابواب ثم قالت لمن خلفت علي ساطعها احتفظ بما قبلك وسير رملها فلا يخلص إليه أحد من عباد الله ولا يرينه أحد حتى أتيتك ثم نخصت الى سليمان في اثني عشر ألف قيل من لولك اليمن تحت يدك قيل ألو في كنديرة فجعل سليمان يعث الجن يا توتة بسيرها ومنتهاها كل يوم وابية حتى اذا دنت جمع من

عندهم في ذكره الاشغلة للعزيز وقطية للوقت ولم يكن نبيا حتى يكون ما نقل عنه من شرع من قبلنا ولا يصح اسناد ما روى عنه من الحكامات حتى يكون ذلك من تدوين كلام الحكمة التي هي ضالة المؤمن (أن اشكر لله) ان هي المفسرة لان في الايتاء معنى القول لانه تعليم أو وحى وقيل التقدير قلنا له هذا القول وقال الزجاج التقدير لان اشكر وقيل بان اشكر فشكر فكان حكما بشكره والشكر لله الثناء عليه في مقابلة النعمة وطاعته في أمر به وقيل الشكر أن لا تعصى الله بنعمه وقيل أن لا ترى معه شريكا له في نعمه وقيل هو الاقرار بالعجز ورؤية العجز في الكل دليل قبول الكل ثم بين سبحانه ان الشكر لا ينتفع به الا الشاكر فقال (ومن يشكر فأنا بيشكره نفسه) لان نفع ذلك وثوابه راجع اليه وفائدته حاصله له اذ به تستحق النعمة وبسببه يستجب المزمذله من الله سبحانه والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها موجبة لامتنان الامر (ومن كفر) أي من جعل كفر النعمة مكان شكرها (فان الله غني) عن شكره غير محتاج اليه (حميد) مستحق للحمد من خلقه لانعامه عليهم بنعمه التي لا يحاط بقدرها ولا يحصر عددها وان لم يحمدوا أحد فان كل موجود ناطق بحمده بلسان الحال قال يحيى بن سلام غنى عن خلقه حميد في فعله (و) اذكر (اذ قال لقمان لابنه) قال السهيلي واسم ابنه ثاران في قول ابن جرير والقيسي وقال الكلابي مشكركم وقال النقاش انم وقيل ما نان قال القشيري كان ابنه وامرأته كافر من نمازال بعظهم ما حتى أسلم ودل على هذا قوله لا تشرك بالله ان الشرك انظم اعظم والتقدير آتينا لقمان الحكمة حين جعلناه شاكرا في نفسه وحين جعلناه واعظا لغيره (وهو يعظه) أي والحال انه يحاط به بالوعظة التي ترغبه في التوحيد وتصد عنه الشرك وذلك لان أعلى مراتب الانسان ان يكون كاملا في نفسه مكتملا لغيره وبدأ بالاقرب اليه وهو ابنه فقال (يا بني) تصغيرا شفاق ومحبة (لا تشرك بالله) وهذا يدل على انه كان كافرا كما تقدم قال الخطيب والخازن فرجع اليه وأسلم وقيل كان مسلما ونهاه ان يقع منه امر الذن في المستقبل (ان الشرك انظم اعظم) لانه تسوية بين من لانعمة الا وهي منه وبين من لانعمة له أصلا وبدأ في وعظه بنهي عن الشرك لانه أهم من غيره وقد اختلف في هذه الجملة فقيل هي من كلام لقمان فتكون تعليلا لما قبلها وقيل هي من كلام الله فتكون منقطعة عما قبلها ويؤيدها ما ثبت في الحديث الصحيح انها لما

عندهم من الجن والانس ممن تحت يده فقال يا أيها الملأ أياكم يأتي بي بعرشها قبل أن يأتيوني مسلمين وقال قتادة لما بلغ سليمان انها جائية وكان قد ذكر له عرشها فاجتمع وكان من ذهب وقواها لؤلؤ وجوهر وكان مسترا بالدياج والحريرو كانت عليه تسعة مغاليق فكره ان يأخذها بعد اسلامهم وقد علم نبي الله انهم متى أسلموا تحرم اموالهم ودمائهم فقال يا أيها الملأ أياكم يأتي بي بعرشها قبل ان يأتيوني مسلمين وهكذا قال عطاء الخراساني والسدي وزهير بن محمد قبل أن يأتيوني مسلمين فنصرم على اموالهم باسلامهم قال عنبريت من الجن قال مجاهد أي ما ردم من الجن قال شعيب الجبائي وكان اسمه كوزن وكذا قال محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان وكذا قال

أيضا وهب بن منبه قال أبو صالح وكان كأنه جبل أنا أتيت به قبل ان تقوم من مقامك قال ابن عباس يعني قبل ان تقوم من مجلسك وقال مجاهد متعبك وقال السدي وغيره كان يجلس للناس للقضاء والحكومات ولطعام من أول النهار الى ان تزول الشمس واني عليه لقوى أمين قال ابن عباس أي قوى على حمله أمين على ما فيه من الجوهر فقال سليمان عليه السلام أريد أعجل من ذلك ومن ههنا يظهر ان سليمان أراد باحضار هذا السرير اظهار عظمة ما وهب الله له من الملك وما ينخرله من الجنود الذي لم يعطه أحد قبله ولا يكون لاحد من بعده وليتخذ ذلك (٢١٤) حجة على نبوته عند بلقيس وقومها لان هذا خارق عظيم ان

ياتي بعرضها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه هذا وقد حجت به بالاغلاق والانتقال والخطبة فلما قال سليمان أريد أعجل من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب قال ابن عباس وهو آصف كذب سليمان وكذا روى محمد بن اسحق عن يزيد ابن رومان انه آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم الاسم الاعظم وقال قتادة كان مؤمنا من الانس والانس آصف وكذا قال أبو صالح والصحاح وقاتداته كان من الانس زاد قتادة من بني اسرائيل وقال مجاهد كان اسمه أسطوم وقال قتادة في رواية عنه كان اسمه بلخا وقال زهير بن محمد هو رجل من الانس يقال له ذو النور وزعم عبد الله بن الهيثم انه الخضر وهو غريب جدا وقوله أنا أتيت به قبل ان يرتد إليك طرفك أي ارفع بصرك وانظر مد بصرك مما تقدر عليه فانك لا تبصر بصرك الا وهو حاضر عنده وقال وهب بن منبه اسد بصرك فلا يبلغ مداه حتى أتيت به فدكر وانته امره ان ينظر نحو اليمين التي فيها هذا العرش المطلوب ثم قام فتوضأ ودعا الله تعالى قال مجاهد قال يا ذا الجلال والاكرام وقال الزهري قال يا الهنا واله كل شيء اله واحد رالا اله الا أنت اتيتي بعرضها قال فضل بن يديه قال مجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن اسحق وزهير ابن محمد وغيرهم لما دعا الله تعالى وسأله ان يأتيه بعرض بلقيس وكان في اليمن وسليمان عليه السلام بيت المقدس غاب الدرير وغاص في الارض ثم نبع من بين يدي سليمان وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لم يشعر سليمان الا وعرضها يحمل بين يديه قال وكان هذا الذي جاء به من عباد البحر فلما عاين سليمان ومثوه ذلك ورآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي أي هذا من نعم الله

نزلت ولم يلبسوا ايئناهم بظلم شق ذلك على العبادية وقالوا أي نالم يظلم نفسه فانزل الله ان الشرك لظلم عظيم فطابت أنفسهم (ووصينا الانسان بوالديه) أي أمرناه أن يبرهما وهذه الوصية بالوالدين وما بعدها الى قوله وما كنتم تعملون اعتراض بين كلام لقمان على تبيح الاستطراء لتقصد انتا كيدا لما قبلها من النبي عن الشرك بانتم وتفسير التوصية هو قوله أن اشكر لى ولوالديك وما بينهما ما اعتراض بين المفسر والمفسر وفي جعل الشكر لهما مقترنا بالشكر لله دلالة على أن حقهما من أعظم الحقوق على الولد وأكبرها وأشدها وجوبا (حلتها أمه وهن على وهن) قرئ بسكون الهاء وبفتحها في الموضعين وهما لغتان أي انها حلتها في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفا على ضعف فانها الا يزال يتضاعف ضعفها والوهن الضعف والمشقة وقدهن من باب وعدو وهنه غيره توهينا والوهن والموهن نحو من نصف الليل وقال ابن عباس شدة بعد شدة وخلقا بعد خلق وقيل المعنى ان المرأة ضعيفة الخلقه ثم يضعفها الحمل وقيل أي حلتها بضعف على ضعف وقال الزجاج المعنى لزها بجهلها اياه أن تضعف مرة بعد مرة أي وهنا كائن على وهن لان الحمل وهن والطلق وهن والوضع وهن والرضاعة وهن واتصاب وهن على المصدر وأوالحال (وفصالة في عامين) الفصل القظام عن الرضاع وهو ان يفصل الولد عن الام وقرئ وفصله وهما لغتان يقال انفصل عن كذا أي غيروه به سمي الفصل والمعنى فطامه لقوام سنتين عن الرضاع قال البيضاوي وفيه دليل على ان مدة الارضاع حولان (أن اشكر لى ولوالديك) أي وصينا به بشكرنا وشكروا والديه قال سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا والديه في أديار الصلوات الخمس فقد دشكر للوالدين وان مفسرة أو مصدرية وهو قول الزجاج (الى المصير) تعليل لوجوب امتثال الامر أي الرجوع الى لا الى غيرى وقيل الجزاء على وقت المصير الى (وان جاهدك على أن تشرك في ما ليس لك به علم) أي ما لا علم لك بشركته وذ كره هذا القيد موافقة للواقع ولا مذهبهم له اذ ليس لله شريك يعلم لانه مستحيل (فلا تطعهما) في ذلك لانه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق وجاهله هذا الباب ان طاعة الابوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا ترك فرضة على الاعيان وتلزم طاعتهم ما في المباهات وقد قدمت نفس الالية وسبب نزولها في سورة العنكبوت قال سعيد بن أبي وقاص نزلت في هذه الآية وعن أبي هريرة مثله وعليه جماعة من

المفسرين  
قال بالهنا واله كل شيء اله واحد رالا اله الا أنت اتيتي بعرضها قال فضل بن يديه قال مجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن اسحق وزهير ابن محمد وغيرهم لما دعا الله تعالى وسأله ان يأتيه بعرض بلقيس وكان في اليمن وسليمان عليه السلام بيت المقدس غاب الدرير وغاص في الارض ثم نبع من بين يدي سليمان وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لم يشعر سليمان الا وعرضها يحمل بين يديه قال وكان هذا الذي جاء به من عباد البحر فلما عاين سليمان ومثوه ذلك ورآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي أي هذا من نعم الله

على ليلوني أي ليختبرني أشكر أم أكفر ومن شكر فاعلمت شكر نفسه كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها  
 وكتوله ومن عمل صالحا فلنفسه يهدون وقوله ومن كفر فإن ربي غني كريم أي هو غني عن العباد وعبادتهم كبري كريم  
 في نفسه وإن لم يعبد أحد فان عظمته ليست منتقرا إلى أحد وهذا كما قال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله  
 لغني جبار وفي صحيح مسلم يقول الله تعالى يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وانسكم كانوا على آثني قلب رجل منكم  
 ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وانسكم كانوا على آثني قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا

(٢١٥)

منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا  
 يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيا  
 لكم ثم أوفيكم ايها من وجد خيرا  
 فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا  
 يلومن الانفسه قال نكروها  
 عرشها تنظروا ثم تدي أم تكون من  
 الذين لا يهتمدون فلما جاءت قبيل  
 أهكذا عرشك قالت كأنه هو  
 وأوتينا العلم من قبلها وكلام ابن  
 وصداها ما كانت تعبد من دون  
 الله انما كانت من قوم كافرين قبل  
 لها ادخل الصرح فلما رآه حبيته  
 لحمة وكشفت عن ساقها قال انه  
 صرح حمرد من قوارير قالت رب اني  
 ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان  
 لله رب العالمين لما جرس سليمان عليه  
 السلام بعرش بلقيس قبل قدومها  
 أمر به أن يغير بعض صفاته ليختبر  
 معرفتها وثباتها عند رؤيته هل  
 تقدم على انه عرشها وأنه ليس بعرشها  
 فقال نكروها والعرشها تنظروا ثم تدي  
 أم تكون من الذين لا يهتمدون  
 قال ابن عباس نزع منه فصوصه  
 ومراقفه وقال مجاهد أمر به فقهر  
 ما كان فيه أخرج جعل أصفر  
 وما كان أصفر جعل أحر وما كان

المفسرين (وصاحبهم في الدنيا) أي في أمورها التي لا تتعلق بالدين مادمت حيا صحابا  
 (معروفا) بغيره ما كانا على دين يقران عليه وقيل صاحبهما معروف وهو البر والصلة  
 والعشرة الحسنة والخلق الجليل والحلم والاحتمال وما يقتضيه مكارم الاخلاق ومعالي  
 الشيم (واتبع سبيل من أناب) أي رجوع (إلى) والخطاب أسائر المكلف أي اتبع أيها  
 المكلف دين من أقبل إلى طاعتي من عبادي الصالحين بالتوبة والاخلاص وهو النبي صلى  
 الله عليه وآله وسلم وأصحابه وقيل يعني أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال ابن  
 عباس وذلك حين أسلم أتاب عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن  
 عوف وقالوا قد صدقت هذا الرجل وأمنت به قال نعم انه صادق فآمنوا به ثم جعلهم إلى  
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أسلموا فهو أولاء لهم سابقا للاسلام أسأوا بآثار شاذي بكر  
 (ثم إلى) أي إلى غيري (مراجعكم) جميعا أي أنت ووالدك ومن أناب إلى (فأبشركم)  
 أخبركم عند رجوعكم إلى (بما كنتم تعملون) من خيرا وشرقا جازي كل عامل بعمله ثم  
 شرع سبحانه في حكاية بقية كلام لقمان في وعظه لابنه فقال (يا بني انما) الضمير عائذ  
 إلى الخطيئة لما روى ان ابن لقمان قال لا يه يا أبت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني لأحد  
 هل يعلمها الله فقال انما أي الخطيئة (ان ذلك) بالفوقية على معنى ان تلك الخطيئة أو المسئلة  
 أو الخصلة أو القصة منقولة قرى بالنصب على انه خير كان واسمها هو أحد تلك المقدرات  
 وقرى بالرفع على انه اسم كان وهي تامة وأنت الفاعل في هذه القراءة لاضافة منقولة إلى  
 المؤنث أي زنة (حبة من خردل) والجملة الشرطية مفسرة للضمير قال الزجاج التقدير ان  
 اني سألتني عن انك منقولة حبة من جنس الخردل وعبر بالخردل لانها أصغر الحبوب  
 ولا يدرك ثقلها بالحس ولا تريح ميزانها ثم زاد في بيان خفاء الحبة مع خفتها وصغرها فقال  
 (فتكن في صخرة) فانها عند كونها في الصخرة قد صارت في أخفى مكان وأحرز قرى  
 فتكن بضم الكاف (أ) ومن الككن الذي هو الشيء المغطى قال السدي هذه الصخرة هي  
 صخرة أيسر في السموات والأرض وقال ابن عباس صخرة تحت الأرضين السبع وهي  
 التي تكتب فيها أعمال انبياء وهي السبعين وخضرة السماء منها وقيل غير ذلك (أوفي  
 السموات أوفي الأرض) أي حيث كانت من بقاع السموات أو بقاع الأرض أي في أخفى  
 مكان من ذلك فالأخفى من الصخرة كأن تكون في صخرة تحت الأرضين السبع والأخفى

أخضر جعل أحر غير كل شيء عن حاله وقال عكرمة زادوا فيه ونقصوا وقال قتادة جعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره وزادوا فيه  
 ونقصوا فلما جاءت قبيل أهكذا عرشك أي عرض عليها عرشها وقد غيرت ونكروا زيد فيه ونقص منه فكان فيها ثبات عقل ولها لب  
 ودهاء وحزم فلم تقدم على أنه هولاء عدم سافته عنها ولا أنه غير لما رأت من آثاره وصفاته وان غير وبدل ونكروا فقالت كأنه هو أي  
 يشبهه ويقاربه وهذا غاية في الذكاء والحزم وقوله وأوتينا العلم من قبلها وكلام سليمان عليه السلام في قول مجاهد وسعد بن جبير رجوما  
 ما كانت تعبد من دون الله انما كانت من قوم كافرين هدا من كلام سليمان عليه السلام في قول مجاهد وسعد بن جبير رجوما  
 (١) ومن الككن الخ كذا في أصله وتأمل وحرر اه

الله اى قال سليمان وتينا العلم من قبلها وذلك سلمين وهى كانت قد صدهاى من عبادته الله وحده ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين وهذا الذى قاله مجاهد وسعيد حسن وقاله ابن جرير ايضا ثم قال ابن جرير ويحتمل ان يكون فى قوله وصدها من غير يهود الى سليمان او الى الله عز وجل تقديره ومنعها ما كانت تعبد من دون الله اى صدها عن عبادة غير الله انها كانت من قوم كافرين (قلت) ويؤيد قول مجاهد انها انما اظهرت الاسلام بعد دخولها الى الصرح كما سياتى وقوله قيل لها ادخلى الصرح فلما رآته حسبته بلجة وكشفت (٢١٦) عن سابقها وذلك ان سليمان عليه السلام امر الشياطين فبنوا له قصرا

عظيما من قوارير اى من زجاج واجرى تحته الماء فالذى لا يعرف امره يحسب انه ماء ولكن الزجاج يحول بين الملتصق وبينه واخذوا فى السبب الذى دعا سليمان عليه السلام الى اتخاذه فقيل انه لما عزم على تزوجها واصطفاها لنفسه ذكر له جمالها وحسنها ولكن فى سابقها اهل عظيم ومؤخر اقداسها كؤنر الذابة فساء ذلك فاتخذها ايعلم صحته أم لا هكذا قول محمد بن كعب القرظى وغيره فلما دخلت وكشفت عن سابقها رأى احسن الناس سابقا واوا حسنها قدما ولكن رأى على رجلها شعر الا انها ملكة ليس لها زوج فأحب أن يذهب ذلك عن اقليل له موسى فقالت لا أستطيع ذلك وكره سليمان ذلك وقال للجن اصنعوا شيئا غير الموسيقى يذهب به هذا الشعر فصنعوا له النورة وكان أول من اتخذت له النورة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب القرظى والسدى وابن جرير وغيرهم وقال محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان ثم قال لها ادخلى الصرح لسير يها ملكا هو أعز من

من السموات كأن تكون فى أعلاها والاخى من الارض كان تكون فى أسننها (بأت بها الله) أى يحضرها يوم القيامة ويحاسب فاعلمها عليها (ان الله لطيف) باستخراجهما لا تخفى عليه خافية بل يصل علمه الى كل خفى (خبير) بمكانها وبكل شئ لا يغيب عنه شئ ومعنى الآية الا حاطة بالاشياء صغيرة وكبيرها (يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) من الاذى فى ذات الله اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر واصبر على ما أصابك من الخن فانها تورث المنح حتى سبحانه عن لقمان انه أمر ابنه بهذه الامور ووجه تخصيص هذه الطاعات انها أهمها والعبادات وعماد الخير كله (ان ذلك) الطاعات المذكورة التى وصاها بها (من عزم الامور) أى مما جعله الله عزيمته وأوجبها على عباده وحقه على المكلفين ولم يرخس فى تركه وقيل المعنى من حق الامور اى أمر الله بها والعزم يجوز أن يكون بمعنى المعزوم أى من معزومات الامور وبمعنى العازم كقوله فاذا عزم الامر قال المبرد ان العين تبدل حاء فىقال عزم وعزم وقال ابن جرير ويحتمل أن يريد ان ذلك من مكارم أهل الاخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة وصوب هذا القرطبي وعدا دليل على أن هذه الطاعات كانت مأمورا بها فى سائر الامم (ولا تصعر خدك للناس) وقرئ تصاعرو والمعنى متقارب وكل منهما فى خط المعصم الامام بلا ألقاب والصعر الميل يقال صعر خده وصاعر خده اذا مال وجهه وأعرض تكبرا والمعنى لا تعرض عن الناس تكبرا عليهم وبه قال الهروي يقال أصاب البعير صعرا اذا أصابه داء يلوى عنقه وقيل المعنى ولا تلوش خدك اذا ذكر الرجل عندك كالك تحتقره وقال ابن خوارزمي اذا كانه نسي ان يذل الانسان نفسه من غير حاجة واعرفهم من التصعير التذلل وعن أبى أيوب الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن قوله ولا تصعر خدك فقال لى الشدق أخرجه الطبرانى وابن عدى وابن مردويه وقال ابن عباس لا تكبر فحتمت عباد الله وتعرض عنهم اذا كلك وعنه قال هو الذى اذا سلم عليه لوى عنقه كالتكبر والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تلهم شق وجهك وصنعتك كما يفعل المتكبرون بل يكون الفقير والعنى عندك سواء (ولا تمش فى الارض مرحا) اى خيلا وفرحا والمراد النهى عن التكبر والتعجب والمختال يرح فى مشيه وقد تقدم تحقيقه (ان الله لا يحب كل مختال فخور) تعليل للنهى الذى كورلان الاختيال هو المرح والفخور

ملكها وسلطانها هو أعظم من سلطانها فلما رآه حسبته بلجة وكشفت عن سابقها لانك ان شاء تخوضه فقيل لها انه صرح مجرد من قوارير فلما لوقت على سليمان دعاها الى عبادة الله وحده وعاتبها فى عبادتها الشمس من دون الله وقال الحسن البصرى لما رأت العجبة الصرح عرفت والله أن قدرأت ملكا أعظم من ملكها وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال أمر سليمان بالصرح وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء ايضا ثم أرسل الماء تحته ثم وضع له فيه سرير مجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس ثم قال لها ادخلى الصرح لير يها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانها هو أعظم من سلطانها فلما رآته

حبس الحجة وكشفت عن سابقها الا تشك انه ماء مخصوصه قبل لها انه صرح محمد بن قوارير فلما وقفت على سليمان دعاها الى عبادة الله عز وجل وحدد وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله فتالت بقول الزنادقة فوقع سليمان ساجدا اعظا ما لما قالت ومحمد معه الناس فسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع فلما رفع سليمان رأسه قالت ويحك ماذا قلت قال وانسيت ما قلت فقالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان الله رب العالمين فاسلمت وحسن اسلامها وقد روى الامام أبو بكر بن أبي شيبة في هذا اثر اغريسا عن ابن عباس فقال حدثنا الحسن بن علي عن زائدة حدثني عطاء بن السائب (٢١٧) حدثنا مجاهد ونحن في الازد قال حدثنا ابن

عباس قال كان سليمان عليه السلام يجلس على سريره ثم يوضع كراسي حوله فيجلس عليها الانس ثم يجلس الجن ثم الشياطين ثم تأتي الرياح فتدفعهم ثم يظلمهم الطير ثم تغدو وقد رمايشتهى الراكب ان ينزل شهر اور وواحها شهر قال فيمنها هونذات يوم في مسيرته اذ تفقد الطير فتفقد الهدى فقال مالي لا ارى الهدى اهد أم كان من الغائبين لا عذبه عذابا شديدا اولاد يجننه اوليا اتبني بسلطان مبین قال فكان عذابه اياه ان ينتفه ثم يلقيه في الارض فلا يتبع من ثلثه ولا من ثبتي من هوام الارض قال عطاء وز كرسعدين جبير عن ابن عباس مثل حديث مجاهد فكنت غير بعيد فقرأ حتى انتهى الى قوله سننظر اصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم الى بلقيس ان لاتعلوا علي واتنوني مسلمان فلما ألقى الهدى الكتاب اليها التي في روعها انه كتاب كريم زانه من سليمان وان لاتعلوا علي واتنوني مسلمان قالوا نحن اولو قوة قالت ان المسلول اذا

هو الذي يتفخر على الناس بحاله من المال والشرف أو بقوة أو بعدد مناقبه ضار ولا وغير ذلك وينظن ان اسباع النعم الدنيوية عليهم من محبة الله له وذلك من جهله فان الله أسبغ نعمه على الكافر اباخا حذفتينبغي للعارف ان لا يتكبر على عباده ريس منه الحديث بنعم الله فان الله يقول وأما بانهمة ربك فحدث (واقصد في مشيتك) أي توسط فيه واقصد ما بين الاسراع والبطء يقال قصد فلان في مشيته اذا مشى مستويا لا يذب ديب المتعادين ولا يثب وثوب الشياطين وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا مشى أسرع فلا بد ان يحمل القصد هنا على ما جاوز الحد في السرعة وقال مقاتل معناه لا تختل في مشيتك وقال ابن مسعود كانوا يهتفون عن خبب اليهود وديب النصارى ولكن مشيا بين ذلك وقيل انظر موضع قدميك متواضعا والمعنى ان عدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين الديق والاسراع وقال عطاء امش بالسكينة والوفار كقوله يمشون على الارض هونا (واعضض من صوتك) أي انقص منه واخفضه ولا تتكبر رفعة فان الجهر بأكثر من الحاجة يؤذى السامع ومن تبعضية وعند الاخش مزيدة ويؤيده قوله ان الذين يعضون أصواتهم والمعنى شيئا من صوتك وكانت الجاهلية تمدحون برفع الصوت (ان انكر الاصوات) أي أوحشها وأقبحها (الصوت الجير) تعليل للأمر بالغض من الصوت على أبلغ وجهه وأكده قال قتادة أقيح الاصوات صوت الجير أو له زفير أي صوت قوى وآخره شهيقي أي صوت ضعيف وهما صوتا أهل النار وأنكر قيل مجنى من النعل المبني للمفعول نحو أشغل من ذات النخين وهو مختلف فيه قال المبرد تأريه ان الجهر بالصوت ليس بمحمود وانه داخل في باب الصوت المنكر واللام للتأكيده ووحده الصوت مع كونه مضافا الى الجمع لانه مصدر وهو يدل على الكثرة وهو مصدر صلات بصوت واتفق وصانته وقيل انما وحده ولم يجمع لانه لم يرد ان يذ كر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل المراد ان كل جنس من الحيوان له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده وعن الثوري في الآية قال صياح كل ثبي تسبيح الا الجار وقيل معنى الآية هو العظسة الفبيحة المنكرة والاول اولى وفي تشبيهه الرافعين أصواتهم بالجهر وتمثيل أصواتهم بالنهاق تشبيه على ان رفع الصوت في غاية الكراهة ولما فرغ سبحانه من قصة لقمان رجع الى توبيخ المشركين وتبكيهم واقامة الحج عليهم فقال (الم

(٢٨) فتح البيان سابع) دخلوا قرية أفسدوها وانى مرسله اليهم هدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاءت الهدية سليمان قال أعذوني بحال ارجع اليهم فلما نظر الى الغبار اخبرنا ابن عباس قال وكان بين سليمان وبين ملكة سبا ومن معها حين نظر الى الغبار بينا وبين الحرة قال عطاء ومجاهد حذفت في الازد قال سليمان أيكم يا نبي بعثتها قال وبين عرشها وبين سليمان حين نظر الى الغبار مدينة شهرين قال عنبريت من الجن انا آتيتك به قبل ان تقوم من مقامك قال وكان سليمان يجلس في مجلس للناس كما يجلس الامراء ثم يقوم فقال انا آتيتك به قبل ان تقوم من مقامك قال سليمان أريد أن أجعل من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب انا أنظر

في كتاب ربي ثم آتيت به قبل أن يرتد اليك طرفك قال فنتبع عرشها من تحت قدم سايمان من تحت كرسى كان سليمان يضع عليه رجله ثم يصعد الى السرير قال فلما رأى سليمان عرشها قال هذان من فضل ربي الآية قال نكرو والهاعرشها فلما جاءت قبل أهكذا عرشك قالت كانه هو قال فسأله حين جاءته عن أمرين قالت لسليمان أريد ما ليس من أرض ولا سماه وكان سليمان اذا سئل عن شيء سأل الانس ثم الجن ثم الشياطين قال فقالت الشياطين هذا هين أجر الخيل ثم خذ عرقها ثم املا منه الآية قال فأمر بالخيل فأجريت ثم أخذ عرقها فملا منه الآية قال وسألت عن (٢١٨) لون الله عز وجل قال فوثب سليمان عن سريره فخرساجدا فقال يارب لقد

سألتني عن أمر انه ايتعاطم في ظلمي ان أذكره لك فقال ارجع فقد كنتيكم قال فرجع الى سريره قال ما سألت عنه قالت ما سألتك الا عن الماء فقال لجنوده ما سألت عنه فملا ما سألتك الا عن الماء قال ونسوه كلهم قال وقالت الشياطين ان سليمان يريد أن يتخذها لنفسه فان اتخذها لنفسه ثم ولدينه ما ولد لم تنفك من عبوديته قال فجعلوا صرحا مردان قوارير فيه السمك قال فتييل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبته بلعة وكشفت عن ساقيها فاذا هي شعراء فقال سليمان هذا قبيح فايدبهه قالوا يذهبه موسى فقال اثر موسى قبيح قال فجعلت الشياطين النورة قال فهو أول من جعل له النورة ثم قال أبو بكر بن أبي شيبة ما أحسنه من حديث قلت بل هو منكر غريب جدا ولعن من أوام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم والاقرب في مثل هذه السيات انهم امتناة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب ساجدهما الله تعالى فيما نقله الى هذه الامة من أخبار

تروا أن الله سخّر لكم ما في السموات وما في الارض قال الزجاج معنى تسخيرها للادميين الاتقاع بها انتهى فمن مخلوقات السموات المسخرة لبي آدم بأمر الله سبحانه الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك ومن مخلوقات الارض المسخرة للاجبار والمعادن والتراب والزرع والشجر والتمر والبخار والانهار والحيوانات والدواب التي ينتفعون بها والعشب الذي يرعون فيه دوابهم وغير ذلك مما لا يحصى كثرة فلما راد بالسخير جعل السخير بحيث ينتفع به المسخر له سواء كان منقادا له ودخلت تحت تصرفه أم لا (وأصبح عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) أي أتم وأكمل عليكم نعمة يقال سبغت النعمة اذا تمت وكانت وقرى أصبح ببدال السنين صادوا هي لغة كلب يفعلون ذلك في كل سبعين اجتمع مع الغنين والخوا والقفاف كصلح وصقر والنعم جمع نعمة وقرى نعمة على الافراد والسنون اسم جنس يراد به الجمع ويدل به على الكثرة كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والنعمة كل نفع قصده الاحسان والمراد بالنعمة الظاهرة ما يدرك بالعقل أو الحس ويعرفه من يعرفه وبالباطنة ما لا يدرك للناس ويحفي عليهم وقيل الظاهرة الصحة وكال الخلق والبصر والسمع واللسان وسائر الخوارج الظاهرة والباطنة المعرفة والعقل والقلب والفهم وما أشبه ذلك وقيل الظاهرة ما يرى بالابصار من المال والجاه والجمال وفعل الطاعات والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يدفعه الله عن العبد من الآفات وقد سرد الماوردي في هذا أقوالا تسعة كما ترجع الى هذا وقيل الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم الآخرة وقيل الظاهرة الاسلام والقرآن والجمال والباطنة ما ستره الله على العبد من الاعمال السيئة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملكوت وقيل الظاهرة اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والباطنة محبته والالتفأع من ذلك وعن عطاء قال سألت ابن عباس عن هذا فقال هذه من كنوز علمي سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أما الظاهرة فمأسوى من خلقك وأما الباطنة فمأستر من عورتك ولو أباها القلالك أهلك فن سواهم أخرجه البيهقي وعنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله وأصبح

بني اسرائيل من الاوابد والغرائب والنجائب مما كان وما لم يكن ومما حرف وبدل ونسخ وقد أعنا الله سبحانه عليكم عن ذلك بما هو أصح منه وأنتع وأوضح وأبلغ والله الحد والمنة أصل الصرح في كلام العرب هو القصر وكل بناء مرتفع قال الله سبحانه وتعالى اخبارا عن فرعون لعنه الله انه قال لوزيره هامان ابن لي صرحا لي ابلغ الاسباب الآية والصرح قصر في اليمن على البناء والمرد المبنى بناء محكم أملس من قوارير أي زجاج وتريد البناء تقليسه وما رد حصن بدومة الجندل والغرض ان سليمان عليه السلام اتخذ قصر اعظيما مني فامن زجاج لهذه الملكة ليرى اعظمة سلطانه وتمكنه فلما رأت ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه وتبصرت



في امره انفاذت لامر الله تعالى وعرفت انه نبي كريم وملاك عظيم واسلمت لله عز وجل وقالت رب اني ظلمت نفسي اي بما سلف من  
 كفرها وشركها وعبادتها وقومها الشمس من دون الله واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اي متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده  
 لا شريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا (وانقادا) رسلنا الى ثبوت اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم  
 لم تستمعوا بالسبيته قبل الحسنة ولولا تستغفرون الله لعلمكم ترجون قالوا اطيرنا بك وبعين معك قال طائر كرم عند الله بل انتم قوم  
 تفتنون) يخبر تعالى عن ثبوت ما كان من امر هاجع بيبه صالح عليه السلام (٢١٩) حين بعثه الله اليهم فدعاهم الى عبادة الله

وحده لا شريك له فاذا هم فريقان  
 يختصمون قال مجاهد مؤمن وكافر  
 كقوله تعالى قال الملا الذين  
 استكبروا من قومه للذين استضعفوا  
 لمن آمن منهم تعلمون ان صالحا امر  
 من ربه قالوا انما ارسل به وؤمنون  
 قال الذين استكبروا انما الذي آمنتم  
 به كافرون قال يا قوم لم تستمعوا  
 بالسبيته قبل الحسنة اي لم تدعون  
 بحضور العذاب ولا تطلبون من الله  
 رحمة ولهذا قال لولا تستغفرون  
 الله لعلمكم ترجون قالوا اطيرنا بك  
 وعن معك اي مارا بنا على وجهك  
 ووجوه من اتبعك خيرا وذلك انهم  
 اتقاهم كان لا يصيب احد منهم  
 سوء الا قال هذا من قبل صالح  
 واصحابه قال مجاهد تشاء مواجهم  
 وهذا كما قال الله تعالى اخيارا عن  
 قوم فرعون فاذا جاءتهم الحسنة  
 قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يلبثوا  
 بموسى ومن معه الآية وقال تعالى  
 وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من  
 عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه  
 من عندك قل كل من عند الله اي  
 بقضائه وقدره وقال تعالى مخبرا عن  
 أهل القرية اذا جاءها المرسلون قالوا

عليكم نعمة الخ ففال اما الظاهرة فالاسلام وما سوى من خالفه وما أسبغ عليكم من رزقه  
 واما الباطنة فاستمر من مساوي عملك اخرج ابن النجار والديلمي والبيهقي وعنه قال  
 النعمة الظاهرة الاسلام والنعمة الباطنة كل ما ستر عليكم من الذنوب والعيوب والحدود  
 اخرج ابن مردويه وعنه انه قال في تفسير الآية هي لاله الا الله (ومن الناس من يجادل  
 في الله) اي في شأن الله سبحانه في توحيد وصفاة وكبره وعنادا بعد ظهور الحق له وقيام  
 الحججة عليه وهذا قال (بغير علم) مستفاد من عقل ونقل (ولا هدى) من جهة رسول يهتدى  
 به الى طريق الصواب (ولا كذب من غير) نبي واضح انزل الله به مجرد تعنت ومحض عناد  
 وتقليد وقد تقدم تفسير مثل هذه الآية في سورة البقرة قبل نزول في المنزلة من الحرث  
 وابي بن خلف وامية بن خلف واشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في  
 الله وفي صفاة بغير علم (واذا قيل لهم اي لهؤلاء المجادلين والجمع باعتبار معنى من اتبعوا  
 ما انزل الله) على رسوله من الكتاب تسكروا مجرد التقليد البحت (وقالوا بل تبسع ما وجدنا  
 عليه آباءنا) فبعد ما كانوا يعبدونه من الاصنام ونسب في الطريق التي كانوا يعيشون فيها في  
 دينهم ومثل هذا في القرآن كثير من ذم تقليد الآباء والرؤساء قال ابن القيم قد احتج العلماء  
 بهذه الآية وامثالها في ابطال التقليد ولم ينعمهم كفرا واكثر من الاحتجاج بها لان التشبيه  
 لم يقع من جهة كفر احد من ايمان الآخر وانما وقع التشبيه بين المقلدين بغير حجة  
 للمقلد كالمقلد رجلا فكفره وقلد آخر فاذن بوقل في مسألة فخطأ وجهها كان كل  
 واحد ملوما على التقليد بغير حجة لان كل تقليد يشبه بعضه بعضا وان اختلفت الاثام  
 فيه والتقليد انواع احدها الاعراض عما انزل الله وعدم الالتفات اليه اكتفاء  
 بتقليد الآباء الثاني تقليد من لا يعلم المقلد انه أهل لان يؤخذ بقوله الثالث التقليد بعد  
 قيام الحججة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد والفرق بين هذا وبين النوع الاول ان  
 الاول قلد قبل تمكينه من العلم والحجة وهذا قلد بعد ظهور الحججة له فهو اولي بالذم ومعصية  
 الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذم الله سبحانه هذه الانواع الثلاثة من التقليد  
 في غير موضع من كتابه والتقليد ليس بعلم باتفاق أهل العلم ولا يكون العبد منه متديبا حتى  
 يتبع ما انزل الله على رسوله فهذا المقلدان كان يعرف ما انزل الله على رسوله فهو مهتد  
 وليس بمقلدان كان لم يعرف ما انزل الله فهو جاهل ضال باقراره على نفسه فمن أين يعرف

اننا طيرنا بكم لئن لم تنتهوا لرجنكم وايستركم منا عذاب ايم قالوا طائر كرم معكم  
 طائر كرم عند الله اي الله يجازيكم على ذلك بل انتم قوم تفتنون قال قتادة يتبعون بالطاعة والمعصية والظاهر ان المراد بقوله  
 تفتنون اي تستدرجون فيما انتم فيه من الضلال (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا اتقاهم  
 بالله لنبيتهن وأهل ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون ومكر واما كرا وكرا واهم لا يشعرون فانظر كيف كان  
 عاقبة مكرهم اناد مناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون وانحينا الذين آمنوا وكانوا

يتقون) يخبر تعالى عن طغاة عمود رؤسهم الذين كانوا دعاة قومه الى الضلال والكفر وتكذيب صالح وآل بهم الحال الى انهم  
 عقرو الناقة وهو ما يقتل صالح ايضا بان يتوفى أهله لئلا يفتلوه غيلة ثم يقولوا اوليائه من أقربيه انهم ما علموا بشي من أمره  
 وانهم اصادقون فيما أخبروهم به من انهم لم يشاهدوا ذلك فقال تعالى وكان في المدينة أي مدينة ثمود تسعة رهط أي تسعة نفر  
 ينسدون في الارض ولا يلمحون وانما غلب هؤلاء على امر ثمود لانهم كانوا كبارهم ورؤساءهم قال العوفي عن ابن عباس  
 هؤلاء هم الذين عقرو الناقة أي الذين (٢٢٠) صدر ذلك عن رأيهم ومشورتهم فجهم الله ولعنهم وقد فعل ذلك

وقال السدي عن أي مالك عن ابن  
 عباس كان اسماء هؤلاء (١) التسعة  
 رعى ورعى وهم وهريم وداب  
 وصواب ومسطع وقدار بن سالف  
 عافر الناقة أي الذي يشر ذلك بيده  
 قال الله تعالى فنادوا واصحابهم  
 فتماطى فعقرو وقال تعالى اذ انبعث  
 اشقاها وقال عبد الرحمن أنبانا يحيى  
 ابن ربيعة الصنعاني سمعت عطاء  
 هو ابن أبي رباح يقول وكان في  
 المدينة تسعة رهط ينسدون في  
 الارض ولا يلمحون قال كانوا  
 يقرضون الدارهم يعني انهم كانوا  
 يأخذون منها وكانهم كانوا  
 يتعاملون بها عددا كما كان العرب  
 يتعاملون وقال الامام مالك عن  
 يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب  
 انه قال قطع الذهب والورق من  
 الفساد في الارض وفي الحديث  
 الذي رواه ابوداود وغيره أن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم نهى عن  
 كسر سكة المسلمين الخائفة بينهم الا  
 من بأس والغرض ان هؤلاء الكفرة  
 الضيقة كان من صناتهم الافساد  
 في الارض بكل طريق يقدرون  
 عليها فنهاموا ذكروا هؤلاء الائمة وغير

انه على هدى في تقليد. وهذا جواب كل سؤال يوردونه في هذا الباب وكلن طريقه الائمة  
 اتباع الخجة والنهي عن تقليدهم فمن ترك الخجة وارتكب ما نهى الله ورسوله  
 عنه قبلهم فليس على طريقهم بل هو من المخالفين لهم وانما يكون على طريقهم من اتبع  
 الخجة وانقاد للذليل ولم يتخذ جلا بعينه سوى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يجعله مختارا  
 على الكتاب والسنة يعرضهما على قوله وهذا يظهر بطلان فهم من جعل التقليد اتباعا  
 وقد فرق الله ورسوله وأهل العلم بينهما كما فرقت الحقائق بينهما فان الاتباع سلوك طريق  
 المتبع والاتباع بمنزلة ما أتى به والمصنفون في السنة جمعوا بين فساد التقليد وابطاله وبيان  
 زلة العالم ليبيّنوا بطلان فساد التقليد وان العالم قديزل ولا بد ان ليس بمعصوم فلا يجوز قبول  
 كل ما يقوله وينزل قوله منزلة قول المعصوم فهذه الذي ذممه كل عالم على وجه الارض  
 وحرموه ودموا أهله وهو أصل بلاه المقلدين وقتلتهم فانهم يملدون العالم فيمزل فيه  
 وفي المزل وليس لهم تمييز بين ذلك فيأخذون الدين بالخطا ولا بد فيملكون ما حرم الله  
 ويحرمون ما أحل الله ويشرعون ما لم يشرع ولا بد لهم من ذلك اذ كانت العصمة منتفية  
 عن قلدوه فالخطا واقع منه ولا بد انهم يتصرف في العبارة ثم قال على طريق الاستفهام  
 للاستبعاد والتبكي (أولو كان الشيطان يدعوهم) أي آذهم الذين اقتدوا بهم في دينهم  
 أي يتبعونهم في الشرك ولو كان الشيطان يدعوهم فيهم عليهم من الشرك ويجوز ان  
 يراد أنه يدعو هؤلاء الاتباع الى عذاب السمير) لانه زين لهم اتباع آياتهم والتدين بدينهم  
 والاقول أولى لان مدار انكار الاتباع واستبعاده كونه تابعين تابعين للشيطان لا كون  
 أنفسهم كذلك ويجوز ان يراد انه يدعو جميع التابعين والمتبوعين الى العذاب فدعاؤه  
 للمتبوعين بتزيتهم لهم الشرك ودعاؤه للتابعين بتزيتهم لهم دين آياتهم وجواب لو محذوف  
 أي يدعوهم فيتبعونه وما أفتج التقليدوا كثر ضرره على صاحبه وأرخص عاقبت وأشأم  
 عائدته على من وقع فيه فان الداعي له الى ما أنزل الله على رسوله كن يريد ان يذود الفرائس  
 عن لهب النار لا تحرق فتأتي ذلك وتمت في نار الخربق وعذاب السمير (ومن يسلم  
 وجهه الى الله) أي يفوض أمره اليه ويحلس له عبادته ويقبل عليه بكليته وقرئ من  
 يسلم بالتشديد قال النحاس التخفيف في هذا أعرف كما قال عز وجل فقل أسلمت وجهي  
 لله (وهو محسن) في أعماله لان العبادة من غير احسان فيها ولا معرفة بما يحتاج اليه فيها

ذلك وقوله تعالى فالوراقتاه وباللغة لئلا يتنموا أهله أي تحالفوا وتبايعوا على قتل نبي الله صالح عليه السلام من لا تقع  
 لقيه ليلا غلة فكادهم الله وجعل الدائرة عليهم قال مجاهد تقاسموا تحالفوا على هلاكه فلم يصلوا اليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين  
 وقال قتادة نواقع على ان يأخذوه لئلا يفتكوا له وذكروا انهم بيناهم عانق الى صالح ليقتكوا به اذ بعث الله عليهم صخرة  
 فاعمدتهم قال العوفي عن ابن عباس هم الذين عقرو الناقة قالوا حين عقروها لئلا يفتكوا بهم ثم يقول اولياء صالح  
 ما شهدنا من هذا شيئا وما نلتبه من علم فدمرهم الله أجمعين وقال محمد بن اسحق قال هؤلاء التسعة بعد ما عقرو الناقة فلم يفتكوا  
 (١) قوله هؤلاء التسعة الخ كذا باصه والمعدود غالية وهي مخالفة لما في الكشاف والخطيب فخرروا نظر التاسع اه صححه

صالحا فان كان صادقا فاجلنا قد علموا ان كان كاذبا قد اخلصناه بناقته فانوه ليل لا يبيته في اهل قدم غمهم الملائكة بالحجارة فلما ابطوا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم منشدخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لالصالح انت قتلتمهم ثم هموا به فقامت عشيته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه ابدا وقد وعدتم ان العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا فلا تزدوا بكم عليكم غضبا وان كان كاذبا فانتم وراء ماتريدون فانصرفوا عنهم الملتهم تلك وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم لماعقروا النائمة قال لهم صالح تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذب قالوا زعم صالح انه (٢٢١) يفرغ منا الى ثلاثة ايام فنحن نفرغ منه

واهلكه قبل ثلاث وكان لصالح مسجد في الحجر عند شعب هناك يصل فيه فخرجوا الى كهف اى غار هناك ليل فقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا اذا فرغنا منه الى اهلكه ففرغنا منهم فبعث الله عليهم صخرة من اهلص جباههم نفسوا ان تشدخهم فبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار فلا يدري قومهم أين هم ولا يدرون ما فعل بقومهم فعذب الله هؤلاء ههنا وهؤلاء ههنا وأنجى الله صالحا ومن معه ثم قرأ ومكروا ومكروا ومكروا ومكروا لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم اناد من ناهم وقومهم اجعين فذلك بيوتهم خاوية اى فارغة ليس فيها احد بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (ولو ظنا ان قال لقومه اتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم اناس يتطهرون فأنجيناها وأهل الامراته قدرناها من الغابرين وأمرنا عليهم

لا تقع بالموثق الذي تقع به عبادة المحسنين وقد صرح عن الصادق المصدوق لما سأله جبريل عن الاحسان انه قال له ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (فقد استمسك بالعمرة الوثوق) اى اعتمصم بالعهد الاوثق وتعاقب به وهو تمثيل للحال من أسلم وجهه الى الله بحال من أراد ان يرتقى الى شاهق جبل فيمسك بوثق عرى جبل متدل منه (والى الله عاقبة الامور) اى صيرها الله الى غير فيجازى عليها (ومن كفر فلا يحزنك كفره) اى لا تحزن لذلك فان كفره لا يضرك فرى بفتح اليا وضم الزاى وضم الباء وكسر الزاى سبعينان بين سبحانه حال الكافر من بعد فراغه من بيان حال المؤمنين ثم توعدهم بقوله (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) اى نخبرهم بما عملوا ونبأهم بما عملوا (ان الله علم بذات الصدور) اى بما أسرته صدورهم لا تخفى عليه من ذلك خافية فالسر عنده كالعلانية (تتعهم) تسعيا وزمانا (قليل) اى ينقيهم في الدنيا مدة قليلة يتبعون بها الى انقضاء آجالهم فان النعيم الزائل هو اقل قليل بالنسبة الى النعيم الدائم (ثم اضطرتهم الى عذاب غليظ) اى نجبتهم وزادهم الى عذاب النار في الآخرة لا يجدون عنها محيصا والمراد الشدة والشد على المعذب فاد لا تقل منه على من وقع فيه وأصيب به فلهذا استعيره الغلظ (واتين) لام قسم (سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) اى يترفون بان الله خالق ذلك لوضوح الامر فيه عندهم وهذا اعتراف منهم بما يدل على التوحيد وبطلان الشرك والزمام لهم على اقرارهم ولهذا قال (قل) يا محمد (الحمد لله) على اعترافكم فكيف تعبدون غيره وتجعلونه شركا لله أو المعنى فقل الحمد لله على ما عدا اناله من دينه ولا جد غير أو على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ويجهدها الجاحدون ثم انسرب عن ذلك فقال (بل أكثرهم لا يعلمون) ان ذلك يلزمهم واذانها وعليه لم يتبها وقيل لا تطرون ولا يدبرون حتى يعلموا ان خالق هذه الاشياء هو الذى يجب له العبادة ودون غيره (الله ما فى السموات والارض) ملكا وخالقا وعبدا فلا يستحق العبادة فيه ما غيره (ان الله هو العلى) عن غيره (الحمد) اى المستحق للحمد وان لم يحمده أو الخلود من عباده بان المقال أو باسان الحال ثم لما ذكر سبحانه ان له ما فى السموات والارض أتبعه بما يدل على ان له وراء ذلك ما لا يحيط به عد ولا يحصر مجد فقال (ولو أن) جميع ما فى الارض من شجرة أو قلام) وحد الشجرة قلما تقررى علم المعاني ان استغراق المفرد أهل قيل وتوحيد

مطرافساء طر المتذرين) يخبرنا على عن عبده ورسوله لوط عليه السلام انه أتد قومه نعمة الله بهم في فعلهم الفاحشة التى لم يسبقهم اليها احد من بني آدم رعى ايمان الذكور دون الاناث وذلك فاحشة عظيمة استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فقام اتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون اى يرى به ضحككم بعضا وتأتون في ناديتكم المنكرات تشكركم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون اى لا تعرفون شيئا لا طبع ولا شرعا كما قال فى الآية الاخرى اتأتون الذكر ان من العلمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم اناس يتطهرون

أى يخرجون من فعل ما تفعلونه ومن اقراركم على صنعكم فاخرجوهم من بين أظهركم فانهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم فعزموا على ذلك فدمر الله عليهم والكافرين أمثالها قال الله تعالى فأنجيئناهم وأهلكناهم لئلا يحزنوا من الهالكين مع قومها لانها كانت ربنا لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بافعالهم القبيحة فكانت تدل قومها على ضيقنا لو طولنا فيهم لانها كانت تفعل الفواحش تكريماً لنبي الله صلى الله عليه وسلم لا كرامة لها وقوله تعالى وأمطرنا عليهم مطراً أى حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما عى (٢٢٢) من الظالمين يعيد ولهذا قال فساء مطر المنذرين أى الذين قامت

شجرة لان المراد تفصيل الشجر واستقصاؤه فكانه قال كل شجرة شجرة حتى لا يتبقى من جنس الشجر واحدة الا وقد برت أقلاما ولولم يفر دم يفده هذا المعنى اذا جمع يتحقق بما فوق الثلاثة الا ان تدخل عليه لام الاستغراق هكذا قرره قال الشهاب وفيه بحث فان افادته المفرد التفصيل بدون تكرار والاستغراق بدون نفي محمل نظر لانه انما عهد ذلك في خروجنا في رجالا رجلا وما عندى عمرة قال أبو حيان وهو من وقوع المفرد موقع الجمع والنكرة موقع المعرفة كقوله ما نسخ من آية وجع الاقلام ان صد انت كثير أى ولو ان بعدت كل شجرة من الشجر أقلاما ثم قال سبحانه (والبحر) أى المحيط لانه المتبادر من التعريف اذ هو التردد الكامل قرئ البحر بالرفع على انه مبتدأ وخبره يده وبالنصب عطفا على اسم ان أو بفعل مضمرة يفسره (عنده من بعده) أى بعد فناده (سبعة أبحر) أى والحال ان البحر المحيط مع سبعة يده السبعة الا بجر مد الا بتقطع كذا قال سيويه وقال المبرد ان البحر مر تنوع بفعل مقدر تقديره ولو ثبت البحر حال كونه قدومه من بعده سبعة أبحر وقرئ يده من آمد وقرئ والبحر مداده وجواب لو (ما نفلت كلمات الله) التى هى عبارة عن معلوماته لانها لانها نهاية لها قال أبو علي الفارسي المراد بالكلمات والله أعلم ما فى المقدر والامكان دون ما خرج منه الى الوجود والزمان ووافته القفال فقال المعنى ان الاشجار لو كانت اقلاما والهار مداد افكتب بها عجائب صنع الله تعالى الدالة على قدرته ووحدايته لم تنفذ تلك العجائب قال القشيري رد القفال معنى الكلمات الى المقدرات وحمل الآية على الكلام القديم اولى والمخلوق لا بد له من نهاية واذا نقيت النهاية فهى نقي للنهاية عما يقدر فى المستقبل على ايجاده فاما ما حصره الوجود وعده فلا بد من تناسيه والقديم لانها يه على التحقيق قال النحاس قدس بن ان الكلمات ههنا راد بها العلم وحقائق الاشياء لانه جل وعلا علم قبل ان يخلق الخلق ما هو خالق فى السموات والارض من شئ وعلم ما فيه من مشا قبل الذر وعلم الاجناس كلها وما فيها من شعرة وعضو وما فى الشجرة من ورق وما فيها من ضروب الخلق وقيل ان قريشا قالت ما أكثر كلام محمد فنزلت قاله السدى وعن ابن مسعود قال ان حبار الهمود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا مدية يا محمد رأيت قولك وما أوتيت من العلم الا قليلا انا نريد ان نعلمك فقال كلافوا ائتت تلوف فيما جاءك ان اقدأ وتبنا التوراة وفيها آيات ان كل شئ فقال انها فى علم الله قليل وأنزل

عليهم الحجة ووصل اليهم الانذار فخالفوا الرسول وكنبوه وهموا باخراجه من بينهم من قبل الله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خيرا ما يبشر كون أمن خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فابتنابه حداثق ذات بهجة ما كان لكم ان تثبتوا شجرها الله مع الله بل هم قوم بعدلون) يقول تعالى أمر ارسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول الحمد لله أى على نعمه على عباده من النعم التى لا تعد ولا تحصى وعلى ما اتف به من الصفات العلى والاسماء الحسنى وان يسلم على عباده الله الذين اصطفاهم واختارهم وهم رساله وأنبياؤه الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره ان المراد بعباده الذين اصطفاهم الانبياء قال وهو كقوله سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقال الثورى والسدى هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورصى عنهم أجمعين وروى نحوه عن ابن عباس أيضا ولا منافاة

فانهم اذا كانوا من عباده الله الذين اصطفى فالانبياء بطريق الاولى والاحرى والقصد ان الله تعالى أمر رسوله

الله ومن اتبعه بعد ذلك لهم ما فعل باولياؤه من النجاة والنصر والتأييد وما حل باعدائه من الخزي والسكال والقهر ان يحمدوه على جميع أفعاله وان يسلموا على عباده المصطفين الا خيار وقد قال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عمار بن صبيح حدثنا طلق بن غنم حدثنا الحكم بن ظهير عن السدى ان شاء الله عن أبي مالك عن ابن عباس وسلام على عباده الذين اصطفى قال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاهم الله لبيبه رضى الله عنهم وقوله تعالى الله خيرا ما يبشر كون استفهام انكار على المشركين فى عبادتهم مع الله

آلهة اخرى ثم شرع تعالى يبين انه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال تعالى أمن خلق السموات أى خلق تلك السموات  
 فى ارتفاعها وصفائها وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والافلاك والارزة وخلق الارض فى استغناها وكثافتها وما  
 جعل فيها من الجبال والسمول والاعوار والنبات والاشجار والثمار والبخار والحيوان على اختلاف الاصناف  
 والاشكال والالوان وغير ذلك وقوله تعالى وأنزل لكم من السماء ماء أى جعله رزقا للعباد فانبتنا به حدائق أى نباتات ذات بهجة  
 أى منظر حسن وشكل بهى كما كان لكم ان تنبتوا اشجارها وانما يتقدر على ذلك

الخالق الرزق المستقل بذلك المتفرد  
 به دون ماسواه من الاصنام والانداد  
 كما يعترف به هؤلاء المشركون كما  
 قال تعالى فى الآية الاخرى وان  
 سألتهم من خلقهم ليقولن الله وان  
 سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به  
 الارض من بعد موتها ليقولن الله  
 أى هم معترفون بانه المتفرد بالجميع  
 ذلك وحده لا شريك له ثم هم يعبدون  
 معه غيره مما يعترفون انه لا يخلق  
 ولا يرزق وانما يستحق ان يفرد  
 بانه مادة من هو المتفرد بالخلق  
 والرزق ولهذا قال تعالى أله مع الله  
 أى أله مع الله يعبد وقد تبين لكم  
 ولكل ذى اب مما يعترفون به بضائه  
 الخالق الرزق ومن المنسرين من  
 يقول معنى قوله أله مع الله فعل  
 هذا وهو يرجع الى معنى الاول لان  
 تقدير الجواب انهم يقولون ليس  
 ثم اذ فعل هذا مع الله هو المتفرد  
 به فيقال فكيف تعبدون معه غيره  
 وهو المستقل المتفرد بالخلق والرزق  
 والتدبير كما قال تعالى أمن يخلق  
 كمن لا يخلق الآية وقوله تعالى هو  
 امن خالق السموات والارض  
 أمن فى هذه الآيات كلها تدبره

الله ولو ان ما فى الارض الآية أخرجه ابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم قال أبو عبدة  
 المراد بالبحر هنا الماء العذب الذى ينبت الاقلام وأما المالح فلا ينبت قال الشوكلى  
 ما أسقط هذا الكلام وأقل جدواه (ان الله عز وجل حكيم) أى غالب لا يجزئه شئ ولا يخرج  
 عن حكمته وعلمه فرد من افراد مخلوقاته (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس) أى كخلق  
 نفس (واحدة) وبعثها لانه بكامة كن فيكون قال النحاس هكذا قدره الخويون يعنى  
 الا كخلق نفس كقوله واسأل القرية قال الزجاج أى قدرة الله على بعث الخلق كلهم  
 وعلى خلقهم كتب قدرته على خلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة أى سواء فى قدرته  
 القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن (ان الله سميع) لكل ما يسمع (بصير) لكل  
 ما يبصر (ألتم تر) الخطاب لكل أحد يصلح لذلك وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم (ان الله  
 يوبخ الليل فى النهار ويوبخ النهار فى الليل) أى يدخل كل واحد منهما فى الآخر فيزدكل  
 منهما ما يعتصم من الآخر وقد تقدم تفسيره فى سورة الحج والانعام (وسبح الشمس  
 والقمر) أى ذللهما وجعلهما منقادين بالطلوع والاقول تقدير اللال وتسمي الامنا فاع  
 والاختلاف بينهما فى الصيغة لسان ايلاج أحد المولىين فى الآخر متجدد فى كل حين وأما  
 تسخير النيران فأمر لا تعدد فيه وانما التعدد والتجدد فى آثاره (كل منهما) (يجرى الى  
 اجل مسمى) قيل هو يوم القيامة وقيل وقت الطلوع ووقت الاقول وقيل الشمس الى  
 آخر السنة والقمر الى آخر الشهر والاول اولى وقال هنا بانظ الى وفى فاطر والزمر بلفظ  
 اللام لان ما هنا وقع بين آيتين داليتين على غاية ما ينتهى اليه الخالق وعما قوله ما خلقكم  
 الآية وقوله اتقوا ربكم واخشوا يومما الآية فتناسب ذكر الاله على الانتهاء وما فى  
 فاطر والزمر حال عن ذلك اذ ما فى فاطر لم يذ كر مع ابتداء خلق ولا انتهائه وما فى الزمر ذكر  
 مع ابتداءه فتناسب ذكر اللام والمعنى يجرى كل كاذر كلبوغ اجل قاله الكرخى (وان الله  
 بما تعملون خبير) لا تخفى عليه خافية لان من قدر على مثل هذه الامور العظيمة فتدبره  
 على العلم بما يعملونه بالاولى وهو عطف على ان الله يوبخ الخ داخل معه فى خبر الؤية (ذلك)  
 أى ما تقدم ذكره من الآيات الكريمة المشتهرة على سعة العلم وشمول القدرة وعجائب  
 الصنع واختصاص البارى بها (بان الله) أى بسبب انه سبحانه (هو الحق) الثابت ألوهيته  
 أو فعل ذلك ليعلموا انه الحق وهو المستحق للعبادة (وأن ما يدعون من دونه الباطل)

أمن يفعل هذه الاشياء كمن لا يتقدر على شئ منها هذا معنى السياق وان لم يذكر الاخر لان فى قوة الكلام ما ارشد الى ذلك وقد قال  
 الله تعالى الله خير أم ما يشركون ثم قال فى الآية الاخرى بل هم قوم بعدلون أى يجعلون الله عدلا نظيرا وهكذا قال تعالى أمن  
 هو قانت آناه الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه أى أمن هو هكذا كمن ليس كذلك ولهذا قال تعالى قل  
 هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوالالباب أمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل  
 للفاسقة قالوا بهم من ذكر الله الآية وقال تعالى أمن هو قاتم على كل نفس بما كسبت أى أمن هو شئ يدعى افعال الخلق حركاتهم

وسكانهم يعلم الغيب جليلة وحفيرة كن هو لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الاصنام التي عبدوها من دون الله وله - ذاق قال تعالى  
 وجعلنا لعلهم شركاء - وهم وهم وهكذا هذه الآيات الكريمة كلها (أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها  
 رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ألع مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى أمن جعل الارض قرارا أي فارة ساكنة ثابتة  
 لا تميد ولا تتحرك باهلها ولا ترجف بهم فانها لو كانت كذلك لما طاب عليهم العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهادا بساطا  
 ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك كما قال تعالى (٢٢٤) في الآية الاخرى الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماوات بناه

لا يستحق العبادة قال مجاهد الذي يدعون من دونه هو الشيطان وقيل ما أشركوا به من  
 صنم أو غيره وهذا أولى (وأن الله هو العلي الكبير) أي ان ذلك الصنع البديع الذي وصفه  
 في الآيات المتقدمة للاستدلال به على حقيقة الله وبطلان ما سواه وعلوه وكبريائه على  
 الخلق له الصفات العلية والامناء الحسنى وهو على الذات سمي الصفات كبر الشان جليل  
 القدر رفيع الذكرمطاع الامرجلى البرهان ثم ذكر من عجيب صنعه وبديع قدرته وغاية  
 حكمته وشمول انعامه نوعا آخر فقال (ألم تر أن النالك) أي السفن والمركب (تجري في  
 البحر بنعمة الله) أي باطنه بكم ورحمته لكم اوبالرريح لانها من نعم الله تعالى وذلك من  
 اعظم نعمه عليكم لانها تخلصكم من الغرق عند استنارتكم في البحر لطلب الرزق وقرئ  
 بنعمات الله جمع نعمة والباء للصلة او للعالم (ليريكمن آياته) من التبعية اي بعض آياته  
 قال يحيى بن سلام وهو جري السفن في البحر بالرريح وقال ابن شجرة المراد بقوله من آياته  
 ما يشاهدونه من قدرة الله تعالى قال التناس ما يرزقهم الله من البحر (ان في ذلك لايات  
 لكل صبار شكور) هذه الجملة تعليل لما قبلها اي ان فيما ذكر لايات عظيمة وعبر الخيمة  
 لكل من له صبر بليغ وشكر كثير يصبر عن معاصي الله ويشكر نعمه وهما صلتا المؤمن  
 فالايان نصنان نصفه شكرو ونصفه صبر فكانه قال ان في ذلك لايات لكل مؤمن حيث  
 يبعث نفسه في التقوى كرفي عدم غرقه وفي سيره الى البلاد الشاسعة والافطار البعيدة وفي  
 كون سيره ذعابا وابابا بريحين ونارة بريح واحدة وفي انجاء نوح عليه السلام ومن  
 اراد الله تعالى من خلقه واغراق غيرهم من جميع اهل الارض وفي غير ذلك من شؤنه  
 واموره وافعاله وصنائه (واذا غشيهم موج كالظلل) اي كالجبال التي تظل من تحتها شبه  
 الموج لكبر بما يظل الانسان من جبل او صحاب او غيرهما وانما شبه الموج وهو واحد  
 بالظلل وهي جمع لان الموج يأتي شيا بعد شئ ويركب بعضه بعضا وقيل ان الموج في معنى  
 الجمع لانه مصدر واصل الموج الحركة والازدحام ومنه يقال مائج البحر وماج الناس  
 وقرئ كالظلال جمع ظل (دعوا الله) وحده (مخلصين له الدين) أي لا يعولون على غيره في  
 خلاصهم لانهم يعلمون انه لا يضر ولا ينفع سواه ولكنهم يغلب على طبائعهم العادات  
 وتقائم الاموات فاذا وقعوا في مثل هذه الحالة اعترفوا بوحداية الله تعالى واخلصوا  
 ذينهم له طلبا للخلاص والسلامة مما وقعوا فيه لزوال ما ينزع الفطرة الايمانية

وجعل خلالها أنهارا أي جعل فيها  
 الانهار العذبة الطيبة شربها في  
 شلالها وصرفها فيها ما بين انهار  
 كبار وصغار وبين ذلك وصيرها  
 شرفا وغربا وجنوبا وشمالا بحسب  
 مصالح عباده في أقاليمهم واقطارهم  
 حيث ذراهم في ارجاء الارض سير  
 لهم ارزاقهم بحسب ما يحتاجون  
 اليه وجعل لها رواسي أي جبالا  
 شاهجة ترسي الارض وتثبتها لئلا  
 تميد بكم وجعل بين البحرين حاجزا  
 أي جعل بين المياه العذبة والمالحة  
 حاجزا أي مانعا عندهما من الاختلاط  
 لئلا يتسد هذا بهذا وهذا بهذا فان  
 الحكمة الالهية تقتضي بقاء كل  
 منهما على صفته المقصودة منه فان  
 البحر الحلو هو هذه الانهار السارحة  
 الجارية بين الناس والمقصود منها  
 ان تكون عذبة لا يسي الحيوان  
 والنبات والثمار منها والبخار المسالمة  
 هي المحيطة بالارجاج والاقطار من  
 كل جانب والمتصود منها ان يكون  
 ماؤها ملحا اجاجا لئلا تفسد  
 الهوا ويريحها كما قال تعالى وهو  
 الذي مريح البحرين هذاعذب  
 فرات وعذامح اجاج وجعل بينهما

برزخا وحجرا محجورا وهذا قال تعالى أله مع الله أي فعل هذا أو بعدد على القول الاول والاخر وكلاهما  
 من متلازم صحيح بل أكثرهم لا يعلمون أي في عبادتهم غيره (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجمع لكم خلفاء الارض أله مع  
 الله قليلا ما تذكرون) ينسب تعالى انه المدعو عند الشدة اذا الموجد عند الازل كما قال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون  
 اليه والذى لا يكشف الضر ورين سواء قال الامام أحمد أنبا ناعفان أنبا ناهيب أنبا ناخالدا الحذاء عن أبي تيمية الههجمي عن

رجل من بلهيم قال قلت يا رسول الله الام تدعو قال ادعوا الى الله وحده الذي ان مسك ضرفدعونه كشف عنك والذي ان افضالت  
بارض قفر فدعونه رد عليك والذي ان اصابك سنة فدعونه ائت بك قال قلت اوصني قال لا تسبن احدا ولا تزهدن في المعروف  
ولو ان تلقى اهلك وانت منبسط اليه وجهك ولو ان تفرغ من دلوك في اناه المستقي واتر الى نصف الساق فان ابيت فالى الكعبين  
واياله واسبال الازار فان اسبال الازار من الخيلة وان الله لا يحب الخيلة وقد رواه الامام احمد من وجه آخر فذكر اسم الصحابي فقال  
حدثنا عفان حدثنا جاد بن سلمة حدثنا يونس هو ابن عبيد حدثنا (٢٢٥) عبيدة الهجيمي عن ابيه عن ابي عمية

من الهوى والتقليد بعبادهاهم من الشدايد (فلما نجواهم الى البر) صار واقفين (فمنهم  
مقتصد) أي ففهم مقتصد أي عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من اخلاص  
الدين له باق عن ذلك بعد ان نجاه الله من هول البحر وأخرجه الى البر سالما قال الحسن  
معنى مقتصد مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة وقال مجاهد مقتصد في القول مضمهر  
للكفر وقال الرازي المقتصد المتوسط بين السابق بالخيرات والظالم لنفسه وهو الذي  
تساوت سبباته وحسناته وقيل متوسط بين الكفر والايمان لانه ازجر بعض الانزجار  
ومنهم باق على كفره لان بعضهم كان أشد قولا وأعلى افترا من بعض والاولى ما ذكرناه  
قيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاؤهم ربيع عاصف  
فقال عكرمة لئن نجانا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولاضع يده  
في يدي فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة وحسن اسلامه وفي الكلام حذف  
والتقدير ففهم مقتصد ومنهم كافر لم يوف بما عاهد ويدل على هذا المحذوف قوله (وما يجحد  
بآياتنا الا كل ختار كفور) لانه نقض العهد الفطري ورفض ما كان عليه في البحر وهذا  
في مقابلة صبار كان كفورا في مقابلة شكور والختار سوء الغدر وأقبحه قال الجوهري  
الختار الغدر يقال خترة فهو ختار أي غدار قال الماوردي وهذا قول الجمهور وقال ابن  
عطية انه الجاحد وحجدا الآيات انكارها والكفور عظيم الكفر بنعم الله سبحانه قال  
ابن عباس ختار جحاد (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي) أي لا يغني  
ولا يقضى (والدعن ولده) شيئا ولا ينفعه بوجه من وجوه النفع لاستغاله نفسه وقد تقدم  
بيان معناه في البقرة (ولامولود هو) مبتدأ ثان خبره (جازعن والده شيئا) والجملة خبر  
مولود وجازا لا يتداهبه وهو نكرة لانه في سياق النفي ثم الخبر مع المبتدأ كلام وارد على  
طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية أكد من الجملة  
الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في ذلك ان الخطاب للمؤمنين  
فأريد حسم أطماعهم ان يتفجعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة ومعنى التأكيدي في لفظ  
المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعة فضل ان يشفع  
لاجداده اذ الولد يقع على الوالد ولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد من ان الكشاف  
وبالجملة فقد ذكر سبحانه هنا فردين من القرابات وهما الوالد والولد وهما الغاية في الحسن

من الهوى والتقليد بعبادهاهم من الشدايد (فلما نجواهم الى البر) صار واقفين (فمنهم  
مقتصد) أي ففهم مقتصد أي عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من اخلاص  
الدين له باق عن ذلك بعد ان نجاه الله من هول البحر وأخرجه الى البر سالما قال الحسن  
معنى مقتصد مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة وقال مجاهد مقتصد في القول مضمهر  
للكفر وقال الرازي المقتصد المتوسط بين السابق بالخيرات والظالم لنفسه وهو الذي  
تساوت سبباته وحسناته وقيل متوسط بين الكفر والايمان لانه ازجر بعض الانزجار  
ومنهم باق على كفره لان بعضهم كان أشد قولا وأعلى افترا من بعض والاولى ما ذكرناه  
قيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاؤهم ربيع عاصف  
فقال عكرمة لئن نجانا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولاضع يده  
في يدي فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة وحسن اسلامه وفي الكلام حذف  
والتقدير ففهم مقتصد ومنهم كافر لم يوف بما عاهد ويدل على هذا المحذوف قوله (وما يجحد  
بآياتنا الا كل ختار كفور) لانه نقض العهد الفطري ورفض ما كان عليه في البحر وهذا  
في مقابلة صبار كان كفورا في مقابلة شكور والختار سوء الغدر وأقبحه قال الجوهري  
الختار الغدر يقال خترة فهو ختار أي غدار قال الماوردي وهذا قول الجمهور وقال ابن  
عطية انه الجاحد وحجدا الآيات انكارها والكفور عظيم الكفر بنعم الله سبحانه قال  
ابن عباس ختار جحاد (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي) أي لا يغني  
ولا يقضى (والدعن ولده) شيئا ولا ينفعه بوجه من وجوه النفع لاستغاله نفسه وقد تقدم  
بيان معناه في البقرة (ولامولود هو) مبتدأ ثان خبره (جازعن والده شيئا) والجملة خبر  
مولود وجازا لا يتداهبه وهو نكرة لانه في سياق النفي ثم الخبر مع المبتدأ كلام وارد على  
طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية أكد من الجملة  
الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في ذلك ان الخطاب للمؤمنين  
فأريد حسم أطماعهم ان يتفجعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة ومعنى التأكيدي في لفظ  
المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعة فضل ان يشفع  
لاجداده اذ الولد يقع على الوالد ولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد من ان الكشاف  
وبالجملة فقد ذكر سبحانه هنا فردين من القرابات وهما الوالد والولد وهما الغاية في الحسن

(٢٩ - فتح البيان سابع) في الكتاب الاقول ان الله تعالى يقول بعزتي انه من اعتمى بي فان كادته السموات من فيهن والارض  
من فيهن فاني اجعل له من بين ذلك مخرجا ومن لم يعتصم بي فاني اخسف به من تحت قدميه الارض فاجعله في الهوفا كاله الى نفسه  
وذ كراخاف بن عسافر في ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالذقي الصوفي قال هذا الرجل كنت أكرى  
على بغل لي من دمشق الى بلد الزيداني فركب معي ذات مرة رجل فمرنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوله فقال لي خذ في  
هذه فانها أقرب فقالت لا خيرة لي فيها فقال بل هي أقرب فسدكناها فانتهينا الى مكان وعمر وواد عميق وفيه دقلي كثيرة فقال لي  
(٣) قوله ادع الله لي يا ابا عبد الرحمن فقال ادع الخي نسخة ادع الله لي قال يا ابا عبد الرحمن ادع الخو حرا اه معجمه

أمسك رأس البغل حتى انزل فنزل وتشمر وجع عليه ثيابه وسل سكيناه معه وقصدني ففرت من بين يديه وتبعني فنادته الله وقلت خذ البغل بما عليه فقتال هولي وانما يريد قتلك فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل فاستلمت بين يديه وقلت ان رأيت ان تتركني حتى أصلي ركعتين فقتال وبجل ففقت أصلي فأرتج على القرآن فلم يحضرنى منه حرف واحد فبقيت واقفا متخبراً وهو يقول هيه افرغ فاجرى الله على لساني قوله تعالى أمن يحيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء فاذا نابفارس قد أقبل من سم الوادي ويده حربة فرمى به الرجل فساء أخطأت فؤاده (٢٢٦) فخر صريعا فتعلقت بالفارس وقلت بالله من أنت فقال أنا رسول الذي يحيب

والحبة والسنة فقتل على بعضهم لبعض فاعداها من القربات لا يجزي بالاولى فكيف بالاجانب ونبيه أيضاً بالاعلى على الادنى وبالادنى على الاعلى قالوا لا يجزي عن واده في الدنيا الكمال شفقته عليه والولد يجزي عن والده لما له عليه من حق التربية وغيرها فاذا كان يوم القيامة فكل انسان يقول نفسي ونفسي ولا يتم بقریب ولا بعيد وقال ابن عباس كل امرئ ثممه نفسه اللهم اجعلنا ممن لا يرجو سواك ولا يعول على غيرك (ان وعد الله) بالبعث (حق) لا يتخلف فساو عديبه من الخير وأوعديبه من الشر فهو كائن لا محالة (فلا تعزركم الحياة الدنيا) وزخارفها عن الاسلام فانها زائله ذاهبة فانية (ولا يغيرنكم بالله) في حلمه وامهاله (الغرور) بفتح الغين أى الدنيا والامل بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجبركم على المعاصي وقال ابن عباس الغرور هو الشيطان وكذا قال مجاهد وعكرمة وقتادة لان من شأنه أن يغر الخلق ويمدحهم بالاماني الباطلة ويلهبهم عن الآخرة ويصدهم عن طريق الحق وقال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتمنى المغفرة وقرئ بضم الغين مصدر غر يغر غرورا ويجوز أن يكون مصدرا واقعا وصد الشيطان على المباغة (ان الله عنده علم الساعة) أى علم وقتها الذى تقوم فيه قال الفراء ان معنى هذا الكلام التنى أى ما يعلمه الا الله عز وجل قال النحاس وانما صار فيه معنى التنى لما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في قوله وعند الله مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو انما هذه أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله لا يعلم ما فى غد الا الله ولا متى تقوم الساعة الا الله ولا ما فى الارحام الا الله ولا متى ينزل الغيث الا الله وما تدرى نفس بأى أرض تموت الا الله وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أى هريرة فى حديث سؤاله عن الساعة وجوابه باشرطها ثم قال فى خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا هذه الآية أى لا يدرى أحد متى تقوم الساعة فى أى سنة وأى شهر وأى يوم وأى ساعة لئلا أوتها وفى الباب أحاديث وعن مجاهد قال جاء رجل من أهل البادية فقال ان امرأتى حبل فأخبرنى ما تلدو بلادنا مجذبة فأخبرنى متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت واخبرنى متى أموت فأنزل الله ان الله عنده علم الساعة الآية وعن عكرمة نحوه وزاد وقد علمت ما كسبت اليوم فاذا أكسبت غدا وزادا أيضا انه سأل عن قيام الساعة وقيل نزلت فى الحارث بن عمرو بن حارثة من أهل

المضطر اذا دعاه ويكشف السوء قال فأخذت البغل والحل ورجعت سالما وذكرت فى ترجمة فاطمة بنت الحسن أم أحمد العجمية قالت هزم الكندار بما للمسلمين فى غزاة فوقف جواد جديدا صاحبها وكان من ذوى اليسار ومن الصحاء فقتال للجواد مالك ويملك انما كنت اعدك لمنسل هذا اليوم فقال له الجواد ومالى لا اقصر وأنت تسكل العلوقة الى السواس فيظلمونى ولا يطعمونى الا القليل فقال لك على عهد الله انى لا اعلمك بعد هذا اليوم التنى جبرى جبرى الجواد عند ذلك ونجى صاحبه وهو كان لا يعلمه بعد ذلك الا فى حجره واشتهر امره بين الناس وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك وبلغ ملك الروم امره فقال ما نضام بلدة يكون هذا الرجل فيها واحتمل ليصله فى بلدة فبعث اليه رجلا من المرتدين عنده فلما انتهى اليه اظهر له انه قد حسنت نيتك فى الاسلام وقومه حتى استوثق ثم خرجا يوما عسيان على جنب الساحل وقد وءد شخص آخر من جهة ملك الروم لبيتا ساء را على أسره فلما

اكتشفناه ليأخذاه ورفع طرفه الى السماء وقال اللهم انه انما خدعنى بك فاكفني ما عاشرت قال فخرج البادية سبعان فاخذاهما ورجع الرجل سالما وقوله تعالى ويجعلكم خلفاء الارض أى يخلف قرننا لقرن قبلهم وخلفاء السلف كما قال تعالى ان يشاء يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين وقال تعالى وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال تعالى واذا قال ربك للملائكة انى جعل فى الارض خليفة أى قوميا يخلف بعضهم بعضا كما قدمنا تقريره وهكذا هذه الآية ويجعلكم خلفاء الارض أى أمة بعد أمة وجيلا بعد جيل وقوما بعد قوم ولوشاء لا وجدهم كلهم



في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض بل لو شاء خلقهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب ولو شاء ان يجعلهم ذرية بعضهم من بعض واكن لايمت احد حتى يكون وفاة الجميع في وقت واحد فكانت تضيق عنهم الارض وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض ولكن اقتضت حكمته وقدرته ان يخلقهم من نفس واحدة ثم يكثرهم غاية الكثرة ويذراهم في الارض ويجعلهم قرون ونا بعد قرون واما بعد ادم حتى ينقضي الاجل وتفرغ البرية كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعددهم عدا ثم يقيم القيامة ويوفي كل عامل عمله اذا بلغ الكتاب أجله ولهذا قال تعالى (٢٢٧) أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء

ويجعل لكم خلفاء الارض الله مع الله أي يتدر على ذلك أو أسمع الله بعدد وقد علم ان الله هو المتقدر يفعل ذلك وحده لا شريك له قليلا ما نذرون أي ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم الى الحق ويهديهم الى الصراط المستقيم (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أسمع الله تعالى أم ينزل الغيث الذي يريكم في ظلمات البر والبحر أي بما خلق من الدلائل السماوية والارضية كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم متدون وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر الآية ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أي بين يدي السحاب الذي فيه مطر يغيث الله به عباده المجددين الازليين القنطين أله مع الله تعالى الله عما يشركون (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال تعالى في الآية

البادية (و ينزل الغيث) في الاوقات والامكنة التي جعلها معينة لانزاله ولا يعلم ذلك غيره قرئ من التنزيل والانزال (و يعلم ما في الارحام) من الذكور والاناث والصلاح والفساد (وما تدرى نفس) من النفوس كائنة ما كانت من غير فرق بين الملائكة والانبياء والجن والانس (ماذا تكسب غدا) من كسب دين أو كسب دنيا خيرا أو شر (وما تدرى نفس باى أرض تموت) وقرئ باية أرض وجوز ذلك التراء وهي لغة ضعيفة قال الاخفش يجوز ان يقال مررت بجارية أي جارية والمعنى ولا تعلم نفس باى مكان يقضى الله عليها بالموت من الارض في بر أو بحر في سهل أو جبل وربما أقامت بأرض وضربت أرتادها وقالت لا ابرحها فترمي بها من اى القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت قال كانه يريدني وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه لانى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك ذكره النسفي في المدارك ورأى المنصور في منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار بأصابعه الخمس فعبدها المعبرون بخمس سنوات وبخمس أشهر وبخمس أيام فقال أبو حنيفة هو إشارة الى هذه الآية فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله قال الكرخي أضاف في الآية العلم الى نفسه في الثلاثة من الخمسة المذكورة ونفى العلم عن العباد في الاخيرتين منها مع ان الخمسة سواء في اختصاص الله تعالى بعلمها وانتفاء علم العباد بها لان الثلاثة الاولى أمرها أعظم وأنخم نخصت بالاضافة اليه تعالى والاخيرتان من صفات العباد خصتا بالاضافة اليهم مع انه اذا اتقى عنهم علمهما كان انتفاء علم ما عداهما من الخمسة أولى (ان الله عليم) بهذه الاشياء وبغيرها من الغيوب (خبير) بما كان وما يكون ويواطن الاشياء كلها ليس علمه محيطا بتظاهر فقط قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل فن ادعى انه يعلم شيئا من هذه فانه كفر بالقرآن وعن الزهري أكثر واقراءة سورة لقمان فان فيها أعاجيب والله أعلم وفيه رد على المنجم والكاهن اللذين يخبران بوقت الغيث والموت وغيرهما

\* (سورة السجدة آياتها تسع وعشرون آية وقبل ثلاثون آية) \*

الاخرى ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وقال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ومن يرزقكم من السماء والارض أي بما ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الارض كما قال تعالى والسماء ذات الرجوع والارض ذات الصدد وقال تعالى يعلم ما يبلى في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها فته تبارك وتعالى ينزل من السماء ماء مباركا فيسلكه ما يشاء في الارض ثم يخرج به منها أنواع الزروع والثمار والاراهير وغير ذلك من ألوان شتى كلوا وارعوا أنعمناكم ان في ذلك لايات لاولى النهى ولهذا قال تعالى أله مع الله أي فعل هذا وعلى القول الآخر بعد هذا قل ها توارها تكم على

على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى ان كنتم صادقين في ذلك وقد علم انه لا حجة لهم ولا برهان كما قال تعالى ومن يدع مع الله الها  
آخر لبرهان له به فاعلموا ان عند ربنا لا ينفع الكافرون (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايات  
يبعثون بل اذارك علمهم في الآخرة بل هم في شدة من ابل هم منها عمون) يقول تعالى امر ارسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول  
مع بل جميع الخلق انه لا يعلم احد من اهل السموات والارض الغيب الا الله وقوله تعالى الا الله استثناء منقطع أى لا يعلم احد ذلك  
الا الله عز وجل فانه المتفرد بذلك وحده (٢٢٨) لا شريك له كما قال تعالى وعنده مقادح الغيب لا يعلمها الا هو الآية

بناء على الاختلاف في أن آخر الآية لقي خلق جديد أو هو كافرين فعلى الاول تكون  
ثلاثين وعلى الثاني تكون تسعا وعشرين وهي مكية فاله ابن عباس وابن الزبير وأخرج  
بخاري عنه هي مكية سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة اثنتان كان مؤمنا الى تمام الآيات  
الثلاث وكذا قال السكبي وقيل الا خمس آيات من قوله تعجبا في جنوبيهم الى قوله  
الذي كنتم به تكذبون وقد ثبت عند مسلم وأهل السنن من حديث أبي هريرة ان النبي  
صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في صلاة النجر يوم الجمعة بالم تنزيل السجدة وهل أتى على  
الانسان وأخرج أحمد والدارمي والترمذي والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم عن جابر  
قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي  
بيده الملك وقد وردت في فضائل هذه السورة أحاديث

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(الم) قد قدمنا الكلام على فاتحة هذه السورة في البقرة وفي مواضع كثيرة من فواتح  
السور والله أعلم بمراده به (تنزيل الكتاب) فيه أوجه خمسة ذكرها السمين (الارباب فيه)  
أى لاشك في أنه (من رب العالمين) وأنه ليس بكذب ولا سحر ولا كهانة ولا أساطير الاولين  
(أم يتولون) أم هي المنقطعة التي يعنى بل والهزمة أى بل يتولون فأضرب عن الكلام  
الاول الى ما هو معتقد الكفار مع الاستفهام المتضمن للتقريب والتوبيخ (افتراه) أى  
افتعله واختلقه من تلقاء نفسه ثم اضرب عن معتقدهم هذا الى بيان ما هو الحق في شأن  
الكتاب فقال (بل) اضرب ابطال لنفس افتراه وحده وعلى هذا كل ما في القرآن اضرب  
فهو انتقال الاهداف انه يجوز ان يكون ابطالا لانه ابطال لقولهم أى ليس هو كما قالوا بل  
(هو الحق من ربك) فكذبهم سبحانه في دعوى الافتراء ثم بين العلة التي كان التنزيل  
لاجلها فقال (لتنذروا ما أنا منهم من نذير من قبلك) وهم العرب وكانوا أمة أمية لم يأتهم  
رسول وقيل قريش خاصة والتقدير لتنذروا ما العقاب وجوز أبو حيان ان تكون  
ما موصولة أى العقاب الذي أتاهم وهو ضعيف جدا فان المراد تعليل الازنال بالانذار  
انهم لم يأتهم نذير قبله لانه لا يلد بالانذار لقوم قد أنذروا بما أنذروهم به وقيل المراد بالقوم  
أهل الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم (لعلهم يهتدون) أى كي يهتدوا  
أو جاء ان يهتدوا والترجي معتبر من جهته عليه السلام (الله الذي خلق) أى أوجد

وقال تعالى ان الله عنده علم  
الساعة وينزل الغيث الى آخر  
السورة والآيات في هذا كثيرة  
وقوله تعالى وما يشعرون ايات  
يبعثون أى وما يشعرون الخلائق  
الساكنون في السموات والارض  
بوقت الساعة كما قال تعالى ثقنت  
في السموات والارض لانا نيكم  
الابغثة أى ثقل عليها على أهل  
السموات والارض وقال ابن أبي  
حاتم حدثنا أبو جعفر الرازي عن داود  
ابن أبي هند عن الشعبي عن  
مسروق عن عائشة رضى الله  
عنها قالت من زعم انه يعلم يعنى  
النبي صلى الله عليه وسلم ما يكون  
في غد فعدا عظيم على الله الذرية  
لان الله تعالى يقول قل لا يعلم من  
في السموات والارض الغيب الا  
الله وقال قتادة انما جعل الله  
هذه النجوم لثلاث خصلات جعلها  
زينة للسماء وجعلها هتدي  
بها وجعلها رجوما للشياطين فغن  
تعاطى فيها غير ذلك فقد قال براه  
وأخطأ حظها وأضاع نصيبه ونكأف  
ملا علم له به وان أناسا جهلة بأمر

الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة من أعرض بجهنم كذا وكذا وكان كذا وكذا من سافر بجهنم كذا وأبديع

وكذا كان كذا وكذا ومن ولد بجهنم كذا وكذا كان كذا وكذا ولعله مرى ما من نجم الا يولد به الاجر والاسود والقصير والطويل  
والحسن والديم وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذه الطير بشئ من الغيب وقضى الله تعالى أن لا يعلم من في السموات والارض  
الغيب الا الله وما يشعرون ايات يبعثون رواه ابن أبي حاتم عنه بجر وقفه وهو كلام جليل متين صحيح وقوله بل اذارك علمهم في  
الآخرة بل هم في شدة منها أى انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها وقرأ آخرون بل أدرك علمهم أى تساوى علمهم في ذلك كما في الصحيح

اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل وقد سأله عن وقت الساعة ما المسؤول عنها بأعلم من السائل أى تساوى في العجز عن درك ذلك علم المسؤول والسائل قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بل ادارك علمهم في الآخرة يعنى بجعلهم برهم يقول لم يقدر لهم علم في الآخرة هذا قول وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس بل ادارك علمهم في الآخرة حين لم ينفع العلم وبه قال عطاء الخراساني والسدي ان علمهم انما يدرك ويكمل يوم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك كما قال تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن (٢٢٩) الظالمون اليوم في ضلال مبين وقال سفيان

عن عمرو بن عبد عن الحسن انه كان يقرأ بل ادرك علمهم قال اصمعل علمهم في الدنيا حين عاينوا الآخرة وقوله تعالى بل هم في شك منها عائد على الجففس والمراد الكافرون كما قال تعالى وعرضوا على ربك صفا لقد جئتنا بما كنا خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا أى الكافرون منكهم وهكذا قال ههنا بل هم في شك منها أى شاكون في وجودها ووقوعها بل هم منها عمون أى في عمية وجهل كبير في أمرها وشأنها (وقال الذين كفروا أننا تكاثرا با وياؤنا أننا نخرجون الله وعدنا هذا نحن وياؤنا من قبل ان هذا الأباطر الأولين قل سيروا في الارض فأنظروا كيف كان عاقبة الجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون) يقول تعالى مخبرا عن منكري البعث من المشركين انهم استبعدوا إعادة الاجساد بعد سيرورتها اعظاما ورفقا تاؤنا بانهم قال لقد وعدنا هذا نحن وياؤنا من قبل أى ما زلنا نسمع به هذا نحن وياؤنا ولا ترى له

وأبعد (السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام) على التوزيع كما يأتي في سورة فصلت وقد تقدمت في هذه الآية في الاعراف وغيرها والمراد من ذكرها هنا تعريبتهم كمال قدرته وعظيم صنعته ليس هو القرآن ويتأمله قال الحسن الايام هنا هي من أيام الدنيا وقيل مقدار اليوم ألف سنة من سنى الدنيا قاله الضحاك فعلى هذا المراد بالايام هنا هي من أيام الآخرة لا من أيام الدنيا وليست ثم للترتيب في قوله (ثم استوى على العرش) بل يعنى الواو والعرش في اللغة سمرير الملك والمراد به هنا الجسم النوراني المحيط بالعالم كله وهذا الاستواء في سبع مواضع من القرآن الكريم والاصل الرابع ان يعتقد ما ورد به القرآن ولا يؤوله ولا يصرفه عن وجهه وهو نوص وظاهره في أن الله تعالى فوق العرش بائن من خلقه بالمعنى الذي يليق بجنابه الاقدس الاعلى وتأويله اخراج النصر أو الظاهر عن معناه وهذا لا يجوز قطعاً الا عند وجود ما يساويه أو يتقدم عليه ويعارضه ودونه خرق القتاد وقد اختلف الناس في هذا على أربعة عشر قولاً وألهاها بالصواب مذهب سلف الامة وأعلم انه استوى عليه بلا كيف مع تنزيهه عما لا يجوز عليه والآيات الصريحة والاحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة جداً وهي تغنى عن غيرها وردت بالجمجمة هذه الصفة الثابتة له سبحانه وتبعها المعتزلة ورد عليهم الحافظ بن القيم في اعلام الموقعين اثمانية عشر وجهها يطول ذكرها وقد جمع أهل العلم فيها اسماء أهل القرآن وأصحاب الحديث مباحث بل رسائل بل كتباً طولوها بذكر الأدلة النقلية بل العقلية والمسئلة أوضح من ان تلبس على عارف وأبين من أن يحتاج فيها الى التطويل ولكن لما وقعت فيها تلك التلاقل والزلازل بين بعض الطوائف الاسلامية الحق الصراح فيها وأطال سيما الحنابلة وأهل الحديث فلهم في ذلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر الى يومنا هذا والحق ما عرفناك من مذهب السلف الصالح فالاستواء على العرش وكونه تعالى فوق الخلق عايس عليهم قد نطق به القرآن الكريم في مواطن أكثر حصرها ويطول نشرها وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غير حديث بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد الناس في نفسه ويحسه في فطرته وتجسده اليه طبيعته كما تراهم في كل من استغاث بالله سبحانه والتجأ اليه ووجه دعائه الى جنابه الرفيع وعزه المنيع فانه يشير عند ذلك بكفه أو يومي بطرفه يستوى في ذلك عند عرض أسباب

حقيقة ولا وقوعاً وقولهم ان هذا الأباطر الأولين يعنون ما هذا الوعد باعادة الابدان الأباطر الأولين أى أخذه قوم عن قبلهم من كتبهم لم يتلقاه بعضهم عن بعض وليس له حقيقة فقال الله تعالى مجيباً لهم عما ظنوا من الكفر وعدم المعاد قل ياخذلهؤلاء سيروا في الارض فأنظروا كيف كان عاقبة الجرمين أى المكذبين بالرسول وبما جاؤهم به من أمر المعاد وغيره كيف حالت بهم نقمة الله وعذابه ونكاله ونجى الله من بينهم رسد الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحة ثم قال تعالى مسامحة النبي صلى الله عليه وسلم ولا تحزن عليهم أى المكذبين بما جئت به ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات

ولا تكن في ضيق مما يكرون أي في تديك وردما جئت به فان الله مؤيدك وناصرك ومنظري ذلك على من خالفه وعانده في  
المشارك والمغارب (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك  
لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض  
الا في كتاب مبين) يقول تعالى مخبرا عن المشركين في سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك ويقولون متى هذا الوعد ان  
كنتم صادقين قال الله تعالى مجيبا لهم (٢٣٠) قل يا حدة عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون

قال ابن عباس ان يكون قرب  
أو ان يقرب لكم بعض الذي  
تستعجلون وهكذا قال مجاهد  
والخالد وعطاء الخراساني وقتادة  
والسدي وهذا هو المراد بقوله تعالى  
ويقولون متى هو قل عسى ان يكون  
قريبا وقال تعالى ويستعجلونك  
بالعذاب وان جهنم لمحططة  
بالكافرين وانما دخلت الالام في  
قوله ردف لكم لانه ضمن معني  
يجعل لكم كما قال مجاهد في رواية  
عنه عسى ان يكون ردف لكم  
يجعل لكم ثم قال الله تعالى وان ربك  
لذو فضل على الناس أي في اسباغه  
نعمة عليهم مع ظلمهم لانفسهم وهم  
مع ذلك لا يشكرونه عدي ذلك الا  
القليل منهم وان ربك ليعلم ما تكن  
صدورهم وما يعلنون أي يعلم  
الضمائر والسرائر كما يعلم الطواغر  
سواء منكم من أسرار القول ومن  
جهره يعلم السر وأخفى الأحين  
يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون  
وما يعلنون ثم أخبر تعالى بانه عالم  
غيب السموات والارض وانه عالم  
الغيب والشهادة وهو ما غاب عن  
العباد وما شاهدوه فقال تعالى

الادعية وحدوث بواعث الاستغاثة ووجود مقتضيات الانزعاج وظهور ذراعي الاتجاء  
عالم الناس وجاهلهم وبآديهم وحاضرهم والمأشئ على طريقته السلف والمقتدى بأهل  
التأويل من الخلف فالسلامة والنجاة في امر اذ ذلك على الظاهر والاذعان بأن الاستواء  
والاستقرار والكون في الفوق ثابتة على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف  
ولا تعظيم ولا تشبيه ولا تمثيل والمؤول غير مقتضى السلف ولا واقف في طريق النجاة  
ولامعصوم عن الخطا ولا سالك في جادة السلامة والاستقامة قال في حجة الله البالغة  
واستطال هؤلاء الخائضون على معمر أهل الحديث وهوهم مجسمه مشبهة وقالوا هم  
المستترون بالبدن الكفة وقد وضع على وضوحنا ان استطالتم هذه ليست بشئ وانهم  
مخطئون في مقالهم رواية ودراية وخاطئون في طعنهم أئمة الهدى انتهى (مالكم من دونه)  
(والاشفيح) يشفع لكم عنده (أفلاتنكرون) تذكر تدبر وتفكر وتسمعون هذه  
المواعظ سمع من يفهم ويعقل حتى تتفعوا بها وتؤمنوا ولما بين سبحانه خلق السموات  
والارض وما بينهما من تدبيره لا مرها فقال (يدبر) أي يحكم (الامر) بقضائه وقدره  
(من السماء الى الارض) الى أن تقوم الساعة والمعنى ينزل أمره من أعلى السموات الى  
أقصى تخوم الارض السابعة كما قال سبحانه الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض  
مشلهن ينزل الامر بينهن ومسافة ما بين سماء الدنيا والارض التي تحتها نزل ولا وطلوعا  
أنف سنة من أيام الدنيا وقيل المراد بالامر المأمور به من الاعمال أي ينزله مدبرا من  
السماء الى الارض وقيل يدبر أمر الدنيا بأسباب سماء وية من الملائكة وغيرها نازلة  
أحكامها وانارها الى الارض وقيل ينزل الوحي مع جبريل وقيل العرش موضع التدبير  
كما ان مادون العرش موضع التفصيل كما في قوله ثم استوى على العرش يدبر الامر يفصل  
الآيات وما دون السموات موضع التصرف قال تعالى واقدر فناء بينهم ليدكروا وقال  
ابن عباس يدبر الامر هذا في الدنيا أي شأنها وحالها والامور التي تقع فيها والمراد بتدبير  
أمرها انقضاء السابق الذي هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب  
خاص ثم لما ذكر سبحانه تدبير الامر قال (ثم يعرج) قرأ الجهور على البناء للفاعل وقرئ  
على البناء للمفعول والاصل يعرج به أي يرجع ذلك الامر ويعود ذلك التدبير والتصرف

وما من غائبة قال ابن عباس يعني وما من شئ في السماء والارض الا في كتاب مبين وهذه أقوله لم تعلم أن الله يعلم في  
ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على انه يسر (ان هذا القرآن يقصص على بني اسرائيل أكل الذين هم فيه يخطئون  
وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموق ولا  
تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمى عن ضلالهم ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) يقول تعالى مخبرا  
عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان انه يقصص على بني اسرائيل وهم حملة التوراة والانجيل أكثر الذي هم

فيه يختلفون كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه فالهمودا فتره واوالنصارى غلوا فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل انه عبد من عباد الله وانبيائه ورسله الكرام عليه افضل الصلاة والسلام كما قال تعالى ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون وقوله وانه اهدى ورحمة للمؤمنين أى هدى لتلويح المؤمنين به ورحمة لهم في العمليات ثم قال تعالى ان ربك يقضى بينهم أى يوم القيامة بحكمه وهو العزيز ائى فى انتداه العليم بافعال عباده وأقوالهم فتوكل على الله أى فى جميع أمورك وبلغ رسالتك انك على الحق المبين أى أنت على الحق المبين وان خالفك من خالفك ممن كتبت عليه (٢٣١)

الشقاوة وحقت عليهم كلمة ربك انهم لا يؤمنون ولو به منهم كل آية ولهذا قال تعالى انك لا تسمع الموتى أى لا تسمعهم بشياً يتفهم فكذلك هؤلاء على قلوبهم عشاوة وفى آذانهم وقرا الكثر ولهذا قال ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالهم ان تسمع الامن يؤمن باياتنا فهم مسلمون أى انما يتعجب لك من هو سمع بصير السمع والبصر النافع فى القلب والبصيرة الخاضع لله ولما جاء عنه على السنة الرسل عليهم السلام (واذا وقع القول عليهم انخرجناهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا اباياتنا لا يوقنون) هذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أو امر الله وتبديلهم الذين الحق يخرج الله لهم دابة من الارض قيل من مكة وقيل من غيرها كما سياتى تفصيلاً ان شاء الله تعالى فتكلم الناس على ذلك قال ابن عباس والحسن وقادة ويروى عن علي رضي الله عنه تكلمهم كلاماً أى تخاطبهم مخاطبة وقال عطاء الخراسانى تكلمهم فقول ان

فى الخلق بالخشى والحساب ووزن الاعمال والتعذيب والتنعيم وغير ذلك مما يقع فى ذلك اليوم (اليه) سبحانه (فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتحية على الغيبة أى تعدونه من أيام الدنيا وذلك باعتبار مسافة النزول من السماء والطلوع من الارض كما قدمنا وقيل ان المراد يعرج اليه فى يوم القيامة الذى مقداره كذا من أيام الدنيا وذلك حين ينقطع أمر الدنيا ويموت من فيها وقيل هى اخبار أهل الارض تصعد اليه مع من يرسل اليها من الملائكة والمعنى انه يثبت ذلك عنده ويكتب فى صحف ملائكته ما عمل له أهل الارض فى كل وقت من الاوقات الى ان تبلغ مدة الدنيا آخرها وقيل المعنى يثبت فى علمه موجودا بالفعل فى برهة من الزمان هى مقدار ألف سنة والمراد طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر الأمر الحوادث اليومية باثباتها فى اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم يعرج اليه فى زمان هو كالف سنة من أيام الدنيا وقيل يقضى قضاء ألف سنة فينزل به الملائكة ثم يعرج بعد الالف لانى آخر وقيل المراد ان الاعمال التى هى طاعات يدبرها الله سبحانه وينزل بها ملائكته ثم لا يعرج منها اليه الا الخالص بعد مدة متطاولة لقله الخالصين من عباده وقيل الضمير فى يعرج يعود الى الملك وان لم يجز له ذكر لانه منهووم من السياتى وقد جاء صريحاً فى قوله تعرج الملائكة والروح اليه والضمير فى اليه راجع الى السماء على لغة من يذكرها أو الى مكان الملك الذى يرجع اليه وهو الذى أقره الله فيه وقيل المعنى يدبر الأمر الشمس فى الطلوع والغروب رجوعها الى موضعها من الطلوع فى يوم كان مقداره فى المسافة ألف سنة وقيل المعنى ان الملك يعرج الى الله فى يوم كان مقداره لو سار غير الملك ألف سنة فان ما بين السماء والارض مسافة خمسة مائة عام فمسافة النزول من السماء الى الارض والرجوع من الارض الى السماء ألف عام وقد رجح هذا جماعة من المفسرين منهم ابن جرير وقيل مسافة النزول ألف سنة ومسافة الطلوع ألف سنة وروى ذلك عن الفضال وهذا اليوم هو عبارة عن زمان يتقدر بألف سنة وراس المراد بهسمى اليوم الذى هو مدة النهار بين ليلتين والعرب قد تعبر عن المدة باليوم كما قال الشاعر  
يوما ن يوم مقامات وأندية \* ويوم سير الى الاعداء تأديب  
فان الشاعر لم يرد يومين مخصوصين وانما أراد ان زمانهم يتقسم شـطرين فعبر عن كل

الناس كانوا اياتنا لا يوقنون ويروى هذا عن علي واختاره ابن جرير وفى هذا القول نظار لا يخفى والله أعلم وقال ابن عباس فى روايه تجرحهم وعنه رواية قال كلاتنعل يعنى هذا وهذا وهو قول حسن ولا منافاة والله أعلم وقد ورد فى ذكر الدابة آحاديث وآثار كثيرة فلنذكر منها ما تيسر وبالله المستعان قال الامام أحمد حدثنا شافعيان عن فرات عن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغنارى قال اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ونحن ننذا كرام الساعة فقال لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج باجوج وخروج عيسى بن مريم عليه السلام والدجال وثلاثة خسوف

خسفت بالمغرب وخسفت بالمشرق وخسفت بجزيرة العرب ونارتخرج من قعر عدن تسوق أو يحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا  
وتقبل معهم حيث قالوا وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من طرق عن فرات القزاعي عن أبي الطفيل عامر بن واثله عن حذيفة مرفوعا  
وقال الترمذي حسن صحيح ورواه مسلم أيضا من حديث عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عنه موقوفاً على الله أعلم (طريق أخرى)  
قال أبو داود الطيالسي عن طلحة بن عمرو وجري بن حازم قاما طلحة فقال أخبرني عبد الله بن عبد الله بن عمير اللبني أن أبا الطفيل  
حدثنا عن حذيفة بن أسيد الغفاري (٢٣٢) أبي شريجة وأما جري فقال عن عبد الله بن عبيد عن رجل من آل عبد الله بن

واحد من الشطرين بيوم وعن ابن عباس في الآية قال من الأيام الستة التي خلق الله  
فيها السموات والأرض وعند قال لا يتنصف النهار في مقدار يوم من أيام الدنيا في ذلك  
اليوم حتى يقضى بين العباد فينزل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ولو كان إلى غيرهم لم  
ينرغ في خمسين ألف سنة وعنه قال في يوم من أيامكم هذه ومسيرة ما بين السماء والأرض  
خمس مائة عام وقد استشكل جماعة الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعرج الملائكة  
والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقبل في الجواب إن يوم القيامة مقداره  
ألف سنة من أيام الدنيا ولكنه باعتبار صوره وبته وشدة أهواله على الكفار خمسين ألف  
سنة والعرب تصف كثيرا يوم الكريمة بالطول كأنه يوم السرور بالقصر وقيل إن يوم  
القيامة فيه أيام فمنها مقدار ألف سنة ومنها مقدار خمسون ألف سنة وقيل هي  
أوقات مختلفة يعذب الكافر بنوع من أنواع العذاب ألف سنة ثم تنقل إلى نوع آخر  
فيعذب خمسين ألف سنة وقيل مواقيت القيامة خمسون موقفا كل موقف ألف سنة  
فمكون معنى يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة أنه يعرج إليه في وقت من تلك  
الأوقات أو موقف من تلك المواقف وعن جماعة عدو قتادة والضحاك أنه أراد سبحانه في قوله  
تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة المسافة من الأرض إلى  
سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل والمراد أنه يسير جبريل ومن معه من الملائكة في  
ذلك المقام إلى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة في مقدار يوم واحد من أيام الدنيا وأراد  
بقوله في يوم كان مقداره ألف سنة المسافة التي بين الأرض وبين السماء الدنيا عموما  
وصعودها فأنهم مقدار ألف سنة من أيام الدنيا وقيل إن ذلك إشارة إلى امتداد نقاد الأمر  
وذلك لأن من نفذ أمره غاية النفاذ في يوم أو يومين وانقطع لا يكون مثل من نفذ أمره  
في سنين متطاولة فقوله في يوم كان مقداره ألف سنة يعني يدر الأمر في زمان يوم منه  
ألف سنة فكيف يكون الشهر منه وكم تكون السنة منه وعلى هذا فلا فرق بين ألف سنة  
وبين خمسين ألف سنة وقيل غير ذلك وقد وقف حبر الأمة ابن عباس لما سئل عن الآيتين  
وقال هما إيمان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما وأما قوله في كتاب الله ما لا أعلم  
وقال ابن المسيب للسائل هذا ابن عباس قد أتى أن يقول فيهما وهو أعلم مني والإشارة  
بقوله (ذلك) إلى الله سبحانه باعتبار أن صفاته تلك الأوصاف أي ذلك الخالق المدبر (عالم

مسهود وحديث طلحة أتم وأحسن  
قال ذكر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم الدابة فقال لها ثلاث خرجات  
من الدهر فتخرج خرجة من أقصى  
البادية ولا يدخل ذكرها الغربية يعني  
مكة ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج  
خرجة أخرى دون تلك فيعملون ذكرها  
في أهل البادية ويدخل ذكرها  
الغربية يعني مكة قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ثم بينا الناس  
في أعظم المساجد على الله حرمة  
وأكرمها المسجد الحرام لم يرعهم  
الأوهى تربو بين الركن والمقام  
تمنض عن رأسها التراب فارفض  
الناس عنها شتى ومعا والقيت عصاية  
من المؤمنين وعرقوا أنهم لم يعجزوا  
الله فبدأت بهم فجاءت وجوههم  
حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرى  
وولت في الأرض لا يدركها طاب  
ولا ينجومها هارب حتى إن الرجل  
ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه  
فتقول يا فلان الآن تصلى فيقبل  
عليها فتسهمه في وجهه ثم تنطلق  
ويشترئ الناس في الأموال  
يرضخون في الأمصار يعرف  
المؤمن من الكافر حتى إن المؤمن

ليقول يا كافر افضنى حتى وحتى إن الكافر يقول يا مؤمن افضنى حتى ورواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة الغيب  
ابن أسيد موقوفاً على الله أعلم ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً وإن ذلك في زمان عيسى بن مريم وهو يطوف بالبيت ولكن  
اسناده لا يصح (حديث آخر) قال مسلم بن الحجاج حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر عن أبي حيان عن أبي زرعة عن عبد الله  
ابن عمرو قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ما أتته بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول الآيات  
خروج طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتها ما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها قريبا (حديث

آخر) وروى مسلم في صحيحه من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والداية وخاصة أحدكم وأمر العامة تفرد به وله من حديث قتادة عن الحسن بن زياد بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا الدجال والدخان ودابة الارض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا حمره بن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث (٢٣٣) وابراهيم بن يحيى عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن

سعيد عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والداية والجملة وخويصة أحدكم وأمر العامة تفرد به (حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن يزيد عن أويس بن خالد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج دابة الارض ومعها عصاموسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتخطم أنف الكافر بالعصا وتجلى وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر ورواه الامام أحمد عن هزوعفان ويزيد بن هرون ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به وقال فتخطم أنف الكافر بالخاتم وتجلى وجه المؤمن بالعصا حتى ان أهل الخوان الواحد اذ يجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر ورواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن حماد بن سلمة به (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو حدثنا أبو عبيدة

الغيب والشهادة) أى العالم بما غاب عن الخلق وما حضرهم وفي هذا معنى التهديد لانه سبحانه اذا علم بما يغيب وما يحضر فهو مجاز لكل عامل بعد ماله أو فقهه ويدبر الامر بما تقتضيه حكمته (العزیز) القاهر الغالب (الرحيم) بعباده (الذى أحسن كل شئ خلقه) قرئ بفتح اللام وباسكانها فعلى الاولى خلقه فعل ماض نعمتاشئ وعلى الثانية ففى نصبه أوجه الاول ان يكون بدلا من كل شئ يدل اشتمال والضمير عائذ الى كل شئ وهذا هو الوجه المشهور وعند النحاة الثانية انه بدل كل من كل والضمير يرجع الى الله سبحانه ومعنى أحسن حسن لانه ما من شئ الا هو مخلوق على ما تقتضيه الحكمة فكل الخلقات حسنة الثالث ان يكون كل شئ هو المفعول الاول وخلقته هو المفعول الثانى على تضمين أحسن معنى أعطى والمعنى أعطى كل شئ خلقه الذى خصه به وقيل على تضمينه معنى ألهم قال القراء ألهم خلقه كل شئ يحتاجون اليه الرابع انه منصوب على المصدر الموءود كالمضمون الجملة أى خلقه خلقا كقوله صنع الله وهذا قول سيبويه والضمير يعود الى الله سبحانه والخامس انه منصوب بنزع الخافض والمعنى أحسن كل شئ فى خلقه ومعنى الآية انه أتقن وأحكم خالق مخلوقاته فبعض الخلقات وان لم تكن حسنة فى نفسها فهى متقنة محكمة فيكون هذه الآية معناه معنى أعطى كل شئ خلقه أى لم يخلق الانسان على خلق البهيمية ولا خلق البهيمية على خلق الانسان وقيل هو عموم فى اللفظ خصوص فى المعنى أى أحسن خلق كل شئ حسن وقال ابن عباس أما رأيت القردة ليست بحسنة ولكنها أحكم خلقها وعنه فى الآية قال أما رأيت القردة ليست بحسنة ولكنها أحكم خلقها وقال خلقه صورته وقال أحسن كل شئ التبيح والحسن والعقارب والحيات وكل شئ مما خلق وغيره لا يحسن شيئا من ذلك وأخرج الطبرانى عن أبي أمامة قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ لقينا عمرو بن زرارَةَ الانصارى فى حله قد أسبل فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنا حمية فوبه فقال يا رسول الله انى أحسن السابقين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عمرو بن زرارَةَ ان الله عز وجل قد أحسن كل شئ يا عمرو ان الله لا يحب المسلمين وأخرج أحمد والطبرانى عن الشريد بن سويد قال أبصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلا قد أسبل ازاره فقال ارفع ازارك فقال يا رسول الله انى أحسن تصطبك ركبته فقال ارفع ازارك كل خلق الله حسن (وبدأ خلق الانسان) يعنى آدم خلقه

(٣٠ - فتح البيان سابع) حدثنا ابن عبيد حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال ذهبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع بالبادية قريب من مكة فاذا أرض يابسة حوالها رمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة من هذا الموضع فاذا فتر فى شهر قال ابن بريدة فجعلت بعد ذلك بسنين فأرانا عصاله فاذا هو بعصاى هذه كذا وكذا وقال عبد الرزاق أخبرنا عمر بن قنادة ان ابن عباس قال هى دابة ذات زغب لها اربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حنيفة عن عبد الله بن رجاء حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية قال قال عبد الله تخرج الدابة من صدع من الصفا بجري القرى من ثلاثة أيام لم يخرج منها

وقال محمد بن اسحق عن ابيان بن صالح قال سئل عبد الله بن عمرو عن الدابة فقال الدابة تخرج من تحت صخرة بجباد والله لو كنت معهم (١) اولوشنت بعصاى الى الصخرة التى تخرج الدابة من تحتها قبل فتصنع ماذا يا عبد الله بن عمرو فقال تستقبل المشرق فتصغر صرخة تنفذ ثم تستقبل الشام فتصغر صرخة تنفذ ثم تستقبل اليمن فتصغر صرخة تنفذ ثم تروح من مكة فتصبح بعسقان قيل ثم ماذا قال ثم لا أعلم وعن عبد الله بن عمر انه قال تخرج الدابة ليلة جمع رواه ابن ابي حاتم وفي اسناده ابن اليممان وعن وهب ابن منبه انه حكى من كلام عزير عليه السلام انه قال وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس كل يسعها (٢٣٤)

(من طين) فصارع على صورة بدية وشكل يدبع حسن (ثم جعل نسله) أى ذريته (من سلالة) أى نطفة سميت الذرية سلالة لانها تنسل من الاصل وتنفصل عنه وقد تقدم تفسيرها في سورة المؤمن والمؤمنة صفة ذرية آدم والمذكور ثم صفة آدم (من ماء مهين) أى مهن لاخطره عند الناس وهو المني وقال الزجاج من ماء ضعيف (ثم سواه) أى الانسان الذى به خلقه من طين وهو آدم أو جميع النوع والمراد انه عدل خلقه وسوى شكله وقومه وناسب بين أعضائه على ما ينبغي كقوله فى أحسن تقويم (ونفخ فيه من روحه) أى جعله حيا حساسا بعد ان كان جمادا والاضافة للتشريف والتكريم وهذه الاضافة تقوى ان الكلام فى آدم لا فى ذريته وان أمكن توجيهه بالنسبة الى الجميع وقيل للتخصيص أى نفخ فيه من الشئ الذى اختص هو به وبعلمه والاولى ثم خاطب جميع النوع فقال (وجعل لكم) وفيه التفات عن الغيبة الى الخطاب ولم يخاطبهم قبل ذلك لان الخطاب انما يكون مع الحى فلما قال ونفخ فيه من روحه خاطبه بعد ذلك وقال وجعل لكم (السمع) أى الالتماع (والابصار والافئدة) أى القلوب تكمى لانعمته عليكم وتميمه التسوية لخلقكم حتى تجتمع لكم هذه النعم فتسمعون كل مسوع وتبصرون كل مبصر وتعلمون كل متعلم وتفهمن كل ما يفهمم وأفرد السمع لكونه مصدر يشتمل القليل والكثير وخص السمع بالذكر المصدردون البصر والفؤاد فذكرهما بالاسم ولهذا جعله الان السمع قوة واحدة لها محل واحد وهو الاذن ولا اختيار لها فيه فان الصوت يصل اليها ولا يقدر على رده ولا على تخصيص السمع ببعض المسموعات دون بعض بخلاف الابصار فجلها العين وله فيه اختيار فانها تتحرك الى جانب المرئى دون غيره وتطبق اجفانها اذا لم ترد الرؤية لئلا يرى وكذلك الفؤاد له نوع اختيار فى ادراكه فيستعقل هذا دون هذا ويفهم هذا دون هذا (قليلاما) أى شكر اقليلاً وزماناً قليلاً (نشكرون) وفى هذا بيان لشكرهم لانعم الله وتركهم لشكرها الا فيما ندر من الاحوال (وقالوا) كلام مستأنف من قول لبيان ابطالهم بطريق الالتفات عن الخطاب الى الغيبة اذا بان ان ما ذكر من عدم شكرهم لثبات النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناباتهم (أئذا ضلنا فى الارض) الضلال الغيبوبة يقال ضل الميت فى التراب اذا مات وبطل والعرب تقول للشئ اذا غاب عليه غيره حتى خفى أثره قد ضل قال قطرب المعنى غيبنا فى الارض قرئ

وتضع الحبالى قبل التمام ويعود الماء العذب أجاو ويتعادي الاخلاء وتحرق الحكمة ويرفع العلم وتكلم الارض التى تلمها وفى ذلك الزمان يرجوا الناس ما لا يبلغون ويتبعون فيما لا يتلون ويعملون فيما لا يكون رواه ابن ابي حاتم عنه وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو صالح كاتب الليث حدثنى معاوية بن صالح عن ابي مريرم انه سمع ابا هريرة رضى الله عنه يقول ان الدابة فيها من كل لون ما بين قرنهما قرنين للراكب وقال ابن عباس هى مثل الحربة الضخمة وعن أمير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه انه قال انها دابة لهاريس وزغب وحافر ومالها ذنب ولها الحية وانما تخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا واما خرج ثلاثا رواه ابن ابي حاتم وقال ابن جرير عن ابى الزبير انه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون غر وخصرتها خصرة هرة وذنبها ذنب كبش وفوائدها قوائم بعير بين كل منصلين اثنا عشر ذراعا تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن الا نكتت فى وجهه بعضا موسى نكتة بيضاء فتفشوا ضلما تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ولا يبقى كافر الا نكتت فى وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشوا تلك النكتة حتى يسودها وجهه حتى ان الناس يتبايعون فى الاسواق بكم ذابا مؤمن بكم ذابا كافر وحتى ان أهل البيت يجلسون على ما نذرهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ثم يقول لهم الدابة يا فلان أبشر أنت من أهل الجنة يا فلان أنت من أهل النار فذلك قول الله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يؤقنون (ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب

ذراعا تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن الا نكتت فى وجهه بعضا موسى نكتة بيضاء فتفشوا ضلما تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ولا يبقى كافر الا نكتت فى وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشوا تلك النكتة حتى يسودها وجهه حتى ان الناس يتبايعون فى الاسواق بكم ذابا مؤمن بكم ذابا كافر وحتى ان أهل البيت يجلسون على ما نذرهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ثم يقول لهم الدابة يا فلان أبشر أنت من أهل الجنة يا فلان أنت من أهل النار فذلك قول الله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يؤقنون (ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب قوله اولوشنت بعصاى كذابا لنسخ بايدينا وحرر الرواية اه



بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال ا كذبت يا باقى ولم تحيطوا بها علما ا ما اذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون لم يروا انا جعلنا الليل ليستكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يقول تعالى مخبرا عن يوم القيامة وحشر الظالمين من المكذبين بآيات الله ورسوله الى بين يدي الله عز وجل ليس آلهم عما فعلوه في الدار الدنيا تقر بها وتو بجاوا تصغيرا وتحقيرا فقال تعالى ويوم نحشر من كل امة فوجا اى من كل قوم وقرن فوجا اى جماعة ممن يكذب بآياتنا كما قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وقال تعالى واذا النفوس زوجت وقوله تعالى (٢٣٥) فهم يوزعون قال ابن عباس رضى الله عنهم

يدفعون وقال قتادة وزعة يرتدا ولهم على آخرهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم يساقون حتى اذا جاوا ووقفوا بين يدي الله عز وجل في مقام المساءلة قال ا كذبت يا باقى ولم تحيطوا بها علما ا ما اذا كنتم تعملون اى فيسئلون عن اعتقادهم واعمالهم فلما لم يكونوا من اهل السعادة وكانوا كما قال الله عنهم فلا صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى فخيمت قامت عليهم الحجة ولم يكن لهم عذر يعتذرون به كما قال الله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون الاية وهكذا قال ههنا ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون اى بهتوا فلم يكن لهم جواب لانهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لا ينسهم وقد ردوا الى عالم الغيب والشهادة الذى لا يخفى عليه خافية ثم قال تعالى منها على قدرته التامة وسلاطانه العظيم وشأنه الرفيع الذى يجب طاعته والانقياد لاوامره وتصديق انبيائه فيما جاوا به من الحق الذى لا محمد عنه فقال تعالى لم يروا انا جعلنا الليل

ضلنا بفتح ضا د معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا وضعنا وصرنا ترابا وغنا عن الاعين بالدفن فيها وقرئ ضلنا بكسر اللام وهى لغة العالمية من نجد قال الجوهرى واهل العالية يقولون ضللت بالكسر قول واضله اى اضاعه واهله كما يقال ضل الميت اذا دفن وقرئ صلنا بصاد م هم له ولام مفتوحة اى اتتنا وبها قرأ على والحسن والاعمش وابان بن سعيد قال النحاس ولا يعرف في اللغة صلنا ولكن يقال صل اللحم اذا اتنت قال الجوهرى صل اللحم يصل بالكسر صلوا اذا اتنت مطبوخا كان او تينا والعامل في اذا محذوف تقديره نبعثا ونخرج دلالة قوله (ا نالنى خلق جديد) عليه اى نبعث ونصير احياء والهزة للاستنكار وهذا قول منكبرى البعث من الكفار فاضرب الله سبحانه من يسان كفرهم بانكار البعث الى بيان ماهوا بلغ منه وهو كفرهم ببقاء الله تعالى (بل هم بالناهم كافرون) اى جاحدون له مكابرة وعناد فان اعترفهم بانه المبدئ للغلق يستلزم اعترافهم بانه قادر على الاعادة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يبين لهم الحق ويرد عليهم ما زعموه من الباطل فقال (قل يتوفاكم موت) يقال توفاه الله واستوفى روحه اذا قبضه اليه ومات الموت هو عزرائيل وقال ذلك هنا وقال في الانعام توفاه رسلا وفي الزمر الله يتوفى النفس حين موتها ولا منافاة لان الله تعالى هو المتوفى حقيقة بخلق الموت وامر الوسائط بنزع الروح وهم غير ملك الموت اعوان له ينزعونها من الاظافر الى الحلقوم فصحت الاضافات كلها والتفعيل والاستفعال يلتقيان في مواضع مثل تقضيته واستقضيته وتجلته واستمجته (الذى وكل بكم) اى يقبض ارواحكم عند حضور آجالكم قيل ان ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يأمر اعدائه بقبضها والله تعالى هو الامر لذلك وهذا وجه الجمع بين الآيات كما تقدم (ثم الى ربكم ترجعون) اى تصيرون اليه تعالى احياء بالبعث والنشور لالاى غيره فيجازيكم بعملكم ان خيرا وخيرا وان شرا فشر (ولوترى) لو امتناعية وجوابه محذوف اى لرايت امر اظنه او هو لا هائل لا يقادر قدره والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الزجاج والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مخاطبة لامته فالمعنى ولوترى يا محمد منكبرى البعث يوم القيامة لرايت العجب او الخطاب لكل احد ممن يصلح له كاشان كان اذا المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يتحصى استغرابها واستعظامها برءا دون راء عن اعتماد مشاهدة

ليستكنوا فيه اى في ظلام الليل لتسكن حركاتهم بسببه وتهدي انفسهم ويستريحون من نصب التعب في نهارهم والنهار مبصر اى منبر اشرفا فيسبب ذلك تبصر فون في المعاش والمكاسب والاسفار والتجارات وغير ذلك من شؤونهم التى يحتاجون اليها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون (ويوم ينفع في الصور فنزع من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله وكل ائوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمزق السحاب صنع الله الذى اتقن كل شى انه خبير بما ينعملون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون) يخبر تعالى عن هول يوم

نفخة النزع في الصور وهو كما جاء في الحديث قرن ينفخ فيه وفي حديث الصور ان اسرافيل هو الذي ينفخ فيه بامر الله تعالى فينفخ فيه اول نفخة النزع ويطولها وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الاحياء فينفخ عن في السموات ومن في الارض الامن شاء الله وهم الشهداء فانهم احياء عند ربهم يرزقون قال الامام مسلم بن الحجاج حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري حدثنا ابي حدثنا شعبة بن النعمان بن سالم سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن ميمون قال سمعت عبيد الله بن عمرو رضی الله عنه وجاءه رجل فقال ما هذا الحديث (٢٣٦) الذي تحدث ان الساعة تقوم الى كذا وكذا فقال سبحان

الله اول الله لا الله او كلف نحوهما لقد هممت ان لا أحدث احدا شيئا ابدا لما قلت انكم سترون بعد قليل امرا عظيما يخرب البيت ويكون ويكون ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال في امي فيمكث اربعين لا ادرى اربعين يوما او اربعين شهرا او اربعين عاما فبعث الله عيسى بن مريم كانه عروة بن مسعود فيطلبه فيمكث فيمكث الناس سبع سنين ايس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض احد في قلبه من ذرة من خير او ايمان الا قبضته حتى لو ان احدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيبقي شرار الناس في خفة الطير واحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيمكث لهم الشيطان فيقول الا استجبون فيقولون فانا امرنا فامرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا

الامور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من تتأني منه الرؤية يتعجب من هولها وقطاعتها ويجوز ان يكون للفتى والمضى فيها وفي اذلان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع (اذ المخردون ناكس رؤسهم) المراد منهم هم القائلون اننا ضلنا في الارض ويجوز ان يراد بالمرء من كل مجرم ويدخل فيه اولئك القائلون دخولا اوليا والمعنى مطاطبها وخافضوها احياء ونادى على ما فرط منهم في الدنيا من الشرك بالله والعصيان له (عند ربهم) أي عند محاسبته لهم (ربنا) أي يقولون ربنا (ابصرنا) الان ما كنا نكذب به (وسمعنا) ما كنا نكفركه وقيل ابصرنا صدق وعيدك وسمعنا تصديق رسلك فهو لا ابصر واحين لم يتفهم البصر وسبعوا حين لم يتفهم السمع (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل) عملا (صالحا) كما امرتنا وحسبنا تقضية تلك الآيات (اناموقنون) أي مصدقون وقيل مصدقون بالذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصنفوا انفسهم بالايقان الان طمعا فيما طلبوه من ارجاعهم الى الدنيا واني لهم ذلك فقد حقت عليهم كلمة الله فانهم لوردوا لعادوا الممانع وانهم الكاذبون وقيل هذا ادعاء منهم لصحة الاقنعة والافتقار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كان ما قبله ادعاء لصحة صفى البصر والسمع كانهم قالوا ايقنا وكنا من قبل لان عقل شيئا أصلا وانما عدلوا الى الجمله الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكما لربيتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا في الاجابة الى ما سألوه من الرجعة وقيل معنى اناموقنون انها قد زالت عنهم الشكوك التي كانت تحالطهم في الدنيا لما رأوا ما رأوا وسمعوا ما سمعوا وقيل والمعنى صرنا نسمع ونبصر فلا يحتاج الى تقدير مفعول ثم رد الله عليهم لما طلبوا الرجعة بقوله (ولو شئنا لآتينا) أعطينا (كل نفس هداها) أي رشدها وتوفيقها الى الايمان يعني ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهدوا جميعا فلم يكفر منهم أحد ولكن لم نعظهم ذلك اللطف لما علمنا منهم اختيار الكفر واثاره وهو حجة على المعتزلة فانهم أولوا الآية بمشئ الخبير وهوتا ويل فاسد قال النحاس في معنى هذا قولنا أحد هما انه في الدنيا والاخر انه في الآخرة أي لو شئنا لردنا الى الدنيا (ولكن حق القول مني) أي نفذ قضائي ووجب قدرى وسبقت كلمتي وثبت وعيدي (لا ملأ من جنة والناس أجمعين) هذا هو القول الذي وجب من الله وحق على عباده ونفذ فيه قضاءه فكان مقتضى هذا القول انه لا يعطى كل

يسمعه أحد الا اصغى لينا ورفع لينا قال راول من يسمعه رجل يلوط حوض الله قال فيصعق ويصعق الناس نفس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه المثل أو قال الظل نمان السالك فتنبت منه اجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام يتظرون ثم يقال يا أيها الناس هلم الى ربكم وقفوه هم انهم مسؤولون ثم يقال اخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيدا اذ ذلك يوم يكشف عن ساق وقوله ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا اصغى لينا ورفع لينا الليت هو صفة العنق أي أمال عنقه ليستعفه من السماء جديا فهذه نفخة النزع ثم بعد ذلك نفخة الصعق

وهو الموت ثم بعد ذلك نفخة القيامة لرب العالمين وهو النشور من القبور لجمع الخلائق وله - ذاقا ل تعالى وكل أتوه اخرين قري بالمد  
وبغيره على النعل وكل بمعنى واحد واخرين أى صاغر من مطيعين لا يتخلف أحد عن أمره كما قال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون  
بجمده وقال تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون وفي حديث صورانه في النفخة الثالثة بأمر الله الارواح  
فتوضع في ثقب في الصور ثم ينفخ اسرافيل فيه بعد ما تنبت الاجساد في قبورها وأما كنهها فاذا انشخ في الصور طارت الارواح تتوهج  
أرواح المؤمنين نوراً وأرواح الكافرين بنظرة فيقول الله عز

(٢٣٧)

الى جسدها فتجى الارواح الى  
اجسادها فتدب فيها كما يدب  
السم في اللديغ ثم يقه ومون  
ينفضون التراب من قبورهم قال  
الله تعالى يوم يخرجون من الاجداث  
سراعاً كأنهم كانوا يوفضون  
وقوله تعالى وترى الجبال تحسبها  
جمادة وهي تمرر السحاب أى  
تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت  
عليه وهي تمرر السحاب أى تزول  
عن أماكنها كما قال تعالى يوم تمرر  
السحاب مورا وتسير الجبال سيراً  
وقال تعالى ويسألونك عن الجبال  
فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً  
صافياً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً  
وقال تعالى ويوم نسير الجبال وترى  
الارض بارزة وقوله تعالى صنع الله  
الذى اتقن كل شئ أى يفعل ذلك  
بتدريته العظيمة الذى اتقن كل شئ  
أى اتقن كل ما خلق وأودع فيه من  
الحكمة ما أودع انه خير مما يفعلون  
أى هو عليم بما يفعل عباده  
من خير وشر وسيجازيهم عليه ثم  
الجزاء ثم بين تعالى حال السعداء  
والاشقياء يومئذ فقال من جاء  
بالحسن فله خير منها قال قتادة

نفس هداها وانما قضى عليهم - ميم لانه سبحانه قد علم انهم من أهل السقاوة وانهم من  
يختار الضلالة على الهدى وقد علم الجن لان المقام مقام تحقير ولان الجهة بين من هم أكثر  
فيما قيل ولا يلزم من قوله أجمعين دخول جميع الانس والجن فيها لانهم اتفد عموم الانواع  
لا الافراد قاله بعض المحققين ورد بانه لو قصد ما ذكر كان المناسب التنسية دون الجمع بان  
يقول كليم - ما قالها ظاهراً العدموم الافراد والتعريف فيه - ما العهد والمراد عصاتهم - ما  
ويؤيده قوله في آية أخرى خطاباً بالابليس لا ملائناً جهنم منك وعن تبعث منهم أجمعين  
قاله الشهاب وفي تخصص - ص الانس والجن اشارة الى انه عصم ملائكته عن عمل  
يستوجبون بدجهنم (فذوقوا) أى العذاب والثاء لترتيب الامر بالذوق على ما قبله أى  
فاذا دخلوا النار فات لهم الخزن ذوقوا قاله مقاتل واستعار الذوق للاحساس وقد يعبر  
بالذوق عما يطرأ على النفس وان لم يكن مطعوماً لا احساسه بانه كاحساس الذائقة بالذوق  
المطعموم (بما نسيت لقاء يومكم) الباء للسببية وفيه اشعار بان تعذيبهم ليس مجرد سبق  
القول المتقدم بل بذلك واختلاف في النسب ان المذكوبه هذوق قيل هو النسيان الخفي  
وهو الذى يزول عنده الذكرو قيل هو الترتك قاله الضحاك ويجي بن سلام والمعنى على  
الاول انهم لم يعملوا بذلك اليوم فكانوا كانوا نسيت له وعلى الثانى لابد من تقدير مضاف قبل  
اللقاء أى فذوقوا بسبب ترككم لما أمرتكم به بعد ذاب لقاء يومكم هذا ورجع الثانى  
المبرد قال الرازى في تفسيره ان اسم الاشارة في قوله (هذا) يحتمل ثلاثة أوجه ان يكون  
اشارة الى اللقاء وان يكون الى اليوم وان يكون الى العذاب (انا نسيتكم) أى تركناكم  
بالكلمة غير ملتفت اليكم كما يفعل النسيان قطعاً لجانكم قال يحيى المعنى نسيتكم بما  
تركتم الايمان بالبعث في هذا اليوم تركناكم من الخير وكذا قال السدى وقال مجاهد  
تركناكم في العذاب (وذوقوا) تكرر بهذا التأكيد والتشديد ولتبيين المنعول المطوى  
للذوق وللأشعار بان سببه ليس مجرد النسيان بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصى  
التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا (عذاب الخلد) أى الدائم الذى لا انقطاع له (بما كنتم  
تعملون) في الدنيا من الكفر والمعاصى والتكذيب (انما يؤمنن بآياتنا) مستأنفة لبيان  
من يستحق الهداية الى الايمان ومن لا يستحقها والمعنى انما يصدقوا بآياتنا وينتفع بها  
(الذين اذا ذكروا بها) لا غيرهم عن يذكروها أى يعظمها ولا يتذكر ولا يؤمن بها (خزوا

بالاخلاص وقال زين العابدين هى لاله الا الله وقد بين تعالى في الموضوع الآخر ان له عشر امثاله وهم من فزع يومئذ آمنون كما قال  
في الآية الأخرى لا يجزيهم النزع الاكبر وقال تعالى أفن يلقى في النار خيراً من ما أتى آمناء يوم القيامة وقال تعالى وهم في الغرفات  
آمنون وقوله تعالى ومن جاء بالسنة فكبت وجوههم في النار أى من لقي الله مسيئلاً حسنة له أو قدر جنت سينانه على حسنة كل  
بحسبه ولهذا قال تعالى هل تجزون الا ما كنتم تعملون وقال ابن معود وابن عباس وأبو هريرة رضى الله عنهم وأنس بن مالك  
وعطاء وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد و ابراهيم النخعي وأبو وائل وأبو صالح ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم والزهرى والسدى

والخداك والحسن وقتادة وابن زيد في قوله ومن جاء بالسيئة يعني بالشرك (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فانما يهدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سير يكتم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) يقول تعالى مخبر الرسول وأمره ان يقول انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء كما قال تعالى قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله وليكن أعبد الله الذي يتوفاكم واطافة الربوية الى البلدة (٢٣٨) على سبيل التذمير يف لها والاعتناء بها كما قال تعالى فليعبدوا

رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وقوله تعالى الذي حرمها اي الذي انما صارت حراما شرعا وقدرا بتعريمه لها كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيامة لا يعصدشوك ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلي خلاها الحديث تمامه وقد ثبت في الصحيح والحسان والمسانيد من طرق جماعة تفيد التطلع كما هو مبين في موضعه من كتاب الاحكام والله الحمد والمنة وقوله تعالى وله كل شيء من باب عطف العام على الخاص أي هو رب هذه البلدة ورب كل شيء ومليكها لاله الا هو وأمرت ان أكون من المسلمين اي الموحدون المخلصين المتفادين لامرهم المطيعين له وقوله وان تلو القرآن أي على الناس أبلغهم آياته كقوله تعالى ذلك تلاوه علمك من الآيات والذكر الحكيم وكقوله تعالى تسلو عليكم من بناء موسى

سجدا) أي سقطوا على وجوههم ساجدين تعظيما لآيات الله وخوفا من سطوته وعذابه وتواضعا وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام (وسبحوا بحمدهم) أي نزهوه عن كل ما لا يليق به متبشرين بحمده على نعمه التي أجلها أو كملها الهداية الى الايمان بالآيات قال ابن عباس نزلت هذه الآية في شأن الصلوات الحسنة ومعنى الآية قالوا في سجودهم سبحان الله وبحمده أو سبحان ربي الاعلى وبحمده وقال سفيان المعنى صلوا حمد الربهم (وهم لا يستكبرون) عن الايمان به والسجود له كما استكبر أهل مكة عن السجود أي حال كونهم خاضعين لله متذللين له غير مستكبرين عليه وقال ابن عباس لا يستكبرون عن اتيان الصلاة في الجماعات قيل هذه من عزائم سجود القرآن للقارئ والمستمع قال سليمان الجمل والمراد بالآيات في هذه الآية ان كان مطلق القرآن وان لم تكن فيه آية سجدة أشكل قوله خروا وسجدا فان السجود لا يشترط تلاوة القرآن الا اذا كان فيه آية سجدة من آيات السجود المعروفة وان كان المراد بها خصوص آيات السجودات أشكل قوله اذا ذكرها مع تفسير التذكير بالوعظ كما ذكره ووجه الاشكال ان أكثر آيات السجودات يدل كلها ليس فيها وعظ أي تخويف وتذكير بالعواقب اذ هذه اذ حقيقة الوعظ بل غالبها المدح الساجدين تصريحا ونحو غيرهم تلويحيا كهذه الآية وقد يكون بعكس ذلك أي ذم غير الساجدين نصريحا ومدح الساجدين تلويحيا كآية الانشقاق فليسلم فلم يزل من المفسرين من بين هذا ولا من تعرض له انتهى (تجباني جنوبهم عن المضاجع) استثناف أو حال أي ترتفع وتنبو وتتنبي يقال جنب الشيء عن الشيء وتجباني عنه اذا لم يلزمه ونبا عنه وتنبى قال الزجاج والرمانى التجباني والتجباني الى جهة تفوق وكذلك هو في الصفة عن الخطى في سب ونحوه والجنوب جمع جنب أي متجاوئة جنوبهم عن مضاجعهم والمضاجع جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع فيه وهم المتعبدون في الليل الذين يقومون للصلاة عن الفراش وبه قال الحسن ومجاهد وعطاء والجهور والمراد بالصلاة صلاة التسفل بالليل من غير تقويد وقال قتادة وعكرمة هو النزل ما بين المغرب والعشاء وبه قال أبو حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي صلاة الاوابين وقيل صلاة العشاء فقط وهو رواية عن الحسن وعطاء وقال الضمالة صلاة العشاء والصبح في جماعة وقيل هم الذين يقومون لذكر الله سواء كان في صلاة أو غيرها عن

وقرءون بالحق الآية أي أنا مبلغ ومنذرفن اعتدى فانما يهدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين أي لي أسوة بالرسول الذين أنذروا قومهم وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة اليهم وخلصوا من عهدتهم وحساب أمهم على الله تعالى كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقال انما انت نذير والله على كل شيء وكيل وقل الحمد لله سير يكتم آياته فتعرفونها أي لله الحمد الذي لا يعذب أحدا الا بعد قيام الحجة عليه والانداز اليه ولهذا قال تعالى سير يكتم آياته فتعرفونها كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون أي بل هو شهيد على كل

شي قال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي عمر الحوضي حفص بن عمر حدثنا أبو أمية بن يعلى النخعي حدثنا سعيد بن أبي سعيد سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس لا يغترون أحدكم بالله فإن الله لو كان غافلاً لشيء إلا غفل البعوضة والخرجلة والذرة وقال أيضاً حدثنا محمد بن يحيى حدثنا نصر بن علي قال قال أبي أخير عن خالد بن قيس عن مطر عن عمر بن عبد العزيز قال قال رسول الله مغفلاً لشيء إلا غفل مات عن الرياح من أثر قدمي ابن آدم وقد ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه كان ينشد هذين البيتين أماله وأما لغيره إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل \* خلوت ولكن قل علي رقيب (٢٣٩) ولا تحسبن الله يغفل ساعة

وله أن ما يخفى عليه يغيب  
آخر تفسير سورة النحل والله الحد والمدة  
(تفسير سورة القصص وهي مكية)  
قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله  
حدثنا يحيى بن آدم حدثنا وكيع عن  
أبيه عن أبي إسحق عن معديكرب  
قال أتينا عبد الله فسألناه ان يقرأ  
علينا طسم الماتين فقال ما هي  
معي ولكن عليكم بمن أخذها من  
رسول الله صلى الله عليه وسلم خباب  
بن الارت قال فاتينا خباب بن الارت  
فقرأها علينا رضي الله عنه

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*  
(طسم تلك آيات الكتاب المبين تلو  
عليك من نبل موسى وفرعون بالحق  
لقوم يؤمنون ان فرعون علفي  
الارض وجعل اهلها اشيعا يستضعف  
طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي  
نساءهم انه كان من المفسدين  
وزيد ان عن علي الذين استضعفوا  
في الارض وجعلهم أئمةً وجعلهم  
الوارثين وعلمهم في الارض  
وزي فرعون وهامان وجنودهما  
منهم ما كانوا يحذرون) قد تقدم  
الكلام على الحروف المتصلة

أنس بن مالك ان هذه الآية نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة وعنه قال نزلت في صلاة العشاء وعنه قال كانوا لا ينامون حتى يصلوا العشاء وعنه قال كل من اجتنب الفراش قبل صلاة العشاء وعنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راقدا قط قبل صلاة العشاء ولا يتحدث بها بعد فان هذه الآية نزلت في ذلك وعن ابن عباس في الآية ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هم الذين لا ينامون قبل صلاة العشاء فأنى عليهم فلما ذكروا ذلك جعل الرجل يعتزل فراشه مخافة ان تغلبه عينه فوقتها قيل ان ينام الصغير ويكسل الكبير أخرجه ابن مردويه وعن بلال قال كنا نجلس في المسجد ونأس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلون بعد المغرب العشاء تتجافى جنوبهم عن المضاجع وعن أنس نحوه وعنه قال كانوا ينتظرون ما بين المغرب والعشاء يصلون وعن معاذ بن جبل قال قيام العبد من الليل وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر حديثا وارشده فيه الى أنواع من الطاعات وقال فيه وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ هذه الآية أخرجه أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم وعن أبي هريرة مرفوعا في حديث قال فيه وصلاة المرء في جوف الليل ثم تلا هذه الآية أخرجه ابن مردويه وعن أنس في الآية قال كان لا تمر عليهم ليلة الا أخذوا منها وأشهر الا قوبل ان المراد منه صلاة الليل وفيه قال جماعة من أهل العلم وقد ورد في فضل قيام الليل والحث عليه من الاحاديث الصحيحة ما هو مذکور في كتب السنة وعن كعب قال اذا حشر الناس نادى مناد هذا يوم الفصل اي الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع الحديث رواه أحمد وعن ابن عباس يقول كلما استيقظوا ذكر الله واماني الصلاة واماني القيام أو قعوداً وعلى جنوبهم لا يزالون يذكرون الله (يدعون) أي تتجافى جنوبهم حال كونهم داعين (ربهم خوفاً) من عذابه (وطمعا) في رحمة قال ابن عباس خوفاً من النار وطمعاً في الجنة وفيه دليل على صحة العبادة والدعاء بالخوف والطمع وقد حققنا ذلك في هداية السائل فليرجع اليها (ومما رزقناهم) أي من الذي رزقناهم أو من رزقهم (ينفقون) وذلك الصدقة الواجبة وقيل صدقة النفل والاولى الحمل على العموم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) النكدة في سياق النفي تنفيذ العموم أي لا تعلم نفس من النفوس أي نفس كانت ما أخفاه الله سبحانه لا أولئك الذين تقدم ذكرهم مما

وقوله قلت أي هذه آيات الكتاب المبين أي الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الامور وعلم ما قد كان وما هو كائن وقوله تلو عليك من نيل موسى وفرعون بالحق كما قال تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص أي نذكر لك الامر على ما كان عليه كأنك تشاهدو كأنك حاضر ثم قال تعالى ان فرعون علفي الارض أي تكبر وتجب وطغى وجعل اهلها اشيعا أي أصنافا قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته وقوله تعالى يستضعف طائفة منهم يعني بني اسرائيل وكانوا في ذلك الوقت خبايا أهل زمانهم هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العبيد يستعملهم في أخس الاعمال ويكدهم ليلاً ونهاراً في أشغال وأشغال رعبته يقتل مع هذا

ابناءهم ويستحي نساءهم اهانة لهم واحتقار وخوف ان يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته منه ان يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه وكانت القبط قد اتقوا هذا من بني اسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول ابراهيم الخليل عليه السلام حين ورد الديار المصرية فوجرى له مع جبارها ماجرى حين أخذ سارة ليأخذها جارية فصانها الله منه ومنعه منها بقدرته وسلطانه فبشر ابراهيم عليه السلام ولده انه سيولد من صلبه وذرية منه من يكون هلاك ملك مصر على يديه فكانت القبط تحدث بهذا عند فرعون فاحترز (٢٤٠) فرعون من ذلك وأمر بقتل ذكور بني اسرائيل وان ينفع حذر من

قدر لان أجل الله اذا جاء لا يؤخر  
واكل أجل كتاب ولهذا قال تعالى  
وزيد ان عن علي الذين استضعفوا  
في الارض الى قوله يحذرون وقد  
فعل تعالى ذلك بهم كما قال تعالى  
وأورثنا القوم الذين كانوا  
يستضعفون الى قوله يعرثون وقال  
تعالى كذلك وأورثناها بني اسرائيل  
أراد فرعون بحوله وقوته ان ينحو  
من موسى فأنقذه ذلك مع قدرة  
الملك العظيم الذي لا يخالف أمره  
القدرى ولا يغلب بل تنفذ حكمه  
وجرى قلبه في القادس بان يكون  
هلاك فرعون على يديه بل يكون  
هذا الغلام الذي احترزت من  
وجوده وقتلت بسببه الرقبان  
الولدان انما منشؤه وهرباه على  
فراشك وفي دارك وغداؤه من  
طعامك وأنت تربيته وتغذاه  
وحتفك وعلاكك وهلاكك  
جنودك على يديه لتعلم ان رب  
السموات العلا هو القاهر الغالب  
العظيم القوي العزيز الشديد المحال  
الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن  
(وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه  
فاذا خنت عليه فالقيه في البحر

تقربه أعينهم قال أبو السعود أي لملك مترب ولا نبى مرسل فضلا عما عداهم وقيل  
المراد لا تعلم لم نفس ما أخفى لهم علماتنصيبا والافحن نعم ما أعد الله مؤمنين من النعم  
اجالامن حيث انه عرف في الجنة وقصور وأشجار وأنهار وملابس وما كل وغير ذلك  
قرى قرية بالافراد وقرات بالجمع وقرى ما أخفى بسكون الباء على انه فعل مضارع مستند  
الى الله سبحانه وقرى بفتحها فعلا ماضيا مبني للمفعول وما تخفى بالنون مضمومة ويخفى  
بالتحية قال ابن عباس كان عرش الله على الماء فاتخذ جنة لنفسه ثم اتخذ دونها أخرى  
ثم أطبقتهما بلؤلؤة واحدة ثم قال ومن دونهما جستان لم يعلم الخلق ما فيهما وهي التي قال  
الله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرأة عين تأتيمهم منها كل يوم تحنئة وعنه قال هذا مما  
لا تفسير له وعن ابن مسعود قال ان الملك كتب في التوراة لقد أعد الله للذين تجباني جنوهم  
عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر ولا يعلم ملك مقرب ولا نبى  
مرسل وانه انى القرآن فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرأة عين وأخرج البخارى ومسلم  
 وغيرهما عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله أعددت لعبادي  
الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة وقرأوا ان  
شتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرأة عين وفي الباب أحاديث عن جماعة من الصحابة  
وعلى معروفه فلا تطول بذكرها وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم وفيه دليل على  
ان المراد الصلاة في جوف الليل ليكون الجزاء وفاقا ثم بين سبحانه ان ذلك بسبب أعمالهم  
الصالحة فقال (جزاء عما كانوا يعملون) أى لاجل الجزاء عما كانوا يعملونه في الدنيا من  
الطاعات وأجوز واجراء بذلك (أمن كان مؤمنا كن كان فاسقا) الاستفهام للانكار  
أى ليس المؤمن كالفاسق فقد ظهر ما بينهما من التفاوت والتباين ولهذا قال  
(لا يستويون) فتيه زيادة تصریح لما أفاده الانكار الذى أفاده الاستفهام على البغ وجه  
وأكد له بنى عليه التنصيص الآتى قال الزجاج جعل الاثنين جماعة حيث قال لا يستويون  
لاجل معنى من وقيل لكون الاثنين أقل الجمع وقيل أراد الجنس منهم ما ولم يرد مؤمنا  
واحدا ولا فاسقا واحدا وهذا أولى فان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص  
السبب وفي السمين انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يتعمد الوقوف على فاسقا ويتدى  
بقوله لا يستويون أى فى المال والمستهقر وفى الشرف والمثوبة والضمة يرفيه لمن

ولا تخافى ولا تحزنى ان ارادوه اليك وجاءلوه من المرسلين فالنقطة آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا الواقعة  
ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأة فرعون قرة عينى ولك لا تلقاوه عسى أن ينزعنا أو تتخذنا وولداؤهم  
لا يشعرون) ذكروا ان فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني اسرائيل خافت القبط ان يفتنى بنى اسرائيل فيلونهم ما كانوا يولونه  
من الأعمال الشاقة فقالوا الفرعون انه يوشك ان اسمر هذا الخيال ان يموت شيئا وخمهم وعلمناهم يمقتلون ونساءؤهم لا يمكن ان  
يقمن عما تقوم به رجالهم من الأعمال فيخلص البنا ذلك فامر بقتل الولدان عاموا وتركهم عامافولدها روت عليه السلام فى

في السنة التي يتركون فيها الولدان وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها الولدان وكان لفرعون ناس موكون بذلك وقوا بل يدبرن على النساء رأينها قد حملت أحصوا اسمها فاذا كان وقت ولادتها لا يقبلها الا النساء القبط فان ولدت المرأة جارية تركتها وذهبن وان ولدت غلاما دخل أولئك الذبايحون بايديهم الشنار المرهفة فقتلوه ومضوا فاجبهم الله تعالى فلما حملت ام موسى به عليه السلام لم يظهر عليها محابيل الحمل كغيرها ولم يقطن لها الدايات ولكن لما وضعت ذكرا ضاقت به ذرعا وحافت عليه خوفا شديدا واحبته حبا زائدا وكان موسى عليه السلام لا يراه احد الا حبه فالسعيد (٢٤١) من احبه طبعها وشرعا قال الله تعالى

والقيت عليك حبة مني فلما ضاقت به ذرعا ألهمت في سرها وألقي في خلدها ونفث في روعها كما قال تعالى وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه فاذا خنت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ان اردوه اليك وجعلوه من المرسلين وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل فاتخذت تابوتا ومهدت فيه مهدا وجعلت ترضع ولدها فاذا دخل عليها احد من تخافه ذهبت فوضعت في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وربطته بجبل عندها فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه فذهبت فوضعت في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وذهلت ان تربطه فذهب مع الماء واحمله حتى مر به على دار فرعون فالتقطه الجوارى فاحتلته فذهبن به الى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيها وخشين ان يفتن عليهما في فتحه ونها فلما كشفت عنه اذا هو غلام من أحسن الخلق واجله وأحلاه وأبها فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت اليه وذلك لسعادتها وما اراد الله من كرامتها وشقاوتها فلما واه هذا قال فالتقطه

الواقعة على القرين وفيه مرعاة معناها بعد مرعاة لفظها والمراد بالنسب الكامل بقريته المقابلة للمؤمنين والافالمؤمن قد يكون فاسقا ونظيره أفتجعل المسلمين كالجحيمين وقوله أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية اذ ليس كل مجرم ومسيء كافرا وعن ابن عباس قال قال الوليد بن عتبة لعلي بن أبي طالب انا احذ منك سنانا وأتجمع جنانا وأبسط منك لسانا وأملأ حشو المكتيبة منك فقال له علي اسكت فانما أنت فاسق فنزلت هذه الآية يعني بالمؤمن عليا وبالفاسق الوليد وروى في هذا عن عطاء بن يسار والسادى وعبد الرحمن بن أبي ابي ثميين سبحانه عاقبة حال الطائفتين وبدأ بالمؤمنين فقال (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) قرئ بالجمع وبالافراد والمأوى هو الذى يأوون اليه وازاد الجنات اليه لكونه المأوى الحقيقي وقيل المأوى جنات من الجنات تأوى اليها أرواح الشهداء وقيل هي عين العرش وقد تقدم الكلام على هذا (نزل) أى انها معدة لهم عند نزولهم وهو فى الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب اكرامه كما ينماهى فى آل عمران وقرئ نزل بسكون الزاى (بما كانوا يعملون) أى بسبب ما كانوا يعملونه وليس المراد السبب الحقيقي حتى يخالف حديث لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله بل ما ينضى الى الجنة بمقتضى وعد الله تعالى ثم ذكر الفريق الآخر فقال (وأما الذين فسقوا) أى خرجوا عن طاعة الله وتمردوا عليه وعلى رسوله بالكفر والتكذيب واعلم أن العمل الصالح له مع الايمان تأثير فلذلك قال آمنوا وعملوا الصالحات وأما الكفر فلا التفتت الى الاعمال معه فلذلك لم يقل وعملوا السيئات لان المراد من قوله فسقوا كفرهم ولو جعل العقاب فى مقابلة الكفر والعمل لظن أن مجرد الكفر لا عقاب عليه (فأواهم النار) أى منزلهم الذى يصبرون اليه ويستقرن فيه هو النار (كأرادوا ان يخرجوا منها أعيديها) أى اذا أرادوا الخروج منها أعيديها راعين مكرهين وقيل اذا دفعهم الله الى أعلاها ردوا الى مواضعهم وكلمة فى للدلالة على انهم مستقرن فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) والقائل لهم هذه المقالة هم خزنة جهنم من الملائكة أو القائل لهم هو الله عز وجل وفى هذا القول لهم حال كونهم قد صاروا فى النار من الاغاة لهم ما لا يخفى وهذا دليل على ان المراد بالفاسق الكافر اذا تكذب يقابل الايمان (ولنذيقنهم من العذاب الادنى) وهو عذاب الدنيا

(٣١ - فتح البيان سابع) ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا الآية قال محمد بن اسحق وغيره اللام هنا اللام المقابلة للام التعليل لانهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك ولا شك ان ظاهر اللفظ يقتضى ما قالوه ولكن اذا نظر الى معنى السياق فانه تبنى اللام للتعليل لان معناه ان الله تعالى قبضهم لالتقاطه ليجهل عدوهم وحزنا فيكون ابلغ فى ابطال حذرهم منه ولهم هذا قال تعالى ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقد روى عن امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انه كتب كتابا الى قوم من القدرية فى تكذيبهم بكتاب الله وبأقداره النافذة فى علمه السابق وموسى فى علم الله السابق فرعون عدو وحزنا قال الله تعالى ونرى

فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقلتم انتم لو شاء فرعون ان يكون لموسى واباونا صراوا الله تعالى يقول ليكون لهم عدوا وحزنا وقله تعالى وقالت امرأت فرعون قرت عينى وولت الآية يعنى ان فرعون لما رآههم بقتله خوفا من ان يكون من بنى اسرائيل فشرعت امرأته آسية بنت مزاحم تخاصم عنه وتذبذبه وتحبسه الى فرعون فقالت قرعة عينى وولت فقال فرعون امالك فقم وامالى فلان كان كذلك وهداها الله بسببه واهلكه الله على يديه وقد تقدم فى حديث القتون فى سورة طه هذه القصة بطولها من رواية ابن عباس مرفوعا (٢٤٢) عند النسائي وغيره وقوله عسى ان ينفعنا وقد حصل لها ذلك وهداها الله به

قال الحسن وأبو العالية والضحاك والتخمي هو مصائب الدنيا وأسس قامها وقيل الحدود وقيل القتل بالسيف يوم بدر وقيل سنى الجوع بمكة سبع سنين حتى أكلوا فيها الخيف والعظام والكلاب وقيل عذاب القبر ولا مانع من الحمل على الجيع والذوق حسى ومعنوى (دون العذاب الاكبر) وهو عذاب الآخرة (لعلهم يرجعون) مما هم فيه من الشرك والمعاصي بسبب ما ينزل بهم من العذاب الى الايمان والطاعة ويتوبون عما كانوا فيه وفى هذا التعليل دليل على ضعف قول من قال ان العذاب الاذى هو عذاب القبر قال ابن مسعود العذاب الاذى يوم بدر والعذاب الاكبر يوم القيامة لعل من بقى منهم ان يتوب فيرجع وعنه قال العذاب الاذى سنون اصابهم لعلهم يتوبون وقال أبى بن كعب العذاب الاذى مصائب الدنيا والروم والبطشة والدخان وعنه قال يوم بدر وقال ابن عباس الحدود قال الكرخى وفى هذا التبرجى وجهان أحدهما ما نذيقنهم اذاعة الراجين كقوله اناسينا كم يعنى تركناكم كما يترك الناسى حيث لا يلفت اليه أصلا فكذلك ههنا والناسى نذيقهم العذاب اذاعة يقول القائل اذا رآهم لعلهم يرجعون بسببه انتمسى (ومن أظلم ممن ذكر بايات ربه ثم أعرض عنها) أى لأحد أظلم منه لكونه سمع من آيات الله ما يوجب الاقبال على الايمان والطاعة فجعل الاعراض مكان ذلك والمجى بهم للدلالة على استبعاد ذلك وانه مما لا ينبغي ان لا يكون والاستهتام انكارى (انامن المجرمين منتقمون) أى من اهل الاجرام على العموم فيدخل فيه من أعرض عن آيات الله دخولا وأوليا قال أبو السعود أى كل من اتفق منه اجرام وان هانت جرئته فكيف بمن هو أظلم من كل ظالم وأشد جرما من كل مجرم أخرج ابن مسعود وابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وغيرهم قال السيوطى بسند ضعيف عن معاذ بن جبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ثلاث من فعلهن فقد أجرم من عقدهن فى غير حق أو عوق والديه أو مشى مع ظالم لينصره فقد أجرم يقول الله انامن المجرمين منتقمون قال ابن كثير بعد اذ اخرج هذا حديث غريب (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة وانما ذكر موسى لقربه من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ووجود من كان على دينه الزام لهم وانما يحتج عيسى عليه السلام للذكر والاستدلال لان اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته واما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام فتمسك بالجمع عليه (فلاتكن) يا محمد (فى مرتبة) أى

واسكنها الجنة بسببه وقولها او تتخذة ولدا اى ارادت ان تتخذ ولدًا وتتبناه وذلك انه لم يكن لها ولد منه وقوله تعالى وهم لا يشعرون اى لا يدرون ما اراد الله منه بالتقاطهم اياه من الحكمة العظيمة البالغة والحجة القاطعة (واصبح فوآدا مومسي فارغان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرنا عليه المرأع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكذبونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى امه كى تقتر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكرههم لا يعلمون) يقول تعالى مخبرا عن فوآد مومسي حين ذهب ولدها فى البحر انه اصبح فارغا اى من كل شىء من امور الدنيا الا من موسى قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وابو عبيدة والضحاك والحسن البصرى وقتادة وغيرهم ان كادت لتبدي به أى ان كادت من شدة وجدها وحزنها واسنفها لتظهر انه ذهب لها ولد

شك

وتحبر بحالها لولا ان الله نبت اوصيه ما قال الله تعالى لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت

لاخته قصيه اى امرت ابنتها وكانت كبيرة تسمى ما يقال لها فقالت لها قصيه اى اتبعى اثره وخذى خبره وتطلبي شأنه من نواحى البلاد يفرحت لذلك فبصرت به عن جنب قال ابن عباس عن جانب وقال مجاهد بصرت به عن جنب عن بعيد وقال قتادة جعلت تنظر اليه وكانها لا تريد ذلك انه لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون واحبته امرأه الملك واستطلقته منه عرضا عليه المرأع اى فى دارهم فلم يقبل منها ثيابا وابتى ان يقبل شىء من ذلك فخر جوابه الى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته فلما



رأته بأيديهم عرفته ولم تظهر ذلك ولم يشعروا به قال الله تعالى وحر مناعليه المراضع من قبل أي تحريمها قدريا وذلك لكرامته غدد  
الله وصانته له ان يرضع غير ثدي أمه ولان الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سببا الى رجوعه الى امه لترضعه وهي آمنة بعدما كانت  
خاتمة فلما رأتهم حائرون فممن يرضعه فالت هل اذلكم على اهل بيت يكفلونه انكم وهم له ناصحون قال ابن عباس فلما قالت ذلك  
اخذوها وشكوا في امرها وقالوا انها وما يدريك بنحيمهم له وشفتهم عليه فقالت لهم نصحهم له وشفتهم عليه رغبتهم في صهر الملك  
ورجاء منفعة فأرسلوها فلما قالت لهم ذلك وخلصت من اذاهم (٢٤٣) ذهبوا معها الى منزلهم فدخلوا به على امه

فأعطته ثديها فالتقمه ففرحوا  
بذلك فرحاشديدا وذهب البشير الى  
امرأة الملك فاستدعت ام موسى  
واحسنت اليها واعطتها عظام جزيل  
وهي لا تعرف انها امه في الحقيقة  
ولكن لكونه وافق ثديها ثم سألتها  
آسية ان تقيم عندها لترضعه فابت  
عليها وقالت ان لي بعلاوا ولاداولا  
أقدر على المقام عندي ولكن ان  
أحببت ان أرضعه في بيتي فعلت  
فاجابتها امرأة فرعون الى ذلك  
وأجرت عليها النفقة والصلوات  
والكسارى والاحسان الجزيل  
فرجعت ام موسى بولدها راضية  
مرضية قد أبداه الله بعد خوفها  
أمنافى عز وجاه ورزق دار ولهداياه  
في الحديث مثل الذي يعمل  
ويحتسب في صنعة الخير كمثل أم  
موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها  
ولم يكن بين الشدة والفرح الا  
القليل يوم وليه أرضحوه والله أعلم  
فسحان من يده الامر ماشاء كان  
ومالم يشأ لم يكن الذي يجعل لمن  
اتقاه بعد كل هم فربا وبع كل ضيق  
مخرجا ولهذا قال تعالى فردناه الى  
أمه كي تقر عينها أي به ولا تحزن أي

شك وريبة (من لقائه) قال الواحدى قال المفسرون وعد رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم انه سياتى موسى قبل ان يموت ثم لقيه في السماء أو في بيت المقدس حين اسرى به  
وهذا قول مجاهد والكبي والسدى وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى في القيامة  
وستلقاه فيها وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى للكاتب قاله الزجاج وقال الحسن ان  
معناه ولقد آتينا موسى الكتاب فكذب وأوذى فلا تكن في شك من انه سيلقاك ما لقيه  
من التكذيب والاذى فيكون الضمير في لقائه على هذا الى محذوف والمعنى من لقائه  
مالاقي موسى قال النحاس وهذا قول غريب وقيل في الكلام تقديم وتأخير والمعنى قل  
يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم فلا تكن في مرية من لقائه بخفاء معترضين ولقد آتينا  
موسى الكتاب وبين قوله الاتى وجعلناه هدى لبنى اسرائيل وقيل الضمير راجع الى  
الكتاب الذى هو النور فان كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى انافدا آتينا موسى مثل  
ما آتيناك من الكتاب ولقيناك مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لتلقى  
مثله ونظيره وما أبعد هذا ولعل الحامل لقائه عليه قوله وجعلناه هدى لبنى اسرائيل فان  
الضمير راجع الى الكتاب وقيل ان الضمير في لقائه عائد الى الرجوع المتهوم من قوله ثم الى  
ربكم ترجعون أى لا تكن في مرية من لقاء الرجوع وهذا بعيد جدا قال السهين وهذه  
أقوال بعيدة ذكرت للتبسيه على ضعفها وأظهرها ان الضمير ام موسى واما الكتاب أى  
لا ترتب في ان موسى لقي الكتاب وأنزل عليه وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهم من  
حديث ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأيت اية امسرى بن موسى بن  
عمران رجلا طويلا بعدا كأنه من رجال شعوة ورأيت عيسى بن مريم مربع الخلق  
الى الحجره والبياض سبط الرأس ورأيت مالكا خازن جهنم والذبال في آيات آراهن الله  
اياها قال فلا تكن في مرية من لقائه فكان قتادة يفسرها ان النبي صلى الله عليه وآله  
وسلم قد لقي موسى وأخرج الطبرانى وابن مردويه والضياف في المختار بسند قال السجوطى  
صحح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا تكن في مرية من لقائه قال من  
لقاء موسى قيل ألقى موسى قال نعم الا ترى الى قوله واستل من أرسلنا من قبلك من رسلنا  
وروى البخارى عن أنس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أتيت على موسى ليلة  
المعراج عند الكتيب الاجر وهو قائم يصلى في قبره وصح في حديث المعراج أيضا انه رآه

عليه ولتعلم أن وعد الله حق أى فيما وعدنا من رده اليها ووجه له من المرسلين فيمنئذ تحققت برده اليها انه كان منه رسول من المرسلين  
فعاملتها في تربيته ما ينبغي له طبعه او شرعا وقوله تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون أى حكم الله في أفعاله وعواقبها المحيطة التى  
هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة فربما يقع الامر كرهها الى النفوس وعاقبته محيطة في نفس الامر كما قال تعالى وعسى ان  
تكفر هو اشيا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا اشيا وهو شر لكم وقال تعالى وعسى ان تكفروا اشيا ويجهل الله فيه خيرا كثيرا  
(ولما بلغ أشده واستوى آتيناها حكا وعلمها وكذلك تجزى الحسين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلا

يقولان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مفضل بين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي قلن أكون ظهيرا للعجمين) لما ذكر تعالى مبدأ أمر موسى عليه السلام ذكر ان لما بلغ أشده واستوى آناه الله حكيم وعلم قال مجاهد يعني النبوة وكذلك تجزي الحسين ثم ذكر تعالى سبب وصوله الى ما كان تعالى قدر له من النبوة والتكليم قضية قتله ذلك القبطي الذي كان سبب خروجه من الديار المصرية (٢٤٤) الى بلاد مدين فقال تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من

أهلها وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وذلك بين المغرب والعشاء وقال ابن جريج عن ابن المنكدر عن عطاء ابن يسار عن ابن عباس كان ذلك نصف النهار وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة والسادى وقتادة فوجد فيهما رجلين يقتتلان أي يتضاربان ويتنازعان هذا من شيعته أي اسراييلي وهذا من عدوه أي قبطي قاله ابن عباس وقتادة والسادى ومحمد بن اسحق فاستغاث الاسراييلي بموسى عليه السلام ووجد موسى فرصة وهو غفلة الناس فعمد الى القبطي فوكره موسى عليه السلام فقضى عليه قال مجاهد وكزه أي طعنه بجمع كفه وقال قتادة وكزه بعضا كانت معه فقضى عليه أي كان فيها حتفه فمات قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مفضل بين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي أي بما جعلت لي من الجاه والعز والنعمة فان أكون

في السماء السادسة ففعل رؤيته كانت في قبره قبل صعوده الى السماء ثم صعد اليها فوجده هناك قد سبقه لما يريد الله وهذا وجه الجمع بين هذين الحديثين على ما ذكره الخازن واختلف في الضمير في قوله (وجعلناه) فقيل راجع الى الكتاب أي جعلنا التوراة (هدى لبني اسرائيل) قاله الحسن وغيره وقال قتادة انه راجع الى موسى أي وجعلنا موسى هدى لبني اسرائيل (وجعلنا منهم أئمة) أي قادة يقتدون بهم في دينهم وهم الانبياء الذين كانوا في بني اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء وقيل العلماء قاله قتادة وقرئ أئمة قال النحاس وهو لحن عند جميع النحويين لانه جمع بين همزتين في كلمة واحدة (يهدون) أي يدعونهم الى الهداية بما يلقونه اليهم من احكام التوراة ومواعظها (بامرنا) لهم بذلك أولا جل أمرنا (لماصبروا) أي حين صبروا والضمير للائمة وفي المعنى الجزاء والتقدير لما صبروا وجعلناهم أئمة أي لصبرهم وهذا الصبر هو صبرهم على مشاق التكليف والهداية للناس وقيل صبر واعن الدنيا وفيه دليل على ان الصبر عمرته امامة الناس (وكانوا اباياتنا) التنزيلية التي في تضاعيف الكتاب (يوقنون) أي يصدقون به او يعلمون انها حق وانها من عند الله تزيد تفكرهم وكره تدبرهم (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة) أي يقضى بينهم ويحكم بين المؤمنين والكفار وقيل يقضى بين الانبياء وأئمتهم حكاه النقاش (فيما كانوا فيه يختلفون) فيظهر الحق من المبطل (أولم يبين لاهل مكة والهجرة للانسكار والوالوال لعطف على مقدر يقتضيه المقام أي اغفلوا لم يبين لهم وقرئ يهدى بالتحية وبالنون وهي وانحة والفاعل ما دل عليه قوله (كم أهلكم) أي كثرة اهلاكم وقال المبرد ان الفاعل الهدى المدلول عليه يهدى أي أولم يهداهم الهدى (من قبلهم) حال من قوله (من القرون) كعادتهم ووقوم لوط ونحوهم (يشون في مساكنهم) أي والحال انهم يشون في مساكن المهلكين ويشاهدونها وينظرون ما فيها من العبر والآثار العذاب ولا يعتبرون بذلك وقيل الضمير يعود الى المهلكين والمعنى أهلكم حال كونهم ماشين في مساكنهم والاول أولى وقيل جله مستأنفة بيان لوجه هدايتهم والمعنى يمرون في أسفارهم الى التجارة على ديارهم وبلادهم (ان في ذلك) المذكور من كثرة اهلاكم الامم الخالية (لايات) عظيمة (أفلا يسمعون) ويستمعون بها (أولم يروا اناسوق الماء الى الارض الجزر) أي أولم يعلموا بسوق الماء الى الارض التي لا تنبت الا بسوق الماء اليها وقيل هي

اليابسة ظهور أي معينا للعجمين أي للكافرين بك المخالفين لاسرائيل (فأصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك اغوى مبين فلما أن أراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريدان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين) يقول تعالى مخبر عن موسى عليه السلام لما قتل ذلك القبطي انه أصبح في المدينة خائفا أي من معزة ما جعل يترقب أي يتلذذ ويتوقع ما يكون من هذا الامر ففر في بعض الطرق فاذا ذلك الذي استنصره بالامس على ذلك القبطي يقابل آخر فلما مر عليه موسى استنصره على الآخر فقال له

موسى انك لغوى ميين أى ظاهر الغواية كثير الشرم عزم موسى على البطش بذلك القبطى فاعتقد الاسرائيلى لخوره وضعته  
 وذلته ان موسى انما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك فقال يدفع عن نفسه يا موسى أتريدان تقتلنى كما قتلت نفسك بالامس وذلك لانه لم  
 يعلم به الا هو وموسى عليه السلام فلما سمعها ذلك القبطى اقفها من فسه ثم ذهب به الى باب فرعون وألقاها عندهم فعلم فرعون بذلك  
 فاشتهد حقه وعزم على قتل موسى فقاموه فبعثوا وراهم ليجزوه لذلك (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملائكة  
 يأتون بك ليقتلوك فاخرج انا لك من الناصحين) قال تعالى وجاء رجل (٢٤٥) وصفه بالرجولية لانه طائف الطريق

فسلك طر يقاً قرب من طريق  
 الذين بعثوا وراهم فسبق الى موسى  
 فقال له يا موسى ان الملائكة يأتون  
 بك أى يشاورون فيك ليقتلوك  
 فاخرج انا لك من البلد الى لك من  
 الناصحين (فخرج منها خائفاً يترقب  
 قال رب نجنى من القوم الظالمين  
 ولما توجه تلقاهم قال عسى ربى  
 ان يهدينى سواء السبيل ولما وردناه  
 مدين وجد عليه أمة من الناس  
 يستقون ووجد من دونهم امرأتين  
 تذودان قال ما خطبك قالت الانسى  
 حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير  
 فسقى لهما ثم تولى الى الطل فقال  
 رب انى لك أنزات الى من خير فقير)  
 لما أخبره ذلك الرجل بما أتاه عليه  
 فرعون ودولته فى أمره خرج من  
 مصر وحده ولم يأنف ذلك قبله بل  
 كان فى رفاهة ونعمة ورياسة  
 فخرج منها خائفاً يترقب أى تلتفت  
 قال رب نجنى من القوم الظالمين  
 أى من فرعون وملئه فذكروا ان  
 الله سبحانه وتعالى بعث اليه ملكا  
 على فرس فارشده الى الطريق فالتفه  
 اعلم ولما توجه تلقاهم مدين أى  
 أخذ طر يقاً لهما لهما فرح

الياسة وأصله من الجر زوهو والتطع أى التى تقطع نباتهم العدم الماء وازيل بالمرّة ولا يقال  
 لآتى لا تبت أصلاً كالسباح جرز لقوله الآتى فخرج به زرعاً قال ابن عباس الجر زالتى  
 لا تطر الامطر الا يغنى عنها شيئاً الاما يأتها من السبول وعنه قال هى أرض باليمن وقيل  
 أبين قال القرطبي فى تفسيره والاسناد عن ابن عباس صحىح لامطع فىه وقيل أرض  
 عدن قال الضحاك هى الأرض العطشاء وقال القراءه هى الأرض التى لا تبت فيها وقال  
 الاصمعى هى الأرض التى لا تبت شيئاً قال المبرد يعبدان يكون لارض بعينها لدخول  
 اللف واللام وقيل هى مشتقة من قولهم رجل جر وزاذا كان لا يبقى شيئاً الا آكاه  
 وكذلك ناقة جر وزاذا كانت تأكل كل شئ تجده وقال مجاهد ان أرض النيل لان الماء  
 انما يأتها فى كل عام (فخرج به) أى بالماء (زرعاً) أى كل منه انعامهم) أى من الزرع كالتمين  
 والقصل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها ونحوها مما لا يأكله الناس (وأنتسهم)  
 أى يأكلون من الحبوب والثمار والاقوات الخارجة من الزرع مما يقناتونه وقدم الانعام  
 لان انتفاعها مقصور على النبات ولان آكلها منه مقدم لانها تأكله قبل ان يثر ويخرج  
 سنبله (أفلا يبصرون) هذه النعم ويشكرون المنعم ويؤخرونه لكونه المتفرد بالعباد  
 ذلك وجعلت الفاصلة يبصرون لان الزرع مرثى وفيما قبله يسمعون لان ما قبله مسموع  
 أو ترقى الى الاعلى فى الاعانطما لغة فى التذكير ودفع العذر (ويقولون) بطريق الاستعجال  
 تكذيباً واستهزاء وانما يكون هم الكفار على العموم أو كذا مر كذا على الخصوص (أتى  
 هذا الفتح) الذى تعدنا به يعنون بالفتح القضاء والفصل بين العباد وهو يوم البعث الذى  
 يقضى الله فيه بين العباد قاله مجاهد وغيره قال القراءه والقريبى هو فتح مكة قال قتادة  
 قال أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم للكفار ان انما يؤمنتم فيه ونسبتموه ويحكم  
 الله بيننا وبينكم يعنون يوم القيامة فقال الكفار متى هذا الفتح وقال السدى هو يوم  
 بدر لان أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناسرنا  
 ومظهرنا عليكم وعن ابن عباس قال يوم بدر فتح للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يتبع  
 الذين كفروا وایمانهم بعد الموت (ان كنتم صادقين) فيما تدعون من نصر المؤمنين  
 واظهارهم على الكفار ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يجيب عليهم  
 فقال (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا وایمانهم) وفى هذا دليل على ان يوم الفتح هو يوم

بذلك قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل أى الطريق الاقوم ففعل الله بذلك وهداه الى الصراط المستقيم فى الدنيا والآخرة  
 فجعله هادياً مهدياً ولما وردناه مدين أى لما وصل الى مدين ووردناه وكان لها بئر يرددها الرعاء وجد عليه أمة من الناس  
 يستقون أى جماعة يستقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أى تكفكفتان غنهما ان ترد مع غنم أولئك الرعاء فأتاهن فأتاهن  
 راءهما موسى عليه السلام رقا لهما ما وردتهما قال ما خطبك أى ما خبرك بالتردد مع هؤلاء قالت الانسى حتى يصدر الرعاء أى  
 لا يحصل لئسراً الا بعد فراغ هؤلاء وأبونا شيخ كبير أى فهذا الحال الملقى لنا الى ماترى قال الله تعالى فسقى لهما قال أبو بكر بن

أبي شيبه حدثنا عبيد الله أنبأنا إسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون الاودي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان موسى عليه السلام لما ورد مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون قال فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطيق رفعها الا عشرة رجال فاذا هو بامرأتين تدودان قال ما خطبكما فحدثناه فأتى الحجر فرفعه ثم لم يستق الا ذنوبا واحدا حتى رويت الغنم اسناد صحيح وقوله تعالى ثم نولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ابن عباس سار موسى من مصر الى مدين ليس له طعام الا البقل وورق الشجر وكان حافيا فواصل (٢٤٦) الى مدين حتى سقطت نعل قدميه وجلس في الظل وهو صفوة

الله من خلقه وان بطانه للاصق بظهيره من الجوع وان خضرة البقل لتري من داخل جوفه وان له محتاج الى شق عمرة وقوله الى الظل قال ابن عباس وابن مسعود والسدى جلس تحت شجرة وقال ابن جرير حدثني الحسين بن عمرو العنقري حدثنا أبي حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو ابن ميمون عن عبد الله هو ابن مسعود قال أحدثت على جبل ليلتين حتى صبحت مدين فساتت عن الشجرة التي أوى اليها موسى فاذا هي شجرة خضراء ترف فاهوى اليها جلي وكان جاعا فاخذها فعابها ساعة ثم لفظها فدعوت الله لموسى عليه السلام ثم انصرفت وفي رواية عن ابن مسعود انه ذهب الى الشجرة التي كلم الله منها موسى كما سألني ان شاء الله فانه أعلم وقال السدى كانت الشجرة من شجر السمرو وقال عطاء بن السائب لما قال موسى رب انى لما أنزلت الى من خير فقير أسمع المرأة (جاءته) احداهما عشي على اسمها قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سمعت

القيامة الذي هو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم لان يوم فتح مكة ويوم بدر كلهم مما يتنفع فيه الايمان وقد أسلم أهل مكة يوم الفتح وقبل منهم ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ولا يقبل منهم الايمان والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتبسيه على انه ليس مما ينبغي ان يسئل عنه لكونه أمرا بينا وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ايمانهم في ذلك اليوم كانه قيل لا تستعجلوا فكأنى بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرت فلم تنظروا والاية ان عمت غير المستهزئين فهي تعميم بعد تخصيص وان خصت بهم فهو اظهار في مقام الانذار تسجيلا عليهم بالكفر وبيان العلة لعدم النفع وعدم امهالهم (ولا هم ينظرون) أى لا يهلون ولا يؤخرون بتأخير العذاب عنهم لمتوبوا ويعتذروا ولما فتحت مكة هربت قوم من بني نكارة فلحقهم خالد بن الوليد فاظهروا الاسلام فلم يقبله منهم خالد وقتلهم (فاعرض عنهم) أى عن سفههم وتكذيبهم ولا تجبهم الا بما أمرت به (واستظر) يوم الفتح وهو يوم القيامة أو يوم اهلاكم بالقتل وموعدي لاك بالنصر عليهم (انهم منتظرون) لا اهلاكم انتم او انتظر عذابنا اياهم فهم منتظرون ذلك والاية منسوخة بآية السيف وذلك قوله لا ينفع الخ قاله ابن عباس وقيل غير منسوخة اذ يقع الاعراض مع الامر بالقتل وقرئ منتظرون بفتح الظاء مبنيا للمفعول قال الفراء لا يصح هذا الا باضمار أى انهم منتظر بهم قال أبو حاتم الصحيح الكسر أى انتظر عذابهم انهم منتظرون هلاكهم

\* (سورة الاحزاب هي ثلاث وسبعون آية) \*

قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن زر قال قال لى أى بن كعب كاتى تقر سورة الاحزاب أو كاتى بعدها قلت ثلاثا وسبعين آية فقال أقط لقد درأيتها وانها لتعادل سورة البقرة أو أكثر من سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة اذ ازينا فارجوهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم فرفع فيما رفع قال ابن كثير واسناده حسن وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس ان عمر بن الخطاب قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد يا أيها الناس ان الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها وعيناها والشيخ والشيخة اذ ازينا فارجوهما البتة

لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تحتنجوت من القوم الظالمين قالت احداهما ابنت استأجره ورجم ان خير من استأجرت التوى الامين قال انى أريد ان أنكح احدى ابنتي هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج فان أتمت عشر افن عندك وما أريد ان أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بينى وبينك أيا الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما تنقول وكيل) لما رجعت المرأتان سر يعا بالغنم الى أبيهما أنكر حالهما بسبب محبتهما سر يعا فأسألهما عن خبرهما فقستا عليه ما فعل موسى عليه السلام فبعث احداهما اليه ليدعوه الى أبيها قال الله تعالى فجاءته احداهما عشي على استجاء أى

سنى الحرائر كاروى عن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه انه قال جاءت مسترة بكم درعها وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو نعيم  
 حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون قال قال عمر رضى الله عنه جاءت تشى على استحياء فأنله بثوبها على وجهها  
 ليست بملفح دلاجة ولا جعة خراجة هذا اسناد صحيح قال الجوهري السلفع من الرجال الجسور ومن النساء الجرية السليطة  
 ومن النوق الشديدة قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا وهذا تأدب في العادة لم تطلبه طلبا مطلقا لئلا يوهم رية بل  
 قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا معنى ليشيم (٢٤٧) ويكافئك على سقيك لغنما فلما جاءه وقس  
 عليه القصص أى ذكره ما كان

من أمره وما جرى له في السبب  
 الذى خرج من أجله من بلده قال  
 لا تحف نجوت من القوم الظالمين  
 يقول طب نفسا وقر عينا فقد  
 خرجت من مملكتهم فلا حكم لهم  
 في بلادنا ولهذا قال نجوت من  
 القوم الظالمين وقد اختلف  
 المنسرون في هذا الرجل من هو  
 على أقوال أحدها انه شعيب  
 النبي عليه السلام الذى أرسل الى  
 أهل مدين وهذا هو المشهور عند  
 كثير من العلماء وقد قاله الحسن  
 البصرى وغير واحد واه ابن أبى  
 حاتم حدثنا أبى حاتم عن ابن عبد  
 العزيز الاودى حدثنا مالك بن أنس  
 انه باغى ان شعيبا هو الذى قص  
 عليه موسى القصص قال لا تحف  
 نجوت من القوم الظالمين وقد  
 روى انظرانى عن سلمة بن سعد  
 العزى انه وفد على رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم فقال له مرحبا بقوم  
 شعيب واختان موسى هديت  
 وقال آخرون بل كان ابن أخى شعيب  
 وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب  
 وقال آخرون كان شعيب قبل زمان

ورجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجنا بعده فآخشى ان يطول بالناس زمان ان  
 يقول قائل لا نجد آية في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وقد روى عنه نحو هذا  
 من طرق وعن عائشة قالت كانت سورة الاحزاب تقرأ في زمان النبي صلى الله عليه وآله  
 وسلم ماتى آية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها الا على ما هو الآن قال المنسفي  
 وامام يحيى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فاكلتها الداجن فمن تأليفات  
 الملاحدة والر وافض

(بسم الله الرحمن الرحيم)\*

(يا أيها النبي) أى يا أيها الخبير عنا المؤمنون على أسرارنا المبلغ خطبنا وانما لم يقل يا محمد  
 كما قال يا آدم يا موسى تشريفه وتنويهها بنفضه له وتصريحه باسمه في قوله محمد رسول الله  
 ونحوه لتعليم الناس بانه رسول الله ليلقبه بذلك ويدعو به (اتق الله) أى دم على ذلك  
 وازدد منه فهو باب واسع وعرض عريض لا يدرك مداه ولا ينال منتهاه (ولا تطع  
 الكافرين) من أهل مكة ومن هو على مثل كفرهم (والمنافقين) الذين يظهرون الاسلام  
 ويطنون الكفر قال الواحدى انه أراد سبحانه بالكافرين أباسفيان وعكرمة وأبا  
 الاعور السلمى وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل ان  
 لها شناعة لمن عبدها قال والمنافقين عبد الله بن أبى وعبد الله بن سعد بن أبى سرح  
 (ان الله كان عليهما حكيمًا) أى كثير العلم والحكمة ببايعهما قال النحاس ودل بقوله هذا على  
 انه كان يميل اليهم يعنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم استدعاهم الى الاسلام والمعنى ان  
 الله عز وجل لو علم ان ميلك اليهم فيه منفعة لمنهم لم عنهم لانه حكيم ولا يخفى به هذه  
 الدلالة التى زعمها ولكن هذه الجملة تعليل لجملة الامر بالتقوى والنهى عن طاعة  
 الكافرين والمنافقين والمعنى انه لا يأمرك أو ينهاك الا بما علم فيه صلاحاً وفساداً الكثرة  
 علمه وسعة حكمته (وانبع) فى جميع أمورك (ما يوحى اليك من ربك) من القرآن ولا  
 تتبع شياً مما عداه من مشورات الكافرين والمنافقين ولا من رأى البحت فان فيما  
 أوحى اليك ما نغيبك عن ذلك (ان الله كان بما تعملون خبيراً) تعليل لامره باتباع  
 ما أوحى اليه وتأكيده لوجه الامر له صلى الله عليه وآله وسلم أمر لامتة فهم ما سؤرون

موسى عليه السلام مدة طويلة لانه قال لقومه وما قوم لوط منكم بعيد وقد كان دلائك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص  
 القرآن وقد علم انه كان بين الخليل وموسى عليهم السلام مدة طويلة تزيد على أربع مائة سنة كما ذكره غير واحد وما قيل ان شعيبا  
 عاش مدة طويلة انما هو والله أعلم احترام من هذا الاشكال ثم من المقوى لكونه ليس بشعيب انه لو كان اياه لا وشك ان ينص على  
 اسمه في القرآن ههنا وما جاء في بعض الاحاديث من التصريح به في قصة موسى لم يصح اسناده كما سنذكره قريباً ان شاء الله ثم من  
 الموجود في كتب بنى اسرائيل ان هذا الرجل اسمه ثيرون والله أعلم قال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود وثرون هو ابن أخى شعيب

علمه السلام وعن أبي حمزة عن ابن عباس الذي استأجر موسى يثري رواه ابن جرير ثم قال الصواب ان هذا لا يدرك الا بغير  
ولا خبر يجب به الخجة في ذلك وقوله تعالى قالت احدهما يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين أي قالت احدي  
ابنتي هذا الرجل قبل هي التي ذهبت وراهم موسى عليه السلام قالت لا بينهما يا ابت استأجره أي لرعيته هذه الغنم قال عمرو بن  
عباس وشريح القاضي وأبو مالك وقتادة ومحمد بن اسحق وغير واحد لما قالت ان خير من استأجرت القوي الامين قال لها أبوها  
وما علمك بذلك قالت له انه رفع الصخرة التي (٢٤٨) لا يطبق جملها الا عشرة رجال واني لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي

كوني من وراني فاذا اختلف على  
الطريق فاحذني لي بحصاة أعلم بها  
كيف الطريق لا هتدي اليه وقال  
سنيان الثوري عن أبي اسحق عن  
أبي عبدة عن عبد الله هو ابن مسعود  
قال أقسر الناس ثلاثة أبو بكر  
حين تفرس في عمر وصاحب يوسف  
حين قال أكرمي مثواه وصاحبة  
موسى حين قالت يا ابت استأجره  
ان خير من استأجرت القوي  
الامين قال اني أريد ان أتكبحك  
احدي ابنتي هاتين أي طلب اليه  
هذا الرجل الشيخ الكبير ان يرعى  
غنمه ويرتجها احدي ابنتيه هاتين  
قال شعيب الجبائي وهم ما صنورا  
وليا وقال محمد بن اسحق صفورا  
وشرفا ويقال ليا وقد استدل  
أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على  
صحة البيع فيما اذا قال بعثك أحد  
هذين العبدين عمائة فقال اشترت  
انه يصح والله أعلم وقوله على ان  
تأجرني عماي حجج فان أعمت عشرا  
فمن عندك أي على ان ترمي غنمي  
عماي سنين فان تسبرت بزيادة  
سنتين فهو اليك والافني الثمان  
كفاية سجدني ان شاء الله من

باتباع القرآن كما هو مأمور باتباعه ولهذا جاء بخطابه وخطابهم في قوله بما تبعه ملون على  
قراءة الجمهور وبالوقية على الخطاب وقرئ بالتحية والواو ضمير الكفرة والمنافقين أي  
انه خير بكايدهم في دفعها عنك (وتوكل على الله) أي اعتمد عليه وفوض امورك اليه  
(وكفى بالله وكيل) أي حافظا يحفظ من توكل عليه وقيل كنيلا برزقك وقال الزجاج  
لفظه وان كان لفظ الخبر فالمعنى اكنف بالله وكيلاً ثم ذكر سبحانه مثل لا توطنه وتمهيد لما  
يتبعه من الاحكام القرآنية التي هي من الوحي الذي أمره الله باتباعه فقال (ما جعل الله  
لرجل من قلوبين في جوفه) وقيل هي مثل ضربه الله للمظاهر أي كما لا يكون للرجل قلبان  
كذلك لا تكون امرأة المظاهرة حتى تكون له أمان وكذلك لا يكون المدعي ابن الرجل  
وقيل كان الواحد من المنافقين يقول لي قلب يأمرني بكذا وقلب ينهىني عن كذا فنزلت الآية برد  
التناقض وبيان انه لا يجتمع مع الاسلام كما لا يجتمع قلبان والقلب بضعة صغيرة على هيئة  
الصنوبرة خلقها الله وجعلها محللا للعالم ومن زائدة وقال في جوفه لانه معدن الروح  
الحيواني المتعلق للنفس الانسانية ومنسج القوي باسمها فبفتح تعدده لانه يؤدي الى  
التناقض وهو ان يكون كل منهما أصلاً لكل القوي وغير أصل لها عن ابن عباس قال قام  
النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه  
الآثرى ان له قلبين قلباً معكم وقلبا معهم فنزل ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه وعنه  
بلفظ صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاة فسمها فيها فخطر منسج كفة فسمها  
المنافقون فقالوا ان له قلبين فنزلت وعنه أيضاً قال كان رجل من قريش يسمى من دهائه  
ذا القلبين فانزل الله هذا في شأنه (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم)  
قرئ اللاتي بياسا كنة بعد همزة وبياسا كنة بعد ألف محضنة قال أبو عمرو بن العلاء  
انها لغة قريش التي أمر الناس ان يقرؤا بها وتظاهرون مضارع ظاهر وقرئ مضارع  
تظاهروا والاصل تظاهرون وقرئ تظهرون والاصل تظهرون وأخذ ذلك من لفظ  
الظهور كاخذلي من التباينة وانما عدى عن لانه ضمن معنى التباعد كانه قيل متباعدين  
من نساءكم بسبب الظهار كما تقدم في تعدية الايلاء من في البقرة والظهار أصله ان  
يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر احمي والمعنى ما جعل الله نساءكم اللائي تقولون  
لهن هذا القول كاهاتكم في التحريم ولكنه منسك من القول وزور وانما تجب به

الصالحين أي لأشفاقك ولأواذك ولأماريك وقد استدلوا بهذه الآية الكريمة لمذهب الاوزاعي فيما

الكفارة  
ان قال بعثك هذا عشرة نقداً أو بعشرين نسبية انه يصح ويختار المشتري باهمأ أخذه صح وحل الحديث المروي في سنن أبي داود  
من باع بيعتين في بيعته فله أو كسهما أو الر باع على هذا المذهب وفي الاستدلال بهذه الآية وهذا الحديث على هذا المذهب نظر  
ليس هذا موضع بسطه لطوله والله أعلم ثم قد استدل أصحاب الامام أحمد ومن تبعهم في صحة استئجار الاجير بالطعمة والكسوة  
بهذه الآية واستأنسوا في ذلك بما رواه أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في كتابه السنن حيث قال باب استئجار الاجير على طعام بطنه

حدثنا محمد بن المصنف الحصري حدثنا بقية بن الوليد عن مسلمة بن علي عن سعيد بن أبي أيوب عن الحرث بن يزيد عن علي بن زيار قال سمعت عتبة بن المذر السلمي يقول كما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراً طس حتى أذبح قصة موسى قال ان موسى آجر نفسه ثمانى سنين أو عشرة سنين على عفة فرجه وطعام بطنه وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف لان مسلمة بن علي وهو الخشني الدمشقي البلاطي ضعيف الرواية عند الأئمة ولكن قد روى من وجه آخر وفيه نظر أيضاً وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لهيعة عن الحرث بن يزيد الخضرى (٢٤٩) عن علي بن زيار الخشمي قال سمعت عتبة

ابن المذر السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان موسى عليه السلام آجر نفسه بعفة فرجه وطعمة بطنه وقوله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام قال ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما تنقول وكيل يقول ان موسى قال لصهره الامر على ما قلت من انك استأجرتنى على ثمانى سنين فان أتمت عشر افن عندي فأنا متى فعلت أفلهما فقد برئت من العهد وخرجت من الشرط ولهذا قال أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على أى فلا خرج على مع ان الكامل وان كان مباحا لكنه فاضل من جهة أخرى بدليل من خارج كما قال تعالى فمن نجمل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجزرة بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه وكان كثير الصيام وسأله عن الصوم في السفر فقال ان شئت فصم وان شئت فافطر مع ان فعل الصيام راجح من دليل آخر هذا وقد دل الدليل على ان موسى عليه السلام

الكفار بشرطه وهو العود كما ذكر في سور المجادلة بقوله والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا أي فيه بان يحالفوه بامساك المظاهر منها زمانا يمكنه ان يفارقها فيه أو لا يفارقها لان مدة صود المظاهر وصف المرأة بالتحريم وامساكها يحالفه قاله الكرخي (وما جعل ادعياءكم) أى وكذلك ما جعل الادعياء الذين تدعون انهم ابناؤكم (أبناءكم) والادعياء جمع دعى وهو الذى يدعى ابنا للغير أى فهو فعيل بمعنى مقبول ولكن جمعه على ادعياء غير مقيد لان افعلاء انما يكون جمع الفعيل المعتل اللام اذا كان بمعنى فاعل نحو تقي وأتقيا وغنى وأغنيا وهذا وان كان فعلا معتلا اللام لان أصله دعى وفأدغم الا انه بمعنى مفعول فكان القياس جمعه على فعلى كقتيل وقتلى وجرى وجرى ومرضى ومرضى ونظير هذا في الشذوذ قولهم أسير وأسارى والقياس أسرى وقد سمع فيه الاصل قاله السمين (ذلكم) أى ما تقدم من ذكر الظهار والادعاء (قولكم بأفواحكم) أى ليس ذلك الا مجرد قول بالا فواء ولا تأثر له في الخارج فلا تصير المرأة به أم أو ابنا ولا يترتب على ذلك شئ من احكام الأمومة والبنوة وقيل ل الإشارة تراجعته الى الادعاء أى ادعواؤكم ان أبناء الغير ابناؤكم لاحقيقة بل هو مجرد قول بالقم اذا الابن لا يكون الا بالولادة وفيه نسخ التبنى وذلك ان الرجل كان في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعتق زيد بن حارثة الكلبى وتبناه قبل الوحى وأخى بينه وبين حزة فلما تزوج زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله هذه الآية ونسخه التبنى قال النحاس وهذا من نسخ السنة بالقرآن قال القرطبي اجمع أهل التفسير على ان هذا القول انزل في زيد بن حارثة (والله يقول الحق) الذى يحق اتاعه لكونه حقا فى نفسه لا باطلا فيدخل تحته دعاء الابناء لا بآئهم (وهو يهدى السبيل) أى يدل على الطريق الموصلة الى الحق وفيه هذا ارشاد للعباد الى قول الحق وترك قول الباطل والزور ثم صرح سبحانه بما يجب على العباد من دعاء الابناء للائىة فقال (ادعوهم لا بآئهم) للصلب والنسب وهم اليهم ولا تدعوهم الى غيرهم أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عمر أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كاد دعوه الا يزيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لا بآئهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنت زيد بن حارثة بن شراحيل (هو أفسط)

(٣٢ - فتح البيان سابع) انما فعل أكمل الاجلين وأتمها وقال البخارى حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الافطس عن سعيد بن جبيرة قال قال سألنى يهودى من أهل الحيرة أى الاجلين قضى موسى فقلت لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت على ابن عباس رضى الله عنه فسالته فقال قضى أكثرهما وأطيم ما ان رسول الله اذا قال فعل ~~هم~~ كذا رواه البخارى وهكذا رواه حكيم بن جبيرة وغيره عن سعيد بن جبيرة ووقع في حديث الفتون من رواية القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبيرة أن الذى سأله رجل من أهل النصرانية والاول أشبهه والله أعلم وقد روى من حديث

ابن عباس مرفوعا قال ابن جرير حدثنا أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحمدي حدثنا سفیان حدثني ابراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب  
 عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سألت جبريل أي الاجلين قضى موسى قال  
 أتمها وأكلهما ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن الحمدي عن سفیان وهو ابن عيينة حدثني ابراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب وكان  
 من أسناني أو أصغر مني فذكره وفي اسناده قلب و ابراهيم هـ ذاليس بعروف ورواه البزار عن أحمد بن أبان القرشي عن سفیان بن  
 عيينة عن ابراهيم بن أعين عن الحكم (٢٥٠) بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم

فذكره ثم قال لا تعرفه مرفوعا عن  
 ابن عباس الامن هـ هذا الوجه  
 وقال ابن أبي حاتم قرئ على يونس  
 ابن عبد الاعلى أن أبانا ابن وهب أن أبانا  
 عمرو بن الحرث عن يحيى بن ميمون  
 الحضرمي عن يوسف بن تيرح ان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل  
 أي الاجلين قضى موسى قال لا علم  
 لي فسأل رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم جبريل فقال جبريل لا علم لي  
 فسأل جبريل ملكا فوقفه فقال  
 لا علم لي فسأل ذلك الملك ربه عز وجل  
 عما سأله عنه جبريل عما سأله عنه  
 محمد صلى الله عليه وسلم فقال الرب  
 عز وجل قضى أبرهما وأبقاهما  
 أو قال أركاهما وهذا امر سل وقد  
 جاء امر سلا من وجه آخر وقال  
 سنيد حدثنا حجاج عن ابن جريج  
 قال قال مجاهد ان النبي صلى الله  
 عليه وسلم سأل جبريل أي الاجلين  
 قضى موسى فقال سوف أسأل  
 اسرافيل فسأله فقال سوف أسأل  
 الرب عز وجل فسأله فقال أبرهما  
 وأوقاهما طريق أخرى مرسله  
 أيضا قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع  
 حدثنا أبي حدثنا أبو معشر عن

عند الله تعليل للامر بدعاه الالباء للاباء والضمير راجع الى مصدر ادعواهم ومعنى أقسط  
 أعدل أي أعدل من كل كلام يتعلق بذلك فترك الاضافة للعموم كقوله الله أكبر أو أعدل  
 من قولكم هو ابن فلان ولم يكن ابنه لصاحبه وأقسط افعال تنضيل قصده الزيادة مطلقا  
 من القسط بمعنى العدل وانظر الى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجمل الظلمية ثم  
 فصل الخبرية عنها ووصل بينها ثم فصل الالسمية عنها ووصل بينها ثم فصل بالظلمية ثم عم  
 الارشاد للعباد فقال (فان لم تعلموا آباءهم) تنبؤهم اليهم (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم  
 (في الدين ومواليكم) فقولوا أخي ومولاي ولا تقولوا ابن فلان حيث لم تعلموا آباءهم على  
 الحقيقة قال الزجاج مواليتكم أي أولياؤكم في الدين وقبل المعنى فان كانوا محررين ولم  
 يكونوا أحرار فقولوا موالى فلان (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي لا اثم عليكم  
 فيما وقع منكم من ذلك خطأ من غير عمد قبل النهي فنسبتموه الى غير آبيه (ولكن) الاثم  
 (ما نعمدت فلو بكم) وهو ما لفتهوه على طريق العمد من نسبة الالباء الى غير آباءهم مع  
 عليكم بذلك قال قتادة لودعوت رجلا بغير آبيه وأنت ترى أنه أبوه لم يكن عليك بأس  
 بخلاف الحال في زيد فانه لا يجوز ان يقال فيه زيد بن محمد فان قاله أحد متعمدا عصي  
 بقوله هذا عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من ادعى  
 الى غير آبيه وهو يعلم أنه غير آبيه فالجنة عليه حرام أخرجه البخاري ومسلم (وكان الله  
 غفورا رحيفا) يغفر للمخطئ ويرجوه ويتجاوز عنه أو غفورا للذنوب رحيفا بالعباد ومن  
 جلة من يغفر له ويرجوه من دعا رجلا لغير آبيه خطأ وقبل النهي عن ذلك أو على سبق  
 اللسان ثم ذكر سبحانه له رسوله من به عظمة وخصوصية جليلة لا يشاركه فيها أحد من  
 العباد فقال (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي هو أحق بهم وأرف وأشرف في كل  
 مادعاهم اليه من أمور الدين والدنيا فان نفوسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم وهو  
 يدعوهم الى ما فيه نجاتهم فيجب عليهم أن يؤثره بما أراد من أموالهم وان كانوا محتاجين  
 اليها ويجب عليهم أن يحبوه من زيادة على حبهم أنفسهم ويجب عليهم أن يقدموا حكمه  
 عليهم على حكمهم لانفسهم وبالجملة فاذا دعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لشيء ودعاهم  
 أنفسهم الى غيره وجب عليهم ان يقدموا مادعاهم اليه ويؤخروا مادعاهم أنفسهم اليه  
 ويجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم لانفسهم ويقدموا طاعته على ما قيل اليه أنفسهم

محمد بن كعب القرظي قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاجلين قضى موسى قال أوقاهما وتطلبه  
 وأتمها فهذه طرق متعاضدة ثم قدروى هذا مرفوعا من رواية أبي ذر رضي الله عنه قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أبو عبيد  
 الله يحيى بن محمد بن السكن حدثنا اسحق بن ادريس حدثنا عويد بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر  
 رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الاجلين قضى موسى قال أوقاهما وأبرهما قال وان سئلت أي المرأتين تزوج  
 فقل الصغرى منهما ثم قال البزار لا تعلم يروى عن أبي ذر الالهذا الاسناد وقدر واما ابن أبي حاتم من حديث عويد بن أبي عمران وهو



ضعيفاً ثم قدر وى أيضاً نحوه من حديث عتبة بن المنذر بن زيادة غربة جدا فقال أبو بكر البزار حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني حدثنا يحيى بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحرث بن يزيد عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اى الاجلين قضى موسى قال ابرهما وأوقاهما ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام لما أراد فراق شعيب عليه السلام أمرأته ان تسأل أباه ان يعطيها من غنمه ما يعيشون به فأعطاها ما ولدت غنمه في ذلك العام من قالبون قال فامرته شاة الاضرب موسى جنبها بعصاه فولدت (٢٥١) فوالب ألوان كلها وولدت اثنتين وثلاثا

كل شاة ليس فيها قشوش ولا ضبوب ولا كمشة تفوت الكف ولا نعول وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحت الشام فاتتكم شجودون يتسايها منها وهي السامرية هكذا أوردته البزار وقد رواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا فقال حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة ح حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أبا نال الوليد أبا نال عبد الله بن لهيعة عن الحرث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان موسى عليه السلام أجر نفسه بعفة فرجه وطعمه بطنه فلما وى الاجل قبل يارسول الله أي الاجلين قال ابرهما وأوقاهما فلما أراد فراق شعيب أمرأته ان تسأل أباه ان يعطيها من غنمه ما يعيشون به فأعطاها ما ولدت غنمه من قالبون من ولد ذلك العام وكانت غنمه سوداء حسناء فانطلق موسى عليه السلام الى

وتطلبه خواطرهم وقيل المراد بانفسهم في الآية بعضهم فيكون المعنى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالمؤمنين من بعضهم بعض وقيل هي خاصة بالقضاء أي هو أولى بهم من أنفسهم فيما قضى بينهم وقيل أولى بهم في الجهاد بين يديه وبذل النفس دونه وقيل أولى بهم أي أرف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي ابوأمة ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبوهم في الدين والاولى أولى وقد أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من مؤمن الا وانا أولى الناس به في الدنيا والاخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن ترك ما لا فطرته عصيته من كانوا فان ترك ديناً وضياءاً فليأني فاما مولاه وقد ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وآله وسلم قال والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين واخرج ابن ابي شيبة وأحمد والنسائي عن بريدة قال غزوت مع علي بن أبي طالب منه جفوة فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكرنا علياً فقصته فقرأت وجهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغير وقال يا بريدة ألسنت اولى بالمؤمنين من انفسهم قلت بلى يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من كنت مولاه فعلي مولاه (وازواجه) صلى الله عليه وآله وسلم سواء دخل بهن أو لا وسواء مات عنهن أو طلقهن (امهاتهم) أي مثل امهاتهم في الحكم بالتحريم ومنزلات من لهن في استحقات التعظيم فلا يحل لاحد ان يتزوج بواحدة منهن كما لا يحل له ان يتزوج بأمه فهذه الامومة محتسبة بتحريم النكاح لهن تحريم ما يبدأ وبالاعظيم لجنابهن لاقى النظر اليهن والخلافة بهن فانه حرام في حقهن كحما في حق سائر الاجانب وتخصيص المؤمنين ببدل على انهن اسن امهات نساء المؤمنين ولانتهن اخوات المؤمنين ولا اخوتهن اخوات المؤمنين وقال القرطبي الذي يظهر لي انهن امهات الرجال والنساء تعظيماً خققهن على الرجال والنساء كما يدل عليه قوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهذا يشمل الرجال والنساء ضرورة قال ثم ان في مصنف أبي بن كعب ازواجه امهاتهم وهو أب لهم وقرأ ابن عباس بعد لفظ انفسهم وهو أب وازواجه امهاتهم عن عائشة ان امرأة قالت لها يا أمه فقالت أنا أم رجالكم ولست أم نساءكم وعن ام سلمة قالت أنا أم الرجال

عصاه فسلماها من طرفها ثم وضعها في أدنى الحوض ثم أورد عافسقاها ووقف موسى بازاء الحوض فلم يصدر منها شاة الاضرب جنبها شاة شاة قال فأنامت وأبنت ووضعت كلها قالب ألوان الاشاة وأشانتين ليس فيها قشوش قال يحيى ولا ضبوب وقال صفوان ولا ضبوب قال أبو زرعة الصواب ضبوب ولا عزوز ولا نعول ولا كمشة تفوت الكف قال النبي صلى الله عليه وسلم لو افتتحت الشام وجدت يتسايها تلك الغنم وهي السامرية وحدثنا أبو زرعة أبا نال صفوان قال سمعت الوليد قال سألت ابن لهيعة ما القشوش قال التي نفس يلبتها واسعة الشخب قلت فما الضبوب قال الطويلة الضرع تجره قلت فما العزوز قال ضيقة الشخب قلت فما

القول قال التي ليس لها ضرع الا كهيمة حلتين قلت فما الكهيمه قال التي تفوت الكف ككشة الضرع صغير لا يدركه الكف مدار هذا الحديث على عبد الله بن لهيعة المصري وفي حفظه سوء وأخشي ان يكون رفعه خطأ والله أعلم وينبغي ان يروى ليس فيها فشوش ولا عزوز ولا ضبوب ولا نقول ولا ككشة لئلا تترك كل صفة ناقصة مع ما يقابلها من الصفات الناقصة وقد روى ابن جرير من كلام أنس بن مالك موقوفا عليه ما يقارب بعضه باسناد جيد فقال حدثنا محمد بن المثنى حدثنا معاوية بن هشام حدثنا أبي حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه (٢٥٢) قال لمادعاني الله موسى عليه السلام صاحبه الى الاجل الذي

كان بينهما ما قال له صاحبه كل شاة ولدت على غير لونها ذلك ولدها فهي لك فعمد موسى فدفع خيالا على الماء فلما رأته الخيال فزعت فجالت جولة فولدت كاهن بلقا الاشاة واحدة فذهب بأولادهن كاهن ذلك العام (فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله أنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا اني آنست ناراً على آتكم منها بخبر أو جذوة من النار اعد لكم تصطلون فلما أناها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني أنا الله رب العالمين وان ألق عصاك فلما أراها تتحرك كأنها جان ولي مدبر اولم يعجب يا موسى أقبيل ولا تحف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الريح فذاتك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين) قد تقدم في تفسير الآية قبلها ان موسى عليه السلام قضى أمم الاجلين وأوقاهما وأبرهما وأكلهما وأوقاهما وقد يستفاد هذا أيضاً من الآية الكريمة حيث قال تعالى فلما قضى موسى الاجل

منكم والنساء وعن مجالة قال مرعرب بن الخطاب بغلام وهو يقرأ في المصحف وازواجه امهاتهم وهو أب لهم فقال بالغلام حكهما فقال هذا مصحف ابى فذهب اليه فبأله فقال انه كان يلهي بين القرآن ويلهي الكصف في الاسواق وهن فيما وراء ذلك كالارث ونحوه كالاجنديات ولهذا لم تعد التحريم الى بناتهن ثم بين سبحانه أن القرابة أولى ببعضهم البعض فقال (وأولوا الارحام) جمع رحم وهو القرابة (بعضهم أولى) أى أحق (ببعض) في الميراث وقد تقدم تفسير هذه الآية في آخر سورة الانفال وهي ناسخة لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة قال قتادة لما نزل قوله سبحانه في سورة الانفال والذين آمنوا ولم يهاجروا وما ملكتهم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا فتوارث المسلمون بالهجرة ثم نسخ ذلك بهذه الآية وكذا قال غيره ويحتمل أن يكون النسخ بآية الانفال وهو قوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله قال الشهاب وهذا الاحتمال أولى لان سورة الانفال متقدمة نزولاً على هذه السورة فنسبها الى النسخ اليها أولى وتكون هذه الآية مؤكدة لتلك وقيل ان هذه الآية ناسخة للتوارث بالخلف والمواخاة في الدين وقيل معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر (في كتاب الله) أى هذه الاولوية وهذا الاستحقاق كائن وثابت فيه وانما رد الكتاب اللوح المحفوظ أو القرآن أو آية التوارث (من المؤمنين والمهاجرين) المعنى ان ذوى القربان من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض أو أولوا الارحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين الذين هم أجنب وقيل ان معنى الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض الاما يجوز لازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كونهن كالأمهات في تحريم النكاح وفي هذا من الضعف ما لا يخفى (الا) هذا الاستثناء اما متصل من أعم العام والتقدير أولى ببعض في كل شئ من الارث وغيره الا (ان تدعوا الى أوليائكم معروف) من صدقة أو وصية فان ذلك جائز قاله قتادة والحسن وعطاء ومحمد بن الحنفية قال ابن الحنفية نزلت في اجازة الوصية للمهودى وانصراني قال الكافرولى في النسب لاني الدين فتجوز الوصية له قال في الخازن ان الله لما نسخ التوارث بالخلف والاخاء والهجرة أباح أن يوصى الرجل لمن يولاه بما أحب من ثلث ماله ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً والمعنى لكن فعل المعروف للاولياء لا بأس به وضمن تفعلوا معنى توصلوا أو تسدوا فعدى بالى وقال مجاهد أراد بال معروف

أى الاكل منهما والله أعلم قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قضى عشرين وعشرين وبعد ما عشرين آخر وهذا القول النصرة لم أره لغيره وقد حكاه عنه ابن جرير وابن أبي حاتم قاله علم وقوله تعالى وسار بأخيه قالوا كان موسى عليه السلام قد اشتاق الى بلده وأهله فعزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه فحتمل بأخيه وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره فسلك بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة فنزل منزلاً فجعل كلما أوري زنده لا يضي شيئاً تعجب من ذلك فبينما هو كذلك اذ أنس من جانب الطور ناراً رأى ناراً نضى له على بعد فقال لأهله امكثوا اني آنست ناراً حتى أذهب اليها على آتكم منها بخبر وذلك لانه كان قد أضل الطريق أو جذوة

من النار أي قطعة منها العلمكم نصلون أي تدفون بها من البرد قال الله تعالى فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن أي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب كما قال تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر فهذا مما يرشد الى ان موسى قصد النار الى جهة القبلة والجبل الغربي عن يمينه والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في لحف الجبل مما يلي الوادي فوقف باهتا في أمرها فناداه ربه من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال رأيت (٢٥٣) الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام

ساهرة خضر اعترف اسناده مقارب وقال محمد بن اسحق عن بعض من لايتهم عن وهب بن منبه قال شجرة من العليق وبعض أهل الكتاب يقول انها من العوسج وعصاه من العوسج وقوله تعالى أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين أي الذي يخاطبك ويكلمك هو رب العالمين الفاعل لما يشاء لا اله غيره ولا رب سواه تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة الخلق في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله سبحانه وقوله وأن الق عصاك أي التي في يديك كما قرره على ذلك في قوله تعالى وما تلك بينك يا موسى قال هي عصا أي أو كما عليها وأهش بها على غمى ولي فيها ما رب أخرى والمعنى أما هذه عصاك التي تعرفها ألقها فألقها فاداعي حية تسمى فعرف وتحقق ان الذي يكلمه ويخاطبه هو الذي يقول للشيء كن فيكون كما تقدم بيان ذلك في سورة طه وقال ههنا فلما رأها تهترأى تضطرب كأنها جان ولي مدبر أي في حركتها السريعة مع عظم خلقها وقواها واتساع فها واصط كال أيانها وأنشأها بحيث لا تمر بصخرة الا

النصرة وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة (كان ذلك) أي نسح الميثاق بالهجرة والمخالفة والمعاقدة ورده الى ذوى الارحام من القرابات (في الكتاب) أي فى اللوح المحفوظ أو فى التوراة وفى القرآن (مسطورا) مكتوبا (واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم) كأنه قال يا أيها النبي اتق الله واذا أخذنا من النبيين الميثاق أو التقدير كان هذا الحكم مكتوبا فى الكتاب ووقت أخذنا قاله السهين قال قتادة أخذنا الله الميثاق على النبيين خصوصا على ان يصدق بعضهم بعضا ويتبع بعضهم بعضا وان ينصحو القوم بهم وان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته والى الدين القيم وان يبلغوا رسالات ربههم وذلك حين أخرجوا من صاب آدم كالذرو وهو جمع ذرة وهى أصغر النمل وهى صغيرة جدا بحيث ان نحو الاربعين منها أصغر من جناح بعوضة والميثاق هو الامين وقيل هو الاقرار بالله والوصية والامر والاول وأولى وقد سبق تحقيقه ثم خصص سبحانه بعض النبيين بالذكر بعد التعميم الشامل لهم وغيرهم فقال (ومنك) خصوصا (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) ووجه تخصيصهم بالذكر الاعلام بان لهم من يدشرف وفضل لكونهم أصحاب الشرائع المشهورة والكتب المذكورة ومن أولى العزم من الرسل وتقديم ذكر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مع تأخر زمانه فيه من التشرىف له والتعظيم لا لا يخفى وتقديم نوح فى آية شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا لانها سبقت لوصف ما بعث به نوح من العهد القديم وما بعث به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من العهد الحديث وما بعث به من توسطهما من الانبياء المشاهير فكان تقديم نوح فيها أشد مناسبة له المقصود من بيان أصالة الدين وقدمه قاله الكرخي ثم أكد ما أخذنا على النبيين من الميثاق بتكرير ذكره ووصفه بالغلظ فقال (وأخذنا منهم ميثاقا عظيما) أي عهدا شديدا على الوفاء بما جملوا وما أخذنا الله عليهم من عبادته والدعاء اليها ويجوز أن يكون قد أخذنا الله عليهم الميثاق مرتين فأخذنا عليهم فى المرة الاولى مجرد الميثاق بدون تغليظ ولا تشديد ثم أخذنا عليهم ثانية مغلظا شديدا مثل هذه الآية قوله وإذا أخذنا الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه أخرجه الطبرانى وابن مردويه وابو نعيم فى الدلائل عن أبي مريم الغساني ان اعرايا قال يا رسول الله اى شئ كان اول نبوتك قال اخذنا الله منى الميثاق كما أخذنا من النبيين ميثاقهم ثم تلا هذه الآية

اسلمت ما تخدرفها تتقعع كأنها حادرة من واد فعد ذلك ولي مدبرا ولم يعقب أى ولم يكن يلتمت لان طبع البشرية يفتن من ذلك فلما قال الله له أقبل ولا تخف انك من الآدميين رجع فوقف فى مقامه الاقول ثم قال الله تعالى اسلك يديك فى جيبك تخرج يمينه من سوء أى اذا دخلت يديك فى جيب درعك ثم أخرجتها فانها تخرج تتلألا كأنها قاطعة قمر فى لعان البرق ولهذا قال من غير سوء أى من غير برص وقوله تعالى واضم اليك جناحك من الرهب قال مجاهد من النزع وقال قتادة من الرعب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير ما حصل لك من خوفك من الحية والظاهر ان المراد أنهم من هذا وهو أنه أمر عليه السلام اذا خاف من شئ ان يضم اليه جناحه من الرهب وهو يده فاذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف وربما اذا استعمل أحد ذلك على سبيل

الافتقار فوضع يده على فؤاده فانه يزول عنه ما يجداً ويحتف ان شاء الله تعالى وبه الثقة قال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين  
 حدثنا الربيع بن نعلب الشيخ صالح أخبرنا ابواسماعيل المؤدب عن عمداً الله بن سلمة عن مجاهد قال كان موسى عليه السلام قد علم  
 قلبه رعباً من فرعون فكان اذا رآه قال اللهم انى أدراك فى تحريمه وأعوذ بك من شره ففرغ الله ما كان فى قلب موسى عليه السلام  
 وجعله فى قلب فرعون فكان اذا رآه بال كما يقول الجمار وقوله تعالى فذانك برهانان من ربك يعنى القاء العصا وجعلها حية تسعى  
 وادخاله يده فى جيبه فتخرج بيضاء من غير (٢٥٤) سوء دليلان قاطعان واضمان على قدرة القاعل المختار ووجه النبوة

من جرى هذا الخارق على يديه  
 ولهذا قال تعالى الى فرعون وملته  
 اى وقومه من الرؤساء والكبراء  
 والاتباع انهم كانوا قوماً فاسقين  
 اى خارجين عن طاعة الله مخالفين  
 لأمره ودينه (قال رب انى قتلت  
 منهم نفساً فأخاف ان يقتلون وأخى  
 هرون هو أفصح منى لساناً فأرسله  
 معى رداً يصدقنى انى أخاف ان  
 يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك  
 ونجعل لك سلطاناً فلا يصلون اليك  
 يا آتينا انما من اتبعك الغالبون)  
 لما أمره الله تعالى بالذهاب الى  
 فرعون الذى اخرج من ديار مصر  
 فراراً منه وخوفاً من سطوته قال  
 رب انى قتلت منهم نفساً يعنى ذلك  
 القبطى فأخاف ان يقتلون اى اذا  
 رأونى وأخى هرون هو أفصح منى  
 لساناً وذلك ان موسى عليه السلام  
 كان فى لسانه لغة بسبب ما كان  
 تناول تلك الحجره حين خبر بينها  
 وبين التمره أو الدرره فأخذ الحجره  
 فوضعها على لسانه فحصل فيه شدة  
 فى التعبير ولهذا قال واحلل عقدة  
 من لساني بقوله واقولى واجعل لى  
 وزيراً من أهلى هرون أخى أشد به

الى قوله ميناً فاغليظا ودعوة ابراهيم قال وابتعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى بن مريم  
 ورأت أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى منامها انه خرج من بين رجلها مراح  
 اضاءت له قصور الشام وعن ابن عباس قال قيل يا رسول الله متى اخذت منى قال وآدم  
 بين الروح والجسد وعنه قال قيل يا رسول الله متى كنت نبياً قال وآدم بين الروح  
 والجسد اخرج البزار والطبرانى فى الباب احاديث قد صحح بعضها وعن ابى هريرة عن  
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فى الآية كنت اول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث  
 فبدأ اى قبلهم اخرج ابن عساکر وابن مردويه وابونعيم وعن ابن عباس قال بينا قهم  
 عهدهم وعنه قال انما اخذ الله منى منى على قومهم (ليسأل) اى لى يسأل  
 (الصادقين عن صدقهم) فى تبليغ الرسالة الى قومهم فبكت الكافرين بهم وفى هذا وعيد  
 لغيرهم لانهم اذا كانوا يستلجون عن ذلك فكيف غيرهم وقيل ليسأل الانبياء عما اجابهم به  
 قومهم كما فى قوله فلنساءن الذين ارسل اليهم ولنساءن المرسلين وقوله يوم يجمع الله الرسل  
 فيقول ماذا اجتمعتم وقيل فعل ذلك ليسأل وقيل عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل  
 ليسأل الصادقين بأقوالهم عن صدقهم فى قلوبهم والكافرين عن تكذيبهم فاستغنى عن  
 الثانى بكرمه وهو قوله (وأعد للكافرين) وقيل التقدير اناب الصادقين وأعد  
 للكافرين وقيل المعنى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه ليثيب المؤمنين وأعد للكافرين  
 (عذاباً بالهيا) قاله السهين وقيل الكلام قد تم عند قوله عن صدقهم وجعله واعده استأنفة  
 لبيان ما اعده للكفار (يا ايها الذين آمنوا اذا کروا نعمة الله الكائنة (عليكم) هذا  
 تحقيق لما سبق من الامر بالتقوى بحيث لا يبقى معه خوف من احد (اذ) اى حين  
 (جاءتكم جنود) والمراد بها جنود الاحزاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه  
 وآله وسلم وغزوه الى المدينة وهى الغزوة المسماة غزوة الخندق وكانت بعد حرب أحد  
 بسنة وهم ابوسفيان بن حرب بقريش ومن معهم من الانصار وعيينة بن حصن الغزاري  
 ومن معه من قومه عطفان وبنو قريظة والنضير فضايقوا المسلمين مضايقة شديدة كما  
 وصف الله سبحانه فى هذه الآيات وكانت هذه الغزوة فى شوال سنة خمس من الهجرة قاله  
 ابن اسحق وقال ابن وهب وابن القاسم عن مالك كات فى سنة اربع وقد بسط اهل السير  
 فى هذه الواقعة ما هو معروف فلانظيل بذكرها اخرج الحاكم وصححه وابن مردويه وابو

ازرى وأشرك فى أمرى اى يؤنسنى فيما أمرتى به من هذا المقام العظيم وهو القيام باعباء النبوة والرسالة  
 الى هذا الملك المتكبر الجبار العنيد ولهذا قال وأخى هرون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى رداً اى وزيراً وعينا ومقرباً لأمرى  
 يصدقنى فيما أقوله وأخبر به عن الله عز وجل لان خبر الاثنين أجمع فى النفوس من خبر الواحد ولهذا قال انى أخاف ان يكذبون  
 وقال محمد بن اسحق رداً يصدقنى اى يبين لهم عنى ما أكلهم به فانه يفهم عنى ما لا يفهمون فلما سأل ذلك موسى قال الله تعالى  
 سنشد عضدك بأخيك اى سنقوى أمرك ونعزج بك بأخيك الذى سألت له ان يكون نبياً معك كما قال فى الآية الاخرى قد

أوتيت سؤلثك يا موسى وقال تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا ولهذا قال بعض السلف ليس أحسداً عظمتة على أخيه من موسى على هرون عليهم ما السلام فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيا ورسولا معه الى فرعون وملئه ولهذا قال تعالى في حق موسى وكان عند الله رجيا وقوله تعالى ونجعل لك سلطانا نأى حجة قاهرة فلا يصلون اليك باياتنا أى لا يسبيل لهم الى الوصول الى أذاكم بسبب ابلاغك آيات الله كما قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزلنا اليك من ربك الى قوله والله يعصمك من الناس وقال تعالى الذين يبلغون رسالات الله الى قوله وكفى بالله حسيبا أى وكفى بالله ناصرا (٢٥٥) ومعينا ومؤيدا ولهذا أخبرهم ان

العاقبة لهما ولن اتبعهما في الدنيا والآخرة فقال تعالى أتاتوا من اتبعك الغالبون كما قال تعالى كذب الله لا تغلبن أناورسلي ان الله قوى عزيز وقال تعالى ان النصر لرسولنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا الى آخر الآية ووجه ابن جرير على ان المعنى ونجعل لك سلطانا فلا يصلون اليك ثم يتدنى فيقول باياتنا آتاهم من اتبعك الغالبون تقديره اتقوا من اتبعك الغالبون باياتنا ولاشأن ان هذا المعنى صحيح وهو حاصل من التوجيه الاول فلا حاجة الى هذا والله أعلم (فما اجابهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا محرم فتبرى وما سمعنا به هذا في آياتنا الا واهين وقال موسى ربى أعلم من جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) يخبر تعالى عن محبي موسى وأخيه هرون الى فرعون وملئه وعرضه ما آتاهما الله من المنجزات الباهرة والدلائل القاطرة على صدقهما فيما أخبرا به عن الله عز وجل من توحيد الله واتباع أوامره فلما عين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه

نعيم والبهيم في كلاهما في الدلائل وابن عساكر عن طريق عن حذيفة قال لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافون قعودا أو توسفيا ومن معه من الاحزاب فوقنا وقريظة اليهود اسفل منا نخافهم على ذرارينا وما انت علينا ليله قط اشد ظلمة ولا اشد ريحا في اصوات رجبها امثال الصواعق وهى ظلمة ما يرى أحدمنا أصبعه فجعل المنافقون يستأذنون رسول الله ويقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فبادرنا منه احد منهم الا اذن له فيتسللون ونحن ثلثمائة او نحو ذلك اذا استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجالا رجلا حتى مر على وما على جنة من العدو ولا من البرد الامرط لا امرأى ما يجاوز ركبتي فانا نى وانا جاث على ركبتي فقال من هذا فقلت حذيفة قال حذيفة فتصافت الى الارض فقلت بلى يا رسول الله كراهية ان اقوم قال قم فقامت فقال انه كان في القوم خبر فاني بخبر القوم قال وانا من اشد القوم فزعا واشدهم فرأيت فرجحت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم احفظهم من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال فوالله ما خلق الله فزعا ولا قرا في جوفى فما اجد منه شيئا فلما وليت قال يا حذيفة لا تتحدثن في القوم شيئا حتى تأتيني فخرجت حتى اذا نوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقدوا اذ رجل ادهم فضع يقول بيده على النار ويسمخ خصرته ويقول الرحيل الرحيل ثم دخلت العسكر فاذا ادى الناس منى بنوعامر يقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم واذا الرميح في عسكرهم ما يتجاوز شبرا فوالله اني لا اسمع صوت الحجارة في رحلهم وفرشهم الرميح تضربهم ثم خرجت نحو النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما انصفت في الطريق او نحو ذلك اذا انابن حو من عشرين فارسا معتمين فقتلوا الخبر صاحبك ان الله كفاه القوم فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبرته وهو مشتمل في شمله يصلى وكان اذا حزبه امر صلى فاخبرته خبر القوم انى تركتهم يترحلون وانزل الله يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود الانية وعن ابن عباس في قوله اذ جاءكم جنود قال كان يوم ابى سفيان يوم الاحزاب (فارسلنا عليهم ريحا) قال مجاهد هي ريح الصبا ارسلت على الاحزاب يوم الخندق حتى آلت قدورهم ونزعت فساطيطهم وهي ريح تهب من الشرق وكانت باردة شديدة جدا ومع هذا لم تتجاوزهم ويدل على هذا ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور اخرجته البخارى ومسلم

وأيقنوا انه من عند الله عدلوا بكفرهم وبغيرهم الى العناد والمباهمة وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق فقالوا ما هذا الا نصر مفتري أى من عمل مصنوع وأرادوا معارضته بالحيلة والجاه فاصدمهم ذلك وقوله وما سمعنا به هذا في آياتنا الا واهين يعنون عبادة الله وحده لا شريك له يقولون مارا بنا احد من آياتنا على هذا الدين ولم نزل الناس الا يشركون مع الله آلهة أخرى فقال موسى عليه السلام محبي بالهدى من عنده يعنى سنى ومنكم وسيفصل بينى وبينكم ولهذا قال ومن تكون له عاقبة الدار أى من النصر والظفر والتأييد انه لا يفلح الظالمون أى المشركون بالله عز وجل (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من الله

غيرى فأوقدلى ياها مان على الطين فاجعل لى صرحا لى اطلع الى المومسى وانى لاطنه من الكاذبين واستكبر هو ورجوده فى الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فأخذناه ورجوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة انظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينجرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه واقترائه فى دعوات الالهية لنفسه القبيحة اعنه الله كما قال الله تعالى فاستخف قومه فأطاعوه الآية وذلك لاندعاهم الى الاعتراف له بالالهية فأجابوه الى ذلك (٢٥٦) بقوله عقولهم وخافة أذهانهم ولهذا قال يا أيها الملا معلمت لكم

وغيرهم من حديث ابن عباس وعنه قال لما كان ليلة الاحزاب جاءت الشمال الى الجنوب فقالت انطلق فانصرى الله ورسوله فقالت الجنوب ان الحرة لا تسرى بالليل فغضب الله عليهم وجعلها عقما فارسل الله عليهم الصبا فأنفأت نيرانهم وقطعت اطنابهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور فذلك قوله فارسلنا عليهم ريحا الآية وقيل الصبار ريح فيهاروح ما هبت على محزون الاذهب حرته وللشعراء ثنتين بها كثير يعرفه كل من له الملم بدواوينهم (وجنود الم تروها) وهى الملائكة وكنوا ألقا ولم يقاتلوا وانما القوا الرعب فى قلوب الاحزاب قال المنصور نبعث الله عليهم الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفأت النيران واكفأت القدور وجات الخيل بعضها فى بعض وأرسل الله عليهم الرعب وكثرت تكبيرهم فى جوانب العسكر حتى كان سيد كل قوم يقول اقومه يا بنى فلان لهم الى فاذا اجتمعوا قال لهم النجاء النجاء فانهم ترموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون) أيها الملمون من ترتيب الحرب وحفر الخندق واستنصاركم به وتوكلكم عليه (بصيرا) وقرئ يعملون بالتحسية أى بما يعمل الكفار من العناد لله ورسوله والتحزب على المسلمين واجتماعهم عليهم من كل جهة (اذ جاؤكم من فوقكم) أى اذ كراذ جاؤكم من أعلى الوادى وهو من جهة المشرق والذين جاؤا من هذه الجهة هم غطفان وسيدهم عيينة بن حصن وهو اذن وسيدهم عوف ابن مالك واهل نجد وسيدهم طليحة بن خويلد الاسدى وانضم اليهم عوف بن مالك وبنو النضير وعن عائشة فى الآية قالت كان ذلك يوم الخندق (ومن أسفل منكم) أى من أسفل الوادى من جهة المغرب من ناحية مكة وهم قريش ومن معهم من الاحابيش وسيدهم أبو سفيان بن حرب وجاء أبو الاعور السلمى ومعه حبي بن أخيط اليهودى فى يهودى قريظة من وجه الخندق ومعهم عامر بن الطفيل (واذ) معطوف على ما قبله داخل معه فى حكم التذكير (زأغت الابصار) أى ماتت وعدلت عن كل شئ فلم تنظر الا الى عدوها متبلا من كل جانب وقيل شخصت دهشاً من فرط الهول والخيرة (وبلغت القلوب الحناجر) جمع حنجرة وهى جوف الخلقوم وقيل رأس الغلصمة والغلصمة رأس الخلقوم وقيل هى منتهى الخلقوم والخلقوم مجرى الطعام والشراب وقيل مجرى النفس والمرى مجرى الطعام والشراب وهو تحت الخلقوم وقال الراغب رأس الغلصمة من

من اله غيرى وقال تعالى اخبارا عنه فخر فنادى فقال أنا ربكم الاعلى فأخذ الله نكال الآخرة والأولى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى يعنى انه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالى مصرحا لهم بذلك فأجابوه سامعين مطيعين ولهذا انقم الله تعالى منه فجعله عبرة لغيره فى الدنيا والآخرة وحتى انه واجه موسى الكليم بذلك فقال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين وقوله فأوقدلى ياها مان على الطين فاجعل لى صرحا لى اطلع الى اله موسى يعنى امر وزيره ها مان ومدبر رعيته ومشير دولته ان يوقد له على الطين يعنى يتخذ له آجر البناء الصرح وهو القصر المنيف الرفيع العالى كما قال فى الآية الاخرى وقال فرعون ياها مان ابن لى صرحا لى ابلغ الاسباب أسباب السموات فأطاع الى المومسى وانى لاطنه كاذبا وكذلك فرعون سوء عمله وصعد عن السبل وما كيد فرعون الا فى تباب وذلك لان فرعون بنى هذا الصرح الذى لم يربى الدنيا بناء أعلى منه انما أراد بهذا ان يظهر

لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى اله غير فرعون ولهذا قال وانى لاطنه من الكاذبين أى فى قوله خارج ان ثمر بغيرى لانه كذبه فى ان الله تعالى أرسله لانه لم يكن يعترف بوجود الصانع جل وعلا فانه قال له وما رب العالمين وقال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين وقال يا أيها الملا معلمت لكم من اله غيرى وهذا قول ابن جرير وقوله تعالى واستكبر هو ورجوده فى الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون أى طغوا وتجبروا وأكثروا فى الارض الفساد واعتقدوا انه لا قيامة ولا معاد فغضب عليهم ربك بسوط عذاب ان ربك لبالمرصاد ولهذا قال تعالى ههنا فأخذناه ورجوده فنبذناهم فى اليم أى أغرقناهم

في البحر في صبيحة واحدة فلم يبق منهم أحد فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أعمى بعد أن دعوا إلى النار أي لمن سلك وراءهم وأخذ  
 بظرف يقتهم في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع ويوم القيامة لا ينصرون أي فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولا بذل الآخرة كما قال  
 تعالى أهلكناهم فلاناصر لهم وقوله تعالى وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة أي وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على السنة  
 المؤمنين من عباده المتبعين لرسوله وكما أنهم في الدنيا ما عوفون على السنة الأنبياء وأتباعهم كذلك يوم القيامة هم من المقبوحين قال  
 قتادة وهذه الآية كقوله تعالى وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة (٢٥٧) بشس الرفد المرفود (واقداً تينا موسى

الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون  
 الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة  
 لهم يتذكرون) يخبر تعالى عما  
 أنعم به على عبده ورسوله موسى  
 الكليم عليه من ربه أفضل الصلاة  
 والتسليم من انزال التوراة عليه  
 بعد ما أهلك فرعون وملائه وقوله  
 تعالى من بعد ما أهلكنا القرون  
 الأولى يعني انه بعد انزال التوراة لم  
 يعذب أمة بعامة بل أمر المؤمنين  
 أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين  
 كما قال تعالى وجاء فرعون ومن قبله  
 والمؤتفكات بالطاغية فعصوا  
 رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية  
 وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا  
 محمد وعبد الوهاب قالوا حدثنا  
 عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد  
 الخدري قال ما أهلك الله قوما  
 بعد ما أزلت السماء ولان الأرض  
 بعد ما أزلت التوراة على وجه  
 الأرض غير القرية التي مسحوا  
 قردة بعد موسى ثم قرأوا وقد آتينا  
 موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا  
 القرون الأولى الآية ورواه ابن  
 أبي حاتم من حديث عوف بن أبي  
 حبيبة الاعرابي نحوه وهكذا رواه

خارج والمعنى ارتفعت القلوب عن مكانها ووصلت من القزع والخوف إلى الخناجر  
 فلولاً لأنه ضاق الخلقوم عنها وهو الذي نهايته الخبيرة لخرجت كذا قال قتادة وقيل هو  
 على طريق المبالغمة المعهودة في كلام العرب وان لم ترتفع القلوب إلى ذلك المكان ولا  
 خرجت عن موضعها ولكنه مثل في اضطرابها وجبنها قال القراء والمعنى أنهم جبنوا  
 وجزع أكثرهم وسبيل الجبان إذا اشتد الخوف ان تنتفخ ريشته فإذا انتفخت الريشة ارتفع  
 القلب إلى الخبيرة ولهذا يقال للجبان انتفخ مخبره (وتظنون بالله الظنونا) المختلفة  
 فمعهم ظن النصر ورجا الظفر ومعهم ظن خلاف ذلك وقال الحسن ظن المنافقون  
 انه يستأصل محمد وأصحابه وظن المؤمنون انه ينصروا وقيل الآية خطاب للمنافقين والأولى  
 ما قاله الحسن فيكون الخطاب ان أظهر الاسلام على الاطلاق أعم من أن يكون مؤمناً  
 في الواقع أو منافقاً واختلاف القراء في الاناف في الظنونا فأثبتها ووصلها ووقفها جماعة  
 وتمسكوا بمحط المصحف العثماني وجميع المصاحف في البلدان فان الاناف فيها كلها ثابتة  
 وتمسكوا أيضاً بما في أشعار العرب من مثل هذا وأيضاً ان هذه الالف تشبه هاء السكت  
 لبيان الحركة وهاء السكت ثبتت وفقاً للحاجة اليها وقد ثبتت وصلها لئلا يوصل مجرى  
 الوقف وقرئ بمجذها في الوصل والوقف مع الانه الأصل لها وقالوا هي من زيادات الخط  
 فكتبت كذلك ولا ينبغي النطق بها وأما الشعر فوه ويجوز فيه للضرورة ما لا يجوز في غيره  
 وقولهم أجريت القواصل مجرى القوافي غير معتد به لان القوافي يلزم الوقف عليها غالباً  
 والقواصل لا يلزم ذلك فيها فلا تشبه بها وقرئ بآياتها ووقفها وحذفها وصلها اجراء  
 للقواصل مجرى القوافي في ثبوت ألف الاطلاق ولانها كهاء السكت وهي ثبتت وفقاً  
 وتحذف وصلها قاله السمين وهذه القراءة راجحة باعتبار اللغة العربية وهذه الالف هي التي  
 تسمى النجاة ألف الاطلاق والكلام فيها معروف في علم النحو وهكذا اختلاف القراء في  
 الالف التي في قوله الرسول والسبيل كما يأتي في آخر هذه السورة (هناك ابني المؤمنون)  
 ظرف مكان يقال للمكان المبعيد هناك كما يقال للقريب هنا ولله متوسط هناك أي في  
 ذلك المكان الدحض وهو الخندق وقد يكون ظرف زمان أي عند ذلك الوقت ابتلوا وهو  
 منصوب بآبائي وقيل بتظنون واستضعفه ابن عطية والمعنى ان في ذلك المكان أو الزمان  
 اختبر المؤمنون بالخوف والقتال والجوع والحصر وغيرها ليتبين المؤمن من المنافق

(٢٣ - فتح البيان سابع) أبو بكر البزاز في مسنده عن عمرو بن علي التماس عن يحيى التطان عن عوف بن أبي نضرة عن أبي  
 سعيد موقوفاً ثم رواه عن نصر بن علي عن عبد الاعلى عن عوف بن أبي نضرة عن أبي سعيد رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال  
 (١) ما أهلك الله قوما من السماء والأرض بعد ما مسحوا القرون الأولى الآية  
 وقوله بصائر للناس وهدى ورحمة أي من العمى والغبى والغبى وهدى إلى الحق ورحمة أي ارشاد إلى العمل الصالح لهم يتذكرون أي لعل  
 الناس يتذكرون به ويمتدون بسببه (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا  
 (١) قوله ما أهلك الله الخ) هكذا في نسخة وفي أخرى ما أهلك الله قوماً بعد ما بعذاب من السماء ولان الأرض الا قبل موسى الخ وحرراه

قرونا فتناول عليهم العمر وما كنت ناويا في أهل مدين تلو عليهم آياتنا و لكنا كما مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتندرد قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) يقول تعالى منها على برهان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بالغيب الماضية خيرا كان سامعه شاهدا ورايا لما تقدم وهو رجل اعمى لا يقرأ شيئا من الكتب نشأ بين قوم لا يعرفون شيئا من ذلك كما انه لما اخبره عن مريم وما كان من مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون الآية أي وما كنت حاضر ذلك ولكن الله أوحاه اليك وهكذا لما اخبره عن نوح وقومه وما كان بين انجاء الله و اغراق قومه ثم قال تعالى تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين الآية وقال في آخر السورة ذلك من انباء القرى نقصه عليك وقال بعد ذلك قصة يوسف ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجعوا امرهم وهم ينكرون الآية وقال في سورة طه كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق الآية وقال ههنا بعد ما اخبر عن قصة موسى من اولها الى آخرها وكف كان ابتداء ايجاء الله اليه وتكليمه له وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر يعني ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي وما كنت من الشاهدين لذلك ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى اليك ذلك ليكون حججة وبرهانا

مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون الآية أي وما كنت حاضر ذلك ولكن الله أوحاه اليك وهكذا لما اخبره عن نوح وقومه وما كان بين انجاء الله و اغراق قومه ثم قال تعالى تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين الآية وقال في آخر السورة ذلك من انباء القرى نقصه عليك وقال بعد ذلك قصة يوسف ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجعوا امرهم وهم ينكرون الآية وقال في سورة طه كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق الآية وقال ههنا بعد ما اخبر عن قصة موسى من اولها الى آخرها وكف كان ابتداء ايجاء الله اليه وتكليمه له وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر يعني ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي وما كنت من الشاهدين لذلك ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى اليك ذلك ليكون حججة وبرهانا

وامتحنوا باصاب على الايمان (وزلزوا زلزلا شديدا) قرأ الجمهور زلزوا بضم الزاي الاولى وكسر الثانية على ما هو الاصل في المبني للمفعول وروى عن أبي عمرو انه قرأ بكسر الاولى وروى الرخنجري عنه انه قرأ بانها كسرا وقرأ الجمهور زلزلا بكسر الزاي الاولى وقرأ عاصم والحجدرى وعيسى بن عمر بفتحها وهما الغتان قال الزجاج كل مصدر من المضاعف على فعالل يجوز فيه الكسر والفتح نحو قفلته قفلا لا وزلزوا زلزلا والكسر أجود وقد يراد بالمتنوع اسم الفاعل نحو صلصال بمعنى مصلصل وززال بمعنى مزلزل قال ابن سلام معنى زلزوا حر كوايا الخوف تحريكا شديدا بليغا وقال الضحاك هو ازاحتهم عن أما كنهم حتى لم يكن لهم الاموضع الخندق وقيل المعنى انهم اضطربوا اضطرابا مختلفا فتم من اضطرب في نفسه ومنهم من اضطرب في دينه (واذ يقول المنافقون) يعني معتب بن قشير وقيل عبدالله بن أبي وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) هو الشك والريبة أي أهل الشك والاضطراب قيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يستميلونهم بادخال الشهية عليهم (ما وعدنا الله ورسوله) من النصر والظفر أو فتح فارس والروم (الاعرورا) أي باطلا من القول وكان القائلون بهذه المقالة نحو سبعين رجلا من أهل النفاق والشك وهذا القول المحكي عن هؤلاء كالتفسير للظنون المذكورة أي كان ظن هؤلاء هذا الظن كما كان ظن المؤمنين النصر واعلاء كلمة الله (واذ قالت طائفة منهم) قال مقاتل هم بنو سالم من المنافقين وقال السدي هم عبد الله بن أبي وأصحابه وقيل هم أوس بن قبيط وأصحابه والطائفة تقع على الواحد فافوقه والقول الذي قالته هذه الطائفة هو قوله (يا أهل يثرب لا مقام لكم) أي لا موضع ولا مكانة اقامة لكم ولا اقامة لكم ههنا في العسكر قرئ مقام الميم وبضمها على انه مصدر من اقام يقيم وعلى الاولى هو اسم مكان وهما سبعيتان قال أبو عبيدة يثرب اسم الارض ومدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ناحية منها قال السهيلي وسميت يثرب لان الذي نزلها من العمالة اسمه يثرب بن عميل وقيل يثرب اسم لنفس المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل فأنم اعلى وزن يضرب واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرت بقربة نأ كل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما تنفي الكبر خبث الحديد واخرج احمد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن البراء بن عازب قال

على قرون قد تناول عهدنا ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه الى الانبياء المتقدمين وقوله تعالى وما كنت ناويا في أهل مدين تلو عليهم آياتنا أي وما كنت مقبلا في أهل مدين تلو عليهم آياتنا حين اخبرت عن نبيها شعيب وما قال لقومه وما ردوا عليه و لكنا كما مرسلين أي ولكن نحن اوحينا اليك ذلك وأرسلناك الى الناس رسولا وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال أبو عبد الرحمن الناس في التنبيه من سننه اخبرنا علي بن حجر اخبرنا عيسى بن يونس عن حمزة الزيات عن الاعمش عن علي بن مدر بن كعب عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نودو بابا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني



وأجبتكم قبل أن تدعوني وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث جماعة عن حمزة وهو ابن حبيب الزيات عن الأعمش  
 ورواه ابن جرير من حديث وكيع ويحيى بن عيسى عن الأعمش عن علي بن منيرة عن أي زرعته وهو ابن عمرو بن جرير أنه قال  
 ذلك من كلامه والله أعلم وقال مقاتل بن حيان وما كنت بجانب الطور إذ نادينا أنمك في أصلاب آبائهم أن يؤمنوا بك إذا بعنت  
 وقال قتادة وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى وهذا والله أعلم أشبهه بقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى  
 الأمر ثم أخرجهمنا بصنعة أخرى أخص من ذلك وهو النداء كما قال تعالى (٢٥٩) **تعالى** وإذ نادى ربك موسى وقال تعالى

إذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى  
 وقال تعالى ونادينا من جانب  
 الطور الايمن وقربنا نجيا وقوله  
 تعالى ولكن رحمة من ربك أي  
 ما كنت مشاهدا الشيء من ذلك  
 ولكن الله تعالى أوحاه إليك  
 وأخبرك به رحمة منه بك وبالعباد  
 برسالة إليهم لتندرقوا مما آتاهم  
 من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون  
 أي لعلهم يتوبون بما جرت بهم  
 به من الله عز وجل ولولا أن  
 تصيهم مصيبة بما قدمت أيديهم  
 فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا  
 رسولا الآية أي وأرسلناك إليهم  
 لتقيم عليهم الحجة ولينقطع عندهم  
 إذا جاءهم عذاب من الله بكفرهم  
 فيصتوبوا بانهم لم يأتيهم رسول ولا نذير  
 كما قال تعالى بعد ذلك أنه أنزل كتابه  
 المبارك وهو القرآن ان تقولوا انما  
 أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا  
 وان كنا عن دراستهم لغافلين أو  
 تقولوا لو أنزلنا الكتاب لكان  
 لكنا هدى منهم فقد جاءكم بينة من  
 ربكم وهدى ورحمة وقال تعالى  
 رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون  
 للناس على الله حجة بعد الرسل وقال

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من همى المدينة يثرب فليستغفر الله هي طابة هي  
 طابة هي طابة ولفظ أحمد إنما هي طابة واسناده ضعيف وكانته صلى الله عليه وآله وسلم كره  
 هذه اللفظة لما قيل من التثريب وهو التثريب والتوبيخ (فارجعوا) أمر وهم بالهرب  
 من عسكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
 والمسلمين خرجوا عام الخندق حتى جعلوا ظهورهم الى سلع والخندق بينهم وبين القوم  
 فقال هؤلاء المنافقون ليس ههنا موضع إقامة وأمر والناس بالرجوع الى منازلهم  
 بالمدينة وطلع جبل خارج المدينة قريب منها بينها وبين الخندق وقيل المعنى ارجعوا عن  
 الايمان الى الكفر وقيل عن القتال والاول اولى (ويستأذن فريق منهم النبي) في  
 الرجوع الى منازلهم وهم بنو حارثة وبنو سلمة (يقولون ان بيوتنا عورة) اي ضائعة سائبة  
 ليست بمحصنة ولا تمتنع من العدو وقال ابن عباس مخليسة نخشي عليها السرق وعن  
 جابر بن جهم قال الرجاء يقال عور المكان يعور عورا وعورة وبيوت عورة وعورة وهي  
 مصدر قال مجاهد ومقاتل والحسن قالوا بيوتنا ضائعة نخشي عليها السراق وقال قتادة  
 قالوا بيوتنا مما يبى العدو ولا تأمن على اهلنا قال الهروي كل مكان ليس بممنوع ولا  
 مستور فهو عورة والعورة في الاصل الخلل في البناء ونحوه بحيث يمكن دخول السارق فيها  
 فأطاعت على الختل والمراد ذوات عورة وقري عورة بكسر الواو اي قصيرة الخدران قال  
 الجوهري العورة كل حال يتخوف منه في ثغرا و حرب قال الخناس يقال عور المكان اذا  
 تبنت فيه عورة وعور القارس اذا تبنت منه موضع الخلل ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله  
 (وما هي بعورة) فكذبهم الله سبحانه فيما ذكروه ثم بين سبب استئذانهم وما يريدون به  
 فقال (ان يريدون الاقرارا) أي ما يريدون الا الهرب من القتال وقيل المراد ما يريدون  
 الا الترامن من الدين (ولو دخلت عليهم من أقطارها) يعني بيوتهم أو المدينة والاقطار  
 النواحي جمع قطر وهو الجانب والناحية والمعنى لو دخلت عليهم بيوتهم أو المدينة من  
 جوانبها جميعا لان بعضها هذه العسا كالمخزبة ونزلت بهم هذه النازلة الشديدة  
 واستيحت ديارهم وهنت حرمتهم ومنازلهم (ثم استلوا الفتنه) من جهة أخرى عند  
 نزول هذه النازلة الشديدة بهم (لا توهها) أخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال  
 جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة يعني ادخل بنو حارثة أهل الشام على المدينة

تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير الآية  
 والآيات في هذا كثيرة (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوقى مثل ما أوقى موسى أو لم يكفروا بما أوقى موسى من قبل قالوا  
 سحران تظاهروا قالوا انابكلى كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها أتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك  
 فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين راتد وصلنا  
 لهم القول لعلهم يتذكرون) يقول تعالى مخبرا عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم لاحتجوا بأنهم لم يأتيهم رسول

انهم لما جاءهم الحق من عنده على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قالوا على وجه التعنت والعناد والكفر والجحول والاحاد لولا اوتى مثل ما اوتى موسى الآيات يعنون والله أعلم من الآيات الكثيرة مثل العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وتفتيق الزروع والثمار بما يضيّق على أعداء الله وكفّاق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى الى غير ذلك من الآيات الباهرة والحجج القاهرة التي أجزاها الله تعالى على يدي موسى عليه السلام حجّة وبراهين له على فرعون وملائته وبنى اسرائيل ومع هذا كله لم ينجع في فرعون وملائته (٢٦٠) بل كفروا بموسى وأخيه هرون كما قالوا له - ما أجتنا لتلفتنا عما

وجدنا عليه آباءنا وتكون الحكا  
الكبرياء في الارض وما نحن للحكا  
بمؤمنين وقال تعالى فكذبوهم ما  
في كانوا من المهلكين ولهذا قال  
ههنا أولم يكفروا بما أوتى موسى  
من قبل أي أولم يكفروا بالبشر بما  
أوتى موسى من تلك الآيات  
العظيمة فالوا سحران تظاهرا أي  
تعاونوا وقالوا اننا بكل كافرون أي  
بكل منهما كافرون ولشدة التلازم  
والتصاحب والمقاربة بين موسى  
وهرون دل ذكر أحدهما على الآخر  
كما قال الشاعر

فما أدري اذا عمت أرضا

أريد الخير أي ما يليني  
أي فمأدري يليني الخير أو الشر  
قال مجاهد أمرت اليهود قريشا  
أن يقولوا الحمد صلى الله عليه وسلم  
ذلك فقال الله أولم يكفروا بما أوتى  
موسى من قبل قالوا سحران  
تظاهرا قال يعنى موسى وهرون  
صلى الله عليه - ما وسلم تظاهرا أي  
تعاونوا وتناصروا وصدق كل منهما  
الأخر وهذا قال سعيد بن جبير  
وأبوزر في قوله سحران يعنون  
موسى وهرون وهذا قول جيد

ومعنى الفتنة هنا اما القتال في العصبية كما قال الضحاك أو الشرك بالله أو الرجعة الى  
الكفر الذي يبطنونه ويظهرون خلافة كما قال الحسن قري لا توهبا بلمدى اعطوها  
من انفسهم وبالقصر اى الجواهر وفعالها وهما سبعينان (وما تلبثوا بها) اى بالمدينة  
بعد ان اتوا الفتنة (الا) تلبثنا (يسيرا) حتى يهلكوا كذا قال الحسن والسدى والفراء  
والقتبي وقال اكثر المفسرين ان المعنى وما احتبسوا عن فتنة الشرك الا قليلا بل هم  
مسرعون اليها راغبون فيها لا يقفون عنها الا مجرد وقوع السؤال لهم ولا يتعللون عن  
الاجابة بأن يتوهم في هذه الحالة عورة مع انها قد صارت عورة على الحقيقة كما تعللوا عن  
اجابة الرسول والقتال معه بأنها عورة ولم تكن اذذاك عورة ثم حكي الله سبحانه عنهم  
ما قد كان وقع منهم من قبل من المعاهدة لله ورسوله بالثبات في الحرب وعدم الفرار عنه  
فقال (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أي حلفوا من قبل غزوة الخندق ومن بعد بدر ان  
لا يولوا ظهورهم فرارا من العدو بل يشبوا على القتال حتى يموتوا شهداء وهم قوم لم  
يخضروا وقعة بدر قال قتادة وذلك انهم غابوا عن بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من  
الكرامة والنصر فقاوا لئن شهدنا الله قتالنا لانتقامن (لا يولون الا ديار) أي لا ينهزمون  
وجاء على حكاية اللفظ فجاء بلفظ الغيبة ولو جاء على حكاية المعنى لقبل لانولى (وكان  
عهد الله مسؤلا) عنه ومطلوبا صاحبه بالوفاء به ومجازى على ترك الوفاء به (قل ان ينفعكم  
الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) لانه لا يتبدل لكل انسان من الموت اما حتف نفسه  
أو بقتل بالسيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى به القلم فن حضر أجهل مات أو قتل  
فرا ولم يفر (واذا لا تعتعون) أي وان نفعكم الفرار من لاقتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع  
(الا) تمتعا أو زمانا (قل لا) بعد فراركم الى أن تنقضى آجالكم وكل آت قريب قري  
تمتعون بالفوقية والتحية و بحدف النون (قل من ذا الذي يعصمكم) أي يجبركم (من الله  
ان أراد بكم سوءا) أي هلاكا وهزيمة أو نقصا في الاموال وجلبا ومرضيا (أو) يصيبكم  
بسوء ان (أراد) الله (بكم رحمة) يرجمكم بها من خصب ونصر وعافية واطالة عمر وهذا على  
حد قوله علمتها تبتنا وما باردا وليس معمولا للسابق وهو يعصمكم لعدم صحة المعنى عليه  
وفي السمين قال الزنجشري فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة  
الامن الشر قلت معناه أو يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجرى

محجى

قوى والله أعلم وقال مسلم بن بشار عن ابن عباس قالوا سحران

تظاهرا قال يعنون موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وهذا رواية الحسن البصرى وقال الحسن وقتادة يعنى عيسى ومحمد صلى  
الله عليهما وسلم وهذا فيه بعد لان عيسى لم يجز له ذكره هنا والله أعلم وأما من قرأ سحران تظاهرا فقال على بن أبي طلحة والعمري  
عن ابن عباس يعنون التوراة والقرآن وكذا قال عاصم الجندى والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال السدى يعنى صدق  
كل واحد منهما الآخر وقال عكرمة يعنون التوراة والانجيل وهو رواية عن أبي زرعة واختاره ابن جرير وقال الضحاك وقتادة

الاجمیل والقرآن والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب والظاهر على قراءة سحران انهم يعنون التوراة والقرآن لانه قال بعده قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه وكثيرا ما يقرن الله بين التوراة والقرآن كافي قوله تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس الى أن قال وهذا كتاب أنزلناه مبارك وقال في آخر السورة ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن الآية وقال وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحون وقالت الجن اناسمنا كتابا أنزل من بعد موسى مصداق لما بين يديه وقال ورقة بن نوفل هذا الناموس (٢٦١) الذي أنزل على موسى وقد علم

بالضرورة لذوى الالباب ان الله تعالى لم ينزل كتابا من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن وبعد في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزل على موسى بن عمران عليه السلام وهو الكتاب الذي قال الله فيه اننا أنزلنا التوراة فيه هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استصفاظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء والانجيل انما أنزلت بما للتوراة ومحلاله من ما حرم على بني اسرائيل ولهذا قال تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين أى فيما تدافعون به الحق وتعارضون به من الباطل قال الله تعالى فان لم يستجيبوا لك أى فان لم يجيبوك عما قلت لهم ولم يتبعوا الحق فاعلم انما يتبعون أهواءهم أى بلاديل ولا حجة ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله أى بغير حجة

مجرى قوله متقادسا بناور محاور جعل الثانى على الاول لما فى العصمة من منع المنع قال الشيخ اما الوجه الاول ففيه حذف جملة لا ضرورة تدعو الى حذفها والثانى هو الوجه لاسيما اذا قدم مضاف محذوف أى يمنعكم من مراد الله قلت وأين الثانى من الاول ولو كان معه حذف جعل انتهى (ولا يجحدون لهم من دون الله) أى غيره (وليس) يوالمهم ويتفهم ويدفع الضر عنهم (ولا نصيرا) ينصرهم من عذاب الله (قد يعلم الله المعوقين منكم) يقال عاقه وعاققه وعوقه اذا صرفه عن الوجه الذى يريد (والقاتلين لاخوانهم هلم بنا) قال الواحدى قال المفسرون هو لا تقوم من المنافقين كانوا يشبثون انصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك انهم قالوا اللهم ما محمد وأصحابه الا كفة رأس ولو كانوا الحما لالتقمهم أبو سفيان وحزبه فلو هم وتعالوا بنا وقيل ان القائل لهذا المقالة اليهود ومعنى هلم أقبل واحضرا سم فعل أمر وأهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة والمذكور والمؤنث وعند غيرهم من العرب كبنى تميم فعل أمر يقولون هلم للواحد المذكور وهلم للمؤنث وهلم لللاثنتين وهلم للجماعة وقدم الكلام على هذا فى سورة الانعام والمعنى ارجعوا بنا واتركوا محمد افلا تشهدوا معه الحرب فان تخاف عليكم الهلاك وقيل تعالوا بنا لتستريحوا يعنى انهم والمدنية تطلبوا المناسقين ليستريحوا وخوفوا المؤمنين ليرجعوا وهلم هنا لازم وفى الانعام متعددا نصيبه من قوله وهو شهداء كم يعنى أحضروهم وههنا بمعنى احضروا وتعالوا وكلام الزمخشري ههنا مؤنث بانه متعددا أيضا وحذف مفعوله فانه قال هلموا بنا أى قربوا أنفسكم بنا (ولا يأتون البأس) أى الحرب والقتال (الا انا اتيانا قليلا) خوفا من الموت ويقفون قليلا المقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون وقيل المعنى لا يحضرون القتال الا رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (أشحة) أى بخلاء (عليكم) لا يعاونونكم بخسر الخندق ولا بالنفقة فى سبيل الله قاله مجاهد وقتادة وقيل أشحة بالقتال معكم وقيل بالنفقة على فقرائكم ومساكينكم وقيل أشحة بالغنائم اذا أصابوها قاله السدى العامة على نصب أشحة وفيه وجهان احدهما انه منصوب على الذم والثانى على الحال من ضمير يأتون قاله الزجاج أو هلم بنا قاله الطبرى يقرى بالرفع أى هم أشحة وهو جمع شح وهو جمع لا يقاس عليه اذ قياس فعيل الوصف الذى عينه ولا من واد واحد ان يجمع على افعلاء

مأخوذة من كتاب الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقوله تعالى ولقد وصلناهم القبول قال مجاهد فصلنا لهم القبول وقال السدى بينا لهم القبول قال قتادة يقول تعالى أخبرهم كيف صنع من مضى وكيف هو صانع اعلمهم يتذكرون قال مجاهد وغيره وصلنا لهم يعنى قرى وشا وهذا هو الظاهر لكن قال جابر بن سلمة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن رفاعة رفاعة هذا هو ابن قرة القرظى وجعله ابن مندة رفاعة بن شموان خال صفية بنت حبي وهو الذى طلق تيمة بنت وهب التى تزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير بن باظا كذا ذكره ابن الاثير قال نزلت ولقد وصلنا لهم القبول فى عشرة أنا أحدهم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديثه

(الذين آتيناهم الكتاب من قبلهم يؤمنون واذيتلى عليهم قالوا آتينا به انه الحق من ربنا اننا كنا من قبله مسلمين اولئك يؤتوا اجرهم مرتين بما صبروا واولئك يؤتوا اجرهم مرتين بما صبروا وعمار رزقناهم ينفقون واذ اسمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنعمل لكم اعمالا كمالكم سلام عليكم لانه لا يتبعي الجاهليني) يخبر تعالى عن العلماء الاولياء من اهل الكتاب انهم يؤمنون بالقرآن كما قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به وقال تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله وقال تعالى ان الذين اتوا الكتاب (٢٦٢) من قبله اذيتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان

كان وعد ربنا لمنعولا وقال تعالى ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا اننا نصارى الى قواد فاكتمنا مع المشاهدين قال سعيد ابن جبير نزلت في سبعين من القيسيين بعثهم النجاشي فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم يس والقرآن الحكيم حتى -تها فجعلوا يركعون واسلموا ونزلت فيهم هذه الآية الاخرى الذين آتيناهم الكتاب من قبلهم به يؤمنون واذيتلى عليهم قالوا آتينا به انه الحق من ربنا اننا كنا من قبله مسلمين يعني من قبل هذا القرآن ذم مسلمين أى موحدين مخلصين لله مستحيين له قال الله تعالى اولئك يؤتوا اجرهم مرتين بما صبروا أى هؤلاء المتصنون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الاول ثم بالثاني ولهذا قال بما صبروا أى على اتباع الحق فان تجشم مثل هذا شديد على النفوس وقد ورد في الصحيح من حديث عامر الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتوا اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فآثر وجها وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق السلمي حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن عن ابي القاسم بن أبي أمامة قال انى لتحت راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال قولوا لا حسنة الا وقال فيما قال من أسلم من اهل الكتابين فله اجر مرتين وله مالنا وعليه ما علينا وقوله تعالى ويديرون بالحسنة السيئة أى لا يقابلون على السيئة بمثلها ولكن يعنون ويصفون وعمار رزقناهم ينفقون أى ومن الذى رزقهم من الحلال

نحو خليل وأخلاء وطنين واطناء ووضين واضناء وقد سمع اشعاع وهو القياس والشح الخجل وتقدم في آل عمران قوله السمين (فأذا جاء الخوف) من قبل العدو قاله السدي أو منه صلى الله عليه وآله وسلم قاله ابن شجرة (رأيتهم) أى ابصرتهم (ينظرون اليك) في تلك الحالة خوفا من القتال على القول الاول ومن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الثاني (تدور أعينهم) عينا وشمالا لدخول عقولهم حتى لا يصح منهم النظر الى جهة وقيل لشدة خوفهم حذرا ان يأتيهم القتل من كل جهة وذلك سبيل الجبان اذا شاهد ما يخافه (كالذى يغشى عليه من الموت) أى كدوران عين الذى قرب من الموت وهو الذى نزل به الموت وغشيتة اسبابه فيذهل لبه ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يظرف كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم لما يلحقهم من الخوف ويقال للميت اذا شخص بصره دارت عيناه ودارت جماليق عينيه (فأذا ذهب الخوف سلقوكم) أى استقبلوكم (بالسنة حداد) أى ذرية تفعل كنععل الحديد يقال سلق فلان فلانا بلسانه اذا غاظله في القول مجاهرا قال النراءى أى آذوكم بالكلام فى الامن بالسنة سليطة ذرية ويقال خطيب مسلاق ومصلاق اذا كان بليغا قال القتيبي المعنى آذوكم بالكلام الشديد والصلق الأذى قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة قال قتادة المعنى بسطوا أو استنتم فيكم فى وقت قسمة الغنمة يقولون اعطونا فاننا قد شهدنا معكم فعند الغنمة أشح قوم وأبسطهم لسانا ووقت البأس أجبن قوم واخوفهم قال النحاس وهذا قول حسن (أنسحمة على الخير) أى على الغنمة يشاحون المسلمون عند القسمة قاله يحيى بن سلام وقيل على المال ان ينفقه وفى سبيل الله قاله السدي ويمكن ان يقال معناه انهم قليلوا الخير من غير تقييد بنوع من أنواعه (اولئك) الموصوفون بتلك الصفات (لم يؤمنوا) ايماننا خالصا بل هم المنافقون يظهران الايمان ويبيطون الكفر (فاحبط الله أعمالهم) أى ابطلها بمعنى اظهر بطلانها لانها لم تكن أعمالا صحيحة تقتضى الثواب حتى يبطلها الله وتخبط قال مقاتل ابطل جهادهم لانه لم يكن فى ايمان أو المراد ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية اصلا (وكان ذلك) الاحباط لأعمالهم او كان نفاقهم (على الله يسيرا) هينا بارادته (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أى يحسب هؤلاء المنافقون لجنهم ان الاحزاب أى قريشا وعطفان واليهود باقون فى معسكرهم لم يذهبوا الى ديارهم ولم ينهزموا ففروا الى

داخل وسلم ثلاثة يؤتوا اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فآثر وجها وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق السلمي حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن عن ابي القاسم بن أبي أمامة قال انى لتحت راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال قولوا لا حسنة الا وقال فيما قال من أسلم من اهل الكتابين فله اجر مرتين وله مالنا وعليه ما علينا وقوله تعالى ويديرون بالحسنة السيئة أى لا يقابلون على السيئة بمثلها ولكن يعنون ويصفون وعمار رزقناهم ينفقون أى ومن الذى رزقهم من الحلال

ينفقون على خلق الله في المنقعات الواجبة لاهليهم وأقاربهم والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات وصدقات النفل والقربات وقوله تعالى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه أي لا يخاطبون أهلهم ولا يعاشرهم بل كما قال تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم أعم لكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين أي إذا سفه عليهم سفيه وكلهم بما لا يليق بهم الجواب عنه أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب ولهذا قال عنهم أنهم قالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين أي لا نريد طريق الجاهلين ولا نتجها قال محمد (٢٦٣) بن اسحق في السيرة ثم قدم على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا أقر من ذلك من النصراري حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أيديهم حول الكعبة فلما فرغوا من مساءلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان بوصف الهيم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم تريدون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتهم دينكم وصدقوه فيما قال ما علم ربا أحق منكم أو كما قالوا لهم فقالوا لهم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه لم نأل أنفسنا خيرا قال ويقال ان نفر النصراري من أهل نجران قاله أعلم أي ذلك كان قال ويقال

داخل المدينة وذلك لما نزل بهم من الفشل والروع والسرور والحب (وان بات الاحزاب) مرة أخرى بعد هذه المرة والذهاب (يودوا لو أنهم يادون في الاعراب) أي يتمنون لو أنهم كانوا في بادية لم ساحل بهم من الرهبة والبادي خلاف الخاضر يقال بديب يدو يداوة اذا خرج الى البادية وسكنها (يسألون عن أسبأكم) واخباركم وما آل اليه أمركم وما جرى لكم كل قادم عليهم من جهتكم أو يسأل بعضهم بعضا عن الاخبار التي بلغته من اخبار الاحزاب ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى أنهم يتمنون انهم يعيد عنكم يسألون عن اخباركم من غير مشاهدة للقتال لفرط حزنهم وضعف نياتهم (ولو كانوا فيكم) أي معكم في هذه الغزوة شاهدين للقتال (ما فاتوا) معكم (الا قتالا قليلا) خوفا من العار وحمية على الديار وأرباب من غير احتساب (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي قدوة صالحة يقال في فلان أسوة أي لي به اقتداء والاسوة من الاتساء كالقدوة من الاقتداء اسم يوضع موضع المصدر يقال اتسى فلان بفلان أي اقتدى به قال الجوهرى الاسوة والاسوة بالضم والكسر والجمع أي واسى وقد قرئ بهم وهاهنا به عيتان وهما أيضا لغتان كما قال الفراء وغيره وفي هذه الآية عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي لقد كان لكم في رسول الله حيث تبدل نفسه للقتال وخرج الى الخندق لنصرة دين الله اسوة والمعنى اقتدوا به حسننا وهو ان تصروا دين الله وتنازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ كسرت ربا عيته وجرح وشج وجهه وجاع بطنه وقتل عجزه وارتدى بضروب الاذى فصبر وواساكم مع ذلك بنسبه فافعلوا انتم كذلك أيضا واستنوا بسنته وهذه الآية وان كان سيدها خاصا فهي عامة في كل شيء ومثلها وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله عن ابن عمر قال في الآية هذا في جوع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد استدل بهذه الآية جماعة من الصحابة في مسائل كثيرة اشتملت عليها كتب السنة وهي خارجة عما نحن بصدده نعم فيه دلالة على لزوم الاتباع وترك التقليد بالحادث الذي أصيب به الاسلام أي مصيبة وهل هذه الاسوة على الايجاب أو على الاستحباب فيه قولان قال القرطبي يحتمل ان تحمل على الايجاب في أمور الدين وعلى الاستحباب في أمور الدنيا (من كان يرجو الله) أي حسنة كأنه لمن يرجو الله والمراد أنهم الذين يرجون

والله أعلم ان فيهم نزلت هذه الآيات الذين آتاهم الكتاب من قبلهم به يؤمنون الى قوله لا نبتغي الجاهلين قال وسأت الزهري عن هذه الآيات فيمن نزلت قال ما زلت أسمع من علماءنا انهم نزلن في النجاشي وأصحابه رضي الله عنهم والآيات اللاتي في سورة المائدة ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا الى قوله فاكتبنا مع الشاهدين (انك لاتهدى من أحبيت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا ان تبسح الهدى معك تخطف من أرضنا ولم نمكن لهم حرما آمنا يجبي اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم انك يا محمد لاتهدى من أحبيت أي ليس اليك ذلك انما عليك البلاغ

والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة القاطعة كما قال تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وقال تعالى وما أكره الناس ولو حرصت بمؤمنين وهذه الآية أخص من هذا كله فإنه قال انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين أي هو أعلم بمن يستحق الهداية بمن يستحق الغواية وقد ثبت في الصحيحين انها نزلت في أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان يحوظه وينصره ويقوم في حقه ويحبه بحباب عبد الاشرع فلما حضرته الوفاة وحان أجل دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان والدخول (٢٦٤) في الاسلام فسبق القدر فيه واختطف من يده فاستقر على ما كان

عليه من الكفر وبالله الحكمة التامة قال الزهري حدثني سعيد ابن المسيب عن أبيه وهو المسيب ابن حزن الخزرجي رضى الله عنه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترب عن الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى كان آخر ما قال هو على مله عبد المطلب وأبي ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا استعقرن لك مالم آتته عنك فأرسل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستعذروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى وأرسل في أبي طالب انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء أخرجه من حديث الزهري وهكذا رواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث يزيد بن

الله ويخافون عذابه يعني يرجون ثوابه ولقاءه (واليوم الآخر) أي انهم يرجون رحمة الله فيه أو يصدقون بحصوله وأنه كائن لا محالة وهذه الجملة تخصيص بعد التعميم بالجملة الاولى (وذكر الله) أي ولم يذكر الله في جميع أحواله ذكرًا (كثيرًا) وجمع بين الرجاء لله والذكر له فان بذلك تتحقق الاسوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم بين سبحانه ما وقع من المؤمنين المخلصين عند رؤيتهم للاحزاب وشاهدتهم لتلك الجيوش التي أحاطت بهم كالبحر العباب فقال (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذما وعدنا الله ورسوله) الاشارة بهم هذا الى ما رأوه من الجيوش والى الخطب الذي نزل والبلاء الذي دهم وهذا القول منهم قالوه استبشارا بحصول ما وعدهم الله ورسوله من مجيء هذه الجنود وان يعقب مجيئهم اليهم نزول النصر والظفر من عند الله وما في ما وعدناهي الموصولة أو المصدرية ثم أردفوا ما قالوه بقولهم (وصدق الله ورسوله) أي ظهر صدق خبرهما ووجه اظهار الاسم الشريف والرسول بعد قوله ما وعدنا الله ورسوله هو قصة صد التعميم وايضا لوضرهما بالجمع بين ضميرى الله ورسوله في لفظ واحد وقال صدقا وقد ورد النهي عن جمعهما كما في حديث بنس خطيب القوم انت لمن قال ومن يعصم ما فقد غوى وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما فالجواب انه صلى الله عليه وآله وسلم اعرف بقدر الله منا فليس لنا ان نقول كما يقول الله السمين (وما زادهم) ما رأوه من اجتماع الاحزاب عليهم ومجئهم (الايمان) بالله (وتسليما) لامره قال الضراء ما زادهم النظر الى الاحزاب الا ذلك قال علي بن سليمان رأى يدل عن الرؤية وتأيت الرؤية غير حقيقي والمعنى ما زادهم الرؤية الايمان بالرب وتسليما للقضاء ولو قال ما زادتهم الجازع عن ابن عباس قال في الآية ان الله قال لهم في سورة البقرة أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء فلما تسهم البلاء حيث رابطوا الاحزاب في الخندق قالوا هذما وعدنا الله ورسوله فتأول المؤمنون ذلك فزيدهم الايمان وتسليما (من المؤمنين) المخلصين (رجال صدقوا) أي أتوا بالصدق من صدقني اذا قال الصدق (ما عاهدوا الله عليه) أي وفوا بما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليله العقبة من النيات معه والمقاتلة لمن قاتله بخلاف من كذب في عهده وحن الله ورسوله وهم المنافقون وتيسل هم الذين نذروا انهم اذا القوا حرا بما عاهدوا رسول الله

كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عمه قل لا اله الا الله أشهدك بها يوم القيامة فقال لولا ان تعبرني بها قبري بقولون ما حله عليه الاجزاع الموت لا قررت بها عينك لا أقولها الا اقربها عينك فأرسل الله تعالى انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقال الترمذي حسن غريب لا تعرفه الا من حديث يزيد بن كيسان ورواه الامام أحمد عن يحيى بن سعيد القطان عن يزيد بن كيسان حديث أبي حازم عن أبي هريرة فقد كرهه بنحوه وهكذا قال ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة انها نزلت في أبي

طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لا اله الا الله فأبى عليه ذلك وقال اي ابن أخي مله الاشياخ وكان آخر ما قاله هو على مله عبد المطلب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا جاد بن سلمة حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن أبي راشد قال كان رسول قيصصر جاء الى قال كتب معي قيصصر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فابتته فدفعت الكتاب فوضعه في حجره ثم قال من الرجل قلت من تيرح قال هل لك في دين أبيك ابراهيم الخنيفية قلت اني رسول قوم وعلى دينهم حتى أرجع اليهم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الى أصحابه (٢٦٥) وقال انك لاتهدى من أحببت ولكن

الله يهدي من يشاء وقوله تعالى وقالوا ان تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أي نخشى ان اتبعنا ما جئت به من الهدى وخالفنا من حولنا من أحباء العرب المنكرين أن يتصدقونا بالأذى والمخاربة ويتخطوننا أي يمانكا قال الله تعالى مجيبا لهم أولم يمكن لهم حرما آمنا يعني هذا الذي اعتدوا به كذب وباطل لان الله تعالى جعلهم في بلد أمين وحرم معظم آمن منذ وضع فكيف يكون هذا الحرم آمنا لهم في حال كفرهم وشركهم ولا يكون آمنا لهم وقد اسلبوا وتبعوا الحق وقوله تعالى يجبي اليه ثمرات كل شئ أي من سائر الثمار ما حوله من الطائف وغيره وكذلك المتاجر والامته رزقا من لدنا أي من عندنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ولهذا قالوا ما قالوا وقد قال النسائي أنبا نا الحسن بن محمد حدثنا ججاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة قال قال عمرو بن شعيب عن ابن عباس ولم يسه عنه منه ان الحرب بن عامر بن نوفل الذي قال ان تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا (وكم أهلكتنا من قرية بطرت

صلى الله عليه وآله وسلم بثبوا له ولم ينفروا أخرج البخاري وغيره عن أنس قال نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر وأخرج ابن سعد وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي والبعغوي في مجسمه وابن جرير وابن أبي حاتم وابونعيم والبيهقي عن أنس قال غاب عني أنس بن النضر عن بدر فشق عليه وقال أول مشهد مشهده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غبت عنه أنى أراى الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ير الله ما أضع فشهد يوم أحد فاستقبله سعد بن معاذ قال يا أبا عمرو أين قال واها المرح الجنة أجد هادون أحد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وعشرون من بين طعنه وضربة ورمية ونزلت هذه الآية وكانوا يرون انها نزلت فيه وفي أصحابه وقد روى عنه نحوه من طريق أخرى عند الترمذي وصححه والنسائي وغيرهما وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال أشهدان هؤلاء شهداء عند الله فأبى هم وزور وهم والذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد الى يوم القيامة الا ردوا عليه وقد تعقب الحاكم في صححه الذهبي كما ذكر ذلك السبوطي ولكنه قد أخرج الحاكم حديثنا آخر وصححه وأخرجه أيضا البيهقي في الدلائل عن أبي ذر قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد مر على مصعب بن عمير مقتولا على طريقه فقرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وأخرج ابن مردويه من حديث خباب مثله وهم يشهدان لحديث أبي هريرة ثم فصل سبحانه حال المادقين عاودوا الله ورسوله وقصههم الى قسمين فقال (فمنهم من قضى نجبة) أي فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقال ابن عمر أي مات على ما هو عليه من التصديق والايان والحب ما التزمه الانسان واعتد الوفا به وأوجب على نفسه والقتل والموت قال ابن قتيبة قضى نجبة أي قتل وأصل النجب النذر كانوا يوم بدر نذروا ان لقوا العدو أن يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله لهم فقتلوا فقتل فلان قضى نجبة أي قتل والنجب أيضا الحاجة وادراك الامنية يقول قائلهم ما لي عندهم نجب والنجب العهد ومعنى الآية ان من المؤمنين رجالا أدركوا امنيتهم وقضوا حاجتهم ووفوا بنذره فقاتلوا حتى قتلوا ونزل يوم أحد كرهة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر أخرج

(٢٤ - فتح البيان سابع) معيشتهم اقلنا مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكان من الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امهارسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا أهلها الظالمون) يقول تعالى معرضا باهل مكة في قوله تعالى وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها أي طمعت وأشرت وكفرت نعمة الله فيما أنعم به عليهم من الارزاق كما قال في الآية الاخرى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئة يأتيهم رزقها رغدا من كل مكان الى قوله فاخذهم العذاب وهم ظالمون ولهذا قال تعالى قتلتك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا أي دثرت دنياهم فلا ترى الامساكنهم وقوله تعالى وكان من الوارثين أي رجعت خرابا ليس

فيها أحد وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا عن ابن مسعود أنه سمع كعباً يقول لعمران سليمان عليه السلام قال للهامة يعني البومة ما لك لا تأكلين الزرع قالت لأنه أخرج آدم من الجنة بسببه قال فما لك لا تشربين الماء قالت لأن الله تعالى أغرق قوم نوح به قال فما لك لا تأوين إلا إلى الخراب قالت لأنه ميراث الله تعالى ثم تلا وكنا نحن الوارثين ثم قال تعالى ثم أخبرنا عن عدله وأنه لا يهلك أحدنا ما له وإنما يهلك من أهلك بعد قيام الحجّة عليهم ولهذا قال وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها وهي مكة رسولا يتلو عليهم آياته فتيقنوا دلالة على أن النبي الأمامي وهو محمد صلى الله (٢٦٦) عليه وسلم المبعوث من أم القرى رسول إلى جميع القرى من عرب وأعجم

كما قال تعالى لتسذر أُم القرى ومن حولها وقال تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا وقال لا تذركم به ومن بلغ وقال ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده وتام الدليل قوله تعالى وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معدنوها عذابا شديدا الآية فاخبر تعالى أنه سيهلك كل قرية قبل يوم القيامة وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فجعل تعالى بعثة النبي الأمامي شاملا لجميع القرى لأنه مبعوث إلى أمها وأهلها التي ترجع إليها وثبت في الصحيحين عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال بعثت إلى الأحمر والأسود ولهم إذ ختم به النبوة والرسالة فلا نبي بعده ولا رسول بل شرعه باق بقاء الليل والنهار إلى يوم القيامة وقبل المراد بقوله حتى يبعث في أمهار رسولا أي أصلها وعظمتها كالمهات الرساتيق والأقاليم حكاه الزمخشري وابن الجوزي وغيرهما وليس يبعث (وما أوتيت من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عدت الله خيرا وأبقي أفلا تعلقون أفن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقية كن متعنا

الترمذي وحسنه وأبو يعلى وابن جرير وابن مردويه عن طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا للاعرابي جاهل سله عن قضى نجبه من هو وكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه فسأله الاعرابي فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم أتى اطلعت من باب المسجد فقال أين السائل عن قضى نجبه قال الاعرابي أنا قال هذا عن قضى نجبه وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من حديثه نحوه وأخرج الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول طلحة ممن قضى نجبه وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من سره أن ينظر إلى رجل عشي على الأرض قد قضى نجبه فليتنظر إلى طلحة أخرجه سعيد بن منصور وأبو يعلى وأبو نعيم وابن المنذر وغيرهم وأخرج ابن مردويه من حديث جابر مثله وأخرج ابن منده وابن عساكر من حديث أسماء بنت أبي بكر نحوه وأخرج أبو الشيخ وابن عساكر عن علي أن هذه الآية تزلت في طلحة وأخرج أحمد والبخاري وابن مردويه عن سليمان بن سرد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحزاب الآن تغزوهم ولا يغزونا (ومنهم من ينتظر) قضاء نجبه حتى يحضرا أجله كعثمان ابن عفان وطلحة والزبير وأمثالهم فأنهم مستمرين على الوفاء بما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقتال لعدوه وانتظرون قضاء حاجتهم وحصول أمنيتهم بالقتل وادار الفضل الشهادة (وما بدلو أتديلا) أي ما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه كما غير المنافقون عهدهم بل ثبتوا عليه ثبوتنا مستمرا أما الذين قضوا نجبهم فظاهروا أما الذين ينتظرون قضاء نجبهم فقد استمروا على ذلك حتى فارقوا الدنيا ولم يغيروا ولا بدلو (ليجزى الله) اللام يجوز أن يتعلق بصدق أو بزادهم أو بما بدلو أو بمعدوف كأن قيل وقع جميع ما وقع ليجزى الله (الصادقين بصدقهم) أي بوفائهم بالعهد (ويعذب المنافقين إن شاء) إذ لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) بما صدر عنهم من التغيير والتبديل إن تابوا جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوا بسبب تبديلهم وتغييرهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم فكل من الفريقين مسوق إلى عاقبة من الثواب والعقاب فكأنما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ومنعول إن شاء وجوابها محذوفان أي إن شاء تعذيبهم عندهم وذلك إذا قاموا على النفاق ولم يتركوه ولم يتوبوا عنه

متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) يقول تعالى مخبر عن حقايرة الدنيا وما فيها من الزينة (إن) الدنيا والزهرة القانية بالنسبة إلى ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقال وما عند الله خير للابرار وقال وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع وقال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما الحياة الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم فليتنظر ماذا يرجع إليه وقوله تعالى أفلا تعلقون أي أفلا يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة وقوله تعالى أفن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقية كن متعنا



متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين يقول تعالى أفن هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح الاعمال من الثواب الذي هو صائر اليه لا محالة كمن هو كافر من كذب ببقاء الله ووعده ووعيدته فهو متمتع في الحياة الدنيا بما قلائل ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال مجاهد وقتاد من المذبذبين ثم قد قيل انها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أبي جهل وقيل في حجة وعلى وأبي جهل وكلاهما عن مجاهد والظاهر انها عامة وهذا كقوله تعالى اخبارا عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه وهو في الدرجات وذلك في الدرجات فقال ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين (٢٦٧) وقال تعالى ولقد علمت الجنة انهم

لمحضرون (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغويانا أغويانا هم كما غويانا تبرأنا اليك ما كنا باليانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو أنهم كانوا يتدنون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتكم المرسلين فعميت عليهم الابصار يومئذ فهم لا يتساءلون فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المنفلحين) يقول تعالى مخبرا عما يوجب به الكفار المشركين يوم القيامة حيث يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون يعني أين الالهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا من الاصنام والاداد هل ينصرونكم أو ينتصرون وهذا على سبيل التبريع والتهديد كما قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتكم معكم شفعاكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون وقوله قال

(ان الله كان عفورا) لمن تاب منهم بقبول التوبة (رحيما) بن أفلح عما كان عليه من النفاق بعقوب الحوية ثم رجع سبحانه الى حكاية بقية القصة واما من تاب به على رسوله والمؤمنين من النعمة فقال (ورد الله الذين كفروا) وهم الاحزاب كانه قيل وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الذين كفروا (بغيتهم) الباطنية (لم ينالوا خيرا) المعنى ان الله رددهم بغيتهم لم يشف صدورهم لانالوا خيرا في اعتقادهم وهو الظفر بالمسلمين أو لم ينالوا خيرا أي خيرا بل رجعوا خاسرين لم يرجعوا الاغناء السرفور وغير النفقة (وكفى الله المؤمنين القتال) بما أرسله من الريح والجنود من الملائكة (وكان الله قويا) على كل ما يريد اذا قال له كن فيكون (عزيزا) قاهرا عالما لا يغالبه أحد من خلقه ولا يعارضه معارض في سلطانه وجبروته روى البخاري عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين انجلى الاحزاب يقول الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم (وانزل الذين ظاهروهم) أي عاضدوهم وعاونوهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من أهل الكتاب) وهم بنو قريظة فأنهم عاونوا الاحزاب من قريش وغدقوا ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يصاروا ايدا واحدة مع الاحزاب وكانت في آخر ذي القعدة سنة خمس وقيل سنة أربع (من صياصيمهم) جمع صيصية وهي الحصون وكل شيء يتحصن به فهو صيصية ومنه صيصية الديك وهي الشوكة التي في رجله وصياصي البقر والظباء قرونها لانها تنمغ بها ويقال لشوكة الحائك الذي يسوي بها السدى واللحمة صيصية وأخرج أحمد وابن مردويه وابن أبي شيبة عن عائشة خرجت يوم الخندق أفضوا الناس فاذا نابسعد بن معاذ رماه رجل من قريش يقال له ابن الترقدة بسهم فاصاب أحده فقطعه فدعا الله سعد فقال اللهم لا تمنني حتى تنزع عيني من قريظة فعث الله الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال ولحق أبو سفيان ومن معه بترامة ولحق عينه بن بدر ومن معه بنجد ورجعت بنو قريظة فخصوا في صياصيمهم ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة وأمر بقتلهم من أدم فضربت على سعد في المسجد قالت لئلا يجبر بل وان على ثناباه لوقع العبار فقال أوقد وضعت السلاح لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح اخرج الى بنى قريظة فقتلهم فلبس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمته وأذن في الناس بالرحيل ان يخرجوا اذ صرهم خسا وعشرين ليلة فلما شدد

الذين حق عليهم القول يعني الشياطين والمردة والدعاة الى الكفر ربنا هؤلاء الذين أغويانا أغويانا هم كما غويانا تبرأنا اليك ما كنا باليانا يعبدون فتمدوا عليهم انهم أغووهم فاتبعوهم ثم تبرأوا من عبادتهم كما قال تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليقولوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال الخليل عليه السلام لتقومه انما اتخذتم من دون الله آوينا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا الآية وقال الله

تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب الى قوله وما هم بخارجين من النار ولهذا قال وقيل ادعوا شركاءكم كمالخلصوكم مما أنتم فيه كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا فدعوه فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب أي وتيقنوا انهم صابرون الى النار لا محالة وقوله لو انهم كانوا يهتدون أي فودوا حين عابوا العذاب لو انهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا وهذا كقوله تعالى ويوم يقول نادوا شركائ الذين زعمتم فدعوهم فلا يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها صرفا (٢٦٨) وقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين النداء الاول عن سؤال

حصرهم واشتد البلاء عليهم قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا انزل على حكم سعد بن جابر فأنزل الله صلى الله عليه وآله وسلم الى سعد بن جابر فأنزل على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احكمم فيهم قال فاني احكمم فيهم ان تقبل صفاتنا نهم ونسب ذراريتهم وتقسيم أموالهم فقال لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف الشديد حتى سلوا أنفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسبي وهي معنى قوله (فريقا يقتلون) منهم (وتأسرون فريقا) قرئ الفعلان بالتحسية وبالنوقية فيهما على الخطاب وبالنوقية في الاول وبالتحسية في الثاني فالفريق الاول هم الرجال والفريق الثاني هم النساء والذرية والجملة مبينة ومقررة لقذف الرعب في قلوبهم ووجه تقديم المفعول في الاول وتأخير في الثاني ان الرجال لما كانوا أهل الشوكة وكان الوارد عليهم أشد الامرين وهو القتل كان الاهتمام بتقديم ذكرهم أنسب بالمقام وقد اختلف في عدد المقتولين والمأسورين فقيل كان المقتولون من ستمائة الى سبعمائة وقيل ستمائة وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة وقيل تسعمائة وكان المأسورون سبعمائة وقيل سبعمائة وخمسين وقيل تسعمائة (وأورثكم ارضهم) أي عقارهم وشيخايمهم (وديارهم) أي منازلهم وحصونهم (وأموالهم) أي الخي والاثاث والمواشي والسلاح والدراهم والديناير والنفود والامعة (و) أورثكم (أرضالم تطوها) بعد لقصد القتال واختلف المفسرون في تعيين هذه الارض المذكورة فقال يزيد بن رومان وابن زيد ومقاتل انها اخير ولم يكونوا اذ ذاك قد نالوها فوعدهم الله بها قال سليمان الجلي وأخذت بعد فرية بسنتين أو ثلاث لان خيبر كانت في السابعة في الحرم وهي مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية وذات مزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة أربع مراحل انتهى ملخصا وتعام هذه الفصة في سيرة الحلبي وقال قتادة كاتحدث انها مكة وقال الحسن فارس والروم وقال عكرمة هي كل أرض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة والمضي التحق وقوعه وكان الله على كل شيء قديرا) أي هو سبحانه قدير على كل ما أراد من خير وشر ونعمة ونقمة وعلى الشيازماء وعده من الفتح للمسلمين (يا أيها النبي قل لأزواجك) قيل هذه الآية مستقلة بمعنى ما تقدمها من المنع من ايداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان قد تأذى بعض الزوجات قال الواحدى قال المفسرون ان أزواج النبي

التوحيد وهذا ذم انبات النبوات ماذا كان جواكم للمرسلين اليكم وكيف كان حالكم معهم وهذا كما يستل العبد في قبره من ربك ومن نبيك وما دينك فأما المؤمن فيشهد أنه لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأما الكافر فيقول هاهاهاه لا أدري ولهذا الاجواب له يوم القيامة غير الكون لان من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ولهذا قال تعالى فعميت عليهم الانبياء يومئذ فهم لا يتساءلون قال في هذه فعميت عليهم الخج فهم لا يتساءلون بالنسب وقوله فاما من تاب وآمن وعمل صالحا أي في الدنيا فعسى أن يكون من المنجحين أي يوم القيامة وعسى من الله موجبة فان هذا واقع بفضل الله ومنته لا محالة (وربك يحق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون) يخبر تعالى انه المنفرد بالخلق والاختيار وانه ليس له في ذلك منازع ولا معقب قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة نفي على أصح القولين كقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمر أن يكون لهم الخيرة من أمرهم وقد اختار ابن جرير ان ما ههنا بمعنى الذي تقديره ويختار الذي لهم فيه خيرة وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الاصلح والصحيح أنها نافسة كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره أيضا فان المقام في بيان انفراد تعالى بالخلق والتقدير والاختيار وانه لا نظير له في ذلك ولهذا قال سبحان الله وتعالى عما يشركون أي من

ولامعقب قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة نفي على أصح القولين كقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمر أن يكون لهم الخيرة من أمرهم وقد اختار ابن جرير ان ما ههنا بمعنى الذي تقديره ويختار الذي لهم فيه خيرة وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الاصلح والصحيح أنها نافسة كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره أيضا فان المقام في بيان انفراد تعالى بالخلق والتقدير والاختيار وانه لا نظير له في ذلك ولهذا قال سبحان الله وتعالى عما يشركون أي من

الاصنام والانداد التي لا تخلق ولا تختار شيئا ثم قال تعالى وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون اي يعلم ما تكن الضمائر وما تنطوى عليه السرائر كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق سواء منكم من أمر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وقوله وهو الله لا اله الا هو أي هو المنفرد بالالهية فلا معبود سواه كما لا رب يخلق ويختار سواه له الحمد في الاولى والاخرة أي في جميع ما ينعله هو المحمود عليه بعدله وحكمته وله الحكم اي الذي لا معقب له اقهره وغلبته وحكمته ورحمته واليه ترجعون أي جميعكم يوم القيامة فيجزى كل عامل بعمله من خير (٢٦٩) وشرو لا يخفى عليه منكم خافية في سائر

الاعمال (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يا أيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يا أيكم بليل تـ كنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله واعلمكم تشكرون) يقول تعالى تمتنا على عبادهم بما خزلهم من الليل والنهار اللذين لا قوام لهم بدونهما وبين انه لو جعل الليل دائما عليهم سرمدا الى يوم القيامة لاضر ذلك بهم ولسامتته النفوس وانحصرت منه ولهذا قال تعالى من اله غير الله يا أيكم بضياء أي تبصرون به وتستأنسون بسببه أفلا تسمعون ثم أخبر تعالى انه لو جعل النهار سرمدا أي دائما سرمدا الى يوم القيامة لاضر ذلك بهم ولتعبت الابدان وكنت من كثرة الحركات والاشغال ولهذا قال تعالى من اله غير الله يا أيكم بليل تسكنون فيه أي تستريحون من حركاتكم وأشغالكم أفلا تبصرون ومن رحمته أي بكم

صلى الله عليه وآله وسلم ألم أنه شيئا من عرض الدنيا وطلب من الزيادة في النفقة وآذيه بغيره بعضهم على بعض فألقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شهر وأمر الله آية التخيير هذه وكن يومئذ تسعاً عاشره وحنفة وأم سلمة وأم حبيبة وسودة وهؤلاء من نساء قریش وصفية الخبيبرية وميمونة الهاللية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية واختاف في عدة أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم وترزين وعدة من مات منهن قبله ومن مات هو عنهن ومن دخل بها ومن لم يدخل بها ومن خطبها ولم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه والمتفق على دخوله بهن احدى عشرة امرأة كذا في المواهب وقد بسط الكلام عليهن في المقصد الثاني منه جدا فارجع اليه ان شئت (ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) أي سعتها ونضارتها وورفاهيتها وكثرة الاموال والتعم فيها (فتعالين) أي أقبلن الى بارادتكنا واختياركنا لاحد الامرين (أم تعكنا) أي أعطكنا المتعة (وأمرحكنا) أي أطلقكنا كقرأ الجمهور في النهدين بالجزم جوابا للامر وقيل ان جزمهما على انهما جواب الشرط وعلى هذا يكون قوله فتعالين اعتراضا بين الشرط والجزاء وقرئ بالرفع فيهما على الاستئناف (سراج جلا) المراد به هو الواقع من غير ضرار على مقتضى السنة (وان كنتن تردن الله ورسوله) أي تردن رسوله وذكر الله الايدان بجلاله محمد صلى الله عليه وآله وسلم عنده تعالى (والدار الاخرة) أي الجنة ونعيمها (فان الله أعد للعهسنا مسكنا) أي اللاتي عان عمل الصالحا (أجر اعظيما) لا يمكن وصفه ولا يقادر قدره وذلك بسبب احسانهن وبمقابلته صالح عملهن وقد اختلف العلماء في كيفية تخيير النبي صلى الله عليه وآله وسلم أزواجه على قولين الاول انه خيرهن باذن الله في البقاء على الزوجية أو الطلاق فاخترن البقاء وبهذا قات عائشة ومجاهد وعكرمة والشعبى والزهرى وربيعة والثاني انه اتاخيرهن بين الدنيا فمفارقهن وبين الاخرة فبمكهن ولم يخيرهن في الطلاق وهذا قال على والحسن وقتادة والراجح الاول واختلافنا أيضا في الخيرة اذا اختارت زوجها هل يحسب مجرد ذلك التخيير على الزوج طلقه أم لا فذهب الجمهور من السلف والخلف الى انه لا يكون التخيير مع اختيار المرأة لزوجه اطلاقا ولا واحدة ولا أكثر وقال على وزيد بن ثابت ان اختارت زوجها فواحدة بائنة وبه قال الحسن والليث وحكاه الخطابي والتمشاش عن مالك والراجح الاول لحديث عائشة الثابت في الصحيحين قالت خيرنا

جعل لكم الليل والنهار أي خلق هذا وهذا لتسكنوا فيه أي في الليل ولتبتغوا من فضله أي في النهار بالاسفار والترحال والحركات والاشغال وهذا من باب النعم والشكر وقوله والله اعلمكم تشكرون أي تشكرون الله بانواع العبادات في الليل والنهار ومن فاته شيء بالليل استدركه بالنهار أو بالنهار استدركه بالليل كما قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا والآيات في هذا كثيرة (ويوم نادىهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعملوا الحق لله وفضل عنهم ما كانوا يفترون) وهذا أيضا نداء ثان على سبيل التوبيخ والتقريع لمن عبد مع الله الها آخر نادىهم

الرب تعالى على رؤس الاشهاد فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون أي في دار الدنيا ونزعنا من كل أمة منهم سدا قال مجاهد يعني رسولا فقلناها توأبرها نكم أي على صحة ما ادعيتوه من ان الله شر كما فعلوا ان الحق لله أي لا اله غيره فلم ينطقوا ولا يحيروا جوابا وضل عنهم ما كانوا ينترون أي ذهبوا فلم ينفعوهم (ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناهم الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ

(٢٧٠)

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخترناه فلم يعده طلاقا ولا وجهه لجعل مجرد التخيير طلاقا ودعوى انه كتابه من كتابات الطلاق مدفوعة بان الخيول يرد للفرقة بمجرد التخيير بل أراد تفويض المرأة وجعل أمرها بيدها فان اختارت البقاء بقيت على ما كانت عليه من الزوجية وان اختارت الفرقة صارت مطلقة واختلقت في اختيارها لنفسها اهل يكون ذلك طلاق رجعية أو بائنة فقال بالاول عمرو بن مسعود وابن عباس وابن أبي اسلي والنورى والشافعي وقال بالثاني علي وأبو حنيفة وأصحابه وروى عن مالك والراجح الاول لانه يعد كل البعدان يطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساءه على خلاف ما أمره الله به وقد أمره بقوله اذ اطلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى عن زيد بن ثابت انها اذا اختارت نفسها فثلث طلاقات وليس لهذا القول وجه وقد روى عن علي انها اذا اختارت نفسها فليس بشئ واذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وقد أخرج أحمد ومسلم والنسائي وابن مردويه عن جابر قال أقبل ابو بكر يستأذن علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس يبابه جلوس والنبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس فلم يؤذن له ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لابي بكر وعمر فدخلوا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس وحوله نساء وهو ساكت فقال عمر لا تكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعله يضحك فقال عمر يا رسول الله لورأت ابنة زيدا امرأة عمر سألتني النفقة آتفا فوجأت في عنقه فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه وقال هن حولي يسألني النفقة فقام أبو بكر الى عائشة ليضربها واقام عمر الى حفصة كلاهما يقولان تسألان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماليس عنده فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلن نساءه والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا المجلس ماليس عنده وأنزل الله الخيار فبدأ بعائشة فقال اني اذا كرللت أمرها أحب ان تعجلي فيه حتى تستأمرى أبو بكر قالت ما هو قتلها علمها أيها النبي قل لازواجك الآية قالت عائشة أفبئك أستأمر أبو بكر بل اختر الله ورسوله وأسألك ان لاتذكرنا ساءك ما اخترت فقال ان الله لم يعثنى متعتا وكن بعثني مع علم يسر الانسأني امرأة منهن عما اخترت الا أخبرتها وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءها حين أمره الله أن يختار زوجها قالت فبدأت فقلت اني اذا كرللت أمر افلا عليك

ابن عمر وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان قارون كان من قوم موسى قال كل ابن عمه وهكذا قال ابراهيم النخعي وعبد الله بن الحرث ابن نوفل ومالك بن حرب وقتادة ومالك بن دينار وابن جرير وغيرهم أنه كان ابن عم موسى عليه السلام قال ابن جرير هو قارون بن يعمر ابن قاهث وموسى بن عمران بن قاهث وزعم محمد بن اسحق بن يسار ان قارون كان عم موسى بن عمران عليه السلام قال ابن جرير وكثر أهل العلم على انه كان ابن عمه والله أعلم وقال قتادة بن دعامة ككأن حدث أنه كان ابن عم موسى وكان يسمى المنور الحسن صوته بالتوراة ولكن عدوا لله نافع كما نافع السامري فاهلكه البغي لكثرة ما له وقال شهر بن حوشب زادني ثيابه شبرا طولا ترفعا على قومه وقوله وآتيناهم الكنوز أي الاموال ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة أي لينقل حملها الفئام من الناس لكثرتها قال الاعمش عن خيمة كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود كل مفتاح مثل الاصبع كل مفتاح على خزانه

على حدته فاذا ركب حملت على ستين بغلا أغر محجلا وقيل غير ذلك والله أعلم وقوله اذ قال له قومه لا تفرح ان الله

لا يحب الفرحين أي وعظه فيما هو فيه ص الحوقومه فقالوا على سبيل النصيح والارشاد لا تفرح بما أنت فيه يعنون لا تبطربما أنت فيه من المال ان الله لا يحب الفرحين قال ابن عباس يعني المرحين وقال مجاهد الاشر من البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم وقوله وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائفة في طاعة ربك والتقرب اليه بانواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا

أى مما أباح الله فيها من المأكل والمشرب والملابس والمساكن والمناكح فإن لم يكن عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولاهلك عليك حقا ولزورك عليك حقا فأت كل ذي حق حقه وأحسن كما أحسن الله اليك أى أحسن إلى خلقه كما أحسن هو اليك ولا تبغ الفساد في الأرض أى لا تكن همته بما أنت فيه أن تفسد به في الأرض ونسبى إلى خلق الله ان الله لا يحب المفسدين (قال انما أوتيته على علم عندى ولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جعاً ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) يقول تعالى مخبراً عن جواب قارون لقومه حين نصحوه وأرشدوه (٢٧١) إلى الخير قال انما أوتيته على علم عندى

أى أنا لا أفترق إلى ما تقولون فإن الله تعالى انما أعطاني هذا المال لعلمه بانى أستحقه ولحجته لى فتقديره انما أعطيته لعلم الله فى أنى أهل له وهذا كقوله تعالى واذا من الانسان ضر دعانا ثم اذا حولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم أى على علم من الله بى وكقوله تعالى ولئن أدقناه رجمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى أى هذا أستحقه وقد روى عن بعضهم أنه أراد انما أوتيته على علم عندى أى أنه كان يعانى علم الكيمياء وهذا القول ضعيف لان علم الكيمياء فى نفسه علم باطل لان قلب الاعيان لا يقدر احد عليهم الا الله عز وجل قال الله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة وهذا روى فى المصورين الذين يشبهون بخلق الله فى مجرد الصورة الظاهرة أو الشكل فكيف بمن يدعى أنه

ان لا تستعجلى حتى تستأمرى أبو بك وقد علم ان أبوى لم يكونا بامرأتى بفرقة فقال ان الله قال يا أيها النبي قل لازواجك الى تمام الآية فقلت فى أى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفعل أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما فعلت ثم لما اختار نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياه أنزل فىهن هذه الآيات تكريماً لهن وتعظيماً لهن فقال (بانساء النبي من يأت منكن) من بيانية لانهن كلهن محسنات (بفاحشة) أى معصية (مبينة) أى ظاهرة القبح واضحة الفحش وقد عصههن الله عن ذلك وبرأهن وطهرهن فهو كقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وقيل المراد بانناحشة النشوز وسوء الخلق وقال قوم الفاحشة اذا وردت معرفة فهى الزنا واللواط واذا وردت منكورة فهى سائر المعاصى واذا وردت منهوتة فهى عقود الزوج وفساد عشرته وقالت فرقة قوله هذا يعم جميع المعاصى وكذلك الفاحشة كيف وردت (بضعفها العذاب ضعفين) أى يعذبهن الله مثلى عذاب غيرهن من النساء اذا أتين بمثل تلك الفاحشة وذلك لشرفهن وعلو درجاتهن وارتفاع منزلتهن ولان ما قبح من سائر النساء كان منهن أقيح فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولذا كان الذم للمعاصى العالم أشد من المعاصى الجاهل لان المعصية من العالم أقيح ولذا فضل حد الاحرار على العبيد وقد ثبت فى هذه الشريعة فى غير موضع ان تضاعف الشرف وارتفع الدرجات يوجب لصاحبه اذا عصى تضاعف العقوبات وقرئ يضاعف على البناء للمفعول وقرئ أبو عمرو وأبو عبيد بين يضاعف ويضعف فقال لا يكون يضاعف ثلاثة عذابات ويضعف عذابتين قال النحاس هذه التفرقة التى جا آبه الا يعرفها احد من أهل اللغة والمعنى فى يضاعف ويضعف واحداً أى يجعل ضعفين وهكذا ضعف ما قاله ابن جرير قال قوم لو قدر الله الزمان واحداً وقد أعادهن الله عن ذلك لكانت تحدد حدين لعظم قدرها كما زاد حد الحررة على الامة والعذاب بمعنى الحد قال تعالى وليشهد عذابهم ما طائفهم من المؤمنين وعلى هذا فعنى الضعفين معنى المثليين أو المرتين وقال مقاتل هذا التضعيف فى العذاب انما هو فى الآخرة كما ان آباء الاجر مرتين فى الآخرة وهذا احسن لان نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأتين بفاحشة توجب حداً وقد قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وانما خاتما

يحيل ماهية هذه الذات الى ماهية ذات أخرى هذا زور ومحال وجهل وضلال وانما يقدر على الصيغ فى الصورة الظاهرة وهى كذب وزغل وتوهم وتور وبيع أنه صحيح فى نفس الامر وليس كذلك قطعاً لا محالة ولم يثبت بطريق شرعى أنه صحيح مع احد من الناس من هذه الطريقة التى يتعانها هؤلاء الجهلة النسفة الا فاكون فاما ما يجرب به الله سبحانه من خرق العوائد على يدى بعض الاولياء من قلب بعض الاعيان ذهباً وفضة أو نحو ذلك فهذا امر لا يشكره مسلم ولا يردده مؤمن ولكن هذا ليس من قبيل الصناعات وانما هذا عن مشيئة رب الارض والسماوات واختياره وفعله كما روى عن حيوة بن شريح المصرى رحمه الله أنه سأله سائل فلم يكن عنده

ما يعطيه ورأى ضرورته فأخذ حصاة من الأرض فأجأها في صكفه ثم ألقاها إلى ذلك السائل فاذا هي ذهب أجزوا الاحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا يطول ذكرها وقال بعضهم ان قارون كان يعرف الاسم الاعظم فدعا الله به فتول بسببه والصحيح المعنى الاول ولهذا قال الله تعالى راد عليه فيما ادعاه من اعتمائه الله به فيما أعطاه من المال أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا أي قد كان من هو أكثر منه مالا وما كان ذلك عن محبة مناله وقد أهلكهم الله مع ذلك بكنزهم وعدم شكرهم وهذا قال ولا يسئل (٢٧٢) عن ذنوبهم المجرمون أي لكثرة ذنوبهم قال قتادة على علم عندي على

خير عندي وقال المسدي على علم اني اهل لذلك وقد أجاد في تفسير هذه الآية الامام عبد الرحمن بن زيد بن اسلم فانه قال في قوله قال انما أوتيته على علم عندي قال لولا رضا الله عنى ومعرفة به بفضل ما اعطاني هذا المال وقرأ أولو يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا الآية (نخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون) يقول تعالى مخبرا عن قارون انه خرج ذات يوم على قومه في زينته عظيمة وتجمل باهر من هراكب وملايس عليه وعلى خدمه وحشمه فلما رآه من يريد الحياة الدنيا وعييل الى زخارفها وزينتها تمتموا أن لو كان لهم مثل الذي أعطى قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم أي ذو حظ وافر من الدنيا فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا اللهم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا أي

في الايمان والطاعة وقال بعض المفسرين العذاب الذي توعدن به ضعفين هو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وكذلك الاجر قال ابن عطية وهذا ضعيف اللهم الا ان تكون أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ترفع عنهن حدود الدنيا عذاب الآخرة على ما هو حال الناس عليه بحكم حديث عبادة بن الصامت وهذا أمر لم يرد في أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحفظ تقريره (وكان ذلك) أي تضعيف العذاب (على الله يسيرا) هيئنا لا يتعاطمه ولا يصعب عليه فليس كونهن تحت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكونهن كن جميلات شريفات مما يدفع العذاب عنهن وليس أمر الله كأم الخلق حتى يتذر عليه تعذيب الاعزة بسبب كثرة أوليائهن وأعوامهن أو شفعائهن واخوانهن (ومن يقنت) قرى بالتحسية وكذا يأت منكن جملا على لفظ من في الموضوعين وقرى بالقومية جملا على المعنى والقنوت الطاعة أي يطع (منكن) الله ورسوله وتعمل صالحا نؤتمن أجرهما مرتين) يعني انه يكون لهن من الاجر على الطاعة مثلاما يستحقه غيرهن من النساء اذا فعلن تلك الطاعة وفي هذا دليل قوى على ان معنى يضاعف لها العذاب ضعفين أنه يكون العذاب مرتين لثلاث لان المراد اظهار شرفهن ومرتبتهن في الطاعة والمعصية يكون حسنتم كسنتين وسينتمن كسنتين ولو كانت كثلاث سيئات لم يناسب ذلك كون حسنتم كسنتين فان الله أعدل من أن يضاعف العقوبة عليهم، ضاعفة تزيد على مضاعفة أجرهن قيل الحسنة بعشر من حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى انهن اشرف نساء العالمين (وأعدنا لهما) زيادة على الاجر مرتين (رزقا كريما) جليل القدر قال المفسرون هو نعيم الجنة حتى ذلك عنهم النحاس ثم أظهر سبحانه فضيلتهن على سائر النساء تصرح بما يقال (يا نساء النبي استن كما خدمن النساء) قال الزجاج لم يقل كواحدة من النساء لان أحد دلنظ عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة وقد يقال على ما ليس بأدعى كما يقال ليس فيها أحد لاشاة ولا بغير والمعنى استن بجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم على وثوابكن أعظم لدى ثم قد دهذا الشرف العظيم بقيد فقال (ان اذقين) الله فأطعمه فان الاكرم عند الله هو الاتقى فبين سبحانه أن هذه الفضيلة لهن انما تكون بسلامتهن للتقوى لا مجرد اتصالهن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم

جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما تررون وقوله ولا يلقاها الا الصابرون قال السدي وقد ولا يلقى الجنة الا الصابرون كانه جعل ذلك من تمام كلام الذين أوتوا العلم قال ابن جرير ولا يلقى هذه الكلمة الا الصابرون عن محبة الدنيا الراغبون في الدار الآخرة كانه جعل ذلك مقطوعا من كلام أولئك وجعله من كلام الله عز وجل واخباره بذلك (لحسنه) وبداره الارض بما كان له من فئمة نصرته من دون الله وما كان من المتصيرين وأصبح الذين تمتموا مكانه بالانس يقولون ويكأن الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لنحسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون) لماذا كرتعالي احتمال

قارون في زينته ونحوه على قومه وبغية عليهم عقب ذلك بأنه خسف به وبادره الارض كما ثبت في الصحيح عند البخاري من حديث الزهري عن سالم أن أباه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يجرا زاره اذ خسف به فهو يتجلبل في الارض الى يوم القيامة ثم رواه من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقال الامام أحمد حدثنا النضر بن اسمعيل أبو المغيرة القاص حدثنا الاعمش عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين أخضرين يخطان فيهما أمر الله الارض (٢٧٣) فاخذته فانه ليتجلبل فيها الى يوم القيامة

تفرد به أحمد واسناده حسن وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو خزيمة حدثنا يعلى بن منصور أخبرني محمد بن مسلم سمعت زياد القهري يحدث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين فاختال فيهما فامر الله الارض فاخذته فهو يتجلبل فيها الى يوم القيامة وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الليثي في كتاب العجائب الغربية بسنده عن نوفل بن ماحق قال رأيت شابا في مسجد نجران فجعلت أنظر اليه وأتعب من طوله وتسامه وجهه فقال مالك تنظر الى فتلت أعجب من جالك وكالك فقال ان الله ليحب منى قال فما زال يتقص ويتقص حتى صار بطول الشبر فاخذ بعض قرايته في كفه وذهب به وقد ذكر أن هلاك قارون كان من دعوة موسى نبي الله عليه السلام واختلف في سببه فعن ابن عباس والسدي ان قارون أعطى امرأة بغيا ما لا على ان تبهت موسى بحضرة الملا من بني اسرائيل وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله تعالى

وقد وقعت منهن والله الحمد اتقوى اليه والايمن الخالص والمشى على طريقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد مماته وجواب الشرط محذوف للدلالة ما قبله عليه أي ان اتقيتن فلمستن كما حذر من النساء وقيل ان جوابه قوله (فلا تخضعن بالقول) والاول اول والمعنى لاتن القول عند مخاطبة الناس كما فعله المربيات من النساء ولا ترققن الكلام قال ابن عباس يقول لا ترخصن بالقول ولا تخضعن بالكلام وعنه قال مقارنة الرجال بالقول فانه يسبب عن ذلك مقسدة عظيمة وهي قوله (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي فجور وشهوة أو شك وريبة أو نفاق والمعنى لا تقلن ولا يجيد المناق والفاجر به سبيلا الى الطمع فيمكن والمرأة مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن (وقلن قولنا معروف) عند الناس أي حسنام كونه خشيا بعيدا من الريبة على سنن الشرع لا يسكر منه سامعه شيئا ولا يطمع فيمكن أهل الفسق والتجرب بسببه أو قولا يوجه الاسلام والدين عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى والاول اولي (وقرن في - وتكن) قرأ الجمهور بكسر القاف من قرى بقر و قارا أي سكن والامر منه قر بكسر القاف وللنساء قرن مثل عدن وزن وقال المردهون من التمرار لامن الوقار تقول قررت بالمكان بفتح الراء والاصل اقررن بكسر الراء اخذت الراء الاولى تخفضا كما قالوا في ظلمت ظلمت ونقلوا حر كتم الى القاف واستغنى عن ألف الوصل بتعريك القاف وقال أبو يعلى القارسي أبدت الراء الاولى ياء كراهة التضعيف كما أبدت في قيراط ودينار وصارت الياء حركة الحرف الذي أبدت منه والتقدير اقرن ثم نلقى حركة الياء على القاف كراهة تحريك الياء بالكسر فتسقط الياء لاجتماع الساكنين وتسقط همزة الوصل تحريك ما بعدها فيصير قرى وقرى بفتح القاف وأصله قررت بالمكان اذا أقيمت فيه بكسر الراء أقر بفتح القاف كمد يحمده وهي لغة أهل الحجاز ذكر ذلك أبو عبيد عن الكسائي وذكرها الزجاج وغيره قال الفراء هو كما تقول هل حسنت صاحبت أي هل أحسنته قال أبو عبيد كان أشياخنا من أهل العربية ينكرون القراءة بالفتح للقاف وذلك لان قررت بالمكان أقر لا يجوز كثير من أهل العربية والصحيح قررت أقر بالكسر ومعنى الآية الأمر لهن بالتوقر والسكون في بيوتهن وان لا يخرجن وهذا يخالف ما ذكرناه عن الكسائي وهو من أجل ما سألنا عنه وقد وافقه على الانكار لهذه

(٣٥ - فتح البيان سابع) فتقول يا موسى انك فعلت بي كذا وكذا فلما قالت ذلك في الملا موسى عليه السلام أرعد من الفرق وأقبل عليه بعد ما صلى ركعتين ثم قال أنشدك بالله الذي فرق البحر وأنجاكم من فرعون وفعل كذا وكذا لما أخبرني بالذي جعلك على ما قلت فقالت اما اذ انشدتني فان قارون أعطاني كذا وكذا على ان أقول ذلك لئلا استغفر الله وأتوب اليه فعند ذلك خر موسى لله عز وجل ساجدا وسأل الله في قارون فأوحى الله اليه ان قد أمرت الارض ان تطيعك فيه فامر موسى الارض ان تبشعه وداره فكان ذلك وقيل ان قارون لما خرج على قومه في زينته تلك وهو راكب على البغال المشبه وعليه وعلى خدمه

القياب الأرجوان الصبغة فرقي جفلة ذلك على مجلس نبي الله موسى عليه السلام وهو يذكرهم بإيام الله فلما رأى الناس قارون انصرف وجوههم نحوه ينظرون الى ما هو فيه فدعا موسى عليه السلام وقال ما جئت على ما صنعت فقال يا موسى أمانت كنت فضلت على البتة فلقد فضلت عليك بالدنيا وان شئت لتخرجن فلقد دعوت علي وادعوا عليك فخرج موسى وخرج قارون في قومه فقال موسى عليه السلام تدعوا وادعوا أنا فقال بل ادعوا فادعوا قارون فلم يجبه له ثم قال موسى ادعوا قال نعم فقال موسى اللهم مرا الارض أن تطيعني اليوم فأوحى الله اليه (٢٧٤) انى قد فعلت فقال موسى يا أرض خذيهم فاخذتهم الى أقدامهم ثم قال

القرأة أبو حاتم فقال ان قرن بفتح القاف لا مذهب له في كلام العرب قال النحاس قد خواف أبو حاتم في قوله انه لا مذهب له في كلام العرب بل فيه مذهبان أحدهما حكاة الكسائي والآخر عن علي بن سليمان فاما المذهب الذي حكاة الكسائي فهو ما قدمناه من رواية أبي عبيدة عنه وأما المذهب الذي حكاة علي بن سليمان فقال انه من قررت به عينا أقر وقيل المعنى واقررن به عينا في يوتكن قال النحاس وهو وجه حسن وأقول ليس بحسن ولا هو معنى الآية فان المراد بها أمرهن بالسكون والاستقرار في بيوتهن وليس من قررة العين أى الزمن يوتكن عن محمد بن سيرين قال نبت انه قيل لسودة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مالك لا تحجين ولا تعتمرين كما تفعل اخواتك فقالت قد حجبت واعمرت وأمرني الله أن أقر في بيتي فوالله لأخرج من بيتي حتى أموت قال فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت بجنازتها (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) التبرج ان تبدى المرأة من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها استره مما تستدعي به شهوة الرجل وقد تقدم معنى التبرج في سورة النور قال المبرد هو مأخوذ من السعة يقال في اسنانه برج اذا كانت متفرقة والمعنى اظهار الزينة وبرز المحاسن للرجال وقيل التبرج هو التفتيح والتبختر والتكسر في المشى وهذا ضعيف جدا والاول أولى وقد اختلف في المراد بالجاهلية الأولى فقيل ما بين آدم ونوح أو من داود وسليمان وقيل ما بين نوح وادريس قاله ابن عباس وكانت ألف سنة وقيل ما بين نوح وابراهيم وقيل ما بين موسى وعيسى أو ما بين عيسى ومحمد قاله ابن عباس وقيل ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يتعلون مثل فعلهم في آخر الزمان أو الأولى جاهلية الكفر والاخرى جاهلية الفسوق والتجور في الاسلام وقد بين حكمها في قوله تعالى ولا يبدن زينتهن الخ وقيل تذكرو الأولى وان لم تكن لها أخرى وقال المبرد الجاهلية الأولى كما تقول الجاهلية الجهلاء قال وكان نساء الجاهلية يظهرن ما يتبع اظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخليتها فيستفرد خليتها بما فوق الأزار الى أعلى ويتفرد زوجها بما دون الأزار الى أسفل ويربما سأل أحدهما صاحبه البذل قال ابن عظمة والذي يظهر لي انه أشار الى الجاهلية التي لحقتها وادركتها فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة لانهم كانوا الاغيرة عندهم فكان أمر النساء دون حجة وجعلها أولى بالنسبة الى ما كن عليه

خذيهم فاخذتهم الى ركبتهم ثم الى منا كبهم ثم قال اقبلي بكنوزهم وأموالهم قال فاقلت بها حتى نظروا اليها ثم أشار موسى بيده ثم قال اذهبوا بني لاوى فاستوت بهم الارض وعن ابن عباس قال خسف بهم الى الارض السابعة وقال قتادة ذكركنا انه يخسف بهم كل يوم قامة فهم يتجلبون فيها الى يوم القيامة وقد ذكره هنا السراييليات أضربنا عنها صنعا وقوله تعالى فما كان له من فتنة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين أى ما أغنى عنه ماله وما جمعه ولا خدمه وحشمه ولا دفعوا عنه نعمة الله وعذابه ونكاله ولا كان هو في نفسه منتصرا لنفسه فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره وقوله تعالى وأصبح الذين آمنوا مكانه بالامس أى الذين لما رآوه في زينته قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم فلما خسف به أصبحوا يقولون ويكان الله بسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر أى ليس المال بدل على رضى الله عن صاحبه فان الله يعطى ويمنع

ويضيق ويوسع ويمنع ويوسع وله الحكمة التامة والسجدة البالغة وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم وان الله يعطى المال من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الايمان الا لمن يحب لولا ان من الله علينا الخسف بنا أى لولا لطف الله بنا واحسانه الينا الخسف بنا كما خسف به لانا وودنا ان نكون مثله ويكاتبه لا يفلح الكافرون يعنون انه كان كافرا ولا يفلح الكافرون عند الله لافي الدنيا ولا في الآخرة وقد اختلف النحاة في معنى قوله ههنا ويكان فقال بعضهم معناه و يلك اعلم ان ولكن خففت فقيل ويلك ودل فتح ان على حذف اعلم وهذا القول ضعفه ابن جرير



والظاهر انه قوى ولا يشك على ذلك الا كتابها في المصاحف متصلة ويكأن والكاتبه أمر وضعى اصطلاحى والمرجع الى اللفظ العربى والله أعلم وقيل معناها ويكأن أى ألم تر أن قاله قتادة وقيل معناها وى كأن فصلها وجعل حرف وى للتعجب أو التشبيه وكان بمعنى أظن واحتسب قال ابن جرير وقوى الاقوال فى هذا قول قتادة انها بمعنى ألم تر أن واستشهد بقول الشاعر

سالتانى الطلاق ان رأتنى \* قل مالى قد جئتمانى بنكر  
ويكأن من يكن له نشب يحسب \* ومن يفقر بعش عيش ضر  
(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا) (٢٧٥) والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة

فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) يخبر تعالى ان الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذى لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوا فى الارض أى ترعوا على خلق الله وتعاطوا عليهم - وتجبرهم - ولا فسادا فيهم كما قال عكرمة العلواتجبر وقال سعيد بن جبيرة العلواتجبر وقال سفيان بن سعيد الثورى عن منصور عن مسلم البطين العلوفى الارض التكبر بغير حق والفساد أخذ المال بغير حق وقال ابن جرير لا يريدون علوا فى الارض تعظما وتجبيرا ولا فسادا عملا بالمعاصى وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا ابي عن أشعث السمان عن ابي سلام الاعرج عن علي قال ان الرجل ليحجبه من شراله نعله ان يكون أجود من شراله نعل صاحبه فيدخل فى قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وهذا شمول على ما اذا أراد بذلك الفجر على غيره وأما اذا أحب

وليس المعنى ان تم جاهلية أخرى كذا قال وهو قول حسن ويمكن ان يراد بالجاهلية الاخرى ما يقع فى الاسلام من التشبه باهل الجاهلية بقول أو فعل فيكون المعنى ولا تبرجن أيها المسلمات بعد اسلامكن تبرجا مثل تبرج أهل الجاهلية التى كنتن عليها وكان عليهما من قبلكن أى لا تتحدثن بافعالكن وأقوالكن جاهلية تشابه الجاهلية التى كانت من قبل وعن عائشة قالت الجاهلية الاولى كانت على عهد ابراهيم كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وكانت عائشة اذا قرأت هذه الآية تسبكي حتى يتل خاها رواه مسروق (وأقن الصلاة) الواجبة وآتين الزكاة) المفروضة (وأطعن الله ورسوله) فيما أمر وفيما نهى وخص الصلاة والزكاة ثم عم قاهرهن بالطاعة لله ورسوله فى كل ما هو شرع لانهم ما أصل الطاعات البدنية والمالية ولان من وأظب عليهم ماجرتاه الى ما وراءهما (انما يريد الله) أى انما أوصاكن الله بما أوصاكن من التقوى وان لا تخضعن بالتول ومن قول المعروف والسكون فى البيوت وعدم التبرج واقامة الصلاة واتباء الزكاة والطاعة (ليذهب عنكم الرجس) والمراد بالرجس الأثم والذنب المندس للاعراض الماصلان بسبب ترك ما أمر الله به وفعل ما نهى عنه فيدخل فى ذلك كل ما ليس فيه رضا لله وقيل الرجس الشك وقيل السوء وقيل عمل الشيطان والعموم أى (أهل البيت) نصبه على النداء أو الممدح (ويظهركم) من الارجاس والادناس (تطهيرا) كما ملوا فى استعارة الرجس للمعصية والترشيح لها بالتطهير تنفير عنها بليغ وزجر لفاعلهما شديدا وقد اختلف أهل العلم فى أهل البيت المذكورين فى الآية فقال ابن عباس وعكرمة وعطاء والكلبى ومقاتل وسعيد بن جبيرة ان أهل البيت المذكورين فى الآية هم زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة قالوا والمراد بالبيت بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومساكن زوجاته لقوله واذا كن ما يتلى فى بيوتكن وأيضا السباق فى الزوجات من قوله يا أيها النبي قل لازواجك الى قوله لطيفا خبيرا وقال أبو سعيد الخدرى ومجاهد وقتادة وروى عن الكلبى ان أهل البيت المذكورين فى الآية هم على وفاطمة والحسن والحسين خاصة ومن حججهم الخطاب فى الآية بما يصلح للذكور وللانات وهو قوله عنكم وليطهركم ولو كان للنساء خاصة لقال عنكن وليطهركن وأجاب الآقولون عن هذا بان التذكير باعتبار انظر الامل كما قال سبحانه

ذلك مجرد التجميل فهذا الإباؤس به فقد ثبت أن رجلا قال يا رسول الله انى أحب ان يكون رداى حسنا ونعلى حسنة أفن الكبر ذلك فقال لان الله جميل يحب الجمال وقال تعالى من جاء بالحسنة أى يوم القيامة فله خير منها أى ثواب الله خير من حسنة العبد فكيف والله بضاعفه أضعافا كثيرة وهذا مقام الفضل ثم قال ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون كما قال فى الآية الاخرى ومن جاء بالسيئة فكسبت وجوههم فى النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون وهذا مقام الفضل والعدل (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب الارحمة من ربك

فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصمدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله  
 انها آخر لاله الا الله كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) يقول تعالى امر ارسوله صلوات الله وسلامه عليه ببلاغ  
 الرسالة وتلاوة القرآن على الناس ونخبه اليه بانه سيرده الى معادوه هو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من اعباء النبوة ولهذا قال تعالى  
 ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أي اقترض عليك اداءه الى الناس لرادك الى معاد أي الى يوم القيامة فيسألك عن  
 ذلك كما قال تعالى فلنساءن الذين ارسل (٢٧٦) اليهم ولنساءن المرسلين وقال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا

اجبتهم وقال وحي بالنبين والشهداء  
 وقال السدي عن ابي صالح عن ابن  
 عباس ان الذي فرض عليك  
 القرآن لرادك الى معاد يقول لرادك  
 الى الجنة ثم سأل عن القرآن قال  
 السدي وقال ابو سعيد من لاله او قال  
 الحكم بن ابيان عن عكرمة عن ابن  
 عباس رضي الله عنهم الرادك الى  
 معاد قال الى يوم القيامة ورواه  
 مالك عن الزهري وقال الثوري  
 عن الاعمش عن سعيد بن جبيرة عن  
 ابن عباس لرادك الى معاد الى الموت  
 ولهذا طرق عن ابن عباس رضي  
 الله عنهم ما وفي بعضهم الرادك الى  
 معدنك من الجنة وقال مجاهد يحكيك  
 يوم القيامة وكذا روى عن عكرمة  
 وعطاء وسعيد بن جبيرة وأبي قزعة  
 وأبي مالك وأبي صالح وقال الحسن  
 البصري اي والله ان له لمعادا فيبعثه  
 الله يوم القيامة ثم يدخله الجنة وقد  
 روى عن ابن عباس غير ذلك كما قال  
 البخاري في التفسير من صحبه  
 حدثنا محمد بن مقاتل ابا يعلى  
 حدثنا قتيبان العصفري عن عكرمة  
 عن ابن عباس لرادك الى معاد قال  
 الى مكة وهكذا رواه النسائي في

اتجيبين من امر الله رحمة الله وبره عليه اهل البيت وكما يقول الرجل اصاحبه كيف  
 اهلك يريد زوجته اوزوجاته فيقول هم بخير ولنذكر ههنا ما تمسك به كل فريق أما  
 الاولون فتمسكوا بالابق فانه في الزوحات كما ذكرنا وما أخرجه ابن أبي حاتم وابن عساكر  
 من طريق عكرمة عن ابن عباس في الآية قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
 خاصة وقال عكرمة من شاء باهلهته انها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
 وروى هذا عنه بطريق وأما ما تمسك به الآخرون فأخرج الترمذي وصححه وابن جرير  
 وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه من طريق عن أم سلمة قالت في  
 بيتي نزلت انما يريد الله الآية وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فإلهم رسول الله  
 صلى الله عليه وآله وسلم بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس  
 وطهرهم تطهيرا وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه  
 عن أم سلمة أيضا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيته على منامة له عليه كساء  
 خيبري فجاءت فاطمة ببرمة فيها خبز فقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادعي  
 زوجك وابنيك حسنا وحسنا فدعتهم فينماها بها كلون انزلت على النبي صلى الله عليه  
 وآله وسلم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فأخذ النبي صلى  
 الله عليه وآله وسلم بنصلة كسائه فغشاهم اياها ثم أخرج يده من الكساء وألوى بهم الى  
 السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالها  
 ثلاث مرات قالت أم سلمة فأدخلت رأسي في السترفقلت يارسول الله وأتانا معكم فقال انك  
 الى خير مرتين وأخرجه أيضا من حديثها وفي اسناد مجهول وهو شيخ عطاء وبقية  
 رجاله ثقات وقد أخرجه الطبراني عنهم من طريقين بخوه وقد ذكر ابن كثير في تفسيره  
 الحديث ام سلمة طرقا كثيرة في مسند احمد وغيره وأخرج ابن مردويه واخطيب من  
 حديث أبي سعيد الخدري بخوه واخرج الترمذي وابن جرير والطبراني وابن مردويه  
 عن عمر بن ابي سلمة ريب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لما نزلت هذه الآية على النبي  
 صلى الله عليه وآله وسلم وذكر نحو حديث ام سلمة واخرج ابن ابي شيبة واحمد ومسلم  
 وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة  
 وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه ثم جاءت فاطمة

تفسير سننه وابن جرير من حديث يعلى وهو ابن عبيد الطائفي به وهكذا روى العوفي عن ابن عباس لرادك  
 الى معاد أي لرادك الى مكة كما أخرجه منها وقال محمد بن اسحق عن مجاهد في قوله لرادك الى معاد الى مولدك بمكة وقال ابن أبي حاتم  
 وقد روى عن ابن عباس ويحيى بن الخزاز وسعيد بن جبيرة وعطية والضحاك نحو ذلك وحدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير قال قال سفيان  
 فسعدنا من مقاتل منذ سبعين سنة عن الضحاك قال لما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة فبلغ الحنفية اشتاق الى مكة فانزل الله  
 عليه ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد الى مكة وهذا من كلام الضحاك يقتضي ان هذه الآية مدينة وان كان مجموع

السورة ميكا والله أعلم وقد قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله تعالى لرادك الى معاد قال هذه مما كان ابن عباس يثبتها وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن نعيم القاري أنه قال في قوله لرادك الى معاد قال الى بيت المقدس وهذا والله أعلم يرجع الى قول من فسر ذلك بيوم القيامة لان بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر والله الموفق للصواب ووجه الجمع بين هذه الأقوال ان ابن عباس فسر ذلك نارة برجوعه الى مكة وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجل النبي صلى الله عليه وسلم كما فسر ابن عباس سورة اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة انه أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي اليه وكان

(٢٧٧)

ذلك بحضرة عمر بن الخطاب ووافقه عمر على ذلك وقال لأعلم منهم غير الذي تعلم ولهذا فسر ابن عباس نارة أخرى قوله لرادك الى معاد بالموت ونارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت ونارة الجنة التي هي جزاؤه ومصيره على أدام رسالة الله وابلغها الى الثقلين الجن والانس ولانه اكمل خلق الله وأفصح خلق الله وأشرف خلق الله على الاطلاق وقوله تعالى ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين أي قل لمن خالفك وكذلك يا محمد من قومك من المشركين ومن تبعهم على كفرهم قل ربي أعلم بالهتدي منكم رمي واستعاون لمن تكون له عاقبة الدار ولن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى مذكر النبي نعمة العظيمة عليه وعلى العباد اذا أرسله اليهم وما كنت ترجوان أن يلقى اليك الكتاب أي ما كنت تظن قبل انزال الوحي اليك ان الوحي ينزل عليك ولكن رحمة من ربك أي انما نزل الوحي عليك من الله من رحمة بك وبالعباد بسببها فاذا منحك به هذه

فادخلها معه ثم جاء على فادخله معه ثم قال انما يريد الله الآية وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن واثلة ابن الاسقع قال جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى فاطمة ومعه علي وحسن وحسين حتى دخل فادنى عليها وفاطمة وأجلسهم ما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم نادى عليهم ثوبه وأنامستدبرهم ثم تلا هذه الآية وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت يا رسول الله وأمان أهلك قال وأنت من أهلي قال واثلة انه لا ربحي ما أرجوه وله طرق في مسند أحمد وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمر باب فاطمة اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا اهل البيت الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويظهركم تطهيرا وأخرج مسلم عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذ كرم الله في اهل بيتي فقيل لزيد من اهل بيته اليس نساؤه من اهل بيته قال نساؤه من اهل بيته واكن اهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس وأخرج الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسما فذلك قوله واصحاب اليمين واصحاب الشمال فانما من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله واصحاب اليمين واصحاب المشامة والسابقون السابقون فانما من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وان اكرمكم عند الله اتقاكم وانا نبي ولد آدم واكرمهم على الله ولا تخف ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيوتا فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويظهركم تطهيرا فانما اهل بيتي مطهرون من الذنوب وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابى الحمراء قال رابطت المدينة سبعة اشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا طلع النجم جاء الى باب علي وفاطمة فقال الصلاة الصلاة انما يريد الله الآية وفي اسناده ابو داود الاعمى وهو وضاع كذاب وفي الباب احاديث وآثار وقد ذكرنا ههنا ما يصلح

النعمة العظيمة فمن تكون تطهيرا أي معينا للكافرين ولكن فارقهم وبنادهم وخالفهم ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذا نزلت اليك أي لا تتأثر لخالفتهم لك وصدتهم الناس عن طريقك لا تلوى على ذلك ولا تباله فان الله معك كذلك وموئيد دينك ومظهر ما أرسلت به على سائر الاديان ولهذا قال وادع الى ربك أي الى بادية ربك وحده لا شريك له ولا تسكون من المشركين وقوله ولا تدع مع الله الها آخره الا هو أي لا تليق العبادة الا له ولا تنبغى الالهية الا عظيما وقوله كل شئ هالك الا وجهه اخبار بان الله الدائم الباقي الحي القيوم الذي وت الخلاق ولا يموت كما قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فعبير بالوجه عن الذات

وهكذا قوله ههنا كل شيء هالك الا وجهه أي الاياه وقد ثبت في الصحيح من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد \* الا كل شيء ما خلا الله باطل \* وقال مجاهد والثوري في قوله كل شيء هالك الا وجهه أي الاما يريد به وجهه وحكاه البخاري في صحيحه كما قرره قال ابن جرير ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر  
استغفر الله ذنبا استغفرت به \* رب العباد اليه الوجه والعمل وهذا القول لا ينافي في القول الاول فان هذا الخبر عن كل الاعمال بانها باطلة الا ما يريد به وجهه (٢٧٨) الله تعالى من الاعمال الصالحة المطابقة للشرعية والقول الاول

للتسار دون ما لا يصلح وقد توسط طائفة ثالثة بين الطائفتين فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين اما الزوجات فليكونهن المرادات في سياق هذه الآيات كما قدمنا وليكونهن السالكات في بيوتهن صلى الله عليه وآله وسلم النازلات في منازلهن وبعض ذلك ما تقدم عن ابن عباس وغيره واما دخول علي وفاطمة والحسن والحسين فليكونهم قرابته واهل بيته في النسب ويؤيد ذلك ما ذكرناه من الاحاديث المصرحة بانهم سبب النزول في جعل الآية خاصة باحد القرينين عمل بعض ما يجب اعماله واهمل ما لا يجوزاه ما له وقد رجع هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما وقال جماعة هم بنوها ثم واستدلوا بما تقدم من حديث ابن عباس وبقول زيد بن ارقم المتقدم حيث قال ولكن آله من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس فهو لا يذهبوا الى ان المراد بالبيت بيت النسب (واذ كرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) اي اذ كرن موضع النعمة اذ صيركن الله في بيوت تلي فيها آيات الله والحكمة او اذ كرنه او تفكرن فيها التعتن بعواظ الله واذا كرنه للناس ليعظوا بها ويمتدوا بها او اذ كرنها بالتلاوة لها التحفظ بها ولا تترك الاستكثار من التلاوة قال القرطبي قال أهل التأويل آيات الله هي القرآن والحكمة السنة وقاله قاتل المراد بالآيات والحكمة أمره ونهيها في القرآن وقيل ان القرآن جامع بين كونه آيات بينات دالة على التوحيد وصدق النبوة وبين كونه حكمة مشتملة على فنون من العلوم والشرائع وقال قتادة في الآية القرآن والسنة يمتن بذلك عليهما واخرج ابن سعد عن ابي امامة بن سهل في الآية قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في بيوت ازواجه النوافل بالليل والنهار (ان الله كان لطيفا) بأوليائه (خبيرا) بجميع خلقه وجميع ما يصدر منهم من خير وشر وطاعة ومعصية فهو يجازي المحسن باحسانه والمسي باساءته (ان المسلمين والمسلمات) بدأسبحانه بكرالاسلام الذي هو مجرد الدخول في الدين والالتقياده مع العمل كما ثبت في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله جبريل عن الاسلام قال هو ان تشهد ان لا اله الا الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان ثم عطف على المسلمين المسلمات تشر بنسألهم بالذكرو هكذا فيما بعد وان كن داخلات في لفظ المسلمين والمؤمنين وشئ ذلك والتذكيرا عما هو لتغليب الذكور على

مقتضاه ان كل الذوات فانية وزائلة الاذاته تعالى وتقدس فانه الاول الاخر الذي هو قبل كل شيء وبعده كل شيء قال أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار حدثنا أحمد بن محمد بن أبي بكر حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا عمر بن سليم الباهلي حدثنا أبو الوليد قال كان ابن عمر اذا أراد أن يتباهى قلبه بأقرب الخربة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين فيقول أين أهالك ثم يرجع الى نفسه فيقول كل شيء هالك الا وجهه وقوله له الحكيم أي الملك والتصرف ولا معقب لحكمه واليه ترجعون أي يوم معادكم فيجزىكم باعمالكم ان خير غير وان شرف شر آخر نفسه برسورة القصص والله الحمد والمنة

\* تفسير سورة العنكبوت وهي مكية \*

(بسم الله الرحمن الرحيم) ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات ان

يسبقونا ساء ما يحكمون) أما الكلام على الحررف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة وقوله الاناث تعالى أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون استنهام انكار ومعناه ان الله سبحانه وتعالى لا يبدان بيتي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الايمان كما جاء في الحديث الصحيح أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل بيتي الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلاة زيدته في البلاء وهذه الآية كقوله أم حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ومثلها في سورة براءة وقال في البقرة أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم

البأساء والضراء ووزر لواحتي يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب ولهذا قال ههنا ولقد قننا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أى الذين صدقوا فى دعوى الايمان من هو كاذب فى قوله ودعواه والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وهذا يجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة وبهذا يقول ابن عباس وغيره فى مثل قوله الا لنعلم الا ترى وذلك لان الرؤية انما تتعلق بالموجود والعلم أعم من الرؤية فانه يتعلق بالمعدوم والموجود وقوله تعالى أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون (٢٧٩) أى لا يحسن الذين لم يدخلوا فى الايمان

انهم يتخاصون من هذه الفتنة والامتحان فان من ورائهم من العقوبة والسيكال ما هو أعظم من هذا وأطم ولهذا قال أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا أى يتووتا ساء ما يحكمون أى بنس ما يظنون (من كان يرجوا لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين والذين آمنوا و عملوا الصالحات لذكرون عنهم سيئاتهم ولنجزى بهم أحسن الذين كانوا يعملون) يقول تعالى من كان يرجوا لقاء الله أى فى الدار الآخرة وعمل الصالحات ورجا ما عند الله من الثواب الجزيل فان الله سميع له رجاؤه ويوفيه عمله كاملا موفرا فان ذلك كائن لا محالة لانه سميع الدعاء بصير بكل الكائنات ولهذا قال تعالى من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم وقوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه أى من عمل الصالحات فان يعود نفع عمله على نفسه فان الله تعالى غنى عن أفعال العباد ولو كانوا كلهم على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك فى ملكه شيئا ولهذا قال تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين قال الحسن البصرى ان الرجل ليجاهد وما ضرب يوما من الدهر بسيف ثم أخذ به تعالى أنه مع غناه عن الخلائق جميعهم من به واحسانه بهم ثم يجازى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء وهو انه يكفر عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم باحسن الذى كانوا يعملون فيقبل القليل من الحسنات وينيب عليها الواحدة بعشر مائة الى سبعة مائة ضعف ويجزي على السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح كما قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا

الاناث كما فى جميع ما ورد فى الكتاب العزيز من ذلك ثم ذكر (والمؤمنين والمؤمنات) وهم من يؤمن بالله وما لائكته وكتبه ورسله والقدر خير وشهره كما ثبت ذلك فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (والقاتين والقاتات) القات المطيع العابد وكذا القاتنة وقيل المداومين على العبادة والطاعة (والصادقين والصادقات) هما من يتكلم بالصدق ويتجنب الكذب ويفى بعهده عليه (والصابرين والصابرات) هما من يصبر عن الشهوات وعلى مشاق التكليف (والخاشعين والخاشعات) أى المتواضعين لله الخائفين منه الخاضعين فى عباداتهم لله (والمصدقين والمتصدقات) هما من تصدق من ماله بما وجبه الله عليه وقيل ذلك اعم من صدقة الفرض والنفل (والصائمين والصائمات) قيل ذلك مختص بالفرض وقيل هو اعم (والحافظين فروعهم والحافظات) فروعهن عن الحرام بالتعفف والتزوم الاقتصاد على الحلال (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) الله كثيرهما من يذكر الله على جميع احواله وفى ذكر الكثرة دليل على مشروعية الاستكثار من ذكر الله سبحانه بالقلب واللسان والجميع ما تقدم هو قوله (أعد الله لهم مغفرة) لذنوبهم التى اذنبوها (واجرا عظيما) على طاعتهم التى فعلوها من الاسلام والايمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصوم والعفاف والذكر ووصف الاجر بالعظيم للدلالة على انه بالغ غاية المبالغ ولا شئ اعظم من اجره والجنة ونعيمها الدائم الذى لا ينقطع ولا ينفد اللهم اعف ذنوبنا واعظم اجرورنا وقد اخرج احمد والنسائى وابن جرير وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله فانه لاندكر فى القرآن كما تذكرو الرجال فلم يرعنى منه ذات يوم الا نداؤه على المنبر وهو يقول ان الله يقول ان المسلمين والمسلمات الآتية واخرج عبد بن حميد والترمذى وحسنه والطبرانى عن ام عمارة الانصارية انها اتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت ما ارى كل شئ الا الرجال وما ارى النساء يذكرن بشئ فترت هذه الآية وعن ابن عباس قال قالت النساء يا رسول الله ما باله يذكرك المؤمنات ولا يذكرك المؤمنات فترت هذه الآية اخرج الطبرانى وابن جرير وابن مردويه باسناد قال السيوطى حسن (وما كان) أى ماصح ولا استقام (للمؤمنين) ولا مؤمنة اذا حضى الله ورسوله امر ان يكون لهم الخيرة من أمرهم) قال القرطبي انظ ما كان وما ينبغي ونحوه ما معناها الحظر والمنع من الشئ والخبار بانه لا يحل شرعا

عظيما وقال ههنا والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنحزبنهم أحسن الذي كانوا يعملون (ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى امر جعكم فأتشركم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) يقول تعالى أمر اعباده بالاحسان الى الوالدين بعد الخش على التمسك بتوحيديه فان الوالدين هما سبب وجود الانسان ولهما اليد على الاحسان قالوا الدبال انفاق والوالدة بالاشفاق ولهذا قال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما

(٢٨٠)

وقل لهما ما قولوا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحهما كما ربياني صغيرا ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والاحسان اليهما في مقابلته احسانهما المتقدم قال وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما أي وان حرصا عليك ان تتابعهما اعلى دينهما اذا كانا مشركين فالك واياهما فلا تطعهما في ذلك فان امر جعكم الى يوم القيامة فأجزيك باحسانك اليهما واصبرك على دينك واحشرك مع الصالحين لاني زمرة ووالديك وان كنت أقرب الناس اليهما في الدنيا فان المرء انما يحشر يوم اقيامة مع من أحب أي حبا دينيا ولهذا قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين وقال الترمذي عند تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المنني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماعة بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن أبيه سعد قال نزلت في أربع آيات فذكر قصة وقال قالت أم سعد أليس الله قد أمرك بالبر والله لا أطعم

ان يكون وقد يكون لما يتبع عقلا كقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الآية انه لا يحل لمن يؤمن بالله اذ قضى الله أمرا ان يختار من امر نفسه ماشاء بل يجب عليه ان يذعن للقضاء ويوقف نفسه تحت ما قضاه الله عليه واختاره له ويجعل رأيه تبعاً لرأيه وجع الضمير في قوله لهم ومن امرهم لان مؤمنا ومؤمنة وقعا في سياق النفي فهما يعلمان كل مؤمن ومؤمنة قرئ ان يكون بالتحسية لانه قد فرق بين الفعل وفاعله المؤنث بقوله لهم مع كون التانيث غير حقيقي وقرئ بالثبوتية لانه مؤنث مسنداً الى الخيره وهى مؤنثة لفظاً والخيره مصدر بمعنى الاختيار ودل ذلك على ان الامر للوجوب وقرئ بسكون التحسية وبتحريرها ثم توعد سبحانه من لم يذعن لقضاء الله وقدره فقال (ومن يعص الله ورسوله) في امر من الامور ومن ذلك عدم الرضاء بالقضاء (فقد ضل ضلالاً مبيناً) أي ضل عن طريق الحق ضلالاً ظاهراً واضحاً لا يخفى فان كان العصيان عصباناً ردوا متناع عن القبول فهو ضلال كفر وان كان عصباناً فعل مع قبول الامر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطا وفسق عن ابن عباس قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انطلق ليخطب على فتاة زيد بن حارثة قد دخل على زينب بنت جحش الاسديفة فخطبها قالت لست بنا كخته قال بلى فاتكحبه قالت يا رسول الله أو امر نفسي فيبنيها ما يتحدنان انزل الله هذه الآية على رسوله قالت قدرضيته لى يا رسول الله منكها قال نعم قالت اذن لا اعصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد انكحته نفسي اخرجها ابن حريروا بن مردويه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزينب اني اريد ان ازوجك زيد بن حارثة فاني قد رضيت لك قالت يا رسول الله لكنى لا ارضاه لنفسى وانا ايم قومي وبت عمتك فلم اكن لان فعل فتزات هذه الآية وما كان مؤمن يعني زيدا ولا مؤمنة يعني زينب اذ قضى الله ورسوله امر اي معنى التكاح في هذا الموضوع ان تكون لهم الخيرة من امرهم بقول ليس لهم الخيرة من امرهم خلاف ما امر الله به قالت قد اطعمتك فاصنع ماشئت فزوجها زيدا ودخل عليها اخرجها ابن مردويه وعن ابن زيد قال نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وكانت اول امرأة عابرت فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي واخوها وقال انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزوجها عبده وكان تزوج زيد بن زب قبل الهجرة بنحو ثمان سنين وبعد ما طلق زيد بن زب زوجته

طعاماً ولا اشرب شراباً حتى أموت أو تكفر قال فكانوا اذا أرادوا ان يطعموهما سحر وافاها فنزلت ووصينا صلى الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية وهذا الحديث رواه الامام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي أيضاً وقال الترمذي حسن صحيح (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أؤذى في الله جعل فئسة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أو ليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلن الله الذين آمنوا وليعلن المنافقين) يقول تعالى مخبر عن صفات قوم من المكذبين من الذين يدعون الايمان بالنسبتهم ولم يثبت الايمان في قلوبهم بانهم اذا جاءتهم محنة وفتنة

في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نعمة الله تعالى بهم فارتدوا عن الاسلام ولهذا قال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله جعل قسنة الناس كعذاب الله قال ابن عباس يعني فتنته ان يرتد عن دينه اذا أؤذى في الله وكذا قال غيره من علماء السلف وهذه الآية كقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمان به وان أصابه قسنة انقلب على وجهه الى قوله ذلك هو الضلال البعيد ثم قال عز وجل ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أي ولئن جاء نصر قريب من ربك يا محمد وفتح ومغانم يقولن هؤلاء لكم انا كنا معكم أي اخوانكم في الدين كما قال تعالى (٢٨١) الذين يترصون بكم فان كان لكم فتح

من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين وقال تعالى فعسى الله ان يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصحبوا على ما أسروا في أنفسهم نار من وقال تعالى خبيرا عنهم ههنا ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم قال الله تعالى أوليس الله باعلم بما في صدور العالمين أي أوليس الله باعلم بما في قلوبهم وماتكنه ضمائرهم وان أظهروا لكم الموافقة وقوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين أي وليختبرن الله الناس بالضراء والسرا ليقيرهن هؤلاء من هؤلاء من يطيع الله في الضراء والسرا ومن يطيعه في حظ نفسه كما قال تعالى ولتبلونكم حتى تعلم الجاهدين منكم والصابرين وتبلوا أخباركم وقال تعالى بعدد قعة أحد التي كان فيها ما كان من الاختبار والامتحان ما كان الله ليذرا المؤمنين على ما أنتم عليه حتى غير الخبيث من الطيب الآية (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلا ولنحمل خطاياكم

صلى الله عليه وآله وسلم ام كاشوم بنت عتبة بن ابي معيط وكانت وحيث نفسها النبي صلى عليه وآله وسلم فزوجهما من زيد وكان زوجه قبلها أم أيمن وولدت له اسامة وكانت ولادته بعد البعثة ثلاث سنين وقيل بخمسة وفي شرح المواهب ان أم أيمن هي بركة الحبشية بنت ثعلبة أعتقها عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل بل أعتقها هو صلى الله عليه وآله وسلم وقيل كانت لامه اسلت قديما وهاجرت الهجرة تين مائت بعده صلى الله عليه وآله وسلم بخمسة أشهر وقيل بسنة ودات الآية على لزوم اتباع قضاء الآداب والسنة ودم التقليد والرأى وعدم خيرة الأمر في مقابلة النص من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وان كان السبب خاصا فان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب \* لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيد بن حارثة بن نيب بنت جحش كما أمر أنزل الله سبحانه (وأذتقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) هو زيد بن حارثة أنعم الله عليه بالاسلام وأنعم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بان أعتقه من الرق وكان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجاهلية وأعتقه وتبناه وسبأ في سبب نزول الآية ما يوضح المراد منها قال القرطبي وقد اختلف في تأويل هذه الآية فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم ابن جرير الطبري وغيره ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقع منه استحسان لزيد بن نيب بنت جحش وهي في عصمة زيد وكان حريصا على ان يطلقها لزيد فبتر وجهها ثم ان زيد المأخوذ به يريد فراقها وشكها منها غلظة القول وعصيان الأمر والأذى باللسان والتعظيم بالشرف قال له اتق الله فيما تقول عنها وأمسك عليك زوجك زيد وهو يخفي الحرص على طلاق زيد المأخوذ به الذي كان يخفي في نفسه وركنه فعل ما يجب عليه من الأمر بالمعروف قال علماءنا رحمه الله وهذا القول أحسن ما قيل في هذه الآية وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراغبين كالزهري والقاضي أبي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم انتهى ما قاله القرطبي لمخصرا (واتق الله) في أمرها ولا تجعل بطلاقها (وتخفي) الواو للعال أي والحال انك تخفي (في نفسك ما الله مبديه) وهونكاحها ان طلقها زيد وقيل حبها (وتخفي الناس) أي تستخيمهم أو تخاف من تعبيرهم ان يقولوا أمر مولاه بطلاق امرأته ثم تزوجها (والله أحق ان تخشاه) في كل حال وتخاف منه وتستخيه ولا تأمر زيدا

(٢٦ - فتح البيان سابع) وما هم بجاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون وليحملوا ثقلها هم وليستلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) يقول تعالى مخبرا عن كفار قريش انهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى ارجعوا عن دينكم الى ديننا واتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أي وآنا لكم ان كانت لكم آثام في ذلك علينا وفي رقابنا كما يقول القائل افعل هذا وخطيئتك في رقبتي قال الله تعالى تكذبا لهم وما هم بجاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون أي فيما قالوه انهم يتحملون عن أولئك خطاياهم فانه لا يحمل أحد وزرأ أحد قال الله تعالى وان تدع مشقة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى وقال تعالى

ولا يستل حميم حيا يصرونهم وقوله تعالى ولحملن أثقالهم وأثقالهم أثقألامع أثقالهم اجبار عن الدعاء الى الكفر والضلالة انهم يحملون يوم القيامة أوزاراً أنفسهم وأوزاراً آخر بسبب ما أضلوا من الناس من غير ان ينقص من أوزارهم شيئاً كما قال تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الآية وفي الصحيح من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه الى يوم القيامة من غير ان ينقص من اجورهم شيئاً ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثم من اتبعه الى يوم القيامة من غير ان ينقص من آثامهم شيئاً وفي الصحيح ما قتلت نفس ظمأ الا كان على ابن آدم الا اول كقل (٢٨٢)

بامسا كه زوجه بعد ان علمت الله انها تكون زوجتك فعاتبه الله على هذا قال بعضهم وماذ كروه في نفسهم ير هذه الآية من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وارادته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج وما لا يليق بمصهبه صلى الله عليه وآله وسلم واقدام عظيم من قائله وقوله معرفة بحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهى بنت عمته ولم يرل يراها منذ ولدت ولا كانت النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وآله وسلم وهو زوجها زيد فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ان يأمر زيد ابامسا كه او هو يجب تطلقه اياها قال وأصح ما في هذا الباب ما قال علي بن الحسين ان الله قد أعلمه انها ستكون من أزواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال انى أريد ان أطلقها قال له أمسك عليك زوجك فقال له تعالى وقال لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمت انما ستكون زوجتك قال الخطيب وهذا هو الاولى والايق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلم انه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى زوحنا كه اهلوكان الذى أضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محبتها أو ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر الله انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على انه اتعا عوتب على اخفاء ما علمه الله من انها ستكون زوجته وانما أخفى ذلك استخفاء ان يخبر زيد أن التى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتى قال الكرخى وهذا القول هو المنصور المعلوم عليه عند الجمهور وقال البغوى وهذا هو الاولى وان كان الآخر وهو انه أخفى محبتها ونكاحها لوطاقتها لا يتدح فى حال الانبياء لان العبد غير ملوم على ما يقع فى قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المآثم لان الود وميل النفس من طبع البشر انتهى ولهذا قال ابن عباس كان فى قلبه حبها وقال قتادة ودأبه لوطاقتها زيد قال الخازن وهذا قول حسن مرضى وكمن شئ يحتفظ منه الانسان ويستحى من اطلاع الناس عليه وهو فى نفسه مباح متسع وحلال مطلق لامقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول فى ذلك المباح سهما الى حصول واجبات يعظم أثرها فى الدين وهو انما جعل طلاق زيد لها وتزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم اياها لازالة حرمة النبي وابطال سنته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعياتهم (فلما قضى زيد منها وطرا) قضاء الوطر فى اللغة بلوغ منتهى ما فى

من دمها لانه اول من سن القتل وقوله تعالى وليستلن يوم القيامة عما كانوا يفترون أى يكذبون ويحتمل اقرون من البهتان وقد ذكر ابن أبى حاتم ههنا حديثا فقال حدثنا أبى حاتم حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا عثمان بن حفص ابن أبى العاتكة حدثنى سليمان بن حبيب المحاربى عن أبى أمامة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ ما أرسل به ثم قال اياكم والظلم فان الله يعزم يوم القيامة فيقول وعزنى وجلالى لا يجوزنى اليوم ظلم ثم شادى مناد فيقول أين فلان ابن فلان فأتى يتبعه من الحسنات أمثال الجبال فيشخص الناس اليها أبصارهم حتى يقوم بين يدى الرب عز وجل ثم يأمر المنادى فينادى من كانت له تباعة أو ظلامة عند فلان بن فلان فهلم فيقبلون حتى يجتمعوا قايما بين يدى الرحمن فيقول الرحمن اقضوا عن عبدى فيقولون كيف نقضى عنه فيقول خذوا لهم من حسناته فلا يزالون يأخذون منها حتى لا يبق منها حسنة وقد بقى من أصحاب الظالمات

فيقول اقضوا عن عبدى فيقولون لم يبق له حسنة فيقول من سياتهم فاحلوا عليه ثم فرغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحديث له عليه وسلم هذه الآية الكريمة وليحملن أثقالهم وأثقالهم ولا يستلن يوم القيامة عما كانوا يفترون وهذا الحديث له شاهد فى الصحيح من غير هذا الوجه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا أبو بشر الحذاء عن أبى جزة الشيبانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ان المؤمن يستل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن كل عينيه وعن فئات الطينة باصبعه فلا ألقيت فى يوم القيامة وأحد أسد منها آتاك الله منك (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه



فلبت فيهم ألف سنة الاخشين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناها وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين  
 هذه تسليمة (١) من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يخبره عن نوح عليه السلام أنه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم  
 الى الله تعالى ليلا ونهارا وسرا وجهارا ودمع هذا ما زادهم ذلك الاقرار عن الحق واعراضا عنه وتكذيبا له وما آمن معه منهم الا قليل  
 ولهذا قال تعالى فلبت فيهم ألف سنة الاخشين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون أي بعد هذه المدة الطويلة ما نجمع فيهم البلاغ  
 والاندراقات بما حمد لتأسف على من كفر بك من قومك ولا تحزن عليهم فان الله (٢٨٣) يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويبيده

الامر واليه ترجع الاموران الذين  
 حقت عليهم ككفرتك لا يؤمنون  
 ولوجانتهم كل آية الآية واعلم ان  
 الله سيظهرك وينصرك ويؤيدك  
 ويذل عدوك ويكبتهم ويجعلهم  
 أسفل السافلين قال حماد بن سلمة  
 عن علي بن زيد عن يوسف بن ماهك  
 عن ابن عباس قال بعث نوح وهو  
 لاربعين سنة ولبت فيهم ألف سنة  
 الاخشين عاما وعاش بعد الطوفان  
 ستين عاما حتى كثر الناس وفشوا  
 وقال قتادة يقال ان عمره كاه ألف  
 سنة الاخشين عاما لبت فيهم قبل  
 ان يدعوهم ثلثمائة سنة وبعثهم  
 ثلثمائة سنة ولبت بعد الطوفان  
 ثلثمائة سنة وخمسين عاما وهذا  
 قول غريب وظاهر السيات من  
 الآية انه مكث في قومه يدعوهم  
 الى الله ألف سنة الاخشين عاما  
 وقال عاون بن أبي شداد ان الله  
 تعالى أرسل نوحا الى قومه وهو ابن  
 خمسين وثلثمائة سنة فدعاهم ألف  
 سنة الاخشين عاما ثم عاش بعد  
 ذلك ثلثمائة وخمسين سنة وهذا  
 أيضا غريب رواه ابن أبي حاتم وابن  
 جرير وقول ابن عباس أقرب والله

النفس من الشيء يقال قضى وطرامنه اذا بلغ ما أراد من حاجته فيسه والمراد هنا انه قضى  
 وطره منها بنكاحها والدخول به بحيث لم يبق له فيها حاجة وتقاصرت عنه همته وطابت  
 عنها نفسه وقيل المراد به الطلاق لان الرجل انما يطلق امرأته اذا لم يبق له فيها حاجة وقال  
 المبرد الوطر الشهوة والحاجة وقال أبو عبيدة الوطر الارب والحاجة قال الامام أبو القاسم  
 عبد الرحمن السهيلي كان يقال زيد بن محمد حتى نزل ادعواهم لا تأبأهم فقال انا زيد بن حارثة  
 وحرم عليه أنا زيد بن محمد فلما تزعم هذا الشرف وهذا الفخر منه وعلم الله وحشته من ذلك  
 شرفه بخصيصه لم يكن يختص بها أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو انه  
 سماه في القرآن أي في هذه الآية فذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه  
 قرآنا يتلى في المحارب وتوهمه غاية التنويه فكان في هذا تأنيس له وعوض من الفخر يا نبي محمد  
 صلى الله عليه وآله وسلم ألا ترى الى قول أبي بن كعب حين قال له النبي صلى الله عليه وآله  
 وسلم ان الله أمرني ان أقرأ عليك سورة كذا فبكي وقال أذ كرت هنالك وكان بكاءؤه من  
 الفرح حيث ان الله تعالى ذكره فكيف بمن صار اسمه قرآنا يتلى بخالد الا يبلى يتلوه أهل الدنيا  
 اذا قرؤوا القرآن وأهل الجنة كذلك أبد الايزال على السنة المؤمنين كما لم يزل مذكورا على  
 الخصوص عند رب العالمين اذا قرآن كلام الله القديم وهو باق لا يبيد فاسم زيد في الصحف  
 المكرمة المرفوعة المطهرة يذكره في تلاوتهم السفرة الكرام البررة وليس ذلك لاسم من  
 أسماء المؤمنين الا النبي من الانبياء ولزيد بن حارثة تعويضا من الله له مما زعم منه وزاد في  
 الآية أن قال واذا تقول للذي أنعم الله عليه أي بالايان فدل على انه من أهل الجنة علم  
 ذلك قبل ان يموت وهذه فضيلة أخرى رضى الله تعالى عنه انتهى (زوجهنا كها) وقرئ  
 زوجهنا يعني ولم نخوجك الى ولي من الخلق يعقد لك عليها اشري فقالك ولها فإيا أعلمه الله  
 بذلك دخل عليها بغير إذن ولا عقد ولا تقدير صدق ولا شيء مما هو معتبر في النكاح في حق  
 أمته وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم التي لا يشار كفيها أحد باجماع  
 المسابن وكان تزوجه بزينا سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهي أول من مات  
 بعده من زوجاته الشريقات المطهرات ماتت بعده بعشر سنين عن ثلاث وخمسين سنة  
 وقيل المراد به الامر له بأن يتزوجها والاول أولى وبه جاءت الاخبار الصحيحة وقد أخرج  
 أحمدو البخاري والترمذي وغيرهم عن أنس قال جاء زيد بن حارثة يشكو زينا الى رسول

أعلم وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مجاهد قال قال الى ابن عمر مكث نوح في قومه قال قلت ألف سنة الاخشين عاما قال فان  
 (١) في بعض نسخ ابن كثير زيادة هنا نصها ذكر سبحانه وتعالى ابتلاء نوح بقومه ألف سنة الاخشين عاما وابتلاء قومه بطاعته فكذبوه  
 فإبلاههم الله بالغرق ثم بعده بالحرق ثم ذكرا ابتلاء ابراهيم بقومه وما ردوا عليه وابتلاءهم بطاعته ومتابعته ثم ذكرا ابتلاء لوط بقومه  
 وابتلاءهم به وما صار اليه أمره وأمرهم ثم ذكر ابتلاء شعيب بقومه وابتلاءهم به وما انتهت اليه حاله وحالهم ثم ذكرا ما ابتلى به عادا  
 وثمود وفارون وفرعون وهامان وجنودهما من الايمان به وعبادته وحده لا شريك له ثم ابتلاءهم بانواع العتوبات ثم ذكرا ابتلاءه رسوله  
 محمد أعظم المرسلين صلى الله عليه وسلم بانواع الكفار من الشركين واهل النفاق وامره ان لا يجادل أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن اه

الناس لم يزلوا في نقصان من أعمارهم وأحلامهم وأخلاقهم إلى يومك هذا وقوله تعالى فأنجيناها وأصحاب السفينة أي الذين آمنوا بنوح عليه السلام وقد تقدم ذلك منصلا في سورة هود وقد تقدم تفسيره بما أغنى عن إعادته وقوله تعالى وجعلناها آية للعالمين أي وجعلنا تلك السفينة باقية ما عمتها كما قاله قتادة أنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي وأبو يعقوب جعله للناس تذكرة لنعمة علي الخلق كيف أنجاهم زمن الطوفان كما قال تعالى وآية لهم أنما جعلنا ذريتهم في النمل المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون إلى قوله وما عالى حين وقال (٢٨٤) تعالى انما لطغى الماسجلناكم في الجارية لتجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية

الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اتق الله وأمسك عليك زوجك وفترت وتحقق في نفسك ما الله مبديه فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمأول على امرأته من نسائه ما أولم عليها إذ حج شاة وأطعم الناس خبزا ولحما حتى تركوه فكانت تتفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقول زوجي ~~أهل~~ أها ليكن وزوجي الله من فوق سبع سموات وكانت تقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جدي وجدك واحد وليس من نسائك من هي كذلك غسيري وقد أنكحنيك الله والسفير في ذلك جبريل قاله الخازن وقال عمر وابن مسعود ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية وقال أنس فلو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتماشيا لآية هذه الآية وكذا روى عن عائشة (التي لا يكون على المؤمنين حرج) أي ضيق ومشقة علة للتزويج وهو دليل على أن حكمه وحكم الأمة واحد إلا ما خصه الدليل (في أزواج أديعتهم) أي في التزوج بأزواج من يجعلونه إنا كما كانت تنعله العرب فأنهم كانوا يتبنون من يريدون وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تبنى زيد بن حارثة وكان يقال له زيد بن محمد حتى نزل قوله سبحانه أذعوهم لأبائهم وكانت العرب تعتقد أنه يحرم عليهم نساء من يتبنوه كما يحرم عليهم نساء آبائهم حقيقة والأدعياء جمع دعي وهو الذي يدعي ابنا من غير أن يكون ابنا عن الحقيقة فأخبرهم الله أن نساء الأدعياء حلال لهم (أذقوا منهن وطرا) بخلاف ابن الصلب فإن امرأته تحرم على أبيه بنفس العقد عليها (وكان أمر الله معولا) أي قضاؤه في أمر زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضاء ماضيا موجودا في الخارج لا محالة وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما تزوج زينب قالوا تزوج حليله ابنه فأنزل الله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتناه وهو صغير فلمت حتى صار رجلا يقال له زيد بن محمد فأنزل الله أذعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله يعني أعدل أخرجه الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبراني وغيرهم وأخرج أحمد ومسلم والنسائي وغيرهم عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزيد اذهب فاذكرها على فأنطلق قال فلما رأيتها عظمت في صدري فقلت يا زينب أذعري أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكرك قالت

وقال ههنا فأنجيناها وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وهذا من باب التدريج من الشخص إلى الجنس كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أي وجعلنا نوعها رجوما فإن التي يرمى بها ليست هي زينة لسماء وقال تعالى وأنقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ولهذا نظائر كثيرة وقال ابن جرير لو قيل إن الضمير في قوله وجعلناها عائد إلى العتوب لكان وجهها والله أعلم (أبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون اغناكم بعدون من دون الله أو ثانا وتحلقون افكا إن الذين يعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وأشكروا لله ليس ترجعون وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين) يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليفه إبراهيم إمام الخفاء أنه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له والاخلاص له في اتقوا وطلب الرزق منه وحده لا شريك له

وتوحيده في الشكر فإنه المشكور على التمسك لأمسدي لها غيره فقال لقومه اعبدوا الله واتقوه أي أخلصوا لله العبادة ما أنا والخوف ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون أي إذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة ثم أخبر تعالى أن الأصنام التي يعبدونها والأوثان لا تضر ولا تنفع وإنما اخترتكم أنتم لها أسماء فسميت مومنا آلهة وانما هي مخلوقة من ذلكم هكذا رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد والسدي وروى الواجب عن ابن عباس وتصنعون افكا أي تصنعونها أصناما وبه قال مجاهد في رواية وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله وهي لا تملك لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وهذا بلغ في الحصر كقوله إنك تعبدوا إنك تستعز رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ولهذا قال فابتغوا أي فاطلبوا عند الله

الرزق أى لا عند غيره فان غيره لا يملك شيئاً واعبدوه واشكروا له أى كلوا من رزقه واعبدوه وحده واشكروا له على ما أنعم به عليكم اليه ترجعون أى يوم القيامة فيجازى كل عامل بعمله وقوله تعالى وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم أى قبلكم أى قبل بعثكم ما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل وما على الرسول الا البلاغ المبين يعنى انما على الرسول ان يبلغكم ما أمره الله تعالى به من الرسالة والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فاحرصوا لانفسكم ان تكونوا من السعداء وقال قتادة في قوله وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم قال يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا من قتادة يقتضى انه قد (٢٨٥) انقطع الكلام الاول واعترض بهذا الى قوله

فما كان جواب قومه وهكذا نص على ذلك ابن جرير أيضاً والظاهر من السياق ان كل هذا من كلام ابراهيم الخليل عليه السلام يحتاج عليهم لاثبات المعاد لقوله بعد هذا كله فما كان جواب قومه والله أعلم (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء والله يقبلون وما أنتم بحجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله وأنتائه أو نكثت يسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم) يقول تعالى مخبراً عن الخليل عليه السلام انه أرشدهم إلى اثبات المعاد الذي ينكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله اياهم بعد ان لم يكونوا شيئاً مذكوراً ثم وجدوا وواصروا أناساً سامعين مبصرين فالذي بدأ هذا قادر على اعادته فانه سهل عليه يسير لديه ثم أرشدهم الى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله الاشياء السموات وما

ما أنابا صناعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت الى مسجد ها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودخل عليها بغير اذن ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أطمعنا الخبز واللحم فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتبعته فجعل يتبع حجراً نساءه يسلم عليهن ويقفن يا رسول الله كيف وجدت أهالك فما أدري أنا أخبرته ان القوم قد خرجوا أو أخبر فانطلق حتى دخل البيت فنذهبت ادخل معه فالتقى الستري بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الآية ثم بين سبحانه انه لم يكن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرج في هذا النكاح فقال (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أى فيما أحل الله له وقدره وقضاه يقال فرض له كذا أى قدر له (سنة الله) أى سن الله ذلك سنة أو اسم وضع موضع المصدر قاله الزمخشري أو مصدر كصنع الله ووعد الله (في الذين خلوا من قبل) أى ان هذا هو السنن الاقوم في الانبياء والامم الماضية ان ينالوا ما أحله الله لهم من أمر النكاح وغيره توسعة عليهم ثم فكان لهم الحرائر والسراري عن كعب القرظي قال يعنى يتزوج من النساء ما شاء هذا فريضة وكان من قبل من الانبياء هذا سنتهم قد كان لسليمان بن داود أنف امرأة منها ثلثمائة مربية وكان لداود مائة امرأة وقال ابن جرير المخرج الذين خلوا هم داود والمرأة التي نكح وزوجها واسمها اليسبية فذلك سنة في محمد وزينب (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أى قضاء مقضيا وحكم مقبوتا وهو كظلم ظليل وليل ووروض أريض في قصد التأكيد والقضاء الارادة الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه والقدر عبارة عن ايجاده اياها على تقدير مخصوص معين لكن كل منهما يستعمل بمعنى الآخر فالمراد ايجاد ما تعلق به الارادة قاله الشهاب ثم ذكر سبحانه الانبياء الماضين وأثنى عليهم فقال (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه) مدحهم سبحانه بتبليغ ما أرسلهم به الى عباده وخشيته في كل فعل وقول (ولا يخشون أحداً الا الله) أى سواه ولا يباليون بقول الناس ولا بتعيرهم فيما أحل الله لهم بل خشيتهم مقصورة على الله سبحانه (وكفى بالله حسيباً) حاضر افي كل مكان حافظاً لعمال خلقه يكفي عباده كل ما يخافونه أو يحاسبهم في كل شئ ولما تزوج صلى الله عليه وآله وسلم زينب قال الناس امرأة ابنه فأنزله الله (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) أى ليس هو صلى

فيها من الكواكب النيرة النوابت والسيارات والارضين وما فيها من مهاد وجبال وأودية وبراري وقنار وأشجار وأنهار وعمار وجمار كل ذلك دال على حدوتها في أنفسها وعلى وجود صانعها افاعل المختار الذي يقول للشئ كن فيكون ولهذا قال أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير كقوله تعالى وهو الذي يبدئ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ثم قال تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة أى يوم القيامة ان الله على كل شئ قدير وهذا المقام شبيه بقوله تعالى سنزيمهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وكقوله تعالى أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون وقوله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء أى هو الحاكم المتصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم

ما يريد لامعقب حكمه ولا يستل عما يفعل وهم يستلون فله الخلق والامر مهمما فعل فعديل لانه المالك الذي لا ينظم مشقال ذرة كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم وهذا قال تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقبلون أي ترجعون يوم القيامة وقوله تعالى وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء أي لا يعجزه أحد من أهل سمواته وأرضيه بل هو القاهر فوق عباده فكل شيء خائف منه فقير اليه وهو الغني عما سواه وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه (٢٨٦) أي سجودها وكفروا بالمعاد أولئك يدسوا من رحمتي أي لا نصيب لهم فيها

الله عليه وآله وسلم بأب زبدين حارثة على الحقيقة حتى تحرم عليه زوجته ولا هو أب لأحد لم يلد له قال الواحدى قال المفسرون لم يكن أباً أحد لم يلد له وقد ولد له من الذكور ابراهيم والقاسم والطيب والمطهر قال القرطبي ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلاً قال وأما الحسن والحسين فكانا طفلين ولم يكونا رجلين معاصرين له قال النسفي وكل رسول أبو أمته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لاني سأير الاحكام النابتة بين الأباء والابناء وزيدوا أحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم بهم والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير (ولكن رسول الله) قال الاخفش والفراء ولكن كان رسول الله وأجاز الرفع وكذا قرأ ابن أبي عمير بالرفع في رسول وفي خاتم على معنى ولكن هو رسول الله (وخاتم النبيين) وقرأ الجمهور بتخفيف لكن ونصب رسول وخاتم ووجه النصب على خبرية كان المقدرة كما تقدم ويجوز ان يكون بالعطف على أباً أحد وقرئ بتشديد لكن ونصب رسول على أنه اسمها وخبرها محذوف أي ولكن رسول الله هو وقرأ الجمهور وخاتم بكسر التاء وقرئ بفتحها ومعنى الاولى انه ختمهم أي جاء آخرهم ومعنى الثانية انه صار كاخاتم لهم الذي يحتضرون به ويتزينون بكونه منهم وقيل كسر التاء وفتحها العتان قال أبو عبيدة الوجه الكسر لان التاويل انه ختمهم فهو خاتمهم وانه قال أنا خاتم النبيين وخاتم النبيين ومنه قولهم خاتم المسك وقال الحسن الخاتم هو الذي ختم به والمعنى ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده ولا معه قال ابن عباس يريد لولم أختم به النبيين جعلت له ابناً يكون بعده نبياً وعنه ان الله لما حكم ان لاني بعده لم يعطه ولداً ذكر يصير رجلاً وعيسى ممن نبي قبله وحين ينزل عامل على شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانه بعض أمته (وكان الله بكل شيء عليماً) قد أحاط علمه بكل شيء ومن جملة معلوماته هذه الاحكام التي ذكرت هنا أخرج أحمد ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلي مثل النبيين كمثل رجل بنى داراً فانتهى الى لبنة واحدة فجئت أنا فاتممت تلك اللبنة وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى داراً فانتهى الى لبنة واحدة فجئت أنا فاتممت تلك اللبنة حتى ختمت النبيين وأخرج الشيخان من ما أحسنها الاموضع اللبنة فانما موضع اللبنة حتى ختمت النبيين وأخرج الشيخان من

وأولئك لهم عذاب أليم أي موجه شديد في الدنيا والآخرة (قيا) كان جواب قومه الآن قالوا اقتلوه أو حرّقه فأنجاه الله من النار ان في ذلك لايات اتسوم يومنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً وماؤاكم النار وما لكم من ناصرين) يقول تعالى محذراً عن قوم ابراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ودفعهم الحق بالباطل انهم ما كان لهم جواب بعدمقالة ابراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان الآن قالوا اقتلوه أو حرّقه وذلك لانهم قام عليهم البرهان وتوجهت عليهم الحجية فعدلوا الى استعمال جاههم وقوة ملكهم فقتلوا ابناؤا فآلقوه في الجحيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاستغنين وذلك انهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة وحوتوا واحداً ولها ثم أضرموا فيها النار فارتفع لها الهب الى عنان السماء ولم توقد نار قط أعظم منها ثم عدوا الى ابراهيم فكتفوه وألقوه

في كفة المتخنيق ثم قدفوه فيها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً وخرج منها سالماً بعد ما مكث فيها أياماً ولهذا وأمثاله حديث جعله الله للناس اماماً فانه بدل نفسه للرجن وجسده للنيران وسخاؤا ولده للقربان وجعل ماله للضيقات ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الاديان وقوله تعالى فأنجاه الله من النار أي سلمه منها بان جعلها عليه برداً وسلاماً ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا يقول لقومهم مقرعاً عليهم وموئجاً على سوء صنيعهم في عبادتهم للاوثان انما اتخذتم هذه لتجسّموا على عبادتكم في الدنيا صدقة وألقتهم منكم بعضكم بعضاً في الحياة الدنيا وهذا على قراءة من نصب مودة بينكم على انه معمول له وأما على قراءة الرفع فعناه انما اتخذكم هذا يحصل لكم المودة في الدنيا فقط ثم يوم القيامة ينعكس هذا

الحال فتبقى هذه الصداقة والمودة بغضة وشنا تان ثم يكفر بعضكم ببعض أي تتجادون ما كان بينكم ويلعن بعضكم بعضا أي يلعن الاتباع المتبوعين والمتبوعون الاتباع لكما دخلت أمة لعنت أختها وقال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال ههنا يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماؤاكم النار الآية أي ومصيركم وممر جعكم بعد عرصات القيامة الى النار وما لكم من ناصر ينصركم ولا منفذ ينقذكم من عذاب الله وهذا حال الكافرين فاما المؤمنون فبخلاف ذلك قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي حدثنا ابو عاصم الثقفي الربيع (٢٨٧) بن سليمان بن عمرو بن سعيد بن جعدة بن

هيرة المخزومي عن أبيه عن جده عن أم هانئ أخت علي بن أبي طالب قالت قال لي النبي صلى الله عليه وسلم أخبرك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد في بدرى أين الطرفين قالت الله ورسوله اعلم ثم نادى مناد من تحت العرش يا أهل التوحيد فبشر تبون قال أبو عاصم يرفعون رؤسهم ثم نادى يا أهل التوحيد ثم نادى الثالثة يا أهل التوحيد ان الله قد عفا عنكم قال فيقوم الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظلمات الدنيا يعني المظالم ثم نادى يا أهل التوحيد لعن بعضكم عن بعض وعلى الله التواب (فأمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخر قلن الصالحين) يقول تعالى محمدا بن ابراهيم انه آمن له لوط يقال انه ابن أخى ابراهيم يقولون هو لوط بن هاران بن آزر يعنى ولم يؤمن به من قومه سواء وسارة امرأة الخليل لكن يقال كيف الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الوارد فى الصحيح ان ابراهيم حين مر على ذلك الجبار فسأل ابراهيم عن سارة ما هى منه فقال أختى ثم جاء اليها فقال لها انى قد قلت له انك أختى فلا تكذبنى فانه ليس على وجه الارض مؤمن غيرك وغيرى فأتت أختى فى الدين وكان المراد من هذا والله أعلم انه ليس على وجه الارض زوجان على الاسلام غيرى وغيرك فان لوطا عليه السلام آمن به من قومه وهاجر معه الى بلاد الشام ثم أرسل فى حياة الخليل الى أهل سدوم واقليها وكان من أمرهم ما تقدم وما سأتى رقبته تعالى وقال انى مهاجر الى ربى يحتمل عود الضمير فى قوله وقال انى مهاجر على لوط لانه هو أقرب المذكورين ويحتمل عوده الى ابراهيم قاله ابن عباس والضحاك وهو المذكى

حديث أبي هريرة نحوه وأخرج أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي بن كعب نحوه أيضا (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) أمر سبحانه عباده بان يستكثروا من ذكره بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير وكل ما هو ذكركه تعالى قال مجاهد هو أن لا ينساه أبدا وقال الكلبي ويقال ذكرا كثيرا بالصالحات الحسن وقال مقاتل هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال وقال ابن عباس فى الآية لم يفرض على عباده فريضة الاجل لها أجل معلوما ثم عذرا أهله فى حال العذر غير الذكركه فان الله لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذرا حدا فى تركه لا مغلوبا على عقله فقال اذكروا الله قياما وقيودا وعلى جنودكم بالليل والنهار فى البر والبحر فى السر والنجوى فى الغنى والفقر فى الصحة والسقم فى السر والعلانية وعلى كل حال وقد ورد فى فضل الذكركه والاستكثار منه أحاديث كثيرة وقد صنف فى الاذكار المتعلقة بالليل والنهار جماعة من الأئمة كالسائق والنورى والجزرى وغيرهم وقد نطقت الآيات القرآنية بفضل الذكركه من فضيلة الذكركه واذكركه الله أكبر وقد ورد انه أفضل من الجهاد كما فى حديث أبي سعيد الخدرى عند أحمد والترمذي والبيهقى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذى ذكر الله كثيرا قالت يا رسول الله ومن الغايزين فى سبيل الله قال لوضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى يتكسر ويتخضب ما لكان الذى ذكره أفضل منه درجة وأخرج أحمد عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا نبشركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من أعتاها الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدواكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما هو يا رسول الله قال ذكركه عز وجل وأخرج أيضا الترمذي وابن ماجه وفى صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذى ذكره كثيرا والذاكرات وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقى عن أبي سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قازا كثيرا حتى يقولوا سبحون وأخرج الطبرانى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذكروا الله حتى يقول المنافقون انكم مراون (وسبحوه بكرة وأصيلا) أى نزوه عمالا يلق به فى وقت البكرة

الحديث الوارد فى الصحيح ان ابراهيم حين مر على ذلك الجبار فسأل ابراهيم عن سارة ما هى منه فقال أختى ثم جاء اليها فقال لها انى قد قلت له انك أختى فلا تكذبنى فانه ليس على وجه الارض مؤمن غيرك وغيرى فأتت أختى فى الدين وكان المراد من هذا والله أعلم انه ليس على وجه الارض زوجان على الاسلام غيرى وغيرك فان لوطا عليه السلام آمن به من قومه وهاجر معه الى بلاد الشام ثم أرسل فى حياة الخليل الى أهل سدوم واقليها وكان من أمرهم ما تقدم وما سأتى رقبته تعالى وقال انى مهاجر الى ربى يحتمل عود الضمير فى قوله وقال انى مهاجر على لوط لانه هو أقرب المذكورين ويحتمل عوده الى ابراهيم قاله ابن عباس والضحاك وهو المذكى

عنه بقوله فآمن له لوط أي من قومه ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم ابتغاء الظهار الدين والتكهن من ذلك ولهذا قال انه هو العزيز الحكيم أي له العزة ورسوله وللمؤمنين به الحكيم في أقواله وأفعاله واحكامه القدرية والشرعية وقال قتادة هاجر اجمعاً من كوثى وهي من سواد الكوفة الى الشام قال وذكرنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال انها ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز أهل الارض الى مهاجر ابراهيم ويبقى في الارض شرار أهلها حتى تلفظهم أرضهم وتقدرهم روح الله عز وجل وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تبت (٢٨٨) معهم اذا باؤوا وتقبل معهم اذا قالوا وتأكل ماسقط منهم وقد أسند الامام

أحمد هذا الحديث فرواه مطولاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب قال لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية قدمت الشام فاخبرت بمقام يقومه نوف البكالي فثمنه اذا جاز رجل فابتد الناس عليه خبصة واذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون هجرة بعد هجرة فينحاز الناس الى مهاجر ابراهيم لا يبقى في الارض الا شرار أهلها فلنظفهم بأرضهم تقدرهم نفس الرحمن تحشرهم النار مع القردة والخنازير فتبيت معهم اذا باؤوا وتقبل معهم اذا قالوا وتأكل من تخلف منهم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج أناس من أمتي من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع كلما خرج منهم قرن قطع حتى عدها زيادة على عشرين مرة كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم

ووقت الاصيل وهما أول النهار وآخره وتخصيهما بالذكر كما يزيد ثواب التسبيح فيما وخصر التسبيح بالذكر بعد دخوله تحت عموم قوله اذكروا الله تنبيه على من يبدشرفه وانافة ثوابه على غيره من الاذكار وقيل المراد بالتسبيح بكرة صلاة الفجر والتسبيح أصيلة صلاة المغرب وقال قتادة وابن جرير المراد صلاة الغداة وصلاة العصر وقال الكلبى اما بكرة فصلاة الفجر واما أصيلة فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء \* قال المبرد والاصيل العشى وجمعه أصائل وقد ورد في فضل التسبيح بخصوصه أحاديث ثابتة في الصحيحين وغيرهما في ذلك حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قال في يوم مائة مرة سبحان الله وبحمده حطت خطاياها ولو كانت مثل زبد البحر وأخرج أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص قال تكلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لنا أيعجز أحدكم أن يكتب كل يوم ألف حسنة فقال رجل كيف يكتب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة وقيل معنى سجوده قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد في نسخة العلى العظيم فعبر بالتسبيح عن اخواته والمراد بقوله كثير اهذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث (هو الذي يصلى عليكم وملائكته) الصلاة من الله على العباد درجة لهم وبر كته عليهم ومن الملائكة الدعاء لهم والاستغفار كما قال ويستغفرون للذين آمنوا قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حبان المعنى ويأمر ملائكته بالاستغفار لكم والجللة مستأنفة كالتعادل لما قبلها من الامر بالذكروا التسبيح وقيل الصلاة من الله على العبد دهي اشاعة الذكركر الجليل في عباده وقيل الثناء عليه وعطف ملائكته على الضمير المستكن في يصلى لوقوع الفصل بقوله عليكم فاعنى ذلك عن التاكيد بالضمير المنصل والمراد بالصلاة هنا معنى مجازي يعنى صلاة الله بمعنى الرحمة وصلاة الملائكة بمعنى الدعاء التلايجمع بين حقيقة ومجاز في كلمة واحدة واللام في قوله يخرج حكم من الظلمات الى النور) متعلق بيصلى أى يعنى باسموركهم هو وملائكته يخرجكم من ظلمات المعاصى الى نور الطاعات ومن ظلمة الضلالة الى نور الهداية ومعنى الآية تثبت المؤمنين على الهداية ودوامهم عليها لانهم كانوا وقت الخطاب على الهداية قال الحنفى اوى جمع الاول امدداً أنواع الكفر وأقرد الثاني لان الايمان شئ واحد لا تعدد فيه ثم أخبر سبحانه

ورواه احمد عن أبي داود وعبد الصمد كلاهما عن هشام الدستوائى عن قتادة به وقدر واه أبو داود برجته

في سننه فقال في كتاب الجهاد باب ما جاء في سكنى الشام حدثنا عبد الله بن عمر حدثنا معاذ بن هشام حدثنى (١) عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة وينحاز أهل الارض الى مهاجر ابراهيم ويبقى في الارض شرار أهلها تلفظهم أرضهم وتقدرهم نفس الرحمن تحشرهم النار مع القردة والخنازير وقال الامام احمد حدثنا يزيد اخبرنا ابو حبيب بن ابي حية عن شهر بن حوشب قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول اقدرنا يتنا

(١) يبايض بأصله ولعله سقط من السند رجل من الرواة فخره من النسخ المعتمدة اه

وما صاحب الدينار والدوهم بأحق من أخيه المسلم ثم أقدر أئتنا بحرة الآن والدينار والدوهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم  
 ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لئن أنتم أتبعتم أذناب البقر وتباعدتم بعينه وتركتم الجهاد في سبيل الله ليزنكنكم  
 الله مذلة في أعناقكم لا تنزع منكم حتى ترجعوا إلى ما كنتم عليه وتتوبوا إلى الله تعالى وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
 لتكونن هجرة بعد هجرة إلى مهاجر أياكم إبراهيم حتى لا يبق في الأرض الأشتر أهلها وتلفظهم أرضوهم وتقدرهم روح الرحمن  
 وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تقبل معهم حيث (٢٨٩) ذالوا وتميت معهم حيث يبستون وما سقط منهم فلها

واقدمت رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يقول يخرج قوم من  
 أمي يسيئون الأعمال يقرؤن  
 القرآن لا يجاوز حناجرهم قال يزيد  
 لأعلمه الأقال يحقر أحدكم علمه مع  
 علمهم يقتلون أهل الإسلام فإذا  
 خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا  
 فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم  
 فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه  
 وكلما طلع منهم قرن قطعه الله فردد  
 ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 عشر من مرة أو أكثر وأنا سمع  
 وقال الحافظ أبو بكر البيهقي حدثنا  
 أبو الحسن بن الفضل أخبرنا عبد  
 الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن  
 سفيان حدثنا أبو النضر اسحق بن  
 إبراهيم بن يزيد وهشام بن عمار  
 الدمشقيان قال حدثنا يحيى بن حمزة  
 حدثنا الأوزاعي عن نافع وقال أبو  
 النضر عن حمدة عن نافع عن عبد  
 الله بن عمران رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم قال سبوا أهل الأرض  
 هجرة بعد هجرة إلى مهاجر إبراهيم  
 حتى لا يبق في الأرض أهلها تلفظهم  
 الأرضون وتقدرهم روح الرحمن  
 وتحشرهم النار مع القردة والخنازير

برحمته للمؤمنين تأنيسا لهم وتثبيتا فقال (وكان بالمؤمنين رحيمًا) وفي هذه الجملة تقرير  
 لمضمون ما تقدمها ثم بين سبحانه أن هذه الرحمة منه لا تخص السامعين وقت الخطاب بل  
 هي عامة لهم ولمن بعدهم وفي الدار الآخرة فقال (تحية يوم يلقونه سلام) أي تحية  
 المؤمنين من الله سبحانه يوم لقاؤهم له عند الموت أو عند البعث وعند دخول الجنة أي  
 التسليم عليهم منه عز وجل يقول الله تبارك وتعالى السلام عليكم وقيل المراد تحية  
 بعضهم لبعض يوم يلقونهم سلام وذلك لأنه كان بالمؤمنين رحيمًا فلما علمتهم رحمة  
 وأمنوا من عقابه حبا بعضهم ببعض سرورا واستبشارا والمعنى سلامة لنا من عذاب النار  
 قال الزجاج المعنى فيسلمهم الله من الآفات ويبشرهم بالأمان من المخافات يوم يلقونه وقيل  
 الضمير في يلقونه راجع إلى ملك الموت وهو الذي يحييهم كما ورد أنه لا يقبض روح مؤمن  
 إلا سلم عليه قاله البراء بن عازب وقال ابن مسعود إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن  
 قال ربك يقرئ السلام وقال مقاتل هو تسليم الملائكة عليهم يوم يلقون الرب كما في قوله  
 والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم (وأعد لهم أجرا كريما) أي في الجنة  
 أو أعد لهم في الجنة رزقا حسنا ما تشبهه أنفسهم وتلذذه أعينهم وهذا بيان لآثار رحمة  
 تعالى الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمة الوالدة اليهم قبل ذلك ثم  
 ذكر سبحانه صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي أرسلها فقال (يا أيها النبي انا  
 أرسلناك شاهدا) أي على أمته يشهد لمن صدقه وأن به على من كذبه وكفر به قال  
 مجاهد شاهد على أمته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم اليهم (ومبشرا)  
 للمؤمنين برحمة الله وبالجنة وبما أعد لهم من جزيل الثواب وعظيم الاجر ونذيرا  
 للكافرين والعاصقين بالآثار وبما أعد الله لهم من أليم العقاب (وداعيا إلى الله) يدعو عباده  
 الله إلى التوحيد والإيمان بما جاء به والعمل بما شرع لهم ومعنى (بانه) باهره بذلك  
 وتقديره وقيل بتبليغه قاله الكرخي وغيره (وسراجا منيرا) يستضاء به في ظلم الضلالة كما  
 يستضاء بالمصباح في الظلمة قال الزجاج وسراجا أي سراج منيرا أي كتاب نير وهو القرآن  
 وانما شبه الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالسراج دون الشمس مع أنها أتم لأن المراد  
 بالسراج هنا الشمس كما قال تعالى وجعل الشمس سراجا وشبه بالسراج لأنه تفرع منه  
 جهدياته جميع العلماء كما يتفرع من السراج سراج لا تحصى بخلاف الشمس (وبشرا

(٣٧ - فتح البيان سابع) تبت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا لها ما سقط منهم غريب من حديث نافع  
 والظاهر أن الأوزاعي قدر واه عن شيخ له من الضعفاء وانه أعلم وروايته من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أقرب إلى الحفظ  
 وقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب كقوله فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا أي أنه  
 لما فارق قومه أقر الله عينه بوجود ولد صالح نبي وولده ولد صالح نبي في حياته جسدته وكذلك قال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب  
 نافلة أي زيادة كما قال تعالى فبشرنا بها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب أي يولد لهذا الولد ولد في حياته كما تقر به أعيانكم كما كون

يعقوب ولد لامحق نص عليه القرآن وثبتت به السنة النبوية قال الله تعالى أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل وإلهك والها واحد الآية وفي الصحيحين أن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن أمحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام فاما ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله ووهبنا له إسحق ويعقوب قال هـ ما ولد إبراهيم فعنه ان ولد الولد بمنزلة الولد فان هذا الامر لا يكاد يخفى على من هو دون ابن عباس وقوله تعالى وجعلنا (٢٩٠) في ذريته السبوة والكتاب هـ هذه خلعة سنوية عظيمة مع اتحاد الله اياه خليلا

وجهه للناس اماما أن جعل في ذريته النبوة والكتاب فلم يوجدني بعد إبراهيم عليه السلام الا وهو من سلالة بجميع انبياء بني اسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحق بن إبراهيم حتى كان آخرهم عيسى بن مريم فقسام في ملتهم بمبشر بالنبى العربي القرشي الهاشمي خاتم الرسل على الاطلاق وسيد ولد آدم في الدنيا والآخر الذي اصطناه الله من سميم العرب العربي من سلالة اسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام ولم يوجدني من سلالة اسمعيل سواه علمه أفضل الصلاة والسلام وقوله وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين أي جمع الله من سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهني والمنزل الرحب والمورد العذب والزوجة الحسنة الصالحة والثناء الجليل والذكر الحسن وكل أحدي حبه ويتولاه كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه كما قال تعالى وإبراهيم الذي وفى أي قام بجميع ما أمر به

المؤمنين) عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل فراقب أحوال الناس وبشر المؤمنين من أممك (بان لهم من الله فضلا كبيرا) على مؤمنى سائر الامم في الرتبة والشرف وزيادة على أجور أعمالهم بطريق التفضل والاحسان وقد بين ذلك سبحانه بقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير عن ابن عباس قال لما نزلت يا أيها النبي الآية وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم أمر عليا ومعاذ ان يسيرا الى اليمن فقال انظروا فبشروا ولا تنفروا يسرا ولا تعسرا فانهم اقدأترأت على يا أيها النبي اننا أرسلناك الآية وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي اننا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرز اللاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح و زاد أحدون يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح بها أعين أعما وآذانها ما وقلوبها غلغا وقد ذكر البخارى في صحيحه في البيوع هذا الحديث فقال وقال سعيد بن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام ولم يقل عبد الله بن عمرو وهذا أولي فعبد الله بن سلام هو الذي كان يسئل عن التوراة فيخبر بما فيها ثم نهاه سبحانه عن طاعة أعداء الدين فقال (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فيما يشيرون به عليك من المداهنة في الدين والمداورة في أمر الدعوة ومن استعمال ابن الجاني في التبليغ وفي الآية تعرض لغير من أمته لانه صلى الله عليه وآله وسلم معصوم عن طاعتهم في شئ مما يريدونه ويشيرون به عليه وقد تقدم تفسير هذه الآية في أول السورة (ودع اذاهم) أي لا تبال بما يصدر منهم اليك من الاذى بسبب تصلبك في دين الله وشدتك على أعدائه أو دع ان تؤذيهم أنت مجازاة لهم على ما يفعلونه من الاذى لك فالصدر على الاول مضاف الى الفاعل وعلى الثاني مضاف الى المفعول قيل هي منسوخة بآية الشيف (وتوكل على الله) في كل شؤنك (وكفى بالله وكيلًا) توكل اليه الامور وتفوض اليه الشؤن فمن فوض اليه اموره كناه ومن وكل اليه أحواله لم يحتج فيها الى سواه ولما ذكر سبحانه قصة زيد وطلاقه لزينا وكان قد دخل بها وخطبها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد انقضاء عدتها كما تقدم خاطب

وكل طاعة ربه ولهذا قال تعالى وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وكما قال تعالى ان إبراهيم كان أمة فالتنا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى قوله وانه في الآخرة لمن الصالحين (ولو طأذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين انكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا اتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين) يقول تعالى مخبرا عن نبيه لوط عليه السلام انه أنكر على قومه سوء صنيعهم وما كانوا يفعلونه من قبيح الاعمال في اتيانهم الذكر ان من العالمين



ولم يسبقهم الى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم وكانوا مع هذا يكفرون بالله تعالى ويكذبون رسوله ويخالفون ويضطعون السبيل  
 أي يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم وتأتون في ناديتكم المنكر أي يتعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في  
 مجالسهم التي يجتمعون فيها لا ينكر بعضهم على بعض شيأ من ذلك فن قائل كانوا يأتون بعضهم بعضا في الملاقاة مجاهدين قائل  
 كانوا يضارطون ويتضاحكون قائلة عائشة رضي الله عنها والقاسم ومن قائل كانوا يناطعون بين الكاش ويناقرون بين الدولة  
 وكل ذلك كان يصدر عنهم وكانوا من ذلك وقال (٢٩١) الامام أحمد حدثنا حماد بن اسامة أخبرني حاتم بن أبي

صغيرة حدثنا سمك بن حرب عن  
 أبي صالح مولى أم هانئ عن أم هانئ  
 قالت سألت رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم عن قوله تعالى وتأتون في  
 ناديتكم المنكر قال يجذفون أهل  
 الطريق ويسخرون منهم وذلك  
 المنكر الذي كانوا يأتونه ورواه  
 الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم  
 من حديث أبي اسامة حماد بن  
 اسامة أبي يونس القشيري عن حاتم  
 ابن أبي صغيرة به ثم قال الترمذي  
 هذا حديث حسن لا يعرفه الامن  
 حديث حاتم بن أبي صغيرة عن  
 سمك وقال ابن أبي حاتم حدثنا  
 الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير  
 عن عمرو بن قيس عن الحكم عن  
 مجاهد وتأتون في ناديتكم المنكر قال  
 الصنبر وأعب الحمام والجلايق  
 والسؤل في المجلس وحل أزرار القباء  
 وقوله تعالى فما كان جواب قومه  
 الا ان قالوا اتينا بعذاب الله ان كنت  
 من الصادقين وهو ما كان كفرهم  
 واستمراءهم وعنادهم ولهذا  
 استنصر عليهم نبي الله فتعال رب  
 انصرني على القوم المنسدين ولما  
 جاءت رسلا ابراهيم بالبشر اقلوا انا  
 مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوط قالوا نحن أعلم بغيرهم لتخيئنا وأهل الامر أنه كانت من الغابرين  
 ولما ان جاءت رسلا لوطا سيء بهم وضاق بهم زرعوا قالوا لا تخف ولا تحزن انما نحن بولك وأهلك الامر أمك كانت من الغابرين انا  
 منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون واتدثر كذبها آية بينة لقوم يعقلون لما استنصر لوط عليه  
 السلام عليهم بعث الله لضرته ملائكة فمروا على ابراهيم عليه السلام في هيئة اصياف فجاءهم بما ينبغي للضيف فلما رأى ابراهيم انه  
 لا همة لهم الى الطعام نكروهم وأوجس منهم خيفة فشرعوا يوائسونه ويشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة وكانت حاضرة

المؤمنين ميبنا لهم حكم ازوجة اذا طلقتها زوجها قبل الدخول فقال (يا أيها الذين آمنوا  
 اذا نكحتم المؤمنات) أي عقدتم بهن عقد النكاح أو بالكتابات وانما خمس المؤمنات  
 بالذكر للتنبية على ان من شأن المؤمن أن لا ينكح الامؤمنة تخيرا للانطقة وقد اختلف في  
 لفظ النكاح هل هو حقيقة في الوطئ أو في العقد أو في معامى طريفة الاشتراك وكلام  
 صاحب الكشاف في هذا الموضوع يشعر بأنه حقيقة في الوطئ فإنه قال النكاح الوطئ  
 وتسمية العقد نكاحا للملازمة له من حيث أنه طريق اليه وتظيره تسمية الحجر انما لانها  
 سبب في اقرار الاثم ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد كما قاله صاحب  
 الكشاف والقرطبي وغيرهما (ثم) التراخي ليس قيدها فائدة التعيير بتم ازالة المعنى ان  
 يتوهم من ان تراخي الطلاق بقدر ما كان الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة  
 (طائفة من قبل ان تمسوهن) أي تجامعوهن فكيف عن ذلك بلفظ المس ومن آداب  
 القرآن الكفاية عن الوطئ بلفظ الملازمة والمماسمة والقربان والغشى والاتبان وقد  
 استدلل بهذه الآية القائلون بأنه لا طلاق قبل النكاح وهم الجمهور وبه قال علي وابن  
 عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير  
 والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة  
 واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي وذهب ابن مسعود ومالك وابو حنيفة الى صحة الطلاق  
 قبل النكاح اذا قال اذا تزوجت فلانة فهي طالق فتمطلق اذا تزوجها وبه قال النخعي  
 واصحاب الرأي وقال ربيعة والاوزاعي ان عين امرأة وقع وان عم فلا يتبع وعن عمرو بن  
 شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك  
 ولا تعتق فيما لا تملك ولا يبيع فيما لا تملك أخرجه أبو داود والترمذي عنه وعن ابن عباس  
 قال جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخاري (فما نكحتم عليهن من عدة تعتدونها)  
 أي تخصصونها بالاقراء والاشهر أجمع العلماء على انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلو  
 فلا عدة وذهب أحمد الى ان الخلوه توجب العدة والصداق وقد حكى ذلك الاجماع القرطبي  
 وابن كثير والمعنى تستوفون عددها من عدت الدراهم فاعتدها واستناد ذلك الى  
 الرجال للدلالة على ان العدة حق لهم كما يفيد قوله قال لكم وقرئ تعتدونها بتشديد الدال  
 وبخفيفتها وفي هذه وجهان احدهما ان يكون بمعنى الاولى مأخوذا من الاعتداد اي

فتمجبت من ذلك كما تقدم بيانه في سورة هودوا الحجر فلما جاءت ابراهيم البشري وأخبروه بانهم أرسلوا الهالك قوم لوط أخذ يدافع  
 لعلمهم نظرون لعل الله ان يهديهم ولما قالوا انما هم الكواهل هذه القرية قال ان فيم الوطا قالوا نحن أعلم عن فيها النجسينه وأهله الا  
 امرأته كانت من الغابرين أي من الهالكين لانها كانت تنالهم على كفرهم وبغيهم ويدرهم ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في  
 صورة شبابه حسان فلما رأهم كذلك سبهم وضاق بهم زرعاً أي اهتم بأمرهم ان هو أضفهم خاف عليهم من قومه وان لم يظفهم  
 خشى عليهم منهم ولم يعلم بأمرهم في الساعة (٢٩٢) الراهنة قالوا لا تحف ولا تحزن انما نجوك وأهله الا امرأتك

كانت من الغابرين انما نزلون على  
 أهل هذه القرية رجز من السماء  
 بما كانوا يفسقون وذلك ان جبريل  
 عليه السلام اقتلع قراهم من قرار  
 الارض ثم رفعها الى عنان السماء  
 ثم قلبها عليهم وأرسل الله عليهم حجارة  
 من سجيل منضود مسومة عند  
 ربك وما هي من الظالمين ببعيد  
 وجعل مكانها بحيرة خبيثة منقنة  
 وجعلهم عبرة الى يوم التنادورهم من  
 أشد الناس عذاباً يوم المعاد ولهذا  
 قال تعالى ولقد تر كآيتها بينة أي  
 واضحة لتقوم بعقلون كما قال تعالى  
 وانكم لترون عليهم مصبحين  
 وبالليل أفلات تعقلون (والى مدين  
 أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله  
 وارجوا اليوم الآخر ولا تعشوا في  
 الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم  
 الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين)  
 يخبر تعالى عن عبده ورسوله شعيب  
 عليه السلام انما نذر قومه أهل  
 مدين فأمرهم بعبادة الله وحده  
 لا شريك له وان يخافوا بأس الله  
 ونقمته وسطوته يوم القيامة فقال  
 يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم  
 الآخر قال ابن جرير قال بعضهم

نستوفون عددها وانكم ترون كوا الضعيف لقصد التخفيف قال الرازي ولو كان من  
 الاعتداء الذي هو الظلم لضعف لان الاعتداء يتعدى بعلى وقيل من الاعتداء بجذف  
 حرف الجراي تعتدون عليها اي على العدة مجازاً والوجه الثاني ان يكون المعنى تعتدون  
 فيها والمراد بالاعتداء هذا هو ما في قوله ولا تسكوهن ضرراً تعتدوا فيكون معنى الآية  
 على القراءة الآخرة فسالكم عليهن من عدة تعتدون عليهن فيها بالمضارة وقد انكر ابن  
 عطية صحة هذه القراءة عن ابن كثير وقال ان البري غلط عليه وهذه الآية مخصوصة لعموم  
 قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولقوله واللاتي يثنن من الحيض من  
 نساءكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر (فتعوهن) اي اعطوهن ما يستعنهن به والمتعة  
 المذكورة هنا قد تقدم الكلام عليها في البقرة وقال سعيد بن جبير هذه المتعة المذكورة  
 عنام نسوخة بالآية التي في البقرة وهي قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد  
 فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم وقيل المتعة هنا هي أعم من أن تكون نصف  
 الصداق أو المتعة خاصة ان لم يكن قد سمي لها فاع التسمية للصداق تستحق نصف المسمى  
 عملاً بقوله فنصف ما فرضتم ومع عدم التسمية تستحق المتعة عملاً بهذه الآية ويؤيد ذلك  
 قوله تعالى ولا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تنرضوا لهن فريضة  
 ومتموهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وهذا الجمع لا بد منه وهو مقدم على الترجيح  
 وعلى دعوى التسخير ويخصص من هذه الآية من توفي عنها زوجها فانه اذا مات بعد العقد  
 عليها وقبل الدخول بها كان الموت كالدخول فتعتد أربعة أشهر وعشرا قال ابن كثير  
 بالاجماع فيكون المخصص هو الاجماع (وسرحوهن سرا حجيلاً) أي اخرجوهن من غير  
 اضرار ولا منع حق من منازلكنم اذ ليس لكنم عليهن عدة والسراح الجليل الذي لا ضرار  
 فيه وقيل هو ان لا يطالبها بما كان قد أعطاها وقيل هو هنا كتابة عن الطلاق وهو بعيد  
 لانه قد تقدم ذكر الطلاق ورتب عليه التمتع وعطف عليه السراح الجليل فلا بد ان يراد به  
 معنى غير الطلاق وعن ابن عباس في الآية قال هذا في الرجل يتزوج المرأة ثم يطلقها من  
 قبل ان يمسها فاذا طلقها واحدة كانت منه ولا عدة عليها تتزوج من شاءت ثم قال فتعوهن  
 وسرحوهن سرا حجيلاً يقول ان كان سمي لها صدر افا فليس لها الا النصف وان لم يكن  
 سمي لها صدر اقامتها على قدر عمره ويسره وهو السراح الجليل وعن ابن عمر قال اذا

معناه واخشوا اليوم الآخر وهذا كقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وقوله ولا تعنوا في  
 الارض مفسدين نهاهم عن العبث في الارض بالنساق وهو السعي فيها والبغي على أهلها وذلك لانهم كانوا يفتنون الميكل  
 والميزان ويقطعون الطريق على الناس هذا مع كفرهم بالله ورسوله فأندكهم الله برجفة عظيمة وزلازل عليهم بلادهم وصيحة  
 أخرجت القلوب من حناجرها وعذاب يوم الظلة الذي أزهق الارواح من مستقرها انه كان عذاب يوم عظيم وقد تقدمت قصتهم  
 مبسوطه في سورة الاعراف وهود والشعراء وقوله فأصبحوا في دارهم جاثمين قال قتادة سبطين وقال غيره قد أتى بعضهم على بعض

(وعادوا وعمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا ذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يخبر تعالى عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسول كيف أبادهم وتنوع في عذابهم وأخذهم والانتقام منهم فعاد قوم هود وكانوا يسكنون الاحقاق وهي قرية من حضر موت ببلاد اليمن وعمود قوم صالح كانوا يسكنون الحجر قريبا من وادي القرى وكانت العرب

(٢٩٣)

تعرف مساكنها جيدا وعمر عليها كنيروا وقارون صاحب الاموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثمينة وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره هامان القبطيان الكافران بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم فكلا أخذنا ذنبه أي كانت عقوبته بما يناسبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا وهم عاد وذلك انهم قالوا من أشد منا قوة فإتتهم ريح صرصر بادرة شديدة البرد عاتية شديدة الهبوب جدا تحمل عليهم حصباء الأرض فتلقها عليهم وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم من الأرض الى عذبان السماء ثم تنكسه على أم رأسه فتشده فيبقى بدنا بالراس كأنهم اعجاز فخل منتعروا ومنهم من أخذته الصيحة وهم قوم هود فامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة من تلك الناقة التي اتفقت عنها الصخرة مثل ما سألو اسوا بسوا وبع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفروا بهم وتمددوا في الله صالحا ومن آمن معه وتوعدوه هم بان يخرجوه هم ويرجوهم بخاسرتهم صيحة أخذت

ذكركم المؤمنين ثم طلعتون من منسوخة نسختها التي في البقرة فنصف ما فرضتم وعن سعيد ابن المسيب نحو ورو عن الحسن وأبي العافية قال لا يثبت بمنسوخة لها نصف الصداق ولها المتاع وعن ابن جريج قال بلغ ابن عباس ان ابن مسعود يقول ان طاق ما لم ينكح فهو جائز وقال ابن عباس اخطأ في هذا ان الله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ولم يقل اذا طلقتم المؤمنات ثم نكحتموهن وعن ابن عباس انه تلاه هذه الآية وقال لا يكون طلاق حتى يكون نكاح وقد وردت أحاديث فيها انه لا طلاق الا بعد نكاح وهي معروفة (يا أيها النبي انا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) ذكر سبحانه في هذه الآية أنواع النكحة التي أحلها الرسول و بدأ بأزواج اللاتي قد اعطتهن أجورهن أي مهرهن فان المهور أجور الابضاع ولهذا قال الكرخي ان النكاح بلفظ الاجارة جائز وقال أهل الرأي التأييد من شرط النكاح والتأيت من شرط الاجارة وبينهما منافاة وابتداء الاجور انما تساهها بمجمل أو فرضها أو تسميتها في العقد واختلاف في معنى الآية فقال ابن زيد والضحاك ان الله أحل له ان يتزوج كل امرأة يؤتيها مهرها فتكون الآية مبيحة لجميع النساء ما عدا ذوات المحارم وقال الجمهور المراد احللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت ما عدا ذلك لانهن قد اخترنك على الدنيا وزينتها وهذا هو الظاهر لان قوله احللتنا والآيات ماضيان وتقييد الاحلال بابتداء الاجور ليس لتوقف الحل عليه لانه يصح العقد بلا تسمية ويجب به المثل مع الوطئ والمتعمع عدمه فكانت لتقصد الارشاد الى ما هو أفضل (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أي السراري اللاتي دخان في ملكك بالغنمة والمعنى مما رده الله عليك من الكفار باغنيهم من نساءهم المأخوذات على وجه التهر والغلبة مثل صنية وجويرية فاعتقهم ما وتزوجهم ما وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم وليس المراد بهذا القيد اخراج ما ملكته بغير الغنمة فانها تحمل السرية المشتراة والموهوبة ونحوهما وليكنه خرج مخرج الغالب وأشار به الى ما هو الافضل كالقيد الاول المصرح بابتداء الاجور وهكذا قيد المهاجرة في قوله (وبنات عمك وبنات عماتك) أي نساء قريش (وبنات خالك وبنات خالاتك) أي نساء بني زهرة (اللاتي هاجرن معك) فانه للاشارة الى ما هو الافضل وللإيدان بشرف الهجرة وشرف من هاجر أي احللتنا لك ذلك رائدا على الأزواج اللاتي آتيت أجورهن على قول

الاصوات منهم والحركات ومنهم من خسفنا به الأرض وهو قارون الذي طغى وبغى وعماد عصى الرب الاعلى وهشى في الأرض مرحا وفرح ومرح وتاه بنفسه واعتقدا أنه أفضل من غيره و اختال في مشيته فحسف الله به وداره الأرض فهو يتجمل فيها الى يوم القيامة ومنهم من أغرقنا وهو فرعون ووزيره هامان وجنودهما عن آخرهم أغرقوا في صيحة واحدة فلم ينج منهم شبر وما كان الله ليظلمهم أي فيما فعل بهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي انما فعل ذلك بهم جزاء ما فعلوا بهم وهذا الذي ذكرناه ظاهر سياق الآية وهو من باب اللغ والنشر وهو انه ذكر الامم المكذبة ثم قال فكلا أخذنا ذنبه أي من هؤلاء المذكورين وانما

نبت على هذا لانه قد روى ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله فنبههم من أرسلنا عليه حاصبا قال قوم لوط ومنهم من أغرقنا قال قوم نوح وهذا منقطع عن ابن عباس فان ابن جريج لم يدركه ثم قد ذكر الله في هذه السورة اهلاك قوم نوح بالطوفان وقوم لوط بانزال الرجز من السماء وأطال السياق والنقل بين ذلك وبين هذا السياق وقال قتادة فنبههم من أرسلنا عليه حاصبا قال قوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة قوم شعيب وهذا بعيد أيضا لما تقدم والله أعلم (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أولهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا) (٢٩٤) يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم

الجهور لاندلوا أراد أحلنا لك كل امرأة تزوجت وآتيت أجرها لما قال بعد ذلك وبنات عمك وبنات عماتك لان ذلك داخل فيما تقدم والاول أولى والمراد بالعبية هنا الاشتراك في الهبة لافي الصفة فيها قال النسفي ليس مع القرآن بل لوجودها خصب كقوله وأسلمت مع سليمان وقيل ان هذا التبداعني المهاجرة معتبر وانما التحل له من لم تهاجر من هؤلاء كما في قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ويؤيده هذا حديث ام هاني وسأيتي ووجه افراد العلم والخال وجع العمه والخالة ماذكره القرطبي ان العلم والخال في الاطلاق اسم جنس كالشاعر والراجز وليس كذلك العمه والخالة قال وهذا عرف لغوي بجاء الكلام عليه بغاية البيان وحكاية عن ابن العربي وقال ابن كثير انه وحدانفظ الذكر لشرفه وجع الاثني كقوله عن العيين وعن الشمايل وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وجعل الظلمات والنور وله نظائر كثيرة انتهى وقال النيسابوري وانما لم يجمع العلم والخال اكتفاء بجنسيتهم مامع ان لجمع البنات دلالة على ذلك لامتناع اجتماع اثنتين تحت واحد ولم يحسن هذا الاختصار في العمه والخالة لاسكان سبق الوهم الى ان التام فيهما اللوحدة انتهى وكل وجه من هذه الوجوه يحتمل المناقشة بالنقض والمعارضة وأحسنها تعميل جمع العمه والخالة بسبق الوهم الى ان التام للوحدة وليس في العلم والخال ما يسبق الوهم اليه بانه يريد به الوحدة لا مجرد صيغة الافراد وهي لا تنضى ذلك بعد اضافتها لما تقرر من عموم اسمها الاجناس المضافة على ان هذا الوجه الاحسن لا يصفو عن شوب المناقشة أيضا قال الشهاب وقد سئل كثير عن حكمة افراد العلم والخال دون العمه والخالة حتى ان السبكي صنف جزأ فيهما سماه بذل الهمة في افراد العلم وجع العمه وقد رأيت لهم فيه كلمات كلها ضعيفة كقول الرازي ان العلم والخال على زنة المصدر ويسمى فيه المفرد والجمع بخلاف العمه والخالة وقيل انهما معا اذا ضموا يفا والعمه والخالة لا يعمان تاء الوحدة انتهى أخرجه الترمذي وحسنه ابن جرير والسيراني وغيرهم عن ام هاني بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعذرت اليه فعذرتني فانزل الله يا أيها النبي انما أحلنا لك أزواجك الى قوله هاجر من معن قالت فلم أكن أحل له لاني لم أهاجر معه كنت من المطلقاء وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من وجه آخر عنها قالت نزلت في هذه الآية وبنات عماتك التي هاجر من معك أراد

وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) هذا مثل ضرب به الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه وذهاب فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم الا كمن يتمسك ببيت العنكبوت فانه لا يجدي عنه شيئا فلو علموا هذا الخال لما اتخذوا من دون الله أولياء وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فانه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها القوتها وثباتها ثم قال تعالى متوعد لمن عبد غيره وأشرك به انه تعالى يعلم ما هم عليه من الاعمال ويعلم ما يشركون بمن الابداد وسيجزيهم وصفهم انه حكيم عليهم ثم قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون أي وما يفهمها ويتدبرها الا الراصون في العلم المتضعون منه قال الامام أحمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثني ابن لهيعة عن أبي قبيل عن عمرو بن العاص رضي الله

عنه قال عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل بهذه منقبة عظيمة لعمر بن العاص رضي الله عنه النبي حيث يقول الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا أبي حدثنا أبو سنان عن عمرو بن مرة قال ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها الا حرتني لاني سمعت الله تعالى يقول وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون (خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية لاء لمن اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهت عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله كبير والله يعلم ما تصنعون) يقول تعالى محجرا

عن قدرته العظيمة انه خلق السموات والارض بالحق يعني لاعلى وجه العرش والعب لتجزى كل نفس بما تسعى يجزى الذين أسأوا  
بمعاصيهم او يجزى الذين احسنوا بالحسن وقوله تعالى ان في ذلك لآية للمؤمنين أي دلالة واضحة على انه تعالى المتصرف بالخلق  
والتدبير والالهيته ثم قال تعالى امر ارسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن وهو قرآنه وابلاغه للناس وأقم الصلوات انصلافة تنهى عن  
الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر يعني ان الصلاة تشتمل على شيئين على ترك الفواحش والمنكرات أي ان مواظبة التحمل على  
ترك ذلك وقد جاء في الحديث من رواية عمران وابن عباس مرفوعا من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر

لم تزد من الله الا بعدا ذكر الامار  
الواردة في ذلك قال ابن ابي حاتم  
حدثنا محمد بن هرون الخرمي  
الغلاس حدثنا عبد الرحمن بن  
نافع أبو زياد حدثنا عمر بن ابي  
عثمان حدثنا الحسن بن عمران بن  
حصين قال سئل النبي صلى الله عليه  
وسلم عن قول الله ان الصلاة تنهى  
عن الفحشاء والمنكر قال من لم  
تنه صلته عن الفحشاء والمنكر  
فلا صلته وحدثنا علي بن الحسين  
حدثنا يحيى بن ابي طلحة البربري  
حدثنا أبو معاوية عن ليث عن  
طائوس عن ابن عباس قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم  
تنه صلته عن الفحشاء والمنكر لم  
يزد به من الله الا بعدا ورواه  
الطبراني من حديث ابي معاوية  
وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا  
الحسين حدثنا خالد بن عبد الله عن  
الغلام المسيب عن ذكره عن ابن  
عباس في قوله ان الصلاة تنهى عن  
الفحشاء والمنكر قال فن لم تأمره  
صلته بالمعروف ونهاه عن المنكر  
لم يزد بصلته من الله الا بعدا فهذا  
موقوف قال ابن جرير وحدثنا

النبي ان يتزوجني فنهى عني اذ لم أهاجر وعن ابن عباس في قوله انا حملنا لك أزواجك  
الى قوله خالصة لك قال فحرم الله عليه سوى ذلك من النساء وكان قبل ذلك ينكح في أي  
النساء شاء لم يحرم ذلك عليه وكان قد أوهى بجدن من ذلك وجد اشديد ان ينكح في أي  
النساء أحب فلما أنزل انى حرمت عليك من النساء سوى ما قصت عليك أعجب ذلك  
نساءه (وامرأة مؤمنة) أي وأحلنا لك امرأة مصدقة بالتوحيد وهو ما يدل على ان  
الكافرة لا تحل له قال امام الحرمين وقد اختلف في تحريم الحرمة الكافرة عليه قال ابن  
العربي والصحیح عندي تحريمها وجهان هذا يتم بزعيلنا فإنه ما كان في جانب الفضائل  
والكرامات فحظه فيه أكثر وما كان من جانب النقائص بجانبه عنها اظهر يجوز لنا  
نكاح الحرائر الكليات وقصره هو صلى الله عليه وآله وسلم على المؤمنات ولهذا كان  
لا تحل له الكآبية الكافرة لفقصانها بالكفر انتهى واما تسريه بالامة الكآبية فالاصح في  
الحل لانه صلى الله عليه وآله وسلم استمتع بأخته ريمانة قبل ان تسلم كذا في المواهب وكانت  
يهودية من سبي قريظة ومما خص به ايضا انه يحرم عليه نكاح الامة ولو مسلمة لان نكاحها  
معتبر بخوف العنت وهو معلوم وبقصدان مهر الحرمة ونكاحه عنى عن المهر ابتداء  
وانتهاء وورق الولد ومنصبه صلى الله عليه وآله وسلم ينزه عنه كذا في الروض وشرحه  
(ان وهبت نفسها للنبي) أي ملكتك بضعها باى عبارة كانت بغير صداق واما من لم تكن  
مؤمنة فلا تحل لك بغير عهدها نفسها لك وان كان ليس ذلك بواجب عليك بحيث يلزمك  
قبول ذلك بل مقيدا ارادتك فهي جملة شرطية لا تسلم لزم الوقوع ولهذا قال (ان اراد  
النبي ان يستنكحها) يقال نكح واستنكح مثل عجل واستعجل وعجب واستعجب ويجوز  
ان يراد الاستنكاح بمعنى طلب النكاح او طلب الوطئ قاله القرطبي أي يسيرها  
منكوحه له ويملك بضعها تلك الهبة بالامهر وذلك جار منه مجرى التبول وحيث  
لم تكن الآية نصا في كون تملكها بلفظ الهبة لم تصلح ان تكون مناطا للخلاف في انعقاد  
النكاح بلفظ الهبة واراذه في الموضوعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات عن الخطاب  
للايدان بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به كما ينطق به قوله الا نى خالصة لك وقد قيل  
انه لم ينكح النبي من الواهبات انفسهن احدا ولم يكن عنده منهن شيء وقال قتادة  
كانت عنده ميمونة بنت الحرث قال الشعبي هي زينة بنت خزيمة الانصارية أم المساكين

القاسم حدثنا الحسين حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن جويرير عن الضعك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
لا صلواتن لم يطع الصلاة وطاعة الصلوات ان تنهاه عن الفحشاء والمنكر قال وقال سفيان قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك قال  
فقال سفيان أي والله تأمره وتنهاه وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن جويرير عن الضعك عن عبد الله  
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو خالد مرة عن عبد الله لا صلواتن لم يطع الصلاة وطاعة الصلوات تنهاه عن الفحشاء  
والمنكر والموقوف أصح كما رواه الاعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد قال قيل لعبد الله ان فلانا يطيل الصلاة قال

ان الصلاة لا تنفع الا لمن اطاعها وقال ابن جرير حدثنا علي حدثنا ابي جعفر بن مسلم عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا والا يصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسين وقتادة والاعمش وغيرهم والله أعلم وقال الحافظ ابو بكر البرزاني حدثنا يوسف بن موسى ابنا جابر بن يعقوب بن عبد الحميد عن الاعمش عن ابي صالح قال اراه عن جابر بن الاعمش قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالليل فاذا أصبح سرق قال سينهاه ما تقول وحدثنا محمد بن موسى (٢٩٦) الجرجسي اخبرنا زياد بن عبد الله عن الاعمش عن ابي

صالح عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يشك ثم قال وهذا الحديث قدرناه عن الاعمش غير واحد واختلفوا في اسناده فرواه غيره واحد عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة وغيره وقال قيس عن الاعمش عن ابي سفيان عن جابر قال جرير وزيد عن عبد الله عن الاعمش عن ابي صالح عن جابر وقال الامام احمد حدثنا وكيع اخبرنا الاعمش قال اري ابا صالح عن ابي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان فلانا يصلي بالليل فاذا أصبح سرق فقال انه سينهاه ما تقول وشك الصلاة أيضا على ذكر الله تعالى وهو المطلوب الاكبر ولهذا قال تعالى ولذكر الله أكبر أى أعظم من الاول والله يعلم ما تصنعون أى يعلم جميع أعمالكم وأقوالكم وقال ابو العالية في قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال ان الصلاة فيها ثلاث خصال فكل صلاة لا يكون فيها شئ من هذه الخلال فليست بصلاة الاخلاص والخشية وذكر الله فالاخلاص

وقال علي بن الحسين والنعمان ومقاتل هي أم شريك بنت جابر الاسديّة وقال عروة ابن الزبير وهي أم حكيم بنت الاوقص السلميّة أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في السنن عن عائشة قالت التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خولة بنت حكيم وأخرج البخاري وغيره عن عروة ان خولة بنت حكيم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن محمد بن كعب وعمير بن الحكم وعبد الله ابن عبيدة قالوا تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث عشرة امرأة من قريش خديجة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وثلاث من بني عامر بن صعصعة وأمراة كان من بني هلال بن عامر ميمونة بنت الحارث وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وزينب أم المساكين والعامرية وهي التي اختمت الدنيا وأمراة من بني الجون وهي التي استعادت منه وزينب بنت جحش الاسديّة والسبيّة بنت صفيّة بنت حيي وجويرية بنت الحارث الخزاعية وأخرج البخاري وابن مردويه عن أنس قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يا رسول الله هل للذي حاجه فقالت ابنة أنس ما كان أقبل حياء فقال هي خير منك رغبت في النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعرضت نفسها عليه وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن سعد الساعدي ان امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوهبت نفسها له فصمت الحديث بطوله وكان من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم ان النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا مهر ودولامهر والزيادة على أربع ووجوب تخيير النساء وعليه جماعة واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب أكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ النكاح والترويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهرى ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وقال ابراهيم النخعي وأهل الكوفة ينعقد بلفظ التملك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذهب قوم الى انه كان ينعقد في حقه صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ الهبة وذهب قوم آخرون الى انه لا ينعقد كافي حق سائر الامة وكان اختصاصه في ترك المهر وعدم لزومه لاني لفظ النكاح واختلفوا في ان العقد بلفظ الهبة هل يقع له بالنقل أم لا فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عنده امرأة الا بعد نكاح أو ملك عين وقال آخرون وقع واختلفوا فيها كما تقدم وقال

بأمره بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر الله القرآن يا امره وبينها وقال ابن عوف الانصاري الرضخري اذا كنت في صلاة فأتيت في معروف وقد جرتك عن الفحشاء والمنكر والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر وقال جابر بن ابي سليمان ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يعني مادمت فيها وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ولذكر الله أكبر يقول ولذكر الله عبادة أكبر اذا ذكره من ذكرهم اياه وكان روى غير واحد عن ابن عباس وبه قال مجاهد وغيره وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابو خالد الاحمر عن داود بن ابي هند عن رجل عن ابن عباس ولذكر الله أكبر قال ذكر الله عند طعمك

وعندنا ملك قلت فان صاحباني في المنزل يقول غير الذي تقول قال وأي شيء يقول قلت قال يقول الله تعالى فاذا كروى اذ كركم  
 فلذكر الله ايانا كبر من ذكرا اياه قال صدق قال وحدثنا ابي حنيفة النخعي حدثنا اسمعيل بن خالد عن عكرمة عن ابن  
 عباس في قوله تعالى ولذكرا الله كبر قال لها وجهان قال ذكرا الله عندما حارب قال وذكرا الله اياكم اعظم من ذكراكم اياه وقال ابن  
 جرير حدثني به قوب بن ابراهيم اخبرنا هشيم اخبرنا عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال قال لي ابن عباس هل تدري  
 ما قوله تعالى ولذكرا الله كبر قال قلت نعم قال فما هو قلت التسييح (٢٩٧) والتحميد والتكبير في الصلاة وقراءة

القرآن ونحو ذلك قال لقد قلت  
 قولاً عجيباً وما هو كذلك ولكنه انما  
 يقول ذكرا الله اياكم عندما امر به  
 أو نهى عنه اذ ذكركم اياه كبر من  
 ذكركم اياه وقد روى هذا من غير  
 وجه عن ابن عباس وروى أيضاً  
 عن ابن مسعود وأبي الدرداء وسلمان  
 النخعي وغيرهم واختاره ابن جرير  
 (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي  
 هي أحسن الا الذين ظلموا منهم  
 وقولوا آمنا بالذي أنزل البنا وأنزل  
 اليكم والهناء والهدى واحذوا نحن له  
 مسلمون) قال قتادة وغير واحد  
 هذه الآية منسوخة بآية السيف  
 ولم يبق معهم تبادل وانما هو  
 الاسلام والجزية أو السيف وقال  
 آخرون بل هي باقية محكمة لمن أراد  
 الاستبصار منهم في الدين فيجادل بالتي  
 هي أحسن ليكون أجمع فيه كما قال  
 تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة  
 والموعظة الحسنة الآية وقال  
 تعالى موسى وهرون حين بعثهما  
 الى فرعون فقولا له قولا لينا لعله  
 يتذكر أو يخشى وهذا القول  
 اختاره ابن جرير وحكاه عن ابن زيد  
 وقوله تعالى الا الذين ظلموا منهم أي

المنحصرى قبل الموهوبت أربع مئة وثلاثون وأم شريك وخولة وفي السنين هذا من  
 اعتراض الشرط على الشرط والثاني قيد في الاول ولذلك أعرب بحال لان الحال قيد  
 وهذا الشرط النقص ان يتقدم الثاني الى الاول في الوجود فلو قال ان أكلت ان ركبت  
 فأنت طاق فلا بد ان يتقدم الركوب على الاكل وانه بشرط ان لا يكون ثمة قربة تمنع من  
 تقدم الثاني على الاول كقولك ان تزوجتك ان طلقتك فعبدى حرفانه لا يتصور ههنا تقدم  
 الطلاق على التزويج الا اني قد عرض لي اشكال على ما قاله الفقهاء من هذه الآية وذلك ان  
 الشرط الثاني ها لا يمكن تقدمه في الوجود بالنسبة الى الحكم الخاص بالتي صلى الله  
 عليه وآله وسلم لا أنه لا يمكن عقلاً وذلك ان المفسرين فسروا قوله تعالى ان أراد معنى قبل  
 الهبة لانه لا يقبل منه يتم نكاحه وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة اذ التبول متأخر وأيضاً  
 فالقصة كانت على ما ذكرته من تأخر ارادته عن هبته وهو مذكور في التفسير وقد  
 عرضت هذا الاشكال على جماعة من أعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر عنهم جواب  
 الا قد قدمت من ان تم قربة مانعة من ذلك كما مثلت لك آنفا انتهى وقد بين الله سبحانه ان  
 هذا النوع من النكاح خاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل لغيره من أمته  
 فقال (خالصة لك من دون المؤمنين) لفظ خالصة اما حال من امرأة قاله الزجاج واصل  
 من فاعل وهبت أي حال كونها خالصة لك دون غيره أو مصدر مؤكد كقوله الله أي خالص  
 لان خلوصاً ونعت مصدر متدرأى هبة خالصة فنصبها بوجهت ونادى أجمع العلماء على ان  
 هذا خاص بالتي صلى الله عليه وآله وسلم وانه لا يجوز لغيره ولا يتعد النكاح بهجة المرأة  
 نفسها الا ما روى عن أبي حنيفة وصاحبيه انه يصح النكاح اذا وهبت وأنشد هو على  
 نفسه بمهر وأما بدون مهر فلا خلاف في ان ذلك خاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
 ولهذا قال (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) اعتراض مقرر لمضنون ما قبله من  
 خلوص الاحلال له أي ما فرضه الله سبحانه على المؤمنين في حق أزواجهم من شرائط  
 العقد وحقوقه فان ذلك حق عليهم متروض لا يحل لهم الاخلال به ولا الاقتداء برسول  
 الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما خصه الله به توسعة عليه وتكريمه لانه فلا يتزوجوا الا  
 أربعاً مهوراً ومنه قول وعن ابن عمر في الآية قال فرض الله عليهم انه لا نكاح الا بولي  
 وشاهدين وعن ابن عباس مثله وزاد ومهر (وما ملكت أيمانهم) أي وعلمنا ما فرضنا

(٣٨ - فتح البيان سابع) حادوا عن وجه الحق وعما عن واضح الحجة وعاندوا وكابروا حينئذ ينقل من الجدال الى  
 الجلاوي فقاتلون بما بينهم ويردعهم قال الله عز وجل لقد أرسلنا رسالنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط  
 وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد الى قوله ان الله قوي عزيز قال جابر امرنا من خالف كتاب الله ان نصر به بالسيف قال مجاهد الا الذين  
 ظلموا منهم يعني أهل الحرب ومن امتنع منهم من أداء الجزية وقوله تعالى وقولوا آمنا بالذي أنزل البنا وانزل اليكم يعني اذا اخبروا بما  
 لا يعلم صدقه ولا كذبه فهذا لا يقدم على تكذيبه لانه قد يكون حقاً ولا على تصديقه لعله ان يكون باطلاً ولكن يؤمن به ايماناً

مجملا معلقا على شرط وهو ان يكون منزلا لامد لا مؤولا قال البخاري رحمه الله حدثنا محمد بن بشر حدثنا عثمان بن عمر أخبرنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل اليك وانزل اليكم والهناء والهناء واحد ونحن له مسلمون وهذا الحديث انفرد به البخاري وقال الامام أحمد حدثنا عثمان بن عمر أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني (٢٩٨) ابن أبي عمير ان أبا عمير الانصاري أخبره انه بينما هو

جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل من اليهود فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أعلم قال اليهودي أنا أشهد انها تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان حقاً لم تكذبوهم وان كان باطلا لم تصدقوهم قلت وأبو غنم هذا هو أبو عمارة وقيل عامر وقيل عمرو بن معاذ بن زرارة الانصاري رضي الله عنه ثم لي علم ان أكثر ما يتحدثون به عليه كذب وهمتان لانه قد دخله بحرف يفت وتبدل وتغير وتأويل وما أقل الصدق فيه ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحاً قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عاصم أخبرنا سفيان بن سليمان بن عامر عن عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير عن عبد الله هو ابن مسعود قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا ما أن تكذبوا الحق أو تصدقوا باطلا فانه ليس أحد من أهل الكتاب الا وفي

عليهم فيما ملكت أيمانهم من كونهن من يجوزسيه وحره لا يمن كان لا يجوزسيه أو كان له عهد من المسلمين أي تكون الامة ممن تحل لمالكها كالكتابة بخلاف الجوسية والوثنية وان تستمر أقبل الوطاء (لكيلا يكون عليك حرج) قال المفسرون هذا يرجع الى أول الآية أي أحلنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والواهبية نفسها لك لكيلا يكون عليك حرج فتكون اللام متعاقبة بأحلالنا وقيل هي متعلقة بخاصة قاله البيضاوي وأبو السعدي التعلق باعتبار ما فيه من معنى ثبوت الاحلال وحصوله صلى الله عليه وآله وسلم والاول وأولى والحرج الضيق أي وسعنا عليك في التحليل للثلاث يضيق صدرك فظن انك قد أمتت في بعض المنكوحات (وكان الله غفورا رحيماً) يغفر الذنوب فيما يعسر التحرز عنه ويرحم العباد بالتوسعة في ذلك ولذلك وسع الامر ولم يضيقه (ترجي من تشاء ممن) قرئ ترجي مهموزاً وغير مهموز وهم الغتان والارجاء التأخير يقال أرجأت الامر وأرجيته اذا أخرته (وتؤوى اليك من تشاء) أي تضم اليك يقال آواه اليه بالمدح اليه وأوى مقصوراً أي ضم اليه والمعنى ان الله وسع على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وجعل الخيار اليه في نساءه فيؤخر من شاء ممن ويؤخر نوباتها ويتركها ولا يأتها من غير طلاق ويضم اليه من شاء ممن ويضاجعها ويبيت عندها وقد كان القسم واجبا عليه حتى نزلت هذه الآية فارتفع الوجوب وصار الخيار اليه وكان ممن أوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب ومن أرجى سودة وجويرية وأم حبيبة وميمونة وصفيية فكان صلى الله عليه وآله وسلم يسوي بين من أوى في القسم وكان يقسم لمن أرجاه ما شاء هذا قول جمهور المفسرين في معنى الآية وهو الذي يناسب ما مضى وقد دلت عليه الأدلة النابتة في الصحيح وغيره قال ابن العربي هذا الذي ثبت في الصحيح هو الذي ينبغي ان يعول عليه لكنه كان يقسم من قبل نفسه دون فرض عليه تطيباً لنفوسهم وصوناً لهم عن أقوال الغيرة التي تؤدي الى ما لا ينبغي وقيل هذه الآية في الواهبات أنفسهن لاني غيرهن من الزوجات قاله الشعبي وغيره وقيل معنى الآية في الطلاق أي تطلق من نساء ممن وتعتك من نساء وقال الحسن ان المعنى تسكح من شئت من نساء أمتك وتركت نكاح من شئت ممن وقد قيل ان هذه الآية ناسخة لقوله لا يحل لك النساء من بعد وعن ابن عباس ترجى أي تؤخر وعنه قال من شئت خليت سبيلها ممن ومن

قلبه تالية تدعوه الى دينه كآية المال وقال البخاري حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا ابراهيم بن سعد أخبرنا ابن ابي شهاب عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكابكم الذي أنزل اليكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرؤنه محضاً لم يشب وقد حدثكم ان أهل الكتاب بدلوا وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثم قليلاً الا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسئلتهم لا والله ما رأيتنا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم وقال البخاري وقال أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن انه سمع معاوية يحدث رهما من قريش بالمدينة وذكر



كعب الاحبار فقال ان كان من اصدق هؤلاء المحمدين الذين يتحدثون عن أهل الكتاب وان كاتم ذلك انبوا عليه الكذب قلت  
معناه انه يقع منه الكذب لغة من غير قصد لانه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن وفيها أشياء. وضوءة ومكذوبة لانهم لم يكن  
في ملتهم حفاظ متقنون كهذه الامة العظيمة ومع ذلك وقرب العهد وضعت أحاديث كثيرة في هذه الامة لا يعلمها الا الله عز وجل  
ومن منحه الله تعالى علما بذلك كل بحسبه والله الحمد والمنة (وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن  
هو لاهن يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون وما كنت تتلو (٢٩٩) من قبله من كتاب ولا تخطه به بينك اذا

لارتاب الميطلون بل هو آيات بينات  
في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد  
باياتنا الا الظالمون) قال ابن جرير  
يقول الله تعالى كما أنزلنا الكتاب على  
من قبلك يا محمد من الرسل كذلك  
أنزلنا اليك هذا الكتاب وهذا الذي  
قاله حسن ومناسبة وارتباط جيد  
وقوله تعالى فالذين آتيناهم الكتاب  
يؤمنون به أي الذين أخذوه فتلاوه  
حق تلاوته من احبارهم العلماء  
الاذكياء كما بهد الله بن سلام وسلمان  
الفارسي وأشباههما وقوله تعالى  
ومن هؤلاء من يؤمن ببعضهم  
من قريش وغيرهم وما يجحد باياتنا  
الا الكافرون أي ما يكذب بها  
ويجحد مدحها الامن يستر الحق  
بالباطل ويعطى ضوء الشمس  
بالوصائل وهيات ثم قال تعالى وما  
كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه  
بيمينك أي قد لبنت في قومك يا محمد  
من قبل ان تأتيهم - ذا القرآن عمرا  
لا تقرأ كتابا ولا تحسن الكتابة بل  
كل أحد من قومك وغيرهم يعرف  
انك رجل أي لا تقرأ ولا تكتب  
وهكذا صنفه في الكتب المتقدمة  
كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول

أحبيت أمسكت منهن وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة ذات كنت أنما من  
اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقول تهب المرأة نفسها فلما أنزل  
الله ترجي من تشاء منهن الآية قلت ما أرى ربك الا يسارع في هوالك وعن أبي رزبن قال  
هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلق من نسائه فلما رأى ذلك أتينه فقلن لا نخل  
سبيلة وأنت في حل فيما بيننا وبينك افرض لنا من نفسك ومالك بما شئت فانزل الله ترجي  
من تشاء منهن يقول تعزل من تشاء فاربحي منهن نسوة وأوى نسوة وكان من أربحي ميمونة  
وجويرية وأم حبيبة وصفية وسودة وكان يقسم بينهن من نفسه وماله ماشاء وكان من أوى  
عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب فكانت قسمته من نفسه وماله بينهن سواء وأخرج  
البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يستأذن  
في يوم المرأة من بعد ان أنزلت هذه الآية ترجي من تشاء منهن فقلت لهما ما كنت تتولين  
قالت كنت أقول ان كان ذلك الى فاني أريدان لا أوثر عليك أحدا (ومن ابتغيت ممن  
عزلت) الانتغاء الطلب والعزل الازالة والمعنى ان أردت ان تؤوى اليك امرأة عن قد  
عزلتين من القسمة وتضعها اليك (فلا جناح عليك) في ذلك والحاصل ان الله سبحانه  
فوض الامر الى رسوله بصنع في زوجاته ماشاء من تقديم وتأخير وعزل وامسالك وضم  
من أربحي وارجاهم من ضم اليه وما شاء في أمرهن فعزل نوسعة عليه ونفيا للعرج عنه وأصل  
الجناح الميل يقال جنحت السفينة اذا مال والمعنى لا ميل عليك بل يوم ولا عتب فيما فعلت  
(ذلك) أي ما تقدم من التفويض الى مشيئته وهو مبتدأ وخبره قوله (أدنى أن تقرأ عينهن)  
أي ذلك التخير والتنويض الذي فوضنا لأقرب الى رضائهن وأطيب لانفسهن اذا كان  
من عندنا لأنهن اذا علمن انه من الله فرت أعينهن واطمأنت نفوسهن وذهب التغاير  
وحصل الرضا فقرأت على البناء للفاعل مسند الى أعينهن وقرئ بضم التاء من أقرر  
وفاعله ضمير المخاطب وبنصب أعينهن على المنعولية وقرئ على البناء للمفعول وقد تقدم  
بيان معنى قرأ العز في سورة مريم (ولا يحزن) أي لا يحصل معهم حزن بتأثيرك بعينهن  
دون بعض (ويرضين عما آتيتن كلهن) أي بما أعطيتن من تقييد وارجاء وعزل وإيواء  
وكان يقسم بينهن في القسمة حتى مات ولم يستعمل شيئا مما أيج له ضابط لنفسه وأخذنا  
بالأفضل غير سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها (وان الله يعلم ما في قلوبكم) من

النبي الامي الذي يجذونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الآية وهكذا كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم دائما الى يوم الدين لا يحسن الكتابة ولا يخط سطر او لاحرفا يديه بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل  
الى الاقاليم وين زعم من متأخري الفقهاء كالتاشي أبي الوليد الباجي ومن تابعه انه علمه السلام كتب يوم الحديبية هذا ما فاضى  
عليه محمد بن عبد الله فانما جده على ذلك رواية في صحيح البخاري ثم أخذوا كتب هذه بحمولة على الرواية الاخرى ثم أمر فكتب  
ولهذا الشئد السكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال بقول الباجي وتبرؤا منه وأنشدوا في ذلك أقوالا وخطبوا به في

مخالفهم وانما اراد الرجل اعنى الباجي فيما يظهر عنه انه كتب ذلك على وجه المعجزة لانه كان يحسن الكتابة كما قال صلى الله عليه وسلم اخبارا عن الدجال مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية في ريقه رؤه كل مؤمن وما اوردته بعضهم من الحديث انه لم يت صلى الله عليه وسلم حتى تعلم الكتابة فضعيف لا اصل له قال الله تعالى وما كنت تتلو اى تقرأ من كتاب لتأ كمد النقي ولا تحطه بيمينك تأ كيدا ايضا وخرج مخرج الغالب كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحه وقوله تعالى اذا الارباب المبطون اى لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول (٣٠٠) انما تعلم هذا من كتب قبله ما تورة عن الانبياء مع انهم قالوا ذلك

مع علمهم بانه اى لا يحسن الكتابة وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهى على عليه بكره واصبى الا قال الله تعالى قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض الاية وقال ههنا بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم اى هذا القرآن آيات بنسة واضحة فى الدلالة على الحق امر او نهي او خبر يحفظه العلماء يسره الله عليهم حنظا وتلاوة وتفسير كما قال تعالى واقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وهدى ما اعطى ما آمن على مثله البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحاه الله الى فارحوان اكون اكثرهم تابعا وفى حديث عياض بن حماد فى صحيح مسلم يقول الله تعالى انى مبتليك وبمئل بك ومنزل عليه كتابا لا يغسله الماء تقرأه ناعما ويقتطنا اى لو غسل الماء المحل المكتوب فيه لما احتج الى ذلك المحل لانه قد جاء فى الحديث الاخر لو كان القرآن فى اعاب ما احرقه النار ولانه محفوظ فى الصدور ويسر على الالسنه مهيمن

كل ما تضررونه ومن ذلك ما تضررونه من امور النساء والميل الى بعضهن (وكان الله عليما) بكل شئ وعما فى ضمائركم لا تخفى عليه خافية (حليما) عنكم لا يعاجل العصاة بالعقوبة فينبغي ان تتقى محارمة لان انتقام الحليم وغضبه امر عظيم لا يحل لك النساء من بعد اى من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترتك واجتعلن فى عصمتك ومن التسع اللاتي توفى عنهن وهن عائشة بنت ابي بكر الصديق وحنيفة بنت عمرو وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية قاله ابو السعود وتداختاف اهل العلم فى تفسير هذه الاية على اقوال الاول انهم محكمة وانا حرم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يتزوج على نسائه مكافاة لهن بما فعلن من اختيار الله ورسوله والدار الاخرة لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بامر الله بذلك وهذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والحسن وابن سيرين واى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وابن زيد وابن جرير وقال ابو امامة بن سهل بن حنيف لما حرم الله عليهن ان يتزوجن من بعده حرم عليه ان يتزوج غيرهن وقال اى بن كعب وعكرمة وابورزين ان المني لا يحل لك النساء من بعد الاضناو التي سماها الله قال القرطبي وهو اختيار ابن جرير وقيل لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات لانهن لا يصح ان يتصفن بامهات المؤمنين وهذا القول فيه بعد لانه يكون التقدير لا يحل لك النساء من بعد المسلمات ولم يجز للمسلمات ذكر وقيل هذه الاية منسوخة بالسنة وبقوله ترجى من تشاء ممنهن وتووى اليك من تشاء وبهذا قالت ام سلمة وعائشة وعلى بن ابي طالب وعلى بن الحسين وغيرهم وهذا هو الراجح وسأنى ما يدل عليه من الادلة عن زياد رجل من الانصار قال قلت لابي بن كعب ارايت لو ان زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم متن اما كل يحل له ان يتزوج قال وما يمنع من ذلك قلت قوله لا يحل لك النساء من بعد قال انما حل له ضمير بامن النساء ووصف له صفة فقال يا ايها النبي انا احل لك أزواجك الى قوله وامرأة مؤمنة ثم قال لا يحل لك النساء من بعد هذه الصفة وعن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن اصناف النساء الا ما كان من المؤمنات المهاجرات قال لا يحل لك النساء من بعد الاية فاحل له الفتيات المؤمنات وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي وحرم كل ذات

على القلوب معجز لفظا ومعنى ولهذا جاء فى الكتب المتقدمة و صفة هذه لامة اناجيلهم فى صدورهم واخبار دين ابن جرير ان المعنى فى قوله تعالى بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم بل العلم بانك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا ولا تحطه بيمينك آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب ونقله عن قتادة وابن جرير وحكى الاول عن الحسن البصرى فقط قلت وهو الذى رواه العوفى عن ابن عباس وقاله الضحاك وهو الاظهر والله اعلم ونوله تعالى وما يجد باياتنا الا انظالمون اى ما يكذب بها ويخس حقاها ويردها الا الظالمون اى المعتدون المكابرون الذين يعلمون الحق ويحيدون

عنه كما قال تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم (وقالوا لولا نزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكن لهم انما أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكري تقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) يقول تعالى مخبرا عن المشركين في نعمتهم وطلبهم آيات يعنون ترشدهم الى ان محمد رسول الله كما جاء صالح بناقته قال الله تعالى قل يا محمد انما الآيات عند الله أي انما أمر ذلك الى الله فانه (٣٠١) لوعلم انكم تهتدون لاجابكم الى سؤالكم

لان ذلك سهل عليه يسير لديه ولكنه يعلم منكم انكم انما قصدتم التعمت والامتنان فلا يجيبكم الى ذلك كما قال تعالى ما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذبها الاولون وآتيناهمودالناقمة مبصرة فظلموا بها وقوله وانما أنا نذير مبين أي انما بعثت نذير اليكم بين النذارة فعلى ان أبلغكم رسالة الله تعالى ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضال فلن تجد له وليا مرشدا وقال تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ثم قال تعالى مبينا كثرة جهلهم وسخافة عقولهم حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم وقد جاءهم بالكتاب الزير الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي هو أعظم من كل معجزة اذ عجزت النصحاء والبلغاء عن معارضته بل عن معارضة سور من مثله بل عن معارضة سورة منه فقال تعالى أولم يكن لهم انما أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم أي أولم يكن لهم آية أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ونبا

دين غير الاسلام وقال يا أيها النبي انما أحللتنا لك أزواجك الى قوله خالصة لك من دون المؤمنين وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء وعنه قال نهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يتزوج بعد نساؤه الاول شيئا وعنه في الآية قال حبسه الله عليهم كما حبسهن عليه وعن أنس قال لما خيرهن فاخترن الله ورسوله فصره عليهم فقال لا يحل لك النساء من بعد وعن أم سلمة قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أحل الله ان يتزوج من النساء ما شاء الا ذات محرم وذلك قول الله تربي من تشاء منهن الآية وأخرج أحمد وأبو داود في ناسخه والترمذي وعنه والنسائي والحاكم وعنه عن عائشة قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أحل الله ان يتزوج من النساء ما شاء الا ذات محرم لقوله تربي من تشاء منهن الآية وعن ابن عباس مثله وعن أبي رزين لا يحل لك النساء من بعد قال من المشركات الاماسيت فليكت عينك (ولان تبدل بهن من أزواج) أي ليس لك ان تطلق واحدة منهن أو أكثر وتتزوج بدل من طلقت منهن أي من المسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية ومن مزيدة لتأكيده النقي وفائدة استعراق جنس الأزواج بالتحريم وقال ابن زيد هذا شيء كانت العرب تفعله تقول خذ زوجتي وأعطني زوجتك وقد أنكر ابن جرير والنحاس ما ذكره ابن زيد قال ابن جرير ما فعلت العرب هذا قط ويدفع هذا الانكار منهما ما أخرجه الدارقطني عن أبي هريرة قال كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله عز وجل ولا ان تبدل بهن وأخرجه أيضا عنه البزار وابن مردويه وأخرجا عن أبي هريرة قال كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل يا داني امرأتك وأباداك امرأتي أي تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله هذه الآية قال فدخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول صلى الله عليه وآله وسلم وعنده عائشة فدخل بغير إذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من الانصار منذ أدركت ثم قال من هذه الجبراء الى جنبك فقال رسول صلى الله عليه وآله وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال أفلا أنزل لك عن أحسن خلق الله قال يا عيينة ان الله حرم ذلك فلما ان خرج قالت عائشة من هذا قال أحق مطاع وانه على ما تزين لسيد قومه (ولو أعجبك حسنهن) وهذا كقولك اعطوا السائل ولو على فرس أي في كل

ما بعدهم وحكم ما بينهم وانت رجل أي لا تقر ولا تكتب ولم تحفظ أحد من أهل الكتاب بختهم بأخبار ما في الصحف الاولى بيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح بين الخلق كما قال تعالى أولم يكن لهم آية ان يعلموا اني اسرأئيل وقال تعالى وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أولم تأتوهم بينة ما في الصحف الاولى وقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك حدثنا سفيان بن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء من نبي الا قد اعطى من الآيات ما منله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أو حاه الله الى فارحوا ان أكون أكثرهم تابعيا يوم القيامة أخرجه من حديث الليث وقد قال

الله تعالى ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون أى ان في هذا القرآن لرحمة أى بيان للعقوبات والازاحة للباطل وذكرى بما فيه حلول النقمات ونزول العقاب بالمكذابين والعاصيين لقوم يؤمنون ثم قال تعالى قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا أى هو أعلم بما تنميضون فيه من التكذيب ويعلم ما أقول لكم من اخبارى عنه بأنه أرسلنى فلو كنت كاذبا عليه لانتقم منى كما قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما تملككم من أحد عنه حاجزين وانما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به وهذا أيدى بالمعجزات الواضحات (٣٠٢) والدلائل القاطعات بعلم ما فى السموات والارض أى لا تخفى

حال ولو على هذه الحالة المتنافية للاعطاء وقيل تقديره مفروضا العجائب من أى لا يحل لك التبدل بازواجك ولو أعجبك حسن غيرهن وجالها بمن أردت ان تجعلها بديل لمن احدها من وهذا التبدل أيضا من جملة ما نسخ الله فى حورسوله على القول الرابع ونسخها اما بالسنة أو بقوله أنا أحلنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المحصف قال ابن عباس يعنى أسماء بنت عيسى امرأه فمقر بن أبى طالب لما استشهد جعفر أرا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يحطبه افنهى عن ذلك (الامام ملكت عيبتك) استثناء من النساء لانه يتناول الحرات والاماء وقيل منقطع والمعنى تحل لك الاماء وقد ملكك صلى الله عليه وآله وسلم بعد من مارية القبطية أهذا هاله المقوقس ملك القبط وهم أهل مصر والاسكندرية وولدت له ابراهيم فى ذى الحجة سنة ثمان ومائة فى حياة أبيه وله سبع بنون يومنا وقيل سنة وعشرة أشهر وفى رواية انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يصل عليه بنفسه بل امرهم فصلوا قاله ابن حجر فى شرح الهمزية وقد اختلف العلماء فى تحليل الامم الكافرة على قولين الاول انها تحل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لعموم هذه الآية وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحسن والثانى انها لا تحل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تنزيها لقدره عن مباهرة الكافرة وبترجيح القول الاول بعموم هذه الآية وتعليل المنع بالتزديع عنى فلا تنزه عما أحله الله فهو وطيب لا خبيث باعتبار ما يتعلق بامور النكاح لا باعتبار غير ذلك فالمشركون يحس بنص القرآن ويمكن ترجيح القول الثانى بقوله سبحانه ولا تتسكروا بعصم الكوافر فانه منى عام (وكان الله على كل شىء قريبا) أى مراقبا حافظا وفى الآية دليل على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليعمل أخرجه أبو داود وعن أبى هريرة ان رجلا أراد ان يتزوج امرأة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم انظر اليها فان فى عين الانصار شىء قال الحميدى يعنى هو الصغرى عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امرأة فقال لى النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه أحرى ان يدوم بينكما أخرجه الترمذى وقال حسن (يا أيها الذين آمنوا) شروع فى بيان ما يجب رعايته على الناس من حقوق نساء النبي اثنى عشر ما يجب رعايته عليه من حقوقهن (لا تدخلوا

عليه خافية والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون أى يوم القيامة سيجزيهم على ما فعلوا ويقابلهم على ما صنعوا فى تكذيبهم بالحق وان اعيم الباطل كذبوا برسل الله مع قيام الأدلة على صدقهم وآمنوا بالباطل واغيت والاثوان بلاد بابل فيجازهم على ذلك انه حكيم عليهم (ويستجملونك بالعباد ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستجملونك بالعباد وان جهنم محيطتة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون) يتول تعالى مخبرا عن جهل المشركين فى استعجالهم عذاب الله ان يقع بهم وبأس الله ان يحل عليهم كما قال تعالى واذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائدنا بعذاب أليم وقال ههنا ويستجملونك بالعباد ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب أى لولا ما حث الله من تأخير العذاب الى يوم القيامة لجاءهم العذاب قريبا

سريعا كما استجملوه ثم قال وليأتينهم بغتة أى خفاة وهم لا يشعرون يستجملونك بالعباد وان جهنم محيطتة بالكافرين أى يستجملون العذاب وهو واقع بهم لا محالة قال شعبة عن سمك عن عكرمة قال فى قوله وان جهنم محيطتة بالكافرين قال الجبر وقال ابن أبى حاتم حدثنا عبي بن الحسين حدثنا عمر بن اسمعيل بن خالد حدثنا أبى عن مجاهد عن الشعبي انه سمع ابن عباس يقول ان جهنم محيطتة بالكافرين وجهنم هو هذا البحر الاخضر تنثر الكواكب فيه وتكثرو فيه الشمس والقمر ثم يوقد فيكون هو جهنم وقال الامام أحمد حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الله بن أمية حدثنى محمد بن حبان أخبرنى صفوان بن يعلى عن أبيه ان النبي صلى

الله عليه وسلم قال الجحيم جهنم قالوا لعل فقال لا ترون ان الله تعالى يقول ناراً أحاط بهم سرادقها قال لا والذي نفس يعلى بيده لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله ولا يصيبني منها قطرة حتى أعرض على الله تعالى هذا تفسير غريب وحدث غريب جدا والله أعلم ثم قال عز وجل يوم يغشاهاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم كقوله تعالى لهم من جهنم مهادوم من فوقهم غواش وقال تعالى لهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال وقال تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم الآية في النار تغشاهاهم من سائر جهاتهم وهذا أبلغ في العذاب (٢٠٢) الحسى وقوله تعالى وتقول ذوقوا

ما كنتم تعملون تمديد وتقرير  
 وتوبيخ وعذاب معنوي على  
 النفوس كقوله تعالى يوم يسحبون  
 في النار على وجوههم ذوقوا مس  
 سقرانا كل شئ خلقناه بقدر وقال  
 تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا  
 هذه النار التي كنتم تكذبون  
 افسحروا هذا أم أنتم لا تبصرون  
 اصلوها فاصبروا ولا تنصروا سواه  
 عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون  
 (بإعبادي الذين آمنوا ان أرضي  
 واسعة فأبى عابدون كل نفس  
 ذائقة الموت ثم اليها ترجعون والذين  
 آمنوا وعملوا الصالحات لنسبوا ثم  
 من الجنة غرقا تجري من تحتها  
 الانهار الذين فيها هم ابر العاملين  
 الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون  
 وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله  
 يرزقها واياكم وهو السميع العليم)  
 هذا أمر من الله تعالى لعباده  
 المؤمنين بالهجرة من البلاد الذي  
 لا يقدرون فيه على إقامة الدين فيها  
 الى أرض الله الواسعة حيث يمكن  
 إقامة الدين بان يوحدوا الله وبعبدوه  
 كما أمرهم ولهذا قال تعالى بإعبادي  
 الذين آمنوا ان أرضي واسعة فأبى

بيوت النبي) هذا منى عام لكل مؤمن ان يدخل بيوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
 الا باذن منه وسبب النزول ما وقع من بعض الصحابة في ولية زينب وقد أخرج البخاري  
 ومسلم عن أنس قال قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر  
 فلو حجبتهم فانزل الله آية الحجاب وفي لفظ انه قال قال عمر يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر  
 فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فانزل الله آية الحجاب وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما  
 عن أنس قال لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت جحش دعا القوم  
 فطعموا ثم جلسوا يتحدثون واذا هو كأنه يتبألقبام فلم يبقه وهو واقفا رأى ذلك قام فلما  
 قام قام من قام وقع ثلاثه نفر خلفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليدخل فاذا القوم  
 جلوس ثم انهم قاموا فانطلقت بخيت فأخذ برت النبي صلى الله عليه وآله وسلم انهم قد  
 انطلقوا فحاش حتى دخل فذهبت أدخل فأنق الحجاب بيني وبينه فانزل الله بأيتها الذين  
 آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية وأخرج ابن جرير عن عائشة ان أزواج النبي صلى الله  
 عليه وآله وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أبيض وكان عور بن  
 الخطاب يقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى  
 الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك فخرجت سودة بنت زمعة ليلته من الليالي عشيا وكانت  
 امرأة طويلة فتأداها عمر بصوته الاعلى قد عرفناك يا سودة حرصا على ان ينزل الحجاب  
 فانزل الله الحجاب قال يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية وأخرج ابن سعد  
 عن أنس قال نزل الحجاب مني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت جحش وذلك  
 سنة خمس من الهجرة وحجب نساءه من يومئذ وأنا ابن خمس عشرة سنة وكذا أخرج ابن  
 سعد عن صالح بن كيسان وقال نزل الحجاب على نساءه في ذي القعدة سنة خمس من  
 الهجرة وبه قال قتادة والواقدي وزعم أبو عبيدة وخليفة بن خياط ان ذلك كان في سنة  
 ثلاث وفي الآية دليل على ان البيت للرجل ويحكم له به فان الله أضافه اليه اضافة ملك  
 وأما اضافته الى الأزواج في قوله ما يتلى في بيوتكن فهي اضافة محمل بدليل انه جعل فيها  
 الاذن الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاذن انما يكون من المالك واختلاف العلماء في  
 بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي كان يسكن فيها نساءه بعد موته هل هي ملك الهن  
 أو لأعلى قولين فتاوى طائفة كانت ملك الهن بدليل انهن سكن فيها بعد موت النبي صلى

فأعبدون قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقر بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشي حدثني أبو سعد الانصاري عن  
 أبي يحيى مولى الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما  
 أصبت خيرا فأقم واهذا الماضق على المسنة ضعفين بمكة مقامهم اخرجوا مهاجرين الى أرض الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك  
 فوجدوا اخيرا منزلين هناك أصحمة النجاشي ملك الحبشة رحبه الله تعالى فأوهم وأيدهم بنصره وجعلهم سبي وما يلاذه ثم بعد ذلك  
 هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الباقون الى المدينة النبوية يثرب المطهرة ثم قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم اليها

ترجعون أي أيما كنتم يدر كتم الموت فيكونوا في طاعة الله وحيث أمركم الله فهو خير لكم فان الموت لا بد منه ولا يحسد عنه ثم الى الله المرجع والمآب فمن كان مطيعا له جازاه أفضل الجزاء ووفاه أتم الثواب ولهذا قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لبئس وثنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار رأيتهم من قبلهم منازل عالية في الجنة تجري من تحتها الانهار على اختلاف أصنافها من ماء وخر وعسل ولبن بصرفونها ويجرونها حيث شاؤوا خالدون فيها أي ما كثر فيها أبدا لا يبغون عنها حولا نعم أجر العاملين نعمت هذه الغرف أجر على اعمال المؤمنين (٣٠٤) الذين صبروا أي على دينهم وهاجروا الى الله وابتدوا الاعداء وفارقوا

الله عليه وآله وسلم الى وفاتهم وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يهرب لهن ذلك في حياته الثاني ان ذلك كان اسكانا كما يسكن الرجل أهله ولم يكن هبة وامتدت سكنهن بها الى الموت وهذا هو الصحيح وهو الذي ارضاه أبو عمر بن عبد البر وابن العربي وغيرهم فان ذلك من مؤنثين التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استثنى لهن كما استثنى لهن النفقات حين قال لا تقسم ورثتي دينارا ولا درهما ما تركت بعد صدقة أهلي وموثة عاملي فهو صدقة هكذا قال أهل العلم فالواو يدل على ذلك ان مساكين لم ترهن عنهن ورثتهن فالواو في ترك ورثتهن ذلك دليل على انهن لم تكن لهن مساكوا وانما كان لهن سكنى حياتهن فلما توفي جعل ذلك زيادة في المسجد الحرام الذي يم المسلمون نفعه كما جعل ذلك الذي كان لهن من النفقات في تركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما مضى الى سبيلهن فزيد الى أصل المال فصرف لمساقع المسلمين مما يعم نفعه الجميع والله الموفق كذا قاله القرطبي واعلم ان قالون هم النبي حيث وقع الا في موضعين من هذه السورة أحدهما هذه الآية والثاني قوله ان وهبت نفسها للنبي فابدلها في الوصل وهو زها في الوقف كما ذكره الشاطبي ولم يسم لها كما سهل غيرها الا انه رأى الابدال هنا جارا على القياس فيه فربحه لو افترقه غيره ولانه أفصح من التسهيل ولذلك أنكسر على من قال يا نبي الله بالهمز وهذا مما لا يغار عليه فلهذا التزير وما فيه من دقائق التأويل (الآن يؤذن لكم) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أي لا تدخلوها في حال من الاحوال الا في حال كونكم مأذونا لكم أي الامصعوبين بالاذن أو الابان يؤذن لكم أو الا وقت ان يؤذن لكم وقوله (الى طعام) متعلق بيؤذن على تضمينه معنى الدعاء أي الا ان يؤذن لكم مدعويين الى طعام (غير ناظرين اناه) اتصاب غير على الحال والعامل فيه يؤذى أو مقدر أي ادخلوا غير ناظرين ومعنى ناظرين منتظرين وانه نضجه وادراكه يقال اني يأتي انا اذا حان وأدرك قال الرازي في الآية اما ان يكون فيه تقديم وتأخير تقديره ولا تدخلوا الى طعام الا ان يؤذن لكم فلا يكون منعنا من الدخول في غير وقت الطعام بغير اذن واما ان لا يكون فيه تقديم وتأخير فيكون معناه ولا تدخلوا الا ان يؤذن لكم الى طعام فيكون الاذن مشروطا بكونه الى طعام فان لم يؤذن الى طعام فلا يجوز الدخول فلو اذن لواحد في الدخول لاستماع كلامه لا لاكل طعام فلا يجوز فنقول المراد هو الثاني ليعم النهي عن

الاهل والاقرباء ابتغاء وجهه الله ورجاء ما عنده وتصديق مواعده قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أي أخبرنا صنوان المؤذن أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبي سلام الاسود حدثني أبو معاوية الاثعري ان ابا مالك الاثعري حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام واطاب الكلام وتابع الصلاة والصيام وقام بالليل والناس نيام وعلى ربهم توكلون في أحوالهم كما هو في دينهم وديانهم ثم أخبرهم تعالى ان الرزق لا يختص ببقعة بل رزقه تعالى عام مخلقه حيث كانوا واين كانوا بل كانت ارزاق المهاجرين حيث هاجروا اكثر وأوسع واطيب فانهم بعد قليل صاروا احكام البلاد في سائر الاقطار والامصار ولهذا قال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها اي لا تطيق جمعه وتخصيله ولا تدخر شيئا لغدا لله يرزقها واياكم اي الله

يقبض لهار رزقها على ضعفها وييسره عليها فيبعث الى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الارض والطيور الدخول في الهواء والحيتان في الماء قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي حدثنا يزيد يعني ابن هرون حدثنا الجراح بن منهال الجزري هو أبو العتوف عن الزهري عن رجل عن ابن عمر قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من القر ويا كل فقال لي يا ابن عمر ما لك لا تأكل قال قلت لاشتهيه يا رسول الله قال لكني اشتبهه وهذا صبح رابعة من ذم اذق طعاما ولم اجده

ولم يثبت له عوت ربى فاعطاني مثل ملك كسرى وقصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يحبون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال فوالله ما برحنا ولا رمانا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله رزقها واياكم وهو السميع العليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يأمرني بكنز الدنيا ولا بانباغ الشهوات فن كنزنيها يريدكم احياها باقية فان الحياة بيد الله الاواني لا اكثر دينار او لدرهما ولا اخبار رزقا لهذا حديث غريب وأبو العطوف الجزري ضعيف وقد ذكر وان الغراب اذا فقس عن فراخه البيض خرجوا وهم بيض فاذا رآهم أبوهم كذلك نفر عنهم أياما حتى (٣٠٥) يسود الريش فيظل الفرخ فاتحافاه يتفقد أبويه

فيقيض الله تعالى طيرا صفارا كأن برغش فيغشاه فيتقوت به تلك الايام حتى يسود ريشه والابوان يتفقدانه كل وقت فكما رأوه أبيض الريش نفر عنه فاذا رآوه قد اسود ريشه عطفوا عليه بالحضامة والرزق ولهذا قال الشاعر  
يارازق النعاب في عشه

وجار العظم الكسير المبيض وقد قال الشافعي في جله كلام له في الاوامر كقول النبي صلى الله عليه وسلم سافروا وتعصوا وترزقوا قال البيهقي أخبرنا املاء أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد أخبرنا محمد بن غالب حدثني محمد بن سنان أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن يزيد اشجع من أهل المدينة حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سافروا وتعصوا واتقوا قال وروى بناء عن ابن عباس وقال الامام أحمد حدثنا قيس بن عبيد الله بن جهم عن ابن جهم عن دراج عن عبد الرحمن بن محمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سافروا وتعصوا واتقوا

الدخول واما كونه لا يجوز الا باذن الى الطعام فلما هو مذكور في سبب النزول ان الخطاب مع قوم كانوا يتخيمون حين الطعام ويدخلون من غير اذن فنعوا من الدخول في وقتهم بغير اذن وقال ابن عادل الاولى ان يقال المراد هو الثاني لان التقديم والتأخير خلاف الاصل وقوله الى طعام من باب التخصيص بالذكر فلا يدل على اني ما عداه لاسيما اذا علم ان غيره مثله فان من جاز دخوله بيته باذنه الى طعامه جاز دخوله باذنه الى غير الطعام انتهى والاولى في التعبير عن هذا المعنى الذي أراده أن يقال قد دلت الأدلة على جواز دخول بيوته صلى الله عليه وآله وسلم باذنه لغير الطعام وذلك معلوم لاشك فيه فقد كان الصحابة وغيرهم يستأذنون عليه لغير الطعام فيأذن لهم وذلك يوجب قصر هذه الآية على السبب الذي نزل فيه وهو القوم الذين كانوا يتخيمون طعام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لا دراهم مثلهم فلا تدل على المنع من الدخول مع الاذن لغير ذلك والامساك لا حد أن يدخل بيوته باذنه لغير الطعام وللأمر باطل فاللزم مثل ما قال ابن عطية وكانت سيرة القوم اذا كان لهم طعام وائمة أو نحوه أن يبكر من شاء الى الدعوة ينتظرون طبخ الطعام ونضجه وكذلك اذا فرغوا منه جلسوا كذلك فنهى الله المؤمنين عن ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودخل في النهي سائر المؤمنين والترمذ الناس أدب الله لهم في ذلك فنههم من الدخول الا باذن عند الاكل لاقبله لا انتظار نضج الطعام ثم بين سبحانه ما ينبغي في ذلك فقال (ولكن اذا دعيتكم) وأذن لكم فادخلوا وفيه تأكيده بل يخبر بالمنع وبيان الوقت الذي يكون فيه الدخول وهو عند الاذن وقال ابن العربي وتقدير الكلام ولكن اذا دعيتكم وأذن لكم (فادخلوا) والافتنس الدعوة لا يكون اذا كان في الدخول وقيل ان فيه دلالة بيينة على أن المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه قال الرازي فيه لطيفة وهي ان في العادة اذا قبل لمن يعتاد دخول دار من غير اذن لا تدخلها الا باذن يتأذى وينقطع بحيث لا يدخلها أصلا ولا بالدعاء فقال لا تفعلوا مثل ما يفعله المستسكنون بل كونوا طائعين اذا قبل لكم لا تدخلوا فلا تدخلوا واذا قبل لكم ادخلوا فادخلوا وقوله الآن يؤذن لكم بفساد الجواز وقوله ولكن اذا دعيتكم فادخلوا ينبغي الوجوب فليس تأكيده بل هو مفيد فائدة جديدة (فاذا دعيتكم) أي أكلتم الطعام يقال طعم بكسر العين يطعم بفتحها طعما كنههم وطعما كقفل وفي الخطيب

(٢٩ - فتح البيان سابع) ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعا عن معاذ بن جبل مرفوعا وفي لفظ سافروا مع ذى الحدود والميسرة قال وروى بناء عن ابن عباس وقوله وهو السميع العليم أي السميع لاقوال عباده العليم بجر كاتهم وسكاتهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ومصر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره ان الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون) يقول تعالى مقررا انه لا اله الا هو لان المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بانه المستقل بخلق السموات والارض

والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار وانه الخالق الرزق لعباده ومقدر آجالهم واختلافها واختلاف أرزاقهم ففاوت بينهم فغنى الغنى والفقير وهو العليم بما يصلح كلاً منهم ومن يستحق الغنى من يستحق الفقر فذكر انه المستقل بخلق الاشياء المتفرد بتدبيرها فاذا كان الامر كذلك فلم يعبد غيره ولم يتوكل على غيره فكما انه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته وكثير اما يقرر تعالى مقام الالهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تلبيتهم ليس لك الاشر بكاهولك علكه ومملك (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب (٣٠٦) وان الدار الاخرة لهي الخيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوها في الفلك دعوا

الله له مخلصين له الدين فلما نجاهم الى السبر اذاهم بشركون ليكفروا بما آتيناهم ولما تمتعوا فسوف يعلمون) يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها وانها لا دوام لها وغاية ما فيها هو الهو والعب وان الدار الاخرة لهي الخيوان أي الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال له ولا انقضاء بل هي مسقرة أبد الآباد وقوله تعالى لو كانوا يعلمون أي لا تروا ما يتيق على ما ينشئ ثم أخبر تعالى عن المشركين انهم عند الاضطرار يدعونه وحده لاشربك له فهلا يكون هذاهم دائماً فاذا ركبوها في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كقوله تعالى واذا مسسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاياه فلما نجاكم الى السبر اعرضتم الآية وقال ههنا فلما نجاهم الى البر اذاهم بشركون وقد ذكر محمد بن اسحق عن عكرمة ابن أبي جهل انه لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ذهب فاراً منه فلما ركب في البحر لذهب الى الحبشة اضطررت بهم السفينة فقال أهلها يا قوم اخلصوا ربكم

اذا اكلتم طعاماً أو شربتم شرباً (فاتتسروا) أي اذهبوا حيث شئتم في الحال ولا تمكثوا بعد الاكل والشرب والمراد الازمان بالخروج من المنزل الذي وقعت الدعوة اليه عند انقضاء المقصود من الاكل ولا تدخلوا حاجين (ولا) تمكثوا (مستأنسين لحديث) يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به يقال أنست به انسان من باب علم وفي لغة من باب ضرب والانس بالنهم اسم منه واستأنست به وتأنست به اذا سكن القلب ولم يتفر (ان ذاككم) أي الانتظار والمكث والاستئناس للحديث وأشير اليه بما يشار به الى الواحد بتأويله ما بالمدكور كما في قوله تعالى عوان بين ذلك أي ان ذلك المذكور من الامرين (كان) في علم الله (يؤذي النبي) لانهم كانوا يضيقون عليه المنزل وعلى أهله ويتحدثون بما لا يريد قال الزجاج كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحتمل اطالتهم كرامته فيصبر على الاذى في ذلك فعلم الله من يحضره الادب فصار أديباً لهم ولم يبعدهم (فيستحي منكم) أي يستحي ان يقول لكم قوموا واخرجوا (والله لا يستحي من الحق) أي لا يترك ان يبين لكم ما هو الحق ولا يمتنع من بيانه واطهاره والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة قرأ الجمهور يستحي بيان وروى عن ابن كثير انه قرأ بساء واحدة وهي لغة تميم يقولون استحي يستحي مثل استقى يستقى وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة حبسك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال اذا طعتمهم فاتتسروا ثم كرسجانه أديباً آخر متعلقاً بنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (واذا سألتوهن) أي أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم (متاعاً) أي شيئاً يتتبع به من الماعون وغيره والمتاع يطلق على كل ما يتتبع به فلا وجه لما قيل من ان المراد به العارية أو الفتوى أو المصحف (فأسألوهن) المتاع (من وراء حجاب) أي من وراء ستر بينكم وبينهن فبعد آية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متتعبة كانت أو غير متتعبة (ذالككم) أي سؤال المتاع من وراء الحجاب وقيل الاشارة الى جميع ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع والاول أولى واسم الاشارة مبتدأ وخبره قوله (أظهر لقلوبكم وقلوبهن) أي أكثر تطهيرها من الريبة وخواطر السوء التي تعرض للرجال في أمر النساء وللنساء في أمر الرجال وأبعد للتممة وأقوى في الحماية وفي هذا أدب لكل مؤمن وتحذيره من أن يتق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له والمكاملة من

الدعاء فانه لا ينبي ههنا الا هو فقال عكرمة والله لئن كان لا ينبي في البحر غيره فانه لا ينبي في البر أيضاً غيره اللهم

دون ذلك على عهد لئن خرجت لاذهبن فلا ضعن يدي في يد محمد فلا جدنه وفار حياً فكان كذلك وقوله تعالى ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا هذه اللذات بسميها كثير من أهل العربية والتفسير وعلماء الاصول لام العاقبة لانهم لا يقصدون ذلك ولا شأنها كذلك بالنسبة اليهم وأما بالنسبة الى تقدير الله عليهم ذلك وتقييضه اياهم لذلك فهي لام التعليل وقد قدمنا تقرير ذلك في قوله ليكون لهم عدواً وحزناً ولم يروا انا جعلنا حراماً آمنوا ويخطف الناس من حولهم أقبال باطل يؤمنون ونعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن



افتري على الله كذبا وكذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) يقول تعالى ممسعا على قريش فيما أحلهم من حرمه الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ومن دخله كان آمنا فمهم في أمن عظيم والاعراب حوله ينهب بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا كما قال تعالى لئن لآلئنا لفرقتنهم لولا انهم يؤمنون وبنعمة الله يكفرون أى أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة ان أشركوا به وعبدوا معه غيره من الاصنام والانداد وبدلوا نعمة الله كذرا وأحلوا قومهم دارالبوار فكفروا بنبي الله (٣٠٧) وعبدوه ورسوله فكان اللاتق بهم

اخلاص العبادة لله وان لا يشركوا به وتدينق الرسول وتغيبه وتوقره فأخرجوه من بين أظهرهم ولهذا سلمهم الله تعالى ما كان نعم به عليهم وقتل من قتل منهم يدرهم صارت الدولة لله ورسوله وللمؤمنين ففتح الله على رسوله مكة وأرغم أنافهم وأذل رقابهم ثم قال تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أى لأحد أشد عقوبة ممن كذب على الله فقال ان الله أوحى اليه ولم يوح اليه شئ ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله وهكذا الاحاد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه فالاول منه والثناني مكذب وله هذا قال تعالى أليس في جهنم مثوى للكافرين ثم قال تعالى والذين جاهدوا فينا ربهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه واتباعه الى يوم الدين انهدينهم سبلنا أى لبصرتهم سبلنا أى طرفنا في الدنيا والآخرة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الخوارى أخبرنا عباس بن الهيثم حدثنا أبو أحمد عن أبي عكا في قول الله تعالى والذين جاهدوا

دون حجاب لمن تحرم عليه فان مجانبه ذلك أحسن بحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته (وما كان) أى ماصح ولا استقام (لكم ان تؤذوا رسول الله) بشئ من الاشياء كأنما كان ومن جله ذلك دخول بيوته بغير اذن منه واللبث فيها على غير الوجه الذى يريد وتكليم نسائه من دون حجاب (ولان تنكحوا أزواجهن من بعد) أى ولا كان لكم ذلك بعد وفاته أو فراقه لانهن المؤمنات ولا يحل للأولاد فكاح الامهات قال ابن عباس في الآية نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته قال سفيان وذكر رأيت عائشة وعن السدى قال بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال أيجبنا محمد عن بنات عمار يتزوج نساءنا من بعدنا لئن حدث به حدث لمتزوجن نساءنا من بعدنا فنزلت هذه الآية وعن قتادة قال قال طلحة بن عبيد الله لوقبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتزوجت عائشة فنزلت وعن أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم قال نزلت في طلحة لانه قال اذا توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوجت عائشة قال ابن عطيبة وهه ذاعندى لا يصح على طلحة قال القرطبي قال شيخنا الامام أبو العباس وقد حكى هذا القول عن بعض فضلاء الصحابة وحاشاهم عن مثله وانما الكذب في نقله وانما يلقى مثل هذا القول بالمتألفين الجهال وعن ابن عباس قال قال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوقدمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزوجت عائشة وأم سلمة فانزل الله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الآية وعنه أن رجلا أتى بعض أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكامها وهو ابن عمها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تقوم بهذا المقام بعد يومك هذا فقال يا رسول الله انها بنت عمي والله ما قلت لها بشكرا ولا قالت لي قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد عرفت ذلك انه ليس أحد غير من الله والله ليس أحد غير منى فغضى ثم قال ينعنى من كلام ابنة عمي لا تزوجنها من بعد الله فانزل الله هذه الآية فاعتق ذلك الرجل رقبة وجل على عشرة أبعرة في سبيل الله ورجع ماشيا يابو به من كذبه وعن أسماء بنت عيسى قالت خطبني على فبلغ ذلك فاطمة فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت ان أسماء تزوجة عاتكة فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كان لهما ان تؤذى الله ورسوله والذي جرى عليه الرمد في شرح المنهاج ان من عقد عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم محرم على غيره سواه دخل بها صلى الله عليه وآله وسلم أولا وأما حكم ما نهى عن

فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين قال الذين يعملون بما يعلمون بهديهم الله لا يعلمون قال أحمد بن أبي الخوارى حدثت به أبي سليمان يعنى الداراني فأعجبه وقال ليس ينبغي لمن ألهم شيئا من الخير ان يعمل به حتى يسعه في الاثر فاذا سمعه في الاثر عمل به وجدنا لله حتى وافق ما في قلبه وقوله وان الله لمع المحسنين قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عيسى بن جعفر قاضي الري حدثنا أبو جعفر الرازي عن المغيرة عن الشعبي فان قال عيسى بن مريم عليه السلام انما الاحسان ان تحسن الى من أساء اليك ليس الاحسان ان تحسن الى من أحسن اليك والله أعلم آخر تنسیر سورة العنكبوت والله الحد والمنة

(تفسير سورة الروم وهي مكية) \* (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعدنا عليهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) نزلت هذه الآيات حين غلبت نيسابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وقاصي بلاد الروم فاضطر هرقل ملك الروم حتى أخرجاه إلى القسطنطينية وحاصره فيها (٢٠٨) مدة طويلة ثم عادت الدولة لهرقل كما سياتي وقال الامام أحمد

حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحق عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى الم غلبت الروم في أدنى الارض قال غلبت وغلبت قال كان المشركون يحبون ان تظهر فارس على الروم لانهم أصحاب أوثان وكان المسلمون يحبون ان تظهر الروم على فارس لانهم أهل الكتاب فذكر ذلك لابي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انهم سيغلبون فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فان ظهرنا كان لنا كذا وكذا وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل أجلا خمس سنين فلم يظهرهوا فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجعلتها اراه قال نعم قال سعيد بن جبيرة البضع مادون العشر ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد عليهم سيغلبون الى قوله وهو العزيز الرحيم هكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن

دخلهم امنهن حرمت على غيره والا فلا (ان ذلكم) أى نكاح أزواجه من بعده) كان عند الله عظيما) أى ذنبا عظيما وخطبا عظيما لا شديدا وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإيجاب حرمة حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستقرغ شكره فان من الناس من تفرط غيرته على حرمة حتى تمتى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده (ان تبدوا شيئا) أى تظهروه على أنفسكم (أو تخفوه) في صدوركم (فان الله كان بكل شيء عليم) يعلم كل شيء من الاشياء ومن جملة ذلك ما ظهر ورنه في شأن أزواج رسوله وما تنكحونه في صدوركم وفي هذا وعيد شديد لان احاطته بالمعلومات تستلزم المجازاة على خيرها وشرها قال أبو امامة بن سهل في الآية ان تكلموا به فتقولون نتزوج فلان فلبعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو تخفوا ذلك في أنفسكم فلا تنطقوا به يعلمه الله ثم بين سبحانه من لا يلزم الحجاب منه فقال (لا جناح عليهن في آبائهن ولا آبائهن ولا اخواتهن ولا أبناء اخواتهن ولا أبناء اخواتهن) فهو لا يجب على نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا على غيرهن من النساء الاحتجاب منهن في رؤية وكلام ولم يذكر العم والخال لانهم ما يجريان مجرى الوالدين وقال الزجاج العم والخال ربي يصفان المرأة لولدها فان المرأة تحمل لابن العم وابن الخال فكرداهما الرؤية وهذا ضعيف جدا فان تجوز وصف المرأة لمن تحمل له يمكن من غيرهما من يجوز له النظر اليها لاسيما أبناء الاخوة وأبناء الاخوات واللازم باطل فاللزوم مثله وهكذا يستلزم ان لا يجوز للنساء الاجنبيات ان ينظرن اليه لانهم يصنفنها باللازم باطل فاللزوم مثله وهكذا لا وجه لما قاله الشعبي وعكرمة من انه يكره للمرأة ان تضع خمارها عند عمها أو خالها والاولى ان يقال انه سبحانه اقتصر ههنا على بعض من ذكره من المحارم في سورة النور كقوله بما تقدم (ولا نسائهن) هذه الاضافة تقتضى ان يكون المراد بالنساء المؤمنات لان الكافرات غير مأمونات على العورات والنساء كلهن عورة فيجب على أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاحتجاب عنهن كما يجب على سائر المسلمين أى ما عدا ما يبدو وعند المهنة اما هو فلا يجب على المسلمين حجبهم وستروهم عن الكافرات واليهذا قيل هو خاص أى لا يجوز للذنبيات الدخول على أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل عام في المسلمين والكافيات (ولا ما ملكت أيمانهن) من العبيد والاماء ان يروهن ويكلموهن من غير حجاب وقيل

الحسين بن حريث عن معاوية بن عمرو عن أبي اسحق الفزاري عن سفيان بن سعيد الوري به وقال الترمذي حسن غريب انما نعرفه من حديث سفيان عن حبيب ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن اسحق الصغاني عن معاوية بن عمرو به ورواه ابن جرير حدثنا محمد بن المنبهي حدثنا محمد بن سعيد أو سعيد الثعالبي الذي يقال له أبو سعيد من أهل طرسوس حدثنا أبو اسحق الفزاري فذكره وعندهم قال سفيان فبلغني انهم غلبوا بعد يوم بدر حديث آخر قال سليمان بن مهران الاعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله خمس قدمه زين الدخان واللازم والبطشة والتمر والروم أخرجه وقال ابن جرير حدثنا ابن

وكيع حدثنا المحاربي عن داود بن أبي هند عن عامر هو الشعبي عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال كان فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون ان تظهر فارس على الروم وكان المسلمون يحبون ان تظهر الروم على فارس لانهم أهل كتاب وهم أقرب الى دينهم فلما نزلت الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد عليهم سيغلبون في بضع سنين قالوا يا أبا بكر ان صاحبك يقول ان الروم تظهر على فارس في بضع سنين قال صدق قالوا هل لك الى أن تقامرك فبايعوه على أربع قلايص الى سبع سنين فبضعت السبع ولم يكن شئ ففرح المشركون بذلك ففسق على المسلمين فذلك (٣٠٩) للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ما بضع سنين

عندكم قالوا دون العشر قال اذهب فزايدهم وازدد سنين في الاجل قال فما مضت السننتان حتى جاءت الر بكان بظهور الروم على فارس ففرح المؤمنون بذلك وأنزل الله تعالى الم غلبت الروم الى قوله تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا مؤمل عن اسرا ئيل عن أبي اسحق عن البراء قال لما نزلت الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد عليهم سيغلبون قال المشركون لا ي بكر الأتري الى ما يقول صاحبك يزعم ان الروم تغلب فارس قال صدق صاحبك قالوا هل لك ان نحاطرك فجعل بينه وبينهم أجلاخل الاجل قبل ان يغلب الروم فارس فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وساء ذلك وكرهه وقال لا ي بكر ما دعاك الى هذا قال تصديق الله ولرسوله قال تعرض لهم وأعظم لهم الخطر واجعله الى بضع سنين فاناهم أبو بكر فقال لهم هل لكم في العود فان العود أحمد قالوا نعم فلم تمض تلك

الاماء خاصة ومن لم يبلغ من العبيد والخلاف في ذلك معروف وقد تقدم في سورة النور ما فيه كفاية ثم أمر سبحانه بالتقوى التي هي ملائكة الامركه ونقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل فضل تشديد كآته قيل (واتقن الله) في كل الامور التي من بجلت امامه ومد كورهما من الاحتجاب أى ان يراكن أحد غير هؤلاء قال ابن عباس في الآية أنزلت هذه في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة (ان الله كان على كل شئ) من أعمال العباد (شهيذا) لم يرغب عنه شئ من الاشياء كما ما كان فهو مجاز للمعنى باحسانه وللمسي باساءته والشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حر كات الجوارح (ان الله وملائكته يصلون على النبي) هذه الآية شرف الله بها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وموته وأظهر بها منزلته عنده تعالى والضمير في يصلون راجع الى الله والى الملائكة وفيه تشريف للملائكة عظيم حيث جعل الضمير لهم ولله سبحانه واحدا فلا يرد الاعتراض بما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم لما سمع الخطيب يقول من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصم ما فقد دغوى فقال بس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله ووجه ذلك انه ليس لاحد ان يجمع ذكر الله سبحانه مع غيره في ضمير واحد وهذا الحديث ثابت في الصحيح وثبت أيضا في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم أمر مناديا ينادى يوم خيبر ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الجمر الالهية ولاهل العلم الجاث في الجمع بين الحديثين ليس هـ دما موضع ذكرها والآية مؤيدة للجموع لاجل الضمير في الله والملائكة واحدا والتعليل بالتشريف للملائكة يقال مثله في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحمل الهم لذلك الخطيب الجامع بينهم على انه صلى الله عليه وآله وسلم فهم منه ارادة التسوية بين الله سبحانه وبين رسوله فيختص المنع بمثل ذلك وهذا أحسن ما قيل في الجمع وقالت طائفة في هذه الآية حذف والتقدير ان الله صلى الله عليه وآله وسلم وملائكته يصلون وعلى هذا القول فلا تكون الآية مما جمع فيه بين ذكر الله وذكر غيره في ضمير واحد ولا يرد أيضا ما قيل ان الصلاة من الله الرحمة ومن ملائكته الدعاء فكيف يجمع بين هذين المعنيين المختلفين في لفظ يصلون ويقال على القول الاول انه أريد يصلون معنى مجازي يع المعنيين وذلك بان يراد بقوله يصلون هم تون باظهار شرفه أو يعظـمون شأنه أو يعتمنون باهره وحكى البخاري عن أبي العالية ان صلاة الله سبحانه ثناؤه عليه عند ملائكته

السنين حتى غلبت الروم فارس و بطواخيولهم بالمداين و بنوا الرومية فجاءه أبو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا التثقيب قال تصدق به حديث آخر قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا اسمعيل بن أبي أويس أخبرني بن أبي الزناد عن عروة بن الزبير عن يار بن مكرم الأسلمي قال لما نزلت الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد عليهم سيغلبون في بضع سنين فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لانهم واياهم أهل كتاب وفي ذلك قوله تعالى يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله بنصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وكانت قريش تحب ظهور فارس لانهم واياهم

ليسوا اهل كتاب ولا ايمان ببعث فلما انزل الله هذه الآية خرج أبو بكر بصيح في نواحي مكة الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيعلمون في بضع سنين فقال ناس من قريش لابي بكر فذاك بيننا وبينكم زعم صاحبك ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا تراعي انك على ذلك قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن أبو بكر والمشركون وتوضعوا الرهان وقالوا لابي بكر كم نجعل البضع ثلاث سنين الى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا ينتهي اليه قال فسموا بينهم ست سنين قال فبضت ست السنين قبل ان يظهر واذا أخذ المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت ( ٣١٠ ) السنة السابعة ظهرت الروم على فارس قال فعاب المسلمون على أبي

بكر تسبته ست سنين قال لان الله يقول في بضع سنين قال فأسلم عند ذلك ناس كثيره كذا ساقه الترمذي ثم قال هـ هذا حديث حسن صحيح لا يعرفه الامن حديث عبد الرحمن ابن أبي الزناد وقد روى نحو وهذا مرسل عن جماعة من التابعين مثل عكرمة والشعبي ومجاهد وقتادة والسدي والزبيري وغيرهم ومن أغرب هذه السياقات ما رواه الامام سنيد ابن داود في تفسيره حيث قال حدثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن عكرمة قال كانت في فارس امرأة لا تاد الا المسلول الا بظالم فدعاها كسرى فقال اني أريد ان أبعث الى الروم جيشا وأستعمل عليه رجلا من بنيك فأشيري على أيهم أستعمل فقالت هذا فلان وهو أروغ بن ثعلب واحذر من صقر وهذا فرخان وهو أفضل من سنان وهذا شهر براز وهو أحلم من كذا تعني أولادها الثلاثة فاستعمل أيهم شئت قال فاني استعملت الحليم فاستعمل شهر براز فسار الى الروم باهل فارس فظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع

وصلاة الملائكة الدعاء وروى الترمذي في سننه عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم انهم قالوا صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار وقال عطاء بن أبي رباح صلواته تبارك وتعالى سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي والمقصود من هذه الآية ان الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملا الاعلى بانه ينثى عليه عند ملائكته وان الملائكة تصل عليه وأمر عباده بان يقتدوا بذلك ويصلوا عليه وقد اختلف أهل العلم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل هي واجبة أو مستحبة بعد اتفقهم على ان الصلاة عليه فرض في العمر مرة وقد حكى هذا الاجماع القرطبي في تفسيره فقال قوم من أهل العلم انها واجبة عند ذكره وقال قوم يجب في كل مجلس مرة وقد وردت أحاديث مصرحة بدم من سمع ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يصل عليه واختلف العلماء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تشهد الصلاة المفروضة هل هي واجبة أم لا فذهب الجمهور الى انها فاسنة مؤكدة غير واجبة قال ابن المنذر يستحب ان لا يصل أحد صلاة الاصل فيهما على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك وأهل المدينة وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جمهور أهل العلم قال وشذ الشافعي فواجب على تاركها الاعادة مع تعدد تركها دون النسيان وهذا القول عن الشافعي لم يرو عنه الا حرم له تن يحيى ولا يوجد عن الشافعي الامن روايته قال الطحاوي لم يقل به أحد من أهل العلم غير الشافعي وقال الخطابي وهو من الشافعية انها ليست بواجبة في الصلاة قال وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا أعلم له في ذلك قدوة انتهى وقد قال بقول الشافعي جماعة من أهل العلم منهم الشعبي والباقر ومقاتل بن حيان واليه ذهب أحمد بن حنبل أخيرا كما حكاه أبو زرعة الدمشقي وبه قال ابن راهويه وابن المواز من المالكية وقد جمع الشوكاني رحمه الله في هذه المسئلة رسالة مستقلة ذكر فيها ما احتج به الموجبون لها وما أجاب به الجمهور وفي شرحه على المستقى ورسالتى هداية السائل الى أدلة المسائل ما يشفي ويكفي واشت ما يستدل به على الوجوب الحديث الثابت بلفظ ان الله أمرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك في صلواتنا قال قولوا الحديث فان هذا الامر يصلح للاستدلال به على الوجوب وأما على بطلان الصلاة بالترك وجوب الاعادة لها فلان الواجبات لا يستلزم

زيتونهم قال أبو بكر بن عبد الله فحدثت بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال أما رأيت بلاد الشام عدتها قلت لا قال أما انك لورايتها رأيت المدائن التي خربت والزيتون الذي قطع فأنت الشام بعد ذلك فربأته قال عطاء الخراساني حدثني يحيى بن يعمران قيصر بعث رجلا لفظه بجيش من الروم وبعث كسرى شهر براز فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام اليكم فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس ففرحت بذلك كفا قريش وكرهه المسلمون قال عكرمة ولقي المشركون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم

من أهل الكتاب وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى الم غلبت الروم في أدنى الارض الى قوله ينصر من يشا يخرج  
 أبو بكر الصديق الى الكفار فقال أفرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم  
 على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه أبي بن خلف فقال كذبت يا أبا ذؤيب فقال له أبو بكر أنت أكذب يا عدو الله  
 فقال أنا حجتك عشر قلائص منى وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت الى ثلاث سنين  
 ثم جاء أبو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ما هكذا ذكرت (٣١١) انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده

في الخطر وماده في الاجل فخرج أبو  
 بكر فلقى أبا ياف قال لعالمك ندمت فقال  
 لاتعال ازايدك في الخطر وأمدك في  
 الاجل فاجعلها مائة قلووس الى  
 تسع سنين قال قد فعلت فظهرت  
 الروم على فارس قبل ذلك فغلبهم  
 المسلمون قال عكرمة لما ان  
 ظهرت فارس على الروم جلس  
 فرخان يشرب وهو أخو شهر براز  
 فقال للاصحاب لقد رأيت كائني  
 جالس على سرير كسرى فبلغت  
 كسرى فكتب كسرى الى شهر  
 براز اذا أتاك ذكائي فابعث الى  
 برأس فرخان فكتب اليه شهر  
 براز أي الملك انك ان تجرد مثل  
 فرخان له ذكايه وصوت في العدو  
 فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال  
 فارس خلفا منه فبعث الى برأسه  
 فراجعه فغضب كسرى فلم يجبه به  
 وبعث بريدا الى أهل فارس اني قد  
 نزلت عنكم شهر براز واستعمت  
 عليكم فرخان ثم رفع الى البريد  
 صحيفة لطننة صغيرة فقال اذا ولى  
 فرخان الملك وانقاد له أخوه فاعطه  
 هذه فلما قرأ شهر براز الكتاب قال  
 سمعوا وطاعة ونزل عن سريره وجلس

عدمها العدم كما يستلزم ذلك الشروط والاركان واعلم انه قد ورد في فضل الصلاة على رسول  
 الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة لو جعت لجاءت في مصنف مستقل ولولم يكن  
 منها الا الاحاديث الثابتة في الصحيح من قوله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى على صلاة  
 صلى الله عليه عشر ا فانه يملك هذه الفضيلة الجليلة والمكرمة النبيلة وأما صفة الصلاة  
 عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقد وردت فيها صفات كثيرة باحاديث ثابتة في الصحيحين  
 وغيرهما منها ما هو مقيد بصفة الصلاة عليه في الصلاة ومنها ما هو مطلق وهي معرفة في  
 كتب الحديث فلان طيل بذكرها والذي يحصل به الامتثال لمطلق الامر في هذه الآيات هو  
 ان يقول القائل اللهم صل وسلم على رسولك أو على محمد وعلى النبي أو اللهم صل على محمد  
 وسلم ومن أراد ان يصلى ويسلم عليه بصفة من الصفات التي وردت في التعليم بها والارشاد اليها  
 فذلك أكمل وهي صفات كثيرة قد اشتملت عليها كتب السنة المطهرة وسيأتي بعضها  
 وسيأتي الكلام في الصلاة على الآل وكان ظاهر هذا الامر بالصلاة والتسليم في الآيات  
 ان يقول القائل صليت عليه وسلمت عليه او الصلاة عليه والسلام عليه أو عليه الصلاة  
 والتسليم لان الله سبحانه أمرنا باتباع الصلاة عليه والتسليم من اجل الامتثال هو ان يكون  
 ذلك على ما ذكرنا فكيف كان الامتثال لامر الله انما بذلك ان نقول اللهم صل عليه وسلم  
 بقبوله أمر الله لنا بامرنا به بان نصلى عليه ونسلم عليه وقد أوجب عن هذا بان هذه  
 الصلاة والتسليم لما كانتا شعارا عظيما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتشريفا كريما  
 وكلنا ذلك الى الله عز وجل وأرجعناه اليه وهذا الجواب ضعيف جدا وأحسن ما يجاب  
 به ان يقال ان الصلاة والتسليم المأمور بهما في الآيات هما ان نقول اللهم صل عليه وسلم  
 أو نحو ذلك مما يؤدي معناه كما بينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاقضى ذلك البيان  
 في الاحاديث الكثيرة ان هذه هي الصلاة الشرعية واعلم ان هذه الصلاة من الله على  
 رسوله وان كان معناها الرحمة فقد صارت شعارا له يختص به دون غيره فلا يجوز لنا ان  
 نصلى على غيره من أمته كما يجوز لنا ان نقول اللهم ارحم فلانا أو ارحم الله فلانا وبهذا  
 قال الجمهور من العلماء مع اختلافهم هل هو مجرم أو مكروه كراهة شديدة أو مكروه كراهة  
 تنزيه على ثلاثة أقوال وقد قال ابن عباس كما رواه عنه ابن أبي شيبه والبيهقي في الشعب  
 لاتصلح الصلاة على احد الا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن يدعى للمسلمين

عليه فرخان ورفع اليه الصحيفة اللطيفة فلما قرأها قال اتوفى بشهر براز وقد مضى عنقه فقال شهر براز لا تعجل حتى أكتب  
 وصيتي قال نعم فدعا باللفظ فأعطاه الصنائف فقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت أردت ان تقتلني بكتاب واحد فرد الملك الى  
 أخيه شهر براز وكتب شهر براز الى قيصر ملك الروم ان لي اليك حاجة لاتحملها البرد ولا تحملها الحنف فالتفتي الاني  
 نخسين روميا فاني لألقاك الاني نخسين فارسي فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق وخاف  
 ان يكون قدم مكروه حتى أتاه عيون بهانه ليس معه الا خمسين رجلا ثم بسط لهم ما والتميا في قبة ديباح ضربت لهم ماع كل واحد منهم ما

سكبن فدمت ارجاننا بينهما فقال شهر برازان الذين خربوا مدائنك انا و اخی بكيدنا و شجاعتنا وان كسرى حسدنا و اراد ان يقتل اخی فأبیت ثم أمر اخی ان يقتلني فقد حلقنا جميعا فخنقنا فقلدنا معك قال قد اصبه اثم اشراراً أحدهما الى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا جاوزا اثنين فشا قال أجل فقتلا الترجان جميعا بسكينهم ما فأهلك الله كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوم الحديبية ففرح المسلمون معه فهذا اسباق غريب و بناء عجيب ولست اكلم على كلمات هذه الآيات الكريمة فقوله تعالى الم غلبت الروم قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة (٣١٢) في أوائل السور في أول سورة البقرة وأما الروم فهم من سلالة

والمسلمات بالاستغفار وقال في المواهب لم ينقل ان الامم المتقدمة كان يجب عليهم ان يصلوا على أنبيائهم انتمى وقال في الامتدح ومن خواصه صلى الله عليه وآله وسلم انه ليس في القرآن ولا غيره صلاة من الله تعالى على غيره صلى الله عليه وآله وسلم فهي خصيصة اختصه الله بهادون سائر الانبياء انتمى وقال قوم ان ذلك جائز لقوله تعالى وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ولقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ولقوله هو الذي يصلى عليكم وملائكته ولحديث عبد الله بن أبي أوفى الثابت في الصحيحين وغيرهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاناه أفي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى ويحباب عن هذا بان هذا شعار الثابت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له ان يخص به من شاء وليس لنا ان نطلبه على غيره واما قوله تعالى هو الذي يصلى الخ وقوله أولئك عليهم صلوات فهذا ليس فيه الا ان الله سبحانه يصلى على طوائف من عباده كما يصلى على من صلى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مرة واحدة عشر صلوات وليس في ذلك أمر لنا ولا شرعه الله في حقنا بل بشرع لنا الا الصلاة والتسليم على رسوله وكان انظ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شعاره فكذلك الفظ السلام عليه وقد جرت عادة جهور هذه الامم والسواد الاعظم من سلفها وخلفها على الترضى عن الصحابة والتراحم على من بعدهم والدعاء لهم بمغفرة الله وعفوه كما أرشدنا الى ذلك بقوله سبحانه والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم عن ابن عباس ان بنى اسرائيل قالوا للموسى هل يصلى ربك فناداه ربه يا موسى سألوكم هل يصلى ربك فقال نعم انا أصلى وملائكتي على أنبيائي ورسلي فانزل الله على نبيه ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية أى يبركون وعنه ان صلاة الله على النبي هي المغفرة ان الله لا يصلى ولكن يغفر واما صلاة الناس على النبي فهي الاستغفار له (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أى ادعوا له بالرحمة وقولوا اللهم صل على محمد وأصلى الله على محمد فانكم أولى بذلك وعن ابن عباس انه قرأ صلوا عليه كما صلى الله عليه (وسلموا تسليما) أى حيوه بجمية السلام وقولوا اللهم سلم على محمد وانقادوا الامر ما انقيادا والاول أولى ثم هي واجبة مرة عند الطعاوى وكما ذكر اسمع عند الكرخي وهو الاحتياط وعليه الجمهور قال

العيص بن اسحق بن ابراهيم وهم أبناء عم بنى اسرائيل ويقال لهم بنو الاصفر وكانوا على دين اليونان واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك وكانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة ويقال لهم المتحيرة ويصلون الى القطب الشمالى وهم الذين أسسوا دمشق وبنوا معبدها وفيه محاريب الى جهة الشمال فكان الروم على دينهم الى بعد مبعث المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة وكان من ملكتهم الشام مع الجزيرة يقال له قصر فكان أول من دخل في دين النصرى من ملوك الروم قسطنطين بن قسطنطين وأمه مريم الهيلانية الغنداقية من أرض حران كانت قد تنصرت قبله فدعته الى دينها وكان قبل ذلك فيلسوفا فتابعها يقال تقيمة واجتمعت به النصرى وتناظر وافي زمانه مع عبد الله بن أدبوس واختافوا اختلافا كثيرا منتشرا منتشرا لا ينضب الا انه اتفق من جماعتهم ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفا فوضعوا التسطنطين العقيدة وهي التي يسمونها الامانة الكبيرة وانما

هي الخيانة الحقة ووضعه والقوانين يعنون كتب الاحكام من تحريم وتحليل وغير ذلك مما يحتاجون اليه وغروا دين المسيح عليه السلام وزادوا فيه ونقصوا منه فصالوا الى المشرق واعتاضوا عن السبت بالاحد وعبدوا الصليب وأحلوا الخنزير واتخذوا أعيادا أحدثوها كعيد الصليب والقداس والغطاس وغير ذلك من البواعيث والشعابين وجعلوا الباب وهو كبيرهم ثم البتاركة ثم المطارنة ثم الاساقفة والقساوسة ثم الشماسة وابتدعوا الرهبانية وبنى لهم الملك الكنائس والمعابد وأسس المدينة المنسوبة اليه وهي القسطنطينة يقال انه بنى في أيامه اثني عشر ألف كنيسة وبنى بيت لحم بثلاث

أبو السعود وهذه الآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقاً أي من غير تعرض لوجوب التكرار وقال القسطلاني قيل هي مستحبة وقيل واجبة في التشهد الأخير من كل صلاة وعليه الشافعي وهو رواية عن أحمد وقيل تجب في الصلاة من غير تعيين لمحل منها وقيل تجب في خارج الصلاة وقيل كذلك كقولنا وقيل في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره فيه وقيل تجب في العمر مرة واحدة وقيل تجب في الجملة من غير حصر وقيل يجب الأكثر منها من غير تقييد بعدد وتسلية مصدر مؤكداً قال الإمام ولم تؤكّد الصلاة لأنهم مؤكّدون بقوله إن الله وملائكته الخ وقيل أنه من الاحتمال كخذف عليه من أحدهما والمصدر من الآخر وقال بعض الفضلاء أنه سئل في منامه لم خص السلام بالمؤمنين دون الله والملائكة ولم يذكر له جواباً قلت وقد لاحت لي فيه نكتة سرية أي شريفة وهي أن السلام تسليمة عما يؤذيه فلما جاءت هذه الآية عقيب ذكراً ما يؤذي النبي والأذية انما هي من البشر فناسب التخصيص بهم والتأكيدهم واليه الإشارة بما ذكر بعده فإله الشهاب وأقول هذه الآية من باب الاكتفاء على حد قوله سرايل تقيكم الحجر والمعنى إن الله وملائكته يصلون على النبي ويسلمون وقد ثبت بالأدلة الصحيحة القرآنية وغيرها تسليم الله تعالى على غيره صلى الله عليه وآله وسلم من الأنبياء والصالحين والنكتة التي ذكرها الشهاب لا تخلو عن تكلف وبعد تأمل وعن كعب بن عجرة قال لما نزلت إن الله وملائكته الآية قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأحمد والنسائي من حديث طلحة بن عبيد الله قال قلت يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وفي الأحاديث اختلاف في بعضها على إبراهيم فقط وفي بعضها على آل إبراهيم فقط وفي بعضها بالجمع بينهم ما كحديث طلحة هذا وأخرج البخاري وسلم وغيرهما من حديث أبي حمزة الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف صلى عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً وفي بعضها التقييد بالصلاة كما في حديث ابن مسعود عند ابن خزيمة والحاكم وصححه وهو البيهقي في سننه إن رجلاً قال يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا

محارب و بنت أمه القمامة وهو لاء هم الملكية يعنون الذين هم على دين الملك ثم حدثت بعدهم اليه قومية اتباع يعقوب الاسكاف ثم النسطورية أصحاب نسطور وهم فرق وطوائف كثيرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة والغرض انهم استمروا على النصرانية كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده حتى كان آخرهم هرقل وكان من عتلاء الرجال ومن أحزم الملوك وأدهاهم وأبعدهم غورا وأقصاهم رأياً فتملك عليهم في رياسة عظيمة واجبة كثيرة فناواه كسرى ملك الفرس وملك البلاد كالعراق وخراسان والري وجميع بلاد العجم وهو سابور ذوالالكاف وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر وله رياسة العجم وحقارة الفرس وكانوا يجوسا يعبدون النار فتقدم عن عكرمة أنه قال بعث اليه نوابه وجيشه فقاتلوه والمشهور ان كسرى بنفسه غزاه في بلاده فقهره وكسره وقصره حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية فحاصره بها مدة طويلة حتى ضاقت عليه وكانت النصراني تعظمه تعظيماً زائداً ولم يقدر كسرى على فتح البلاد ولا أمكنه ذلك

عليك في صلاتنا الحديث وأخرج الشافعي في مسنده من حديث أبي هريرة مثله وجميع  
 التعليمات الواردة عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة عليه مشتتة على الصلاة على آله  
 معه إلا النادر اليسير من الأحاديث فينبغي للمصلي عليه أن يضم آله إليه في صلاته عليه  
 وقد قال بذلك جماعة ونقله امام الحرمين والغزالي قولاً عن الشافعي كما رواه عنهم ما ينكسر  
 في تفسيره ولا حاجة إلى التمسك بقول قائل في مثل هذا مع تصريح الأحاديث الصحيحة به  
 ولا وجه له لقول من قال إن هذه التعليمات الواردة عنه صلى الله عليه وآله وسلم في صفة  
 الصلاة عليه مقيدة بالصلاة في الصلاة جملة المطلق الأحاديث على المقيد منها بذلك القيد  
 لما في حديث كعب بن عجرة وغيره أن ذلك السؤال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
 كان عند نزول الآية وأخرج عبد الرزاق وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة  
 أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال صلوا على أنبياء الله ورسوله فإن الله بعثهم كما بعثني  
 ثم لما ذكر سبحانه ما يجب لرسوله من التعظيم ذكر الوعيد الشديد للذين يؤذونه فقال  
 (إن الذين يؤذون الله ورسوله) قيل المراد بالأذى هنا هو فعل ما يكرهه الله من المعاصي ليعلم  
 هذا القدر الإيذاء الحقيقي في حق الرسول والمجازي في حقه تعالى لاستحالة حقيقة  
 التأذي عليه سبحانه قال الواحدى قال المنسرون هم المشركون واليهود والنصارى  
 وصفوا الله بالولد فقالوا عزيز ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله وكذبوا  
 رسول الله وشجروا وجهه وكسروا ربايته وقالوا مجنون شاعر كذاب ساحر وبه قال ابن  
 عباس قال القرطبي وبه إذا قال جمهور العلماء وقال عكرمة الأذية لله سبحانه بالتصوير  
 والتعرض لفعل ما يفعله إلا الله بخت الصور وغيرها وقال جماعة أن الآية على حذف  
 مضاف والتقدير إن الذين يؤذون أولياء الله وقيل معنى الأذية الإلحاد في أسمائه وصفاته  
 وأما أذية رسوله فهي كل ما يؤذيه من الأقوال والأفعال ومنه ترك الاتباع وفعل التقليد  
 لا آراء الرجال وإيثاره عليه (لعنهم الله) معنى اللعنة الطرد والابعاد من رحمة وجعل ذلك  
 (في الدنيا والآخرة) لتشملهم اللعنة فيهما بحيث لا يبقى وقت من أوقات محياهم ومماتهم  
 إلا واللعنة واقعة عليهم مصاحبة لهم (وأعد لهم) مع ذلك اللعن (عذاباً مهيناً) يصيرون  
 به في الأهانة في الدار الآخرة كما يفيد معنى الأعداء من كونه في الدار الآخرة عن ابن  
 عباس في الآية قال نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين أخذ  
 صفية بنت حبي وروى عنه أنها نزلت في الذين قد فؤا عاتشة ثم لما فرغ من الذم لمن آذى  
 الله ورسوله ذكر الأذية لصالحى عباده فقال (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات) بوجه  
 من وجوه الأذى من قول أو فعل ومعنى قوله (بغير ما كتبوا) أنه لم يكن ذلك بسبب  
 فعلوه بوجوب عليهم الأذية ويستحقونها به وقيل يقعون فيهم ويردونهم بغير جرم فأما الأذية  
 للمؤمن والمؤمنة بما كسبه مما يوجب عليه حداً وتعزيراً ونحوهما فذلك حق أثبتته  
 الشرع وأمرنا الله به ونبينا الله وهكذا إذا وقع من المؤمنين والمؤمنات الإبتداء  
 بشتم لمؤمن أو مؤمنة أو ضرب فإن القصاص من الفاعل ليس من الأذية المحرمة على أى  
 وجه كان ما لم يجاوز ما شرعه الله ثم أخبر عما هو لاء الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير

لخصاتها لان نصتها من ناحية البر  
 ونصها الآخر من ناحية البحر  
 فكانت تأتيم الميرة والمسد من  
 هنالك فلما طال الأمر بركب قصر  
 مكيدة ورأى في نفسه خديعة  
 فطلب من كسرى أن يقلع من  
 بلاده على مال يصلحه عليه ويثرت  
 عليه ماشاء فأجابته إلى ذلك وطاب  
 منه أموال الاعظيمة لا يقدر عليها أحد  
 من ملوك الدنيا من ذهب وجواهر  
 وأقمشة وجوار وخدام وأصناف  
 كثيرة فطأ وعه قيصراً وأهمه أن  
 عنده جميع ما طلب واستقل عقله  
 لما طلب منه ما طلب ولو اجتمع هو  
 وإياه لعجزت قدرتهم ما عن جمع عشره  
 وسأل من كسرى أن يمنعه من  
 الخروج إلى بلاد الشام وأقاليم  
 مملكته ليسعى في تحصيل ذلك من  
 ذخائره وحواسله ودفانته فاطلق  
 سراحه فلما عزم قيصراً على الخروج  
 من مدينة قسطنطينية جمع أهل  
 ملته وقال إنى خارج في أمر قد  
 أبرمته في جند قد عينته من جيشى  
 فإن رجعت إليكم قبل الحول فأنا  
 ملككم وإن لم أرجع إليكم قبلها  
 فأنتم بالخيار إن شئتم استمررت على  
 بيعتى وإن شئتم وليتم عليكم غيرى  
 فأجابوه بأنك ملكنا مادمت حياً ولو  
 غبت عشرة أعوام فلما خرج من



ما اكتسبوا فقال (فقد احقوا بهم تانا وانما مينا) أي ظاهرها واضحا لا شك في كونه من  
 البهتان والاثم وقد تقدم بيان حقيقة البهتان وحقيقة الاثم قيل انهم انزلت في علي بن أبي  
 طالب كانوا يؤذونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقيل نزلت في الزناة كانوا يعيشون في طرق  
 المدينة يقيمون النساء وهن كارهات وعن الفضل لا يحل لك ان تؤذي كلبا وخنزيرا بغير  
 حق فكيف ايداء المؤمنين والمؤمنات وما فرغ سبحانه من الزجر لمن يؤذي رسوله  
 والمؤمنين والمؤمنات من عباده أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يأمر بعض  
 من ناله الأذى ببعض ما يدفع ما يقع عليه منه فقال (يا أيها النبي قل لا زواجوا بنات  
 ونساء المؤمنين يدين عليهن من جلابيهم) جمع جلاب وهو ثوب أكبر من الخمار وهو  
 الملاعة التي تشتمل به المرأة فوق الدرع والخمار قال الجوهري الجلاب الملقبسة وقال  
 الشهاب ازار واسع يلتحف به وقيل القناع وقيل هو كل ثوب يسترجع بدن المرأة من  
 كساء وغيره كما ثبت في الصحيح من حديث أم عطية انها قالت يا رسول الله احدا نالا يكون  
 لها جلاب فقال لتلبسها أختها من جلابها قال الواحدي قال المنسرون يغطون  
 وجوههن ورفسهن الاعيان واحدة فيعلم انهن حرائر فلا يعرض لهن بأذى وبه قال ابن  
 عباس وقال الحسن تغطي نصف وجهها وقال قتادة تلويه فوق الجبين وتشدده ثم تعطنه  
 على الانف وان ظهرت عيناها لکنه يستر الصدر ومعظم الوجه وقال المبرد خير خيما عليهن  
 ويغطين بها وجوههن وأعطاهن ومن التبعية أي ترخي بعض جلابها وفضله على  
 وجهها تتقنع حتى تميز عن الأئمة (ذلك) أي ادناء الجلاب وهو مبتدأ وخبره (أدنى)  
 أقرب (ان يعرف) فيميز عن الاماء ويظهر للناس انهن حرائر (فلا يؤذون) من جهة  
 أهل الريبة بالتعرض لهن مراقبة لهن ولا لاهلهن وليس المراد بتولده ذلك الخ ان تعرف  
 الواحدة منهن من هي بل المراد ان يعرفن انهن حرائر الاماء لانهن قد بسن لبسة تختص  
 بالحرائر قال السبكي في الطبقات الكبرى ان من أئمة الشافعية أحمد بن عيسى شارح  
 التفسير استنبط من هذه الآية ان ما يشعره علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الكلام  
 والعمامة وليس الطيبان حسن وان لم يفعلوا السلف لان فيه تمييز لهم وبذلك يعرفون  
 فبليتفت الى فتاواهم وأقوالهم انتهى ومنه يعلم ان تمييز الاشراف بعلامه أمر مشروع  
 أيضا انتهى أقول ما بردها الاستنباط وما أقل نفعه لاسيما بعد ما ورد في السنة المطهرة  
 من النهي عن الاشراف في اللباس واطالته وقدمت من ذلك سلف الامة وأنتها فأين هذا  
 من ذلك وانما هو بدعة أحدثها علماء السوء ومشايخ الدنيا ولذا قال علي القاري في  
 معرض الدم لهم عمائم كالابراج وكأتم كالخراج وأنكر عليهم ذلك أشد الانكار وما ذكره  
 من ان زى العلماء والاشراف سنة برده ابن الحاج في المدخل بان مخالف لهم في زى النبي  
 صلى الله عليه وآله وسلم وزى الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من خير القرون فان قيل انهم  
 به يعرفون قيل انهم لو بقوا على الزى الاول عرفوا به أيضا بخالفته لما عليه غيرهم الآن  
 وأطال في انكار ما قالوه وتدبستنا القول على ذلك في حجج الكرامة بالفارسية أيضا  
 فراجعوه (وكان الله غفورا) لما سلف من ترك ادناء الجلاب (رحميا) بهم او غفورا

التسطنطينية خرج جريدة في  
 جيش متوسط هذا وكسرى محيم  
 على التسطنطينية ينتظره ليرجع  
 فركب قيصر من فوره وسار مسرعا  
 حتى انتهى الى بلاد فارس فعات في  
 بلادهم قتلا لارجالها ومن بها من  
 المتأله أولا فاولا ولم يزل ينصل  
 حتى انتهى الى المدائن وهي كرسى  
 ملكة كسرى فقتل من بها وأخذ  
 جميع حواصله وأمواله وأسر نساءه  
 وحريره وحاق رأس ولده وركبه  
 على حمار وبعث معه من الاساورة  
 من قومه في غاية الهوان بالدلة  
 وكتب الى كسرى يقول هذا  
 ما طلبت فخذ فلما بلغ ذلك كسرى  
 أخذ من الغم ما لا يحصى الا الله  
 تعالى واشتد حنقه على البلد فخذ  
 في حصارها بكل ممكن فلم يقدر على  
 ذلك فلما عجز ركب ليأخذ عليه  
 الطريق من مخاضة جيحون التي  
 لا سبيل اقتصر الى التسطنطينية  
 الاثنا فلما علم قيصر بذلك احتال  
 بجلبه عظيمة لم يسبق اليها رهوانه  
 أرض جندة وحواصله التي معه  
 عند دم الخاضة وركب في بعض  
 الجيش وأمر باجمال من التبن  
 والبعر والرون فحملت معه وسار  
 الى قريب من يوم في الماء مصعبا  
 ثم أمر بالقاء تلك الاجمال في النهر

لذئوب المذنبين رحيمهم فيدخلن في ذلك خولاً أولياً وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر فقال يا سودة اما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين قالت فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي وانه ليعتشي وفي يده عرق فدخلت وقالت يا رسول الله اني خرجت ابعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا فأوحى اليه ثم رفع عنه وان العرق في يده ما وضعه فقال انه قد أذن لكن ان تخرجين لحاجتك كن وعن أبي مالك قال كان نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرجن لحاجتهن بالليل وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذين فقبيل ذلك للمنافقين فقالوا انما نفعلهن بالاماء فنزات هذه الآية يا أيها النبي قل لازواجك الآية وعن محمد بن كعب القرظي قال كان رجل من المنافقين يتعرض لنساء المؤمنين يؤذين فاذا قيل له قال كنت أحسبها أمة فأمرهن الله ان يخالفن زى الاماء ويدين عليهن من جلابيبهن تخمر وجهها الا احدى عينها ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين يقول ذلك أحرى ان يعرفن وعن ابن عباس في هذه الآية قال أمر الله نساء المؤمنات اذا خرجن من بيوتهن في حاجة ان يغطين وجوههن من فوق رؤسهن بالجلابيب ويدين عينا واحدة وعن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية يدين عليهن من جلابيبهن خرج نساء الانصار كأن علي رؤسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسها هكذا في الرواية بلفظ من السكينة وليس لها معنى فان المراد تشبيهه الاكسية السود بالغربان لأن المراد وصفهن بالسكينة كما يقال كأن علي رؤسهم الطير وعن عائشة قالت رحم الله نساء الانصار لما نزلت يا أيها النبي قل لازواجك الآية شققن مروطن فاعتجرن بهن فاصلين خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأن علي رؤسهن الغربان وعن ابن عباس في الآية قال كانت الحرة تلبس لباس الأمة فأمر الله نساء المؤمنات ان يدين عليهن من جلابيبهن وادناها الجلابيب أن تقع وتشده علي جبينها قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متعقبة فعلاها بالدره وقال يا لكاع تشبهين بالحرائر التي القناع قلت وللكاع كلمة يقال لمن يستحقره مثل العبد والامة والخامل والقليل العقيل مثل قولك يا خسيس وذلك ان النساء في أول الاسلام على هجرتهن في الجاهلية متبدلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان القسيان يتعرضون اذا خرجن بالليل اقضاء حوائجهن في التخيل والغيظان للاماء وربما تعرضوا للحرة لحسبان الامة فأمرن ان يخالفن بزيهن عن زى الاماء بلبس الملاحف وستر الرؤس والوجوه فلا يطمع فيهن طامع ثم توعد سبحانه أهل النفاق والارجاف فقال (لئن لم ينته المنافقون) عما هم عليه من النفاق (والذين في قلوبهم مرض) أى شك وريبة عما هم عليه من الاضطراب (والمرجعون في المدينة) عما يصدر منهم من الارجاف يذكر الاخبار الكاذبة المتضمنة لتوهين جانب المسلمين وظهور المشركين عليهم قال القرظي أهل التفسير على ان الاوصاف الثلاثة لشيء واحد والمعنى ان المنافقين قد جعلوا بين النفاق ومرض القلوب والارجاف على المسلمين فهو على هذا من باب قوله

فلما هرت بكسرى وجنده ظن انهم قد خاضوا من هنالك فركبوا في طلبهم فعرفت المخاضة عن الفرس وقدم قيصر فأمرهم بالنهوض والخوض فخاضوا وأسرعوا السير فقاتوا كسرى وجنوده ودخلوا القسطنطينية فكان ذلك يوماً مشهوداً عند النصارى وبقي كسرى وجيوشه حائرين لا يدرون ماذا يصنعون لم يحصوا اول بلاد قيصر وبلادهم قد خربتها الروم وأخذوا حواصلهم وسبوا ذرارهم ونساءهم فكان هذا من غلب الروم لفارس وكان ذلك بعد تسع سنين من غلب فارس للروم وكانت الوقعة الكائنة بين فارس والروم حين غلبت الروم بين أدرعات وبصرى على ما ذكره ابن عباس وعكرمة وغيرهما وهي طرف بلاد الشام مما يلي بلاد الحجاز وقال مجاهد كان ذلك في الجزيرة وهي أقرب بلاد الروم من فارس فأنه أعلم ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين وهي تسع فان البضع في كلام العرب ما بين الثلاث الى التسع وكذلك جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وغيرهما من حديث عبد الله بن عبد الرحمن الجمعي عن الزهري عن عبيد الله بن

الى الملك القرم وابن الهمام \* وليث الكتيبة في المزدحم

والواو مقعمة وقيل الموصوف متغاير ومتعدد فكان من المنافقين قوم يرجفون وقوم يتبعون النساء للريبة وقال عكرمة بن زهير بن حوشب الذين في قلوبهم مرض هم الزناة من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض والمرض هو الزنا والارجاف في اللغة اشاعة الكذب والباطل يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقته لكونه خيرا مترلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة يقال رجفت الارض أي تحركت وترزلات ترجف رجفا والرجفان الاضطراب الشديد وسعى الجرجاف الاضطراب والارجاف واحد الارجاف وارجفوا في الشيء خاصوا فيه وذلك بان هؤلاء المرجفين كانوا يخبرون عن سرايا المسلمين بانهم هزموا وتارة بانهم قتلوا وتارة بانهم غلبوا ونحو ذلك مما تنكسر له قلوب المسلمين من الاخبار فتوعدهم الله سبحانه بقوله (لتغرينك بهم) أي لتخربنك ولتسلطنك عليهم فتستأصلهم بالقتل والتشريد بأمر نالك بذلك قال المبرد قد أغراه الله بهم في قوله الآتي ملعونين أي بما تقتفوا الخ فهذا معنى الأمر بقتلهم وأخذهم أي هذا حكمهم اذا كانوا مقعنين عن النفاق والارجاف قال النحاس وهذا من أحسن ما قيل في الآية وأقول ليس هذا بحسن ولا أحسن فان قوله ملعونين الخ انما هو مجرد الدعاء عليهم لانه أمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتالهم ولا تسلط له عليهم وقد قيل انهم انتهوا بعد نزول هذه الآية عن الارجاف فلم يغيره الله بهم ووجه لغرينك بهم جواب القسم (ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) وانما عطف بهم لان الجلاء عن الاوطان كان أعظم عليهم من جميع ما أصيبوا به فترأخت حاله عن حال المعطوف عليه يعني انها للتفاوت الرتبى وللدلالة على ان ما بعدهما أبعد مما قبلها وأعظم وأشد عندهم والمعنى لا يساكنونك في المدينة الاجوارا قليلا حتى يخرجوا أو يهلكوا (ملعونين أيما تقتفوا) أي مطرودين أي بما وجدوا وأدركوا (أخذوا وقتلوا تنجيلا) دعاء عليهم بأن يؤخذوا وقتلوا والتشديد يدل على التكثير وقيل ان هذا هو الحكم فيهم وليس بدعاء عليهم والاول أولى وقيل معنى الآية انهم ان أسروا على النفاق لم يكن لهم مقام بالمدينة الا وهم مطرودون ملعونون وقد فعل بهم صلى الله عليه وآله وسلم هذا فانه لما نزلت سورة براءة جمعوا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا فلان قم فاخرج فانك منافق ويا فلان قم فقام اخوانهم من المسلمين ويؤلووا اخرجهم من المسجد (سنة الله في الذين خلوا من قبل) أي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو لعن المنافقين وأخذهم وقتلهم وكذا حكم المرجفين وهو مستحب على المصدر قال الزجاج سن الله في الذين يتأفقون الانبياء ويرجعون بهم ان يقتلوا حينما تقتلوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي تحويلا وتغييرا بل هي ثابتة دائمة في أمثال هؤلاء في الخلف والسلف يجريها الله مجرى واحد في الامم لا يثبت اعلى أساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع وقال الخطيب أي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ فان النسخ يكون في الاقوال أما الافعال اذا وقعت والاخبار فلا تنسخ (يسألك الناس عن الساعة) أي عن وقت حصولها وجودها وقيامها قبل السائلون عنها

عبد الله عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر في مناجبة الم غلبت الروم الآية الاحتطت يا ابا بكر فان البضع ما بين ثلاث الى تسع ثم قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وروى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو انه قال ذلك والله أعلم وقوله تعالى الله الامر من قبل ومن بعد أي من قبل ذلك ومن بعده فبني على الضم لما قطع المضاف وهو قوله قبل عن الاضافة ونويت ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله أي للروم اصحاب قيصر ملك الشام على فارس اصحاب كسرى وهم انجوس وكانت نصر الروم على فارس يوم وقعت بدر في قول طائفة كثير من العلماء كابن عباس والنوري والسدي وغيرهم وقد ورد في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والبخاري حديث الاعمش عن عطية عن ابي سعيد قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فاجب ذلك المؤمنين فمروا به وأنزل الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وقال آخرون بل كان نصر الروم على فارس عام المدينة

أولئك المنافقون والمرحفون والمشركون واليهود لما توعدوا بالعباب سألوا عن الساعة  
استبعادا وتكذبا أو امتحانا لان الله تعالى عصى وقتها في التوراة وسائر الكتب (قل انما  
علمها عند الله) يعني انه سبحانه قد استأثر به ولم يطلع عليه نبيا مرسل ولا ملكا مقربا  
(وما يدريك) أي ما يعلمك ويخبرك يا محمد (لعل الساعة تكون قريبا) أي في زمان  
قريب وانت صاب قريبا على الظرفية والتذكير ليكون الساعة في معنى اليوم أو الوقت  
مع كون التائيت ليس بحقيقى والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبيان انها  
إذا كانت محجوبة عنه لا يعلم وقتها وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف بغيره  
من الناس وفي هذات هديد عظيم للمستعجلين واسكات للممتحنين والمشركين ولمن يثبت  
علم المغيبات للانبياء والصالحين وغيرهم من الخلق (ان الله لعن الكافرين) أي طردهم  
وأبعدهم من رحمته (وأعد لهم في الآخرة مع ذلك اللعن من لهم في الدنيا (سعيرا) أي  
نارا شديدة التسعير (خالدين فيها) أي في السعير لانهم مؤمنون أولاد في معنى جهنم (أبدا)  
بلا انقطاع وهذا كما ساءت تفيد من خالدين (لا يجدون وليا) يوم اليهم ويحفظهم  
من عذابها (ولانصرا) ينصرهم ويخلصهم منها (يوم تقاب وجوههم في النار) أي  
اذ كقرى قلب بضم التاء وفتح اللام على البناء للمفعول وقرى بالنون وكسر اللام على  
البناء للفاعل وهو الله سبحانه وبضم التاء وكسر اللام على معنى قلب السعير وجوههم  
وقرى بفتح التاء واللام على معنى تقابل ومعنى هذا التقابل المذكور في الآية هو تقابلها  
نارة على جهة منها نارة على جهة أخرى ظهر البطن أو تغير ألوانهم بفتح النون وسودتارة  
وتخضر أخرى أو تبديل جلودهم بجلود أخرى وخصت الوجوه لان الوجه أكرم موضع  
على الانسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجملة فينبذ (يقولون باليتما أظعنا  
الله وأطعم الرسول) الجملة مستأنفة كأنه قيل فما حالهم فقيل يقولون متمسرين على  
ما فاتهم أو حال من ضمير وجوههم أو من نفس الوجوه تموا أنهم أطاعوا الله والرسول  
وآمنوا بما جاء به لينجوا مما هم فيه من العذاب كما نجح المؤمنون وهذه الأنف في الرسول والتي  
تأني في السبيل هي الأنف التي تقع في النواصل وتسميها النخاة الف الاطلاق لاطلاق  
الصوت كقوافي الشعر وقائمتها الوقت والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده  
مستأنف وقد سبق بيان هذا في أول هذه السورة (وقالوا ربنا أظعنا ساداتنا وكبراءنا)  
وقرى ساداتنا بكسر التاء جمع سادة فهو جمع الجمع وسادة جمع على غير قياس سواء جعل  
جعا لسبب أو ساءد والجملة معطوفة على الجملة الأولى والعدول الى الماضي للاشارة بان  
قولهم هذا ليس مستترا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضربا من التشنى  
بمضاعفة عذاب الذين ألقوهم في تلك الورطة والمراد بالسادة والكبراء هم الرؤساء والقادة  
الذين كانوا يمثلون أمرهم في الدنيا ويقتدون بهم وقال مقاتل هم المظعمون في غزوة  
بدر والاول أولى ولاوجه للتخصيص بطائفة معينة والتعبير عنهم بعنوان السادة والكبر  
لتقوية الاعتذار والافهم في مقام التقدير والأهانة وفي هذا جرح عن التلميد شديد وك  
في الكتاب العزيز من التنبية على هذا والتحذير منه والتنفير عنه ولكن لمن يفهم معنى

قاله عكرمة والزهرى وقتادة وغير  
واحد ووجه بعضهم هذا القول بان  
قصر كان قد نزلت ان أظفره الله  
بكسرى لم يشين من حص الى ايليا  
وهو بيت المقدس شكر الله تعالى  
فنفعل فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج  
منه حتى وافاه كتاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم الذي بعثه مع حبيبة  
ابن خليفة فأعطاه حبيبة لعظيم  
بصرى فدفعه عظيم بصرى الى  
قصر فلما وصل اليه سأل من بالشام  
من عرب الحجاز فأخضره أبو سفيان  
من حرب الاموى في جماعة  
من بكار قر يش بغزة فحفي بهم اليه  
فجلسوا بين يديه فقال أيكم أقرب  
نسبا بهذا الرجل الذي يزعم انه نبي  
فقال أبو سفيان أنا فقال لا صحابه  
وأجلسهم خلفه انى سائل هذا عن  
هذا الرجل فان كذب فكذبوه  
فقال أبو سفيان فوالله لولان  
يأزرو على الكذب ليكذب فسأله  
هرقل عن نسبه وصفته فكان فيما  
سأله ان قال فهل يغدر قال قلت لا  
ونحن منه في مدة لاندرى ما هو  
صانع فيها يعني بذلك الهدنة التي  
كانت قد وقعت بين رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وكان قر يش عام  
الحديبية على رضع الحرب بينهم  
عشر سنين فاستدلوا بهذا على ان  
نصر الروم على فارس كان عام

كلام الله ويقتدى به وينصف من نفسه لا لمن هو من جنس الانعام في سوء الفهم ومن يبد  
 البلادة وشدة التعصب (فأضلونا السبيلا) أى عن السبيل بما زينو النامن الكفر بالله  
 وبرسوله والسبيل هو التوحيد ثم دعوا عليهم في ذلك الموقف فقالوا (ربنا آتهم ضعفين  
 من العذاب) أى مثل عذابنا مرتين للضلال والاضلال وقال قتادة عذاب الدنيا  
 والآخر وقيل عذاب الكفر وعذاب الاضلال (والعنه لعنا كبيرا) أى كبريرا في  
 نفسه شديدا عليهم وقرى بالمثلثة أى كثير العدد عظيم القدر شديد الموقع (يا أيها الذين  
 آمنوا اتكفروا كالذين آذوا موسى) بقوله سم ان به أدرة أو برصا أو عيبا وسيأتى بيان  
 ذلك وفيه تأديب للمؤمنين وزجر لهم من أن يدخلوا في شيء من الامور التي تؤذي رسول  
 الله صلى الله عليه وآله وسلم قال مقاتل وعظ الله المؤمنين أن لا يؤذوا محمد صلى الله عليه  
 وآله وسلم كما آذى بنو اسرائيل موسى وقد وقع الخلاف فيما أؤذى به نبينا صلى الله عليه  
 وآله وسلم حتى نزلت هذه الآية فحكي النقاش ان آذيتهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم  
 قوله لم يزيد بن محمد وقال أبو وائل انه صلى الله عليه وآله وسلم قسم قسما فقال رجل من  
 الانصار ان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وعن ابن مسعود مثله فذكر ذلك للنبي صلى  
 الله عليه وآله وسلم فاجر وجهه ثم قال رحم الله موسى فقد أؤذى بأكثر من هذا  
 فصبر أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما وقيل نزلت في زيد بن ثابت وزينب بنت جحش  
 وما مع فيها من قالة الناس (فبرأه) أى طهره (الله مما قالوا) وأظهر برأته لهم  
 وما مصدر به أو موصولة وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤداه وهو الامر  
 المعبى وأذى موسى هو حديث الموسى التي أرادها فارون على قدفة بنفسها وقد أخرج  
 البخارى وغيره من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان  
 موسى كان رجلا حيا سيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فأذاه من أذاه من بنى  
 اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا السر الا من عيب بجلده ما برص واما أدرة واما آفة وان الله  
 عز وجل اراد ان يبرئ موسى مما قالوا فخلا يوما وحده فخلع ثيابه على الحجر ثم اغتسل  
 فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدى ثوبه فأخذ موسى عصاه فطلب الحجر  
 فجعل يقول توبى حجر توبى حجر حتى انتهى الى ملا من بنى اسرائيل فرأوه عريانا أحسن  
 ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا فوالله ان بالحجر  
 لندب من ضرب به ثلاثا وأربعاً وخمسا وأخرج نحوه البرار وابن الانبارى وابن مردويه من  
 حديث أنس وقال ابن عباس قال له قومه انه آدر فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على  
 حجر فخرجت الصخرة تشتمد بثيابه فخرج موسى بتهعها عريانا حتى انتهت به الى مجالس بنى  
 اسرائيل فرأوه وليس بأدر فذلت قوله فبرأه الله مما قالوا الآية واخرج الحاكم وصححه عن  
 ابن مسعود وناس من الصحابة ان الله أوحى الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا  
 وكذا فانظرتنا نحو الجبل فاذا هم بشجرة وبيت فيه سرير عليه فرش وريح طيب فلما نظر  
 هرون الى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه قال يا موسى انى أحب ان أنام على هذا السرير  
 قال نعم عليه قال نعم معى فلما نام أخذ هرون الموت فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت

الحديبية لان قبصر انما وفي بندره  
 بعد الحديبية والله أعلم ولا صحاب  
 القول الاول ان يجيبوا عن هذا  
 بأن بلاده كانت قد خربت وتشعبت  
 فقامت كمن من وفاندره حتى أصبح  
 ما ينبغي اصلاحه وتفقد بلاده ثم  
 بعد أربع سنين من نصرته وفي بندره  
 والله أعلم والامر في هذا سهل  
 قريب الا أنه لما اتصر فارس على  
 الروم ساء ذلك المؤمنين فلما اتصرت  
 الروم على فارس فرح المؤمنون  
 بذلك لان الروم أهل كتاب في الجملة  
 فهم أقرب الى المؤمنين من الجوس  
 كما قال تعالى لتجدن أشد الناس  
 عداوة للذين آمنوا اليهود والذين  
 أشركوا ولتجدن أقربهم مودة  
 للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى  
 الى قوله ربنا آمنوا فكتبنا مع  
 الشاهدين وقال تعالى ههنا  
 ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله  
 ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم  
 وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة  
 حدثنا صنفون ان حدثنا الوليد  
 حدثني أسيد الكلابى قال سمعت  
 العلامن الزبير الكلابى يحدث  
 عن أبيه قال رأيت غلبة فارس  
 الروم ثم رأيت غلبة الروم فارس ثم  
 رأيت غلبة المسلمين فارس والروم  
 كل ذلك في خمسة عشر سنة وقوله

الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا قتل هرون وحسده  
 حب بنى اسرائيل وكان هرون انقلب بهم والبن لهم وكان في موسى بعض الغلظة عليهم  
 فلما باغوه ذلك قال ويحكم انه كان اخي اقتروني اقتله فلما اكثر واعلمه قام فصلى ركعتين ثم  
 دعا الله فقبل بالسرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدم قوه (وكان عند الله  
 وجها) أى عظيما ذا واجهة والوجه العظيم القدر الرفيع المنزلة يقال وجه الرجل  
 يوجه واجهة فهو وجهه وقيل مستجاب الدعوة وقيل الوجاهة انه كلف تكليها وقرأ عبد الله  
 بالموحدة من العبودية وهي حسنة قاله الكرخي (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) في كل أمر  
 من الامور (وقولوا اقوالا سديدا) أى صوابا وحقا قال قتادة ومقاتل يعنى في شأن زيد  
 وزينب ولا تنسبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى ما لا يحل وقال عكرمة ان القول  
 السديد لا اله الا الله وقيل هو الذي يوافق ظاهره باطنه وقيل هو ما يريد به وجهه الله دون  
 غيره وقيل هو الاصلاح بين الناس والسديد مأخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض  
 والظاهر من الآية انه امرهم بأن يقولوا اقوالا سديدا في جميع ما يأتونه ويدرونه فلا يخص  
 ذلك نوعا دون نوع وان لم يكن في اللفظ ما يقتضى العموم فالمقام يفيد هذا المعنى لانه  
 أرشد سبحانه عباده الى أن يقولوا اقوالا يخالف قول أهل الاذى وأخرج أجدوان أبى حاتم  
 والطبراني وابن مردويه عن أبى موسى الأشعري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه  
 وآله وسلم صلاة الظهر ثم قال على مكانكم اثبتوا ثم أتى الرجال فقال ان الله أمرني ان  
 أمركم ان تتقوا الله وان تقولوا اقوالا سديدا ثم أتى النساء فقال ان الله أمرني ان أمركن  
 ان تتقين الله وان تقين قولنا سديدا ثم ذكر الله سبحانه ما لهؤلاء الذين امتثلوا الامر  
 بالاتبوى والقول السديد من الاجرف قال (يصلح لكم أعمالكم) أى يجعلها صالحة  
 لا فاسدة بما يهدى بكم اليه ويوفقكم فيه أو يتقبلها (ويغفر لكم ذنوبكم) أى يجعلها  
 مكفرة مغفورة (ومن بطع الله ورسوله) في فعل ما هو طاعة واجتناب ما هو معصية  
 (فقد فاز فوزا عظيما) أى ظفر بالخير ظفرا عظيما ونال خير الدنيا والآخرة وهذه الجملة  
 مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها ثم لما فرغ سبحانه من بيان ما هو لاهل الطاعة من الخير  
 بعد بيان ما لاهل المعصية من العذاب بين عظم شأن التكليف الشرعية وصعوبة أمرها  
 فقال (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن  
 منها) أى خفن من الامانة ان يؤدنها فيلحقهن العقاب أو خفن من الخيانة فيها  
 واختلف في تفسير الامانة المذكورة هنا فقال الواحدى معنى الامانة ههنا في قول جميع  
 المفسرين الطاعة والقرائض التي يتعلق با دائم الثواب بتضديعها العقاب قال القرطبي  
 الامانة تم جميع وظائف الدين على الصحيح من الاقوال وهو قول الجمهور وقد اختلف في  
 تفاصيل بعضها فقال ابن مسعود هي في امانة الاموال كالودائع وغيرها وروى عنه انها  
 في كل القرائض وأشدها امانة المال وقال أبى بن كعب من الامانة ان ائتمت المرأة على  
 فرجها وقال أبو الدرداء غسل الخيانة امانة وان الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها  
 وقال ابن عمر أول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه امانة استودعكها فلا تلبسها

تعالى وهو العزيز أى في انتصاره  
 واتقاه من أعدائه الرحيم بعباده  
 المؤمنين وقوله تعالى وعد الله  
 لا يخاف الله وعده أى هذا الذى  
 أخبرناك به يا محمد من أناس نصر  
 الروم على فارس وعدم الله حق  
 وخبر صدق لا يخاف ولا يبد من كونه  
 ووقوعه لان الله قد جرت سنته انه  
 ينصر أقرب الطائفتين المتقاتلتين  
 الى الحق ويجعل لها العاقبة ولكن  
 أكثر الناس لا يعلمون أى يحكمهم الله  
 في كونه وافعاله المحكمة الجارية  
 على وفق العدل وقوله تعالى يعلمون  
 ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن  
 الآخرة هم غافلون أى أكثر الناس  
 ليس لهم علم الا بالدنيا أو كسبها  
 وشؤونها وما فيها فهم حذائق أذكياء  
 في تحصيلها ووجوه مكاسبها وهم  
 غافلون في أمور الدين وما ينتفعهم  
 في الدار الآخرة كان أحدهم مغفل  
 لادنه له ولا فكرة قال الحسن  
 البصرى والله بلغ أحدهم بدنيته  
 انه يقرب الدرهم على ظفره فيجربك  
 بوزنه وما يحسن يصلى وقال ابن  
 عباس في قوله تعالى يعلمون ظاهرا  
 من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة  
 هم غافلون يعنى الكفار يعرفون  
 عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال

الاجتق فان حفظتها حفظك فالفرح أمانة والاذن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة  
والبطن أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا يمان لمن لا أمانة له وقال السدي هي ائتمان  
آدم ابنه قابيل على ولده هابيل وخيانتها اياه في قتله وما بعد هذا القول وليت شعري ما هو  
الذي سوغ للسدي نفسه هذه الآية بهذا فان كان ذلك ادليل له على ذلك فلا دليل  
وليت هذه الآية حكاية عن الماضين من العباد حتى يكون له في ذلك متمسك أبعد من  
كل بعيد وأوهن من بيت العنكبوت وان كان تفسيره هذا عملا بما تقتضيه اللغة  
العربية فليس في لغة العرب ما يقتضي هذا ويوجب جعل هذه الامانة المطلقة على شيء كان  
في أول هذا العالم وان كان هذا تفسيراً منه بمحض الرأي فليس الكتاب العزيز عرضة  
للتلاعب آراء الرجال به ولهذا ورد الوعيد على من فسر القرآن برأيه فأحذر أيها الطالب  
للحق عن قبول مثل هذه التناهي واشدد يدك في تفسير كتاب الله على ما تقتضيه اللغة  
العربية فهو قرآن عربي كما وصفه الله فان جاءك التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم فلا تنسفت الى غيره واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وكذلك ما جاء عن الصحابة رضي  
الله تعالى عنهم فانهم من جملته العرب ومن أهل اللغة ومن جمع الى اللغة العربية العلم  
بالاصطلاحات الشرعية ولكن اذا كان معنى اللفظ أوسع مما فسره به في لغة العرب  
فعلينا ان نضم الى ما ذكره الصحابي ما تقتضيه لغة العرب وأسرارها فخذ هذه كاية تتدفع  
بها وقد ذكرنا في خطبة هذا التفسير ما يرشدك الى هذا قال الحسن ان الامانة عرضت  
على السموات والارض والجبال فتالت وما فيها فقال لها ان أحسنت آجرتك وان أسأت  
عذبتك فتالت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه وقيل له ذلك فقال قد تحممتها  
وروي نحوه هذا عن غير الحسن ومجاهد قال النحاس وهذا القول هو الذي عليه أهل  
التفسير وقيل هذه الامانة هي ما أودعه الله في السموات والارض والجبال وسائر  
المخلوقات من الدلائل على ربوبيته ان يظهرها فأظهرها والانسان فانه كتمها ووجدتها  
كذا قال بعض المتكلمين منسرا للقرآن برأيه الزائف فيكون على هذا معنى عرضنا  
أظهرنا قال جماعة من العلماء ومن المعلوم ان الجاد لا يتهم ولا يجيب فلا بد من تقدير  
الحياة فيها وهذا العرض في الآية هو عرض تحمير لا عرض الزام ولو الزمهم لم يتعن من  
جملها والجادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامره ساجدته وقيل المراد بالعرض  
هو العرض على أهلها من الملائكة دون أعينها وقال القفال وغيره العرض في هذه الآية  
ضرب مثل أي ان السموات والارض والجبال على كبر آجرانها لو كانت بحيث يجوز  
تكليفها النقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب أي أن التكليف أمر  
عظيم حقه ان تجز عنه السموات والارض والجبال وقد كانه الانسان وهو ظلم جهول  
لوعقل وهذا كقوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل وقيل ان عرضنا بمعنى عارضنا أي  
عارضنا الامانة بالسموات والارض والجبال فضعفت هذه الاشياء عن الامانة وربحت  
الامانة بثقلها عليها وقيل ان عرض الامانة على السموات والارض والجبال انما كان من  
آدم عليه السلام وان الله أمره ان يعرض ذلك عليها وهذا أيضا تحريف لا تفسير وقد قيل

(أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق  
الله السموات والارض وما بينهما  
الابالحق وأجل مسمى وان كثيرا  
من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم  
يسيروا في الارض فينظروا كيف  
كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد  
منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها  
أكثر مما عمروها وجاءتهم رسالتهم  
بالبينات فاسكان الله لظلمهم  
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان  
عاقبة الذين أساوا السوا أي أن كانوا  
بآيات الله وكانوا هم ايسر تهزؤن  
يقول تعالى منها على التفتكر في  
مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراده  
بخلقها وان لا اله غيره ولا رب سواه  
فقال أولم يتفكروا في أنفسهم دعوى  
به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله  
الاشياء من العالم العلوي والسفلي  
وما بينهما من المخلوقات المتسوعة  
وان جناس المختلفة فيعلموا انها  
ما خلقت سدى ولا باطل بل بالحق  
وانها مؤجلة الى أجل مسمى وهو  
يوم القيامة ولهذا قال تعالى وان  
كثيرا من الناس بلقاء ربهم  
لكافرون ثم نهبهم على صدق رسله  
فيما جاءوا به عنه بما أيدهم به من  
المعجزات والدلائل الواضحات من  
اهلاك من كفر بهم ونجاة من

ان المراد بالامانة العقل والراح ما قدمناه عن الجهور وما عداه فلا يخلو عن ضعف لعدم  
 ووروده على المعنى العربي ولا انطباقه على ما يقتضيه الشرع ولا موافقته لما يقتضيه  
 التعريف بالامانة عن ابن عباس في الآية قال الامانة الفرايض عرضها الله على السموات  
 والارض والجبال ان ادوها انابهم وان ضيعوها عذبهم فذكر هو ذلك واشفقوا من غير  
 معصية ولكن تعظيم الدين الله ان لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فتبها بما فيها وعنه في  
 الآية قال عرضت على آدم فقيل خذها بما فيها فان اطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك  
 قال قبلتها بما فيها فما كان الاما بين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى اصاب الذنب  
 وعنه هي امانات الناس والوفاء بالعهود ونحو ذلك على كل مؤمن ان لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في  
 شيء الا في قليل ولا في كثير فعرض الله هذه الامانة على اعيان السموات والارض والجبال  
 وهذا قول جماعة من التابعين واكثر السلف وانما أتى في قوله فاين الخ بضمير كضمير  
 الاناث لان جمع تكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وان كان مذكرا وانما ذكرنا ذلك لثلاث  
 يتوهم انه قد غاب المؤنث وهو السموات على المذكور وهو الجبال (وجملها الانسان) أي  
 التزم بحقتها وهو آدم بعد عرضها عليه قيل ان ما كلف الانسان حمله بلغ من عظمه ونقل  
 حمله انه عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واقرباؤه واشده ان يحمله ويستغل  
 به فاني حمله واشفق منه ووجه الانسان على ضعفه وضعف قوته قال الزجاج معنى حملها  
 خان فيها وجعل الآية في الكفار والمنافقين والعصاة وقيل معنى حملها كحملها والزمها  
 او صار مستعدا لها بالقطرة او حملها عند عرضها عليه في عالم الذر عند خروج ذرية آدم من  
 ظهره واخذ المشاق عليهم (انه كان ظلوما جهولا) أي وهو في ذلك الحمل ظلوم لنفسه جهول  
 لما يلزمه وجهول بقدر ما دخل فيه كما قال سعيد بن جبیر اوجوهول بامر ربه كما قال الحسن  
 وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا  
 حيث حمل الامانة ولم يفهم اوضاعها ولم يفهم بضمها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان  
 العرب وما جاء القرآن الاعلى أساليبهم وفي تفسير الآية أقوال آخر والاول أولى وهو  
 قول السلف (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) متعلق بحملها أي  
 حملها الانسان ليعذب الله العاصي ويشيب المطيع وعلى هذا الجملة انه كان ظلوما جهولا  
 معترضة بين الجنة وعيايتها الا يذان بعدم وفائه بما حمله قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن  
 حيان ليعذبهم عما خانوا من الامانة وكذبوا من الرسل ونقضوا من المشاق الذي اقرباؤه  
 حين اخرجوا من ظهور آدم وقال الحسن وقتادة هؤلاء المعذبون هم الذين خانوها  
 وهؤلاء الذين يتوب الله عليهم هم الذين ادوها والاتفات الى الاسم الجليل اول التحويل  
 الخطب وتربية المهابة والاطهار في موضع الاضمار ثانيا في قوله (ويتوب الله على المؤمنين  
 والمؤمنات) لابرار مزيد الاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقام الوعيد والوعد حقه  
 والله أعلم أي يهديهم ويرحمهم بما ادوا من الامانة قال ابن قتيبة أي عرضنا ذلك ليظهر  
 نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم ما الله ويظهر ايمان المؤمن فيعود عليه بالمغفرة  
 والرحمة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات ولذلك ذكر اللفظ التوبة فدل على ان

صدقهم فقال تعالى أولم يسيروا في  
 الارض أي بافهامهم وعقولهم  
 ونظرهم وسماع أخبار الماضين  
 ولهذا قال فينظر واكيف كان  
 عاقبة الذين من قبلهم كانوا الشد  
 منهم قوة أي كانت الامم الماضية  
 والقرون السالفة أشد منكم قوة  
 أيها المبعوث اليهم محمد صلى الله  
 عليه وسلم وأكثر أوالا وأولادا  
 وما أوتيتهم معشارا أوتوا ومكنوا في  
 الدنيا تمكيننا لم تبلغوا اليه وعمرها  
 فيها أعمار أطوالا فعمرها أكثر  
 منكم واستغلوها أكثر من  
 استغلالكم ومع هذا فلما جاءتهم  
 رسالتهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا  
 أخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم  
 من الله من واق ولا حالت أموالهم  
 وأولادهم بينهم وبين بأس الله ولا  
 دفعوا عنهم مثقال ذرة وما كان الله  
 ليظلمهم فيما أحل لهم من العذاب  
 والنسك وانكن كانوا أنفسهم  
 يظلمون أي وانما أوتوا من أنفسهم  
 حيث كذبوا آيات الله واستهزوا بها  
 وما ذلك الا بسبب ذنوبهم السالفة  
 وتكذيبهم المتقدم ولهذا قال  
 تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤا  
 بها يستهزؤون كما قال تعالى ونقلب



المؤمن العاصي خارج من العذاب (وكان الله غفورا) أي كثير الغفرة للمؤمنين  
 التائبين من عباده إذا قصر وافي نبي مما يجب عليهم من الأمانة وغيرها حيث عفا عن  
 فرطاتهم (رحيما) بهم حيث أنابهم بالنعو على طاعتهم مكرمالهم بأنواع الكرم وقد  
 وردت أحاديث كثيرة في الحث على الأمانة وذكر رفعها عن القلوب عند قرب الساعة فلا  
 تطول بند كرها

\* (سورة سبأ هي أربع أو خمس وخمسون آية وهي مكية) \*

قال القرطبي في قول الجميع الآية واحدة اختلف فيها وهي قوله ويرى الذين أتوا  
 العلم الذي أنزل اليك فسال فرقة هي مكية وقالت فرقة هي مدنية وسيأتي  
 الخلاف في معنى هذه الآية ان شاء الله تعالى وفيه نزلت وعن ابن عباس قال نزلت سورة  
 سبأ مكة

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(الجد لله) التعريف ان أجرى على المعهود فهو بما حده نفسه محمود وان أجرى على  
 الاستغراق فالتعريف مشعر باستحقاق جميع افراد الجد لله سبحانه على ما تقدم تحقيقه  
 في فاتحة الكتاب وقيل معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيقي بان يحمده ويثني عليه  
 واللام لام التملك لانه خالق الجدا أصلا فكان بملكه مالك الجد لله حمدا أهلا وقيل هي  
 لام التخصيص والمعنى متقارب أي وله بكل المحامد الاختصاص (الذي له ما في السموات  
 وما في الارض) معناه ان جميع ما هو فيه ما في ملكه وتحت تصرفه يفعل به ما يشاء ويحكم  
 فيه بما يريد بكل نعمة واصله الى العبد فهي مما خلقه له ومن به عليه فحمده على ما في  
 السموات والارض هو حمد له على النعم التي أنعم بها على خلقه مما خلقه لهم ولما بين ان  
 الحمد الذي ينوي من عباده الحامدين له مختص به بين ان الحمد الاخرى مختص به كذلك أيضا  
 فقال (وله الحمد في الآخرة) كماله في الدنيا لان النعم في الدارين كاهامنه وقيل المعنى ان له  
 على الاختصاص حمد عباده الذي يحمده في الدارين الآخرة اذا دخلوا الجنة كفي قوله  
 وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقوله الحمد لله الذي هدانا لهذا وقوله الحمد لله الذي  
 أذهب عنا الحزن وقوله الحمد لله الذي أحلنا دار المقامة من فضله وقوله وآخردعواهم ان  
 الحمد لله رب العالمين فهو سبحانه المحمود في الآخرة كانه المحمود في الدنيا وهو المالك للآخرة  
 كانه المالك للدنيا غير ان الحمد هنا واجب لان الدنيا دار تكليف وثم لا لعدم التكليف  
 وانما يحمده أهل الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بما نالوا من الاجر العظيم كما ورد عليهم من  
 التسبيح والحمد كما عليهم من النفس (وهو الحكيم) الذي أحكم أمر الدارين (الخبير) بأمر  
 خلقه فيهما وما وضمير من يحمده ليوم الجزاء والعرض ثم ذكر سبحانه بعض ما يحيط به علمه  
 من أمور السموات والارض التي ينظت بها مصالحهم الدينية والدنيوية فقال (يعلم ما يلج  
 في الارض) أي ما يدخل ويوضع فيها من مطرا وأكثر اودفين أو أموات (وما يخرج منها) من  
 زرع ونبات وحيوان وشجر وعميون ومعادن وأموات اذا بعثوا (وما ينزل من السماء)

أفندتهم وأبصارهم كالم يؤمنوا بها  
 أول مرة ونذرهم في طغيانهم  
 يعمهون وقال تعالى فلما زاغوا  
 أزاغ الله قلوبهم وقال تعالى فان تولوا  
 فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم بعض  
 ذنوبهم وعلى هذا يكون السواي  
 منصوبة منفعولا لاساوا وقيل بل  
 المعنى في ذلك ثم كان عاقبة الذين  
 أساوا السواي أي كانت السواي  
 عاقبتهم لانهم كذبوا بآيات الله وكانوا  
 بها يستهزئون فعلى هذا يكون السواي  
 منصوبة خبر كان هذا توجيهه  
 ابن جرير ونقله عن ابن عباس وقناة  
 ورواه ابن أبي حاتم عن ما وعن  
 الضحاك بن مزاحم وهو الظاهر والله  
 أعلم لقوله وكانوا بها يستهزئون (الله  
 يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون  
 ويوم تقوم الساعة ليس الجرمون  
 ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء  
 وكانوا بشر كائهم كافرين ويوم تقوم  
 الساعة يومئذ يترقون فأما الذين  
 آمنوا وعملوا الصالحات فهم في  
 روضة يحبون وأما الذين كفروا  
 وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك  
 في العذاب محضرون) يقول تعالى  
 الله يبدأ الخلق ثم يعيده أي كما هو  
 قادر على بدائه فهو قادر على اعادته  
 ثم اليه ترجعون أي يوم القيامة

من الامطار والسرورج والتلويح والبرد والصواعق وأنواع البركات ومن ذلك ما ينزل منها  
 من ملائكتهم وكتبته الى انبيائه قرئ ينزل مسندا الى ما ينزل مشددا مسندا الى الله  
 سبحانه (وما يعرج فيها) أى فى السماء من الملائكة وأعمال العباد والدعوات وضمن  
 العروج معنى الاستمرار فعداه بنى دون الى والسماء جهة العلو مطلقا (وهو الرحيم)  
 بعباده (الغفور) لذنوبهم وتفريطهم فى أداء ما وجب عليهم من شكر نعمه (وقال الذين  
 كذروا لا تأتينا الساعة) المراد بهؤلاء القائلين جنس الكفرة على الاطلاق أو كفار مكة  
 على الخصوص والاول أولى والمعنى لا تأتى بحال من الاحوال انكار انهم لوجودها  
 بالكيفية لا بمجرد اتيانها فى حال تكلمهم أو فى حال حياتهم مع تحقق وجودها فيما بعد وانما  
 عبروا عنها بذلك لانهم كانوا يوعدون بآياتها فرد الله عليهم كلامهم وأثبت ما نفوه وأمر  
 رسوله ان يقول لهم (قل بلى) على معنى ليس الامر الايمانها (وربى لتأتينكم) وهذا  
 القسم لتأكيد الايمان على أتم الوجوه وأكمله اقرئ لتأتينكم بالنووية أى الساعة وبالتحية  
 على تأويل الساعة باليوم أو الوقت كأنه قال لياأتينكم البعث أو امره كما قال هل ينظرون  
 الا أن تأتيتهم الملائكة أو يأتى أمر ربك (عالم الغيب) تقوية لتأكيد ان تعقيب القسم  
 بجلائل نعوت المقسم به يؤذن بشغامة شأن المقسم عليه وقوة اثباته وصحته لما أن ذلك  
 فى حكم الاستشهاد على الامر (لا يعزب) أى لا يغيب (عنه) ولا يستر عليه ولا يبعد عنه  
 من عزب يعزب بكسر الزاى اذا غاب وبعد وخفي وقرئ بضم الزاى قال الفراء والكسر  
 أحب الى وهما الغتان (مثقال ذرة) أى مقدار أصغر غلة ووزن ذرة (فى السموات ولا فى  
 الارض ولا أصغر من ذلك) أى من مثقال ذرة وفيه اشارة الى ان مثقال ليزيد كالتحديد بل  
 الاصغر منه لا يعزب أيضا ولواقتصر على الاصغر لتوهم متوهم انه يثبت الصغار لكونها  
 محل النسيان وأما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته فقال (ولأكبر) منه (الافى كتاب  
 سبين) أى الا وهو مثبت فى اللوح المحفوظ الذى اشتغل على معلومات الله سبحانه ومكتوب  
 فيه فهو مؤكد لى العزوب (ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات) اللام للتعليل لقوله  
 لتأتينكم أى اتيان الساعة فائدة جزاء المؤمنين بالثواب (أو لئنك) أى الذين آمنوا و عملوا  
 الصالحات (أهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) أى حسن وهو الجنة بسبب ايمانهم  
 وعملهم الصالح مع التفضل عليهم من الله سبحانه ثم ذكر فريق الكافرين الذين يعاقبون  
 عند اتيان الساعة فقال (والذين سعوا فى ابطال آياتنا) المتزلة على الرسل وقد حوا فيها  
 وصدوا الناس عنها وجاهدوا فى ردها بالظعن فيها ونسبها الى السحر والشعوذة وغير ذلك لان  
 المكذبات باخفاء آيات بينات فيحتاج الى السعي العظيم والجهد البليغ ليروج كذبه لعله  
 يعجز المتكذب به (معاجزين) مقدرين عجزا أو مسابقين لتأجيل حسابون انهم يفوتوننا  
 ولا يدركون وذلك باعتقادهم انهم لا يمعدون يقال أعجزه وعاجزه اذا غاب به وسبقه قرئ  
 معاجزين ومعجزين أى مشيطين للناس عن الايمان بالآيات (أو لئنك) الذين سعوا (أهم  
 عذاب من رجز) الرجز هو العذاب فى اللسان وقيل الرجز هو أسوأ العذاب واشده  
 والاول أولى ومن ذلك قوله فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء (الهم) أى الشديد

فيجازى كل عامل بعمله ثم قال  
 تعالى ويوم تقوم الساعة يليس  
 الجرمون قال ابن عباس يياس  
 الجرمون وقال مجاهد يقتضيه  
 الجرمون فى رواية يسكت  
 الجرمون ولم يكن لهم من شركائهم  
 شفعا أى ما شذعت فيهم الالهة  
 اتى كانوا يعبدونها من دون الله  
 تعالى وكفروا بهم وخانوهم أحوج  
 ما كانوا اليهم ثم قال تعالى ويوم  
 تقوم الساعة يومئذ يفرقون قال  
 قتادة هى والله الفرقة التى لا اجتماع  
 بعدها يعنى انه اذا رفع هذا الى  
 عليين وخنض هذا الى أسفل  
 سافلين فذلك آخر العهد بينهما  
 ولهذا قال تعالى فاما الذين آمنوا  
 و عملوا الصالحات فهم فى روضة  
 يحبرون قال مجاهد وقتادة يعمون  
 وقال يحيى بن أبى كثير يعنى سماع  
 الغناء والخبرة أعم من هذا كله قال  
 العجاج

فالحمد لله الذى أعطى الخبر  
 موالى الحق ان المولى شكر  
 فسبحان الله حين تمسون وحين  
 تصبحون وله الحمد فى السموات  
 والارض وعشيا وحين تطهرون  
 يخرج الحى من الميت ويخرج  
 الميت من الحى ويحيى الارض بعد  
 موتها وكذلك تخرجون

الام ولم ياذكر الذين سعوا في ابطال آيات الله ذكر الذين يؤمنون بها فقال (ويرى) أي  
 يعلم (الذين آمنوا العلم) وهم الصحابة قاله قتادة وقال مقاتل هم مؤمنوا أهل  
 الكتاب وقيل جميع المسلمين والاولى انه كلام مستأنف لدفع ما يقوله الذين سعوا في  
 الآيات أي ان ذلك السعي منهم يدل على جهالهم لانهم مخالفون لما يعلمه أهل العلم في  
 شأن الكتاب (الذي انزل اليك من ربك هو الحق) أي الصدق يعني انه من عند الله  
 (ويهدي الى صراط) معطوف على الحق عطف فعل على اسم لانه في تأويله كافي قوله  
 صافات ويقبض أي وقابضات كانه قيل وعاديا وقيل انه مستأنف وفاعله ضمير  
 يرجع الى فاعل أنزل وهو القرآن والصراط الطريق أي ويهدي الى طريق (العزير)  
 في ملكه (الحديد) عند خلقه والمراد ان يهدي الى دين الله الاسلام وهو التوحيد  
 ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من كلام منكري البعث فقال (وقال الذين كفروا) بعضهم  
 لبعض (هل نملككم على رجل) أي هل نرشدكم الى رجل يعنون محمد صلى الله عليه  
 وآله وسلم والتعبير برجل المنكر من باب التجاهل كأنهم لم يعرفوا منه الا انه رجل وهو  
 عندهم أشهر من الشمس قاله الشهاب وقال القرطبي كانوا يقصدون بذلك السخرية  
 والهزأة (ينبئكم) يخبركم بما مر عجيب ونبأ غريب هو انكم (اذا مرقتم كل ممزق)  
 أي فرقتم كل تفريق وقطعتم كل تقطيع وصرتم بعد موتكم رفاتا وترابا وقال الكرخي  
 أي كل مكان تمزيق من القبور وبطون الوحش والطيير (انكم اني خلق جديد) أي  
 تخلقون وتنشؤون خلقا جديدا وتبعثون من قبوركم احياء وتعودون الى الصور التي كنتم  
 عليها بعد ان تمزقت اجسادكم كل تمزيق قال هذا القول بعضهم لبعض استهزاء بما  
وعدهم الله على لسان رسوله من البعث وأخرجوا الكلام مخرج التلويح به والتضاحك  
مما يقوله من ذلك قال الزجاج التقدير اذا مرقتم كل ممزق بعثتم أو ينبئكم بانكم تبعثون  
اذا مرقتم وأصل المرق خرق الاشياء يقال ثوب مزرق ومزرق وممزوق وعن قتادة  
في الآية قال قال ذلك مشركو قريش اذا أكلتكم الارض وصرتم رفانا وعظاما  
وتقطعتكم السباع والطيير انكم سحجون وتبعثون قالوا ذلك تكذيبا له وجديد عند  
البصر بين بمعنى فاعل يقال جد الشيء فهو جاد وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جددته  
أي قطعته ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم رددوا ما وعدهم به رسول الله صلى الله  
عليه وآله وسلم من البعث بين أمرين فتقالوا (أفتري على الله كذبا أم به جنه) أي أهو  
كاذب فيما قاله أم به جنون بحيث لا يعقل ما يقوله قال قتادة اما ان يكون يكذب على  
الله واما ان يكون مجنونا والهـ مزرة في أفترى همزة الاستفهام وحذفت لاجلها همزة  
الوصل كما تقدم في قوله أطلع الغيب ثم رد عليهم سبحانه ما قالوه في رسوله فقال (بل الذين  
لا يؤمنون بالآخرة) أي ليس الامر كما زعموا بل هم الذين ضلوا عن النهج وادراك  
الحقائق فكفروا بالآخرة ولم يؤمنوا بما جاءهم به فصاروا بسبب ذلك (في العذاب)  
الدائم في الآخرة وهم اليوم (والضلال البعيد) عن الحق غاية البعد ثم يخبرهم سبحانه  
بما اجترأوا عليه من التكذيب مبيناهم ان ذلك لم يصدر منهم الا لعدم التفكير والتدبر

هذا تسبيح منه تعالى لنفسه  
 المقدسة وارشاد لعباده الى تسبيحه  
 وتحميده في هذه الاوقات المتعاقبة  
 الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه  
 عند المساء وهو اقبال الليل بظلامه  
 وعند الصباح وهو استنار النهار  
 بضياءه ثم اعترض بحمده مناسبة  
 للتسبيح وهو التعميد فقال تعالى  
 ولله الحمد في السموات والارض أي  
 هو الخلود على ما خلق في السموات  
 والارض ثم قال تعالى وعشيا وحين  
 تظهرون فالعشاء هو شدة الظلام  
 والاضهار قوة الضياء فسبحان  
 خالق هذا وهذا فالاق الاصباح  
 وجاعل الليل سكا كما قال تعالى  
 والنهار اذا جلاها والليل اذا  
 يغشاها وقال تعالى والليل اذا  
 يغشى والنهار اذا تجلى وقال تعالى  
 والضحي والليل اذا سبي والآيات  
 في هذا كثيرة وقال الامام أحمد  
 حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة  
 حدثنا زياد بن فايد عن سهل بن معاذ  
 ابن أنس الجهني عن أبيه عن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم انه قال ألا  
 أخبركم لم يسمي الله ابراهيم خليفته  
 الذي وفي لانه كان يقول كلما أصبح  
 وكلما أمسى سبحان الله حين تسون  
 وحين تمسكون وله الحمد في السموات

في خلق السماء والارض وان من قدر على هذا الخلق العظيم لا يعجزه ان يبعث من مخلوقاته ما هو دون ذلك ويعيده الى ما كان عليه من الذات والصفات فقال (أفلم يروا

الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) والغناء للعطف على مقدر ينتضيه المقام والمعنى أعمو أفلم يروا ومن المعلوم ان ما بين يدي الانسان هو كل ما يقع نظره عليه من غير ان يحول وجهه اليه وخلفه هو كل ما لا يقع نظره عليه حتى يحول نظره اليه فيعم الجهات كلها أي أنهم اذا نظروا رأوا السماء قد أمهم وخلفهم وكذلك اذا نظروا الى الارض رأوا خلفهم وقد أمهم فالسما والارض محيطتان بهم فهو القادر على ان ينزل بهم ما شاء من العذاب بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسوله وانكارهم للبعث فهذه الآية اشتملت على أمرين أحدهما ان هذا الخلق الذي خلقه الله من السماء والارض يدل على كمال القدرة على ما هو دونه من البعث كما في قوله أوليس الذي خلق السموات والارض يتأذر على أن يخلق مثلهم والامر الآخر التمهيد لهم بان من خلق السموات والارض على هذه الهيئة التي قد أحاطت بجميع المخلوقات فبها ما قادر على تجليل العذاب لهم

كما قال (ان نشأ نخسف بهم الارض) كما خسفنا عن كان قبلهم كفارون (أو نسقط عليهم كسفا) أي قطعنا (من السماء) كما أسقطها على أصحاب الايكة فكيف يأمنون ذلك وقال قتادة ان يشأ أن يعذب بسماؤه ففعل وان يشأ أن يعذب بارضه ففعل وكل خلقه له جند قروي بالنون وبالتيهية في الافعال الثلاثة (ان في ذلك) المذكور المرقى من خلق السماء والارض من حيث احاطتهم بالناظرين من جميع الجوانب (الآية) واضحة ودلالة بينة (لكل عبد منيب) أي راجع الى ربه بالتوبة والاخلاص وخص النبي لانه المتفجع بالتفكير وقال قتادة منيب أي تائب مقبل الى الله وقال هنالآية بالتوحيد وفيما بعد ذلك لايات مجمعه لان ما هنا اشارة الى احياء الموتى فناسب التوحيد وما بعد اشارة الى سباقبيله تفرقت في البلاد فصاروا فرقا فناسب الجمع ثم ذكر سبحانه من عباده المنيبين اليه داود وسليمان كما قال في داود فاستغفر ربه وخر راكعا وأتاب وقال في سليمان وأقمنا على كرسيه جسدا ثم أتاب فقال (ولقد آتينا داود منا فضلا) أي آتيناه بسبب انابته فضلا منا على سائر الانبياء واختلف في هذا الفضل على أقوال فقيل النبوة وقيل الزبور وقيل العلو وقيل القوة كما في قوله واذ كرعبنا داود ذا الابد وقيل تسخير الجبال كما في قوله يا جبال أوبي معه وقيل التوبة وقيل الحكم بالعدل كما في قوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وقيل هو الاله الخديك كما في قوله وألنا له الحديد وقيل حسن الصوت والاولى أن يقال ان هذا الفضل المذكور هو ما ذكره الله بعد من قوله (يا جبال) الى آخر الآية أي قلنا له يا جبال (أوبي معه) التأييب التسبيح كما في قوله انا نسخرنا الجبال معه يسبحن قال أبو ميسرة هو التسبيح بلسان الخيشة وقال ابن عباس أوبي يسبحي وروي مثله عن مجاهد وعكرمة وابن زيد وكان اذا سبح داود سبحت الجبال معه ومعنى تسبيحها ان الله يجعلها قادرة على ذلك أو يخلق فيها التسبيح معجزة لداود وقيل معنى أوبي يسبحي معه من التأويب الذي هو سير النهار أجمع قراء العامة أوبي على صيغة

والارض وعشيا وحين تطهرون وقال الطبراني حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد عن سعيد بن بشير عن محمد بن عبد الرحمن ابن البيهقي عن أبيه عن عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تطهرون الآية بكلها أدرك ما فاتته في يومه ومن قالها حين يسي أدرك ما فاتته في ليلته اسناد جيد ورواه أبو داود في سننه وقوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الاشياء المتقابلة وهذه الآيات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط فانه يذكر فيها خلقه الاشياء واضدادها لمدل خلقه على كمال قدرته فن ذلك اخرج النبات من الحب والحب من التبات والبيض من الدجاج والدجاج من البيض والانسان من النطفة والنطفة من الكافر الانسان والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقوله تعالى ويحي الارض بعد موتها كقوله

الامر من التأويب وهو الترجيع والتسيج أو السير أو النوح وقرئ أو بي بضم الهمزة  
 أمر اس أبو يوب اذا رجع أي ارجعى معه (والظير) بالنصب عطفًا على فضلا على معنى  
 وسخر ناله الطير لان ابتداء اياها تسخيرها له أو نادينا الجبال والطيرو وقال سيبويه وأبو عمرو  
 ابن العلاء اتصابه بفعل مضارع على معنى وسخر ناله الطير وقال الزجاج والنحاس يجوز أن  
 يكون مذعولا معه كما تقول استوى الماء والخشبة وقال الكسائي أي آتيناها فضلا وتسيج  
 الطير وفي هذا النظم من الغمامة ما لا يخفى (وَأَلْتَمَّاهُ الْحَدِيدَ) أي جعلناه لينا له ليعمل به ما شاء  
 قال ابن عباس كالعجين وقال الحسن كالشمع يعمل به من غير نار وقال السدي كان الحديد  
 في يده كالطين المبلول والعجين والشمع يصرفه كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وكذا  
 قال مقاتل وكان يفرغ من عمل الدرع في بعض يوم (أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ) أي بان اعمل  
 أولان اعمل أو ان مفسرة لقوله ألتماه الحوفي وفيه نظرا لأنها لا تكون الا بعد القول  
 أو ما هو في معناه وقيل التقدير أمر ناه ان اعمل ولا ضرورة تدعو الى ذلك والمعنى دروعا  
 سابغات والسوابغ الكوامل الواسعات يقال صبغ الدرع والثوب وغيرهما اذا غطي  
 كل ما هو عليه وفضل منه فضله وقرئ صابغات بالصاد لاجل الغين (وقدر في السرد)  
 السرد نسج الدروع ويقال السرد والزرد كما يقال السرد والزراد لاصناف الدروع والسرد  
 أيضا الخرز يقال سرد يسرد اذا خرز ومنه سرد الكلام اذا جاء به متواليًا ومنه حديث  
 عائشة لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسرد الحديث كسردكم قال سيبويه ومنه  
 سر يد أي جرى ومعنى سرد الدروع احكامها وان يكون نظام حلقها ولا غير مختلف قال  
 قتادة كانت الدروع قبل داود ثقالا فلذلك أمره بالتقدير فيما يجمع الخفة والحصانة  
 أي قدر ما تأخذ من هذين المعنيين بقسطه فلا تقصد الحصانة فتثقل ولا الخفة فتزبل  
 المنعة وقال ابن زيد التقدير الذي أمر به في قدر الحلقة أي لا تعملها صغيرة فتضعف ولا  
 يقوى الدرع على الدفاع ولا تعملها كبيرة فتثقل على لابسها وقيل ان التقدير في المعمار  
 أي لا تجعل مسمار الدرع دقيقة فاقلق ولا غليظة فيصم الحلق وقال ابن عباس قدر في  
 السرد أي في حلق الحديد وعنه لا تدق المسامير وتوسع الحلق فتسلس ولا تغلظ المسامير  
 وتضيق الحلق فتقصر واجعله قدرا وقال البقاعي انه لم تكن في حلقها مسامير لعدم  
 الحاجة اليها بسبب الافة الحديد والال لم يكن بينه وبين غيره فرق ولا كان للدانة كبير  
 فائدة وقد أخبر بعض من رأى ما نسب اليه بغير مسامير وقال الرازي معناه انك غير  
 مأمور به أمر ايجاب وانما هو اكتساب والكسب يكون بتدبير الحاجة وباقى الايام  
 والليالي للعبادة فقد در في ذلك العمل ولا تشغل جميع أوقانتك بالكسب بل حصل فيه  
 القوت فحسب ثم خاطب داود وأهله فقال (واعملوا) عملا (صالحا) كافي قوله اعملوا آل  
 داود شكرا ثم علل الأمر بالعمل الصالح بقوله (اي بما تعملون بصير) أي لا يخفى على شيء  
 من ذلك فجازيكم به (وَأَسْلَمَ الْرِيحُ) أي سخر ناله الريح كما قال الزجاج قرأ عاصم بالرفع  
 على الابتداء والخبر أي وأسلم الريح ثابتة أو مسخرة وقرئ الريح والرياح بالافراد  
 والجمع (اغدوها) أي سيرها من الغدوة بمعنى الصباح الى الزوال أي جريها من أول النهار

تعالى وآية لهم الارض المستنة  
 أحميناها وأخرجنا منها حيا فنه  
 يأكلون الى قوله وجبرنا فيها من  
 العيون وقال تعالى وترى الارض  
 هامدة فاذا أنزنا عليها الماء اهتزت  
 وربت وأنبتت من كل زوج بهيج  
 الى قوله وان الله يبعث من في  
 القبور وقال تعالى وهو الذي يرسل  
 الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا  
 قلت بها ابثقالا الى قوله لعلمكم  
 تذكرون ولهذا قال ههنا وكذلك  
 تخرجون (ومن آياته ان خلقكم  
 من تراب ثم اذا أنتم بشر تتشرون  
 ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم  
 أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم  
 مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم  
 يتذكرون) يقول تعالى ومن آياته  
 الدالة على عظمته وكال قدرته انه  
 خلق أباكم آدم من تراب ثم اذا أنتم  
 بشر تتشرون فأصلكم من تراب  
 ثم من ماء مهين ثم تصور فكان علقة  
 ثم مضغ ثم صار عظاما مشكلا على  
 شكل الانسان ثم كسا الله تلك  
 العظام لحما ثم نفخ فيه الروح فاذا  
 هو سميع بصير ثم خرج من بطن أمه  
 صغيرا ضعيفا القوى والحركة ثم  
 كلما طال عمره تكاملت قواه وحر كانه  
 حتى آل به الحال الى ان صار يني

الى الزوال (شهر ورواحها) أى سيرها من الزوال الى الغروب (شهر) وبالجملة مستأنفة  
 لبيان تسخير الريح أو حاليتها من الريح والمعنى انها كانت تدير في اليوم الواحد مسيرة  
 شهرين قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقبل باصطخر و بينهما مسيرة شهر للمسرح ثم  
 يروح من اصطخر فيبيت بكابل أو بابل و بينهما مسيرة شهر وقيل انه كان يتعدى بالرى  
 ويتعشى بسمرقند (وأسلنا) أى ذبنا (له عين القطر) أى النحاس الذائب قال الواحدى  
 قال المنسرون أجزيت له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهن بكبرى الماء وكان بارض العين وانما  
 يعمل الناس اليوم بما أعطى سليمان ولولاها ما لان النحاس أصلا لانه قبل سليمان لم يكن  
 يلبس أصلا لا بنا ولا بغيرها والمعنى أسلنا له عين النحاس كما أسلنا الحديد لداود وقال قتادة  
 أسال الله له عينا يستعملها فيما يريد قال ابن عباس القطر النحاس لم يقدر عليها أحد بعد  
 سليمان وانما يعمل الناس بعده فيما كان أعطى سليمان وقال مجاهد القطر الصنبر  
 والمعنى جعلنا النحاس لسليمان في معدنه عينا تسيل كعيون المياه دلالة على نبوته أى  
 كالعين النابعة من الارض (ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه) الاذن مصدر مضاف  
 الى فاعله أى مسخر أو ميسر اياه ربه (ومن يزغ منهم) أى ومن يعدل من الجن (عن  
 أمرنا) الذى أمرناه به وهو طاعة سليمان (ندقه من عذاب السعير) قال أكثر المنسرين  
 وذلك فى الآخرة وقيل فى الدنيا قال السدى وكل الله بالجن ملكا يدسوه وسط من نار فن  
 زاع عن أمر سليمان ضرب به بذلك السوط ضربة فحرقه ثم ذر كرسجانه ما يدسوه مله الجن  
 لسليمان فقال (يعملون له ما يشاء من محاريب) من للبيان والمحاريب فى اللغة كل موضع  
 مرتفع وهى الابنية الرفيعة والقصور العالية والجالس الشريف المصونة عن الابتدال  
 والمسكن قال المبرد لا يكون المحراب الا ان يرتقى اليه بدرج ومنه قيل للذى يصلى فيه  
 محراب لانه يرفع ويعظم وقال مجاهد المحاريب دون القصور وقال أبو عبيدة المحراب  
 أشرف بيوت الدار وقال الضحاك وقتادة المراد بالمحاريب هنا المساجد وكان مما عملوا  
 له بيت المقدس (وتماثيل) جمع تماثيل وهو كل شئ مثله بشئ أى صورته بصورته من  
 نحاس أو زجاج أو رخام أو غير ذلك قيل كانت هذه التماثيل صور الانبياء والملائكة  
 والعلماء والصلحاء كانوا يصورونهم فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا وفى  
 الحديث ان أولئك كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه  
 تلك الصور فلما ذكروا عبادتهم فيجتمعدوا فى العبادة وقيل هى تماثيل أشياء ليست من  
 الحيوان وقيل صور السباع والطيور وقد استدل بهذا على ان التصوير كان مباحا فى  
 شرع سليمان ونسخ ذلك بشرع نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عباس قال  
 اتخذ سليمان تماثيل من نحاس فقال يارب انفع فيها الروح فانها أقوى على الخدمة  
 فنفع الله فيها الروح فكانت تخدمه وكان أسفنديار من بقاياهم فقيل لداود سليمان  
 اعملوا آل داود شكرا وقيل من عبادى الشكور (وجحان) جمع جحفة وهى القصعة  
 الكبيرة (كالجواب) جمع جابية وهى حفيرة كالحوض وقيل هى الحوض الكبير يعبى  
 الماء أى يجمعه قال الواحدى قال المنسرون يعنى قصاعا فى العظم كحياض الابل يجمع

المدائن والحصون ويسافر فى أقطار  
 الاقاليم ويركب متن الجور ويدير  
 أقطار الارض ويكتسب ويجمع  
 الاموال وله فكرة وغور ودهاء  
 ومكر ورأى وعلم واتساع فى أمور  
 الدنيا والآخرة كل بحسبه فسبحان  
 من قدرهم وسيرهم وسخرهم  
 وصرفهم فى فنون المعاش  
 والمكاسب وفاوت بينهم فى العلوم  
 والفكرة والحسن والقبح والغنى  
 والفقر والسعادة والشقاوة ولهذا  
 قال تعالى ومن آياته ان خلقكم من  
 تراب ثم اذا أنتم بشر تتمشرون وقال  
 الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد  
 وغندر قال حدثنا عوف عن قسامة  
 ابن زهير عن أبى موسى قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان  
 الله خلق آدم من قبضة قبضها من  
 جميع الارض فجاء بنو آدم على  
 قدر الارض منهم الايض والاجر  
 والاسود و بين ذلك الخبيث والطيب  
 والسهل والحزن و بين ذلك ورواه  
 أبو داود والترمذى من طرق عن  
 عوف الاعرابى به وقال الترمذى  
 هذا حديث حسن صحيح وقوله  
 تعالى ومن آياته ان خلق لكم من  
 انفسكم أزواجا أى خلق لكم من  
 جنسكم انا ان تكون لكم أزواجا

على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون - منها قال النحاس الاولى اثبات الباء في الجواب  
ومن حذف الباء قال سبيل الالف واللام أن يدخل على النكرة فلا يغيرها عن حالها فلما  
كان يقال جواب ودخلت الالف واللام أقر على حاله فحذف الباء قال الكسائي يقال  
جبت الماء وجبته في الحوض أي جمعه والجاية الحوض الذي يجبي فيه الماء للابل  
وقال النحاس والجاية القدر العظيمة والحوض العظيم الكبير الذي يجبي فيه انثى أي  
يجمع ومنه جبت الخراج وجبت الجراد جمعه في الكساء وقال ابن عباس كالجوبة من  
الارض (وقدور راسيات) قال ابن عباس أنافها منها وقال قتادة هي قدور النحاس  
تكون بفارس وقال النحاس هي قدور تحت من الجبال الصم علمتها الشياطين ومعنى  
راسيات نباتات لا تحمل ولا تحرك لعظمها كان بعدها السلام وكانت بالعين قبل  
انها باقية بها الى الآن ثم أمرهم سبحانه بالعمل الصالح على العموم سليمان وأهله فقال  
(اعملوا آل داود شكرًا) أي وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكر الله على ما آتاناكم  
أو اعملوا أعمال شكر اعلى انه صفة مصدر محذوف أو اعملوا الشكر على انه منقول له أو حال  
أي شاكرين أو مفعول به وسبب الطاعة شكر الانعام من جملة أنواعه أو منصوب على  
المصدرية بفعل مقدر من جنسه أي اشكروا وشكرا قيل المراد بآل داود نفسه وقيل  
داود وسليمان وأهل بيته وقيل المعنى ارجوا أهل البلاء وأسألوا ربكم العافية وسئل  
الجنيد عن الشكر فقال بذل الجهود بين يدي المعبود ثم بين بعد أمرهم بالشكر ان  
الشاكرين له من عبادته ليسوا بكثير فقال (وقليل من عبادى الشكور) أي العامل  
بطاعتي الشاكر نعمتي قليل وقال ابن عباس ينول قليل من عبادى الموحدين توحيدهم  
والشكور المتوفرون على أداء الشكر البازل وسعه فيه قد شغل بقلبه واسانه وجوارحه  
اعتقادا واعترافا وكذا وعن ابن عباس من يشكر على أحواله كلها وقيل من يشكر  
على الشكر ومن يرى عجزه عن الشكر وعن داود عليه السلام انه جزأ ساعات الليل  
والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصل (فلما  
قضينا عليه الموت) أي حكمتنا على سليمان به وازمنه اياه (مادلهم) أي الجن (على موته  
الادابة الارض) يعني حتى أكلت الارضة عصا منقر ميتا وهي دومة يقال لها سرفة وقرئ  
الارض بفتح الراء أي الاكل يقال أرضت الخشبة أرضا اذا اكلتها الارض (تأكل  
منسأته) قال البخاري يعني عصاه أي عصاه التي كان متكئا عليها والمنسأة العصا بلغة  
الخشبة أو هي مأخوذة من نسات الغنم أي زجرتها قال الزجاج المنسأة التي ينسأها إلى  
يطرد قرأ الجمهور منسأته همزة مفتوحة وقرئ همزة ساكنة وبالف محضة قال المبرد  
بعض العرب تبدل من همزتها ألفا فلما اكلتها الارضة شكرتها الجن وأجروها فهم  
يأتونها بالماء والطيب في خروق الخشب وزاد السدي وقالوا لها لو كنت تأكلين الطعام  
والشراب لا ينالك بهم (فلما حتر) أي سقط سليمان (تبينت الجن) أي ظهر لهم وانكشف  
من تبينت الشيء اذا علمته أي علمت الجن (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب  
المهين) أي لو صح ما يزعمونه من انهم يعلمون الغيب لعلوا بموته ولم يلبثوا بعد موته مدة

طويله في العذاب اى العمل الذى أمرهم به والطاعة له وهو اذ ذلك ميت قال مقاتل  
العذاب المهين الشقاء والنصب في العمل قال الواحدى قال المنسرون كانت الناس في  
زمان سليمان يتولون ان الحجر تعلم الغيب فلما تكث سليمان قائما على عصاه حولامينا  
والجن تعمل تلك الاعمال الشاقة التى كانت تعمل في حياة سليمان لا يشعرون بعونه حتى  
اكتلت الارض عصاه فخرمينا فعملوا بعونه علم الناس ان الجن لا تعلم الغيب ويجوز ان  
يكون تبينت من تبين الشئ لامن تبينت الشئ اى ظهر وتجلي وان وما فى حيزها بدل  
اشتمال مع تقدير محذوف اى ظهر أمر الجن للناس انهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في  
العذاب المهين قرأ الجمهور تبينت على البناء للفاعل مسندا الى الجن وقرأ ابن عباس  
وغيره على البناء للفعول ومعنى القراءتين يعرف مما قدمنا قال ابن عباس لبث سليمان  
على عصاه حولامينا ثم خر على رأس الحول فأخذت الجن عصى مثل عصاه ودابة  
مثل دابته فارسلوها عليهم افا كلفها في سنة وكان ابن عباس يقرأ فلما تبينت الانس قال  
سفيان وفي قراءة ابن مسعود وهم يدعون له حولامينا وخرج البرار وابن جرير وابن المنذر  
والطبرانى وابن السنى وغيرهم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كان  
سليمان اذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لها  
انت فتقول كذا وكذا فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فصلى ذات يوم  
فاذا شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لاى شئ انت قالت لخراب  
هذا البيت قال لها سليمان ما كان الله ليخبره وأنا حتى أتت على وجهك هلاكى  
وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها فى حائط له ثم قال سليمان اللهم عم عن الجن موتى  
حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فهيا عصى فتوكل عليها وقضه الله وهو متمسكى  
عليها فكث حولامينا والجن تعمل فاكتلت الارض فسقطت فعملوا عن ذلك بعونه  
فتبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وكان ابن عباس  
يقرأها كذلك فشكرت الجن للارضة فأيما كانت يا توتهم بالماء وأخرجه الحاكم وصححه  
عن ابن عباس موقوفا وأخرج لديلى عن زيد بن أرقم مرفوعا يقول الله انى تنضلت  
على عبادى بثلاث القيت الدابة على الحبة ولولا ذلك لكثرها المسالوك كما يكثرون الذهب  
والفضة والقيت الثمن على الجسد ولولا ذلك لم يدفن حبيب حبيبه واستلبت الحزن ولولا  
ذلك لذهب النسل ذكر أهل التاريخ شيخان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقى في  
الملك مدة أربعين سنة وشرع فى بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفى  
وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل ان داود أسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط  
موسى فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان فأمر الشياطين باتمامه فلما بقى من عمره  
سنة سأل ربه ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا عنه ولتبتل دعواهم على الغيب روى ان  
اقر يدون جاء له صرد كرسية فلما نادا نضرب الاسدان ساقه فكسرها فلم يجسر أحد بعده  
ان يدنونه ولما ذكر سبحانه حال بعض الشاكرين لنعمه عقبه بحال بعض الجاحدين  
لها والمقصود من ذكر هذه القصة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكرها التومر لعلمهم

كواكبها وبجوهها الثواب  
والسبارات وخلق الارض فى  
اختصاصها وكثافتها وما فيها من  
جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان  
وأشجار وقوله تعالى واختلاف  
ألسنتكم يعنى اللغات فهو لاء بلغة  
العرب وهو لاء تقرأ لغتهم لغة أخرى  
وهو لاء كرج وهو لاء روم وهو لاء  
فري وهو لاء بربر وهو لاء تكروور  
وهو لاء حبشة وهو لاء هند وهو لاء  
بجم وهو لاء صقالبه وهو لاء جزر  
وهو لاء أرمن وهو لاء كرادالى  
غير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى من  
اختلاف لغات بنى آدم واختلاف  
ألوانهم وهى حلالهم فجميع أهل  
الارض بل أهل الدنيا منذ خلق الله  
آدم الى قيام الساعة كل له عيذان  
وحاجبان وأنف وجبين وفم وخذان  
وليس يشبه واحد منهم الاخر بل  
الابدان متارقة بشئ من السمات  
أو الهيئة أو الكلام ظاهرا كان  
أو خفيا يظهر عند التأمل كل وجه  
منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه  
اخرى ولو توافق جماعة من جبال  
أوقع لا بد من فارق بين كل واحد  
منهم وبين الاخران فى ذلك لايات  
للعالمين ومن آياته منكم بالليل  
والنهار وبأغواكم من فضله اى  
ومن الآيات ما جعل الله من صفة



يتعظون وينزحرون ويعتبرون بها فقال (لقد كان نسبا) المراد بها القبيلة التي هي من  
 أولاد سبأ وهو سبأ بن يشجب بضم الجيم بن يعرب بن قحطان بن هود قرأ الجمهور سبأ  
 بالتشوين على انه اسم حتى اى الحى الذين هم اولاد سبأ وقرئ لسبأ ممنوع الصريف بتأويل  
 القبيلة ويقوى القراءة الاولى قوله (فى مسكنهم) ولو كان على تأويل القبيلة لقال فى  
 مسكنها وقرأ الجمهور على الجمع واختار هذه القراءة أبو عبيد و ابو حاتم ووجه الاختيار انها  
 كانت لهم منازل كثيرة ومساكن متعددة وقرئ بالافراد ووجه الافراد انه مصدر يشمل  
 القليل والكثير أو اسم مكان وأريد به معنى الجمع وهذه المساكن التي كانت لهم هي التي  
 يقال لها الآن مأرب وبنها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ايام وكانت أخصب البلاد وقد  
 أخرج احمد والبخارى والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وغيرهم عن فروة بن مسيك  
 المرادى قال أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله ألا اقاتل من ادبر من  
 قومي بمن اقبل منهم فأذن لي فى قتالهم وأمرنى فلما خرجت من عنده أرسل فى اثرى فردنى  
 فقال ادع القوم فمن أسلم منهم فاقبل منه ومن لم يسلم فلا تعجل حتى أحدث البك وانزل فى  
 سبأ ما انزل فقال رجل يا رسول الله وما سبأ ارض أم امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة  
 ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فسيان منهم ستة وتشاءم منهم اربعة فأما الذين  
 تشاءموا فلخيم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالازدوالشعريون وجبر وكندة  
 وسدج وأتمارق قال رجل يا رسول الله وما تمارق قال الذين منهم خشم وجميلة وأخرج  
 احمد وعبد بن حميد والطبرانى وابن عدى والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس  
 نحوه بأخصر منه (آية) اى علامة الدالة على كمال قدرة الله وبديع صنعه بملاحظة  
 احوالها السابقة وهي نضارتها وخصبها وثمارها واللاحقة كتبدلها وعدم ثمرها ثم بين  
 هذه الآية فقال (جنتان) اى جاعتان من البساتين (عن عيين وشمال) اى وهاتان  
 الجنتان كانتا عن يمين وادبهم وشماله قد اطابته من جهتيه وقيل عن يمين من اتاهما  
 وشماله وكانت مساكنتهم فى الوادى وكل طائفة من تلك الجماعتين فى تقاربها وتضامها  
 كأنها جنة واحدة والآية هي الجنتان كانت المرأة تسمى فيها وعلى رأسها الملكل فيتملى  
 من انواع الفواكه التي تساقط من غير ان تمسها بيدها وقال عبد الرحمن بن زيدان الآية  
 التي كانت لاهل سبأ فى مساكنتهم انهم لم يروا فيها بعوضة ولا ذبابا ولا برغوثا ولا قملة ولا  
 عقربا ولا حية ولا غير ذلك من الهوام واذا جاءهم الركب فى ثيابهم القمل ماتت عند  
 رؤيتهم ليسوتهم قال القشيري ولم يرد جنتين اثنتين بل أراد من الجهة برينة ويسرة فى كل  
 جهة بساتين كثيرة وأشجار وثمار تترانس الناس بظلالها (كوا من رزق ربكم) اى قبل  
 لهم ذلك وهذا الأمر للاذن والاباحة وقيل لم يكن ثم أمر ولكن المراد عكبتهم من ثمر  
 النعم والاول أظهر وقيل انها قات لهم الملائكة وقيل لهم خوطبوا بذلك على لسان  
 نبيهم والمراد بالرزق هو ثمار الجنتين (واشكروا لله على) ما رزقكم من هذه النعم واعملوا  
 بطاعته واجتنبوا معاصيه (بلدة طيبة) مستأنفة لبيان موجب الشكر والمعنى هذه بلدة  
 طيبة فكثيرة أشجارها وطيبة ثمارها وقيل معنى كونها طيبة انها غير سبخة وقيل ليس فيها

النوم فى الليل والنهار فيه يحصل  
 الراحة وسكون الحركة وذهاب  
 الكلال والتعب وجعل لكم  
 الانتشار والسعي فى الاسباب  
 والاسفار فى النهار وهذا النوم  
 ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون اى  
 يعون قال الطبرانى حدثنا حجاج  
 ابن عمران السدي حدثنا عمرو  
 ابن الحصين العقيلي حدثنا محمد بن  
 عبد الله بن علاقة حدثنا ثور بن  
 يزيد عن خالد بن معدان سمعت  
 عبد الملك بن مروان يحدث عن  
 أبيه عن زيد بن ثابت رضى الله  
 عنه قال أصابى أرق من الليل  
 فشكوت ذلك الى رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم فقال قل اللهم غارت  
 النجوم وهدأت العيون وأنت حى  
 قيوم يا حى يا قيوم اهد ليلى فقلتها  
 فذهب عني (ومن آياته يريكم  
 البرق خوفا وطمعا وينزل من  
 السماء ماء فيحيى به الارض بعد  
 موتها ان فى ذلك لايات لقوم  
 يعقلون ومن آياته ان تنوم السماء  
 والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة  
 من الارض اذا أنتم تحذرون)  
 يقول تعالى ومن آياته الدالة على  
 عظمته انه يريكم البرق خوفا وطمعا  
 اى نار تحذرون مما يحدث بعده  
 من أمطار من عظمة وصواعق مثلثة

هو ام لطيب هو انما قال مجاهد هي صنعاء وقيل كانت على ثلاثة فراسخ من صنعاء  
 وفي المصباح يطلق البلد والبلدة على كل موضع من الارض عامرا كان أو خلاء (ورب  
 غفور) أي المنعم بهم عليهم رب غفور لذنوبهم فجمع لهم بين المغفرة وطيب البلدة ولم يجمع  
 ذلك لجميع خلقه وقال مقاتل المعنى وربكم ان شكرتم فيما رزقكم رب غفور للذنوب  
 وقيل انما جاع لهم بين طيب البلدة والمغفرة للاشارة الى ان الرزق قد يكون فيه حرام  
 قرى بنصب بلدة وربا على تقدير اسكنوا بالمدّة واشكروا ربا ثم ذكر سبحانه ما كان منهم  
 بعد هذه النعمة التي انعم بها عليهم فقال (فأعرضوا) عن الشكر وكفروا بالله وكذبوا  
 انبياءهم قال السدي بعث الله الى أهل سبأ ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وكذا قال وهب  
 وزاد وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة فقولوا ربكم فليحس هذه النعمة عنان استطاع  
 فذلك اعراضهم ثم لما وقع منهم الاعراض عن شكر النعمة ارسل الله عليهم نعمة سلب  
 بها ما انعم به عليهم كما قال (فأرسلنا عليهم سيل العرم) وذلك ان الماء كان يأتي ارض سبأ  
 من اودية اليمن فدموا رما بين جبلين وجسوا الماء وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة ابواب  
 بعضها فوق بعض وكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث فأخصبوا  
 وكثرت اموالهم فلما كذبوا رسلهم بعث الله جردا ففتقت ذلك الردم حتى انتقض فدخل  
 الماء جنتهم فغرقها ودفن السيل بيوتهم فهذا هو سيل العرم وهو جمع عرمة وهي السكر  
 التي تحبس الماء وكذا قال قتادة وغيره وقال السدي العرم اسم للسد والمعنى ارسلنا عليهم  
 سيل السد العرم وقال عطاء العرم اسم الوادي وقال الزجاج العرم اسم الجرد الذي نقب  
 السد عليهم وهو الذي يقال له الخلد فنسب السيل اليه لكونه سبب جريانه قال ابن  
 الاعرابي العرم من اسماء الفجار وقال مجاهد وابن نجيم العرم ماء اجر ارسله الله في السد  
 فشققه وهدمه وقيل ان العرم اسم المطر الشديد وقيل اسم للسيل الشديد والعرامة في  
 الاصل الشدة والشراسة والصعوبة يقال عرم فلان اذا تشدد وتصعب وروى عن ابن  
 الاعرابي انه قال العرم السيل الذي لا يطوق وقال المبرد العرم كل شيء حار بين شيتين  
 وعن ابن عباس قال العرم الشديد وعنه قال واد كان باليمن كان يسيل الى مكة (وبدلناهم  
 بجنتهم جنين) اي اهلكنا جنتهم اللتين كانتا مشتملتين على ثلاث القواصم الطيبة  
 والانواع الحسنة واعطيناهم بدلها جنتين لا خير فيهما ولا فائدة لهم فيما هو نابت فيهما  
 ونسبتهما جنتين ثم كرمهم على طريق المشاكلة ولهذا قال (ذواتي) ثمنية ذوات مفرد  
 على الاصل لان اصله ذوية قالوا وعين الكامة والياء لامها لانه مؤنث ذو وذو اصله ذوى  
 فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت الفاء فصارت ذوات ثم حذف الواو تخفيفا وفي ثنيتيه  
 وجهان نارة ينظر للفظه الآن فيقال ذاتان ونارة ينظر له قبل حذف الواو فيقال ذواتان  
 وقال السمين في ثنيتيه ذات لغتان احدهما الرد الى الاصل فان اصله ذوية فالعين واو  
 واللام ياء لانها مؤنثة ذو والثانية ثنيتيه على اللفظ فيقال ذاتان (اكل خط) قرى بتنوين  
 اكل وعدم اضافته الى خط وقرى بالاضافة والاولى اولى قال الخليل الخط ضرب من  
 الارز وله جل يوكل وبه قال ابن عباس وكذا قال كثير من المفسرين وقال ابو عبيدة

ونارة تخرجون وميضه وما يأتي بعده  
 من المطر المحتاج اليه ولهذا قال  
 تعالى وينزل من السماء ماء فيحيي  
 بها الارض بعد موتها اي بعد  
 ما كانت هامدا لانيات فيها ولا شيء  
 فلما جاءها الماء اهتزت وربت  
 وانبتت من كل زوج بهيج وفي ذلك  
 عبرة ودلالة واضحة على المعاد  
 وقيام الساعة ولهذا قال ان في  
 ذلك لايات لتقوم بعقلون ثم قال  
 تعالى ومن آياته ان تقوم السماء  
 والارض بأمره كقوله تعالى وعسك  
 السماء ان تقع على الارض الا بذنه  
 وقوله ان الله عسك السموات  
 والارض أن تزولا وكان عر بن  
 الخطاب رضي الله عنه ذا اجتهد في  
 اليقين قال والذي تقوم السماء  
 والارض بأمره أي هي قائمة ثابتة  
 بأمره لها وتخيرها ايها ثم اذا كان  
 يوم القيامة بدلت الارض غير  
 الارض والسموات وخرجت  
 الاموات من قبورها أحياء بأمره  
 تعالى ودعاها اياهم ولهذا قال تعالى  
 ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا  
 أنتم تخرجون اي من الارض كما  
 قال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون  
 بحمده وتظنون ان لبئس الاقربا  
 وقال تعالى فاتمها زجرة واحدة  
 فاذا هم بالساهرة وقال تعالى ان  
 كانت الاصيحة واحدة فاذا هم

الخط كل شجرة مرة ذات شوك وقيل هو ثمرة شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش  
 يتفرك ولا ينتفع به وقال الزجاج كل نبت فيه حرارة لا يمكن أكله وقال المبرد كل شيء يغير  
 الى ما لا يشتهي يقال له خط ومنه اللبن اذا تغير والخط اسم للمر والحامض من كل شيء  
 والخط نعت لكل او بدل منه لان الاكل هو الخط بعينه وقال الاخفش الاضافة  
 احسن في كلام العرب مثل ثوب خز ودار آجر والاولى تفسير الخط بما ذكره  
 الخليل ومن معه قال الجوهرى الخط ضرب من الاراك له جعل يؤكل (وأنزل)  
 هو الشجر المعروف الشبيه بالطرفاء كذا قال الفراء وغيره قال الا انه أعظم من الطرفاء  
 طولاً وورقه كورق الطرفاء ومنه اتخذ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الواحدة  
 أثلة والجمع أثلات وقال الحسن الأثل الخشب وقال أبو عبيدة هو شجر النظار والاولى أولى  
 ولا تمل الأثل (وشئى من سدر قليل) السدر شجر معروف قال الفراء هو السمرة وقال  
 الازهرى السدر من الشجر سدران برى لا ينتفع به ولا يصلح للغسول وله ثمرة غصص لا يؤكل  
 وهو الذى يسمى الضال والثانى سدر ينبت على الماء وثمره التبق وورقه غسول يشبه  
 شجر العناب قيل ووصف السدر بانقله لان منه نوعا يطيب أكله وهو النوع الثانى الذى  
 ذكره الازهرى ولذا يغرس فى البساتين قال قتادة بينهما شجرهم من خير شجر اذ صيره الله من  
 شر الشجر بأعمالهم فأهلك أشجارهم المثرة وأثبت بدلها الاراك والطرفاء والسدر  
 ويحتمل ان يرجع قوله قليل الى جميع ما ذكر من الخط والأثل والسدر والاشارة بقوله  
 (ذلك) الى ما تقدم من التبديل اولى المصدر (جزيناهم عما كفروا) أى ذلك التبديل  
 أو ذلك الجزاء بسبب كفرهم للنعمة بأعراضهم عن شكرها (وهل يجازى الا بالكفور)  
 أى وما يجازى هذا الجزاء بسلب النعمة ونزول النعمة الا الشديد الكفر المتبالغ قرأ  
 الجمهور بضم التحتية وفتح الزاى على البناء للمفعول وقرئ بالنون وكسر الزاى  
 مبنيا للفاعل وهو الله سبحانه والكفور على الاولى مرفوع على الثانية منصوب وظاهر  
 الآية انه لا يجازى الا الكفور مع كون أهـل المعاصى يجازون وقد قال قوم ان معنى  
 الآية انها لا يجازى هذا الجزاء وهو الاصلطام والاهلاك الامن كفر وقال مجاهد ان  
 ان المؤمن تكفر عنه سيئاته والكافر يجازى بكل عمل عمله وقال طائوس هو المداقشة  
 فى الحساب وأما المؤمن فلا يناقش وقال الحسن ان المعنى انه يجازى الكافر بما اعتدل  
 ورجح هذا الجواب النحاس (وجعلنا بينهم) أى وكان من قصتهم اناجعلنا بين مسا كفرهم  
 قبل ارسال السبل عليهم (وبين القرى التى باركنا فيها) بالماء والشجر وهى قرى الشام  
 يعنى الارض المقدسة قاله ابن عباس (قرى ظاهرة) أى متواصلة عامرة مخصصة وكان  
 متجرهم من أرضهم التى هى مأرب الى الشام وكانوا يبيتون بقرية وبقيلون بأخرى حتى  
 يرجعوا وكانوا لا يحتاجون الى زاد يجهلونه من أرضهم الى الشام فهذا من جملة الحكاية  
 لما أنعم الله به عليهم قال الحسن ان هذه القرى هى بين اليمن والشام قيل انها كانت أربعة  
 آلاف وسبع مائة قرية متصلة من سبأ الى الشام وقيل هى بين المدينة والشام قال المبرد  
 القرى الظاهرة هى المعروفة وانما قيل انها ظاهرة لظهورها اذا خرجت من هذه ظهرت

جميع الذين محضرون (وله من فى  
 السموات والارض كل له قاتون  
 وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو  
 أهون عليه وله المثل الأعلى فى  
 السموات والارض وهو العزيز  
 الحكيم) يقول له تعالى وله من فى  
 السموات والارض أى ملكه  
 وعبيده كل له قاتون أى خاضعون  
 خاشعون طوعا وكرها وفى حديث  
 دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد  
 مرفوعا كل حرف يذكر فيه القنوت  
 فى القرآن فهو الطاعة وقوله وهو  
 الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون  
 عليه قال ابن أبى طلحة عن ابن  
 عباس عن أبي أسير عليه وقال مجاهد  
 الاعادة أهون عليه من البسادة  
 والبسادة أهون عليه هينة وكذا قال  
 عكرمة وغيره وروى البخارى حدثنا  
 أبو اليمان أخبرنا شعيب أخبرنا  
 أبو الزناد عن الأعرج عن أبي  
 هريرة رضى الله عنه قال قال رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم يقول الله  
 تعالى كذبتى ابن آدم ولم يكن له ذلك  
 وشتمنى ولم يكن له ذلك فامات كذبتى  
 اياى فقول له ان يعبدنى كما بدانى  
 وليس أول الخلق بأهون على من  
 اعادته وأما شتم اياى فقول له اتخذ  
 الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم  
 يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

لك الاخرى فكانت قري ظاهرة أى معروفة يقال هذا امر ظاهر أى معروف وقيل  
 ظاهرة لا عين الناظرين أو ظاهرة للسابلة لم تبعدهن مسالكهم حتى تحق عليهم (وقد رنا  
 فيها السير) أى جعلنا السير من القرية الى القرية ومن المنزل الى المنزل مدة درامعنا  
 واحدا وذلك نصف يوم في العدو والراح فاذا صاروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه  
 وأشجار فكان ما بين العين والشام كذلك كما قال المفسرون قال الفراء أى جعلنا بين كل  
 قريةين نصف يوم حتى يكون المقييل في قرية والمبيت في أخرى الى أن يصل الى الشام  
 وانما يبلغ الانسان في السير اعدم الزاد والماء وخوف الطريق فاذا وجد الزاد والامن  
 لم يحمل نفسه المشقة بل ينزل أينما أراد والحاصل ان الله سبحانه عددهم عليهم النعم ثم ذكر  
 منازلهم من النعم ثم عاد لتعدد بقية ما أنعم به عليهم مما هو خارج عن بلدهم من اتصال  
 القرى بينهم وبين ما يريدون السفر اليه ثم ذكر بعد ذلك تمديده بالمنازل والبرارى كما سمي أى  
 (سير واقفا) أى قلنا انهم سيروا في تلك القرى المتصلة فهو أمر تمكين أى ومكناهم من  
 السير فيها متى شاؤوا وفي لفظ في اشعار بشدة القرب حتى كأنهم لم يخرجوا من نفس  
 القرى قال ابن عباس أى اذا طعنوا من منازلهم الى أرض الشام المقدسة (ليالى وأياما  
 آمنين) مما تخافونه وقال قتادة كانوا يسرون غير حافقين ولا جياح ولا ظمأ كانوا  
 يسرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم بعضا ولو لاقى الرجل قاتل أبيه لم  
 يحركه قيل وأتى بلفظ النكرة تنبيها على قصر أسفارهم أى كانوا لا يحتاجون الى طول  
 السفر لوجود ما يحتاجون اليه ثم ذكر سبحانه انهم لم يشكروا النعمة بل طلبوا التعب  
 والكد (فقالوا ربنا عدي أسفارنا) وكان هذا القول منهم بطرا وطعنا بالناس ثم ما  
 النعمة ولم يصبروا على العاقبة فتمنوا طول الاسفار والتباعدين الديار وسألوا الله تعالى  
 ان يجعل بينهم وبين الشام مكان تلك القرى المتواصلة الكثير الماء والشجر والامن  
 من المفاوز والقفار والبرارى المتساعدة الاقطار فأجابهم الله الى ذلك وخرب تلك القرى  
 المتواصلة وذهب بما فيها من الخبز والماء والشجر فكانت دعوتهم هذه كدعوة بنى  
 اسرائيل حيث قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها الآية مكان  
 المن والسلاوى وكقول النضر بن الحرث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر  
 علينا حجارة من السماء الآية قرأ الجمهور ربنا بال نصب على انه منادى مضاف وقرأوا أيضا  
 بأعدو قرى بعد بتشديد العين وقرأ ابن السيمع بضم العين فعلا ماضيا فيكون معنى  
 هذه القراءة الشكوى من بعد الاسفار وقرى ربنا بالرفع وباعد بفتح العين على انه فعل  
 ماض على الابتداء والخبر والمعنى لقد باعد ربنا بين أسفارنا ورويت هذه القراءة عن  
 ابن عباس واختارها أبو حاتم وقال لانهم ما طلبوا التبعية كما طلبوا أقرب من ذلك  
 القرب الذى كان بينهم وبين الشام بالقرى المتواصلة بطرا وأشرا وقرأ للنعمه وقرى ربنا  
 بالرفع وبعد بفتح العين مشددة والمعنى على هذه القراءة الشكوى بان ربهم بعد بين  
 أسفارهم مع كونها قريبة متصلة بالقرى والشجر والماء فيكون هذا من جملة بطرهم وقرأ  
 أخوالحسن البصرى كقراءة ابن السيمع السابقة مع رفع بين على انه الفاعل كما قيل فى

انفراد باخراجه البخارى كما انفرد  
 بروايته أيضا من حديث عبد  
 الرزاق عن معمر عن همام عن ابى  
 هريرة وقدرناه الامام أحمد  
 منقدا به عن حسن بن موسى عن  
 ابن لهيعة حدثنا أبو يونس سليم بن  
 جبير عن ابى هريرة عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم بخوه أو مثله وقال  
 آخرون كلاهما بالنسبة الى القدرة  
 على السواء وقال العوفي عن ابن  
 عباس كل عليه هين وكذا قاله  
 الربيع بن خنيم ومال اليه ابن جرير  
 وذكر عليه شواهد كثيرة قال ويحتمل  
 ان يعود النظم فى قوله وهو أهون  
 عليه الى الخلق أى وهو أهون  
 على الخلق وقوله له المثل الاعلى  
 فى السموات والارض قال على بن  
 أبى طلحة عن ابن عباس كقوله تعالى  
 ليس كمثلها شئ وقال قتادة مثله انه  
 لاله الا هو ولا رب غيره وقال مثل  
 هذا ابن جرير وقد أنشد بعض  
 المفسرين عند ذكر هذه الآية  
 لبعض أهل المعارف  
 اذا سكن الغدير على صفاء  
 وجنب ان يحركه النسيم  
 يرى فيه السماء بلا امتراء  
 كذلك الشمس تبدو والنجوم  
 كذلك قلوب أبواب التجلى  
 يرى فى صفوها الله العظيم

قوله

قوله لقد تقطع بينكم وروى القراء والزجاج قراءة مثل هذه القراءة لكن مع نصب بين  
على انه ظرف والتقدير بعد سيرنا بين أسفارنا قال النحاس وهذه القراآت اذا اختلفت  
معانيها لم يجز ان يقال احدهما أجود من الاخرى كما يقال ذلك في اخبار الاحاد اذا  
اختلفت معانيها ولكن أخبر عنهم بأنهم دعوا ربه ان يبعدين أسفارهم فلما فعل ذلك  
شكروا ونضروا وله مذا قال سبحانه (وظلموا أنفسهم) حيث كثروا بالله وطغوا  
وبطروا نعمته وتعرضوا للنقمة (جعلناهم أحاديث) يتحدث الناس باخبارهم وعبره ان  
بعدهم والاحاديث جمع حديث بمعنى الخبر كما في القاموس والمعنى جعلناهم ذوى أحاديث  
يتحدث بها من بعدهم نعيما من فعلهم وأمرهم وشأنهم واعتبارا بجمالهم وعاقبتهم  
(ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم فى كل وجه من البلاد كل التفرقة بحيث لا يتوقع  
بعده عود اتصال وهذه الجملة ميمنة لجعلهم أحاديث وذلك ان الله سبحانه لما أغرق مكانهم  
وأذهب جناتهم تفرقوا فى البلاد فصارت العرب تضرب بهم الامثال فتقول تفرقوا أيدي  
سبارذهبوا أيادي سبا والأيدي ههنا بمعنى الاولاد لانهم يعتضدهم وفى المفصل الأيدي  
الانفس كناية أو مجاز قال فى الكشف وهو أحسن قال الشعبي فلحقت الانصار بعنى  
الاوس والخزرج يثرب وغسان بالشام والازد بعمان وخزاعة بتهامة وكان الذى قدم  
منهم المدينة عمر بن عامر وهو وجد الانصار ولحق آل خزاعة بالعراق (ان فى ذلك) أى فيما  
ذكر من قصتهم وما فعل الله بهم (آيات) بينات وعبر اظاهرات ودلالات وانحسبات  
(الكل صبار شكور) أى لكل من هو كثير الصبر عن المعاصى والشكر لله على نعمه  
وخص الصبار والشكور لانهم المنتفعان بالمواعظ والآيات (ولقد صدق عليهم ابليس  
ظنه فاتبعوه) قرئ بتخفيف صدق ونصب ظنه قال الزجاج وهو على المصدر أى صدق وظن  
ظنه أو صدق فى ظنه أو على الظرفية والمعنى ان ظنهم انه اذا اغواهم اتبعوه فوجدتهم  
كذلك وقرئ صدق بالتشديد وظنه بالنصب على انه منقول به وقال أبو على النابلسى أى  
صدق الظن الذى ظنه قال مجاهد ظن ظنا فصدق ظنه فكان كما ظن وقرئ صدق  
بالتخفيف وابلس بالنصب وظنه بالرفع وقد بدأ بهذه القراءة القراء وذكروا الزجاج  
وجعل الظن فاعل صدق وابلس منقول والمعنى ان ابليس سول له ظنه شيئا فيهم فصدق  
ظنه فكانه قال ولقد صدق عليهم ظن ابليس قيل وهذه الآية خاصة باهل سبا والمعنى انهم  
غيروا وبدلوا بعد ان كانوا أقدموا واما اجابته برسالتهم وقيل هى عامة أى صدق ابليس ظنه  
على الناس كلهم الامن اطاع الله قاله مجاهد والحسن قال الكلبي انه ظن انه ان اغواهم  
أجابوه وان أضلهم أطاعوه فصدق ظنه فاتبعوه قال الحسن ما نشرهم بسوط ولا بعدى  
واعطى ظنا فكان كمن ظن بوسوسته وعن ابن عباس فى الآية قال قال ابليس ان آدم  
خلق من تراب ومن طين ومن حماسن خلقا ضعيفا وانى خلقت من نار والنار تحرق كل  
شيء الا حتمت كن ذرية الا قليلا قال فصدق ظنه عليهم وانصاب (الافريقان المؤمنان)  
على الاستثناء وفيه وجهان أحدهما ان يراد به بعض المؤمنين لان كثيرا من المؤمنين يذنب  
وينقاد لابليس فى بعض المعاصى ولم ييسلم منه الا فريق وهم الذين قال الله فيهم ان عبادى

وهو العزيز الذى لا يغالب ولا يمانع  
بل قد غلب كل شئ وقهر كل شئ  
بقدرته وسلطانه الحكيم فى أقواله  
وأفعاله شرعا وقدرنا وعن مالك فى  
نفسه به المروى عنه عن محمد بن  
المنكدر فى قوله تعالى وله المثل  
الاعلى قال لا اله الا الله (ضرب لكم  
مثلا من أنفسكم هل لكم مما  
ملكتم أيمانكم من شركاء فيما  
رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم  
كخيفتكم أنفسكم كذلك تفصل  
الآيات لقوم يعقلون بل اتبع  
الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن  
هم من أضل الله وما لهم من  
ناسرين) هذا مثل ضرب به الله تعالى  
للمشركين به العابدين بغيره  
الجاعل بين له شركاء وهم مع ذلك  
معتفون ان شركاءه من الاصنام  
والانداد عباده ملك له كما  
كانوا يقولون ليس لك لا شريك لك  
الا شريكنا هولاء تلكم وما ملك  
فقال تعالى ضرب لكم مثلا من  
انفسكم أى تشبهونهم وتفهمونه  
من أنفسكم هل لكم مما ملكتم  
أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم  
فأنتم فيه سواء أى يرضى أحدكم  
ان يكون عبدا مشريكا له فى ماله  
فهو وهو فيه على السواء تخافونهم  
كخيفتكم أنفسكم أى تخافون ان  
يقاسمواكم الاموال قال ابو مجاز

ليس لك عليهم سلطان وقيل المراد به المؤمنون كلهم لانهم لم يتبعوه في أصل الدين على ان تكون من بانية (وما كان له عليهم من سلطان) أي من تسلط عليهم أي لم يكرههم على الكفر وانما كان منه الدعاء والوسوسة والتزيين وقيل الضمير في عليهم يعود على من صدق عليهم ظن البليس وعلى القريب المؤمنين وقيل السلطان القوة وقيل الحجة والاستدعاء في قوله (الانعلم) منقطع والمعنى لاسلطان له عليهم ولكن ابتليناهم بوسوسته لتعلم وتبالي الفراء المعنى الانعلم ذلك عندكم وقيل الانعلموا انتم وقيل لي علم أو لياؤنا والملائكة وقرئ لي علم على البناء للمفعول والالى حمل العلم هنا على التمييز والاظهار كما ذكرنا وقيل الانعلم موجودا معلناه معدوما والتغير على المعلوم لا على العلم وقيل هو متصل مفرغ من أعم الاحوال أي ما كان له تسلط عليهم بحال من الاحوال ولا على من العلة الا ليقتر (من يومن بالآخرة عن هومها في شك) لانه سبحانه قد علم ذلك علما أزليا (وربك على كل شيء حفيظ) أي محافظ عليه فالمنظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة اذا الجاهل بالشيء لا يمكنه حفظه ولا العاجز قال مقاتل علم كل شيء من الايمان والشك (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) قرئ قل بكسر اللام على أصل التخلص من التقاء الساكنين وبضمها اتباعا لضعف العين والدال بينهما جاز غير حصير لسكونها وهما قراءتان سبعيتان وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بان يقول للكفار قرئش أول الكفار على الاطلاق هذا القول ومنعوا لزعمت محذوفان أي زعموههم آلهة للدلالة السياق عليهم ما قال مقاتل يقول ادعوه هم ليكشفوا عنكم الضم الذي نزل بكم في سبى الجوع ثم أجاب سبحانه عنهم فقال (لا يملكون مقال ذرة في السموات ولا في الارض) أي ليس لهم قدرة على خير ولا شر ولا على جلب نفع ولا دفع ضرر في أمر من الامور وذكر السموات والارض لقصد التعميم لكونها ما طرف الموجودات الخارجية (ومالهم فيهم ما من شرك) أي ليس للآلهة في السموات والارض مشاركة لا باخلق ولا بالملك ولا بالتصرف (ومالهم من ظهير) أي وماله سبحانه من تلك الآلهة من معين يعينه على شيء من أمور السموات والارض ومن فهم ما بل هو المتفرد بالايجاد فهو الذي يعبد ويعبادة غيره محال (ولا تمنع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أي لا تمنع الشفاعة في حال من الاحوال الا كائنه لمن أذن له ان يشفع من الملائكة والنبين ونحوهم من أهل العلم والعمل ومعلوم أن هؤلاء لا يشفعون الا لمن يستحق الشفاعة لالكافرين ويجوز ان يكون المعنى لا تمنع الشفاعة من الشفعاء المتأهلين لها في حال من الاحوال الا كائنه لمن أذن له أي لا حله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة لهم لان عداهم من غير المستحقين لها قيل والمراد بقوله لا تمنع الشفاعة انها لا توجد اصلا الا لمن أذن له وانما علق النبي بنفعها لا يوقوعها تصر يحايق ما هو غرضهم من وقوعها قرا الجمهور أذن بفتح الهمزة أي أذن له الله سبحانه لان اسمه سبحانه مذكور قبل هذا وقرئ على البناء للمفعول والاذن هو الله سبحانه ومثل هذه الآية قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا بانه وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذا تكذيب اقوالهم هؤلاء شفعاء وان عند الله ثم أخبر الله

ان مملوك لا يخاف ان يقاسمك مالك وليس له ذلك كذلك الله لا شريك له والمعنى ان أحدكم يأنف من ذلك فكيف يجعلون لله الاندادم خلقة وهذا كقوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون أي من البنات حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا و جعلوا بنات الله وقد كان أحدهم اذا بشر بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب فهم يأفنون من البنات وجعلوا الملائكة بنات الله ففسبوا اليه ما لا يرتضونه لانفسهم فهذا اعظم الكفر وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركاء من عبده وخلقته وأحدهم بأى غاية الابعاء ويأنف غاية الانفة من ذلك ان يكون عبده شريكه في ماله يساويه فيه ولو شاء اقسامه عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال الطبراني حدثنا محمود بن الفرج الاصبهاني حدثنا اسمعيل بن عمرو الجبلي حدثنا جاد بن شعيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يلبى أهل الشرك لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هـ ولك تملكه وما ملك فانزل الله تعالى

سبحانه عن خوف هؤلاء الشذعاء والمشتوع لهم فقال (حتى اذا فرغ عن قلوبهم) قرئ مبنيًا  
 للمفعول والناس فعل هو الله سبحانه وقرئ مبنيًا للفاعل وفاعله ضمير يرجع الى الله سبحانه  
 وكلمة القراءتين بتشديد الزاي وفعل معناه السلب فالتفريع ازالة الفزع وقرئ مخفضًا  
 وقرئ فرغ بانزاء المهملة والغين المعجمة من الفراغ والمعنى فرغ الله قلوبكم أى كشف  
 عنها الخوف وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه افرنقع من الافرنقع وهو التفرق وهو التفرق ذل قطرب  
 معنى فرغ أخرج ما فيه امن الفزع وهو الخوف وقال مجاهد كشف عن قلوبهم الغطاء يوم  
 القيامة وقال ابن عباس فرغ جلي وهو التفرق والمعنى ان الشفاعة لا تكون من أحد من  
 هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والانبياء والاصنام كأننا من كان الا ان يأذن  
 الله سبحانه للملائكة والانبياء ونحوهم في الشفاعة لمن يستحقها وهم على غاية الفزع من  
 الله كما قال تعالى وهم من خشية مشفقون فاذا اذن لهم في الشفاعة فرغوا ما يقترن بتلك  
 الحالة من الامر الهائل والخوف الشديد من أن يقع في تنفيذ ما أذن لهم فيه  
 تقدير او يحدث شيء من اقدار الله فاذا امرى عنهم (قالوا) للملائكة فوقهم وهم الذين  
 يوردون عليهم الوحي بالاذن (ماذا قال ربكم) أى ماذا أمر الله به (قالوا) أى فيقولون  
 لهم قال القول (الحق) وهو قبول شفاعتكم للمستحقين لها دون غيرهم (وهو العلي  
 الكبير) فله ان يحكم في عبادته بما يشاء ويفعل ما يريد ليس ملك ولا نبي أن يتكلم ذلك  
 اليوم الا باذنه وان يشفع الامن ارتضى وقيل هذا الفزع يكون للملائكة في كل أمر  
 يامر به الرب والمعنى لا تنفع الشفاعة الامن الملائكة الذين هم فرعون اليوم مطيعون  
 لله دون الجادات والشياطين وقيل ان الذين يقولون ماذا قال ربكم هم المشفوع لهم  
 والذين أجابوهم هم الشفعاء من الملائكة والانبياء وقال الحسن وابن زيد ومجاهد معنى  
 الآية حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين في الآخرة قالت لهم الملائكة ماذا  
 قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل انما يفزعون حذرًا  
 من قيام الساعة وقيل كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت أخرج ابن أبي حاتم  
 وابن مردويه عن ابن عباس قال لما أوحى الجبار الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعا  
 الرسول من الملائكة ليعبثه بالوحي فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي فلما  
 كشف عن قلوبهم سألوها عما قال الله فقالوا الحق وقد علموا ان الله لا يقول الاحتمال  
 ابن عباس وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا فلما سمعوا خروا وسجدوا فلما رفعوا  
 رؤسهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وأخرج عبد بن حميد وابن  
 المنذر وابن أبي حاتم أيضا عنه قال ينزل الامر الى السماء الدنيا له وقعة كوقعة السلسلة  
 على الصخرة فيفزع له جميع أهل السموات فيقولون ماذا قال ربكم ثم يرجعون الى  
 أنفسهم فيقولون الحق وهو العلي الكبير وأخرج البخاري وأبو داود والترمذي وابن  
 ماجه وغيرهم من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا قضى الله  
 الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعا لقوله كأنه سلسلة على صفوان  
 ينقذهم ذلك فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلي

هل لكم مما ملكت أيمانكم  
 من شركاء فبما رضيناكم فأنتم فيه  
 سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم  
 ولما كان التنبية بهذا المثل على  
 برائه تعالى وزاهاه عن ذلك بطريق  
 الاول والاخرى قال تعالى كذلك  
 تفصل الآيات لئلا تؤم بقولهم لم يفلح  
 تعالى مبيها ان المشركين انما عبدوا  
 غيره سفها من أنفسهم وجهل بل  
 اتبع الذين ظلموا أى المشركون  
 أهواءهم أى فى عبادتهم الانداد  
 بغير علم فن يهدى من أضل الله أى  
 فلا أحسنهم لهم اذا كتب الله  
 ضلالهم ومالهم من ناسرين أى  
 ليس لهم عن قدرة الله منقذ ولا محير  
 ولا محيد لهم عنه لانه ماشاء كان  
 ومالم يشأ لم يكن (فأقم وجهك  
 للدين حنيفا فطره الله التى فطر  
 الناس عليها لا تتبدل لخلق الله ذلك  
 الدين القيم ولكن أكثر الناس  
 لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا  
 الصلاة ولا تكونوا من المشركين  
 من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا  
 كل حزب بما لديهم فرحون) يقول  
 تعالى فاستدوجوهن واستمر على  
 الدين الذى شرعه الله لك من  
 الحنيفية ملة ابراهيم الذى هدانا  
 الله لها وكلما لك غاية النكال وأنت  
 مع ذلك لازم فطرته السلمية التى  
 فطر الله الخلق عليها فانه تعالى فطر  
 خلقه على معرفته وتوجيهه وأنه

الكبير الحديث وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وعن ابن مسعود قال اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صاصلة تكبرس السلسلة على الصفاة فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق أخرجه أبو داود والصلص له صوت الاجراس الصلبة بعضهم على بعض وفي معناه أحاديث ثم أمر الله سبحانه رسوله ان يبكت المشركين ويوبخهم فقال (قل من يرزقكم من السموات والارض) أى من ينعم عليكم بهذه الارزاق التي تتمعون بها فان آلهتكم لا يمكن ان تكون مثل ذرة الرزق من السماء هو المطر وما ينتفع به منها من الشمس والقمر والنجوم والرزق من الارض هو النباتات والمعادن وتجوذلك ولما كان الكفار لا يتقنون على جواب هذا الاستفهام ولا تقبل عقولهم نسبة هذا الرزق الى آلهتهم وربما يتوقنون في نسبه الى الله مخافة ان تقوم عليهم الحجج ثم أمر الله رسوله بان يجيب عن ذلك فقال (قل الله) أى هو الذى يرزقكم من السموات والارض ثم أمره الله سبحانه ان يخبرهم بانهم على ضلالة لكن على وجه الانصاف في الحجج بعد ما سبق تقرير من هو على الهدى ومن هو على الضلالة فقال (وانا اناى اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) والمعنى ان أحد الفريقين من الذين يوحىدون الله الخالق الرزق ويخصونه بالعبادة والذين يعبدون الجادات التي لا تقدر على خلق ولا رزق ولا تنفع ولا ضرر راغى أحد الامرين من الهدى والضلالة ومعلوم لكل عاقل ان من عبد الذى يخلق ويرزق وينفع ويضر هو الذى على الهدى ومن عبد الذى لا يخلق ولا رزق ولا تنفع ولا ضرر هو الذى على الضلالة وهم المشركون على وجهه أبلغ من التصريح وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موالى أو منافى قال لمن خطوب به قد أنصفك صاحبك قال المبرد ومعنى هذا الكلام معنى قول المتبصر في الحجج اصاحبه أحدنا كاذب وقد عرف انه الصادق المصيب وصاحبه الكاذب المخطئ انتهى وخلاف بين حرفي الجر الداخلين على الهدى والضلال لان صاحب الهدى كأنه يستعمل على فرس جواد يكفه حيث شاء والضال كأنه ينغمس في ظلام لا يرى أين يتوجه قال المبرد أو عند البصرين على بابها وليست للشك انكم اعلى ما تستعمله العرب في مثل هذا الالم يرد الخبر ان مبين وهو عالم بالمعنى وقال أبو عبيدة والفراء هي بمعنى الواو وتقديره واناعلى هدى واياكم لقي ضلال مبين قيل أو اياكم معطوف على اسم ان وخبرها هو المذكور وحذف خبر الثاني للدلالة عليه أى انا اعلى هدى أو فى ضلال مبين أو اياكم اعلى هدى أو فى ضلال مبين ويجوز العكس وهو كون المذكور خبر الثاني وخبر الاول محذوف كما في قوله والله رسوله أحق ان يرضوه ثم أرف سبانه هذا الكلام المنصف بكلام أبلغ منه في الانصاف وأدخل فيه وأبعد من الجدل والمشاغبة فقال (قل لا تستلون عما أجرنا ولا نستل عما تعملون) أى انما ادعوكم الى ما فيه خير لكم ونفع ولا ينالني من كفركم وتر ككم لا جابتي ضرر وهذا كقوله سبحانه لكم دينكم ولي دين وفي اسناد الحرم الى المسلمين ونسبة مطلق العمل الى المخاطبين مع

لا اله غيره كما تقدم عند قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بر بكم قالوا بلى وسند كذا الا حديث ان الله تعالى فطر خلقه على الاسلام ثم طرأ على بعضهم الاديان الفاسدة كاليودية والنصرانية والنجوسية وقوله تعالى لا تبدل خلق الله قال بعضهم معناه لا تبدلوا خلق الله فتغيروا والناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليهم فيكون خبرا بمعنى الطلب كقوله تعالى ومن دخل كان آمنا وهو معنى حسن صحيح وقال آخرون هو خبر على بابه ومعناه انه تعالى ساوى بين خلقه كاهم في الفطرة على الجملة المستتمة لا يولد أحد الا على دينه وبعثت بين الناس في ذلك ولهذا قال ابن عباس و ابراهيم الخليل وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وقتادة والخالك وابن زيد وقوله لا تبدل خلق الله أى لدين الله وقال البخارى قوله لا تبدل خلق الله لدين الله خلق الاولين الدين والفطرة الاسلام حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا بنون عن الزهري أخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن أن أباه مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا على الفطرة فابواه



كون أعمال المسلمين من البر الخالص والطاعة المحضة وأعمال الكفار من المعصية البينة والاثم الواضح من الانصاف ما لا يقدر قدره والمقصود المهادنة والمشاركة وقد قيل نسخت هذه الآية وأمثالها بآية السيف ثم أمره سبحانه بان يهددهم بعذاب الآخرة لكن على وجه لا نصرح فيه فقال (قل يجمع بيننا وبينهم أي يوم القيامة) ثم يفتح بيننا بالحق أي يحكمهم ويقضى بيننا وبينهم المطيع ويعاقب المعاصي (وهو الفتح) أي الخاكم بالحق القاضي بالصواب (العليم) بما يتعلق بحكمه وقضائه من المصالح القيل وهذه أيضا منسوخة بآية السيف ثم أمره الله سبحانه أن يورد عليهم حجة أخرى ليظهر بها ما هم عليه من الخطأ فقال (قل أروني الذين أحقتم به شركاء) أي أحقتموه وهم بالله شركاء له وهذه الرؤية هي القلبية فيكون شركاء هو المتعول الثبات ويجوز ان تكون هي البصرية ويكون شركاءه منسوبا على الحال وأريد بأمرهم باراءته الاصنام مع كونها مجردة عن الله صلى الله عليه وآله وسلم أظهر خطيئهم واطلاعتهم على بطلان رأيهم أي أرونيها لا نظري أي صفة فيها اقتضت الحاقها بالله تعالى في استحقاق العبادة وفيه مزيد تبيين كعبية لهم بعد الزامهم الحجية ثم رد عليهم ما يدعونونه من الشركاء وأبطل ذلك فقال (كلا بل) أي ارتدعوا عن دعوى المشاركة بل المنفرد بالالهية (هو الله العزيز) بالقهر والغلبة (الحكيم) بالحكمة الباهرة (وما أرسلناك الا كافة للناس) في انصاف كافة وجوده فتيقن انه منتصب على الحال من الكاف في أرسلناك قال الزجاج أي وما أرسلناك الا كافة للناس بالانذار والابلاغ والكافة بمعنى الجامع والهاهنا منه للمبالغة كعلامة قال أبو حيان ان اللغة لا تساعده عليه لان كف ليس معناه جمع بل معناه منع يقال كف يكف أي منع يمنع والمعنى الامانة لهم من الكفر ومنه الكف لانه يمنع من خروج ما فيه وقيل انه منتصب على المصدرية والهاهنا للمبالغة كالعاقبة والعاقبة والمراد انها صفة مصدر محذوف أي الارسالة كافة وقيل انه حال من الناس والتقدير وما أرسلناك الا للناس كافة ورد بان لا يتقدم الحال من الجرور عليه كما هو مقرر في علم الاعراب ويحجب عنه بان قد جوز ذلك أبو عني الفارسي وابن كيسان وابن برهان وابن مالكون ومن ربح كونها حال من الجرور بعدها ابن عطية وقال قدمت للاهتام والتقوى ورد الزخشيري وقال خطأ وقال الخليل بل هو الصحيح وقيل المعنى الا اذا كافة أي ذامع خذف المضاف قبل اللام في للناس بمعنى الى أي ما أرسلناك الى الناس الا جمعا لهم بالانذار والابلاغ أو ما نعالهم من الكفر والمعاصي عن قتادة قال أرسل الله محمدا الى العرب والحجم فأكرمهم على الله أطوعهم له وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطيت خمس ما لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالعرب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فإني ارجل من أمي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة أخرجه البخاري ومسلم وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وهذه درجة خسر بها دون سائر الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام (بشيرا ونذيرا) حال أي مبشر لهم بالجنة

يهودانه أو نصرانه أو مجسانه كما  
تنتج البهيمية بهيمة جمعا هل تحسبون  
فيها من جدعا ثم يقول فطره الله التي  
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق  
الله ذلك الدين القيم ورواه مسلم من  
حديث عبد الله بن وهب عن يونس  
ابن يزيد الايلي عن الزهري به  
وأخرجه أيضا من حديث عبد  
الرزاق عن معمر عن همام عن أبي  
هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى  
الله عليه وسلم وفي معنى هذا الحديث  
قد وردت أحاديث عن جماعة من  
الصحابية منهم الاسود بن سريع  
التميمي قال الامام أحمد حدثنا  
اسماعيل حدثنا يونس عن الحسن  
بن الاسود بن ربح قال أتيت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وغزوت معه فاصبت ظنرا فقتل  
الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان  
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فقال ما بال أقوام جاوزههم  
القتل اليوم حتى قتلوا الذرية  
فقال رجل يا رسول الله ما هم أبناء  
المشركين فقال لا انما خياركم أبناء  
المشركين ثم قال لا تقتلوا ذرية  
لا تقتلوا ذرية وقال كل نسمة تولد  
على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها

أوبالفضل لمن أقروا من ذر الهيم من النار أو بانعدل من أصر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ما عند الله وما لهم من النفع في إرسال الرسل فيحملهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون متى) يكون (هذا الوعد) الذي تعدونا به وهو قيام الساعة أخبرونا به (إن كنتم صادقين) قالوا هذا على طريقة الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المؤمنين فامر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيب عنهم فقال (قل لكم معاد يوم) أي ميقات يوم وهو يوم البعث وقيل وقت حضور الموت وقيل أراد يوم بدر لأنه كان يوم عذابهم في الدنيا وعلى كل تقدير فهذه الاضافة لليمان ومعاد مصدر بمعنى الوعد أو اسم زمان قال أبو عبيدة الوعد والوعيد والمعاد بمعنى (لا تأتأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أي هذا المعاد المضروب لكم لا تتأخرون عنه بالاستهال ولا تتقدمون عليه بالاستعجال بل يكون لا محالة في الوقت الذي قد قدر الله وقوعه فيه وهذا جواب تهديد جامط بما يقصدوا بسؤالهم من التعنت والانكار ثم ذكر سبحانه طرفا من قبائح الكفار ونوعا من أنواع كفرهم فقال (وقال الذين كفروا) يعني مشركي العرب (إن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) أي بما أنزل قبل القرآن من كتب الله تعالى كالتوراة والإنجيل أو القيامة والجنة والنار يعني أنهم سجدوا إن يكون القرآن من الله وإن يكون لما دل عليه من الاعادة للجزء حقيقة ثم أخبر سبحانه عن حالهم في الآخرة فقال (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) الخطاب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أولئك من يصلح له والمعنى محبوسون في موقف الحساب وجواب لو محذوف أي رأيت أمر عجيبا وخالقيا (يرجع بعضهم الى بعض القول) أي فيما بينهم باللوم والعتاب بعد ان كانوا في الدنيا متعاضدين متحابين ثم بين سبحانه تلك المراجعة فقال (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم الرؤساء المتبوعون (لولا أنهم صدقتموهم عن الايمان بالله والاتباع لرسوله (لكانوا مؤمنين) بالله مصدقين لرسوله وكتابهم (وقال الذين استكبروا والذين استضعفوا) مجيبين عليهم مستنكرين لما قالوه (أن نحن صدقناكم عن الهدى) أي أمنعناكم عن الايمان (بعد اذ جاءكم) الهدى قالوا هذا منكرين لما ادعوه عليهم من الصلحهم وجاحدين لما نسبوه اليهم من ذلك ثم بينوا لهم انهم الصادون لانفسهم الممتنعون من الهدى بعد اذ جاءهم فقالوا (بل كنتم مجرمين) أي مصرين على الكفر ككثيري الاجرام عظمى الاتام (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) رد لما أجابوا به عليهم ودفع لما نسبوه اليهم من صدهم لانفسهم (بل مكر الليل والنهار) أي أبطأوا ضرابهم باضرابهم كأنهم قالوا بل من جهة مكركم بنا لئلا ونهارا وأصل المكر في كلام العرب الخديعة والحيلة يقال مكر به اذا خدعه واحتمل عليه قيل هو طول السلامة في الدنيا وطول الامل فيها وقال الاخفش هذا مكر الليل والنهار قال النحاس والمعنى والله أعلم بل مكركم في الليل والنهار ودعواكم لنا الى الكفر هو الذي جلتا على هذا وقال سفيان النوري بل مكركم في الليل والنهار ويجوز ان يجعل الليل والنهار ما كرين على الاسناد المجازي كما تقرر في علم المعاني قال المبرد كما تقول العرب

قالواهايم ودانها أو ينصرانها ورواه النسائي في كتاب السير عن زياد بن أيوب عن هشيم عن يونس وهو ابن عبيد عن الحسن البصري به ومنهم جابر بن عبد الله الانصاري قال الامام أحمد حدثنا هشيم أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فاذا عبر عنه لسانه اما مشركا واما كفورا ومنهم عبد الله بن عباس الهاشمي قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أولاد المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين اذ خلقهم أخرجه في الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن اياس الشكري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا كذلك وقد قال الامام أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا جاد يعني ابن سلمة أنبأنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال أتى على زمان وأنا أتول أولاد المسلمين مع المسلمين وأولاد

نهاره صائم وإليه قائم وفي السمين وإضافة المكر الى الليل والنهار اما على الاستناد المجازي  
 كقولهم ليل ما كرفيكون مصدرا مضافا لمرفوعه واما على الاتساع في الظرف فجعل  
 كالمفعول به فيكون مضافا لمنصوبه وهذا أحسن من قول من قال ان الاضافة بمعنى في  
 أي في الليل لان ذلك لم يثبت في غير محل النزاع وقرئ برفع مكر ونصب الليل والتقدير  
 بل مكر كائن في الليل والنهار وقرئ مكر بفتح الكاف وتشديد الراء مضافا بمعنى الكروور  
 من كريكرا اذا جاء وذهب أي مكر الليل والنهار صدنا وأصدنا مكرهما وقرئ مكر بفتح  
 الكاف وتشديد الراء لكنه ينصب على المصدرية أي بل يكون الاغواء مكر اذاعا  
 لا يفتر ون عنه (اذ تأمرونا) أي بل مكر كما بنا وقت أمركم لنا (أن تكفروا بالله وتنجعل له  
 أندادا) أي اشباعا ومثالا قال المهري يقال فلان فلان أي مثله وهو هذا قول القادة  
 للاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار ان تصير طاعة بعضهم  
 لبعض في الدنيا سبب عدوتهم في الآخرة (وأسر والندامة لما رأوا العذاب)  
 الضمير راجع الى القرية أي أشهر القرية بقان الندامة على ما فعلوا من الكفر  
 وأخنوها عن غيرهم وأخفاها كل منهم عن الآخر مخافة السماتة وقيل المراد  
 بأسروا هنا أظهر والانه من الاضداد يكون تارة بمعنى الاخفاء وتارة بمعنى الاظهار  
 وقيل المعنى تبينت الندامة في أسرة وجوههم وبالجملة مستأنفة أو حال من الذين  
 استضعفوا والذين استكبروا (وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) الاغلال جمع غل  
 يقال في رقبته غل من حديد أي جعلت الاغلال من الحديد في أعناق هؤلاء في النار  
 والمراد بالذين كفروا هم المذكورون سابقا والظاهر ان يزيد الذم أو الكفار على العموم  
 فيدخل هؤلاء فيهم دخولا أوليا (هل) أي ما (بجزون الا) جزاء (ما كانوا يعملون) في  
 الدنيا من الشرك والكفر بالله والمعاصي أو الابعاد كانوا يعملون على حذف الخافض  
 ولما قص سبحانه حال من تقدم من الكفار اتبعه بما فيه التسلية لرسوله صلى الله عليه  
 وآله وسلم وبيان ان كفر الامم السابقة عن ارسل اليهم من الرسل هو كائن مستقر في العصر  
 الاول فقال (وما أرسلنا في قرية) من القرى (من نذير) يذرههم ويحذرهم عقاب الله  
 (الا قال متروها) حال من قرية وان كانت نكرة لوقوعها في سياق النبي والمعنى قال  
 متعموها ورؤسها وأغنيها وأوجب برتها وقادة الشر لرسوله (انما) أي بالذي  
 (أرسلتم به) من الايمان والتوحيد (كافرون) عن أبي رزين قال كان رجلا شريكين  
 خرج أحدهما الى الساحل وبني الآخر فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتب  
 الى صاحبه يسأله ما فعل فكاتب اليه انه لم يتبعه أحد من قريش الا ردالة الناس  
 ومساكينهم فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال داني عليه وكان يقرأ الكتب فألقى النبي  
 صلى الله عليه وآله وسلم فقال الى ما تدعو قال الى كذا وكذا قال أشهد انك رسول الله قال  
 وما علمك بذلك قال انه لم يبعث نبي الا تبعه ردالة الناس ومساكينهم فزلت هذه الآية  
 فأرسل اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قد أنزل تصديق ما قلت ثم ذكر سبحانه  
 ما افتخروا به من الاموال والاولاد وما قاسوا حالهم في الدار الآخرة على حالهم في هذه

المشركين مع المشركين حتى حدثني  
 فلان عن فلان ان رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم سئل عنهم فقال الله  
 أعلم بما كانوا عاملين قال فلقيت  
 الرجل فاخبرني فامسكت عن قولي  
 ومنهم عياض بن جابر الجاشعي قال  
 الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد  
 حدثنا هشام عن قتادة عن مطرف  
 عن عياض بن جابر ان رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم خلب ذات يوم فقال  
 في خطبته ان ربي عز وجل أمرني  
 ان أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يوم  
 هذا كل ما خلطه عبادي حلال  
 واني خلقت عبادي خفاء كلهم  
 وانهم أتتهم الشياطين فاضلتمهم عن  
 دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم  
 وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به  
 سلطانا ثم ان الله عز وجل نظر الى  
 أهل الارض ففقتهم عربهم وعجمهم  
 الا بقايا من أهل الكتاب وقال انما  
 بعثناك لا بتليدك وأبلى بك وأنزلت  
 عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما  
 ويقظان ثم ان الله أمرني ان أحرق  
 قريشا ففقت رب اذا يطلع رأسي  
 فيدعه خيرة قال استخرجهم كما

الدار على تقدير صحة ما أنذرهم به الرسل فقال (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) والمعنى ان الله فضلنا عليكم بالاموال والاولاد في الدنيا وذلك يدل على انه قدر ضى ما نحن عليه من الدين (وما نحن بمعذبين) في الآخرة بعد احسانه اليك في الدنيا ورضاه عنا أرادوا انهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظر الى أحوالهم في الدنيا وظنوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فابطل الله ظنهم وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بان يجيب عنهم رد عليهم وحسم المادة طمعهم وتحقير الحق الذي عليه يدور أمر التكوين وقال (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء) ان يبسطه له (ويقدر) أى يضيق على من يشاء ان يضيقه عليه فهو وسبحانه قد يرزق الكافر والعاصى استدرجاه له وقد يتحن المؤمن المطمع بالتقديرات غير الاجرة وليس مجرد بسط الرزق لمن يبسطه يدل على انه قدر ضى عنه ورضى عمله ولا قبضه عن قبضه عنه يدل على انه لم يرضه ولا رضى عمله بل كل ذلك حسما تقتضيه مشيئته المبينة على الحكم البالغة فقياس الدار الآخرة على الدار الأولى وفي مثل هذا من الغلط البين أو المغالطة الواضحة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك ومن جملة هذا الاكثر من فاس أمر الآخرة على الأولى (وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفى) كلام مستأنف من جهته تعالى خوطب به الناس بطريق التلويح والالتفات مبالغته في تحقيق الحق وتقرير ما سبق والمعنى ليسوا بالخاصة التي تقر بكم عندنا قربى قال مجاهد الزنى القربى والزلفى القربة قال الاخفش زلفى اسم مصدر كأنه قال بالتي تقر بكم عندنا تقر بيا قال الفراء ان التي تكون بالاموال والاولاد جميعا وهو الصحيح وقيل المعنى وما جماعة أموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي الخ وذلك ان الجمع المكسر عقلا ووجه عقلائه سواء في حكم التأييد وقال الزجاج ان المعنى وما أموالكم بالتي تقر بكم عندنا زلفى ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفى ثم حذف الخبر الاول لدلالة الثاني عليه ويجوز في غير القرآن بالتين وباللاتى وبالواو وبالذى للاولاد خاصة أى لا تزيدكم الاموال والاولاد عندنا درجة ورفعة ولا تقر بكم تقر بيا (الامن آمن) هو استثناء منقطع أى لكن من آمن (وعمل) عملا (صالحا) وقيل انه متصل على ان يجعل الخطاب عاما للكفرة والمؤمنين عن انه ابتداء كلام لا مقول لهم (فاولئذ) اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها (لهم جزاء الضعيف) أى جزاء الزيادة وهي المرادة بقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهو من اضافة المصدر الى المنعول أى جزاء التضعيف للحسنات وقيل لهم جزاء الاضعاف لان الضعيف في معنى الجمع أو من اضافة الموصوف الى صفة أى لهم الجزاء المضاعف قال مجاهد أى تضعيف الحسنة وعن محمد بن كعب قال اذا كان الرجل غنيا تقيا آناه الله أجره مرتين وقلاه هذه الآية الى قوله فاولئذ لهم جزاء الضعيف وقال تضعيف الحسنة (بما عملوا) الباء للسببية (وهم في العرفات) أى عرفات الجنة قرئ بالجمع اقوله لسبب انهم من الجنة عرفا وفي قراءة سبعية بالافراد معنى الجمع جلالا على انه اجنسية لقوله اولئذ يجوزون العرفة (آمنون) من كل هائل وشاغل وسائر المكاره ومن جميع ما يكرهون ثم لما ذكر سبحانه

استخرجوك واغزهم نغزك وانفق فسنفق عليك وبعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاتل عن اطاعتك من عسالك قال وأهل الجنة ثلاثة ذو ساطان متبسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال قال وأهل النار خمسة الضعيف الذى لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا والخائى الذى لا يخفى له طمع وان دق الاثامه ورجل لا يصبح ولا يمسي الا وهو يتجادعك عن أهلك ومالك وذو كراجل أو الكذب والشنظير الفحاش انقر دباخر اجهه مسلم فرواه من طرق عن قتادة به وقوله تعالى ذلك الدين القيم أى التمسك بالشرعية والقطرة السليمة هو الدين القيم المستقيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون أى قل هذا لا يعرفه أكثر الناس فهم عنه ما يكون قال تعالى وما أكثر اناس ولو حرصت بمؤمنين وقال تعالى وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله الآية وقوله تعالى منيبين اليه قال ابن زيد وابن جرير رأى راجعين

حال المؤمنين ذكر حال الكافرين فقال (والذين يسعون في آياتنا) بالرد لها وابطالها  
 والطعن فيها حال كونهم (معجزين) مسابقين لنا زاعمين انهم يفوتونا بانفسهم  
 أو معاندين لنا بكفرهم (أولئك في العذاب) أي عذاب جهنم (خضرون) تحضرهم  
 الزبانية اليها لا يجدون عنها محيصا ثم كرر سبحانه ما تقدم لقصد التأكيد للعبارة والرفع لما  
 قاله الكثرة فقال (قل نربي يسط الرزق لمن يشاء من عباده يقدره) أي يوسع لمن  
 يشاء ويضيقه على من يشاء ليس في ذلك دلالة على سعادة ولا شقاوة وفي القارى هذا في  
 شخص واحد باعتبار وقتين أو في المؤمن وما سبق في شخصين أو في الكافر فلا تكرار  
 ونحوه في البضاي قال الشهاب بل فيه تقرير لان التوسيع والتقييد ليسا الكرامة ولا  
 هوان فانه لو كان كذلك لم يصف بهما شخص واحد (وما أنتمم من شئ) على أنفسكم  
 وعيالكم وقيل ما تصدقتم (فهو يخلفه) عليكم أي يعطي خلفه اذا كان في غير اسراف  
 يقال أخلف له وأخلف عليه اذا أعدهم عوضه وبذله وذلك البدل اما في الدنيا واما في  
 الآخرة وفيه ما عا عا جلا بالمال وبالقناعة التي هي كزلا ينشد واما آجال الثواب في  
 الآخرة الذي كل خلف دونه وقال مجاهد هذ في الآخرة وعن أبي هريرة ان رسول  
 الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما  
 تواضع أحد لله إلا رفعه الله أخرجه مسلم وقال ابن عباس في الآية يعني في غير اسراف  
 ولا تقتير وعن مجاهد والحسن مثله وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال  
 كلما أنفق العبد من نفقة فعلى الله خلقها ضامنا الا نفقة في بنيان أو معصية أخرجه  
 الدارقطني والبيهقي وأخرج نحوه ابن عدى في الكامل والبيهقي من وجه آخر عنه مر فوعا  
 باطول منه وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله  
 وسلم قال قال الله عز وجل أنفق يا ابن آدم أنفق عليك وثبت في الصحيح من حديثه أيضا  
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا لو كان ينزلان  
 فيقول أحدهما اللهم أعط منفقنا خلفنا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكتنا خلفنا وعن علي بن  
 أبي طالب سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان لكل يوم نجسا فادفعوا  
 نجس ذلك اليوم بالصداقة ثم قال اقرؤوا مواضع الخلف فاني سمعت رسول الله صلى الله  
 عليه وآله وسلم يقول وما أنتمم من شئ فهو يخلفه اذا لم ينفقوا كيف يخلف أخرجه ابن  
 مردويه وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان المعونة تنزل من  
 السماء على قدر المؤنة (وهو خير الرزقين) فان رزق العباد لبعضهم البعض انما هو يتيسر  
 الله وتقديره وليسوا برزقين على الحقيقة بل على طريق المجاز كما يقال في الرجل ان رزق  
 عياله وفي الامير انه رزق جنده والرازق للامير والمأمور والكبير والصغير هو الخائف لهم  
 ومن أخرج من العباد الى غيره شيأ فهو مما رزقه الله وأجره على يده قال بعضهم الحمد لله  
 الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهي فكفكم من مشيئة لا يجدوكم من واجد لا يشتهي  
 (و) اذكر (يوم يحشرهم جميعا) هو متصل بقوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون أي ولو تراهم  
 أيضا يوم يحشرهم الله جميعا للحساب العابد والمعبود والمستكبر والمستضعف (ثم يقول

الله واتقوه أي خافوه وراقبوه  
 واقموا الصلاة وهي الطاعة العظيمة  
 ولا تكونوا من المشركين أي بل  
 كونوا من الموحدين المخلصين له  
 العبادة لا يريدون بها سواه قال  
 ابن جرير حدثني يحيى بن واضح  
 حدثنا يونس عن ابن اسحاق عن يزيد  
 ابن أبي مرزوق قال مر عمر رضی الله  
 عنه بعاد بن جبل فقال عمر ما قوام  
 هذه الآية قال معاذ ثلاث وهن  
 المخيمات الاخلاص وهي النظرة  
 فطرة الله التي فطر الناس عليها  
 والصلاة وهي الملة والطاعة وهي  
 العصمة فقال عمر صدقت حديثي  
 يعقوب أنبا نانا بن عليم أنبا أيوب  
 عن أبي قلابة ان عمر رضی الله عنه  
 قال لمعاذ ما قوام هذا الامر فذكر  
 نحوه وقوله تعالى من الذين فرقوا  
 دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما  
 لديهم فرحون أي لا تكونوا من  
 المشركين الذين فرقوا دينهم أي بدلوه  
 وغيره وآمنوا ببعض وكفروا  
 ببعض وقرأ بعضهم فارقوا دينهم  
 أي تركوه وراؤهم وهو لا  
 كاليهود والنصارى والمجوس وعبدة  
 الاوثان وسائر أهل الاديان الباطلة

للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أى يقول تقر بعالم المشركين وتوب بخالف عبد غير  
الله عز وجل كما فى قوله لعيسى أنت قلت للناس اتخذوني وأهى الهين من دون الله وإنما  
خصص الملائكة بالذكركم مع ان بعض الكفار قد عبد غيرهم من الشياطين والاصنام  
لانهم أشرف معبودات المشركين قال النحاس والمعنى ان الملائكة اذا كذبتم كان فى  
ذلك تمكيت للمشركين وتقر ببع الكافرين و ارد على المثل السائر اياك أعنى فاسمعى  
يا جارة (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم) مستأنفة أى تنزيها لك أنت الذى تتولاه  
ونظمه ونعبد من دونهم ما اتخذناهم عابدين ولا توليناهم وليس لنا غيرك ولما ثم صرحوا  
بما كان المشركون يعبدونه فتنالوا (بل كانوا يعبدون الجن) أى الشياطين وهم ابليس  
وجنوده ويرعون انهم يرونهم وانهم ملائكة وانهم بنات الله وقيل كانوا يدخلون أجواف  
الاصنام ويحاطبونهم منها (أكثرهم بهم مؤمنون) أى أكثر المشركين بالجن مؤمنون  
مصدقون لهم فيما يقولون لهم قيل والا كثر فى معنى الكل (فاليوم لا يملك بعضكم) وهم  
المعبودون (لبعض) وهم العابدون (نفعاً) أى شفاعته ونجاة (ولا ضراً) أى عذاباً وهلاكاً  
واعاقيل لهم هذا القول اظهار العجزهم وقصورهم وتكبيته العابد بهم وقوله ولا ضراً هو  
على حذف مضاف أى لا يملكون لهم دفع ضرر والفاء ليست لترتيب ما بعد هاء من الحكيم  
على جواب الملائكة فانه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب الاخبار به عليه (ونقول  
لذين ظلموا) أنفسهم بعبادة غير الله (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) فى الدنيا  
ثم ذكر سبحانه نوعاً آخر من أنواع كفرهم فقال (واذا تلى عليهم آياتنا) القرآنية حال  
كونها (بينات) واحكام الدلالات ظاهرات المعانى على التوحيد (قالوا ما هذا) يعنون  
التالى لها وهو النبى صلى الله عليه وآله وسلم (الارجل يريد ان يصدقكم عما كان يعبد  
آباؤكم) أى اسلافكم من الاصنام التي كانوا يعبدونها (وقالوا) ثانياً (ما هذا) يعنون  
القرآن الكريم (الافك مفترى) أى كذب فى حد ذاته غير مطابق للواقع محتق على الله  
من حيث نسبه اليه فمفترى تأسيس لاتاكيد (وقال الذين كفروا) ثالثاً (للعقما  
جاءهم) أى لامر الدين الذى جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ان هذا الاسحر  
مين) وفى تكرير النعل والتصریح بالفاعل انكار عظيم له وتجبيل بليغ منه وهذا  
الانكار منهم خاص بالتوحيد وأما انكار القرآن والمعجزة فكان متفقاً عليه بين أهل  
الكتاب والمشركين وقيل أردي بالاول وهو قولهم الافك مفترى معناه وبالثنى وهو  
قولهم ان هذا الاسحر من نظم المعجز وقيل ان طائفة منهم قالوا انه افك وطائفة قالوا  
انه سحر وقيل انهم جميعاً قالوا تارة انه افك وتارة انه سحر والاول اولى (وما آتيناهم من  
كتب يدرسونها) اى ما أنزلنا على العرب كتباً مما وبه دالة على صحة الاشر الذى يدرسون  
فيها ويقرونها (وما أرسلنا اليهم من قبلك من نذير) يدعوهم الى الاشر الذأوالى الحق  
وينذروهم بالعذاب فليس تكذيبهم بالقرآن وبالرسول وجه ولا شبهة يشبهون بها قال  
قتادة ما أنزل الله على العرب كتاب قبل القرآن ولا بعث اليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وآله  
وسلم قال الفراء أى من أين كذبوك ولم يأتهم كتاب ولا نذير بهذا الذى فعلوه ثم خوفهم

معاد أهل الاسلام كما قال تعالى  
ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا  
است منهم فى شئ انما أمرهم الى  
الله الآية فاهل الاديان قبلنا  
اختلفوا فيما بينهم على آراء ومال  
باطلة وكل فرقة منهم تزعم انهم على  
شئ وهذه الامة أيضا اختلفوا فيما  
بينهم على شئ كهاضلالة الا  
واحدة وهم أهل السنة والجماعة  
المتسكون بكتاب الله وسنة رسوله  
صلى الله عليه وسلم وبما كان عليه  
الصدر الاول من الصحابة والتابعين  
وأئمة المسلمين فى قديم الدهر وحديثه  
كارواه الحاكيم فى مستدركه انه سئل  
صلى الله عليه وسلم عن التفرقة  
الناجسة منهم فقال من كان على  
ما أنا عليه اليوم وأصحابى (واذا  
مس الناس ضرر دعوا ربهم منيبين  
اليه ثم اذا أذاقهم منه رجعة اذا  
فرق منهم برهم يشركون ليكفروا  
بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون  
أم أنزلنا عليهم سلطاناً فتهوونهم  
بما كانوا به يشركون واذا أذقنا  
الناس رجعة فرحوا بها وان تصبهم  
سنة بما قدمت أيديهم اذاهم  
يقنطون أولم يروا ان الله يبسط الرزق

سبحانه وأخبر عن عاقبتهم وعاقبه من كان قبلهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) أي من كفار القرون الخالية (وما بلغوا عشاراً ما أتيناهم) أي ما بلغ أهل مكة من مشركي قريش وغيرهم من العرب عشر ما آتينا من قبلهم من القوة والنعمة وكثرة المال والاولاد وطول الاعمار فأهلكهم الله كعادتهم وعودوا من قبلهم ولم تنعمهم قوتهم شيئاً في دفع الهلاك عنهم حين كذبوا رسالهم فهو أول ما يوجب لهم العذاب لانه كذبهم رسولهم والمعشار لغة في العشر قال الجوهري معشار الشيء عشره وفي البحر المعشار مضعال من العشر ولم يبين على هذا الوزن من النقط العدد غيره وغير المربع ومعناها العشر والرابع وقيل المعشار عشر العشر والاول أولى وقيل ان المعنى ما بلغ من قبلهم معشار ما آتينا هؤلاء من الينيات والهدى وقيل ما بلغ من قبلهم معشار شركر ما أعطيناهم وقيل ما أعطى الله من قبلهم معشار ما أعطاهم من العلم والبيان والحجة والبرهان والاول أولى وقيل المعشار عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءاً من ألف جزء قال الماوردي وهو الاظهر لان المراد به المبالغة في التقليل قلت مرعاة المبالغة في التقليل لا يسوغ لاجلها الخروج عن المعنى العربي وقال ابن عباس في الآية يتول من القوة في الدنيا وعن ابن جريج صح نحوه (فكذبوا رسلي) عطف على كذب الذين من قبلهم على طريقة التفسير كقوله كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا الآية والاولى ان يكون بن عطف الخاص على العام لان التكذيب الاول لما حذف منه المتعلق للتكذيب أفاد العموم فعناه كذبوا الكتب المنزلة والرسل المرسله والمعجزات الواضحة وتكذيب الرسل أخص منه وان كان مستلزماً له فقد روعيت الدلالة المنظمة للدلالة الالتزامية وما بينهما حال أو اعتراض وقال البيضاوي لا تكثير لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب ونحوه في الكشاف وبذلك قال الكرخي (فكيف كان تكبير) أي فكيف كان انكارهم لهم بالعذاب والعقوبة فلجذر هو لا من مثل ذلك قيل والتقدير فاهلكهم فكيف تكبيري والتكبير اسم بمعنى الانكار ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقيم عليهم حجة ينقطعون عندها فقال (قل انما أعظكم بواحدة) أي أحذركم وأذكركم وهو عاقبة ما أنتم فيه وأوصيكم بخصلة واحدة وهي (ان تقوموا لله مثنى وفردى) فهذا تنسير للخصلة الواحدة أو بدل منها أي هي قيامكم وتشميركم في طلب الحق بالذم مرة الصادقة من فرقين اثنين اثنين وواحد واحد لان الاجتماع بشوش التكبر ويعنى البصر ويمنع من الروية ويتدل الانصاف فيه ويكثر الاعتساف ويشور بجحاح التعصب ولا يسمع الانصرة المذهب وليس المراد القيام على الرجلين والنهوض والاتحاب على القدمين بل المراد القيام بطلب الحق والاعتناء والاستغمال بالتدبر وصادق التمكرفيه كما يقال قام فلان بأمر كذا وقيل المراد بواحدة هي لا اله الا الله كذا قال مجاهد والسدى وقيل التران لأنه يجتمع المواعظ كلها والاولى ما ذكرناه وقال الزجاج المعنى لان تقوموا وقال السدى معنى مثنى وفردى منفرداً برأيه ومشاوراً غيره وقال القتيبي مناظر امع عشرته ومتفكر في نفسه وقيل المثنى عمل النهار والفرادى عمل الليل قاله الماوردي وما أبرده هذا القول وأقل جدواه

لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) يقول تعالى مخبراً عن الناس انهم في حال الاضطرار يدعون الله وحده لاشريك له وانه اذا أسبغ عليهم النعم اذا فربق منهم في حالة الاختيار يشركون بالله ويعبدون معه غيره وقوله تعالى ليكثر واما آتيناهم هي لام العاقبة عند بعضهم ولام التعديل عند آخرين ولكنهما تليد لتقريب الله لهم ذلك ثم وعدهم بقوله فسوف يعلمون قال بعضهم والله لو وعدني حارس درب خلقت منه فكيف والمتوعد سدهمنا الذي يقول للشيء كن فيكون ثم قال تعالى منكراً على المشركين فيما اختلفوه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة ولا برهان ثم أمرنا عليهم ساطاناً أي حجة فهو يتكلم أي ينطق بما كانوا به يشركون وهذا استفهام انكار

ونصهما على الحال وقدّم المنى لان طلب الحقائق من متعاضدين في النظر احدى من  
فكرة واحدة فان نقدح الحق بين الاثنين فكركل واحد منهم ما بعد ذلك فيزداد بصيرة قال  
الشاعر

اذا جتمعوا جاؤا بكل غريبة \* فيزداد بعض القوم من بعضهم علما

(ثم تفكروا) في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به من الكتاب فانكم عند  
ذلك تعملون ان (ما باصاحبكم من جنة) وذلك لانهم كانوا يقولون ان محمدًا مجنون فقال الله  
سبحانه قل لهم اعتبروا أمرى بواحدة وهي ان تقوموا لله وفي ذاته مجتمعين فيقول الرجل  
اصاحبه هلم فلانه اذ قل هل رأيتنا بهذا الرجل من جنة أى جنون وجربنا عليه كذبا ثم تقرد  
كل واحد عن صاحبه فيتنفكروا ينظرون في ذلك ما يدل على ان محمدًا صلى الله عليه وآله  
وسلم صادق وان رسول من عند الله وان له ليس بكاذب ولا ساحر ولا مجنون قال محمد بن  
كعب في الآية يقوم الرجل مع الرجل أو وحده فينكر ما باصاحبه من جنة وقال قتادة  
يقول انه ليس بمجنون وقيل مستأنفة من جهة الله سبحانه مسوقه عن طريقه النظر  
والتأمل بان هذا الامر عظيم والدعوى الكبيرة لا يعرض نفسه له الا مجنون لا يبالى بما  
يقال فيه وما ينسب اليه من الكذب وقد علموا انه أرحم الناس عقلا وأزهدهم حلا  
وأحدهم ذهنا وأرضاهم رأيا وأصدقهم قولاً وأزكاهم نفساً وأجمعهم ما يحمد عليه  
الرجال ويمدحون به فوجب ان يصدقوه في دعواه لاسيما مع انضمام المعجزة الواضحة  
واجتماعهم على انه لم يكن ممن يفتري الكذب ولا قد جربوا عليه كذبا مدة عمره وعمرهم  
وقيل ثم تنفكروا أى شئ به من آثار الجنون واختار أبو حاتم وابن الأنبارى لوقف على  
قوله ثم تفكروا وعلى هذا تكون جملة ما باصاحبكم من جنة مستأنفة كما قدمنا وقيل  
ليس بوقف لان المعنى ثم تفكروا على جربتم عليه كذبا أو رأيت منه جنة أو في أحواله من  
فساد (ان هو الانذير لكم بين يدي عذاب شديد) أى ما هو الانذير لكم بين يدي الساعة  
أى قرامها وهو عذاب الآخرة وهو كقوله صلى الله عليه وآله وسلم بعثت بين يدي  
الساعة ثم أمره سبحانه ان يخبرهم انه لم يكن له عرض في الدنيا ولا رغبة فيها حتى تنقطع  
عندهم الشكوك ويرتفع الريب فقال (قل من أسألكم من أجر) أى من جعل (فهو  
انكم) يقول لم أسألكم على الاسلام جعل أى ما طلبت منكم من جعل يجعلونه لى الى  
مقابل الرسالة فهو لكم ان سألتكموه والمراد في السؤال بالكلمة كما يقول القائل  
ما أملكه في هذا فقد وهبته لك يريد انه لا مملك له فيه أصلا ومثل هذه الآية قوله قل  
لا أسألكم عليه أجر الا المودة في القربى وقوله ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء ان  
يتخذ الى ربه سبيلا ثم بين لهم ان أجره عند الله سبحانه فقال (ان أجرى الاعلى الله) لاعلى  
غيره (وهو على كل شئ شهيد) أى مطلع لا يغيب عنه منه شئ فيعلم انى لأطلب الاجر على  
نصيحتكم ودعائكم اليه الامنه (قل ان ربي يقذف) القذف فى الاصل الرمي بالسهم  
والحصى والكلام قال الكلابى رعى على معنى يأتي به وقال مقاتل يتكلم (بالحق) وهو  
القرآن والوحى أى يلقيه الى أنبيائه وقال قتادة بالحق أى بالوحى والمعنى انه بين الحجة

أى لم يكن شئ من ذلك ثم قال تعالى  
واذا ادقنا الناس رحمة فرحوا بها  
وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم  
اذا هم يقنطون هذا انكار على  
الانسان من حيث هو الامن عصمه  
الله ووفقه فان الانسان اذا اصابته  
نعمة بطر وقال ذهب السيات  
عنى انه افرح بخور أى يفرح فى  
نفسه ينفر على غيره واذا اصابته  
شدة قنط وأيس ان يحصل له بعد  
ذلك خير بالكيفية قال الله تعالى الا  
الذين صبروا وعملوا الصالحات أى  
صبروا فى الضراء وعملوا الصالحات فى  
الرخاء كما ثبت فى الصحيح بحسب المؤمن  
لا يقضى الله له قضاء الا كان خيرا  
له ان اصابته سره شكر فكان خيرا  
له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا  
له وقوله تعالى أو لم يروا ان الله يبسط  
الرزق لمن يشاء ويقدر أى هو  
المتصرف الفاعل لذلك بحكمته



ويظهرها للناس على ألسن رسله وقيل يرعى الباطل بالحق فيدغمه (علام الغيوب) قرئ برفع علام ونصبه قال الفراء والرفع في مثل هذا أكثر كقوله ان ذلك لخلق محاصم أهل النار وقرئ الغيوب بالحرركات الثلاث في الغين وهو جمع غيب والغيب هو الامر الذي غاب وخفي جدا (قل ج الحق) أي الاسلام والتوحيد وقال قتادة القرآن وقال النحاس انتقدير صاحب الحق أي الكتاب الذي فيه البراهين والحجج وأقول لا وجه لتقدير المضاف فان القرآن قد جاء كما جاء صاحبه (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي ذهب الباطل ذهابا لم يبق له اقبال ولا ابدار ولا ابتداء ولا اعادة فعمل مثلافي الهلاك بالمره والابتداء فعمل اشئ ابتداء والاعادة فعلة على طريق الاعادة ولما كان الانسان مادام حيا لا يخلو عن ذلك كنى به عن حياته ونفيه عن هلاكه ثم شاع ذلك في كل مذهب ولم يبق له أثر وان لم يكن ذاروح فهو كذبة أيضا ومجاز متفرع على الكذبة وقيل يجوز ان تكون ما استفهامية أي أي شيء يعيدته أو أي شيء يعيده وعن قتادة قال الشيطان لا يبدئ ولا يعيد اذا هلك وعنه قال ما يخلق ابليس شيئا ابتداء ولا يعيده به قال مقاتل والسكبي وقيل الباطل الاصنام والاول اولى (قل ان ضلالت) عن طريق الحق الواضحة وقرئ بفتح اللام وهذه لغة نجد وهي الفصيحة وبكسر هاء وهي لغة أهل العالية (فانما أضل) أي ان ضلالتى يكون (على نفسي) وقال عمر بن سعد أي انما أخذ يجناني وذلك ان الكفار قالوا له تركت دين اباؤك فضلت فأمره الله ان يقول لهم هذا القول (وان اهديت فيما يوحى الى ربى) من الحكمة والموعظة والبيان بالقرآن وما مصدرية أو موصولة والتقابل هنا من جهة المعنى دون اللفظ (انه سميع قريب) منى ومنكم يعلم الهدى والضلالة وان يواغى اخنائهم ما وهذا حكم عام لكل مكاف وانما أمر ربه ان يسندنه الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحتهم مع جلاله محله وسداد طريقته كان غير اولى به ثم ذكر سبحانه - لا من احوال الكفار فقال (ولو ترى اذ فزعوا) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اولئك من يصلح له قيل المراد فزعهم عند نزول الموت بهم أو غيرهم بأمر الله تعالى وقال الحسن هو فزعهم في القبور من الصيحة وقال قتادة هو فزعهم اذا خرجوا من قبورهم وقال السدي هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيف الملائكة فلم يستطيعوا فرارا ولا رجوعا الى التوبة وقال ابن معقل هو فزعهم اذا عاينوا عقاب الله يوم القيامة وقال سعيد بن جبير هو الحسف الذي يحسف بهم في البيداء فيبتر رجل منهم فيخبر الناس بما لقي أصحابه فيفزعون وجواب لو محذوف أي رأيت أمرا عظيما لو حال هائلة (فلافوت) أي فلا يفوتى أحد منهم ولا ينجو منهم ناج قال مجاهد فلا مهرب وقال ابن عباس فلا نجاة (وأخذوا من مكان قريب) من ظهر الارض أو من القبور وهي قرية من مساكنهم في الدنيا كما قاله أبو حيان أو قريب من موقف الحساب وقيل أي قبضت ارواحهم في أماكنهم فلم يتمكنهم الفرار من الموت وهذا على قول من يقول هذا الفزع عند الردع وقيل أخذوا من جهنم فأنقوا فيها وقيل من حيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ولا يفوتونه وقال ابن عباس من تحت أقدامهم وعنه قال

وعده فيوسع على قوم ويضيق على آخرين ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون (فات ذى القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون وما آتيتهم من رب بالربوفى أسوال الناس فلا يربوعند الله وما آتيتهم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يمتسككم ثم يحييكم ثم يميتكم هل من شر كائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون) يقول تعالى أمرا باعطاء ذى القربى حقه أى من البر والصلة والمسكين وهو الذى لا شئ له ينفق عليه أوله شئ لا يقوم بكفايته وابن السبيل وهو المسافر المحتاج الى نفقة وما يحتاج اليه فى

نزات في ثمانين ألفا يغزون في آخر الزمان الكعبة ليحربوها فلما يدخلون البيداء يخسف بهم فهو الاخسف من مكان قريب ذكره القرطبي وقد ثبت في الصحيح انه يخسف بجيش في البيداء من حديث - فصة وعائنه وخارج الصحيح من حديث أم سلمة وصفية وأبي هريرة وابن مسعود وليس في شيء منها ان ذلك سبب نزول هذه الآية ولا كنهه أخرج ابن جرير من حديث حذيفة بن اليمان قصة الخسف هذه من فوعة وقال في آخرها فذلك قوله عز وجل في سورة سبأ ولترى اذ فزعوا فلان من الآية وقيل يجوز ان يكون هذا الفزع هو الفزع الذي بمعنى الاجابة يقال فزع الرجل اذا اجاب الصارخ الذي يستغيث به كفزعهم الى الحرب يوم بدر (وقالوا) وقت النزوع وهو وقت نزول العذاب بهم عند الموت كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قاروا آمننا بالله وحده أو عند البعث فان الكفار كلهم يؤمنون حينئذ (آمنابه) أي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قاله قتادة أو بالقرآن وقال مجاهد بائنه عز وجل وقال الحسن بالبعث ثم نفي الله عنهم نفع الايمان بقوله (وأنى) أي من أين (الهم التناوش) أي التناول وهو تناول من النوش الذي هو التناول والمعنى كيف لهم ان يتناولوا الايمان من بعد يعنى في الآخرة وقد تركوه في الدنيا وهو معنى قوله (من كان بعيد) وهو تمثيل لحالهم في طلب الخلاص بعدما فات عنهم مجال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة قال ابن السكيت يقال للرجل اذا تولى رجلا لياً أخذ برأسه أو بلحيته ناشه ينوشه نوشاً ومنه المناوشة في القتال وذلك اذا تداخى الفريقان وقيل التناوش الرجعة أي وأنى لهم الرجعة الى الدنيا المؤمنين وقال ابن عباس قال يبالون الرد الى الدنيا وليس يجين رد وقال التناوش تناول الشيء وليس يجين ذلك وقال السدي هو التوبة أي طلبوها وقد بدت لانها انما تقبل في الدنيا وقرئ التناوش بالواو وبالهمز واستبعد الثانية أبو عبيد والنحاس ولا وجه للاستبعاد فقد ثبت ذلك في لغة العرب واشهرها قال الفراء الهمزة وتركتها متقارب (وقد كفر وا به من قبل) أي والحال ان قد كفر وا بما آذنوا به من قبل هذا الوقت وذلك حال كونهم في الدنيا قيل بالقرآن وقيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قبل ان يعاينوا العذاب وأهوال القيامة (ويقذفون بالغيب) أي يرمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول من المطاعن أو في العذاب من البت على انفسهم فيقولون لا بعث ولا نشور ولا الجنة ولا نار (من مكان بعيد) أي من جهة بعيدة ليس فيها مستند لظنهم الباطل وهو الشبه التي تعلموها في أمر الآخرة كما حكاه من قبل وقيل المعنى يقولون في القرآن أقوالا باطلة انه سبحانه وسر واطير الاولين وقيل يقولون في محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه ساحر شاء ركاهن مجنون قرئ يقذفون مبنياً للمفعول أي يرجون بما يسوءهم من جزاء أعمالهم من حيث لا يحتسبون وفيه تمثيل لحالهم بحال من يرمى شيئاً لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوعم في الحوقه وهذا استعارة تمثيلية والجملة امام عطوفة علي وقد كفر وا به على انها حكاية للعمال الماضية واستحضار احوالها ومساكنة انفسهم لبيان تمثيل حالهم (وحيل بينهم) فعل مبني للمفعول اذا غلبت للناسل يقال فيه حال وهو فعل لا يتعدى ونائب الفاعل

سندره ذلك خير للذين يريدون وجهه الله أي النظر اليه يوم القيامة وهو الغاية القصوى وأما هم المنخلون أي في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى وما آتيتم من ربالير بوفى أموال الناس فلا يربو عند الله أي من أعطى عطية يريد ان يرد الناس عليه أ أكثر مما أهدى لهم فهذا لأتواب له عند الله بهذا فاسره ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ومحمد بن كعب والشعبي وهذا الصنيع مباح وان كان لأتواب فيه إلا أنه قد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة قاله الضحاك واستدل بقوله تعالى ولا تنين تمكثراى لا تعط العطاء تريد أكثر منه وقال ابن عباس الربا رباآن فربا لا يصح يعنى ربا البيع

ضمير المصدر المفهوم من الفعل كانه قيل وحيل هو أى الحول وجعل بعضهم نائب  
 الفاعل الطرف وهو بينهم واعتراض بأنه ينبغي حينئذ ان يرفع (وبين ما يشتهون) من  
 النجاة من العذاب ومنعوا من ذلك وقيل حيل بينهم وبين ما يشتهون فى الدنيا من  
 أموالهم وأغلبهم أو حيل بينهم وبين ما يشتهون من الرجوع الى الدنيا ( كما فعل بأشياءهم  
 من قبل ) أى بامثالهم ونظراتهم من كفار الامم الماضية الذين كانوا قبلهم فى الدنيا سابقين  
 عليهم فى الزمان والأشياء جمع شيع وشيع جمع شيع وشيعه الرجل أتباعه وأتباعه وكل  
 قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعض فهم شيع فالاشياع جمع الجمع (انهم كانوا فى شئ  
 مرئى) تعليل لما قبله أى فى شئ موقع فى الرية أو ذى رية من أمر الرسل والبعث  
 والنجاة والتأروى فى التوحيد وما جاءتهم به الرسل من الدين يقال أراب الرجل اذا صار  
 ذار رية فهو مرئى وقيل هو من الرية الذى هو الشك والتمهة فهو كما يقال يحب محب  
 وشعر شاعر وهذا رد على من زعم ان الله لا يعذب على الشك والله أعلم

\* (سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة وهى خمس أو ست وأربعون آية وهى مكتبة) \*

قال القرطبي فى قول الجميع وأخرج البخارى وغيره عن ابن عباس أنزلت سورة فاطر  
 بمكة وهذه السورة ختام السور المفتحة بالحمد التى فصلت فيها النعم الأربع التى هى أمهات  
 النعم المجموعة فى الفاتحة وهى الإيجاد لأول ثم الإبقاء الأول ثم الإيجاد الثانى المشار اليه  
 بسورة سبأ ثم الإبقاء الثانى الذى هو أمها وأحكامها وهو الختام المشار اليه بهذه  
 السورة المفتحة بالابتداء قاله الخطيب

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(الحمد لله فاطر السموات والأرض) أى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وعلى غير  
 مادة كذا قال المسرون والظاهر ان هذا ليس من معنى الفطر لغة وإنما أخذوه من  
 المعنى وسباق الكلام وأصل النظر فى اللغة الشق عن الشيء مطلقاً يقال فطرته فأنظر  
 ومنه فطر ناب البعير اذا طلع فهو بعير فاطر وتغطر الشيء تشقق وقيل الشق طولاً فكانت  
 شق العدم بانخر اجهما منه وبابه نصر كما فى المختار والفطر أيضاً الابتداء والاختراع وهو  
 المراد هنا عن ابن عباس قال كنت لأدرى ما فاطر حتى أتانى اعرابيان يختصمان فى بئر  
 فقال أحدهما أنا فطرتهما يقول ابتداءً ثم اعنته الفاطر البديع والمعنى الحمد لله مبدع  
 السموات والأرض ومخترعهما والمقصود من هذا ان من قدر على ابتداء هذا الخلق  
 العظيم فهو قادر على الاعادة وانما حمد سبحانه وتعالى نفسه بذلك تعظيماً له وتعلية العباد  
 كيفية الثناء عليه تعالى قرئ فاطر على صيغة اسم الفاعل وقطر على صيغة الفعل الماضى  
 (جعل الملائكة رسلاً) الى عباد يمجوز فيه الوجيان كما تقدم والرسل من الملائكة هم  
 جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل فالمراد بالملائكة بعضهم ان ليس كلهم رسلاً كما  
 هو معلوم شرح الطيبي بان جعل هذا للاسما ارفباعاً باراً تبدل على الماضى يصلح كونه  
 صفة للمعرفة وباعتبار أنه يدل على الحال والاستقبال يصلح للعمل وقرئ رسلاً بسكون

ورب الأباس به وهو هدية الرجل  
 يريد فضلها واضعافها ثم تلا هذه  
 الآية وما آتيتكم من ربا ليربوا فى  
 أموال الناس فلا يربوا عند الله  
 وانما الثواب عند الله فى الزكاة  
 ولهذا قال تعالى وما آتيتكم من زكاة  
 تزيدون وجهه الله فأولئك هم المضعفون  
 أى الذين يضاعف الله لهم الثواب  
 والجزاء كما جاء فى الصحيح وما تصدق  
 أحدكم بعدل فتمرة من كسب طيب  
 الا أخذها الرحمن يمينه فيربها  
 لصاحبها كما يربى أحدكم فلوله  
 أو فصيده حتى تصير التمرة أعظم من  
 أحد وقواه عز وجل الله الذى  
 خلقكم ثم رزقكم أى هو الخالق  
 الرزق يخرج الانسان من بطن

السين وهي لغتهم قال يحيى بن سلام يرسلهم الله الى الانبياء يبلغون اليهم رسالته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة وقال السدي الى العباد بنعمة أو نعمة أو نوصلون اليهم آثار صنعته (أولى) أى ذوى اسم جمع لذو (أجنحة) جمع جناح نعت رسله وهو جيد انظما لتوافيقها تنكيرا وللملائكة وهو جيد بمعنى اذ كل الملائكة لها أجنحة فهي صفة كاشفة ونقمة والمسوغ للتخالف في التعريف جعل آل جنسية (مثنى وثلاث ورباع) صفات لأجنحة والقصد منها التنكيت واختلافهم في عدد الأجنحة لا الحصر والاف بعضهم له ستائة وغير ذلك وانما لم تنصرف لتكرار العدل فيها وذلك انها عادت عن الناطق الاعداد عن صيغ الى صيغ آخر كما عدل عمر عن عامر وعن تكرير الى غير تكرير وقيل للعدل والوصف والتعويل عليه وقد تقدم الكلام عليها في النساء قال قتادة بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة واهل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يدهما باقوة وبعضهم له أربعة ينزلون بها من السماء الى الارض ويعرجون بها من الارض الى السماء أقول الاصل جناحان لانهم بمنزلة اليبدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك أقوى للطيران وأعون عليه (يزيد في الخلق ما يشاء) مستأنفة مقررقة لما قبلها من تفاوت أحوال الملائكة والمعنى انه يزيد في خلق الملائكة والأجنحة ما يشاء وهو قول أكثر المفسرين واختاره الفراء والزجاج قال ابن مسعود رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم جبريل في صورته له ستائة جناح وقيل ان هذه الزيادة في الخلق غير خاصة بالملائكة فقول الزهري وابن جريح انها حسن الصوت وقال قتادة الملاح في العينين والحسن في الانف والخلاوة في القم وقيل الوجه الحسن وقيل الخط الحسن وقيل الشعر الجعد وقيل العقل والتمييز وقيل العلوم والصنائع وقيل الصوت الحسن وجودة العقل ومثاقته ولا وجه لتخصر ذلك على نوع خاص بل يتناول كل زيادة في الخلق من طول قامته واعتدال صورته وعظام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجرالت في الرؤى وجراعة في القلب وسماحة في النفس ولياقة في التكلم وحسن تأن في مراولة الامور ودلاقة في اللسان ومحبة في قلب المؤمنين وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف وبه قال الزمخشري (ان الله على كل شئ قدير) تعليل لما قبله من انه يزيد في الخلق ما يشاء (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) أى ليس لك من الامر شئ فيما ياتهم الله به من مطر ورزق ونعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به لا يقدر احد ان يحسبه وقال ابن عباس ما يفتح الله للناس من باب توبة فلا ممسك لها هم يتوبون ان شاءوا وان أبوا وما أمسك من باب توبة فلا مرسل له من بعدهم ولا يتوبون واسم تعبير التفتح للاطلاق والارسال اي انا بانها أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المنافسون وأعزها ما لا تؤنكيرا الرحمة للاشاعة والابهام كانه قيل أى رحمة كانت سماوية أو أرضية والعموم مفهوم من اسم الشرط ومن رحمة بيان لذلك العام من أى صنف هو وهو مما اجتري فيه بالانكسرة المفردة عن الجمع المعروف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحمت ومن في موضع الحال وقيل المعنى ان الرسل بعثوا رحمة للناس فلا يقدر على ارسالهم غير الله وقيل هو الدعاء وقيل

أمه عرياناً لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قوى ثم رزقه جميع ذلك بعد ذلك والرياش واللباس والمال والاملاك والمكاسب كما قال الامام أحمد حدثنا يوم معاوية حدثنا الاعمش عن سلام بن شرحبيل عن حبة وسواه ابني خالد قال ادخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلح شيئاً فأعنا فقال لا تياسا من الرزق ما تم زهزت رؤسكما فان الانسان تلهه أمه أجر ليس عليه قشرة ثم رزقه الله عز وجل وقوله تعالى ثم يمسككم أى يوم بعد هذه الحياة ثم يحيمكم أى يوم القيامة وقوله تعالى هل من شركائكم أى الذين تعبدونهم من دون الله من

التوبة وقيل التوفيق والهداية ولا وجه لهذا التخصيص بل المعنى كل ما يفتح الله للناس من خزائن رحمته فيشمل كل نعمة ينعم الله بها على خلقه (وما يسئلكم) من ذلك (فلا يرسل له من بعده) أي لا يقدر أحد ان يرسله من بعده ما سألته ولا المسائل يتناول كل شيء ينعم الله من نعمة فهو سبحانه المعطي المانع القابض الباسط لا يعطى سواه ولا يمنع غيره (وهو العزيز الحكيم) فيما أسئلك وفيما أرسل على مقتضى حكمته ثم أمر الله سبحانه عباده ان يتذكروا نعمه الفاتضة عليهم التي لا تعد ولا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فقال (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم وقيل لجميع الناس ونعمة الله عليهم هي التي تقدمت من بسط الارض كلها ودورق السماء بلا عمد وارسل الرسل لبيان السبيل دعوة اليه وزافة لقيه والزيادة في الخلق وفتح أبواب الرزق ومعنى هذا الذي ذكره شواهدهم الى الشكر لاستدامتها وطلب المزيد منها وليس المراد ذكرها باللسان فقط ولكن المراد ذكرها به وبالقلب أي لا تنسوها والنعمة هنا بمعنى الانعام وعليه درج الجلال وقيل انها بمعنى المنعم به ثم شبه على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله (هل من خالق غير الله) من زائدة مؤكدة أي لا خالق الا الله سبحانه وهو استيفهام تقرير وانكار وتوبيخ (يرزقكم من السماء والارض) خبر المتبداً ووجه مسألتنا نعمة أو صفة أخرى لخالق وخبره محذوف والرزق من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات وغير ذلك (لا اله الا هو) مسألتنا نعمة مسوقة لتقرير النفي المستفاد من الاستفهام (فاني توفىكون) أي فكيف تصرفون وهو مأخوذ من الافك بالفتح وهو الصرف يقال ما أفكك عن كذا أي ما صرفك عنه وقيل هو مأخوذ من الافك بالكسر وهو الكذب لانه مصروف عن الصدق قال الزجاج أي من أين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله والبعث وأنتم قرون بان الله خلقكم ورزقكم ثم عزى الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وان يكذبوا فقد كذبت رسل من قبلك) ليتأسى عن قبله من الانبياء ويتسلى عن تكذيب كفار العرب له ولهذا انكر رسلاً أي رسل ذوو وعدد كثير وأولوايات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم لانه أسلى له وجواب الشرط محذوف أي فاصبر كما صبر وادل عليه قوله فقد كذبت الخ (والى الله) لا الى غيره (ترجع الامور) فيبازى كلابها يستحقه قرئ ترجع بفتح التاء على البناء للفاعل وبضمها على البناء للمفعول (يا أيها الناس ان وعد الله) بالبعث والنشور والحساب والعقاب والجنة والنار (حق) كما أشير اليه بقوله والى الله ترجع الامور (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بزخرفها ونعيمها والمراد منهم عن الاعتزاز بها وان توجه النهى صورة اليها كما في قولهم بعين مالا أرى نك ههنا قال سعيد بن جبيرة غرور الحياة الدنيا ان يشتغل الانسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة حتى يقول يا ليتني قدمت لحياتي والمعنى لا تتخذ عنكم الدنيا ولا يذهبنكم التمتع بها والتلذذ بما فيها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله تعالى (ولا يغرنكم بالله) في حلمه وامهاله (الغرور) بفتح الغين أي المبالغ في الغرور وهو الشيطان قاله ابن السكيت وأبو حاتم ويجوز ان يكون مصدراً

يفعل من ذلكم من شيء أي لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والاحياء والامامة ثم يبعث الخلائق يوم القيامة ولهذا قال بعد هذا كله سبحانه وتعالى عما يشركون أي تعالى وتقدس وتزهو وتعظيم وجل وعز عن ان يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد بل هو الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (ظهر النساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين)

واستبعده الزجاج لان غررته متعد ومصدر المتعدى انما هو على فعل نحو ضرر بتعضر يا  
 الا في اشياء يسيرة معروفة لا يتناس عليها ومعنى الآية لا يغرنكم الشيطان بالله فيقول  
 لكم ان الله يتجاوز عنكم ويغفر لكم بذنوبكم بفضله عليكم اولسعة رحمة لكم وقرئ بضم الغين  
 وهو الباطل قال ابن السكيت والغرور بالضم ما يغرن من متاع الدنيا وقال الزجاج يجوز ان  
 يكون الغرور بالضم جمع غار مثل قاعد وقعود قيل ويجوز ان يكون مصدر غره كاللزوم  
 والنهول وفيه ما تقدم عن الزجاج من الاستبعاد ثم حذر سبحانه عباده من الشيطان  
 فقال (ان الشيطان لكم عدو) ظاهر العداوة فعل بآيكم ما فعل وانتم تباينون به ما ملونه مما مله  
 من لاعلم له باحواله والتنكير للتعظيم أى عدو عظيم لان عداوته عامة قديمة والعوم يفهم  
 من قوله لكم حيث لم يخص ببعض دون بعض والتقدم من الجملة الاسمية الدالة على  
 الاستمرار (فاتخذوه عدوا) أى فعادوه بطاعة الله ولا تطيعوه في معاصي الله وكونوا على  
 حذر منه في جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم عن صميم قلوبكم وإذا فعلتم فعلا  
 فتتظن والله فانه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبائح قال القشيري ولا يتعزى  
 على عداوته الا بدوام الاستعانة بالرب فانه لا يغفل عن عداوتكم فلا تغفلوا انتم عن  
 مولاكم لحظة ذكره الخطيب ثم بين الله سبحانه لعباده كيفية عداوة الشيطان لهم  
 وحذرهم عن طاعته فقال (اتخذوا حوزبه ليكونوا من أصحاب السعير) أى اتخذوا  
 أشياء عموا اتباعه والمطيعين له الى معاصي الله سبحانه لاجل ان يكونوا من أهل النار واللام  
 للتعليل ومحل الموصول في قوله (الذين كفروا) الرفع على الابتداء وقوله (لهم عذاب  
 شديد) خبره والرفع على البدل من فاعل يكونوا والنصب على البدل من حزبه والجر على  
 البدل من أصحاب الرفع على الابتداء أقوى الوجوه لانه سبحانه بعد ذكر عداوة الشيطان  
 ودعائه لحزبه ذكر حال الفريقين من المطيعين له والعاصين عليه فالفرق الاول قال لهم  
 عذاب شديد والفريق الثانى قال فيه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر  
 كبير) أى يغفر الله لهم بسبب الايمان والعمل الصالح ويعطيهم أجرا كبيرا وهو الجنة  
 قال ابن جرير كل شئ في القرآن لهم مغفرة وأجر كبير ورزق كريم فهو الجنة (أفمن زين  
 له سوء عمله فرآه حسنا) هذه الجملة مستأنفة لتقرير ما سبق من ذكر التفاوت بين عاقبتى  
 الفريقين ومن في موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف قال الكسائى والتقدير ذهبت  
 نفسك عليهم حسرات قال ويدل عليه قوله فلا تذهب الخ قال وهذا كلام عربى نظيف  
 لا يعرفه الا القليل وقال الزجاج تقديره كمن هداه وقدره غيرهما كمن لم يزين له وهذا أولى  
 لموافقتة لفظا ومعنى وقد وهم صاحب الكشاف فحكي عن الزجاج ما قاله الكسائى قال  
 النحاس والذي قاله الكسائى أحسن ما قيل فى الآية لما ذكره من الدلالة على المحذوف  
 والمعنى ان الله عز وجل نهى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن شدة الاعتماد بهم والحزن  
 عليهم كما قال فلعلك باخع نفسك قبل التندير أفمن زين الخ تريد ان تهديه انما ذلك الى الله  
 لا اليك والذي اليك هو التبليغ قال قتادة والحسن الشيطان زين لهم هوى والله الضلالات  
 وقيل نفسه الامارة وهو القبيح وهو من اضافة الصفة للموصوف أى عمله السيى قال ابن

قال ابن عباس وعكرمة والضحالك  
 والسدى وغيرهم المراد بالبرهنا  
 النياتى وبالجر الامصار والقرى  
 وفي رواية عن ابن عباس وعكرمة  
 البحر الامصار والقرى ما كان  
 منها على جانب نهر وقال آخرون بل  
 المراد بالبر هو البر المعروف وبالجر  
 هو البحر المعروف وقال زيد بن  
 رفيع ظهر النساديعنى انقطاع  
 المطر عن البر يعقبه القحط وعن البحر  
 تعمى دوابه رواه ابن ابي حاتم وقال  
 حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد بن  
 المقرئ عن سفيان عن جريد بن قيس  
 الاعرج عن مجاهد ظهر النسادى  
 البر والبحر قال فساد البر قتل ابن آدم  
 وفساد البحر أخذ السفينة غصبا

عباس زلت في ابي جهل ومشرقى مكة وقيل نزلت في أصحاب الايواء والبدع ومنهم  
الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين واولادهم وليس أصحاب الكبائر من الذنوب منهم  
لانهم به يتقدمون تحريمها مع ارتكابهم - م اها وجملته ( فان الله يصل من يشاء ويهدي من  
يشاء ) مقررة لما قبلها او محقة للعقوبية بيان ان الكل عشية الله أى يصل من يشاء ان يصله  
ويهدي من يشاء ان يهديه وهذه الآية ترتز على القدرية قولهم ( فلان تذهب نفسك عليهم  
حسرات ) أى لا تحزن عليهم ترى بفتح الفوقية والياء مسند الى النفس فيكون من باب  
لا أرى نكها هنا أى لا تتعاط أسباب ذلك وقرئ يضم التاء وكسر الهاء ونصب نفسك أى فلا  
تهلكها عليهم - م أى على عدم ايمانهم وقوله حسرات مفعول لاجله والجمع للدلالة على  
تضاعف اغنامه على كثرة قبائحهم الموجبة لتأسف والتحسر عليهم ويجوز ان ينتصب  
حسرات على الحال كأنها صارت كما حسرات لفرط التحسر كما روى عن سيويه وقال  
المبرد انها تميز وعليم صله تنذهب كما يقال هلك عليه حيا ومات عليه حزنا والحسرة شدة  
الحزن وهم النفس على ما فات من الامر واشد التلهف على الشيء الفاتت تقول حسرت على  
الشيء من باب طرب وحسره أيضا فهو وحسير ( ان الله عالم بما يصنعون ) لا تخفى عليه من  
أفعالهم وأقوالهم خافية وبالجملة دليل لما قبلها مع ما تضمنته من الوعيد الشديد ثم أخبر  
سبحانه عن نوع من أنواع بديع صنعته وعظيم قدرته ليتذكروا ذلك وليعتبروا به فقال  
( والله الذى أرسل الرياح ) قرأ الجهم ورب الجمع وقرئ الريح بالافراد وهى سبعية عن ابن  
مسعود قال يقوم ملك بالصور بين السماء والارض فينسخ فيه فلا يبقى خلق لله فى  
السموات والارض الا من شاء الله الامات ثم يرسل الله من تحت العرش منيا كنى الرجال  
فتنبت أجسامهم ولحومهم من ذلك الماء كما تنبت الارض من الثرى ثم قرأ هذه الآية  
( فتشير سخابا ) جاء بالمضارع بعد الماضى استحضار تلك الصورة البديعة الدالة على كمال  
القدرة والحكمة لان ذلك أدخل فى اعتبار الاعتبارين والمعنى انها ترتجعه وتحركه من حيث  
هو ( فسقمناه ) فيه التفات عن الغيبة وقال أبو عبيدة سبيله فتسوقه لانه قال فتشير سخابا  
قيل النكتة فى التعبير بالماضيين بعد المضارع للدلالة على التحقق ( الى بلد ) هو يذكر  
ويؤنث والبلدة البلد ( ميت ) أى ارض ايس بها نبات ولا مرعى قال المبرد ميت  
وميت واحد وقال هذا قول البصريين ( فأحيينا به الارض ) أى أحيينا بالمطر النازل  
منه الارض بالنبات فيها وان لم يتقدم ذكر المطر فالههاب يدل عليه أو أحيينا  
بالسحاب لانه سبب المطر ( بعد موتها ) أى بعد يسها استعارا لحياء للنبات والموت  
للنبس ( كذلك النشور ) أى كذلك يحيى الله العباد بعد موتهم كما أحيانا الارض بعد موتها  
والنشور البعث من نشر الانسان نشورا أى مثل احياء سموات الارض فى صحة المقدورية  
وسمولة التأتى احياء الاموات اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة فى المقيس عليه  
وذلك لا مدخل له فيها فكيف تنكرونه وقد شاهدتم غير مرة ما عو مثل وشبهه به عن ابي  
رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى قال أما مررت بأرض مجذبة  
ثم مررت بها فمخضبة تم ترخضت قلت بلى قال كذلك يحيى الله الموتى وكذلك النشور

وقال عطاء الخراسانى المراد بالبر  
ما فيه من المداثر والقرى وبالبحر  
جزائره والقول الاول أظهر وعليه  
الاكثر ون يؤيده ما قاله محمد بن  
اسحق فى السيرة ان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم صالح ملك ايله وكتب  
الى به بجزره يعنى ببلده ومعنى قوله  
تعلى ظهر الفساد فى البر والبحر  
بما كسبت أيدي الناس أى بان  
النقص فى الزروع والثمار بسبب  
المعاصى وقول أبو العالمة من عصى  
الله فى الارض فقد أفسد فى الارض  
لان صلاح الارض والسماء  
بالطاعة واهذا جاء فى الحديث الذى  
رواه أبو داود لحديثه فى الارض  
أحب الى اهلها من أن يعطروا  
أربعين صباحا والسبب فى هذا أن  
الحدود اذا أقمت أنكف الناس  
أوأكثرهم أو كثير منهم عن تعاطى  
المحرمات واذا تركت المعاصى كان  
سببا فى حصول البركات فى السماء  
والارض ولهذا اذ انزل عيسى بن  
مريم عليه السلام فى آخر الزمان  
يحكمهم هذه الشريعة المطهرة فى  
ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر

أخرجه أحمد والبيهقي والطحاوي وغيرهم (من كان يريد العزة فله العزة جميعاً) فليطلبها  
 منه لا من غيره قال الفراء معناه من كان يريد أن يعلم لمن العزة فإنها لله جميعاً وقال قتادة من  
 كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله فجعل معنى لله العزة الدعاء إلى طاعة من له العزة كما  
 يقال من أراد المال فالمال لئلان أي فليطلبه من عنده وقال الزجاج تبهديره من كان  
 يريد بعبادة الله العزة فالعزلة سبحانه فان الله عز وجل يعززه في الدنيا والآخرة وقيل المراد به  
 المشركون فانهم كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله واتخذوا من دون الله آلهة  
 ليكفروا بهم عزاً وقيل المراد الذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بألسنتهم الذين  
 يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي يتبعون عندهم العزة وانظروا في معنى الآية  
 ان من كان يريد العزة ويطلبها فليطلبها من الله عز وجل فله العزة جميعاً ليس لغيره منها شيء  
 فتشمل الآية كل من طلب العزة ويكون المقصود منها التنبه لذوي الأقدار والهمم من  
 أين تنال العزة وتستحق ومن أي جهة تطلب فتكون الآف واللام للاستعراق وهو  
 انه هو من آيات هذه السورة (اليه) تعالى لا إلى غيره (يصعد الكلم الطيب) الصعود  
 هو الحركة إلى فوق وهو العروج أيضاً وموضع الثواب فوق وموضع العذاب أسفل  
 ومعنى صعوده إليه قبوله له أو صعود الكعبة من الملائكة بما يكتبونه من الصدق وخص  
 الكلم الطيب بالذكر لبناء الثواب عليه وهو يتناول كل كلام يتصف بكونه طيباً من  
 ذكر الله وأمر معروف ونهي عن منكر وتلاوة وغير ذلك فلا وجه لتخصيصه بكلمة  
 التوحيد أو بالتحميد والتعبد وقيل المراد بصعوده صعوده إلى سماء الدنيا وقيل يصعد  
 إلى سماءه والمحل الذي لا يجرى فيه لأحد غيره حكم وفيه دليل على عاقبة تعالى فوق الخلق  
 وكونه بانه اعز منه بذاته الكريمة كما تدل له الآيات الأخرى الصريحة والأحاديث  
 المستفيضة الصحيحة وقيل المراد بصعوده علم الله به والارلى ما ذكرناه آنفاً (والعمل الصالح  
 يرفعه) أي يرفع الكلم الطيب كما قال الحسن وشهر بن حوشب وسعيد بن جبيرة ومجاهد  
 وقتادة وأبو العافية والضحك ووجهه انه لا يقبل الكلم الطيب الا مع العمل الصالح وقيل  
 ان فاعل يرفعه هو الكلم الطيب ومفعوله العمل الصالح ووجهه ان العمل الصالح لا يقبل  
 الا مع التوحيد والايان وقيل ان فاعل يرفعه ضمير يعود إلى الله عز وجل والمعنى ان الله  
 يرفع العمل الصالح على الكلم الطيب لان العمل يحقق الكلام وقيل العمل الصالح يرفع  
 صاحبه وهو الذي أراد العزة وقال قتادة المعنى ان الله يرفع العمل الصالح اصحابه أي  
 يقبله فيكون قوله والعمل الصالح مبتدأ وخبره يرفع وكذا على قول من قال يرفع صاحبه  
 قرأ الجهور بصعد من صعد الثلاثي والكلم بالرفع على القاعلية وقرأ على وابن مسعود  
 يصعد بضم حرف المضارعة من أصد والكلم بالنصب على المنعولية وقرأ الضحك على  
 البناء للمفعول وقرأ الجهور الكلم وقرأ أبو عبد الرحمن الكلام وقرأ العمل بالرفع على  
 العطف أو على الابتداء وقرأ ابن أبي عمير وعيسى بن عمر بالنصب على الاشتغال عن ابن  
 مسعود في الآية قال اذا حدثناكم بحديث أميناكم بتصديق ذلك من كتاب الله سبحانه ان  
 العبد المسلم اذا قال سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله

الصليب ووضع الجزية وهو تركها  
 فلا يقبل الا الاسلام أو السيف  
 فاذا أهلك الله في زمانه الدجل  
 واتباعه ويأجوج ودأجوج قيل  
 للارض أخرجه بركمك فيأكل  
 من الرمانه الغمام من الناس  
 ويستظلمون بقعتها ويكفي ابن  
 اللتعة الجماعة من الناس وما ذلك  
 الا بركة تنفذ شريرة محمد صلى  
 الله عليه وسلم فكما أقيم العدل  
 كثرت البركات والخير وثبت في  
 الصحيح ان الفاجر اذا مات يستريح  
 منه العباد والبلاد والشجر  
 والدواب ولهذا قال الامام أحمد  
 ابن حنبل حدثنا محمد والحسن  
 قال حدثنا عوف (١) عن أبي محمد  
 قال وجد في زمان زياد صرة فيها  
 حب يعنى من بر أمثال النوى  
 مكتوب فيها هذا ثبت في زمان كان  
 يعمل فيه بالعدل وروى مالك عن  
 زيد بن أسلم ان المراد بالفساد ههنا  
 الشرك وفيه نظر وقوله تعالى  
 ليذيقهم بعض الذي عملوا الآية  
 أي يتلهم بنقص الاموال والانس  
 والثرات اختياراً منه لهم ومجازاة  
 (١) في نسخة أخرى ابن أبي محمد  
 وحرر اه مصححه



قبض عليهم ملك فضمهن تحت جناحه ثم يصعدهن الى السماء فلا يرجعن على جمع من  
 الملائكة الاستغفر لقاتهن حتى يحييهن وجه الرحمن ثم قرأ اليه بصعد الكلام الطيب  
 والعمل الصالح يرفعه قال أداء الترائض فمن ذكر الله في أداء ترائضه حل عمله ذكر الله  
 فصعد به الى الله ومن ذكر الله ولم يؤد ترائضه رد كلامه على عمله وكان عمله أولى به أخرجه  
 الطبراني والبيهقي والحاكم وصححه وغيرهم (والذين يمكرون السيئات) ليس منعوا به لان  
 مكر لازم فاتصاه على انه صفة المصدر محذوف أي يمكرون المكرات السيئات ويجوز ان  
 يضمن يمكرون معنى يكسبون فيكون السيئات منعوا به قال مجاهد وقتادة هم أهل الربا  
 وقال أبو العالية هم الذين يمكرون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما اجتمعوا في دار الندوة  
 وقال الكلبي هم الذين يعملون السيئات في الدنيا وقال مقاتل هم المشركون (لهم  
 عذاب شديد) أي بالغ الغاية في الشدة (ومكروا ولئلا هو بيور) أي يهلك ويفسد  
 ويبطل ومنه وكنتم قومًا بورا وقد أبارهم الله ابارت بسبب مكراتهم حيث أخرجهم من مكة  
 وقتلهم وأنتهم في قاييب فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقها واحدة منها  
 والمكر في الاصل الخديعة والاحتيال والاشارة بقوله أولئك الى الذين يمكرون السيئات  
 على اختلاف الاقوال في تفسير مكرهم وجعله هو بيور خبر مكر أولئك ووضع اسم  
 الاشارة موضع ضميرهم للايدان بكل تميزهم عما هم عليه من الشر والفساد عن سائر  
 المفسدين واشتهرهم بذلك ثم ذكر سبحانه دليلا آخر على صحة البعث والفشور فقال  
 (والله خلقكم) ابتداء في ضمن خلق أيكم آدم (من تراب) وقال قتادة يعني آدم  
 والتقدير على هذا خلق أيكم الاول وأصلكم الذي ترجعون اليه من تراب (ثم من نطفة)  
 أخرجهما من ظهرا أيكم (ثم جعلكم أزواجا) أي زوج بعضهم ببعض فالذكر زوج  
 الانثى أو جعلكم أصنافا ذكرانا واناثا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) أي  
 لا يكون حمل ولا وضع الا والله عالم به فلا يخبر شي من علمه وتدبيره ومن زائدة (وما يعمر  
 من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب) قرئ ينقص مبنيا للمفعول وللذاعل ومن عمره  
 بضم الميم ويسكونها والمعنى ما يظول عمرا وحده ولا ينقص من عمره الا في اللوح المحفوظ  
 قال القراء يريد آخر غير الاول فيكنى عنه بالضمير كانه الاول لان انظ الثاني لو ظهر كان  
 كالاول كانه قال ولا ينقص من عمره عمره فالكتاب في عمره ترجع الى آخر غير الاول ومنه  
 قولك عندي درهم ونصفه أي نصف آخر قبل انما هي معمر باعتبار مسيره اليه والمعنى  
 ما يتبقى عمرا وحده لا ينقص من عمرا وحده لكن لا على معنى لا ينقص من عمره بعد كونه زائدا  
 بل على معنى انه لا يجعل من الابتداء ناقصا الا وهو في كتاب قال سعيد بن جبير وما يعمر  
 من معمر الا كتب عمره كم هوسنة كم هوشهرا كم هو يوما كم هو ساعة ثم يكتب في كتاب  
 آخر نقص من عمره ساعة نقص من عمره يوم نقص من عمره شهر نقص من عمره سنة حتى  
 يستوفي أجله فامضى من أجله فهو النقصان وما يستقبل فهو الذي بعمره قال النسي في  
 هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بأفهام السامعين وانكالا على تسديد معناه  
 بعقولهم وان لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس

على صنيعهم لعلمهم يرجعون أي  
 عن المعاصي كما قال تعالى وبالواهم  
 بالحسنات والسيئات لعلمهم  
 يرجعون ثم قال تعالى قل سيروا في  
 الارض فانظروا كيف كان عاقبة  
 الذين من قبل أي من قبلكم كان  
 أكثرهم مشركين أي فانظروا ماذا  
 حل بهم من تكذيب الرسل وكفر  
 النعم (فأقم وجهك للدين القيم من  
 قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله  
 يومئذ يستعدون من كفره فاعلمه  
 كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم  
 يهدون ليجزى الذين آمنوا وعملوا  
 الصالحات من فضله انه لا يحب  
 الكافرين) يقول تعالى أمرا  
 عباده بالمبادرة الى الاستقامة في  
 طاعته والمبادرة الى الخيرات فأقم  
 وجهك للدين القيم من قبل ان يأتي  
 يوم لا مرد له من الله أي يوم القيامة  
 اذا أراد كونه فلا راد له يومئذ  
 يستعدون أي يتفرون فتبريق في  
 الجنة وفريق في السعير ولهذا قال  
 تعالى من كفر فاعلمه كفره ومن عمل  
 صالحا فلانفسهم يهدون ليجزى  
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات من

فضله أي يجازيهم مجازاة الغضل  
 الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة  
 ضعف إلى ما يشاء الله أنه لا يحب  
 الكافرين ومع هذا هو العادل فيهم  
 الذي لا يجور (ومن آياته أن يرسل  
 الرياح مبشرات وليذيقكم من  
 رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا  
 من فضله ولعلكم تشكرون ولقد  
 أرسلنا من قبلك رسالا إلى قومهم  
 في أوهم بالبينات فاتمنا من الذين  
 أجرموا وكان حتما علينا نصر  
 المؤمنين) يذكر تعالى نعمه على خلقه  
 في إرساله الرياح مبشرات بين يدي  
 رحمته بمعنى الغيث عقبها ولهذا  
 قال تعالى وليذيقكم من رحمته  
 أي المطر الذي ينزله فيجيب به العباد  
 والبلاد ولتجري الفلك بأمره أي في  
 البحر وأما سيرها بالريح ولتبتغوا  
 من فضله أي في التجارات والمعاش  
 والسير من إقليم إلى إقليم وقطر إلى  
 قطر ولعلكم تشكرون أي تشكرون  
 الله على ما أنعم به عليكم من النعم  
 الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا  
 تحصى ثم قال تعالى ولقد أرسلنا  
 من قبلك رسالا إلى قومهم في أوهم

يقولون لا ينيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق أو تأويل الآية أنه يكتب في صحيفة عمره  
 كذا كذا سنة ثم يكتب في أسفله ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره فذلك  
 نقصان عمره انتهى وقال قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل  
 ستين وقيل المعنى أن الله كتب عمر الإنسان كذا أن أطاع ودينه أن عصي فأيها ما بلغ فهو  
 في كتاب والضمير على هذا يرجع إلى معمر وقيل المعنى وما يعمر من معمر إلى الهرم ولا ينقص  
 آخر من عمر الهرم إلا في كتاب الله أي بقضاء الله قاله الخصال واختاره الخحاس قال وهو  
 أشبهه بانظار التنزيل والأولى أن يقال ظاهر النظم القرآني أن تطويل العمر وتقصيره ما  
 بقضاء الله وقدره لأسباب تقتضي التطويل وأسباب تقتضي التقصير فمن أسباب  
 التطويل ما ورد في صلاة الرحم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل قوله من أحب أن  
 يبسط له في رزقه وينسأله في أثره أي يؤخر في عمره فليصل رحمه ونحو ذلك ومن أسباب  
 التقصير الاستكثار من معاصي الله سبحانه فإذا كان العمر المضروب للرجل مثلا سبعين  
 سنة فقد ينبد الله له عليها إذا فعل أسباب الزيادة وقد ينقصه منها إذا فعل أسباب النقصان  
 والكل في كتاب مبين فلا تخالف بين هذه الآية وبين قوله سبحانه فإذا جاء أجلهم  
 لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويؤيدها قوله سبحانه يعجو الله ما يشاء ويثبت  
 وعنده أم الكتاب وقد قدمنا في تفسيرها ما يزيد ما ذكرناهنا وضوحا وبينا قال ابن عباس  
 في الآية يقول ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة الا وهو بالغ ما قدرت له من العمر  
 وقد قضيت له ذلك وإنما ينتمى إلى الكتاب الذي قدرت له لا يزد عليه وليس أحد قضيت  
 عليه انه قصير العمر والحياة يبالغ العمر ولكن ينتمى إلى الكتاب الذي كتب له فذلك قوله  
 ولا ينقص من عمره إلا في كتاب يقول كل ذلك في كتاب عنده وأخرج أحمد ومسلم وأبو عوانة  
 وابن حبان والطبراني وابن المنذر وابن أبي حاتم عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل الملك على النطفة بعد ما نبتة قرفي الرحم باربعين  
 أو خمسين وأربعين ليلة فيقول أي رب أشقني أم سعيدا ذكر أم أبي فيقول الله ويكتبان  
 ثم يكتب عمله ورزقه وأجله وأثره وصيته ثم تطوى الصحيفة فلا يزد فيها ولا ينقص منها  
 وأخرج ابن أبي شيبة ومسلم والنسائي وأبو الشيخ عن ابن مسعود قال قالت أم حبيبة  
 اللهم أنتعني بزوجه النبي وبأبي ثبي سفيان وبأخي معاوية فقال النبي صلى الله عليه وآله  
 وسلم أنت سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة ولن يجعل الله شيئا قبل  
 حله أو يؤخر شيئا ولو كنت سألت الله أن يعيدك من عذاب النار أو عذاب في القبر كان  
 خيرا أو أفضل وهذه الأحاديث مخصصة بما ورد من قبول الدعاء وأنه يعتلج هو والقضاء وبما  
 ورد في صلاة الرحم أنهم أتوا في العمرة فلا معارضة بين الأدلة كما قدمنا (ان ذلك) أي  
 ما سبق من الخلق وما بعده (على الله يسير) لا يصعب عليه منه شيء ولا يعجز عنه كثير  
 ولا قليل ولا كبير ولا صغير ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من بدعي صنعه وعجيب قدرته فقال  
 (وما يستوى البحران هذا) أي أحدهما (عذب فرات) شديد العذوبة (سأغش ثرابه)  
 مرى يسهل الخدارة في الخليل لعذوبته (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة وقيل هو الذي

يجرق الخلق بلوحته فالمراد بالبحرين العذب والمالح في العذب الفراق الخلو والابحاج المر  
وقرى سبع مشددا وقرى ملح بفتح الميم وقيل المقصود من الابحة ضرب مثل ضربه الله  
تعالى للمؤمن والكافر (ومن كل) منهما (تأ) كآون لخطريا) وهو ما يصاد منهما امن  
حيواناتهم التي تؤكل وهذا وما بعد ذلك اما استخراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم  
والمنافع واما كلمة التمثيل والمعنى كما أنهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من  
حيث انهما متاوتان فيما هو المقصود بالذات من المائل الخاطا أحدهما ما أفسده وغيره  
عن كمال فطرته كذلك لا يساوي الكافر المؤمن وان شاركه في بعض الصفات كاشجاعة  
والسكناوة ونحوهما التباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقا أحدهما عن فطرته الاصلية  
وحيازته لكلمة اللائق دون الآخر أو تضميل للاجح على الكافر من حيث انه يشار له  
العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست  
قلوبكم من بعد ذلك فهي كالجمارة وأشد قسوة لبح قاله أبو العود (و قد استخرجون حلية)  
وهي اللؤلؤ والمرجان وهو صغار اللؤلؤ وقال الطرطوشي هو عروق حمر تطلع من البحر  
كأصابع الكف وهكذا شاهدناه ببحار الأرض كثيرا انتهى والظاهر ان المسمى  
وتستخرجون منها حلية وقال المبرد انما تستخرج الحلية من المالح وروى عن الزجاج  
انه قال انما تستخرج الحلية منهما اذا اختلطا لان كل واحد منهما على انفراده يريج  
النحاس قول المبرد ومعنى تلبسونها تلبسون كل شيء منها بحسبه كالخاتم في الأصبع  
والسوار في الذراع والقلادة في العنق والخلخال في الرجل ومما يلبس حلية السلاح الذي  
يحمل كالسيف والدرع ونحوهما (وترى الفلأ فيه) أي في كل واحد من البحرين وقال  
النحاس الضمير يعود الى المالح خاصة ولولا ذلك لقال فيهما (مواخر) يقال شخرت النسبنة  
تخراذ اشقت الماء بجره فافيه فالمعنى وترى السفن في البحرين شواق للماء بعضهم قبلها  
وبعضها مدبرة بريح واحدة وقد تقدم الكلام على هذا في سورة النحل (تبتغوا من فضله)  
أي فعل ذلك لتبتغوا قال شجاع ابداء التبعاء الفضل هو التجارة في البحر الى البلدان البعيدة في  
المدة القريبة كما تقدم في البقرة (ولعلكم تشكرون) الله على ما أنعم به عليكم من ذلك  
(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي يضيف بعض أجزاءه ما الى الآخر فيزيد  
في أحدهما بالنقص في الآخر وقد تقدم نفسه في آل عمران وفي مواضع من العذب  
العزير (وتخرا الشمس والندى) عطف على يولج واختلاف الصيغة لما ان يلاج احد  
الملوئين في الآخر متحد حينما حينا أو ما تستخير النيرين فأمر لا تجدد ولا تعدد فيه وانما  
المتعدد المتحد آثاره (كل) منهما (بحري) في فلكك (لاجل مسمى) قدره الله بحر انهما  
وهو يوم القيامة وقيل هو المسدة التي يقطعان في مثلها الغناب وهو سنة للشمس وشهر  
للقمر وقيل المراد ببحري الشمس في اليوم والقمر في الليلة وقد تقدم تفسير هذا  
مستوفى في سورة لقمان (دلكم) أي انا عمل لهذه الافعال المتقدمة من أول السورة  
الى هنا وهو مبتدأ وخبره (الله ربكم له الملك) أي هذا الذي من صنعه ما تقدم هو  
الخالق المقدر والقادر والمقدر الملك للعالم والمتصرف فيه ويجوز ان يكون قوله

بالبيئات فانتقمنا من الذين أجرموا  
هذه تسليمة من الله تعالى لعبد  
ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه  
وان كذبه كثير من قومه ومن الناس  
فقد كذبت الرسل المتقدمون مع  
ما جاؤا أمهم به من الدلائل  
الواضحات ولكن انتقم الله من  
كذبهم وخالفهم وأنجى المؤمنين  
بهم وكان حقا علينا نصر المؤمنين  
أي هو حتى أوجبته على نفسه  
الكريمة تكريما وتفضلا كقوله  
تعالى كذب بكم على نفسه الرحمة  
وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي  
حدثنا ابن نمير حدثنا موسى بن أعين  
عن ابي عن شهر بن حوشب عن أم  
الدرداء عن أبي الدرداء رضى الله  
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقول ما من امرئ مسلم  
يرد عن عرض أخيه الا كان حقا  
على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم  
القيامة ثم تلا هذه الآية وكان  
حقا علينا نصر المؤمنين (الله الذي  
رسل الرياح فتسيرها با فيسطه  
في السماء كيف يشاء ويجعز كسنا  
نرى الودق يخرج من خلاله فاذا

له الملك جلة مستقلة في مقابلة قوله (والذين تدعون من دونه ما يكون من قطمير) أي لا يقدرون عليه ولا على خلقه وانقط مير القشرة الرقيقة التي تكون بين القشرة والنواة وتصل على النواة كاللنافة لها وقال المبرد هو شق النواة وقال قتادة هو القمع الذي على رأس النواة قال الجوهري ويقال هي النكتة البيضاء التي في ظهر النواة تنبت منها النخلة وقال ابن عباس القطمير القشر وفي لفظ الجلال الذي يكون على ظهر النواة ومعلوم ان في النواة أربعة أشياء يضرب بها المثل في القلة الغنيل وهو ما في شق النواة والقطمير وهو اللانافة والثقوق وهو ما بين القمع والنواة والنقيير وهو ما في ظهرها ثم بين سبحانه حال هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله بأنهم لا يسمعون ولا يضررون فقال (ان تدعوهم) أي ان تستغني عنهم في النوائب (لا يسمعون دعاءكم) لكونها جمادات لا تدرك شيئا من المدركات (ولو دعوا) فراضا وتقديرا (ما استجابوا لكم) لعجزهم عن ذلك قال قتادة المعنى ولو دعوا لم يسمعوا ولم يستجيبوا لكم الى ما دعوا وتوهم اليه من الكفر فسمعو دعاءكم لكانوا أطوع لله منكم ولم يستجيبوا لكم الى ما دعوا وتوهم اليه من الكفر (ويدم القيامة يكفرون بشرككم) أي يتبرون من عبادتكم لهم ويقولون ما كنتم ايانا تعبديون ويجوز ان يرجع والذين تدعون من دونه وما بعده الى من يعقل عن عبدهم الكفار وهم الملائكة والجن والشياطين والمعنى انهم يحسدون ان يكون ما فعلوه حقا وينكرون انهم امرؤكم بعبادتهم كما أخبر الله عن عيسى بقوله ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق قال القرطبي ويجوز ان يندرج فيه الاصنام أيضا أي يحببها الله حتى يخبر بأنهم ليست أهلا للعبادة (ولا ينبتك مثل خبير) أي لا يخبرك أيها المفتون بأسباب الغرور ومثل من هو خبير بالاشياء عالم بجنابيا الامور وهو الله سبحانه فانه لا أحد اخبر بخلقهم وأقوالهم وأفعالهم منه سبحانه وهو الخبير بكنه الامور وحقائقها ثم ذكر سبحانه افتقار خلقه اليه ومزيد حاجتهم الى فضله فقال (يا أيها الناس أنتم الفقراء المحتاجون (الى الله) في جميع أمور الدين والدنيا فيهم الفقراء الله على الاطلاق في أنفسهم وفيما يعرض لهم من سائر الامور وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعیفا ولم يسعهم بالندوة قراءة للتحقير بل لتعريفهم على الاستغناء ولهذا وصف نفسه بالغنى الذي هو مطمع الأغنياء فقال (والله هو الغني) على الاطلاق (الحميد) المستحق للحمد من عباده باحسانه اليهم ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من الأنواع التي يتحقق عندها التقارر اليه واستغناؤه عنهم فقال (ان يشأ يذهبكم) كلكم الى العدم ويفنيكم وفيه بلاغة كاملة أي ليس اذهابكم موقوفا الاعلى مشيئته ثم زاد على بيان الاستغناء بقوله (ويا ت) بدل لكم (بخلق جديد) يطيعونه ولا يعصونه أو يات بنوع من أنواع الخلق وعالم من العوالم غير ما تعرفون (وما ذلك) الاذهاب بكم والاثيان بالآخرين (على الله بعزير) أي بمتنع ولا متعسر وقدمضى تفسير هذا في سورة ابراهيم (ولا تز) أي ولا تحمل نفس (وازر) أئمة (وزر) انتم نفس

أصاب به من يشاء من عباده اذاهم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبل له لباسين فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لحشي الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأود مصفر الظالمين بعده يكفرون) يبين تعالى كيف يخلق السحاب الذي ينزل منه الماء فتال تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا الماسن البحر كما ذكره غير واحد أو مما يشاء الله عز وجل فيسطه في السماء كيف يشاء أي يمدد فيه كثرة وفيه ويجعل من القليل كثيرا ينشئ سحابة ترى في رأى العين مثل الترس ثم يسطها حتى تتلا أرباء الافق وتارة تأتي السحابة من فوق البحر تنال الملوحة ماء كما قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشر ابي يدي رحمة حتى اذا اقلت سحابا ثقالا ساقنا ابلد ميت الى قوله كذلك تخرج الموقى اعانكم تذكرون وكذلك قال عهنا الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا قال مجاهد وأبو عمرو بن

(الخرى)

(أخرى) خذف الموصوف للعلية بل كل تنس تحمل وزرها ولا تخالف هذه الآية قوله  
وليحملن أثقالهم وأثقالهم مع أثقالهم لانهم انما حملوا ثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم  
والكل من أوزارهم لامن أوزار غيرهم ومثل هذا حديث من سن سنة سيئة فعليه  
وزرها ووزر من عمل بها اليوم القيامة فان الذي سن السنة السيئة انما حمل وزر  
سنه السيئة وقد تقدم الكلام على هذه الآية مستوفى وقد أخرج أحمد والترمذي  
وصححه والنسائي وابن ماجه عن عمرو بن الاحوص ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
قال في حجة الوداع ألا لا يجني جان الاعلى نفسه ولا يجني والد على والده ولا مولود على والده  
وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي وغيرهم عن أبي رزمة قال انطلقت مع  
أبي نحر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما رأيتة قال لابي ابنك هذا قال اي ورب  
الكعبة قال أما ان لا يجني عليك ولا تجني عليه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
هذه الآية قال ابن عباس يلقي الاب والام الابن فيقولان له يا بني اجعل غنا بعض ذنوبنا  
فيقول لا استطيع حسبي ما علي (وان تدع مثقلة الى حملها) قال الزهراء أي تنس مثقلة  
بالذنوب قال وهذا يقع للمذكر والمؤنث قال الاخفش أي وان تدع مثقلة انسانا الى  
حملها وهو ذنوبها والحمل بالكسر ما يحمل على الظهور ونحوه والجمع اجمال وحول وحجات  
المتاع حمل من باب ضرب فانا حمل والاشي حاملة بالياء لانها صفة مشتركة قال ابن  
السكيت الحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس شجرة والحمل بالكسر ما كان على ظهر  
أو رأس قال الازهرى وهذا هو الصواب وهو قول الاصمعي وقال امرأة حامل وحاملة  
اذا كانت حبل (لا يحمل منه) أي من حملها (شيئ) قال ابن عباس لكونه عليه  
وزر لا يجدا حدي يحمل عنه من وزر شيئا (ولو كان ذا قربي) أي ولو كان الذي تدعوه  
ذا قرابة لهم لم يحمل من حملها شيئا ومعنى الآية وان تدع نفس مثقلة بالذنوب تنسا أخرى  
الى حمل شيء من ذنوبها معها لم تحمل تلك المدعوة من تلك الذنوب شيئا ولو كانت قرينة  
لها من النسب كاذاب والام والابن والاخ فكيف غيرها من لاقربايتها وبين الداعية  
لها وقرى ذوقربي على ان كان تامسة كقوله وان كان ذو عسرة قال الزنجشيري ونظم  
الكلام أحسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة اذا دعت أحدا الى حملها  
لا يحمل منه ولو كان مدعوقا ذوقربي وهو ملتئم ولو قلت ولو وجد ذوقربي الخرج عن  
التشابه انتهى (انما تندر الذين يخشون ربهم بالغيب) مستأنفة مسوقة لبيان من  
يعظبالانذار أي انهم يخشونه حال كونهم غائبين عن عذابها ويخشون عذابها وهو غائب  
عنهم ويخشونه في الخلووات عن الناس قال الزجاج تأويله ان انذارك انما يتقع الذين  
يخشون ربهم فكذلك تندرهم دون غيرهم ممن لا ينفعهم الانذار كقوله انما أنت منسذر  
من يخشاها وقوله انما تندر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب (وأقاموا الصلاة)  
أي احتفلوا بأمرها ولم يشغلوا عنها بشي مما يليهم وأداموها (ومن تركي فأنما يتركي  
لنفسه) وقرئ من أركي فأنما يركي لنفسه والتركى التطهر من ادناس الشرك  
والفواحش والمعنى ان من تطهر بترك المعاصي واستكثر من العمل الصالح فأنما

العلاء ومطر الوراق وقناة يعني  
قطعا وقال غيره مترا كما قاله  
الضحك وقال غيره المسود من كثرة  
الماء تراهما مدلهما ثملا قرى بما من  
الارض وقوله تعالى فترى الودق  
يخرج من خلاله اي فترى المطر  
وهو التطر يخرج من بين ذلك  
السحاب فذا أصاب به من يشاء  
من عباده اذا هم يستبشرون أي  
لحاجتهم اليه يفرحون بنزوله  
عليهم ووصوله اليهم وقوله تعالى  
وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من  
قبل الملبسين معنى الكلام ان هؤلاء  
القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا  
فانظروا من أنزل من نزل المطر اليهم  
قبل ذلك فلما جاءهم به هم على فاقة  
فوقع منهم وقعا عظيما وقد اختلفت  
التحاة في قوله من قبل أن ينزل عليهم  
من قبل الملبسين فقال ابن جرير هو  
تأكيده وحكاية عن بعض أهل  
العريفة (١) وقال آخرون من قبل  
أن ينزل عليهم المطر من قبله أي  
الانزال للملبسين ويحمل ان يكون  
ذلك من دلالة التأسيس ويكون  
معنى الكلام انهم كانوا محتاجين اليه

(١) قوله وقال آخرون الى قوله  
لملبسين هذه العبارة زائدة في بعض  
النسخ وللمهاجرين ما قبلها فاقبل  
اه صححه

قبل نزوله ومن قبله أيضا قد فات  
عندهم نزول وقتا بعد وقت فترقبوا  
في ابانده فتأخر ثم مضت مدة فترقبوا  
فتأخر ثم جاءهم بغتة بعد الاياس  
منه والقنوط فبعدهما كانت أرضهم  
مقشورة هامة أصحبت وقد اهترت  
وربت وأثبتت من كل زوج مخرج  
ولهذا قال تعالى فانظر الى آثار  
رحمة الله يعنى المطر كيف يحيى  
الارض بعده موتها ثم نبيه بذلك على  
احياء الاجساد بعده موتها وتضرعها  
وتمزقها فقال تعالى ان ذلك لمحبي  
الموتى أى ان الذى فعل ذلك لصادق  
على احياء الاموات انه على كل شئ  
قدير ثم قال تعالى ولئن أرسلنا ريحا  
فراؤها مصفرا الظالمين بعدهم يكفرون  
يقول تعالى ولئن أرسلنا ريحا يابسة  
على الزرع الذى زرعو ونبت وشب  
واستوى على سوقه فراؤها مصفرا  
أى قد اصفرو وشرع في الفساد  
لظلمان بعده أى بعده هذا الحال  
يكفرون أى يجحدون ما تقدم اليهم  
من الذم كتبوله تعالى أفرايتم  
ما تحنون الى قوله بل نحن محرمون  
قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا  
محمد بن عيسى بن الصباح حدثنا  
هشيم عن يعلى بن عطاء عن أبيه

يتظهر لنفسه لان نفع ذلك مختص به كما ان زرد من تدنس لا يكون الاعليه لاعلى غيره  
(والى الله المصير) لا الى غيره ذك سبحانه أولا انه لا يحمل أحد ذنب أحد ثم ذكر ثانيا ان  
الذنب ان دعا غيره وان كان من قرابته الى حل شئ من ذنوبه لا يحمله ثم ذكر ثالثا ان  
ثواب الطاعة مختص بفاعله ليس لغيره منه شئ ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر وقد  
قرر بيان التنافى اولابين ذاتيهما وثانيتين وصفيهما وثالثتين مستقره ما وردا ريهما  
فى الآخرة فقال (وما يستوى الا عمى) أى المسلوب حاسة البصر واستوى من الافعال  
التي لا يكفى فيها واحد فلوقلت استوى زيد لم يصح فن ثم لم يصح على الفاعل أو تعدده  
(والبصير) الذى له ملكة البصر فشبه الكافر بالعمى وشبه المؤمن بالبصير وقيل  
مثل للجاهل والعالم (ولا تستوى) (الظلمات ولا النور) فشبه الباطل بالظلمات  
وشبه الحق بالنور قبل ان يجمع الظلمات وأفرد النور لتعددت ذنوب الباطل واتحاد الحق  
(ولا الظل ولا الحرور) بالفتح شدت حر الشمس وهو خلاف البرد يقال حر اليوم والطعام  
يحر من باب تهب وحر حرور من بابى ضرب وقعد دلغسة والاسم الحرارة فهو حار  
وحرت النار تحر من باب تعب توقدت واستعرت والحرقة بالفتح أرض ذات سجارة سود  
والجمع حرار مثل كبة وكلاب والحرور وزان رسول الريح الحارة قال الاخفش لا يكون  
الحرور الا مع شمس النهار والسموم يكون بالليل وقيل عكسه وقال الروبة بن العجاج  
الحرور يكون بالليل خاصة والسموم يكون بالنهار خاصة وقال الفراء السموم لا يكون  
الا بالنهار والحرور يكون فيها قال التماس وهذا أصح وقال قطرب الحرور والحر والظل  
البرد والمعنى انه لا يستوى الظل الذى لا حر فيه ولا أذى والحر الذى يؤذى قيل أراد  
الثواب والعتاب وسمى الحر حرورامبالغة فى شدة الحر لان زيادة البناء تدل على زيادة  
المعنى وقال الكلبي أراد بالظل الجنة والحرور النار وقال عطاء يعنى ظل الليل وشمس  
النهار ثم ذكر سبحانه تمثيلا آخر للمؤمن والكافر وهو أبلغ من الاول فقال (وما يستوى  
الاحياء ولا الاموات) فشبه المؤمنين بالاحياء وشبه الكافرين بالاموات وهو أبلغ من  
الاول لاجل التنافى بين الحى والميت ولذلك أعيد القبول وأما التنافى بين العمى والبصير  
فليس تاما لا يمكن اشتراكهما فى كثير من الادراكات وقال ابن قتيبة الاحياء العقلاء  
والاموات الجهال قال قتادة هذه كلها أمثال أى كما لا يستوى هذه الاشياء كذلك  
لا يستوى الكافر والمؤمن وقد زيدت لافى المواضع الثلاثة خمس مرات اثنتين فى الاولى  
واثنتين فى الثانية وواحدة فى الثالثة والكل أتاك كيدنى الاستواء فلزيادة شاملة لاصل  
زيادتهم ما كالأولى من الجملة الاولى وتكريرها كالتثنية منها (ان الله يسمع من يشاء)  
ان اسمه من أولياءه الذين خلقهم لحسنه ووقفهم لطاعته وهذا شروع فى تسليمة النبي  
صلى الله عليه وآله وسلم وتتمى بقوله فكيف كان تكبير والمراد من قوله يسمع بهدى  
ويوصل من يشاء وصوله وهدايته فيحييه بالايمن (وما أنت بمسمع من فى القبور) يعنى  
الكفار الذين أمات الكفر قلوبهم أى كما لا يسمع من مات كذلك لا يسمع من مات قلبه  
قربى يتوبين مسمع وقطعه عن الاضافة وباضافته (ان أنت الا نذير) أى ما أنت الا رسول

منذر ليس عليك الا الانذار والتبليغ وليس لك من الهدي شي انما الهدي والضلالة  
 بيد الله عز وجل (انا ارسلناك بالحق) أي محمدين أو محققاً أو رسالاً تلبس بالحق أي بالهدى  
 (بشيراً) بالوعد الحق (ونذيراً) بالوعد الحق أو بشيراً لأهل الطاعة ونذيراً لأهل المعصية  
 (وان من أمة الا اخذنا منها ذكراً وزكراً) أي ما من أمة من الأمم الماضية الا مضى فيها نذير من  
 الانبياء ينذرها والامة الجامعة الكثرة وتقال لكل أهل عصر والمراد هنا أهل العصر  
 واقتصر على ذكر النذير دون البشيرة لانه الصق بالمقام فان قلت كم من أمة في الفترة بين  
 عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يتخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية  
 لم يتخل من نذير الا أن تندر من وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله  
 محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وآثار نذارته باقية الى يوم القيامة لانه لا نبي بعده فهل من  
 مذكر وهذا يقتضى ان أهل الفترة مكلفون لبناها آثار الرسل المتقدمة فيهم وهو خلاف  
 ما في شرح ابن حجر على الهمزية ان أهل الفترة من أهل الجنة وان غيروا وبنوا وعبدوا  
 غير الله لانه لم يرسل اليهم رسولا لان من قبلهم من الرسل انتهت رسالته بعونه اذ لم يعلم لاحد  
 من الرسل استمرار رسالته بعد الموت الا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فهم غير مكلفين  
 بما يقع بعونه ولو كان صورة معصية لكن ورد النذر بتعذيب بعض أهل الفترة كعمرو  
 ابن لحي فيسألني ويعتقد دفين ورد فيهم بمخصو صدمهم لان ما فعلوا كثير بل الحكمة يعلمها  
 الله تعالى لم تطلع عليها انتهى لمختصا وينتد فظاهرا لانه لا يحصل الاتصال بين الآيات  
 وبين ما تقر الا بان يلتزم ان جملة العرب أمة ويصدق تقدم النذير فيها بتقديم سمعيل وان  
 بنى اسرائيل أمة ويصدق تقدم النذير فيهم بتقدم عيسى ومن قبله فتأمل ثم لي سبحانه  
 نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وعزاه فقال (وان يكذبوك فتد كذب الذين من قبلهم) من  
 الأمم الماضية أنبياءهم (جاءهم رسلكم بالبينات) أي بالمعجزات الوضحة والدلالات  
 الظاهرة (وبالزبر) أي الكتب المكتوبة كصحف ابراهيم وهي ثلاثون وصحف موسى  
 قبل التوراة وهي عشرة وصحف شيث وهي ستون جملة الصحف مائة تضمها الكتب  
 الاربعة جملة الكتب المنزلة على الانبياء مائة وأربعة قاله الحنفواوى (وبالكتاب المنير)  
 كانتوراة والانجيل قيل الكتاب المنير داخل تحت الزبر وتحت البينات والعطف لتغاير  
 المفهومات وان كانت متحدة في الصدق والاولى تخصيص البينات بالمعجزات والزبر  
 بالكتب التي فيها مواظ والكتاب بما فيه شرائع وأحكام وجواب الشرط محذوف أي  
 فأصبر كما صبروا وان المذكور دليل له (ثم أخذت الذين كفروا) وضع الظاهر موضع  
 المضمر يفيد التصريح بذبهم عا في حيز الصلة ويشعر بعلة الاخذ (فكيف كان تكبير)  
 الاستفهام تقريرى كما قاله الكرخي وينبغي ان يتأمل فيه أي فكيف كان تكبيرى عليهم  
 وعقوبتى لهم والتكبير معنى الانكار وهو تغيير المنكر وقد مضى بيان هذا قريبا ثم ذكر  
 سبحانه نوعان أنواع قدرته الباهرة وخلقا من مخلوقاته البديعة فقال (المرز) والخطاب  
 لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولكل من يصلح له وهذه الرؤية هي القلبية أي لم تعلم  
 (ان الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) أي بالماء يعني المطر والبركة في هذا اللغات

عن عبد الله بن عمرو قال الرياح  
 غالية أربعة منارحة وأربعة منها  
 عذاب فأما الرحمة فالمبشرات  
 والمبشرات والمرسلات والذاريات وأما  
 العذاب فالعقيم والصدور وهما  
 في البر والعاصف والقاصف وهما  
 في البحر وقال ابن أبي حاتم حدثنا  
 ابن عبيد الله بن أخي ابن وهب  
 حدثنا عمي حدثنا عبد الله بن عباس  
 حدثني عبد الله بن سلمان عن دراج  
 عن عيسى بن هلال الصدقي عن  
 عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم الرياح مسخر  
 من الثانية يعني من الارض الثانية  
 فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن  
 الرياح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك  
 فقال يارب أرسل عليهم من  
 الرياح قدر نحر الثور قال له الجبار

اظهار كمال العناية بالنفعل لما فيه من الصنع البديع ولان المنة بالخراج أبلغ من انزال  
 الماء (ثمرات مختلفة ألوانها) المراد بالالوان الاجناس والاصناف من الرمان والتفاح  
 والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هي أي بعضها أبيض وبعضها أحمر وبعضها  
 أصفر وبعضها أخضر وبعضها أسود قال ابن عباس أي الأبيض والأحمر والأسود (ومن  
 الجبال جدد) الجدد جمع جدد بالمضم وهي الطريق قال الأخفش ولو كان جمع جديدا لقال  
 جدد بضم الجيم والدال نحو سير وسرر وقرأ الزهري جدد بضم الجيم والدال جمع جديدة  
 يقال جديدة وجدود وجدائد وقال أبو الفضل معناها آثار جديدة واضحة الالوان وقرئ  
 بشبههم أو قد رداً بفتحهم هذه القراءة من حيث النقل والمعنى وقد صححها غيره وقال الجدد  
 الطريق الواضح البين وقيل الجدد القطع مأخوذ من جددت الشيء إذا قطعتة حكاه ابن  
 بحر قال الجوهرى الجديدة الخطة التي في ظهر الجمار تختلف لونه والجدة الطريق والجمع  
 جدد وجدائد قال المبرد جدد طريق وخطوط قال الواحدى ونحو هذا قال المفسرون  
 في تفسير الجدد وقال الفرعاء هي الطرق تكون في الجبال كالعروق بيض وسود وجر  
 واحدها جدة (بيض وجر) وصفر (مختلف ألوانها) بالشدة والضعف والمعنى ان الله  
 سبحانه أخبر عن جدد الجبال وهي طرائقها والخطوط التي فيها بان لونها بعضها البياض  
 ولونها بعضها الحجر (وعرايب سود) الغرايب الشديدة السوداء الذي يشبه لونه لون الغراب  
 قال الجوهرى تقول هذا أسود غريب أي شديد السوداء وإذا قلت غرايب سود جعلت  
 السوداء من غرايب قال الفرعاء في الكلام تقديم وتأخير تقديره وسود غرايب لانه  
 يقال أسود غرايب وقيل يقال غرايب أسود وقيل الغرايب تأكيده للسود كالقاني  
 للأحمر ومن حق التوكيد أن يتبع المؤكد وانما قدم له بالغة والمعنى من الجبال جدد  
 بيض وجر ومن الجبال غرايب على لون واحد وهو السوداء أو من الجبال جدد بيض  
 وجر وسود وقيل التقدير ومن الجبال ذو جدد لان الجدد انما هي في ألوان بعضها  
 (ومن الناس والدواب) وقرئ بتخفيف الباء (والانعام) أي ومنهم صنف أو نوع  
 أو بعض (مختلف ألوانه) بالحجرة والسواد والبياض والخضرة والصفرة قال الفرعاء أي  
 خلق مختلف ألوانه كاختلاف الثمرات والجبال وانما ذكر سبحانه اختلاف الالوان في هذه  
 الاشياء لان هذا الاختلاف من أعظم الأدلة على قدرة الله وبديع صنعته (كذلك أي  
 مختلفاً مثل ذلك الاختلاف والتقدير مختلف ألوانه اختلافاً كما كنا كذلك أي باختلاف  
 الجبال والثمار وقال ابن عطية متعلق بما بعده أي مثل ذلك النظر والاعتبار في  
 مخلوقات الله واختلاف ألوانها يخشى الله من عباده العلماء وهو مردود بان ما بعد انما  
 لا يعمل فيما قبلها والراجح الوجه الاول والوقف على ذلك تام ثم استأنف الكلام وأخبر  
 سبحانه بقوله (انما يخشى الله من عباده العلماء) وهو من تمة قوله انما قدر الذين يخشون  
 ربهم بالغيب على معنى انما يخشاه سبحانه بالغيب العالمون به وبما يليق به من صفاته الجليلة  
 وأفعاله الجليلة وعلى كل تقدير فهو سبحانه قد عين في هذه الآية أهل خشيته وهم العلماء به  
 وبعظيم قدرته قال مجاهد انما العالم من خشى الله عز وجل ومثله عن الشعبي وقال

تبارك وتعالى لا إذا يكفأ الارض  
 ومن عليها ولكن أرسل عليهم  
 بقدر خاتم فهى التي قال الله في كتابه  
 ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته  
 كالرميم هذا حديث غريب ورفع  
 منكرو الاظهار انه من كلام عبد الله  
 ابن عمرو رضى الله عنه (فانك  
 لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء  
 اذا اولوا مدبرين وما أتت بهادى  
 العمى عن ضلالتهم ان تسمع الامن  
 يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) يقول  
 تعالى كما انك ليس في قدرتك انك  
 تسمع الاموات في أجدانها ولا يبلغ  
 كلامك الصم الذين لا يسمعون وهم  
 مع ذلك مدبرون عنك كذلك  
 لا تتدبر على هداية العميان عن  
 الحق ورددهم عن ضلالتهم بل ذلك  
 الى الله فانه تعالى بقدرته يسمع



مسروق كني بخشية الله علما وكنى بالاعتزاز جهلا وعن ابن مسعود نحوه فن كان أعلم بالله  
 كان أخشاهم له قال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم ووجه تقديم المنعول  
 ان المقام مقام حصر الناعلية ولو آخر لا نعكس الامر وقرئ برفع الاسم الشريف ونصب  
 العلماء ورويت هذا القراءة عن أبي حنيفة قال في الكشاف الخشية في هذه القراءة  
 استعارة والمعنى انه يجعلهم ويعظمهم كما يجعل المهيب الخشي من الرجال بين الناس قال  
 ابن عباس العلماء بالله الذين يخافونه وعنه قال الذين يعلمون ان الله على كل شيء قدير وعن  
 ابن مسعود قال ليس العلم من كثرة الحديث ولكن العلم من الخشية وفي لفظ بكثرة الرواية  
 وعن حذيفة بحسب المؤمن من العلم ان يخشى الله وعر عائشة قالت صنع رسول الله  
 صلى الله عليه وآله وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه  
 وآله وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعوه فوالله انى  
 لأعلمهم بالله واشدهم له خشية أخرجه البخارى ومسلم (ان الله عزير غفور) تعليل  
 لوجوب الخشية لانه على انه معاقب على معصيته غافر لمن تاب من عباده (ان الذين  
 يتلون كتاب الله) أى يستمرون على تلاوته ويدومونها والكتاب هو القرآن العظيم  
 ولا وجه لما قيل ان المراد بجنس كتب الله (وأقاموا الصلاة) أى فعلوها في أوقاتها مع  
 كمال أركانها وأدكارها عن ابن عباس قال نزلت في حصين بن الحرث بن عبد المطلب  
 ابن عبد مناف (وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) فيه حث على الاتفاق كنهما تهما  
 فان تهما سرا فهو أفضل والافعلانية ولا يمنع ظنه ان يكون رياء فان ترك الخير مخافة ذلك  
 هو عين الرياء ويمكن ان يكون المراد بالسر الصدقة المطلقة وبالعلانية الزكاة واليه أشار  
 في التفسير قوله الكرخي وقيل السرفى المسنونة والعلانية في المنروضة (رجون  
 تجارة) أى ثواب الطاعة (لن تبور) أى لن تكسد وان تهلك والخبار برجائهم لثواب  
 ما عملوا بمنزلة الوعد بحصول مرجوهم واللام في قوله (ليوفيهم أجورهم) متعلقة بان  
 تبور على معنى انها لن تكسد لاجل ان يوفيهم أجور أعمالهم الصالحة ومثل هذه الآية  
 قوله سبحانه فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وقيل  
 ان اللام متعلقة بمحذوف دل عليه السياق أى فعلوا ذلك ليوفيهم ومعنى (ويزيدهم من  
 فضله) انه يتفضل عليهم بزيادة على أجورهم التى هى جزاء أعمالهم قبل تنسيخ التبور  
 أو بتشفيعهم فمن أحسن اليهم أو بتضعيف حسناتهم أو بتحقيق وعد لقائه (انه غفور  
 شكور) تعليل لما ذكر من التوفية والزيادة أى غفور لان نوبهم شكور لاطاعتهم (والذى  
 أوحينا اليك من الكتاب) يعنى القرآن وقيل اللوح المحفوظ على ان من تعبضية  
 أو ابتدائية (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أى موافقا لما تقدمه من الكتب (ان الله  
 بعباده خبير بصير) أى محيط بجميع أمورهم الباطنة والظاهرة (ثم أورثنا الكتاب  
 الذين اصطفينا من عبادنا) انما قدم المفعول الثانى لقصد التشرىف والتعظيم للكتاب  
 والمعنى ثم أورثنا الذين اصطفينا منهم من عبادنا الكتاب وهو القرآن أى قضينا وقدرنا بان  
 نورث العلماء من أمتنا محمد هذا الكتاب الذى نزلنا عليك فأورثنا استعارة تبعية سمي

الاولات أصوات الاحياء ادا شاء  
 ويهدى من يشاء وبضل من يشاء  
 رايست ذلك لاحد سواء له هذا قال  
 تعالى ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا  
 فهم مسلمون أى خاضعون  
 مستحيون مطيعون فأرثناك هم  
 الذين يسمعون الحق فيتعبدونه  
 وهذا حال المؤمنين والاول مثل  
 الكافرين كما قال تعالى انما  
 يستجيب الذين يسمعون والموتى  
 يعثمهم الله ثم اليه يرجعون وقد  
 استمدت أم المؤمنين عائشة رضى  
 الله عنها هذه الآية انك لا تسمع  
 الموتى على توهم عبد الله بن عمر فى  
 روايته مخاطبة النبي صلى الله عليه  
 وسلم القملى الذين ألتوا فى قلب بدر  
 بعد ثلاثة أيام ومعاينة اياهم  
 وتقرر بعد ايام حتى قال له عمر

اعطاء لكتاب اياهم من غير كد وتعب في وصوله اليهم بتورث الوارث ومن اللسان  
 أو التبعية والمراد بعبادنا أمة الاجابة سواء حفظوه أو لا فهو عطية لجميعهم حتى من لم  
 يحفظه لا قدوته وفيه هدايته وبركته ومعنى اصطنعناهم اختيارهم واستخلاصهم  
 ولاشك ان علماء هذه الامة من الصحابة فمن بعدهم الى يوم القيامة قد شرفهم الله على سائر  
 العباد وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس وأكرمهم بكونهم أمة خير الانبياء  
 وسيد ولد آدم عليه وعليهم الصلاة والسلام وخصهم بحمل أفضل الكتب قال مقاتل يعني  
 قرآن محمد جعلناه ينتهي الى الذين اصطنعناهم من عبادنا وقيل ان المعنى أورثناهم من الامم  
 السالفة أى أخرناهم عنهم وأعطيناهم الذين اصطنعناهم والاول أولى ثم قسم سبحانه هؤلاء  
 الذين أورثهم كتابه واصطنعناهم من عباده الى ثلاثة أقسام فقال (فمنهم عالم لنفسه ومنهم  
 مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) وفي قوله (بادن الله) تبينه على عزة منال هذه الرتبة  
 وصعوبة ما أخذها أى بأمره أو بعلمه أو بتوفيقه (ذلك) أى تورث الكتاب والاصطفاء  
 وقيل السابق الى الخيرات والاول أولى وهو مبتدأ وخبره (هو الفضل الكبير) أى  
 الفضل الذى لا يقادر قدره وقد استشكل كثير من أهل العلم معنى هذه الآية لأنه سبحانه  
 جعل هذا القسم الظالم لنفسه من ذلك المقسم وهو من اصطنعناهم من العباد فكيف  
 يكون من اصطنعناهم الله ظالما لنفسه فقيل ان التقسيم هو راجع الى العباد أى من عبادنا  
 ظالم لنفسه وهو الكافر ويكون ضمير يدخلونها عائدا الى المقصد والسابق وقيل المراد  
 بالظالم لنفسه هو المقصر في العمل به وهو المرجى لامر الله وليس من ضرورة وراثته الكتاب  
 مراعاته حقوق رعايته لقوله خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب وهذا فيه نظر لان ظلم  
 النفس لا يناسب الاصطفاء وقيل الظالم لنفسه هو الذى عمل الصغائر وقد روى هذا  
 القول عن عمر وعثمان وابن مسعود وأبي الدرداء وعائشة وهذا هو الراجح لان عمل  
 الصغائر لا ينافي الاصطفاء ولا يمنع من دخول صاحبه مع الذين يدخلون الجنة ووجه  
 كونه ظالما لنفسه انه نقصها من الثواب بما فعل من الصغائر المغفورة له فانه لو عمل مكان  
 تلك الصغائر طاعات لكان لنفسه فيها من الثواب حظ عظيم وقيل الظالم هو صاحب  
 الكبائر قلت ومنشأ الاشكال هو من جعل الوارثين هم العلماء من أمة محمد صلى الله  
 عليه وآله وسلم اذ لو جعلت الوراثة لجميع الامة زال الاشكال لقطع بان منهم ظالما لنفسه  
 ولا ينافي الاصطفاء لكونهم فضلا للامة الآخرة وقد ردد في ذلك شئ كثير كما لا يخفى  
 ويؤيده ما سياتى آخر البحث والله أعلم وقد اختلف السلف في تفسير السابق والمقتصد  
 فقال عكرمة وقتادة والضحاك ان المقصد المؤمن العاصى والسابق التقي على الاطلاق  
 وبه قال القراء وقال مجاهد في تفسير الآية فمنهم ظالم لنفسه أصحاب المشأمة ومنهم  
 مقتصد أصحاب المينة ومنهم سابق بالخيرات السابقون من الناس كلهم وقال المبرد ان  
 المقصد هو الذى يعطى الدنيا حقا او الآخرة حقا وقال الحسن الظالم الذى ترجح سيئاته  
 على حسناته والمقتصد الذى استوت حسناته وسيئاته والسابق من رجحت حسناته على  
 سيئاته وقال مقاتل الظالم لنفسه أصحاب الكبائر من أهل التوحيد والمقتصد الذى

يارسول الله ما تخاطب من قوم  
 قد جبنوا فقال والذى ننسى بيده  
 ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن  
 لا يجيبون وتأولته عائشة على انه قال  
 انهم الآن يعلمون ان ما كنت أقول  
 لهم حق وقال قتادة أحياءهم الله له  
 حتى سمعوا مقالته تفرغوا وتوبوا بينا  
 ونعمة والصحيح عند العلماء رواية  
 عبد الله بن عمر لما هم من الشواهد  
 على صحتها من وجوه كثيرة من أشهر  
 ذلك ما رواه ابن عبد البر معجمه  
 عن ابن عباس مر فوجا ما من أحد  
 يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في  
 الدنيا فيسلم عليه الاردا لله عليه  
 روحه حتى يرد عليه السلام (الله  
 الذى خلقكم من ضعف ثم جعل  
 من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد  
 قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو

لم يصب كبرية والسابق الذي سبق الى الاعمال الصالحة وحكى النحاس ان الظالم صاحب الكبر والمقتصد الذي لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سيئاته فيكون قوله الاتي جنات عدن يدخلونها الذين سبقوا بالخيرات لا غير قال وهذا قول جماعة من أهل النظر لان الضمير في حقيقة النظر لما يليه أولى وقال الضحاك ففهم ظالم لنفسه أى من ذريتهم ظالم لنفسه وقال سهل بن عبد الله السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم لنفسه الجاهل وقال ذوالنون المصرى الظالم لنفسه اذا كرته بلسانه فقط والمقتصد اذا كر بقلبه والسابق الذى لا ينساها وقال ادنطاكى الظالم صاحب القوال والمقتصد صاحب الانعال والسابق صاحب الاحوال وقال ابن عطاء الظالم الذى يجب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذى يجب الله من أجل العقبي والسابق الذى أسقط مراده بمراد الحق وقيل الظالم الذى يعبد الله خوفاً من النار والمقتصد الذى يعبد الله طمعا في الجنة والسابق الذى يعبد الله لالسبب وقيل الظالم الذى يجب الله والمقتصد الذى يجب دينه والسابق الذى يجب ربه وقيل الظالم الذى يتصف ولا يتصف والمقتصد الذى يتصف ويتصف والسابق الذى يتصف ولا يتصف وقيل الظالم هو المرء لا امر الله والمقتصد هو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا قال النبي وهذا التأويل يوافق التنزيل فانه تعالى قال والسابقون الاولون من المهاجرين والآية وقيل بعدهم وآخرون اعترفوا بنوبهم الآية وقال بعدهم وآخرون مرجون لامر الله انتهى وقال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبر والمقتصد صاحب الصغار والسابق المحنت له يوسف بن يوسف عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما صنعة الكفار فبعد هذا وهو قوله والذين كذبوا بالحق لما جاءتهم البينات والذين هم الذين صطفى من عباده وهم أهل الإيمان وعليه الجمهور وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذى استوى ظاهره وباطنه والسابق الذى باطنه خيرا من ظاهره وقيل الظالم التالى للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالى له العالم به والسابق التارى له العالم به العامل بما فيه وقد ذكر الثعلبى وغيره أقوالا كثيرة ولا شك ان المعالى اللغوية للظالم والمقتصد والسابق معرفة وهو يصدق الظالم لنفسه بمجرد احرامها للعظوتنويت ما هو خير لها فتمارك الاستكثار من الطاعات قد ظلم نفسه باعتبار ما فوقها من الثواب وان كان قائما بما أوجب الله عليه تارك ما سأل عنه فهو من هذه الخبيثة بمن اصطفاه الله ومن أهل الجنة فلا اشكال فى الآية ومن هذا قول آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وقول يونس انى كنت من الظالمين ومعنى المقتصد هو من يتوسط فى أمر الدين ولا يعمل الى جانب الافراط ولا الى جانب التفريط وهذا من أهل الجنة وأما السابق فهو الذى سبق غيره فى أمور الدين وهو خير الثلاثة وقد استشكل تقديم الظالم على المقتصد وتقدمها على السابق مع كون المقتصد أفضل من الظالم لنفسه والسابق أفضل منهما ما قيل ان التقديم لا يقتضى التشريف كما فى قوله لا يسئوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ونحوها من الآيات القرآنية التى فيها تقديم أهل الشر على أهل الخير وتقدم المنفوسين على التاضلين وقيل وجه التقديم هنا ان الظالمين كثير وان المقتصدىين بالنسبة الى أهل

العلم القدير يذبه به الى على تنقل الانسان فى أطوار الخلق حالا بعد حال فأعلمه من تراب ثم من نطفة ثم من علقته ثم من مضغعة ثم يصير عظما ثم يكسى العظام لحاوي يتفتح فيه الروح ثم يخرج من بطن أمه ضعيفا نحيفا واوهن القوى ثم يشب قليلا قليلا حتى يكون صغيرا ثم حدثا ثم مرعقا ثم شابا وهو القوة بعد الضعف ثم يشرف على النقص فيكهل ثم يشيخ ثم يموت وهو الضعف بعد القوة فتضعف الهممة والحركة والبطش وتشيب الامة وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة واهذا قال تعالى ثم جعل من بعد قوة ضعيفا وشيبة يخاق ما يشاء أى يفعل ما يشاء ويتصرف فى عبيده بما يريد وهو العلم القدير قال

المعاصي قليل والسابقين بالنسبة الى الفريقين أقل قليل فتقدم الاكثر على الاقل والاول  
 أولى فان الكثرة بمجردھا لا تقتضى تقدیم الذکر وقال ابن عطاء انما قدم الظالم لئلا  
 يأس من فضله وقيل انما قدمه ليعرفه ان ذنبه لا يبعده من ربه وقيل ان اول الاحوال  
 معصية ثم توبة ثم استقامة وقال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا بان لا يتقرب اليه  
 الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطناء ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم  
 ختم بالسابقين لئلا يأمّن أحد مكردهم وكلهم في الجنة وقد قيل في وجه التقديم غير ما ذكرناه  
 مما لا حاجة الى التّطويل به وعن ابن عباس في الآية قال هم أمة محمد صلى الله عليه وآله  
 وسلم ورثهم الله كل كتاب أنزل فظالمهم دعغفور له وقد تصددهم بحساب ايسير او سابقهم  
 يدخل الجنة بغير حساب وأخرج أحمد وترمذ وحسنه وغيرهما عن أبي سعيد  
 الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في هذه الآية هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة  
 وكلهم يدخلون الجنة وفي اسناده رجالان مجهولان وأخرج أحمد وابن أبي حاتم والطبراني  
 والخسائكم وغيرهم عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال  
 الله ثم أورثنا الكتاب الآية فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب  
 وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين  
 يحاسبون في طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي  
 أذهب عنا الحزن الآية قال البيهقي اذا كثرت روايات في حديث ظهر أن للحديث  
 أصلا انتهى وفي اسناد أحمد محمد بن اسحق وفي اسناد ابن أبي حاتم رجل مجهول وأخرج  
 الطبراني وابن أبي حاتم عن عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أمي  
 ثلاثة ثلاث فمات يدخلون الجنة بغير حساب وثلاث يحاسبون حسابا يسيرا ثم  
 يدخلون الجنة وثلاث يعصون ويكشفون ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون  
 لا اله الا الله وحده فيقول الله ادخلوهم الجنة بقولهم لا اله الا الله وحده واجلو اخطاياهم  
 على أهل التكذيب وهي التي قال الله وليحمان أئمتنا لهم وأئمتنا لهم ونصدقها  
 في التي ذكر في الملائكة قال الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فجعلهم  
 ثلاثة أفواج فتم ظالم لنفسه فهذا الذي يكشف ويحص ومنهم مقتصد وهو الذي يحاسب  
 حسابا يسيرا ومنهم سابق بالخيرات فهو الذي يبلغ الجنة بغير حساب ولا عذاب باذن الله  
 يدخلون الجنة جميعا قال ابن كثير بعد ذلك الحديث غريب جدا انتهى وهذه  
 الاحاديث يتولى بعضها ببعض ويوجب المصير اليها ويدفع بها اقوال من جعل الظالم لنفسه على  
 الكافرو ويؤيدها ما أخرجه الطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث عن اسامة بن زيد  
 فتم ظالم لنفسه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم من هذه الامة  
 وكلهم في الجنة وما أخرجه الطيالسي وعبد بن حميد والطبراني وغيرهم عن عقبه بن  
 صهبان قال قلت لعائشة رأيت قول الله ثم أورثنا الكتاب الآية قالت أما السابق فن  
 مضى في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشهد له بالجنة وأما المقتصدين تبع

الامام أحمد حدثنا وكيع عن  
 فضيل ويزيد حدثنا فضيل بن  
 مزروق عن عطية العوفي قال  
 قرأت على ابن عمر الله الذي خلصكم  
 من ضعف ثم جعل من بعد ضعف  
 قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا  
 فقال الله الذي خلصكم من ضعف ثم  
 جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل  
 من بعد قوة ضعفا ثم قال قرأت على  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كما  
 قرأت على فأخذ على كما أخذت  
 عليك ورواه أبو داود والترمذ  
 وحسنه من حديث فضيل بن مزوراه  
 أبو داود من حديث عبد الله بن  
 جابر عن عطية عن أبي سعيد بن  
 (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون  
 ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا  
 يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم

آثارهم فعمل بمثل عملهم حتى لحق بهم وأما الظالم لنفسه فغلب ومثلك ومن اتبعنا وكل في الجنة وعن ابن مسعود قال هذه ثلاثة ثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يجيئون بذنوب عظام الا انهم لم يشركوا فيقول الرب ادخلوا هؤلا في سعة رجلي ثم قرأتم أورثنا الكتاب الآية وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في البعث عن عمر بن الخطاب انه كان اذا مر به هذه الآية ثم أورثنا الكتاب قال الا ان سابقنا سبق ومقتصدنا باج وظالمنا مغفور له وأخرجه البيهقي وغيره عنه من وجه آخر مر فوعا وأخرجه ابن النجار من حديث أنس مر فوعا وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة بركة الله والظالم لنفسه أصحاب الاعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأخرج سعيد بن منصور وغيره عن عثمان بن عفان انه نزع به هذه الآية ثم قال الا ان سابقنا أهل جهادنا الا وان مقتصدنا أهل حضرةنا الا وان ظالمنا أهل بدونا وأخرج البيهقي في البعث عن البراء بن عازب قال أشهد على الله انه يدخلهم الجنة جميعا وأخرج القرطبي وابن جرير وابن مردويه عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية قال كلهم ناج وهي هذه الامة وأخرج القرطبي وعبد بن حميد عن ابن عباس في الآية قال هي مثل التي في الواقعة أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون صدندان ناجيان وصنف هالك وعنه قال هو الكافر والمقتصد أصحاب الميمنة وهذا المروي عنه رضى الله عنه لا يطابق ما هو الظاهر من النظم القرآني ولا يوافق ما قدمنا من الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن جماعة من الصحابة وعن عبد الله بن الحارث ان ابن عباس سأل كعبا عن هذه الآية فقال نجاوا كلهم ثم قال تحاكت منا كبهم ورب الكعبة ثم اعطوا الفضل بأعمالهم أخرجه ابن أبي شيبة وغيره وقد قدمنا عن ابن عباس ما يفيد ان الظالم لنفسه من الناجين فتعارضت الأقوال عنه وقوله (جنات عدن) مبتدأ وخبره (يدخلونها) والضمير يعود الى الاصناف الثلاثة فلا وجود لقصره على الصنف الاخير وقرئ الجنة بالافراد وقرئ جنات بالنصب على الاشتغال وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول (يحلون فيها) هو من حلقت المرأة فهي حال وفيه اشارة الى سرعة الدخول فان في تحليتهم خارج الجنة تأخير الدخول فلما قال يحلون فيها اشار الى ان دخولهم على وجه السرعة (من أساور من ذهب) من الاولى تبعية والثانية بيانية أي يحلون بعض أساور كائنة من ذهب والأساور جمع اسورة جمع سوار (ولؤلؤا) منصوب بالعطف على محل من أساور وقرئ بالجر عطفنا على ذهب أي مرصعا بلؤلؤا ويحلون أساور ولؤلؤا وهو الاولى أخرج الترمذي والحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول الله جنات عدن يدخلونها الآية فقال ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة لتضى عما بين المشرق والمغرب (ولباسهم فيها حرير) لما فيه من

قوله نزع به هذه الآية هكذا في الاصل وحرر اه صححه

والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا وعذرتهم ولا هم يستعتبون يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة ففى الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الاوثان وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضا فنه اقسامهم بالله انهم ما لبثوا غير ساعة واحدة في الدنيا ومقتصدوهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم وانهم لم ينظروا حتى يعذروا بهم قال الله تعالى كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث أي فبذر عليهم المؤمنين العلماء في الآخرة كما قاموا عليهم حجة الله في الدنيا فيقولون لهم حين يحلفون

اللذة والزينة وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفى في سورة الحج (وقالوا الحمد لله الذي  
أذهب عنا الحزن) بفتحين وقرئ بضم الحاء وسكون الزاي والمعنى انهم يقولون هذه  
المقالة اذا دخلوا الجنة وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق قال قتادة حزن الموت وقال  
عكرمة حزن السميات والذنوب وخوف رد الطاعات وقال ابن عباس حزن النار وقال  
القاسم حزن زوال النعم وخوف العقاب وقيل حزن أهوال يوم القيامة وقال الكلبي  
ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة وقال سعيد بن جبير هم الحزين في الدنيا وقيل  
هم المعيشة وقال الزجاج أذهب الله عن أهل الجنة كل الحزن ما كان منها لمعاش  
أو لمعاد وهذا أخرج الاقوال فان الدنيا وان بلغ نعيمها أي مبلغ لا يتخلون شوائب ونوائب  
تكثر لاجلها الا حزان وخصوصاً أهل الايمان فانهم لا يزلون ويحلمون من عذاب الله  
خائفين من عقاب مظهر بين القلوب في كل حين هل تقبل أعمالهم أو ترد حذر من عقاب  
السوء وخافة الشر ثم لا تزال همومهم وأحزانهم حتى يدخلوا الجنة وأما أهل العصيان  
فهم وان نفس عن خنقهم تليد لا في حياة الدنيا التي هي دار الغرور وتناسوا اذار القرار  
يوما من دهرهم فلا بد أن يشتد وجلهم وذهم مصيبتهم وتغلي مرآة أحزانهم اذا شارفوا  
الموت وقربوا من منازل الآخرة ثم اذا قبضت أرواحهم ولا ح لهم ما يسوءهم من جزاء  
أعمالهم اذ اذوا ونما حزننا فان تفضل الله عليهم بالمغفرة وأدخلهم الجنة فقد أذهب عنهم  
أحزانهم وازال غمومهم وهمومهم أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن  
عباس في الآية قال هم قوم في الدنيا يخافون الله ويحتمدون له في العبادة قسرا وعلانية  
وفي قلوبهم حزن من ذنوب قد سلفت منهم فهم خائفون ان لا يتقبل منهم هذا الاجتهاد  
من الذنوب التي سلفت فمستدها قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وروى البغوي  
بسند عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس على أهل لا اله الا الله  
وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكانى بأهل لا اله الا الله ينقضون التراب عن رؤسهم  
يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (ان ربنا الغفور شكور) غفر لنا العظيم وشكر لنا  
النيل من أعمالنا أو يغفر الجنايات ويقبل الطاعات وقيل غفور لمن عصاه شكور لمن  
أطاعه (الذي أحلنا) أي أنزلنا (دار المقامة) أي التي يقام فيها أبدا ولا ينتقل عنها  
(من فضله) أي تنضلائه ورجة (لا يمسنافها نصب) أي لا يصيبنا في الجنة عنا ولا تعب  
ولامشقة (ولا يمسنافها الغوب) أي اعياء من التعب وكلال من النصب ثم لما فرغ  
سبحانه من ذكر جزاء عباده الصالحين ذكر جزاء عباده الظالمين فقال (والذين كفروا لهم نار  
جهنم لا يقضى عنهم) بالموت (فيموتوا) ويستريحوا من العذاب قرئ فموتوا بالنصب  
جوابا للنق وقرئ بإثبات النون قال ابن عطية هي ضعيفة ولا وجه لهذا التضعيف بل هي  
كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولا يخفف عنهم من عذابها) بل كلما نضجت جلودهم  
بدلناهم جلودا غير هالذوق العذاب وكلما خبت النار زيد اسعارها وهذه الآية هي مثل  
قوله سبحانه لا يموت فيها ولا يحيى (كذلك تجزي كل كفور) أي مثل ذلك الجزاء النظيف

ما لبثوا غير ساعة لقد لبثتم في كتاب  
الله أي كتاب الأعمال الى يوم البعث  
أي من يوم خلقتم الى ان بعثتم  
ولكنكم كنتم لا تعلمون قال الله  
تعالى في يومئذ أي يوم القيامة لا ينفع  
الذين ظلموا معذرتهم أي اعتذارهم  
عما فعلوا ولا هم يستعجبون أي  
ولا هم يرجعون الى الدنيا كما قال  
تعالى وان يستعجبوا فما هم من  
المعتبين (واقدر بشا للناس في  
هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتكم  
بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم  
الامبطلون كذلك يطبع الله على  
قلوب الذين لا يعلمون فاصبران وعد  
الله حقا ولا يستخفك الذين  
لا يؤقنون) يقول تعالى ولقد ضربنا  
للناس في هذا القرآن من كل مثل أي  
قد بينا لهم الحق ووضحنا لهم وضربنا

يجزى كل من هو مبالغ في الكفر لاجزاء أخف وأدنى منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول  
(وهم يصطرخون فيها) من الصراخ وهو الصباح أى وهم يستغيثون في النار رافعين  
أصواتهم والصراخ المستغيث (ربنا) أى يقولون ربنا أو قائلين ربنا وقال مقاتل  
انهم ينادون ربنا (آخر جنانهم عمل) عملا (صالحا غير الذى كان عمل) من الشرك والمعاصي  
فجعل الاعيان منابذ ما كاعليه من الكفر والطاعة بدل المعصية قيل وزيادة قوله غير  
الذى كان عمل لتعسر على ما عاود من غير الاعمال الصالحة مع الاعتراف منهم بأن أعمالهم  
في الدنيا كانت غير صالحة فاجاب الله عليهم بقوله (أولم نعمركم ما يتذكرفيه من تذكرو)  
الاستفهام للتبريع والتوبيخ والاول لعطف على متذكر كفى نظائر ومما نكره موصوفة  
أى أولم نعمركم عمرا تتمكن من التذكرفيه من تذكرو قيل هو ستون سنة وقيل أربعون  
وقيل ثمانى عشرة سنة قال الاول جماعة من الصحابة ومنهم ابن عباس وبالثانى الحسن  
ومسروق وغيرهما وبالثالث عطاء وقتادة أخرج ابن أبى حاتم والطبرانى والبيهقى عن ابن  
عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا كان يوم القيامة قيل أين أبناء الستين  
وهو العمر الذى قال الله أولم نعمركم ما يتذكرفيه من تذكرو فى اسناده ابراهيم بن  
الفضل الخزرجى وفيه مقال وأخرج أحمد والبخارى والنسائى وغيرهم عن أبى هريرة  
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعذرت الله الى امرئ أخر عمره حتى بلغ ستين  
سنة وعن سهل بن سعيد مرفوعا نحوه أخرجه عبد بن حميد والطبرانى والحاكم وعن على  
ابن أبى طالب قال العمر الذى غيرهم الله به ستون سنة وأخرج الترمذى وابن ماجه  
والحاكم وابن المنذر والبيهقى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك قال الترمذى بعد اخراجه  
حسن غريب لا تعرفه الا من هذا الوجه وعن ابن عباس فى هذه الآية هوست وأربعون  
سنة وعنه قال العمر الذى أعذرت الله الى ابن آدم فيه بقوله أولم نعمركم ما يتذكرفيه من  
تذكرو أربعون سنة (وجاءكم النذير) قال الواحدى قال جمهور المنسرين هو النبي صلى الله  
عليه وآله وسلم وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيعة والحسن بن الفضل والنسائى وابن  
جرير هو الشيب ويكون معناه على هذا القول أولم نعمركم حتى شبتهم وقيل هو التمران  
وقيل الحى قال الازهرى معناه ان الحى رسول الموت أى كانت شيبته بعد موته وتندر  
بجيبته والشيب شبر أيضا لانه يأتى فى سن الاكتمال وهو علامة لمفارقة سن الصبا الذى  
هو سن الله واللعب وقيل هو موت الاهل والآقارب وقيل هو كمال العقل وقيل البلوغ  
(فذكروا غا للظالمين من نصير) التمام لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجى  
النذير وفى النذير أى فذكروا عذاب جهنم لانكم لم تعتبروا ولم تتعظوا فقال لكم ناصر  
ينعكم من عذاب الله ويحول بينكم وبينه قال مقاتل فذكروا غا للمشركين من مانع  
ينعهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) قرأ الجمهور بالاضافة وقرئ بالتنوين

لهم فيه الامثال يستينوا الحق  
ويتبعوه وأمن جهنم بآية ليقوان  
الذين كثروا ان أنتم الا مبطلون أى  
لوراوا أى آية كانت سواء كانت  
باقتراحهم أو غيره لا يؤمنون بها  
ويعتقدون انها سحر وباطل كما قالوا  
فى انشقاق القمر ونحوه كما قال  
تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة  
ربك لا يؤمنون ولو جامعهم كل آية  
حتى يروا العذاب الايم ولهذا  
قال ههنا كذلك يطبع الله على  
قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان  
وعدا الله حق أى اصبر على مخالفتهم  
وعنادهم فان الله تعالى مخبرك  
ما وعدك من نصره اياك عليهم  
وجعله العاقبة لك ولن اتبعك

ونصب غيب والمعنى انه عالم بكل شئ ومن ذلك أعمالكم لا تخفى عليه منها خافية فلوردمكم  
الى الدنيا لم تعملوا صالحا كما قال ولورددوا العاد والمائم واعنه (انه علم بذات الصدور)  
تعديل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي أخفى من كل شئ علم ما فوقها بالاولى  
وقيل هذه الجملة مفسرة للجملة الاولى وذات تأنيث ذوبعنى صاحب أى بالامور  
صاحبة الصدور ومصاحبته الهامن حيث اختبأ وهافيهما (هو الذى جعلكم خلانف  
فى الارض) جمع خليفة ويقال للمستخلف خليفة وخليف ويجمع الاول على خلانف  
والثانى على خلفاء أى جعلكم أمة خالفة لمن قبلها قال قتادة خلفا بعد خلف وقرنا بعد  
قرن والخلف هو التالى للمتقدم وقيل جعلكم خلفاء فى أرضه (فمن كفر) منكم هذه  
النعمة (فعلية كفره) أى عليه ضرر كفره لا يتعداه الى غيره (ولا يزيد الكافرين  
كفرهم عند ربهم الامقتا) أى غضبوا وبغضا (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا)  
أى نقصا وهلاكاً والمعنى ان الكفر لا ينفع عند الله حيث لا يزيدهم الا المقت ولا  
ينفعهم فى أنفسهم حيث لا يزيدهم الا خسارا والتكرير لزيادة التثنية على ان  
اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهاتين القبيحتين بطريق الاستقلال والاصالة  
ثم أمره سبحانه ان يوجههم ويبيكهم فقال (قل أراى يتم شركاءكم الذين تدعون) أى  
اخبرونى عن الشركاء الذين اتخذوهم آلهة وعبدوهم (من دون الله) أى غيره وهم  
الاصنام وغيرها (أرونى ماذا خلقوا من الارض) بدل اشتمال من أراىتم والمعنى  
اخبرونى عن شركائكم أرونى أى شئ خلقوا من الارض وقيل ان الفعلين وهما أراىتم  
وأرونى من باب التنازع وقد عمل الشان على ما هو اختيار البصر بين (أم لهم شركاء  
فى السموات) أى أم لهم شركاء مع الله فى خلقها أو ملكها أو التصرف فيها حتى يستحقوا  
بذلك الشراكة فى الالهية (أم آتيناكم) الضمير فيه وفى قوله لهم الاحسن ان يعود  
الى اشركاء تناسق الضمائر وقيل يعود على المشركين فيكون التثنية تامن الخطاب الى  
الغيبه أى أم أنزلنا عليهم (كتابا) بالشركة وأم فى الموضوعين منقطعة بمعنى بل والهمزة  
فيكون قد ضرب عن الاستفهام الاول وشرع فى استفهام آخر والاستفهام انكارى  
(فهم على بينة منه) أى على حجة ظاهرة واضحة من ذلك الكتاب قرئى بينة بالتوحيد وبالجمع  
قال مقاتل يقول هل أعطينا كفار مكة كتابا فهم على بيان منه بان مع الله شركاء ثم أضررب  
سبحانه عن هذا الى غيره فقال (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الاغوروا) أى ما يعد  
الظالمون بعضهم بعضا كما يفعل الرؤساء والقادة من المواعيد لا تبعاعهم الاغوروا يغرونهم  
به ويزنون عليهم وهو الاباطيل التى تغر ولا حقيقة لها وذلك قولهم ان هذه الآلهة تنفعهم  
وتقر بهم الى الله وتشفع لهم عنده وقيل ان الشياطين تعد المشركين بذلك وقيل المراد  
بالوعد الذى يعد بعضهم بعضا هو أنهم ينصرون على المسلمين ويغلبونهم (ان الله يمسك  
السموات والارض أن تزولا) أى يمنعهما ما من الزوال قاله الزجاج أو كراهة ان تزولا

فى الدنيا والآخرة ولا يستخفونك  
الذين لا يؤمنون أى بل اثبت على  
ما بعثك الله به فانه الحق الذى  
لا هزيمة فيه ولا تعدل عنه وليس  
فيما سواه هدى يتبع بل الحق كله  
منحصر فيه قال سعيد عن قتادة  
نادى رجل من الخوارج عبد ارضى  
الله عنه وهو فى صلاة العداة فقال  
ولقد أوحى اليك والى الذين من  
قبلك ان أشركت ليحبطن عملك  
واتكون من الخاسرين فأنصت له  
على حتى فهم ما قال فأجابوه وهو فى  
الصلاة فاصبران وعد الله حق ولا  
يستخفونك الذين لا يؤمنون رواه  
ابن جرير وابن ابي حاتم وقد رواه  
ابن جرير من وجه آخر فقال حدثنا



وقيل للاثزولا والجملة مستأنفة لبيان قدرة الله سبحانه وبديع صنعه بعد بيان ضعف  
 الأصنام وعدم قدرتهم على شيء وقيل المعنى ان شركهم يقتضى زوال السموات والارض  
 كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدأ أن يدعو للرجن  
 ولد اوعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول على المنبر قال وقع  
 في قلب موسى هل ينام الله عز وجل فأرسل الله اليه ملكا فأررقه ثلاثا وأعطاه فاروزتين  
 في كل يد فارورة وأمره ان يحتفظ بهما فجعل ينام وتكاد يدها تلقيان ثم يستيقظ فيحسب  
 أحدهما على الأخرى حتى نام نومة فاصطنقت يدها وانكسرت القارورتان قال ضرب  
 الله له مثلا ان الله تبارك وتعالى لو كان ينام لم تستمسك السماء والارض أخرجه أبو يعلى  
 وابن جرير وابن أبي حاتم والدارقطني والبيهقي في الاسماء والصفات وغيرهم وروى من  
 طرق عن ابن سلام وابن أبي بردة (واتن زالتان أمسكهما من أحد من بعده) أى  
 ما أمسكهما أحد من بعدهما كما أو من بعد زوالهما والجملة سادة مسد جواب القسم  
 والشرط ومن الأولى زائدة والثانية ابتدائية قال الفراء أى ولو زالتا أمسكهما من أحد  
 قال وهو مثل قوله واتن أرسلنا ريحا فمأفوا منه فمصرنا لظلموا من بعده يكفرون وقيل المراد  
 زوالهما يوم القيامة (انه كان حليما غفورا) تعليل لما قبله من امساك تعالى السموات  
 والارض (وأقسموا بالله جهد أيمانهم ان يجرؤا على ان يأتوا بك بحد من الامم)  
 المراد قريش أقسموا وقيل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بهذا القسم حين  
 بلغهم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل  
 فكذبوهم وأقسموا بالله لوجاء نذير لئلا يكونوا هدى دينهم فلما بعث محمد صلى الله  
 عليه وآله وسلم كذبوه فأنزله الله هذه الآية والمعنى من احدى الامم المكذبة للرسل  
 والنذير النبي والهدى الاستقامة وكانت تمنى ان يكون منهم رسول كما كان الرسل  
 في بنى اسرائيل وأنت احدى لكون أمة مؤمنة كما قال الاخفش وقيل المعنى من احدى  
 الامم على العموم وقيل من الامة التى يقال لها احدى الامم نفضي لالهما (فلما جاءهم نذير)  
 أى ما تنذروه وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى هو أشرف نذير وأكرم رسول  
 وكان من أنفسهم (ما زادهم) مجيئه (الانفورا) منهم عنه وتباعدا عن اجابته (استكبارا  
 فى الارض) أى لاجل الاستكبار والعتو وأبدل من نفورا وحال قاله الاخفش وهذا  
 جواب لما وفيه دليل على انها حرف لا ظرف اذ لا يعمل ما بعدهما النافية فيما قبلها  
 وتقدمت له نظائر واسناد الزيادة الى النذير مجازا لانه سبب في ذلك كتوبه فزادتهم رجسا  
 الى رجسهم (ومكر السيئ) أى راجل مكر العمل السيئ أو مكر والمكر السيئ والمكر  
 هو الخيلة والخذاع والعمل القبيح وأضيف الى صفة كقولهم مسجد الجامع وصلاته  
 الاولى قرأ بالجهور ومكر السيئ يخفف همزة السيئ وقرأ الاعمش وحزب يسكونها وصلاته وقد  
 غلط كثير من النحاة هذه القراءة ونزها الاعمش على جلالته ان يقرأ بها قالوا وانما كان

وكيع حدثنا يحيى بن آدم عن شريك  
 عن عثمان عن أبي زرعة عن علي  
 ابن زيعة قال نادى رجل من  
 الخوارج عليا رضى الله عنه وهو في  
 صلاة الفجر فقال واقدأ وحى اليك  
 والى الذين من قبلك ان أشركت  
 ليحبطن عمالك واتمكونن من  
 الخاسرين فاجابه على رضى الله عنه  
 وهو في الصلاة فاصبر ان وعد الله  
 حق ولا بد تخفند الذين لا يوقنون  
 طريق أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا  
 أبي حدثنا علي بن الجعد أخبرنا  
 شريك عن عمران بن ظبيان عن  
 أبي يحيى قال صلى على بن أبي طالب  
 رضى الله عنه صلاة الفجر فناداه  
 رجل من الخوارج ان أشركت  
 ليحبطن عمالك واتمكونن من

يقف بالسكون فغلط من روى عنه انه كان يقرأ بالسكون وصلوا وتوجيه هذه القراءة  
 يمكن بان من قرأها الجري الوصل مجرى الوقف ومثله قراءة من قرأ ما يشعركم بسكون  
 الراء ومثله ذلك قراءة أبي عمرو والى بارئكم بسكون الهمزة وغير ذلك كتب قال أبو علي  
 النازي هذا على اجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ ابن مسعود ومكراسياً (ولا يحق  
 المكراسي الا باخه) أي لا تنزل عاقبة السوء الا بمن أساء قال الكلبي يحق بمعنى يحيط  
 والحق الأحاظ يقال حاظ به كذا أي أحاط به وهذا هو الظاهر من معنى يحق في لغة  
 العرب ولكن قطرب فسره هنا ينزل (فهمل ينظرون) أي ما ينظرون (الاسنة  
 الاوينا) أي سنة الله فيهم بان ينزل بهم ولألاء العذاب كما نزل بأولئك (فلن تجد لسنة الله  
 تبديلاً) أي لا يتدرأ أحد أن يبدل سنة الله التي سنها بالامم المكذبة من انزال عذابه  
 بهم بان يضع موضعه غيره بدلا عنه والغناء لتعليل ما يفيد هذه الحكمة بانتظارهم العذاب  
 (ولن تجد لسنة الله تحويلاً) بان يحول أحد ما جرت به سنة الله من العذاب فيدفعه  
 عنهم ويضعه على غيرهم ونبي وجدان التبديل والتحويل كناية عن نبي وجودهما بالطريق  
 البرهاني وتخصيص كل منهما بنبي مستقل لتأكيدهما (أولم يسيروا في الارض  
 فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هذه الجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وتأكيد  
 أي ألم يسيروا في أرض الشام واليمن والعراق فينظروا ما أنزلنا بعداؤنا وودودنا من  
 وأمثالهم من العذاب لما كذبوا الرسل فان ذلك هو من سنة الله في المكذبين التي لا تبدل  
 ولا تحول وأثار عذابهم وما أنزل الله بهم موجودة في مسالكهم ظاهرة في منازلهم  
 والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام (وكأنوا) أي والحال  
 انهم كانوا (أشد منهم قوة) وأطول أعماراً وأكثر أموالاً وأقوى أيداً فأنفقهم طول  
 المدى وما أغنت عنهم شدة القوة (وما كان الله ليحجزه من شيء في السموات ولا في الارض)  
 أي ما كان يسببه ويفوته شيء من الاشياء كما أنما كان فيهما وهذا تقرير لما يفهم مما  
 قبله من استئصال الامم السابقة (انه كان عليماً قديراً) أي كثير العلم كثير القدرة لا يخفى  
 عليه شيء ولا يصعب عليه أمر وهذا لتعليل لذلك التقرير (ولو يؤاخذ الله الناس بما  
 كسبوا) من الذنوب وعملوا من الخطايا (ما ترك على ظهرها) أي الارض (من دابة)  
 من الدواب التي تدب كائنة ما كانت أما بنو آدم فلذنبوهم وأما غيرهم فلذنوبهم فلو لم يبق  
 آدم وقيل المراد ما ترك على ظهر الارض من دابة تدب من بنى آدم والجن وقال بالاول  
 ابن مسعود وقتادة وقال بالثاني الكلبي وقال ابن جرير والخنفس والحسين بن الفضل  
 أراد بالدابة هنا الناس وحدهم دون غيرهم أخرج الفريابي وغيره عن ابن مسعود قال  
 انه كاد يجعل ليعذب في حجره بذنب ابن آدم ثم قرأ هذه الآية فقبل وجهه الملائمة بين  
 الشرط والجزاء انه تعالى اذا كان يؤاخذ الناس بما كسبوا كان ينقطع عنهم النعم التي  
 من جملة المطر فاذا انقطع عنهم المطر انقطع النبات فيموت جميع الحيوانات فهذا كناية  
 أريد بها الملزوم وقوله على ظهرها فيه استعارة ممكنة قال قتادة وقد فعل ذلك في زمن

الحسامين فأجابه على رضى الله  
 عنه وهو في الصلاة فاصبر ان وعد  
 الله حق ولا يسـ تخففك الذين  
 لا يؤقنون \* (ماروى في فضل هذه  
 السورة الشريفة واستجاب قراءتها  
 في الفجر) \* قال الامام أحمد حدثنا  
 محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد  
 الملك بن عمير سمعت شيبان أبا روح  
 يحدث عن رجل من أصحاب النبي  
 صلى الله عليه وسلم ان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح  
 فقرأ فيهم الروم فاوهم فلما انصرف  
 قال انه يابس علينا القرآن فان  
 أقواماً منكم يصلون معنا  
 لا يحسنون الرضوء فنشهد منكم  
 الصلاة معنا فليحسن الرضوء وهذا

نوح وقال يحيى بن سلام يحبس الله المطرف في كل شيء ولكن يؤخرهم الى أجل

مسمى) وهو يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده

بصيرا) أي عن يستحق منهم الثواب ومن يستحق

منهم العقاب وفي هذا تسلية للمؤمنين

ووعيد للكافرين والعامل

في اذا هوجاء

لابصيرا

\* (تم الجزء السابع ويليها الجزء الثامن أوله سورة يس) \*

اسناد حسن ومتن حسن وفيه سر

عجيب ونبأ غريب وهو أن اصل الله

عليه وسلم تأثر بنقصان وضو من

انتم به فدل ذلك على ان صلاة

الماء. وم المتعلقة بصلاة الامام

آخر تفسير سورة الروم

ولله الحمد

والمنة

ومما قيل في تقريب هذا التفسير الجليل حسن الشكل عديم المثل ما أنشأه علامة زمانه ونبغة آفة الهمام الأكل المالا الأفضل مديد الباع رجب الذراع بديع الاختراع حسن البديهة بلا دفاع الذي قطع في حلبة البيان كل مجارى الاستاذ الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الباري فقال

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

الحمد لله الرحيم الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان فحمده على توفيقه للاشتهال بعلم الحكمة والتأويل ونسبته الهداية لعالم الآثار وأنوار التنزيل ونشهد أن لا اله الا الله شهادة تنال به ادرج الجنان ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بروح الحق وجامع البيان صلى الله وسلم عليه وعلى آله السادة الأئمة وعلى أصحابه جملة السنة وهداة الاممة ﴿وبعد﴾ فقد وقفت على التفسير المسمى بفتح البيان في مقاصد القرآن لمولانا وسيدنا الامام العلامة القدوة المحقق النهادية الحافظ التمهير الحجة الناسك الداعي الناس الى المحجة سلطان العلماء العاملين وبقية السلف الصالحين السيد الجليل والعالم الناضل النبيل صديق بن حسن بن علي القنوجي الذي مازال في نشر العلوم بروح وبيجي فرأيته تفسيراً جامعاً متفرقاً في غيره من الفوائد وفائقاً لعدد ما كثرت ما حواه من الشوارد والزوائد مشتملاً على صحيح التفسير المأخوذ من مقبول الاثر طاويماً في غيره من المطولات قد انتشر لا يستلذه الامن حوى السكاكين ولا يشهد بفضله الامن مشى طريقة الجلالين ولا يعرف انه سليم من زائف المقود الامن له خبرة بتفسير الرمشري والبيضاوي وأبي السعود ولا يدري انه أخذ اللباب وطرح القشور الامن طالع ابن كثير وابن جرير والترطبي والبعوي والدر المنثور والله انه لكاب كريم يجبل عن الصفة وتفسير عظيم طوي لمن حصله وعرفه فمن أراد تفسير كتاب الله رواية ودراية أو طالب ان يستفيد بانوار التنزيل توفيقاً وهداية فعليه بالاشتغال بهذا التفسير الجليل وايه كلف عليه فانه كفل بما يبغيه من اعراب وقراءة وتفسير وتأويل لا تفي تأملته تأمل ناقد بصير فرأيته آية باهرة ولا ينبتك مثل خبير

درر اضاءت في ليلين صحائف \* كالسكوك الدر في اضاءاته

فكانها منشورة بطروسها \* نجم نضيء سماؤه بسنائه

وكأنما هي في يدي غواصها \* نور اليد البيضاء وحسن ثنائها

لله غواص أتي بفوائد \* يستوجب الاعلاء على نظرائه

فأدم اللهم على مؤانته النعمة وادفع اللهم عنه البلاء والنقمة وأفض على قلبه أنوار

المعارف وانفع عما أبداه في تفسيره هذا من الشوائد واللطائف فلتقدأحيا به ما ندرس  
 من تفاسير الأئمة النحول وجاء بها معزوة إلى الصحاح والاصول  
 لم يغادر مما يعول عليه في فن التفسير شيئاً الأبداه  
 فعافاه الله ورعاه وأطال عمره في  
 طاعته ورضاه

آمين

وحرر في السابع والعشرين من شهر صفر سنة الثنتين وتسعين بعد الألف ومائتين

كتبه محمد بن أحمد

ابن عبد الباري

انتهى بلفظه